

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
(وقفت لله تعالى)

يسوع مجاناً

مَوَارِدُ الظَّمآنِ لِدُرُوسِ الزَّمَانِ

خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وأدب وإطلاق حسان

تأليف الفقير ذوقه فقير ربه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المدني في قبة محمد إمام الدعوة بالرياض

سنة

الجزء الثاني

الطبعة الثلاثون (٣٠)

طبع على نفقة جريدة من الحرمين بغير الميزانية
إبراهيم بن علي العوده
بمنهم الله كلهم خير

١٤٢٤ هـ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

وَمَنْ أَرَادَ طِبَاعَتَهُ إِبْتِعَاءً وَجْهَ اللّٰهِ تَعَالَى لَا يُرِيدُ بِهِ عَرْضاً مِنَ الدُّنْيَا، فَقَدْ أُذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ وَجَزَى اللّٰهُ خَيْراً مَنْ طَبَعَهُ وَقَفّاً لِلّٰهِ، أَوْ أَعَانَ عَلَى طَبَعِهِ، أَوْ تَسَبَّبَ لِطَبَعِهِ وَتَوَزَّيَعَهُ عَلَى إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ .

مَوَارِدُ الظَّمَانِ لِذُرُوسِ الزَّمَانِ

خُطْبٌ وَحِكْمٌ وَأَحْكَامٌ وَقَوَاعِدٌ وَمَوَاعِظٌ وَأَدَابٌ وَأَخْلَاقٌ حَسَنَةٌ

تأليف الفقيه إلى عَفْوَرَبِّهِ

عَبْدُ الْعِزِّ الْمُحَمَّدُ السَّلْمَانِيُّ

المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض

سابقاً

الجزء الثاني

الطبعة الثلاثون (٣٠)

طبع على نفقة جماعة من المحبين للخير

الموكل عنهم إبراهيم بن علي العودة

جزاهم الله كلهم خيراً

اللهم صلي على محمد وعلى آله وسلم

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٤٢٤ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَقَفَّ قَوْمٌ عَلَى عَالِمٍ فَقَالُوا إِنَّا سَأَلُوكَ أَفْجِينَا أَنْتَ، قَالَ: سَلُوا وَلَا تُكْثِرُوا،
فَإِنَّ النَّهَارَ لَنْ يَرْجِعَ وَالْعُمُرُ لَنْ يَعُودَ، وَالطَّالِبَ حَثِيثٌ فِي طَلَبِهِ، قَالُوا فَأَوْصِنَا، قَالَ
تَزَوَّدُوا عَلَى قَدْرِ سَفَرِكُمْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ مَا أُبْلَغَ الْبُعِيَّةَ، ثُمَّ قَالَ الْأَيَّامُ صَحَائِفُ
الْأَعْمَارِ فَحَلِّدُوهَا أَحْسَنَ الْأَعْمَالِ، فَإِنَّ الْفُرْصَ تَمُرٌ مَرَّ السَّحَابِ، وَالتَّوَانِي مِنْ
أَخْلَاقِ الْكُسَالَى وَالْحَوَالِفِ، وَمَنْ اسْتَوْطَنَ مَرْكَبَ الْعَجْزِ عَثَرَ بِهِ، وَتَزَوَّجَ التَّوَانِي
بِالْكَسَلِ فَوُلِدَ بَيْنَهُمَا الْخُسْرَانُ، أ. هـ. قال بعضهم:

تَزَوَّجَتِ الْبَطَالَةُ بِالتَّوَانِي
فَأَمَّا الْإِبْنُ سَمَّوَهُ بِفَقْرٍ
آخِر: يَاسَاكُنَ الدُّنْيَا تَاهَبٌ
وَأَعَدَّ زَادًا لِلرَّحِيلِ
وَأَبِكَ الدُّنُوبَ بِأَذْمَعٍ
يَا مَنْ أَضَاعَ زَمَانَهُ
آخِر: أَقْلُبُ كُتُبًا طَالَمَا قَدْ جَمَعْتَهَا
وَأَصْبَحْتُ ذَا ظَنٍّ بِهَا وَتَمَسَّكُ
وَأَحْذَرُ جُهْدِي أَنْ تُنَالَ بِنَائِلِ
وَأَعْلَمُ حَقًّا أَنِّي لَسْتُ بِأَقْبِيًّا
فَأَوْلَدَهَا غُلَامًا مَعَ غُلَامِهِ
وَأَمَّا الْبِنْتُ سَمَّوَهَا نَدَامَةً
وَأَتْتِظِرُّ يَوْمَ الْفِرَاقِ
فَسَوْفَ يُحْدِي بِالرَّفَاقِ
تَنْهَلُ مِنْ سُحْبِ الْمَاقِ
أَرْضِيَّتْ مَا يَفْنَى بِبِاقِ
وَأَفْنَيْتُ فِيهَا الْعَيْنَ وَالْعَيْنَ وَالْيَدَا
لِعِلْمِي بِمَا قَدْ صُعْتُ فِيهَا مُنْضَدًا
مَهِينٍ وَأَنْ يَغْتَالَهَا غَائِلُ الرَّدَى
فِيَالَيْتَ شِعْرِي مَنْ يُقَلِّبُهَا عَدَا

المراقبة في ثلاثة أشياء: مراقبة الله في طاعته بالعمل الذي يرضيه ومراقبة
الله عند ورود المعصية بتركها ومراقبة الله في الهم والخواطر والسر والاعلان،
قال تعالى: ﴿وَرَبِّكَ يَعْلَمُ مَا تَكْنُ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾، وقال النبي ﷺ:
«أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

(١)

اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ يَعْمَلَانِ فِيكَ فَاعْمَلْ فِيهِمَا أَعْمَالًا صَالِحَةً تَرْبِحَ وَتَحْمَدَ الْعَاقِبَةَ
الْحَمِيدَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

شِعْرًا: وَلَيْلِكَ شَيْطُرٌ عُمِرَكَ فَاغْتَنِمْهُ وَلَا تَذْهَبْ بِشَطْرِ الْعُمُرِ نَوْمًا
آخِر: يُحْيِي اللَّيَالِي إِذَا الْمَعْرُورُ أَغْفَلَهَا كَأَنَّ شُهْبَ الدِّيَاجِي أَعْيُنُ نُجُلُ

(٢)

الْمَلَائِكَةُ يَكْتُبَانِ مَا تَلَفَّظَ بِهِ فَاحْرَصْ عَلَى أَنْ لَا تَنْطِقَ إِلَّا بِمَا يَسُرُّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .
أَشْرَفَ الْأَشْيَاءِ قَلْبُكَ ، وَوَقْتُكَ ، فَإِذَا أَهْمَلْتَ قَلْبَكَ وَضَيَّعْتَ وَقْتَكَ فَمَاذَا يَبْقَى مَعَكَ
كُلُّ الْفَوَائِدِ ذَهَبَتْ ، وَقْتُ الْإِنْسَانِ هُوَ عُمُرُهُ وَمَادَةُ حَيَاتِهِ الْأَبَدِيَّةُ فِي النَّعِيمِ الْمُقِيمِ
وَمَادَةُ الْمَعِيشَةِ الضَّنْكَ فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَهُوَ يَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ .

(٣)

إِعْلَمْ أَنَّ قِصَرَ الْأَمَلِ عَلَيْهِ مَدَارٌ عَظِيمٌ وَحِصْنُ الْأَمَلِ ذِكْرُ الْمَوْتِ وَحِصْنُ
حِصْنِهِ ذِكْرُ فَجَاءَةِ الْمَوْتِ وَأَخْذُ الْإِنْسَانِ عَلَى غِرَّةٍ وَغَفْلَةٍ وَهُوَ فِي غِرُورٍ وَفُتُورٍ
عَنِ الْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ . نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوقِظَ قُلُوبَنَا إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، اللَّهُمَّ
صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

شِعْرًا: إِذَا شَامَ الْفَتَى بَرَقَ الْمَعَالِي فَاهْوَنَ فَائِتِ طَيْبِ الرُّقَادِ
آخِر: وَبَادِرِ اللَّيْلِ بَدْرَسِ الْعُلُومِ فَإِنَّمَا اللَّيْلُ نَهَارُ الْأَرْبِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شِعْرًا: قَالَ بَعْضُهُمْ:

بَلَوْتُ الطَّيِّبَاتِ فَلَمْ أَجِدْهَا تَفِي بِالْعُشْرِ مِنْ طَيْبِ الْعُلُومِ
وَنَادَمْتُ الصَّحَابَ وَنَادُمُونِي فَمَا بِالْكَتُبِ عِنْدِي مِنْ نَدِيمِ
وَلَمْ أَرَى فِي كُنُوزِ النَّاسِ ذُخْرًا كَمِثْلِ مَوَدَّةِ الْحُرِّ الْكَرِيمِ

مُلاحَظَةٌ: لا يَسمح لأي إنسانٍ أن يَحْتَصِرَهُ أو يَتَعَرَّضَ لَهُ بِمَا يُسَمُّونَهُ
تَحْقِيقًا لِأَنَّ الإِخْتِصَارَ سَبَبٌ لِتَعْطِيلِ الْأَصْلِ وَالتَّحْقِيقِ أَرَى أَنَّهُ
إِتِهَامٌ لِلْمُؤَلِّفِ، وَلا يُطِيعُ إِلَّا وَقَفًا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى مَنْ يَنْتَفِعُ بِهِ مِنَ
المسلمين .

«فائدة عظيمة النفع لمن وفقه الله»

ما أنعم الله على عبدٍ نعمةً أفضلَ من أن عرّفه لا إله إلا الله، وفهمه
معناها، ووفّقه للعمل بمقتضاها، والدعوة إليها .

شِعْرًا: الذِّكْرُ أَصْدَقُ قَوْلٍ فَافْهَمِ الْخَبْرَا لِأَنَّهُ قَوْلٌ مَنْ قَدْ أَنْشَأَ الْبَشْرَا
فَاعْمَلْ بِهِ إِنْ تُرِدُ فَهَمًّا وَمَعْرِفَةً يَا ذَا التُّهَى كَيْ تَنَالَ الْعِزَّ وَالْفَخْرَا
وَتَحْمِدِ اللَّهِ فِي يَوْمِ الْمَعَادِ إِذَا جَاءَ الْحِسَابُ وَعَمَّ الْخَوْفُ وَانْتَشَرَا
لِلَّهِ دُرٌّ رَجَالٍ عَامِلِينَ بِهِ فِيمَا يَدُقُّ وَمَا قَدْ جَلَّ وَاشْتَهَرَا
آخِر: جَمِيعُ الْكُتُبِ يُدْرِكُ مَنْ قَرَاها مِلَالٌ أَوْ فُتُورٌ أَوْ سَامَةٌ
سِوَى الْقُرْآنِ فَافْهَمْ وَاسْتَمِعْ لِي وَقَوْلِ الْمُصْطَفَى يَا ذَا الشُّهَامَةِ
آخِر: صَافِي الْكَرِيمِ فَخَيْرٌ مَنْ صَافَيْتَهُ مَنْ كَانَ ذَا دَائِنٍ وَكَانَ عَفِيفَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« فَصْلٌ »

وَمَنْ أَرَادَ طِبَاعَتَهُ إِبْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يُرِيدُ بِهِ عَرْضاً مِنَ الدُّنْيَا، فَقَدْ أُذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ وَجَزَى اللَّهُ خَيْراً مَنْ طَبَعَهُ وَقَفَا لِلَّهِ، أَوْ أَعَانَ عَلَى طَبِيعِهِ، أَوْ تَسَبَّبَ لِطَبِيعِهِ وَتَوَزَّيَعَهُ عَلَى إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَدْ وَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ فِي السَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ: صَانِعُهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ وَالرَّامِي بِهِ، وَمُتَّبِعُهُ» الْحَدِيثُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وورد عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» الْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ.
وَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًّا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، أَوْ مُصْحَفًا وَرَّثَهُ أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ أَوْ بَيْتًا لِابْنِ سَبِيلٍ بَنَاهُ أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ تَلَحُّقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ» رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَابْنُ خُرَيْمَةَ.

وَرَوَاهُ الْبَزَّازُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «سَبْعٌ تَجْرِي لِلْعَبْدِ بَعْدَ مَوْتِهِ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا أَوْ كَرَى نَهْرًا أَوْ حَفَرَ بَعْرًا أَوْ غَرَسَ نَخْلًا أَوْ بَنَى مَسْجِدًا أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ».

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا عَلِيُّ يَا عَظِيمُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا ثَوْرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، إِنَّكَ تَفَضَّلْتَ عَلَيْنَا وَأَعْطَيْتَنَا الْإِسْلَامَ مِنْ غَيْرِ أَنْ نَسْأَلَكَ فَلَا تَحْرِمْنَا الْجَنَّةَ وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ.

«فَصَلِّ» فِي الْوَعظِ وَالْإِرشَادِ

إِغْلَمَ وَقَفَقْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنْ الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ عَمَلُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرَّسُلِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ نُؤَابِّ عَنْ الْأَنْبِيَاءِ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْخَطِيرِ فَهُمْ أَمْنَاءُ اللَّهِ عَلَى شَرِّعِهِ وَالْحَافِظُونَ لِذِيهِ الْقَوِيمِ وَالْقَائِمُونَ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْعَارِفُونَ بِمَا يَجِبُ لِلَّهِ مِنْ كَمَالٍ وَتَنْزِيهِ .

لِذَلِكَ كَانَ أَئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ الْمُخْلِصُونَ فِي أَعْمَالِهِمُ الصَّادِقُونَ فِي أَقْوَالِهِمُ الْبَعِيدُونَ عَنِ الرِّيَاءِ وَحُبِّ الشُّهْرَةِ وَالْمَدْحِ يَسِيرُونَ بِالْخَلْقِ نَحْوَ سَعَادَتِهِمْ بِمَا يُعَلِّمُونَهُمْ مِنْ أُمُورِ دِينِهِمْ وَبِمَا يُرْشِدُونَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ التَّحَلِّيِ بِالْفَضِيلَةِ وَالتَّحَلِّيِ عَنِ الرَّذِيلَةِ وَاعْتَقَدَ النَّاسُ فِيهِمْ ذَلِكَ وَأَمَلُوهُمْ لَهُ فَأَحَلُّوهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ مَحَلًّا لَمْ يَبْلُغُهُ سِوَاهُمْ مِنَ الْبَشَرِ حَتَّى اكْتَسَبُوا فِي قُلُوبِهِمْ مَكَانَةً يُعْبَطُونَ عَلَيْهَا وَرَبِحُوا مَنَزَلَةً تَصُبُّوا إِلَيْهَا نُفُوسُ ذَوِي الْهَمَّةِ الْعَالِيَةِ وَالْفَضْلِ .

وَنَاهِيكَ بِقَوْمٍ إِذَا فَعَلُوا لَحَظَّتْهُمُ الْعُيُونَ وَإِذَا قَالُوا أَصَعَّتِ الْأَذَانُ وَوَعَتِ الْقُلُوبُ وَحَكَتِ الْأَلْسُنُ فَهُمْ مَطْمَحُ الْأَنْظَارِ وَمَوْضِعُ الثَّقَةِ وَالْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ وَالْبُرْهَانِ الْقَاطِعِ وَالثُّورِ السَّاطِعِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ .

شِعْرًا : مَحَاسِنُ أَصْنَافِ الدَّعَاةِ كَثِيرَةٌ وَمَا قَصَبَاتُ السَّبْقِ إِلَّا لِأَحْمَدِ
آخِرُ : لَا يُدْرِكُ الْمَجْدَ إِلَّا مُخْلِصٌ وَرِعٌ كَثِيرٌ ذِكْرٌ لِخَلْقِ السَّمَوَاتِ
مُتَابِعٌ لِرَسُولِ اللَّهِ دَيْدُنُهُ تِلَاوَةُ الذِّكْرِ مَعَ حِفْظِ الْأَوْقَاتِ
آخِرُ : وَأَحْسَنُ مَقْرُوتَيْنِ فِي لَفْظِ نَاطِقٍ ثَنَاءٌ عَلَى رَبِّ الْعِبَادِ وَشُكْرُهُ

الْمَعْنَى لَا أَحَدٌ أَحْسَنَ كَلَامًا وَطَرِيقَةً وَحَالَةً مِمَّنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ وَذَلِكَ بِتَعْلِيمِ جَاهِلِهِمْ وَوَعْظِ غَافِلِهِمْ وَنُصْحِ مُعْرِضِهِمْ وَمُجَادَلَةِ مُبْطِلِهِمْ بِالْأَمْرِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهَا وَالْحَثِّ عَلَيْهَا وَتَحْسِينِهَا وَتَحْسِينِهَا

مَهْمَا أَمَكْنَ وَالزَّجْرَ عَمَّا نَهَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ عَنْهُ وَتَفْصِيحِهِ وَالتَّحْدِيدِ مِنْهُ بِكُلِّ
وَسِيلَةٍ وَطَرِيقَةٍ تُوجِبُ تَرْكَهُ .

وَكَانَ الْحَسَنَ إِذَا تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ يَقُولُ هَذَا حَبِيبُ اللَّهِ ، هَذَا وَلِيُّ اللَّهِ ، هَذَا
صَفْوَةُ اللَّهِ ، هَذَا خَيْرَةُ اللَّهِ ، هَذَا أَحَبُّ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَى اللَّهِ ، أَجَابَ اللَّهُ فِي
دَعْوَتِهِ ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى مَا أَجَابَ فِيهِ مِنْ دَعْوَتِهِ ، وَعَمِلَ صَالِحًا فِي إِجَابَتِهِ .

وَقَالَ فِي هِدَايَةِ الْمُرْشِدِينَ إِنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ عَلَى الدَّاعِي الْعِلْمُ بِالْقُرْآنِ
وَالْمُرَادُ بِالنَّظَرِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى كَوْنِهِ هُدًى وَمَوْعِظَةً وَعِبرَةً .

وَكَذَلِكَ السُّنَّةُ وَمَا صَحَّ مِنْ أَقْوَالِ الرَّسُولِ ﷺ وَسِيرَتِهِ وَسِيرَةِ خُلَفَائِهِ
الرَّاشِدِينَ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ وَبِالْقَدْرِ الْكَافِي مِنَ الْأَحْكَامِ وَأَسْرَارِ الشَّرِيعِ مَعَ
الصِّدْقِ فِي نَشْرِهَا فَإِنَّ مَرْتَبَةَ التَّبْلِيغِ عَنِ اللَّهِ لَمْ تَكُنْ إِلَّا لِمَنْ اتَّصِفُ بِالْعِلْمِ مَعَ
الصِّدْقِ .

وَالْمُرْشِدُ وَارِثٌ لِهَذِهِ الْمَرْتَبَةِ وَلِيَتِمَّ كُنْ مِنْ تَعْلِيمِ ذَلِكَ عَلَى الْوَجْهِ
الصَّحِيحِ فَلَا يَزِيغُ فِي عَقِيدَتِهِ وَلَا يَعْجُزُ عَنْ اقْتِنَاعِ النَّفُوسِ الْمُتَطَلِّعَةِ إِلَى مَعْرِفَةِ
أَسْرَارِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فَيَكُونُ الْإِذْعَانُ لَهُ أَمَّ وَالْقَبُولُ مِنْهُ أَكْمَلُ .

فَأَمَّا الْجَاهِلُ فَضَالٌّ مُضِلٌّ وَضُرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ، وَمَا يُفْسِدُهُ أَكْثَرُ مِمَّا
يُصْلِحُهُ إِذْ لَا تَمَيِّزَ لَجَاهِلٍ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَلَا مَعْرِفَةَ عِنْدَهُ تُرْشِدُ إِلَى إِصْلَاحِ
الْقُلُوبِ وَتَهْدِيْبِ النَّفُوسِ .

شِعْرًا: رِيَّاسَاتُ الرَّجَالِ بَعِيرٌ عِلْمٌ وَلَا تَقْوَى الْإِلَهِ هِيَ الْحَسَّاسَةُ
آخِرُ: وَكُلُّ رِيَّاسَةٍ فِي جَنْبِ جَهْلٍ أَحْطُ مِنَ الْجُلُوسِ عَلَى الْكُنَّاسَةِ
وَأَشْرَفُ مَنْزِلٍ وَأَعَزُّ عِزٍّ وَخَيْرُ رِيَّاسَةٍ تَرْكُ الرِّيَّاسَةِ

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ الْعَامِلُ عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ
طَرِيقٍ ، وَفِي الْحِكْمِ مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا بَعِيرًا دَلِيلٌ ضَلَّ ، وَمَنْ تَمَسَّكَ بِغَيْرِ أَصْلٍ زَلَّ .

وَأَمَّا الْكَاذِبُ فَلَا خَيْرَ فِيهِ وَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَاذِبِينَ عَلَى اللَّهِ، لِهَذَا حَرَّمَ اللَّهُ الْقَوْلَ عَلَيْهِ بِلَا عِلْمٍ، وَجَعَلَهُ مِنْ أَفْحَشِ الْكَبَائِرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَالْإِثْمَ، وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وَهَذَا يُعْمُ الْقَوْلَ عَلَى اللَّهِ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَذَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَفِي دِينِهِ وَشَرْعِهِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾.

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَتَّصِفَ بِهِ الدَّاعِي الْعَمَلُ بِعِلْمِهِ فَلَا يُكَذِّبُ فِعْلُهُ قَوْلَهُ، وَلَا يُخَالِفُ ظَاهِرَهُ بَاطِنَهُ، فَلَا يَأْمُرُ بِشَيْءٍ إِلَّا وَيَكُونُ أَوَّلَ عَامِلٍ بِهِ، وَلَا يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَيَكُونُ أَوَّلَ تَارِكٍ لَهُ، لِيُفِيدَ وَعِظُهُ وَإِرْشَادُهُ. فَأَمَّا إِنْ كَانَ يَأْمُرُ بِالْخَيْرِ وَلَا يَفْعَلُهُ وَيَنْهَى عَنِ الشَّرِّ وَهُوَ وَاقِعٌ فِيهِ، فَهُوَ بِحَالِهِ عَقَبَةٌ فِي سَبِيلِ الْإِصْلَاحِ، وَهِيَ هَاتِ أَنْ يُتَنَفَّعَ بِهِ، فَإِنَّهُ فَاقِدُ الرَّشِدِ فِي نَفْسِهِ فَكَيْفَ يُرْشِدَ غَيْرَهُ.

شِعْرًا: الْعِلْمُ فِي شَرْطِهِ لِمَنْ حَصَلَتْهُ أَنْ يَحْمَدَ اللَّهَ وَيَعْمَلَ بِهِ
آخِر: يَا أَمْرَ النَّاسِ بِالْمَعْرُوفِ مُجْتَهِدًا وَإِنْ رَأَى عَامِلًا بِالْمُنْكَرِ انْتَهَرَهُ
إِبْدَأْ بِنَفْسِكَ قَبْلَ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَأَوْصِيهَا وَأَثُلْ مَا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ

قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ التَّالِينَ لِكِتَابِكَ الْعَامِلِينَ بِهِ الْمُحَلِّينَ حَلَالَهُ الْمُحَرِّمِينَ حَرَامَهُ الْمُتَمْتَلِينَ لِأَوْامِرِهِ الْمُجْتَنِبِينَ نَوَاهِيَهُ الْمُتَعَظِّينَ بِمَوَاعِظِهِ الْمُتَزَجِرِينَ بِزَوَاجِرِهِ الْمُتَفَكِّرِينَ فِي مَعَانِيهِ الْمُتَدَبِّرِينَ لِأَلْفَاظِهِ الْبَاكِينَ الْمُقْشَعِرِّينَ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ وَسَمَاعِهِ

وَأَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ إِنَّ الْعَالِمَ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ زَلَّتْ مَوْعِظَتُهُ عَنِ الْقُلُوبِ كَمَا يَزُلُّ الْقَطْرُ عَنِ الصِّفَا فَإِنَّ مَنْ حَثَّ عَلَى التَّحَلِّيِ بِفَضِيلَةٍ، وَهُوَ عَاطِلٌ مِنْهَا، لَا يُقْبَلُ قَوْلُهُ، كَمَنْ يَحُثُّ النَّاسَ عَلَى الْحِلْمِ وَالصَّبْرِ وَالكَرَمِ وَهُوَ بِضِدِّ ذَلِكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ .

وَمِثْلُ ذَلِكَ مَنْ يَنْهَى عَنِ الْأَخْلَاقِ السَّاقِطَةِ وَالْبِدْعِ وَالْمَلَاهِي وَهُوَ مُتَلَوِّثٌ بِهَا كَمَنْ يَنْهَى عَنِ الدُّخَانِ أَبِي الْخَبَائِثِ وَالْحَمْرِ أُمَّ الْخَبَائِثِ وَهُوَ يَشْرَبُهَا، وَكَمَنْ يَأْمُرُ بِالِابْتِعَادِ عَنِ التَّلْفِزِيُونِ وَالْمَذِياعِ وَالسَّيِّئَمَاءِ وَالْبِكَمَاتِ، وَهُوَ يَشْتَرِيهَا أَوْ يَحْظُرُهَا .

وَكَمَنْ يَنْهَى عَنِ حَلْقِ اللَّحْيَةِ وَالْحَنَافِسِ وَالتَّشْبِيهِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُرْدِ وَالْكَفَّارِ وَهُوَ مُتَلَبِّسٌ بِهَا، وَكَمَنْ يَنْهَى عَنِ الْكُورَةِ وَهُوَ يَحْظُرُهَا، أَوْ يَنْهَى عَنِ بَيْعِ هَذِهِ الْمَلَاهِي وَشَرَائِهَا وَتَصْلِيحِهَا وَهُوَ يَفْعَلُ ذَلِكَ، فَهَذَا يُقَابَلُ قَوْلُهُ بِالرَّدِّ، وَلَا يُعَامَلُ إِلَّا بِالْإِعْرَاضِ، وَالِإِهْمَالِ، بَلْ مَحَلُّ سُحْرِيَّةٍ، وَاسْتِهْزَاءٍ فِي نَظَرِ الْعُقَلَاءِ .

شِعْرًا: وَأَخْسَرُ النَّاسِ سَعِيًّا مَنْ قَضَى عُمْرًا فِي غَيْرِ طَاعَةٍ مَنْ أَنْشَأَهُ مِنْ عَدَمِ

آخِرَ سَلِ الْإِلَهَ إِذَا نَابَتْكَ نَائِبَةٌ فَهُوَ الَّذِي يُرْتَجَى مِنْ عِنْدِهِ الْأَمَلُ

فَإِنْ مُنَحَّتْ فَلَا مَنْ وَلَا كَدْرٌ وَإِنْ رُدِدَتْ فَلَا ذَلٌّ وَلَا خَجَلٌ

قَوْلٌ جَمِيلٌ وَأَفْعَالٌ مُفَبِّحَةٌ يَابُعَدَ مَا بَيْنَ ذَاكَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ

فَإِنَّ مَنْ تَنَاوَلَ شَيْئًا فَأَكَلَهُ وَقَالَ لِلنَّاسِ لَا تَتَنَاوَلُوهُ، فَإِنَّهُ سُمُّ مُهْلِكٌ سَخِرَ

الناسُ مِنْهُ، وَاسْتَهْزَؤُوا بِهِ وَاتَّهَمُوهُ فِي دِينِهِ وَعِلْمِهِ وَوَرَعِهِ، وَكَأَنَّهُ بَزَجِرِهِ وَنَهْيِهِ
حَرَضَهُمْ عَلَيْهِ، فَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنَّهُ لَدَيْدٌ مَا كَانَ يَسْتَأْثِرُ بِهِ .

كَذَلِكَ الدَّاعِي إِذَا خَالَفَ فِعْلُهُ قَوْلَهُ، أَمَّا الإِئْتِمَارُ بِمَا سَيَأْمُرُهُمْ بِهِ أَوْلًا
وَالْتَحَلُّقُ بِمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ فَهُوَ وَاقِعٌ فِي نُفُوسِ السَّامِعِينَ، وَأَقْرَبُ إِلَى إِذْعَانِ
الرَّاغِبِينَ .

فَمَنْ لَمْ يُكَابِدْ قِيَامَ اللَّيْلِ وَسَهْرِهِ، فَكَيْفَ يُسْمَعُ مِنْهُ فَضْلُ قِيَامِ اللَّيْلِ،
وَكَمَنْ يَحْتُ عَلَى الصَّدَقَةِ وَالْمُشَارَكَةِ فِي الْأَعْمَالِ الْخَيْرِيَّةِ وَالْمَشَارِيعِ الدِّينِيَّةِ،
وَلَا يُسَاهِمُ فِيهَا أَبَدًا، فَهَذَا لَا يَقْبَلُ قَوْلَهُ، وَيَكُونُ مِمَّنْ يُعِينُ عَلَى سَبِّهِ، وَعِيبَتِهِ،
لِمَا عَرَفَتْ مِنْ أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى صَالِحِ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ تَرْبِيَّةٌ، وَالتَّرْبِيَّةُ
النَّافِعَةُ إِنَّمَا تَكُونُ بِالْعَمَلِ، لِأَنَّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْقِدْوَةِ الصَّالِحَةِ وَالْأُسُوةِ الْحَسَنَةِ،
لَا بِمُجَرَّدِ الْقَوْلِ .

يُدْلِكُ عَلَى ذَلِكَ مَا فِي قِصَّةِ الْحُدَيْبِيَّةِ عَنِ الْمَسُورِ بْنِ مَخْرَمَةَ، قَالَ : فَلَمَّا
فَرَّغَ مِنْ قِضِيَّةِ الْكِتَابِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ قُومُوا فَأَنْحَرُوا ثُمَّ
أَحْلِقُوا، فَوَاللَّهِ مَا قَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ
مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ .

فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَنْحِبْ ذَلِكَ، أَخْرُجْ ثُمَّ لَا تُكَلِّمَ أَحَدًا مِنْهُمْ
بِكَلِمَةٍ حَتَّى تَنْحَرَ بَدَنَكَ وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمَ أَحَدًا مِنْهُمْ،
حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ، نَحَرَ بَدَنَهُ وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَوَا ذَلِكَ قَامُوا فَخَرُّوا،
وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا، حَتَّى كَادَ يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَيَّ إِزْدَحَامًا وَعَعْمًا .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى نَهْرٍ مِنْ مَاءِ السَّمَاءِ
وَالنَّاسُ صِيَامٌ فِي يَوْمِ صَائِفٍ مُشَاةً وَنَبِيَّ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ فَقَالَ اشْرَبُوا أَيُّهَا
النَّاسُ، قَالَ فَأَبَوْا، قَالَ إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ إِنِّي أَيْسَرُكُمْ إِنِّي رَاكِبٌ فَأَبَوْا، فَشَنَى

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَخَذَهُ فَزَلَّ فَشَرِبَ وَشَرِبَ النَّاسُ، وَمَا كَانَ يُرِيدُ أَنْ
يَشْرَبَ .. رواه أحمد .

قال فإذا لم يكن الداعي إلا ذا قولٍ مجردٍ من العملِ لم يكن نصيبُ
المدعو منه إلا القول، وأيضاً فمثلُ المرشدِ من المُسترشِدِ مثلُ العودِ من
الظلِّ، فكما أنه مُحالٌ أن يعوجَّ العودُ ويستقيم الظلُّ كذلك مُحالٌ أن يعوجَّ
المرشدُ ويستقيم المُسترشِدُ .

قال العزالي فيما كتبه إلى أبي حامد أحمد بن سلامة بالموصل أما الوعظُ
فَلَسْتُ أرى نفسي أهلاً له لأنَّ الواعظُ زكاةُ نصابه الاتعاضُ فمن لا نصابَ له
كيف يُخرجُ الزكاةَ وفاقدُ النورِ كيف يستنيرُ به غيره ومَن يستقيم الظلُّ
والعودُ أعوجُ ولهذا قيل :

شِعْرًا: يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلَّمُ غَيْرَهُ هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ
تَصِفُ الدَّوَاءَ الَّذِي السَّقَامُ مِنَ الضَّنَا كَيْمَا يَصِحُّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمٌ
مَا زِلْتَ تُلْقِحُ بِالرَّشَادِ عَقُولَنَا عِظْتَ وَأَنْتَ مِنَ الرَّشَادِ عَدِيمٌ
إِبْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَهَا عَنْ غِيَّهَا فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
فَهُنَاكَ يُقْبَلُ مَا تَقُولُ وَيُقْتَدَى بِالرَّأْيِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ
لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌّ عَلَيَّ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ
وَكَنْ نَاصِحًا لِلْمُسْلِمِينَ جَمِيعِهِمْ بَارِشَادِهِمْ لِلْحَقِّ عِنْدَ خَفَائِهِ
وَمُرْهُمْ بِمَعْرُوفِ الشَّرِيعَةِ وَأَنْهَهُمْ عَنِ السُّوءِ وَازْجُرْ ذَا الْخِنَاعِ خِنَائِهِ
وَعِظْهُمْ بِآيَاتِ الْإِلَهِ بِحِكْمَةٍ لَعَلَّكَ تُبْرِئُ دَاءَهُمْ بِدَوَائِهِ
فَإِنْ يَهْدِ مَوْلَانَا بَوَعِظِكَ وَاحِدًا تَنْلُ مِنْهُ يَوْمَ الْحَشْرِ نَخِيرَ عَطَائِهِ
وَإِلَّا فَقَدْ أَدَيْتَ مَا كَانَ وَاجِبًا عَلَيْكَ، وَمَا مَلَكَتْ أَمْرَ اهْتِدَائِهِ

قَالَ وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تُلَوْنُونَ

الكتاب أفلا تعقلون ﴿ تَعَجِبُ لِلْعُقَلَاءِ مِنْ هَذَا الْمَسَلِكِ الْمَعِيبِ ، وَلِلتَّعَجِبِ
وُجُوهٌ مِنْهَا أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالتَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ إِرْشَادُ الْعَيْرِ
إِلَى الْخَيْرِ وَتَحْذِيرُهُ مِنَ الشَّرِّ وَإِرْشَادُ النَّفْسِ إِلَيْهِ وَتَحْذِيرُهَا مِنْهُ مُقَدَّمٌ بِشَوَاهِدِ
العقل والنقل .

أَمَّا الْعَقْلُ فَيَدِيهِي وَأَمَّا النَّقْلُ فَكَثِيرَةٌ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ نُوحٍ :
﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا ﴾ وَعَنْ خَلِيلِ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ :
﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي
وَلِوَالِدَيَّ ﴾ ، فَمَنْ وَعَظَ غَيْرُهُ وَلَمْ يَتَّعِظْ فَكَأَنَّهُ أَتَى بِمَا لَا يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ السَّلِيمُ .

شِعْرًا : تَمَسَّكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَالْمَرْءُ لَا يَبْقَى
وَلَا تَظْلِمَنَّ النَّاسَ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ
وَلَا تَقْرَبَنَّ فِعْلَ الْحَرَامِ فَإِنَّهُ
وَعَاشِرٌ إِذَا عَاشَرْتَ ذَا الدِّينِ تَنْتَفِعْ
وَدَارِ عَلَى الْإِطْلَاقِ كُلًّا وَلَا تَكُنْ
وَخَالِفْ حُظُوظَ النَّفْسِ فِيمَا تَرُومُهُ
تَعَوَّذْ فِعَالَ الْخَيْرِ جَمْعًا فَكُلَّمَا
وَكُلُّ امْرِيءٍ مَا قَدَمَتْ يَدُهُ يَلْقَى
وَلَا تَذْكُرَنَّ إِفْكَأً وَلَا تَحْسِدَنَّ خَلْقًا
لِنَادَاتِهِ تَفَنَّى وَأَنْتَ بِهِ تَشْقَى
بِعِشْرَتِهِ وَاحْذَرْ مُعَاشِرَةَ الْحَمَقَى
أَخَا عَجَلٍ فِي الْأَمْرِ وَاسْتَعْمِلِ الرَّفْقَا
إِذَا رُمْتَ لِلْعَلْيَا أَخَا اللَّبِّ أَنْ تَرْقَى
تَعَوَّذْهُ الْإِنْسَانُ صَارَ لَهُ خُلْقًا

اللَّهُمَّ الْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ وَخَلَّصْنَا مِنْ حَقُوقِ خَلْقِكَ ،
وَبَارِكْ لَنَا فِي الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ وَلَا تَفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ دَاعٍ
وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ يَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ ، وَمُجِيبَ الدَّعَوَاتِ ، هَبْ لَنَا مَا
سَأَلْنَا ، وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَّيْنَا ، يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي
صُدُورِ الصَّامِتِينَ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصْلٌ»

ومنها أن الواعِظَ الفاعلَ لِلْمُحْرَمَاتِ الْمُحَذِرَ عنها يكونُ سَبَبًا لِلْمَعْصِيَةِ لِأَنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ لَوْلَا أَنَّ هَذَا الْوَاعِظَ مُطَّلَعٌ عَلَى أَنَّهُ لَا أَصْلَ لِهَذِهِ التَّخْوِيفَاتِ لَمَا أَقْدَمَ عَلَى الْمَنَاهِي وَالْمُنْكَرَاتِ فَيَكُونُ دَاعِيًا إِلَى التَّهَاوُنِ بِالذِّينِ وَالْجِرَاءَةِ عَلَى الْمَعَاصِي، وَهَذَا مُنَافٍ لِلْغَرَضِ مِنَ الْوَعِظِ فَلَا يَلِيْقُ بِالْعُقَلَاءِ.

وَمِنْهَا أَنَّ غَرَضَ الدَّاعِي تَرْوِجُ كَلَامِهِ وَتَنْفِذُ أَمْرِهِ، فَلَوْ خَالَفَ إِلَى مَا نَهَى عَنْهُ صَارَ كَلَامُهُ بِمَعْرِزٍ عَنِ الْقَبُولِ وَهَذَا تَنَاقُضٌ لَا يَلِيْقُ بِالْعُقَلَاءِ.

وَفِي مِثْلِ هَذَا يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ عُلَمَاءُ السُّوءِ جَلَسُوا عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ يَدْعُونَ إِلَيْهَا النَّاسَ بِأَقْوَالِهِمْ وَيَدْعُونَهُمْ إِلَى النَّارِ بِأَفْعَالِهِمْ، فَكَلَّمَا قَالَتْ أَقْوَالُهُمْ لِلنَّاسِ هَلُمُوا قَالَتْ أَفْعَالُهُمْ لَا تَسْمَعُوا مِنْهُمْ فَلَوْ كَانَ مَا دَعَا إِلَيْهِ حَقًّا كَانُوا أَوَّلَ الْمُسْتَجِيبِينَ لَهُ، فَهُمْ فِي الصُّورِ أَدْلًا وَفِي الْحَقِيقَةِ قَطَّاعُ طَرِيقٍ، قَلتْ وَمَا أَكْثَرَ هَؤُلَاءِ فِي زَمَنَانَا.

وَذَكَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: سَيِّئَاتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَمْلُحُ فِيهِ عُذُوبَةُ الْقُلُوبِ فَلَا يَنْتَفِعُ بِالْعِلْمِ يَوْمَئِذٍ عَالِمُهُ وَلَا مُتَعَلِّمُهُ فَتَكُونُ قُلُوبُ عُلَمَائِهِمْ مِثْلَ السَّبَاخِ مِنْ ذَوَاتِ الْمِلْحِ يَنْزِلُ عَلَيْهَا قَطْرُ السَّمَاءِ فَلَا يُوجَدُ لَهَا عُذُوبَةٌ.

وَذَلِكَ إِذَا مَالَتْ قُلُوبُ الْعُلَمَاءِ إِلَى حُبِّ الدُّنْيَا وَإِثَارِهَا عَلَى الْآخِرَةِ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَسْلُبُهَا اللَّهُ تَعَالَى يَتَابِعَ الْحِكْمَةَ وَيُطْفِئُ مَصَابِيحَ الْهُدَى مِنْ قُلُوبِهِمْ فَيُخْبِرُكَ عَالِمُهُمْ حِينَ تَلْقَاهُ أَنَّهُ يَخْشَى اللَّهَ بِلِسَانِهِ وَالْفُجُورَ ظَاهِرًا فِي عَمَلِهِ. قَلتْ وَمَا أَكْثَرَ هَؤُلَاءِ فِي زَمَنَانَا فَتأملِ وَدَقِّقِ النَّظَرَ تُصَدِّقْ. وَمِنَ الْعَجِيبِ مَا حَدَّثَ فِي زَمَنَانَا تَجَدُّ بَعْضُهُمْ يَحْمِلُ شَهَادَةَ الْكُتُورَاهِ أَوْ الْمَاجِسْتِيرِ أَوْ هُمَا وَيُعْطَى فِيهَا شَهَادَةً فِي الْفِقْهِ الْإِسْلَامِيِّ.

وهو ما يُحسِنُ إلا ما كَتَبَ فيه بَحْثاً إما موضوع الرنى أو السرقة أو الخمر
مثلاً، ولا يجيد غير هذا الموضوع الذي حَصَلَ على هذه الشهادة بسببه .

بل الفرائض التي نصف العلم لا يجيدها فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم .

فَمَا أُحْصَبَ الألسنَ يَوْمَئِذٍ وَمَا أُجْدَبَ القلوبَ ، قَالَ : فَوَالله الذي لا إله
إلا هو مَا ذَلِكِ إلا والله أعلم ، كما قال بعضهم : لِأَنَّ المُعَلِّمِينَ عَلمُوا لِغَيْرِ الله
والمُتَعَلِّمِينَ تَعَلَّمُوا لِغَيْرِ الله

شِعْرًا : لَعَمْرُكَ مَا لَابْصَارُ تَنْفَعُ أَهْلَهَا إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمُبْصِرِينَ بَصَائِرُ
وبالحَقِيقَةِ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى الأَكْثَرِيَّةِ السَّاحِقَةِ مِمَّنْ حَوْلَكَ مِنْ أَسَاتِدَةِ
وَمُدْرَسِي وَطُلَّابٍ وَجَدْتَ هَيْبَةَ الإسلامِ والعِلْمِ والعَمَلِ والشَّهَامَةِ والرُّجُولَةَ
الإسلامية قَدْ نُزِعَتْ مِنْهُمْ يَحْلِقُونَ لِحَاهِم كاليهود والنصارى والمجوس .

وَيُؤْفِرُونَ شَوَارِبِهِمْ وَيَجْعَلُونَ تَوَالِيَاتٍ وَرُبَّمَا خَنَفَسُوا وَتَجِدُهُمْ يُجَالِسُونَ
الْفِسْقَةَ وَيَتَدَمَّجُونَ مَعَهُمْ وَبَعْضُهُمْ تَجِدُهُ يَشْرَبُ أبا الخبائث الدُّخَانَ وَرُبَّمَا
فَعَلَهُ أَمَامَ الطُّلَّابِ والعِيَاذُ باللهِ .

ولا تَجِدُهُ فِي الغَالِبِ يُصَلِّي مَعَ الجَمَاعَةِ وَيُعَامِلُ المُعَامَلَةَ التي لا تَلِيقُ
بِمَنْصِبِهِ وَتَجِدُهُ يَجْلِسُ أَمَامَ التِّلْفِزِيُونِ وعند المذيع وأغانيه وعند السِّيمَاءِ
والفِديُو ونحو ذَلِكَ مِنَ المُحَرَّمَاتِ الَّتِي قَتَلَتِ الأَخْلَاقَ .

وَيُحِبُّ الشُّهُرَةَ والظُّهُورَ رِيَاءً وَسَمْعَةً فَكَيْفَ يَحْطُرُ بالبَالِ أَنْ مِثْلَ هؤُلاءِ
يَأْمُرُونَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ يَنْهَوْنَ عَن مُنْكَرٍ كَلَّا وَاللهِ إِنَّهُمْ لَا يُزِيلُونَ المُنْكَرَ عَن
أَنْفُسِهِمْ وَلَا عَن بُيُوتِهِم التي فيها من المنكرات ما يُدهِشُ الأَسْمَاعَ والأَبْصَارَ
والعُقُولَ .

شِعْرًا: إِذَا لَمْ يُعِنِكَ اللَّهُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَسَعِيكَ فِي جَمْعِ الْفَضَائِلِ ضَائِعٌ
آخِر: لَيْسَ الْجَمَالُ بِأَثْوَابٍ تُزَيِّنُنَا إِنَّ الْجَمَالَ جَمَالُ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ

فَعِلْمٌ هُوَ لِآءِ الْعِلْمِ الَّذِي يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ وَهُوَ الَّذِي اسْتَعَاذَ مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ
بِقَوْلِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَقَلْبٍ لَا يَحْشَعُ، وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ
(فَأَبْعُدُ عَنْهُمْ وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ مِنْهُمْ أَيُّهَا الْمُعَافَى).

شِعْرًا: صَارَ الْأَسَافِلُ بَعْدَ الذُّلِّ أَسْنِمَةً
لَمْ تَبْقَ مَائِرَةٌ يَعْتَدُّهَا رَجُلٌ
آخِر: وَلَمْ أَقْضِ حَقَّ الْعِلْمِ إِنْ كَانَ كَلِمًا
وَلَمْ أَتَبَدَّلْ فِي خِدْمَةِ الْعِلْمِ مُهْجَتِي
الْأَشْقَى بِهِ غَرَسًا وَأَجْنِيهِ ذَلَّةً
فَإِنْ قُلْتُ زَنْدَ الْعِلْمِ كَابٍ فَإِنَّهُمَا
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ
«وَلَكِنْ أَهَانُوهُ فَهَانُوا وَدَنَسُوا
وَصَارَتِ الرُّؤْسُ بَعْدَ الْعِزِّ أَذْنَابًا
إِلَّا التَّكَاتُرُ أَوْرَاقًا وَأَذْهَابًا
بَدَأَ طَمَعٌ صَيْرْتُهُ لِي سُلْمًا
لِأَخْدِمَ مَنْ لَاقَيْتُ لَكِنْ لِأُخْدَمَا
إِذَا فَاتَّبَاعُ الْجَهْلِ قَدْ كَانَ أَحْزَمًا
كَبَا حِينَ لَمْ تُحْمَى جِمَاهُ وَأَظْلَمَا
وَلَوْ عَظْمُوهُ فِي النُّفُوسِ لِعَظَّمَا
مُحْيَاهُ بِالْأَطْمَاعِ حَتَّى تَجْهَمَا»

وَنَعُوذُ إِلَى كَلَامِنَا السَّابِقِ حَوْلَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: فَالآيَةُ كَمَا تَرَى نَاعِيَةً عَلَى
كُلِّ مَنْ يَعِظُ غَيْرَهُ وَلَا يَتَّعِظُ بِسُوءِ صَنِيعِهِ وَعَدَمِ تَأَثُّرِهِ، وَإِنَّ فِعْلَهُ فِعْلُ الْجَاهِلِ
بِالشَّرِّعِ أَوْ الْأَحْمَقِ الَّذِي لَا عَقْلَ لَهُ فَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْخَيْرِ مَعَ حِرْمَانِ النَّفْسِ مِنْهُ مِمَّا
لَا يَتَّفِقُ وَقَضِيَّةَ الْعَقْلِ وَالْمُرَادُ بِهَا حُثُّهُ عَلَى تَرْكِيَةِ النَّفْسِ وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهَا بِالتَّكْمِيلِ
لِتَقُومَ بِالْحَقِّ فَتُكَمَّلَ غَيْرَهَا.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ
اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ فهذا وَعِيدٌ شَدِيدٌ مِنَ اللَّهِ لِمَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُوَ فِي نَفْسِهِ مُقَصِّرٌ كَمَنْ يَكْذِبُ فِي قَوْلِهِ أَوْ يُخْلِفُ
مَا وَعَدَ.

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يُوتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ فِي الرَّحَى فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ يَا فُلَانُ مَالِكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَيَقُولُ بَلَى كُنْتُ أَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتَيْتُهُ» متفق عليه .

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي رِجَالًا تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنَ النَّارِ فَقُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ فَقَالَ الْخُطَبَاءُ مِنَ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ» رواه ابن حبان في صحيحه .

وَإِنَّمَا يُضَاعَفُ عَذَابُ الْعَالِمِ فِي مَعْصِيَتِهِ لِأَنَّهُ عَصَى عَنِ عِلْمٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ولأنه قُدُوةٌ فَيَزِيلُ بَرِّتَهُ خَلَقَ كَثِيرُونَ، وَلِلذَلِكَ قِيلَ زَلَّةُ الْعَالِمِ زَلَّةُ الْعَالِمِ وَقِيلَ هُوَ كَالسَّفِينَةِ إِذَا غَرِقَتْ غَرِقَ مَعَهَا أُمَّمٌ مَا يُحْصِيهِمْ إِلَّا اللَّهُ .

وفي الخبر: «وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا»، وَذَلِكَ أَنَّ اتِّبَاعَهُمْ اقْتَدَوْا بِهِمْ فِي السُّوءِ فَيُنَالُهُمْ مِثْلُ عِقَابِ اتِّبَاعِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتُرُونَ﴾، وَقَالَ: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ .

قال: وَجُمْلَةُ الْأَمْرِ أَنَّ مَنْ فَتَحَ بَابَ الشَّرِّ لِغَيْرِهِ وَسَهَّلَ لَهُ الدُّخُولَ فِيهِ فَقَدْ عَظَّمَ عَذَابَهُ، وَكَذَلِكَ مَنْ دَعَا إِلَى خَيْرٍ وَأَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَسَهَّلَ لَهُ طَرِيقَهُ فَقَدْ عَظَّمَ قَدْرَهُ وَحَسَنَ جَزْؤُهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ: «مِثْلُ الَّذِي يُعَلِّمُ الْخَيْرَ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ مِثْلُ الْفَتِيلَةِ تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَتُحْرِقُ نَفْسَهَا» رواه الطبراني في الكبير عن أبي برزة بسندٍ حسنٍ .

وقال أبو الدرداء وَيْلٌ لِلْجَاهِلِ مَرَّةً وَوَيْلٌ لِلْعَالِمِ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، وقال علي رضي الله عنه قَصَمَ ظَهْرِي رَجُلَانِ عَالِمٌ مُتَهْتِكٌ وَجَاهِلٌ مُتَنَسِّكٌ ، فالجاهل يُعْرِ النَّاسَ بِنُسُكِهِ وَالْعَالِمُ يُعْرِهُمْ بِتَهْتِكِهِ ، وقال حَكِيمٌ أَفْسَدَ النَّاسَ جَاهِلٌ نَاسِكٌ وَعَالِمٌ فَاجِرٌ هَذَا يَدْعُو النَّاسَ إِلَى جَهْلِهِ بِنُسُكِهِ وَهَذَا يُنْفِرُ النَّاسَ عَنْ عِلْمِهِ بِفُسُوقِهِ .

ومنها التواضع ومُجَانِبَةُ الْعُجْبِ فَذَلِكَ بِالذِّعَاةِ وَالْمُرْشِدِينَ الْيَقِيْنَ وَلَهُمُ الزَّمُ لِأَنَّ النَّاسَ بِهِمْ يَقْتَدُونَ ، وَكَثِيرًا مَا يُدَاخِلُهُمُ الْعُجْبُ لِتَوْحِيدِهِمْ بِفَضِيلَةِ الْعِلْمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ نَظَرُوا حَقَّ النَّظَرِ وَعَمِلُوا بِمُوجِبِ الْعِلْمِ لَكَانَ التَّوَاضِعُ بِهِمْ أَوْلَى وَمُجَانِبَةُ الْعُجْبِ بِهِمْ أُخْرَى وَأَنْسَبُ ، لِأَنَّ الْعُجْبَ نَقْصٌ يُنَافِي الْفَضْلَ ، فَلَا يَفِي مَا أَدْرَكُوهُ مِنْ فَضِيلَةِ الْعِلْمِ بِمَا لَحِقَهُمْ مِنْ نَقْصِ الْعُجْبِ وَالْكَبْرِ .

شِعْرًا :

دَعِ الْكِبْرَ وَاجْنَحْ لِلتَّوَاضِعِ تَشْتَمِلُ وَدَادَ مَنِيْعُ الْوُدِّ صَعْبُ مَرَاةُ
وَدَاوِ بِلِيْنِ مَا جَرَحَتْ بِغِلْظَةِ فَطِيْبُ كَلَامِ الْمَرْءِ طِبُّ كَلَامِهِ
أخر : جِيءَ بِالسَّمَاكِ إِذَا مَا جُمْتُ فِي غَرَضِ فِي الْعُبُوسِ لَدَى الْحَاجَاتِ تَصْعِيْبُ
سَمَاحَةِ الْمَرْءِ تُنْبِي عَنْ فَضِيلَتِهِ فَلَا يَكُنْ لَكَ مَهْمًا اسْطَعْتَ تَقْطِيْبُ

وقد روى ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « قَلِيلُ الْفِقْهِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِ الْعِبَادَةِ وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا إِذَا أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ ، وَإِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ مُؤْمِنٌ وَجَاهِلٌ فَلَا تُؤْذِ الْمُؤْمِنَ ، وَلَا تَحَاوِرِ الْجَاهِلَ » ، وقال ﷺ لِأَبِي ثَعْلَبَةَ حِينَ ذَكَرَ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَمَا تَوَلَّى إِلَيْهِ مِنَ الْحَوَادِثِ : « إِذَا رَأَيْتَ شُحًا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا ، وَاعْجَابَ كُلِّ ذِي رِيٍّ بِرَأْيِهِ ، فَعَلَيْكَ نَفْسُكَ » رواه أبو داود .

وقال ﷺ : « ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ : شُحُّ مُطَاعٌ ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ ، وَاعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ » رواه الطبراني في الأوسط ، وَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَوْضُوعُ التَّوَاضِعِ ، وَافِيًا بِأَدَلَّتِهِ وَعِلَّةُ اعْجَابِ الْمُعْجَبِ بِعِلْمِهِ ، نَظَرُهُ إِلَى كَثْرَةِ مَنْ دَوَّنَهُ مِنَ الْجُهَالِ وَانْصِرَافِ نَظَرِهِ عَنْ مَنْ فَوْقَهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، فَإِنَّهُ مَا حَوَى الْعِلْمَ كُلَّهُ أَحَدٌ مِنْ

الْخَلْقِ، فَمَا مِنْ عَالِمٍ إِلَّا وَفَوْقَهُ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾، فَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا هُوَ الَّذِي يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، وَقَالَ: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، وَقَالَ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾، وَقَالَ: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

وَقَلَّمَا تَجِدُ مُعْجَبًا بِعِلْمِهِ شَامِحًا بِأَنْفِهِ إِلَّا وَهُوَ قَلِيلُ الْعِلْمِ ضَعِيفُ الْعَقْلِ لِأَنَّهُ يَجْهَلُ قَدْرَهُ وَيَحْسِبُ أَنَّهُ نَالَ مِنْهُ أَكْثَرَهُ، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، قَالَ: وَمِنْهَا أَنْ لَا يَبْخُلَ بِتَعْلِيمِ مَا يَحْسُنُ وَلَا يَمْتَنِعُ مِنْ إِفَادَةِ مَا يَعْلَمُ فَإِنَّ الْبُخْلَ بِهِ ظُلْمٌ وَلُؤْمٌ وَالْمَنَعُ مِنْهُ إِثْمٌ.

شِعْرًا: إِذَا مَا مَاتَ ذُو عِلْمٍ وَتَقَوَى	فَقَدْ ثَلَمَتْ مِنَ الْإِسْلَامِ ثُلْمَهُ
وَمَوْتُ الْعَادِلِ الْمَلِكِ الْمُؤَلَّى	لِحُكْمِ الْخَلْقِ مَنْقُصَةٌ وَقِصْمَةٌ
وَمَوْتُ الْعَابِدِ الْمُرْضِيِّ نَقْصٌ	فَقِي مَرَأَهُ لِلْأَسْرَارِ نَسْمَهُ
وَمَوْتُ الْفَارِسِ الضَّرْغَامِ هَدْمٌ	فَكَمْ شَهَدَتْ لَهُ بِالنَّصْرِ عَزْمَهُ
وَمَوْتُ فَتَى كَثِيرِ الْجُودِ نَقْصٌ	لِأَنَّ بَقَاءَهُ فَضْلٌ وَنِعْمَهُ
فَحَسْبُكَ خَمْسَةٌ يُبْكِي عَلَيْهِمْ	وَمَوْتُ الْغَيْرِ تَحْفِيفٌ وَرَحْمَةٌ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾، وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا تَمْنَعُوا الْعِلْمَ أَهْلَهُ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ فَسَادَ دِينِكُمْ وَالتَّبَاسُ بِصَائِرِكُمْ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

قال ابن كثير على هذه الآية هذا وعيد شديد لمن كتب ما جاءت به
الرسل من الدلالات البينة على المقاصد الصحيحة والهدى النافع للقلوب مما
بينه الله تعالى لعباده في كتبه التي أنزلها على رسله، أهـ.

وقد ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ
قال: «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار».

وفي الصحيح عن أبي هريرة أنه قال: لولا آية في كتاب الله ما حدثت
أحدًا شيئاً ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ الآية، ومما
يحسن بالداعي والمرشد، أن يتحلى بالورع باتقاء الشبهات، والبعد من
مواضع الريبة، ومسالك التهمة.

فإن ذلك أبراً لدينه وأسلم لعرضه، وأدعى إلى الإتيان له لأن حال
الداعي يؤثر في القلوب أكثر من مقاله، فإذا كان ورعاً تقياً متجنباً ما فيه شبهة
افتدى به الناس، وأحبوه وقبلوا وعظوه، وأرشادوه، وهكذا كانت صفة النبي
ﷺ وأصحابه، والتابعين لهم.

واحذر يا أخي كل الحذر من احتكار الكتب الدينية المحتوية على قال
الله وقال رسوله وأخذ شيء من الدنيا باسم تحقيق أو نشر كما يفعله بعض
الناس، نسأل الله العافية مما ابتلوا به.

شعراً: لولا الشياطين لم تسمع سيوى لهج بالذكر أو ما أتى عن سيد البشر
آخراً: لولا الشياطين صار الناس كلهم على الحنيفة السمحاء عباد

ففي صحيح البخاري من حديث أنس قال: مر النبي ﷺ بتمررة ساقطة
فقال: «لولا أن تكون من الصدقة لأكلتها»، وقدم على عمر مسك وعنبر من
البحرين فقال: والله لوددت أني وجدت امرأة حسنة الوزن ترن لي هذا
الطيب حتى أقسمه بين المسلمين، فقالت امرأته عاتكة: أنا جيدة الوزن فانا

أَزِنُ لَكَ، قَالَ: لَا. فَقَالَتْ: لِمَ، قَالَ: لِأَنِّي أَخْشَى أَنْ تَأْخُذِيهِ، فَتَجْعَلِيهِ هَكَذَا، وَأَدْخَلَ أَصَابِعَهُ فِي صُدْغِيهِ وَتَمَسَّحِي بِهِ فِي عُنُقِكَ فَاصْبِ بُ فَضْلاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

وَكَانَ يُوزَنُ بَيْنَ يَدَيْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَسْكًَ لِلْمُسْلِمِينَ فَسَدَّ أَنْفَهُ بِيَدِهِ، حَتَّى لَا تُصِيبَهُ الرَّائِحَةُ، وَقَالَ: وَهَلْ يُنْتَفَعُ مِنْهُ إِلَّا بِرِيحِهِ، قَالَ ذَلِكَ لَمَّا اسْتُبْعِدَ ذَلِكَ مِنْهُ، وَهَذَا مِنْ وَرَعِ الْمُتَّقِينَ.

قُلْتُ وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَتَّصِفَ بِهِ أَيْضاً قَطْعُ الْعَلَائِقِ حَتَّى لَا يَكْثُرَ خَوْفُهُ، وَيَقْطَعَ الطَّمَعِ عَنِ الْخَلَائِقِ فَلَا يَكُونُ لَهُ عِنْدَهُمْ حَاجَةٌ تُدْلُهُ لَهُمْ، وَتَدْعُوهُ إِلَى الْمُدَاهَنَةِ، وَالْأَغْضَاءِ عَنِ أَعْمَالِهِمُ الْقَبِيحَةِ، وَهَذِهِ طَرِيقَةُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجَّرْتَنِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

شِعْرًا: وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِي الْمَالِ قَلَّةٌ
 آخِر: إِنْ حَالَ دُونَ لِقَاءِكُمْ بَوَابُكُمْ
 آخِر: فَاضْرَعْ إِلَى اللَّهِ لَا تَضْرَعْ إِلَى النَّاسِ
 وَاسْتَعْنِ عَنِ كُلِّ ذِي قُرْبَى وَذِي رَحِمٍ
 وَلَنْ يَقْضَى الْحَاجَاتِ إِلَّا الْمُهَيَّمُنُ
 فَاللَّهُ لَيْسَ لِبَابِهِ بَوَابُ
 وَاقْنَعْ بِعِزِّ فَإِنَّ الْعِزَّ فِي الْيَأْسِ
 إِنْ الْغِنَى مِنْ اسْتَعْنَى عَنِ النَّاسِ

وَرُوِيَ عَنِ بَعْضِ الْحُدَاقِ أَنَّهُ كَانَ لَهُ كَلْبٌ وَلَهُ صَدِيقٌ قَصَابٌ يَأْخُذُ مِنْهُ لِكَلْبِهِ بَعْضَ السَّوَاقِطِ، فَرَأَى عَلَى الْقَصَابِ مُنْكَرًا يَتَّعَاطَاهُ، وَقَالَ لَا بُدَّ أَنْ أُبْرِيَ ذِمَّتِي وَأَنْصَحَهُ، وَلَكِنْ أَبْدَأُ أَوْلاً بِقَطْعِ الطَّمَعِ فَدَخَلَ الْبُسْتَانَ وَأَخْرَجَ الْكَلْبَ وَطَرَدَهُ ثُمَّ جَاءَ وَاحْتَسَبَ عَلَى الْقَصَابِ وَنَصَحَهُ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْقَصَابُ سَوْفَ لَا أُعْطِيكَ لِكَلْبِكَ شَيْئاً أَبَدًا، فَقَالَ أَنَا حَاسِبٌ لِهَذَا الْكَلَامِ مَا أَتَيْتُكَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ طَرَدْتَ الْكَلْبَ عَنِ بُسْتَانِي.

فَمَنْ لَمْ يَقْطَعْ الطَّمَعِ، وَيَسُدُّ بَابَهُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْحِسْبَةِ، قُلْتُ وَمِثْلُهُ

عِنْدِي فِي الْعَالِبِ مَنْ يُؤَالِي الْعَطَاءَ عَلَى إِنْسَانٍ فَيَبْعُدُ إِذَا رَأَهُ صَدَرَ مِنْهُ مَعْصِيَةٌ أَوْ مَعْصِيَةٌ أَنَّهُ يَنْصَحُهُ أَوْ يُنْكِرُ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ يَرْجُوهُ وَيَخَافُهُ، يَرْجُو الصَّلَاةَ وَيَخَافُ قَطْعَهَا، وَلَوْ فَرَضْنَا أَنَّهُ أَقْدَمَ عَلَى ذَلِكَ وَأَنْكَرَ عَلَيْهِ فَيَبْعُدُ أَيْضًا قَبُولُ صَاحِبِ الْفَضْلِ لِلنَّصِيحَةِ مِنْ ذَلِكَ الشَّخْصِ الْمُتَنْظِرُ لِمَا فِي يَدِهِ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعِصْمَةَ .

وَكَمْ ضَلَّ عَنِ الطَّرِيقِ السَّوِيِّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِسَبَبِ مُدَاهَنَةِ الْمُدَاهِنِ وَتَعْرِيرِهِ لَهُمْ، هَذِهِ قِيَمَةُ النَّاصِحِ، وَالْمُدَاهِنِ عِنْدَ الْمُؤْمِنِ الصَّادِقِ الْإِيمَانِ وَلَكِنْ تَرَى النَّاسَ الْيَوْمَ عَكَسُوا الْأَمْرَ فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ، لَا مُنْتَهَى لِحُبِّهِمْ مَنْ وَافَقَهُمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ، وَلَوْ كَانَ ذَنْبًا عَظِيمًا، وَلَا غَايَةَ لِبُغْضِهِمْ مَنْ أَرَشَدَهُمْ إِلَى الْحَقِّ وَالصَّوَابِ وَرُبَّمَا هَجَرُوهُ جَزَاءَ نُصْحِهِ وَأَمَّا الْمُدَاهِنُ وَالْمُتَمَلِّقُ الْمُنَافِقُ ذُو الْوَجْهَيْنِ فَبِكَلِمَةٍ مِنْ مُدَاهَنَاتِهِ، أَوْ وَشَايَاتِهِ أَوْ تَمَلُّقَاتِهِ أَوْ كَذَابَاتِهِ يَمْلِكُ قُلُوبَ الْكَثِيرِ مِنْ أَهْلِ هَذَا الزَّمَانِ وَقَدْ يُرْفَعُ وَيُقَدَّرُ مَنْ اتَّصَفَ بِالصِّفَاتِ الذَّمِيمَةِ كَمَا قِيلَ :

(مَتَى مَا تُدَاهِنُ أَوْ تَكُنْ ذَا تَمَلُّقٍ وَنَمٌّ وَبَهْتٍ تَحْتَطِبُكَ الْمَرَاتِبُ)
 (وَأَنْ تَجْمَعَ الْإِحْلَاصَ وَالصَّدْقَ وَالْوَفَا وَعِلْمًا وَجِلْمًا تَجْتَنِبُكَ الْمَنَاصِبُ)
 آخِرُ: لَا تُنْكِرِي يَا عَزْزُ إِنَّ ذَلَّ الْفَتَى
 ذُو الْأَصْلِ وَاسْتَوْلَى لِعَيْمِ الْمُحْتَدِ
 إِنَّ الْبِرَاةَ رُؤُسُهُنَّ عَوَاطِلُ
 وَالتَّاجُ مَعْفُودٌ بِرَأْسِ الْهُدْهِدِ
 آخِرُ: حُدِفْتُ وَغَيْرِي مُثَبَّتٌ فِي مَكَانِهِ
 كَأَنِّي نُونُ الْجَمْعِ حِينَ يُضَافُ
 آخِرُ: مَنْ أَهْمَلَ الدِّينَ لَا تَأْمَنُ عَقَارِبُهُ
 وَلَوْ تَسَمَّى بِإِحْلَاصِ بِنِيَّاتِ
 لِأَدَمِ جَاءَ إِبْلِيسُ وَقَالَ لَهُ
 إِيَّيْ لَكُمْ نَاصِحٌ فَاسْمَعْ مَقَالَتِي
 فَأَقْسَمَ الْحُبْتُ فِي رَبِّي وَتَزَلَّهُمْ
 مِنَ الْجِنَانِ إِلَى دَارِ الْأَذْيَاتِ

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِسَبِيلِ الطَّاعَةِ، وَثَبَّتْنَا عَلَى اتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِنْ مَنِّ عَرَفَ الْحَقَّ وَأَضَاعَهُ، وَأَخْتَمَ لَنَا بِخَيْرٍ مِنْكَ يَا كَرِيمُ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا

وَلَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«مَوْعِظَةٌ»: عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ أَحْصَى صِفَاةِ الْمُؤْمِنِ عَمَلُهُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ وَمَحَبَّتُهُ لِلنَّاصِحِينَ»، وَكُلَّمَا اجْتَهَدَ الْمُسْلِمُ وَبَالَغَ فِي
النَّصِيحَةِ لِإِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ قَوِيَتْ مَحَبَّتُهُ فِي قُلُوبِ إِخْوَانِهِ الْمُؤْمِنِينَ .

وَأَمَّا الْمُدَاهِنُ وَالْمُتَمَلِّقُ الَّذِي يُحَسِّنُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ حَالَهُ، وَلَوْ كَانَتْ حَالَهُ
اجْرَامٍ وَفَسَادٍ، فَهَذَا يَنْفُرُ مِنْهُ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَا يُحِبُّونَهُ وَيَرَوْنَ صِدَاقَتَهُ مُصِيبَةً
وَبَلِيَّةً، فَلَذَا يَبْتَغِدُونَ عَنْهُ كُلَّ الْبُعْدِ .

لِأَنَّهُ إِنْ صَحِبَ مُسْتَقِيمًا أَدْخَلَ عَلَيْهِ الْعُجْبَ فِي عَمَلِهِ، وَخَيَّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ
صَفْوَةِ عِبَادِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ، فَيَعْرِهُ بِنَفْسِهِ وَالْمَرْءُ إِذَا اغْتَرَّ هَوَى فِي هَوَاةِ الْأَشْفِيَاءِ وَإِذَا
صَحِبَ الْمُدَاهِنُ الْمُتَمَلِّقُ مُعَوَّجًا زَادَ اغْوَجَاجَهُ حَيْثُ أَنَّهُ يُفْهَمُهُ بِمُدَاهَنَتِهِ أَنَّهُ
مِنْ خِيَارِ الْفَضْلَاءِ وَمِنْ الْأَجْلَاءِ النَّبْلَاءِ .

وَمَتَى فَهَمَ ذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ اسْتَمَرَّ وَتَمَادَى فِي اغْوَجَاجِهِ، وَقَوِيَتْ
وَتَمَكَّنَتْ مِنْهُ الْأَخْلَاقُ الْفَاسِدَةُ، وَمَاتَ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ الشَّنِيعَةِ، وَأَمَّا
الْمُؤْمِنُ النَّاصِحُ الْمُحِبُّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ فَيُفْهَمُ الْمُهَذَّبَ الْمُتَنَوِّرَ أَنَّهُ مَهْمَا
كَانَ كَمَالُهُ أَنَّهُ مُقَصِّرٌ فِي شُكْرِ مَوْلَاهُ الَّذِي جَعَلَهُ مِنْ بَنِي آدَمَ وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِنْ
سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ، وَوَفَّقَهُ لِلْإِيمَانِ، وَتَفَضَّلَ عَلَيْهِ بِالْحَوَاسِ الْخَمْسِ وَغَيْرِهَا
وَوَهَبَهُ الْعَقْلَ، وَسَائِرَ النِّعَمِ الَّتِي لَا تُعَدُّ، وَلَا تُحْصَى .

وَمَتَى فَهَمَ أَنَّهُ مُقَصِّرٌ، حَمِدَ مَوْلَاهُ وَشَكَرَهُ عَلَى مَا أَوْلَاهُ، وَجَدَّ وَاجْتَهَدَ
فِيمَا بِهِ رُقِيَّتُهُ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ وَإِنْ رَأَى مُعَوَّجًا أَفْهَمَهُ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ نَقْصٍ
وَوَضَّحَ لَهُ عُيُوبَهُ، وَمَا عِنْدَهُ مِنْ تَقْصِيرٍ فِي دِينِهِ وَحَتَّى عَلَى الْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ
وَالسَّعْيِ إِلَى مَعَالِي الْأَخْلَاقِ .

وَمَتَى عَرَفَ الْعَاقِلُ نَقْصَهُ، وَأَنَّ الضَّرَرَ عَائِدٌ إِلَيْهِ، أَفْلَعُ عَنْهُ، وَأَصْبَحَ مِنَ الْمُهْتَدِينَ الْمُتَوَرِّينَ، الصَّاعِدِينَ إِلَى أَوْجِ الْكَمَالِ، فَكَمْ اهْتَدَى بِإِذْنِ اللَّهِ بِسَبَبِ الْمُؤْمِنِ النَّاصِحِ مِنْ أَنَسٍ قَدْ تَاهُوا وَتَمَادَوْا فِي الضَّلَالِ.

وَاسْمَعْ إِلَى قَوْلِ الْإِمَامِ ابْنِ الْقَبِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمَّا ذَكَرَ نُفَاةَ الصِّفَاتِ أَهْلَ الْبِدْعِ وَحَيْرَتَهُمْ وَشُبُهَاتِهِمْ وَشُكُوكَهُمْ وَأَنَّهُ جَرَّبَ ذَلِكَ وَأَنَّهُ وَقَعَ فِي بَعْضِ تِلْكَ الشُّبَاكِ وَالْمَصَايِدِ حَتَّى أَتَّاحَ لَهُ الْمَوْلَى بِفَضْلِهِ مَنْ نَشَلَهُ وَأَوْضَحَ لَهُ تِلْكَ الشُّبُهَةَ وَازَاخَ عَنْهُ تِلْكَ الشُّكُوكَ وَهُوَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ بْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَالَ فِي النُّوْبَةِ:

يَا قَوْمُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ نَصِيحَةً	مِنْ مُشْفِقِي وَأَخٍ لَكُمْ مِعْوَانٍ
جَرَّبْتُ هَذَا كُلَّهُ وَوَقَعْتُ فِي	تِلْكَ الشُّبَاكِ وَكُنْتُ ذَا طَيْرَانٍ
حَتَّى أَتَّاحَ لِي الْإِلَهُ بِفَضْلِهِ	مَنْ لَيْسَ تَجْزِيهِ يَدِي وَلِسَانِي
حَبْرًا أَتَى مِنْ أَرْضِ حَرَانٍ فَيَا	أَهْلًا بِمَنْ قَدْ جَاءَ مِنْ حَرَانٍ
فَاللَّهُ يَجْزِيهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ	مِنْ جَنَّةِ الْمَأْوَى مَعَ الرِّضْوَانِ
أَخَذْتُ يَدَاهُ يَدَيَّ وَسَارَ فَلَمْ يَرِمْ	حَتَّى أَرَانِي مَطْلَعِ الْإِيمَانِ
وَرَأَيْتُ أَعْلَامَ الْمَدِينَةِ حَوْلَهَا	نَزَلَ الْهُدَى وَعَسَاكِرُ الْقُرْآنِ
وَرَأَيْتُ أَثَارًا عَظِيمًا شَأْنَهَا	مَحْجُوبَةً عَنْ زُمْرَةِ الْعُمَيَّانِ
وَوَرَدْتُ رَأْسَ الْمَاءِ أبيضَ صَافِيًا	حَصْبًاؤُهُ كَلَالِيءِ التَّيْجَانِ
وَرَأَيْتُ أَكْوَابًا هُنَاكَ كَثِيرَةً	مِثْلَ النُّجُومِ لِوَارِدِ ظَمَّانِ
وَرَأَيْتُ حَوْضَ الْكَوْثَرِ الصَّافِي الَّذِي	لَا زَالَ يَشْحَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ
مِيزَابُ سُنَّتِهِ وَقَوْلُ إِلَهِي	وَهُمَا مَدَى الْأَزْمَانِ لَا يَتَيَّانِ
وَالنَّاسُ لَا يَرِدُونَهُ إِلَّا مِنَ الْ	آلِفِ أَفْرَادٍ ذُوُوا إِيْمَانِ

اللَّهُمَّ أَرْزُقْنَا حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ الْعَمَلِ الَّذِي يُقَرِّبُنَا إِلَى حُبِّكَ،
اللَّهُمَّ الْهَمُّنَا ذِكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ وَبَارِكْ لَنَا فِي الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ وَلَا

تَفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا
 مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَالنَّجَاحِ وَالْفَلَاحِ، وَمِنَ الْمُؤَيَّدِينَ بِنَصْرِكَ وَتَأْيِيدِكَ وَرِضَاكَ،
 اللَّهُمَّ أَهْمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِامْتِنَالِ أَمْرِكَ وَاجْتِنَابِ نَهْيِكَ، وَاغْفِرْ لَنَا
 وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصْلٌ»: فِي ذِكْرِ نَمَاجٍ مِنْ صَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الشَّدَائِدِ وَالْأَذَى فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ

وَمِنْ تَحَمُّلِهِ ﷺ لِلشَّدَائِدِ وَالْأَذَى فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ مَا وَوَدَّ عَنْ أَنَسٍ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى
 أَحَدٌ، وَأُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ
 وَلَيْلَةٍ، وَمَا لِي وَلِإِلَّهِ مَا يَأْكُلُهُ ذُو كَيْدٍ إِلَّا مَا يُؤَارِي إِبْطُ بِلَالٍ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ.

وَعِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ، أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَالَ لَهُ ﷺ: يَا ابْنَ أَخِي إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ
 جَاؤَنِي وَقَالُوا كَذَا وَكَذَا فَأَبِيقْ عَلَيَّ وَعَلَى نَفْسِكَ، وَلَا تُحْمَلْنِي مِنَ الْأَمْرِ مَا لَا
 أَطِيقُ أَنَا وَلَا أَنتَ، فَاكْفُفْ عَنْ قَوْمِكَ مَا يَكْرَهُونَ مِنْ قَوْلِكَ، فَظَنَّ رَسُولُ اللَّهِ
 ﷺ أَنَّ قَدْ بَدَأَ لِعَمِّهِ فِيهِ، وَأَنَّهُ خَادِلُهُ، وَمُسَلِّمُهُ، وَضَعْفَ عَنِ الْقِيَامِ مَعَهُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا عَمُّ لَوْ وُضِعَتِ الشَّمْسُ فِي يَمِينِي وَالْقَمَرُ فِي
 يَسَارِي، مَا تَرَكْتُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ، أَوْ أَهْلِكَ فِي طَلْبِهِ، ثُمَّ اسْتَعْبَرَ
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبَكَى، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ لَهُ حِينَ رَأَى مَا بَلَغَ الْأَمْرُ بِرَسُولِ اللَّهِ
 ﷺ يَا ابْنَ أَخِي فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ امْضِ لِأَمْرِكَ وَافْعَلْ مَا أَحْبَبْتَ فَوَاللَّهِ
 لَا أَسْأَلُكَ لِشَيْءٍ أَبَدًا.

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ لَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ عَرَضَ

لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَفِيَهُ مِنْ سَفَهَاءِ قُرَيْشٍ فَأَلْقَى عَلَيْهِ تُرَاباً، فَرَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ فَأَتَتْهُ
امْرَأَةٌ مِنْ بَنَاتِهِ تَمْسُحُ عَنْ وَجْهِهِ التُّرَابَ وَتَبْكِي، فَجَعَلَ يَقُولُ أَيُّ بِنْتِةٍ لَا تَبْكِيَنَ
فِي اللَّهِ مَا نَعِيَ أَبَاكَ، وَيَقُولُ مَا بَيْنَ ذَلِكَ مَا نَأَلْتُ قُرَيْشٍ شَيْئاً أَكْرَهُهُ حَتَّى مَاتَ
أَبُو طَالِبٍ ثُمَّ شَرَعُوا.

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة قال: لَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ
تَجَهَّمُوا بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ يَاعَمُّ مَا أَسْرَعُ مَا وَجَدْتُ فَقَدَكَ، وَأَخْرَجَ الطبراني
عن الحارث بن الحارث قُلْتُ لِأَبِي مَا هَذِهِ الْجَمَاعَةُ، قَالَ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ اجْتَمَعُوا
عَلَى صَاحِبِي لَهُمْ فَتْرُنَا فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
وَالْإِيمَانِ بِهِ وَهُمْ يَرُدُّونَ عَلَيْهِ وَيُؤَدُّونَهُ حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارَ، وَانْصَدَعَ النَّاسُ
عَنْهُ أَقْبَلْتُ امْرَأَةً قَدْ بَدَأَ نَحْرُهَا تَحْمِلُ قَدْحاً وَمَنْدِيلاً فَتَنَاوَلَهُ مِنْهَا فَشَرِبَ،
وَتَوَضَّأَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ يَا بِنْتِةَ حَمْرِي عَلَيْكَ نَحْرُكَ وَلَا تَخَافِينَ عَلَى أَبِيكَ،
قُلْنَا مَنْ هَذِهِ قَالُوا هَذِهِ زَيْنَبُ بِنْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَ الْهَيْثُمِيُّ رِجَالَهُ ثَقَاتٌ.

وأخرج البخاري عن عروة بن الزبير عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه
قال قُلْتُ لَهُ مَا أَكْثَرَ مَا رَأَيْتَ قُرَيْشاً أَصَابَتْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا كَانَتْ
تُظْهِرُ مِنْ عِدَاوَتِهِ، قَالَ حَضَرْتُهُمْ وَقَدْ اجْتَمَعَ أَشْرَافُهُمْ فِي الْحِجْرِ.

فَقَالُوا مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَبَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ، سَفَهُ أَحْلَامَنَا،
وَشَتَمَ آبَائَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، وَفَرَّقَ جَمَاعَاتِنَا، وَسَبَّ آلِهَتِنَا، لَقَدْ صَبَرْنَا مِنْهُ عَلَى
أَمْرِ عَظِيمٍ، أَوْ كَمَا قَالُوا.

قال فَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقْبَلَ يَمْشِي حَتَّى
اسْتَقْبَلَ الرُّكْنَ ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ طَائِفاً بِالْبَيْتِ، فَلَمَّا مَرَّ بِهِمْ غَمَزُوهُ: - أَيُّ أَشَارُوا
إِلَيْهِ - بَعْضُ مَا يَقُولُ، قَالَ فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ.

ثم مَضَى فَلَمَّا مَرَّ بِهِمُ الثَّانِيَةَ بِمِثْلِهَا فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ مَضَى فَلَمَّا

مرَّ بهم الثالثةَ فَعَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا فَقَالَ : أَتَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَمَا وَاللَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ ، فَأَخَذَتِ الْقَوْمَ كَلِمَتَهُ ، حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا كَانَ عَلَى رَأْسِهِ طَائِرٌ وَاقَعَ حَتَّى إِنَّ أَشَدَّهُمْ فِيهِ وَضَاءَةً قَبْلَ ذَلِكَ لَيَرَفُوهُ بِأَحْسَنَ مَا يَجِدُ مِنَ الْقَوْلِ حَتَّى لَيَقُولُ انصَرِفْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، انصَرِفْ رَاشِدًا فَوَاللَّهِ مَا كُنْتُ جَهُولًا .

فَانصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ الْعُدَّ اجْتَمَعُوا فِي الْحِجْرِ وَأَنَا مَعَهُمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : ذَكَرْتُمْ مَا بَلَغَ مِنْكُمْ وَمَا بَلَغَكُمْ عَنْهُ حَتَّى إِذَا بَادَاكُمْ بِمَا تَكْرَهُونَ تَرَكْتُمُوهُ ، فَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ إِذَا طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَثَبُوا عَلَيْهِ وَثَبَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ فَأَطَافُوا بِهِ يَقُولُونَ أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ كَذَا وَكَذَا لِمَا كَانَ يَبْلُغُهُمْ مِنْ عَيْبِ آلِهِتِهِمْ وَدِينِهِمْ .

قال فيقول رسول الله ﷺ نَعَمْ أَنَا الَّذِي أَقُولُ ذَلِكَ ، قال فَلَقَدْ رَأَيْتَ رَجُلًا مِنْهُمْ أَخَذَ بِمَجْمَعِ رِدَائِهِ ، وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دُونَهُ يَقُولُ وَهُوَ يَبْكِي أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّي اللَّهُ ، ثُمَّ انصَرَفُوا عَنْهُ فَإِنَّ ذَلِكَ لِأَشَدُّ مَا رَأَيْتُ قُرَيْشًا بَلَغَتْ مِنْهُ قَطُّ .

وأخرج أبو يعلى عن أنسِ ابنِ مالكٍ رضي الله عنه قال لَقَدْ ضَرَبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّةً حَتَّى غَشِيَ عَلَيْهِ ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَجَعَلَ يُنَادِي وَيَلْكُمُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّي اللَّهُ ، فَقَالُوا مَنْ هَذَا فَقَالُوا أَبُو بَكْرٍ الْمَجْنُونُ .

وفي الحديث الذي أخرجه أبو يعلى عن أسماء بنتِ أبي بكرٍ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَهُوا بِأبي بكرٍ عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ قَالَتْ فَارْجِعْ إِلَيْنَا أَبُو بَكْرٍ فَجَعَلَ لَا يَمَسُّ شَيْئًا مِنْ غَدَائِرِهِ - أَيِ جَدَائِلِهِ إِلَّا جَاءَ مَعَهُ ، وَهُوَ يَقُولُ تَبَارَكَتْ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ .

وَأَخْرَجَ الْبَزَّازُ فِي مَسْنَدِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ

خَطَبَهُمْ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ أَشْجَعُ النَّاسِ، فَقَالُوا أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ أَمَا أَنَا مَا بَارَزَنِي أَحَدٌ إِلَّا انْتَصَفْتُ مِنْهُ، وَلَكِنْ هُوَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّا جَعَلْنَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَرِيشًا فَقُلْنَا مَنْ يَكُونُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِغَلَا يَهْوِي إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَوَاللَّهِ مَا دَنَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَاهِرًا بِالسَّيْفِ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا يَهْوِي إِلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا أَهْوَى إِلَيْهِ فَهَذَا أَشْجَعُ النَّاسِ.

قَالَ وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَخَذْتُهُ قَرِيشٌ فَهَذَا يُحَادُّهُ وَهَذَا يُتَلْتَلُهُ وَيَقُولُونَ أَنْتَ جَعَلْتَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا فَوَاللَّهِ مَا دَنَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ يَضْرِبُ هَذَا وَيُجَاهِدُ هَذَا وَيُتَلْتَلُ هَذَا، وَهُوَ يَقُولُ وَيَلِكُمُ اتَّقْتُلُونَ رَجُلًا يَقُولُ رَبِّي اللَّهُ.

ثُمَّ رَفَعَ عَلَى بُرْدَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ فَبَكَى حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، ثُمَّ قَالَ أَنْشُدْكُمْ اللَّهُ أُمُومِنُ آلِ فِرْعَوْنَ خَيْرٌ أَمْ هُوَ، فَسَكَتِ الْقَوْمُ، فَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَوَاللَّهِ لَسَاعَةً مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَيْرٌ مِنْ مِلءِ الْأَرْضِ مِنْ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ، ذَاكَ رَجُلٌ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ، وَهَذَا رَجُلٌ أَعْلَنَ إِيمَانَهُ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ يَقُولُ أَبُو مِحْجَنِ الثَّقَفِيُّ.

شِعْرًا: وَسُمِّيَتْ صِدِّيقًا وَكُنْتُ مُهَاجِرًا سِوَاكَ يُسَمَّى بِاسْمِهِ غَيْرُ مُنْكَرٍ
وَبِالْغَارِ إِذْ سُمِّيَتْ بِالْغَارِ صَاحِبًا وَكُنْتُ رَفِيقًا لِلنَّبِيِّ الْمُطَهَّرِ
سَبَقْتُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ شَاهِدٌ وَكُنْتُ جَلِيسًا بِالْعَرِيشِ الْمُشَهَّرِ

اللَّهُمَّ يَسِّرْ لَنَا سَبِيلَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا وَاجْعَلْ مَعُونَتَكَ الْعُظْمَى لَنَا سَنَدًا وَاحْشُرْنَا إِذَا تَوَفَّيْتَنَا مَعَ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فصل»: أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ عُرْوَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ أَبِي

العاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقُلْتُ أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ بَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فِي حِجْرِ الْكَعْبَةِ إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى عُنُقِهِ فَحَنَقَهُ حَنَقًا شَدِيدًا.

فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ، وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّي اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ.. الآية.

وَعِنْدَ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: مَا رَأَيْتُ قُرَيْشًا أَرَادُوا قَتْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا يَوْمًا اتَّخَمُوا بِهِ وَهُمْ جُلُوسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي عِنْدَ الْمَقَامِ، فَقَامَ إِلَيْهِ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ فَجَعَلَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ ثُمَّ جَذَبَهُ حَتَّى وَجَبَ لِرُكْبَتَيْهِ سَاقِطًا، وَتَصَاحِبَ فَظَنُوا أَنَّهُ مَقْتُولٌ.

فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَشْتَدُّ حَتَّى أَخَذَ بِضَبْعِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ وَرَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّي اللهُ» الْحَدِيثُ.

وَأُخْرَجَ الْبَزَّازُ وَالطَّبْرَانِيُّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ وَأَبُو جَهْلٍ وَشَيْبَةُ وَعُتْبَةُ أَبْنَاءُ رَيْبَعَةَ وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ وَأُمَيَّةُ ابْنُ خَلْفٍ وَرَجُلَانِ آخَرَانِ كَانُوا سَبْعَةً؛ وَهُمْ فِي الْحِجْرِ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا سَجَدَ أَطَالَ السُّجُودَ.

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ أَيُّكُمْ يَأْتِي جَزُورَ بَنِي فُلَانٍ فَيَأْتِينَا بِفَرْثِهَا فَنَكْفَهُهُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاذْطَلَقَ أَشْقَاهُمْ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ فَأَتَى بِهِ فَأَلْقَاهُ عَلَى كَتِفِيهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ سَاجِدٌ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَأَنَا قَائِمٌ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، لَيْسَ عِنْدِي مَنَعَةٌ تَمْنَعُنِي، إِذْ سَمِعْتُ فَاطِمَةَ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقْبَلْتُ حَتَّى أَلْقَيْتُ ذَلِكَ عَنْ عَاتِقِهِ.

ثُمَّ اسْتَقْبَلْتُ قُرَيْشًا تَسُبُّهُمْ فَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَيْهَا شَيْئًا، وَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ كَمَا كَانَ يَرْفَعُ عِنْدَ تَمَامِ السُّجُودِ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ

قال: اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ ثَلَاثًا، عَلَيْكَ بِعُتْبَةَ، وَعُقْبَةَ، وَأَبِي جَهْلٍ وَشَيْبَةَ.

ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ فَلَقِيَهُ أَبُو الْبَحْتَرِيِّ بِسَوْتٍ يَتَخَصَّرُ بِهِ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْكَرَ وَجْهَهُ فَقَالَ مَالِكُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلَّ عَنِّي قَالَ عَلِمَ اللَّهُ لَا أُحَلِّيْ عَنْكَ، أَوْ تُحْبِرْنِي مَا شَأْنُكَ، فَلَقَدْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَمَّا عَلِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ غَيْرُ مُخَلِّ عَنْهُ أَخْبَرَهُ.

فَقَالَ إِنَّ أَبَا جَهْلٍ أَمَرَ فَطَرِحَ عَلَيَّ الْفَرْثَ، فَقَالَ أَبُو الْبَحْتَرِيِّ هَلُمَّ إِلَى الْمَسْجِدِ فَاتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو الْبَحْتَرِيِّ فَدَخَلَا الْمَسْجِدَ.

ثُمَّ أَقْبَلَ أَبُو الْبَحْتَرِيِّ إِلَى أَبِي جَهْلٍ فَقَالَ يَا أَبَا الْحَكَمِ أَنْتَ الَّذِي أَمَرْتَ بِمُحَمَّدٍ فَطَرِحَ عَلَيْهِ الْفَرْثَ، قَالَ نَعَمْ، قَالَ فَرَفَعَ السَّوْطَ فَضَرَبَ بِهِ رَأْسَهُ قَالَ فَتَارَ الرَّجَالُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالَ وَصَاحَ أَبُو جَهْلٍ وَيَحْكُمُ هِيَ لَهُ إِنَّمَا أَرَادَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُلْقِيَ بَيْنَنَا الْعَدَاوَةَ، وَيَنْجُو هُوَ وَأَصْحَابُهُ الْحَدِيثَ.

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنِ يَعْقُوبَ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ الْمُغِيرَةَ بْنِ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيْقٍ حَلِيفِ بَنِي زُهْرَةَ مُرْسَلًا، أَنَّ أَبَا جَهْلٍ اعْتَرَضَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْصَّفَا فَأَذَاهُ.

وَكَانَ حَمْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَاحِبَ قَنْصِ، وَصَيْدِ، وَكَانَ يَوْمَئِذٍ فِي قَنْصِهِ، فَلَمَّا رَجَعَ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ وَكَانَتْ قَدْ رَأَتْ مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَا أَبَا عِمَارَةَ لَوْ رَأَيْتَ مَا صَنَعَ تَعْنِي أَبَا جَهْلٍ بَابِنِ أَحِيكَ، فَغَضِبَ حَمْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَضَى كَمَا هُوَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ.

هُوَ مُعَلَّقٌ قَوْسَهُ فِي عُتْبِهِ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَوَجَدَ أَبَا جَهْلٍ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قُرَيْشٍ فَلَمْ يُكَلِّمَهُ حَتَّى عَلَا رَأْسَهُ بِقَوْسِهِ، فَشَجَّهَ فِقَامَ رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى حَمْرَةَ يُمَسِّكُونَهُ عَنْهُ، فَقَالَ حَمْرَةَ دِينِي دِينُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، فَوَاللَّهِ لَا أَتَّشِي عَنْ ذَلِكَ، فَاْمْنَعُونِي مِنْ ذَلِكَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

فَلَمَّا أَسْلَمَ حَمْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَزَّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ وَالْمُسْلِمُونَ، وَثَبَتَ

لَهُمْ بَعْضُ أَمْرِهِمْ، وَهَابَتْ قُرَيْشٌ وَعَلِمُوا أَنَّ حَمْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَيِّمْنَعُهُ، قَالَ
الْهَيْثَمِيُّ وَرِجَالَهُ ثِقَاتٌ .

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ
وَمَاتَ أَبُو طَالِبٍ وَازْدَادَ مِنَ الْبَلَاءِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشِدَّةٍ، فَعَمِدَ إِلَى ثَقِيفٍ
يَرْجُو أَنْ يُؤْوِيَهُ وَيَنْصُرُوهُ، فَوَجَدَ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مِنْهُمْ، سَادَةٌ ثَقِيفٍ، وَهُمْ أُخْوَةٌ
عَبْدُ يَالِيلِ بْنِ عَمْرٍو، وَحَبِيبُ ابْنِ عَمْرٍو، وَمَسْعُودُ بْنُ عَمْرٍو، فَعَرَضَ عَلَيْهِمْ
نَفْسَهُ، وَشَكَا إِلَيْهِمُ الْبَلَاءَ، وَمَا انْتَهَكَ قَوْمُهُ مِنْهُ .

فَقَالَ أَحَدُهُمْ أَنَا أَسْرُقُ ثِيَابَ الْكَعْبَةِ إِنْ كَانَ اللَّهُ بِعَثْكَ بِشَيْءٍ قَطُّ، وَقَالَ آخَرُ
وَاللَّهِ لَا أَكَلِمَكَ بَعْدَ مَجْلِسِكَ هَذَا كَلِمَةً وَاحِدَةً أَبَدًا لِأَنَّ كُنْتَ رَسُولًا لِأَنَّتَ أَعْظَمُ
شَرَفًا وَحَقًّا مِنْ أَنْ أَكَلِمَكَ، وَقَالَ الْآخَرُ أَعْجَزَ اللَّهُ أَنْ يُرْسِلَ غَيْرَكَ .

وَأَفْشَوْا ذَلِكَ فِي ثَقِيفِ الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ: وَاجْتَمَعُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ
ﷺ، وَقَعَدُوا لَهُ صَفَيْنَ عَلَى طَرِيقِهِ، فَأَخَذُوا بِأَيْدِيهِمُ الْحِجَارَةَ فَجَعَلَ لَا يَرْفَعُ
رِجْلَهُ وَلَا يَضَعُهَا إِلَّا رَضَخُوهَا بِالْحِجَارَةِ وَهُمْ فِي ذَلِكَ يُسْتَهْزِئُونَ وَيَسْتَحْرُونَ .

فَلَمَّا خَلَصَ مِنْ صَفْيِهِمْ وَقَدَمَاهُ تَسِيلَانِ بِالدَّمَاءِ، عَمِدَ إِلَى حَائِطٍ مِنْ
كُرُومِهِمْ فَأَتَى حَبْلَةً مِنَ الْكُرْمِ فَجَلَسَ فِي أَصْلِهَا مَكْرُوبًا مُوجِعًا تَسِيلُ قَدَمَاهُ
الدَّمَاءَ فَإِذَا فِي الْكُرْمِ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةُ ابْنُ رَبِيعَةَ فَلَمَّا أَبْصَرَهُمَا كَرِهَ أَنْ
يَأْتِيَهُمَا لِمَا عَلِمَ مِنْ عَدَاوَتِهِمَا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَبِهِ الَّذِي بِهِ فَأَرْسَلَا إِلَيْهِ غُلَامَهُمَا
عَدَّاسًا بَعْنِي وَهُوَ نَصْرَانِي مِنْ أَهْلِ نَيْنَوَى، فَلَمَّا أَتَاهُ وَضَعَ الْعِنَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسْمِ اللَّهِ فَعَجِبَ عَدَّاسُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
مِنْ أَيِّ أَرْضٍ أَنْتَ يَا عَدَّاسُ قَالَ أَنَا مِنْ أَهْلِ نَيْنَوَى .

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَهْلِ مَدِينَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُؤُسُّ بْنُ مَتَّى، فَقَالَ لَهُ
عَدَّاسُ وَمَا يُدْرِيكَ مَنْ يُؤُسُّ بْنُ مَتَّى، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ شَأْنِ يُؤُسُّ
مَا عَرَفَ .

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَحْقِرُ أَحَدًا يُبْلَغُهُ رِسَالَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي خَيْرَ يُوسُفَ بْنِ مَتَّى، فَلَمَّا أَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ شَأْنِ
يُوسُفَ بْنِ مَتَّى مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ مِنْ شَأْنِهِ خَرَّ سَاجِدًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ جَعَلَ
يُقَبِّلُ قَدَمَيْهِ وَهُمَا تَسِيلَانِ الدَّمَاءَ. فَلَمَّا أَبْصَرَ عُتْبَةَ وَأَخُوهُ شَيْبَةَ مَا فَعَلَ غُلَامُهُمَا
سَكَنًا، فَلَمَّا أَتَاهُمَا قَالَا لَهُ مَا شَأْنُكَ سَجَدْتَ لِمُحَمَّدٍ وَقَبَلْتَ قَدَمَيْهِ، وَلَمْ تَرَكَ
فَعَلْتَ هَذَا بِأَحَدِنَا.

قَالَ هَذَا رَجُلٌ صَالِحٌ حَدَّثَنِي عَنْ أَشْيَاءَ عَرَفْتُهَا مِنْ شَأْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعَثَهُ اللَّهُ
تَعَالَى إِلَيْنَا يُدْعَى يُوسُفُ بْنُ مَتَّى فَأَخْبِرْنِي أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ فَضَحِكَ وَقَالَ لَا يَفْتِنُكَ
عَنْ نَصْرَانِيَّتِكَ إِنَّهُ رَجُلٌ يَحْدَعُ، ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَكَّةَ .. انتهى .
اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَالْهَمْنَا ذِكْرَكَ، اللَّهُمَّ
انظُمْنَا فِي سَبِيلِكَ حِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ وَآمِنًا يَوْمَ الْفَرَجِ
الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ، وَاحْشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ
وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

«فَصْلٌ»: أَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ
لَوْ رَأَيْتَنِي وَرَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذْ صَعَدَ الْعَارُ فَأَمَّا قَدَمَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَفَطَّرْنَا، وَأَمَّا
قَدَمَايَ فَعَادَتْ كَأَنَّهُمَا صَفْوَانٌ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
لَمْ يَتَعَوَّذِ الْحُفْيَةَ .

وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَسِرَتْ رَبَاعِيَّتَهُ يَوْمَ
أَحُدٍ وَشَجَّ فِي رَأْسِهِ فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَقُولُ كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا
نَبِيَّهُمْ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَتَرَلْ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية .

وَعِنْدَ الظُّبَيْرَانِي فِي الْكَبِيرِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَصِيبَ وَجْهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ ، فَاسْتَقْبَلَهُ مَالِكُ بْنُ سِنَانَ فَمَصَّ جُرْحَهُ ثُمَّ اِزْدَرَدَهُ - أَيِ ابْتَلَعَهُ - قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيَّ مِنْ خَالِطٍ دَمُهُ دَمِي فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَالِكِ بْنِ سِنَانَ .

وَأَخْرَجَ الطَّيَالِسِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا ذَكَرَ يَوْمَ أُحُدٍ قَالَ ذَلِكَ يَوْمٌ كُلُّهُ لِبَطْلِحَةٍ ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُ قَالَ كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَاءَ يَوْمَ أُحُدٍ فَرَأَيْتُ رَجُلًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دُونَهُ ، وَأَرَاهُ قَالَ حَمِيَّةً ، قَالَ فَقُلْتُ كُنْ طَلْحَةَ حَيْثُ فَاتَنِي مَا فَاتَنِي فَقُلْتُ يَكُونُ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي أَحَبُّ إِلَيَّ . وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ رَجُلًا لَا أَعْرِفُهُ وَأَنَا أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ وَهُوَ يَخْطِفُ الْمَشِيَّ حَظْفًا لَا أَحْطِفُهُ .

فَإِذَا هُوَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَاتْتَهَيْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ كُسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ ، وَشَجَّ فِي وَجْهِهِ ، وَقَدْ دَخَلَ فِي وَجْتِهِ حَلْقَتَا مِنْ حَلْقِ الْمُعْفَرِ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا مَا صَاحِبِكُمَا يُرِيدُ طَلْحَةَ ، وَقَدْ نَزَفَ فَلَمْ نَلْتَفِتْ إِلَى قَوْلِهِ ، قَالَ وَذَهَبْتُ لِأَنْزِعَ ذَلِكَ مِنْ وَجْهِهِ فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَقْسَمُ عَلَيْكَ بِحَقِّي لَمَا تَرَكْتَنِي فَنَرَكْتَهُ . فَكَّرَهُ تَنَاوُلَهَا بِيَدِهِ فَيُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَزَمَّ عَلَيْهَا بِفِيهِ أَيُّ عَضَّ عَلَيْهَا ، فَاسْتَخْرَجَ أَحَدَى الْحَلْقَتَيْنِ وَوَقَعَتْ ثَنِيَّتُهُ مَعَ الْحَلْقَةِ وَذَهَبَتْ لِأَصْنَعَ مَا صَنَعَ فَقَالَ أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِحَقِّي لَمَا تَرَكْتَنِي قَالَ فَفَعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى فَوَقَعَتْ ثَنِيَّتُهُ الْأُخْرَى مَعَ الْحَلْقَةِ .

فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ هَتْمًا فَأَصْلَحْنَا مِنْ شَأْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ أَتَيْنَا طَلْحَةَ فِي بَعْضِ الْحِقَارِ ، فَإِذَا بِهِ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ طَعْنَةً وَرَمِيَّةً وَضَرْبَةً وَإِذَا قَدْ قُطِعَتْ أَصْبُعُهُ فَأَصْلَحْنَا مِنْ شَأْنِهِ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَارْزُقْنَا الْقِيَامَ بِطَاعَتِكَ وَجَنِّبْنَا مَا يُسْخِطُكَ وَأَصْلِحْ نِيَّاتِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا وَأَعِدْنَا مِنْ شَرِّ نُفُوسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا وَأَعِدْنَا مِنْ عَدُوِّكَ وَاجْعَلْ هَوَانًا تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا

وَلَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«مَوْعِظَةٌ»

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ أُخْتَارَ بَيْنَهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَخَصَّهُ بِمَزَايَا لَمْ تَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ
الْعَالَمِينَ وَاخْتَارَ لَهُ أَصْحَابًا خَيْرَةَ النَّاسِ مِنْ خَلْقِهِ، وَخَصَّهُمْ بِمَزَايَا لَمْ تَكُنْ
لِسِوَاهُمْ مِنَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ، حَاشَا الْأَنْبِيَاءَ وَالرَّسُلِينَ، وَأَنْتَى عَلَيْهِمْ، سُبْحَانَهُ
فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تَنْبِيهًا عَلَى جَلَالَةِ قَدْرِهِمْ، وَعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِمْ،
وَعَظَمِ فَضْلِهِمْ، وَشَرَفِهِمْ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ،
وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى يَصِفُهُمْ بِشِدَّةِ الرَّحْمَةِ وَلِيْنِ الْجَانِبِ لِبَعْضِهِمْ بَعْضًا وَشِدَّةِ تِهْمِ
عَلَى الْكُفَّارِ الْمُعَانِدِينَ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ
رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي
وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ .

وَقَالَ تَعَالَى يَصِفُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ بِأَفْضَلِ مَا يَصِفُ بِهِ إِنْسَانًا:
﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ
وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ، وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ
وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ، وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً
مِمَّا أُوتُوا، وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ .

وَقَالَ ﷺ خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، وَقَدْ كَانَ الصَّحَابَةُ أَصْبَرُ
النَّاسِ بَعْدَ الرُّسُلِ عَلَى الْأَذَى فِي اللَّهِ فَلَقَدْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ
يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَصَبَّ عَلَيْهِمُ الْأَذَى مِنْ كُلِّ صَوْبٍ، فَلَمْ يَزِدْهُمْ ذَلِكَ إِلَّا

إِيمَانًا . قَالَ تَعَالَى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنْ اللَّهِ وَفَضْلِ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءُ ﴾ الآية .

وَإِذَا كَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَرْفَعَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ دَرَجَةً وَأَعْلَاهُمْ مَكَانًا بِشَهَادَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَلَا عَجَبَ أَنْ يُعْلِنَ الْمُصْطَفَى ﷺ بِفَضْلِهِمْ وَيُحَدِّثُ مِنْ سَبِّهِمْ وَمَقْتِهِمْ ، وَيَقُولُ فِيمَا رَوَى التِّرْمِذِيُّ : « اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ » .

وَيَقُولُ ﷺ لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ ، فَأَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ لَا يَشْكُ عَاقِلٌ أَنَّهُمْ هُمُ الَّذِي حَازُوا قِصَبَاتِ السَّبْقِ ، وَاسْتَوَلُوا عَلَى مَعَالِي الْأُمُورِ مِنَ الْفَضْلِ وَالْمَعْرُوفِ وَالصِّدْقِ وَالْعِفَّةِ ، وَالكَرَمِ وَالْإِحْسَانِ ، وَالْقِنَاعَةِ ، وَعُلُوِّ الْهِمَّةِ ، وَالنَّزَاهَةِ ، وَالشَّجَاعَةِ ، وَالتَّقَى وَالتَّوَاضُعِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ .

فَالسَّعِيدُ مَنْ اتَّبَعَ طَرِيقَهُمْ ، وَاقْتَفَى مِنْهُمْ الْقَوِيمَ ، وَالشَّقِيُّ مَنْ عَدَلَ عَنْ طَرِيقِهِمْ ، وَلَمْ يَتَحَقَّقْ بِتَحْقِيقِهِمْ ، فَأَيُّ خِطَّةٍ رُشِدِهِمْ لَمْ يَسْتَوَلُوا عَلَيْهَا ، وَأَيُّ حَصَلَةٍ خَيْرٍ لَمْ يَسْبِقُوا إِلَيْهَا ، لَقَدْ وَرَدُوا يَتَّبِعُونَ الْحَيَاةَ عَذَابًا صَافِيًا زُلَالًا . وَوَطَّئُوا قَوَاعِدَ الدِّينِ ، وَالْمَعْرُوفِ فَلَمْ يَدْعُوا لِأَحَدٍ بَعْدَهُمْ مَقَالًا .

فَتَحُّوا الْقُلُوبَ بِالْقُرْآنِ ، وَالذِّكْرِ وَالْإِيمَانِ ، وَالْقُرَى بِالسَّيْفِ وَالسَّنَانِ . وَبَدَّوْا النُّفُوسَ النَّفِيسَةَ فِي مَرْضَاةِ رَبِّهِمْ ، فَلَا مَعْرُوفَ إِلَّا مَا عُرِفَ عَنْهُمْ ، وَلَا بُرْهَانَ إِلَّا مَا يَعْلَمُونَهُمْ كُشِفَ ، وَلَا سَبِيلَ نَجَاةٍ إِلَّا مَا سَلَكَوهُ وَلَا خَيْرَ سَعَادَةٍ إِلَّا مَا حَقَّقُوهُ وَحَلَّوهُ فَرِضُونَ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، مَا تَحَلَّتِ الْمَجَالِسُ بِنَشْرِ ذِكْرِهِمْ ، وَمَا تَنَمَّقَتِ الطُّرُوفُ بِعَرَفِ مَدْحِهِمْ وَشُكْرِهِمْ :

شِعْرًا: وَلَيْسَ فِي الْأُمَّةِ كَالصَّحَابَةِ
فَائِهِمْ قَدْ شَاهَدُوا الْمُخْتَارَ
وَجَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَتَّى بَانَ
وَقَدْ ثَلِي فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ
وَفِي الْأَحَادِيثِ وَفِي الْأَخْبَارِ
مَا قَدَّرَ رَبًّا مِنْ أَنْ يُحِيطَ نَظْمِي
آخِر: قَوْمٌ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّ الْعَرْشِ مَنزَلَةٌ
فَارُؤُوا بِصُحْبَةِ خَيْرِ الْخَلْقِ وَاتَّصَفُوا
فَفِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ قَدْ وَرَدَتْ
وَيَعْدُهُ عُمَرُ الْفَارُوقُ صَاحِبُهُ
وَهَكَذَا الْبُرُّ عُثْمَانُ الشَّهِيدُ لَهُ
وَلِلْإِمَامِ عَلِيِّ الْمُرْتَضَى مَنَحٌ
هُمُ الصَّحَابَةُ لِلْمُخْتَارِ قَدْ وَضَحُوا
بِالْفَضْلِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِصَابَةِ
وَعَانَتُوا الْأَسْرَارَ وَالْأَنْوَارَا
دِينُ الْهُدَى وَقَدْ سَمَا الْأَدْيَانَا
مِنْ فَضْلِهِمْ مَا يَشْفِي مِنْ غَلِيلِ
وَفِي كَلَامِ الْقَوْمِ وَالْأَشْعَارِ
بِغَضِهِ فَاسْمَعْ وَخُذْ مِنْ عِلْمِي
وَحُرْمَةً وَبَشَارَاتٍ وَإِكْرَامُ
بِوَصْفِهِ فَهُمْ لِلنَّاسِ أَعْلَامُ
آثَارُ فَضْلِ لَهَا فِي الذِّكْرِ أَحْكَامُ
بِهِ تَكَمَّلَ بِالْفَارُوقِ إِسْلَامُ
فِي اللَّيْلِ وَرُذٌ وَبِالْقُرْآنِ قَوَامُ
لَهُ إِحْتِرَامٌ وَإِعْرَازٌ وَإِكْرَامُ
طَرَّقَ الْهُدَى وَعَلَى الطَّاعَاتِ قَدْ دَامُوا

«فَصَلِّ»: ذِكْرُ نَمَازِجٍ مِنْ صَبْرِ الصَّحَابَةِ عَلَى الْأَذَى
وَالشَّدَائِدِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ فَأُولَ ذَلِكَ فِي تَحْمُلِ أَبِي بَكْرٍ

أَخْرَجَ الْحَافِظُ أَبُو الْحَسَنِ الْأَطْرَابُلْسِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ لَمَّا
اجْتَمَعَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ - وَكَانُوا ثَمَانِيَةً وَثَلَاثِينَ رَجُلًا أَلْحَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الظُّهُورِ فَقَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّا قَلِيلٌ فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُلِحُّ حَتَّى
ظَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَفَرَّقَ الْمُسْلِمُونَ فِي نَوَاحِي الْمَسْجِدِ كُلِّ رَجُلٍ فِي
عَشِيرَتِهِ .

وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فِي النَّاسِ حَاطِبِيًّا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فَكَانَ أَوَّلَ حَاطِبِيٍّ
دَعَا إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ وَثَارَ الْمُشْرِكُونَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ
فَضْرَبُوا فِي نَوَاحِي الْمَسْجِدِ ضَرْبًا شَدِيدًا، وَوُطِئَ أَبُو بَكْرٍ وَضُرِبَ ضَرْبًا

شَدِيدًا وَدَنَا مِنْهُ الْفَاسِقُ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ بِنَعْلَيْنِ مَحْصُوفَتَيْنِ،
وَيُحَرِّفُهُمَا لِوَجْهِهِ وَتَزَا عَلَى بَطْنِ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى مَا يُعْرِفُ وَجْهَهُ مِنْ أُنْفِهِ .

وَجَاءَ بَنُو تَمِيمٍ يَتَعَادُونَ فَأَجَلَّتِ الْمُشْرِكِينَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَحَمَلَتْ بَنُو
تَمِيمٍ أَبَا بَكْرٍ فِي ثَوْبٍ حَتَّى أَدْخَلُوهُ مَنْزِلَهُ وَلَا يَشْكُونَ فِي مَوْتِهِ، ثُمَّ رَجَعَتْ بَنُو
تَمِيمٍ فَدَخَلُوا الْمَسْجِدَ وَقَالُوا وَاللَّهِ لَئِنْ مَاتَ أَبُو بَكْرٍ لَنَقْتُلَنَّ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ
فَرَجَعُوا إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَجَعَلَ أَبُو قُحَافَةَ وَبَنُو تَمِيمٍ يُكَلِّمُونَ أَبَا بَكْرٍ حَتَّى أَجَابَ
فَتَكَلَّمَ آخِرَ النَّهَارِ فَقَالَ مَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَسُوا مِنْهُ بِالسِّنْتِهِمْ وَعَدَلُوهُ ثُمَّ
قَامُوا وَقَالُوا لِأُمِّهِ أُمِّ الْخَيْرِ انْظُرِي أَنْ تُطْعِمِيهِ شَيْئًا أَوْ تَسْقِيهِ إِيَّاهُ .

فَلَمَّا حَلَّتْ بِهِ الْحَتَّ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ يَقُولُ مَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ
مَا لِي عِلْمٌ بِصَاحِبِكَ فَقَالَ إِذْهَبِي إِلَى أُمِّ جَمِيلِ بِنْتِ الْخَطَّابِ، فَاسْأَلِيهَا
فَخَرَجَتْ حَتَّى جَاءَتْ أُمَّ جَمِيلِ فَقَالَتْ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ يَسْأَلُكَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ .

فَقَالَتْ مَا أَعْرِفُ أَبَا بَكْرٍ وَلَا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، وَإِنْ كُنْتُ تُحْبِبِينَ أَنْ
أَذْهَبَ مَعَكَ إِلَى ابْنِكَ قَالَتْ نَعَمْ فَمَضَتْ مَعَهَا حَتَّى وَجَدَتْ أَبَا بَكْرٍ صَرِيحًا
دَنِفًا، فَدَنَتْ أُمَّ جَمِيلِ وَأَعْلَنْتْ بِالصِّيَاحِ، وَقَالَتْ وَاللَّهِ إِنَّ قَوْمًا نَالُوا هَذَا مِنْكَ
لَأَهْلُ فِسْقٍ وَكُفْرٍ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَنْتَقِمَ اللَّهُ لَكَ مِنْهُمْ .

قَالَ فَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ هَذِهِ أُمَّكَ تَسْمَعُ قَالَ فَلَا شَيْءَ عَلَيْكَ
مِنْهَا قَالَتْ سَالِمٌ صَالِحٌ .

قَالَ أَيْنَ هُوَ قَالَتْ فِي دَارِ ابْنِ الْأَرْقَمِ قَالَ فَإِنَّ لِلَّهِ عَلَيَّ أَنْ لَا أَذُوقَ طَعَامًا
وَلَا أَشْرَبَ شَرَابًا أَوْ آتِي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَمْهَلْنَا حَتَّى إِذَا هَدَّاتِ الرَّجُلُ
وَسَكَنَ النَّاسُ خَرَجْنَا بِهِ يَتَكَبَّرُ عَلَيْهِمَا حَتَّى أَدْخَلْنَاهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،
قَالَ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَبَّلَهُ وَأَكَبَّ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ وَرَقَّ لَهُ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ رِقَّةً شَدِيدَةً .

فقال أبو بكرٍ بآبي أنتِ وأمي يارسولَ الله، ليس بي بأسٌ إنَّ ما نالَ
الفاسقُ من وجهي، وهذه أُمِّي برةٌ بوالدِها وأنتَ مباركٌ فأدعها إلى الله، وادعُ
اللهَ لها عسى اللهُ أنْ يستنقذها بك من النارِ، قال فدعا لها رسولُ الله ﷺ،
ودعاها إلى الله فأسلمت وأقاموا مع رسولِ الله في الدار شهراً وهم تسعةٌ
وثلاثون رجلاً وقد كان حمزة رضي الله عنه أسلم يوم ضرب أبو بكرٍ رضي
الله عنه.

ودعا رسولُ الله ﷺ لعمر بن الخطَّاب أو لأبي جهل بن هشام فأصبح
عمرٌ وكانت الدعوة يوم الأربعاء فأسلم عمرٌ يوم الخميس فكبر رسولُ الله
وأهل البيت تكبيراً سمعت بأعلا مكة.

وخرج أبو الأرقم وهو أعمى كافرٌ وهو يقول اللهم اغفر لبي عبدي
الأرقم فإنه كفر فقام عمرٌ فقال يارسولَ الله علامٌ تُخفي ديننا ونحن على الحقِّ
ويُظهروا دينهم وهم على الباطل قال يا عمرُ إنا قليلٌ قد رأينا ما لقينا.

فقال عمرٌ فوالذي بعثك بالحق لا يبقى مجلسٌ جلستُ فيه بالكفر إلا
أظهرتُ فيه الإيمان ثم خرج وطاف بالبيت.

ثم مرَّ بقريش وهي تنتظره فقال أبو جهل بن هشام يزعم فلان أنك
صبوت.

فقال عمرٌ أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده
ورسوله فوثب المشركون إليه ووثب على عتبة وبرك عليه وجعل يضربه فجعل
عتبة يصيح فتنحى الناس، فقام عمرٌ حتى أعجز الناس وأتبع المجلس التي
كان يجالس فيها فيظهر الإيمان.

ثم انصرف إلى النبي ﷺ وهو ظاهرٌ عليهم، قال ما عليك بآبي وأمي

والله ما بقي مجلسٌ كنتُ أجلسُ فيه بالكفرِ إلا أظهرتُ فيه الإيمانَ غيرَ هيَّابٍ
ولا تحائفٍ .

فخرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ وخرَجَ عمرُ أَمَامَهُ وَحَمْرَةَ ابْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ حَتَّى
طَافَ بِالْبَيْتِ، وَصَلَّى الظُّهْرَ مُؤَمَّنًا، ثُمَّ انصَرَفَ إِلَى دَارِ الْأَرْقَمِ وَمَعَهُ عُمَرُ، ثُمَّ
انصَرَفَ عُمَرُ وَحَدَهُ، ثُمَّ انصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ .

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ لَمْ أُعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلَّا
وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ طَرَفِي النَّهَارِ
بِكِرَةً وَعَشِيَّةً، فَلَمَّا ابْتَلَى الْمُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مُهَاجِرًا نَحْوَ
أَرْضِ الْحَبَشَةِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرَكَ الْغَمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّعْنَةِ وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ فَقَالَ
أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ أَخْرَجَنِي قَوْمِي فَأُرِيدُ أَنْ أُسِيحَ فِي الْأَرْضِ
وَأَعْبُدَ رَبِّي. قَالَ ابْنُ الدَّعْنَةِ فَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَا يُخْرَجُ وَلَا يُخْرَجُ إِنَّكَ
تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى
نَوَائِبِ الْحَقِّ فَأَنَا لَكَ جَارٌ، إِزْجِعْ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ فِي بَلَدِكَ.

فَرَجَعَ وَارْتَحَلَ مَعَهُ ابْنُ الدَّعْنَةِ فَطَافَ ابْنُ الدَّعْنَةِ عَشِيَّةً فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ
فَقَالَ لَهُمْ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَا يُخْرَجُ مِثْلَهُ، وَلَا يُخْرَجُ أَتَخْرَجُونَ رَجُلًا يَكْسِبُ
الْمَعْدُومَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الْكَلَّ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ
الْحَقِّ، فَلَمْ تَكْذِبْ قُرَيْشٌ بِجِوَارِ ابْنِ الدَّعْنَةِ.

وَقَالُوا لِابْنِ الدَّعْنَةِ مَرُّ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَلْيُصَلِّ فِيهَا وَلْيَقْرَأْ مَا
شَاءَ وَلَا يُؤْذِنَا بِذَلِكَ، وَلَا يَسْتَعْلِنَ بِهِ فَإِنَّا نَحْشَى أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاؤَنَا فَقَالَ
ذَلِكَ ابْنُ الدَّعْنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ.

فَلَيْتَ أَبُو بَكْرٍ بِذَلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ وَلَا يَسْتَعْلِنُ بِصَلَاتِهِ وَلَا يَقْرَأُ فِي
غَيْرِ دَارِهِ، ثُمَّ بَدَأَ لِأَبِي بَكْرٍ فَابْتَنَّا مَسْجِدًا بِفَنَاءِ دَارِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ وَيَقْرَأُ

الْقُرْآنَ فَيَتَقَدَّفُ عَلَيْهِ نِسَاءَ الْمُشْرِكِينَ - أَيُّ يَزِدْحِمُونَ عَلَيْهِ - وَأَبْنَاؤُهُمْ وَهُمْ
يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ .

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَاءً لَا يَمْلِكُ عَيْنِيهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ ، وَأَفْزَعَ ذَلِكَ
أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغِنَةِ ، فَقَدَّمُوا عَلَيْهِمْ فَقَالُوا إِنَّا
كُنَّا أَجْرْنَا أبا بَكْرٍ بِجِوَارِكَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَقَدْ جَاوَزَ ذَلِكَ فَابْتَنَى
مَسْجِدًا بِفَنَاءِ دَارِهِ فَأَعْلَنَ بِالصَّلَاةِ وَالْقِرَاءَةِ فِيهِ ، وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا
وَأَبْنَاؤَنَا ، فَانْهَهُ فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَيَّ أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَعَلَّ ، وَإِنْ أَبَى إِلَّا
أَنْ يُعْلِنَ ذَلِكَ فَسَلُّهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ ، فَإِنَّا قَدْ كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ ، وَلَسْنَا
مُقَرَّرِينَ لِأبي بَكْرٍ الْإِسْتِعْلَانَ .

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَأَتَى ابْنُ الدَّغِنَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ قَدْ عَلِمْتَ
الَّذِي عَاقَدْتُكَ عَلَيْهِ ، فَإِنَّمَا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ وَإِنَّمَا أَنْ تُرْجَعَ إِلَيَّ ذِمَّتِي .

فَإِنِّي لَا أَحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّي أُخْفِرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ فَقَالَ أَبُو
بَكْرٍ : فَأَتَيْتِي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارِكَ وَأَرْضِي بِجِوَارِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، هَذَا قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ
مِنْ تَحَمُّلِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ وَجَعَلَ جَنَّةَ الْفَرْدَوْسِ مَثْوَانًا وَمَثْوَاهُ
فَلَّهُ مِنَ الْفَضْلِ وَالسَّابِقَةِ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِ وَلَقَدْ قَدَّمَهُ الْمُصْطَفَى ﷺ عَلَى جَمِيعِ
الصَّحَابَةِ قَالَ فِي التَّوْنِيَّةِ مَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ لِأبي بَكْرٍ :

شِعْرًا : وَيَقُولُ فِي مَرَضِ الْوَفَاةِ يَوْمُكُمْ
وَيُظَلُّ يَمْنَعُ مِنْ إِمَامَةِ غَيْرِهِ
وَيَقُولُ لَوْ كُنْتُ الْحَلِيلَ لِوَاحِدٍ
لَكِنَّهُ الْأَخُّ وَالرَّفِيفُ وَصَاحِبِي
وَيَقُولُ لِلصَّدِيقِ يَوْمَ الْعَارِ لَا
اللَّهُ ثَالِثُنَا وَتِلْكَ فَضِيلَةٌ
عَنِّي أَبُو بَكْرٍ بِلَا رَوْعَانِ
حَتَّى يُرَى فِي صُورَةِ مَيْلَانِ
فِي النَّاسِ كَانَ هُوَ الْحَلِيلُ الدَّانِ
وَلَهُ عَلَيْنَا مِنْهُ الْإِحْسَانِ
تَحْزَنُ فَتَحْنُ ثَلَاثَةٌ لَا اثْنَانِ
مَا حَازَهَا إِلَّا فَتَى عُثْمَانَ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ التَّالِينَ لِكِتَابِكَ الْعَامِلِينَ بِهِ، الْمُحْلِلِينَ حَلَالَهُ الْمُحَرَّمِينَ
حَرَامَهُ الْمُتَمَتِّلِينَ لِأَوَامِرِهِ الْمُجْتَنِبِينَ نَوَاهِيَهُ الْمُتَعِظِينَ بِمَوَاعِظِهِ الْمُتَزَجِرِينَ
بِزَوَاجِرِهِ الْمُتَفَكِّرِينَ فِي مَعَانِيهِ الْمُتَدَبِّرِينَ لِأَلْفَظِهِ الْبَاكِينَ الْمُقْشَعِرِينَ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ
وَسَمَاعِهِ، اللَّهُمَّ أَعْفُ عَن تَقْصِيرِنَا فِي طَاعَتِكَ وَشُكْرِكَ وَأَدِّمْ لَنَا لِرُؤْمِ الطَّرِيقِ
إِلَى مَا يُقَرِّبُنَا إِلَيْكَ وَهَبْ لَنَا نُورًا نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَيَسِّرْ لَنَا مَا يَسِّرْتَهُ لِأَهْلِ
مَحَبَّتِكَ وَأَيِّقْظِنَا مِنْ غَفْلَاتِنَا وَالْهَمْنَا رُشْدَنَا وَاسْتُرْنَا فِي دُنْيَانَا وَآخِرَتِنَا وَاحْشُرْنَا
فِي زُمْرَةِ الْمُتَّقِينَ وَالْحَقُّنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ فَكَفَيْتَهُ،
وَاسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ وَدَعَاكَ فَأَجَبْتَهُ، اللَّهُمَّ سَلِّمْنَا مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا الَّتِي هِيَ
أَقْرَبُ أَعْدَائِنَا وَأَعْدَانَا مِنْ عَدُوِّكَ وَاعْصِمْنَا مِنَ الْهَوَى وَمِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَمَكَّنْ
مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقُوَّهَا وَالْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَفَرِّجْ قُلُوبَنَا بِالنَّظَرِ إِلَى
وَجْهِكَ الْكَرِيمِ فِي جَنَابِ النِّعَمِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فصل»

أَخْرَجَ ابْنُ إِسْحَاقَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَيُّ قُرَيْشٍ أَنْقَلُ لِلْحَدِيثِ فَقِيلَ لَهُ جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ فَعَدَا عَلَيْهِ قَالَ
عَبْدُ اللَّهِ وَغَدَوْتُ أَتْبَعُ أَثَرَهُ وَأَنْظُرُ مَا يَفْعَلُ وَأَنَا غُلَامٌ أَعْقَلُ كُلَّمَا رَأَيْتُ حَتَّى
جَاءَهُ فَقَالَ أَعْلَمْتُ يَا جَمِيلُ أَنِّي أَسْلَمْتُ وَدَخَلْتُ فِي دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ قَالَ
فَوَاللَّهِ مَا رَاجَعُهُ حَتَّى قَامَ يَجْرُ رِدَاءَهُ وَاتَّبَعَهُ عُمَرُ وَاتَّبَعْتُهُ أَنَا حَتَّى قَامَ عَلَى بَابِ
الْمَسْجِدِ وَصَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ وَهُمْ أُنْدِيئُهُمْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ أَلَا إِنَّ
ابْنَ الْخَطَّابِ قَدْ صَبَأَ .

قال يقول عُمَرُ مِنْ خَلْفِهِ: كَذَبَ وَلِكِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَشَهِدْتُ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَثَارُوا إِلَيْهِ، فَمَا بَرِحَ يُقَاتِلُونَهُ حَتَّى قَامَتْ
الشَّمْسُ عَلَى رُؤْسِهِمْ، قَالَ وَطَلَّحَ: - أَيُّ أَعْيَا - فَفَعَدَ وَقَامُوا عَلَى رَأْسِهِ، وَهُوَ

يَقُولُ افْعَلُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ فَأَحْلِفُ بِاللَّهِ أَنْ لَوْ قَدْ كُنَّا ثَلَاثِمِائَةَ رَجُلٍ لَقَدْ تَرَكْنَاهَا لَكُمْ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا لَنَا .

قال فبينما على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موسى حتى وقف عليهم، فقال ما شأنكم فقالوا صبأ عمر، قال فمعه، رجل اختار لنفسه أمراً، فماذا تريدون أترون بني عدي يسلمون لكم صاحبهم هكذا، خلوا عن الرجل .

قال فوالله لكائماً كانوا ثوباً كُشِطَ - أي كُشِفَ عنه، قال فقلت لابي - بعد أن هاجروا إلى المدينة، يَا أَبَتِ مَنْ الرَّجُلُ الَّذِي زَجَرَ الْقَوْمَ عَنْكَ بِمَكَّةَ يَوْمَ اسْلَمْتُمْ وَهُمْ يُقَاتِلُونَكَ، قال وذلك أي بني العاص بن وائل السهمي وهذا إسنادُهُ جَيِّدٌ قَوِيٌّ .

أَخْرَجَ ابْنُ سَعِيدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ التَّمِيمِيِّ، قَالَ لَمَّا اسْلَمَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخَذَهُ عَمُّهُ الْحَكْمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِي بْنِ أُمَيَّةَ فَأَوْثَقَهُ رِبَاطاً، قَالَ أُرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ آبَائِكَ إِلَى دِينٍ مُحَدَّثٍ، وَاللَّهِ لَا أَحْلِكَ أَبَدًا وَلَا أَفَارِقُهُ، فَلَمَّا رَأَى الْحَكْمُ صَلَابَتَهُ فِي دِينِهِ تَرَكَهُ .

وأخرج البخاري في التاريخ عن مسعود بن خراش رضي الله عنه قال بينما نحن بين الصفا والمروة إذا أناس كثير يتبعون شاباً موثقاً بيده في عنقه، قلت ما شأنه قالوا هذا طلحة بن عبيد الله - رضي الله عنه - صبأ وامرأة ورآه تدمدم وتسبه قلت من هذه قالوا الصمة بنت الحضرمي أمه .

وأخرج الحاكم في المستدرک عن إبراهيم بن محمد بن طلحة قال : قال لي طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه حضرت سوق بصري فإذا راهب في صومعته يقول سلوا أهل هذا الموسم أفهم واحد من أهل الحرم .

قال طلحة رضي الله عنه نعم أنا فقال هل ظهر أحمد بعد قال قلت ومن

أَحْمَدُ قَالَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ هَذَا شَهْرُهُ الَّذِي يَخْرُجُ فِيهِ وَهُوَ آخِرُ
الْأَنْبِيَاءِ مَخْرَجُهُ مِنَ الْحَرَمِ، وَمُهَاجَرُهُ إِلَى نَحْلٍ وَحَرَّةٍ وَسِبَاخٍ، فَإِيَّاكَ أَنْ تُسَبِّقَ
إِلَيْهِ .

قال طلحة فَوَقَعَ فِي قَلْبِي مَا قَالَ، فَخَرَجْتُ سَرِيعاً حَتَّى قَدِمْتُ مَكَّةَ
فَقُلْتُ هَلْ كَانَ مِنْ حَدِيثٍ قَالُوا نَعَمْ، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَمِينُ تَنَبَّأَ، وَقَدْ
تَبِعَهُ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ قَالَ فَخَرَجْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
فَقُلْتُ اتَّبَعْتَ هَذَا الرَّجُلَ قَالَ نَعَمْ فَاذْخُلْ فَأَدْخُلْ عَلَيْهِ فَاتَّبِعْهُ فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى
الْحَقِّ فَأَخْبَرَهُ طَلْحَةُ بِمَا قَالَ الرَّاهِبُ فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ بِطَلْحَةَ فَدَخَلَ بِهِ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَلَمَ طَلْحَةَ وَأَخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا قَالَ الرَّاهِبُ فَسَرَّ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا اسْتَلَمَ أَبُو بَكْرٍ وَطَلْحَةَ أَخَذَهُمَا تَوْفُلُ بْنُ خُوَيْلِدِ بْنِ
الْعَدَوِيَّةِ، فَشَدَّهُمَا فِي حَبْلِ وَاحِدٍ وَلَمْ يَمْنَعُهُمَا بَنُو تَمِيمٍ وَكَانَ تَوْفُلُ بْنُ خُوَيْلِدِ
يُدْعَى «أَسَدَ قَرِيشٍ» فَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَبُو بَكْرٍ وَطَلْحَةُ الْقَرِينَيْنِ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ
وَأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي حَدِيثِهِ، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ اكْفِنَا شَرَّ بَنِي الْعَدَوِيَّةِ .

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ قَالَ أَسْلَمَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانَ سِنِينَ، وَهَاجَرَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانَ عَشْرَةَ سَنَةً وَكَانَ عَمُّ
الزُّبَيْرِ يُعَلِّقُ الزُّبَيْرَ فِي حَصِيرٍ وَيُدَخِّنُ عَلَيْهِ بِالنَّارِ وَهُوَ يَقُولُ ارْجِعْ إِلَى الْكُفْرِ
فَيَقُولُ الزُّبَيْرُ لَا أَكْفُرُ أَبَدًا .

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ أَيْضاً عَنْ حَفْصِ بْنِ خَالِدٍ قَالَ حَدَّثَنِي شَيْخٌ قَدِمَ عَلَيْنَا
مِنَ الْمُوصِلِ قَالَ صَحَبْتُ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ
فَأَصَابَتْهُ جَنَابَةٌ بِأَرْضِ قَفْرِ فَقَالَ اسْتُرْنِي فَسَتَرْتُهُ فَحَانَتْ مِنِّي النِّفَاةُ فَرَأَيْتُهُ
مُجَدَّعاً بِالسُّيُوفِ قُلْتُ وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ بِكَ آثَاراً مَا رَأَيْتُهَا بِأَحَدٍ قَطُّ .

قَالَ وَقَدْ رَأَيْتُ ذَلِكَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ أَمَا وَاللَّهِ مَا مِنْهَا جِرَاحَةٌ إِلَّا مَعَ رَسُولِ

اللَّهُ ﷺ وفي سبيل الله، وعِنْدَ أَبِي نُعَيْمٍ عن علي بن زيد قال أَخْبَرَنِي مَنْ رَأَى الزُّبَيْرَ وَإِنَّ فِي صَدْرِهِ لَأَمْثَالَ الْعُيُونِ مِنَ الطَّعْنِ وَالرَّمْيِ .

أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وابنُ مَاجَةَ عن ابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال أولُ مَنْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ سَبْعَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعَمَّارٌ وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ وَصُهَيْبٌ وَبِلَالٌ وَالْمِقْدَادُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

فأما رسول الله ﷺ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بَعْمَهُ ، وأما أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ ، وأما سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ فَالْبَسَوْهُمْ أَذْرَعَ الْحَدِيدِ وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ فَمَا مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَقَدَّ أَتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا إِلَّا بِلَالٌ فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ أَحَدٌ أَحَدٌ .

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَانَ وَرَقَةَ بْنُ تَوْفَلٍ يَمُرُّ بِبِلَالٍ وَهُوَ يُعَذِّبُ وَهُوَ يَقُولُ أَحَدٌ أَحَدٌ فَيَقُولُ أَحَدٌ أَحَدٌ ، اللَّهُ يَا بِلَالُ ثُمَّ يُقْبِلُ وَرَقَةَ بْنُ تَوْفَلٍ عَلَى أُمِّيَّةَ ابْنِ خَلْفٍ وَهُوَ يَصْنَعُ ذَلِكَ بِبِلَالٍ فَيَقُولُ أَحْلِفْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَئِن قَتَلْتُمُوهُ عَلَى هَذِهِ لَا تَأْخُذْتُهُ حَنَانًا .

حَتَّى مَرَّ بِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ يَوْمًا وَهُمْ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ فَقَالَ لِأُمِّيَّةَ أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذَا الْمَسْكِينِ حَتَّى مَتَى قَالَ أَنْتِ أَفْسَدْتُهُ فَأَنْقِذِيهِ مِمَّا تَرَى فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ أَفْعَلْ عِنْدِي غُلَامٌ أَسْوَدٌ أَجْلَدُ مِنْهُ وَأَقْوَى عَلَى دِينِكَ أُعْطِيكَهُ بِهِ قَالَ قَدْ قَبِلْتُ قَالَ هُوَ لَكَ فَأَعْطَاهُ أَبُو بَكْرٍ غُلَامَهُ ذَلِكَ وَأَخَذَ بِلَالًا فَأَعْتَقَهُ .

ثُمَّ أَعْتَقَ مَعَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ مِنْ مَكَّةَ سِتَّ رِقَابٍ بِلَالٌ سَابِعُهُمْ . وَذَكَرَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ عَنْ ابْنِ اسْحَاقَ كَانَ أُمِّيَّةُ يُخْرِجُهُ إِذَا حَمَيْتِ الشَّمْسُ فَيَطْرَحُهُ عَلَى ظَهْرِهِ فِي بَطْحَاءِ مَكَّةَ ثُمَّ يَأْمُرُ بِالصَّخْرَةِ الْعَظِيمَةِ فَتَوْضَعُ عَلَى صَدْرِهِ ثُمَّ يَقُولُ لَا تَزَالُ هَكَذَا حَتَّى تَمُوتَ أَوْ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ وَتَعْبُدَ اللَّاتَ وَالْعُزَّى .

وَهُوَ يَقُولُ فِي ذَلِكَ الْبَلَاءِ أَحَدٌ أَحَدٌ قَالَ عَمَّارٌ بْنُ يَاسِرٍ وَهُوَ يَذْكُرُ بِلَالًا وَأَصْحَابَهُ وَمَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَاعْتَقَ أَبَا بَكْرٍ إِيَّاهُ وَكَانَ اسْمُ أَبِي بَكْرٍ عَتِيقًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا عَن بِلَالٍ وَصَحْبِهِ عَشِيَّةَ هَمَّا فِي بِلَالٍ بِسُوءَةٍ بَتَّوْحِيدِهِ رَبَّ الْأَنَامِ وَقَوْلِهِ فَإِنَّ يَقْتُلُونِي يَقْتُلُونِي فَلَمْ أَكُنْ فَيَارَبَّ إِبْرَاهِيمَ وَالْعَبْدِ يُوسَى لِمَنْ ظَلَّ يَهْوَى الْعَيَّ مِنْ آلِ غَالِبٍ

عَتِيقًا وَأَخْزَى فَكَيْهًا وَأَبَا جَهْلٍ وَلَمْ يَحْذَرَا مَا يَحْذَرُ الْمَرْءُ ذُو عَقْلٍ وَلَمْ يَحْذَرَا مَا يَحْذَرُ الْمَرْءُ ذُو عَقْلٍ لِأَشْرِكِ بِالرَّحْمَنِ مِنْ خِيفَةِ الْقَتْلِ وَمُوسَى وَعِيسَى نَجَّيْنَا ثُمَّ لَا تُبَلِّغْ عَلَى ضَرِّ بَرَكَانَ مِنْهُ وَلَا عَدْلٍ

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا وَاجْعَلِ الْإِيمَانَ لَنَا سِرَاجًا وَلَا تَجْعَلْهُ لَنَا اسْتِدْرَاجًا وَاجْعَلْهُ لَنَا سُلْمًا إِلَى جَنَّتِكَ وَلَا تَجْعَلْهُ لَنَا مَكْرًا مِنْ مَشِيئَتِكَ إِنَّكَ أَنْتَ الْحَلِيمُ الْعَفُورُ، اللَّهُمَّ الْحَقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الْأَبْرَارِ، وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصْلٌ»: أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ وَابْنُ عَسَاكِرُ عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِعَمَّارٍ وَأَهْلِهِ وَهُمْ يُعَدُّونَ فَقَالَ: أَبْشِرُوا آلَ عَمَّارٍ وَآلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ، قَالَ الْهَيْثَمِيُّ رَجُلُ الطَّبْرَانِيِّ رَجُلُ الصَّحِيحِ غَيْرِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمُقَوِّمِ وَهُوَ ثِقَةٌ .

وَأَخْرَجَ أَبُو أَحْمَدَ الْحَاكِمُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَاسِرٍ وَعَمَّارٍ وَأُمَّ عَمَّارٍ وَهُمْ يُؤَدُّونَ فِي اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ لَهُمْ: «صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ» رَوَاهُ ابْنُ الْكَلْبِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نَحْوَهُ وَزَادَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَاسِرٍ وَزَادَ وَطَعَنَ أَبُو جَهْلٍ سُمِّيَةَ فِي قَبْلِهَا فَمَاتَتْ وَمَاتَ يَاسِرٌ فِي الْعَذَابِ وَرُمِيَ عَبْدُ اللَّهِ فَسَقَطَ .

وَعِنْدَ أَحْمَدَ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ أَوَّلُ شَهِيدٍ كَانَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ اسْتُشْهِدَ أُمُّ
عَمَّارٍ سُمِّيَةَ طَعَنَهَا أَبُو جَهْلٍ بِحَرْبَةٍ فِي قَبْلِهَا وَعَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ: أَخْرَقَ
الْمَشْرُكُونَ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ بِالنَّارِ قَالَ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمُرُّ بِهِ وَيَجْرُ يَدَهُ
عَلَى رَأْسِهِ فَيَقُولُ: يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى عَمَّارٍ كَمَا كُنْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاطِنَةُ. فَقَتَلَهُ أَحَدُ الْمُقَاتِلِينَ مَعَ مُعَاوِيَةَ.

شِعْرًا: وَلَا غُرُورًا بِالْأَشْرَافِ إِنْ ظَفِرَتْ بِهِمْ كِلَابُ الْأَعَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمِي
فَحَرْبَةٌ وَخَشِي سَقَتْ حَمَزَةَ الرَّدَى وَمَوْتُ عَلِيٍّ مِنْ حُسَامِ ابْنِ مُلْجَمٍ

وَعِنْدَ الْحَاكِمِ فِي الْكُفَى وَابْنِ عَسَاكِرٍ عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَيْنَمَا
أَنَا أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْبَطْحَاءِ إِذْ بَعَمَّارٍ وَأَبِيهِ وَأُمِّهِ يُعَدُّونَ فِي الشَّمْسِ
لِيُرْتَدُوا عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ أَبُو عَمَّارٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ الذَّهْرُ هَكَذَا، فَقَالَ: «صَبْرًا
يَا آلَ يَاسِرٍ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لآلِ يَاسِرٍ وَقَدْ فَعَلْتَ».

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحَلِيَّةِ ج (١) ص (١٤٠) عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ
بْنِ عَمَّارٍ قَالَ أَخَذَ الْمَشْرُكُونَ عَمَّارًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَلَمْ يَتْرُكُوهُ حَتَّى سَبَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَذَكَرَ آلَهُتَهُمْ بِخَيْرٍ، فَلَمَّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ مَا وَرَاءَكَ
قَالَ شَرٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تُرَكَّتْ حَتَّى نَلْتُ مِنْكَ، وَذَكَرْتُ آلَهُتَهُمْ بِخَيْرٍ فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَكَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ، قَالَ أَجِدُ قَلْبِي مُطْمَئِنًّا بِالْإِيمَانِ، قَالَ:
فَإِنْ عَادُوا فَعُدُّ، وَأَخْرَجَ بَنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ نَحْوَهُ.

أَخْرَجَ بَنُ سَعْدٍ عَنْ الشَّعْبِيِّ قَالَ دَخَلَ خَبَابُ بْنُ الْآرْتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
عَلَى عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَجْلَسَهُ عَلَى مُتَكِّئِهِ فَقَالَ: مَا عَلَى الْأَرْضِ
أَحَدٌ أَحَقُّ بِهَذَا الْمَجْلِسِ مِنْ هَذَا إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ قَالَ لَهُ خَبَابُ مَنْ هُوَ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: بِلَالٌ. فَقَالَ خَبَابُ مَا هُوَ أَحَقُّ مِنِّي إِنْ بِلَالًا كَانَ لَهُ فِي
الْمَشْرُكِينَ مَنْ يَمْنَعُهُ اللَّهُ بِهِ، وَلَمْ يَكُنْ لِي أَحَدٌ يَمْنَعُنِي فَلَقَدْ رَأَيْتَنِي يَوْمًا
أَخَذُونِي فَأَوْقَدُوا لِي نَارًا، ثُمَّ سَلَقُونِي فِيهَا ثُمَّ وَضَعَ رَجُلٌ رِجْلَهُ عَلَى صَدْرِي

فَمَا اتَّقَيْتُ الْأَرْضَ أَوْ قَالَ بَرَدَ الْأَرْضِ إِلَّا بِظَهْرِي، ثُمَّ كَشَفَ عَنْ ظَهْرِهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ بَرِصَ، أَي مِنْ أَثْرِ التَّعْدِيبِ بِالنَّارِ.

وَأُخْرِجَ أَحْمَدُ عَنْ خَبَابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنْتُ رَجُلًا قَيْنًا وَكَانَ لِي عَلَى الْعَاصِ بْنِ وَاثِلٍ دَيْنٌ فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ فَقَالَ لَا وَاللَّهِ لَا أَقْضِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فَقُلْتُ لَا وَاللَّهِ لَا أَكْفُرُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ حَتَّى تَمُوتَ ثُمَّ تَبَعْتُ قَالَ فَإِنِّي إِذَا مِتُّ ثُمَّ جِئْتَنِي وَلِي ثُمَّ مَالٌ وَوَلَدٌ فَأَعْطِيكَ.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ وقال: ﴿لَا أُوْتِينَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ إلى قوله: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾، وَعِنْدَ أَبِي نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ سَأَلَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِلَالًا عَمَّا لَقِيَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ خَبَابُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ انظُرْ إِلَى ظَهْرِي فَقَالَ عُمَرُ مَا رَأَيْتَ كَالْيَوْمِ قَالَ أَوْقَدُوا لِي نَارًا فَمَا أَطْفَأَهَا إِلَّا وَدَكَ ظَهْرِي.

شِعْرًا: إِنَّ الشَّدَائِدَ قَدْ تَعَشَى الْكَرِيمَ لِأَنَّ ثُبَيْنُ فَضَلَ سَجِيَاهُ وَتَوَضَّحَهُ كَمُبَرِّدِ الْقَيْنِ إِذْ يَعْلُو الْحَدِيدَ بِهِ وَلَيْسَ يَأْكُلُهُ إِلَّا لِيُصْلِحَهُ

قَالَ عَيْسَى بْنُ مَرِيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ مُجَالَسَةً قَالُوا بلى يَا رُوحَ اللَّهِ قَالَ مَنْ تُذَكِّرُكُمْ بِاللَّهِ رُؤْيَتُهُ وَيَزِيدُكُمْ فِي عَمَلِكُمْ مَنْطِقُهُ وَيُشَوِّقُكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ عَمَلُهُ، وَقَالَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْحَوَارِيِّينَ وَيَلِكُمْ، يَا عِبِيدَ الدُّنْيَا كَيْفَ تُخَالِفُ فُرُوعَكُمْ أَصُولَكُمْ وَأَهْوَاؤَكُمْ عُقُولَكُمْ قَوْلَكُمْ شِفَاءٌ يُبْرِئُ الدَّاءَ وَفِعْلَكُمْ دَاءٌ لَا يَقْبَلُ الدَّوَاءَ لَسْتُمْ كَالْكَرَمَةِ الَّتِي حَسُنَ وَرَقُهَا وَطَابَ ثَمَرُهَا وَسَهَلَ مُرْتَقَاهَا وَلَكِنَّكُمْ كَالسَّمْرَةِ الَّتِي قَلَّ وَرَقُهَا وَكَثُرَ شَوْكُهَا وَصَعَبَ مُرْتَقَاهَا.

وَيَلِكُمْ يَا عِبِيدَ الدُّنْيَا جَعَلْتُمْ الْعَمَلَ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ مَنْ شَاءَ أَخَذَهُ وَجَعَلْتُمْ الدُّنْيَا فَوْقَ رُؤْسِكُمْ لَا يُمَكِّنُ تَنَاوُلِهَا فَلَا أَنْتُمْ عِبِيدٌ نُصَحَا وَلَا أَحْرَارٌ كِرَامٌ وَيَلِكُمْ يَا أَجْرَاءَ السُّوءِ الْأَجْرُ تَأْخُذُونَ وَالْعَمَلُ تُفْسِدُونَ سَوْفَ تَلْقَوْنَ مَا

تَحذَرُونَ إِذَا نَظَرَ رَبُّ الْعَمَلِ فِي عَمَلِهِ الَّذِي أَفْسَدْتُمْ وَأَجْرَهُ الَّذِي أَخَذْتُمْ .

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِتَّخِذُوا الْمَسَاجِدَ بُيُوتًا وَالْبُيُوتَ مَنَازِلَ وَكُلُوا بَقَلِ الْبَرِيَّةِ
وَاشْرَبُوا الْمَاءَ الْفَرَّاحَ وَانْجُوا مِنَ الدُّنْيَا سَالِمِينَ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْحَوَارِيِّينَ لَا
تَنْظُرُوا فِي أَعْمَالِ النَّاسِ كَأَنَّكُمْ أَرْبَابٌ وَانظُرُوا فِي أَعْمَالِكُمْ كَأَنَّكُمْ عَبِيدٌ فَإِنَّمَا
النَّاسُ رَجُلَانِ مُبْتَلِيٍّ وَمَعَاوِي فَارْحَمُوا أَهْلَ الْبَلَاءِ وَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى الْعَافِيَةِ ،
وَقَالَ : عَجَبًا لَكُمْ تَعْمَلُونَ لِلدُّنْيَا وَأَنْتُمْ تَرْزُقُونَ فِيهَا بِلا عَمَلٍ وَلَا تَعْمَلُونَ
لِلْآخِرَةِ وَأَنْتُمْ لَا تُرْزُقُونَ فِيهَا بِلا عَمَلٍ .

اللَّهُمَّ سَلِّمْنا مِنْ جَمِيعِ الْآفَاتِ وَعَافِنَا مِنْ أَسْبَابِ الْمَحَنِ وَالْبَلِيَّاتِ وَوَفِّقْنَا
لِلْعَمَلِ بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وَارْفَعْ لَنَا فِي مَرْضَاتِكَ الدَّرَجَاتِ وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى
وَجْهِكَ الْكَرِيمِ فِي فَسِيحِ الْجَنَّاتِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، اللَّهُمَّ يَا مَنْ
لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْعَفْلَةِ وَنَبِّهْنَا لِإِعْتِنَامِ أَوْقَاتِ
الْمُهَلَّةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ
ضَمَائِرُنَا وَأَكْتَنَّهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعَلَّمَهَا مِنَّا ، وَامْنُنْ
عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا عَنَّا كُلَّ ذَنْبٍ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصَلِّ : أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ
مَبْعَثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِأَخِيهِ ارْكَبْ إِلَيَّ هَذَا الْوَادِي فَأَعْلَمَ عِلْمَ هَذَا
الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْخَيْرُ مِنَ السَّمَاءِ وَاسْمَعُ قَوْلَهُ ثُمَّ إِتْبَنِي ،
فَانْطَلَقَ الْأَخُ حَتَّى قَدِمَهُ وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ لَهُ رَأَيْتَهُ ،
يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَكَلَامًا مَا هُوَ بِالشَّعْرِ فَقَالَ شَفَيْتَنِي مِمَّا أَرَدْتُ .

فَتَزَوَّدَ حِمْلَ شَنَّةٍ فِيهَا مَاءٌ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ فَأَتَى الْمَسْجِدَ فَالْتَمَسَ النَّبِيَّ
ﷺ وَلَا يَعْرِفُهُ وَكِرِهَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ حَتَّى أَذْرَكَهُ بَعْضُ اللَّيْلِ اضْطَجَعَ فَرَأَاهُ عَلِيٌّ

رضي الله عنه فَعَرَفَ أَنَّهُ غَرِيبٌ فَلَمَّا رَأَاهُ تَبِعَهُ فَلَمْ يَسْأَلْ وَاحِدًا مِنْهُمَا صَاحِبَهُ
عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَصْبَحَ .

ثُمَّ احْتَمَلَ قَرْبَتَهُ وَزَادَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَظَلَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَلَا يَرَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
حَتَّى أَمْسَى، فَعَادَ إِلَى مَضْجَعِهِ، فَمَرَّ بِهِ عَلِيٌّ فَقَالَ أَمَا أَنْ لِّلرَّجُلِ أَنْ يَعْلَمَ
مَنْزِلَهُ، فَأَقَامَهُ، فَذَهَبَ بِهِ مَعَهُ، لَا يَسْأَلُ وَاحِدًا مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ، حَتَّى
إِذَا كَانَ يَوْمُ الثَّلَاثِ، فَعَادَ عَلِيٌّ ذَلِكَ فَأَقَامَ مَعَهُ .

ثُمَّ قَالَ أَلَا تُحَدِّثُنِي مَا الَّذِي أَقَدَمَكَ قَالَ إِنْ أُعْطِيتُنِي عَهْدًا وَمِيثَاقًا
لَتُرْشِدَنِي فَعَلْتُ فَفَعَلْتُ، فَأَخْبَرَهُ قَالَ فَإِنَّهُ حَقٌّ وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
أَصْبَحَتْ فَاتَّبَعَنِي فَأَيْتِي إِنْ رَأَيْتُ شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْكَ قُمْتُ كَأَنِّي أُرِيقُ الْمَاءَ فَإِنْ
مَضَيْتُ فَاتَّبَعَنِي حَتَّى تَدْخُلَ مَدْخَلِي فَفَعَلْتُ، فَانْطَلَقَ يَقْفُوهُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ وَدَخَلَ مَعَهُ فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ إِرْجِعْ
إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيكَ أَمْرِي .

قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُصْرَخَنَّ بِهَا بَيْنَ ظُهُرَانِهِمْ، فَحَرَجَ حَتَّى أَتَى
الْمَسْجِدَ فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ
قَامَ الْقَوْمُ فَضْرَبُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ، وَأَتَى الْعَبَّاسَ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَالَ: وَيْلَكُمْ
أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَّارٍ وَأَنَّ طَرِيقَ تِجَارَتِكُمْ إِلَى الشَّامِ فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ .

ثُمَّ عَادَ مِنَ الْغَدِ بِمِثْلِهَا، فَضْرَبُوهُ وَتَارُوا إِلَيْهِ فَأَكَبَّ الْعَبَّاسُ عَلَيْهِ وَعِنْدَ
الْبُخَارِيِّ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ،
إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَقَالُوا قَوْمُوا إِلَى
هَذَا الصَّابِيءِ فَقَامُوا فَضْرَبْتُمْ لِأَمُوتَ .

فَأَذْرَكْنِي الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ وَيْلَكُمْ تَقْتُلُونَ رَجُلًا
مِنْ غِفَّارٍ وَمَنْجُرُكُمْ وَمَمْرُكُمْ عَلَى غِفَّارٍ فَأَقْلَعُوا عَنِّي .

فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحْتُ الْعَدَّ رَجَعْتُ فَقُلْتُ مِثْلَ مَا قُلْتُ بِالْأَمْسِ ، فَقَالُوا قُومُوا
إِلَى هَذَا الصَّابِيءِ فَصَنَعَ بِي مِثْلَ مَا صَنَعَ بِالْأَمْسِ فَأَذْرَكَنِي الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ
وَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ بِالْأَمْسِ .

شِعْرًا : طَالَعُ تَوَارِيخُ مَنْ فِي الدَّهْرِ قَدْ وَجِدُوا
تَجِدُ أَكْبَرَهُمْ قَدْ جُرُّعُوا غُصَصًا
عَزَلٌ وَنَهَبٌ وَضَرْبٌ بِالسَّيَاطِ يَلِي
وَإِنْ وُقِيَتْ بِحَمْدِ اللَّهِ شَرَّتْهُمْ
آخِرُ : وَلَا يَلْبَثُ الْجُهَّالُ أَنْ يَتَهَطَّمُوا
آخِرُ : وَمَنْ يَحْلَمَ وَلَيْسَ لَهُ سَفِيهَةٌ
آخِرُ : مَا إِنْ نَمَى عَنْكَ قَوْمًا قُرْبُهُمْ ضَرَّرَ
آخِرُ : تَعُدُّ الذُّنَابَ عَلَى مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ

وفي الحديث الذي أخرجه مسلم يقول أبو ذر فرماني الناس حتى كأني
نصب أحمر فاخترت بين الكعبة واستارها ولبثت فيها خمس عشرة من يوم
وليلة ما لي طعام ولا شراب إلا ماء زمزم .

قَالَ وَلَقِينَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَدْ دَخَلَا
الْمَسْجِدَ فَوَاللَّهِ أَنِّي لَأَوَّلُ النَّاسِ حَيَاهُ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ فَقُلْتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، مَنْ أَنْتَ فَقُلْتُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي
غِفَارٍ فَقَالَ صَاحِبُهُ ائْذَنْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي ضِيَافَةِ اللَّيْلِ ، فَاذْطَلَقَ بِي إِلَى دَارٍ
فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ فَقَبَضَ لِي قَبْضَاتٍ مِنْ زَيْبٍ ، قَالَ فَقَدِمْتُ عَلَى أَخِي فَأَخْبَرْتُهُ
أَنِّي أَسْلَمْتُ قَالَ فَأَنِّي عَلَى دِينِكَ ، فَاذْطَلَقْنَا إِلَى أُمَّنَا فَقَالَتْ إِنِّي عَلَى دِينِكُمْ ،
قَالَ وَأَتَيْتُ قَوْمِي فَدَعَوْتُهُمْ فَتَبِعَنِي بَعْضُهُمْ .

وأخرجه الطبراني وأبو نعيم في الحلية من طريق ابن عباس رضي الله
عنهما عن أبي ذر رضي الله عنه قال أقمت مع رسول الله ﷺ بمكة فعلمني

الإسلامَ وقرأتُ من القرآنِ شيئاً فقلتُ يا رسولَ الله إنِّي أريدُ أن أظهرَ ديني فقال رسولُ الله ﷺ إنِّي أخافُ عليك أن تُقتلَ قلتُ لا بدَّ منه وإن قُتلتُ قال فسكتَ عني فجئتُ وقریشُ حلقاً يتحدثونَ في المسجدِ فقلتُ: أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأن محمداً رسولُ الله .

فانتفضتِ الحلقُ فقاموا فضربوني حتى تركوني كأنني نُصبٌ أحمرٌ، وكانوا يرونَ أنهم قد قتلوني، فأفقتُ فجئتُ إلى رسولِ الله ﷺ، فرأى ما بي من الحالِ، فقال ألمَ أنهكُ، فقلتُ يا رسولَ الله كانتِ حاجةٌ في نفسي فقضيتها، فأقمتُ مع رسولِ الله ﷺ، فقال الحقُّ بقومكُ فإذا بلغكُ ظهوري فأتني .

وعن أبي ذرٍ رضيَ اللهُ عنه قال أتيتُ مكةَ فمالَ عليَّ أهلُ الواديِّ بكلِ مدرّةٍ، وعظُمَ فخررتُ معشياً عليَّ، فازتفعتُ حينَ ارتفعتُ كأنني نُصبٌ أحمرٌ .

شِعْراً: تَسْطُوا الْكِلَابُ عَلَى أُسْدِ الشَّرَّاسَفَهَا والبازُ الأشهبُ يخشى صولةَ الحجلِ
والقرْدُ يضحكُ من نمرِ علي هُزءٍ والكلبُ يوعدُ لئث الغيلِ بالغيلِ
آخر: وإني لأستبقي إمرأ السوءِ عدَّةً لعدوةِ عريضٍ من القومِ جانبِ
أخافُ كلابَ الأبعدينَ وهَرشها إذا لم تُهارشها كلابُ الأقاربِ

«موعظة»: عِبَادَ اللهِ تَزَوَّدُوا لِلرَّحِيلِ، فَقَدْ دَنَتْ الْأَجَالُ واجتهدوا واستعدوا لِلرَّحِيلِ فَقَدْ قَرَّبَ الْارْتِحَالَ وَمَهَّدُوا لِأَنْفُسِكُمْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنْتُ بِالْفِرَاقِ وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَشْرَفَتْ لِلتَّلَاقِ فَتَزَوَّدُوا مِنْ دَارِ الْإِنْتِقَالِ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ .

واستشعروا التَّقْوَى فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَأَحْذَرُوا التَّفَاخَرَ وَالتَّكَاثُرَ فِي الدُّنْيَا بِجَمْعِ الحُطَامِ وَاكتِسَابِ الْآثَامِ وَإِيَّاكُمْ وَالْاغْتِرَارَ بِالْأَمَالِ فَوَرَاءَكُمْ الْمَقَابِرُ ذَاتُ الْوَحْشَةِ وَالْهُمُومِ وَالْغُمُومِ وَالْكَرْبَاتِ وَتَضَائِقِ الْأَنْفَاسِ وَالْأَهْوَالِ الْمُفْضِعَاتِ .

فَسَوْفَ تَرَوْنَ مَا لَمْ يَكُنْ لَكُمْ فِي حِسَابِ إِذَا تُؤَدِّتُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ حُفَاةً
عُرَاةً غُرْلًا مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِيِ وَتَعَلَّقُ الْمَظْلُومُونَ بِالظَّالِمِينَ وَوَقَفْتُمْ بَيْنَ يَدَيِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحَلَّ بِكُمْ كَرْبُ الْمَقَامِ وَاشْتَدَّ بِالْحَلْقِ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الرَّحَامُ
وَأُخِذَ الْمَجْرِمُونَ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ وَبَرَزَتْ جَهَنَّمُ تُقَادُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ
كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْهَرُونَهَا وَالْحَزَنَةُ حَوْلَهَا غِلَاطٌ شِدَادًا .

وَيُنَادِي عِنْدَ ذَلِكَ الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ الْجَبَّارُ فَيَقُولُ هَلْ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ
مَزِيدٍ هُنَالِكَ يَنْخَلِعُ قَلْبُكَ وَتَتَذَكَّرُ مَا فَرَطْتَ فِيهِ مِنَ الْأَوْقَاتِ وَتَتَذَمَّرُ وَلَا ت
سَاعَةً مَنِيْمًا وَتَتَمَنَّى أَنْ لَوْ زِيدَ فِي الْحَسَنَاتِ وَخُفِفَ مِنَ السَّيِّئَاتِ وَلَكِنْ أَتَى
لَكَ بِهَذَا وَهِيَ هَاتِ ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ
الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتُرُونَ ﴾ .

اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِلْإِسْتِعَادِ لِمَا أَمَانَا، اللَّهُمَّ وَقَوِي إِيمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ
وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا وَاشْرَحْ
صُدُورَنَا وَوَفِّقْنَا لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ وَالْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ، اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِصَالِحِ
الْأَعْمَالِ، وَنَجِّنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ، وَأَمْنَا مِنَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الزُّحْفِ
وَالرِّزَالِ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

«فَصَلِّ» : مَا أَصَابَ سَعِيدَ بْنِ زَيْدٍ وَزَوْجَتَهُ فَاطِمَةَ أُخْتُ عُمَرَ أَخْرَجَ ابْنُ
سَعْدٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ رَضِيٍّ أَنَّ اللَّهَ عَنَّهُ قَالَ خَرَجَ عُمَرُ مُتَقَلِّدًا السَّيْفَ فَلَقِيَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي
زُهْرَةَ قَالَ أَيْنَ نَعْمِدُ يَا عُمَرُ فَقَالَ إِرِيدُ أَنْ أَقْتَلَ مُحَمَّدًا قَالَ وَكَيْفَ تَأْمَنُ مِنْ بَنِي
هَاشِمٍ وَبَنِي زُهْرَةَ إِذَا قَتَلْتَ مُحَمَّدًا قَالَ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ مَا أَرَاكَ إِلا قَدْ صَبَّأْتَ
وَتَرَكْتَ دِينَكَ الَّذِي كُنْتَ عَلَيْهِ فَقَالَ أَفْلا أَدُلُّكَ عَلَى مَا هُوَ أَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ
قَالَ وَمَا هُوَ قَالَ أُحْتِكَ وَخَتُّكَ قَدْ صَبَّوْا وَتَرَكَ دِينَكَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ .

قال فَمَشِيَ عُمَرُ ذَا مِرًا حَتَّى أَتَاهُمَا وَعِنْدَهُمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ يُقَالُ
حَبَابُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ فَسَمِعَ حَبَابُ حِسَّ عُمَرَ فَتَوَارَى فَدَخَلَ عَلَيْهِمَا فَقَالَ
مَا هَذِهِ الْهَيْمَنَةُ الَّتِي سَمِعْتُهَا عِنْدَكُمْ قَالَ وَكَانُوا يَقْرَأُونَ (طَه) فَقَالَا مَا عَدَا
حَدِيثًا تَحَدَّثْنَاهُ بَيْنَنَا قَالَ فَلَعَلَّكُمْ قَدْ صَبَوْتُمَا .

قال فقال لَهُ خَتْنُهُ أَرَأَيْتَ يَا عُمَرُ إِنْ كَانَ الْحَقُّ فِي غَيْرِ دِينِكَ فَوَثَبَ عُمَرُ
عَلَى خَتْنِهِ فَوَطَأَهُ وَطَأً شَدِيدًا فَجَاءَتْ أُخْتُهُ فَدَفَعَتْهُ عَنْ زَوْجِهَا فَتَمَحَّهَا بِيَدِهِ -
أَي لَطَمَهَا - فَدَمَى وَجْهَهَا فَقَالَتْ وَهِيَ غَضْبَى يَا عُمَرُ إِنْ كَانَ الْحَقُّ فِي غَيْرِ
دِينِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ .

فَلَمَّا بَيَّسَ عُمَرُ قَالَ أَعْطُونِي الْكِتَابَ هَذَا الَّذِي عِنْدَكُمْ فَأَقْرَأَهُ قَالَ وَكَانَ
عُمَرُ يَقْرَأُ الْكُتُبَ فَقَالَتْ أُخْتُهُ: إِنَّكَ رَجِسٌ وَلَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ فَانْتَسَلُ
وَتَوَضَّأَ قَالَ فَقَامَ وَتَوَضَّأَ ثُمَّ أَخَذَ الْكِتَابَ فَقَرَأَ طَهَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَنْبِي
أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ قال فقال عُمَرُ دُلُونِي عَلَى
مُحَمَّدٍ فَلَمَّا سَمِعَ حَبَابُ قَوْلَ عُمَرَ خَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ فَقَالَ أَبْشِرْ يَا عُمَرُ فَإِنِّي
أَرْجُو أَنْ تَكُونَ دَعْوَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَكَ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ .

اللَّهُمَّ اعِزَّ الْإِسْلَامَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ هِشَامٍ قَالَ وَرَسُولَ اللَّهِ
ﷺ فِي الدَّارِ الَّتِي فِي أَصْلِ الصَّفَا فَاَنْطَلَقَ عُمَرُ حَتَّى أَتَى الدَّارَ .

قال وعلى باب الدارِ حَمَزَةٌ وَطَلْحَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَأَنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا رَأَى حَمَزَةَ وَجَلَ الْقَوْمُ مِنْ عُمَرَ قَالَ حَمَزَةُ: نَعَمْ فَهَذَا
عُمَرُ فَإِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِعُمَرَ خَيْرًا يُسَلِّمِ وَيَتَّبِعِ النَّبِيَّ ﷺ وَإِنْ يُرِدِ اللَّهُ غَيْرَ ذَلِكَ يَكُنْ
قَتْلُهُ عَلَيْنَا هِينًا .

قال ورسول الله ﷺ دَاخِلٌ يُوحِي إِلَيْهِ قَالَ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى
أَتَى عُمَرَ فَأَخَذَ بِمَجَامِعِ ثَوْبِهِ وَحَمَائِلِ السَّيْفِ وَقَالَ مَا أَنْتَ بِمُنْتَهٍ يَا عُمَرُ حَتَّى

يُنزِلُ اللهُ بِكَ مِنَ الْخَزْيِ وَالنُّكَالِ مَا أَنْزَلَ بِالْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةَ اللَّهُمَّ هَذَا عُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابِ اللَّهُمَّ أَعَزِّ الدِّينَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ فَقَالَ عُمَرُ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ
فَأَسْلَمَ وَقَالَ أَخْرُجْ يَا رَسُولَ اللهِ .

أَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ عَنْ عُثْمَانَ قَالَ لَمَّا رَأَى ابْنَ مُطْعَمٍ رَضِيَ اللهُ
عَنْهُ مَا فِيهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْبَلَاءِ وَهُوَ يَعْدُو وَيُرُوْحُ فِي أَمَانٍ مِنَ
الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةَ ، قَالَ وَاللَّهِ إِنْ غَدَوِي وَرَوَّاجِي آمِنًا بِجَوَارِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ
الشِّرْكِ وَأَصْحَابِي وَأَهْلُ دِينِي يَلْقَوْنَ مِنَ الْأَذَى وَالْبَلَاءِ مَا لَا يُصِيبُنِي لِنَقْصِ
كَبِيرٍ فِي نَفْسِي .

فَمَشَى إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةَ فَقَالَ لَهُ يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ وَفَتْ ذِمَّتُكَ قَدْ
رَدَدْتُ إِلَيْكَ جِوَارِكَ قَالَ لِمَ يَا ابْنَ أَخِي لَعَلَّهُ آذَاكَ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِي قَالَ لَا وَلَكِنِّي
أَرْضَى بِجَوَارِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا أُرِيدُ أَنْ أُسْتَجِيرَ بِغَيْرِهِ قَالَ فَاذْهَبْ إِلَى الْمَسْجِدِ
فَارْذُدْ عَلَيَّ جِوَارِي عَلَانِيَةً كَمَا أَجْرْتُكَ عَلَانِيَةً .

قَالَ فَاذْهَبْ ثُمَّ خَرَجَا حَتَّى أَتَيَا الْمَسْجِدَ فَقَالَ لَهُمُ الْوَلِيدُ هَذَا عُثْمَانُ رَضِيَ
اللهُ عَنْهُ قَدْ جَاءَ يَرُدُّ عَلَيَّ جِوَارِي قَالَ لَهُمْ قَدْ صَدَقَ قَدْ وَجَدْتُهُ وَفِيًّا كَرِيمًا
الْجِوَارِ وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ لَا أُسْتَجِيرَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِ جِوَارَهُ .

ثُمَّ انْصَرَفَ عُثْمَانُ وَلَيْدُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنُ مَالِكِ بْنِ كِلَابِ الْقَيْسِيِّ فِي
الْمَجْلِسِ مِنْ قُرَيْشٍ يُنْشِدُهُمْ فَجَلَسَ مَعَهُمْ عُثْمَانُ فَقَالَ لَيْدُ وَهُوَ يُنْشِدُهُمْ : الْإِ
كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهُ بَاطِلٌ .

فَقَالَ عُثْمَانُ صَدَقْتَ فَقَالَ : وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ ، فَقَالَ عُمَرُ كَذَبْتَ
نَعِيمُ الْجَنَّةِ لَا يَزُولُ قَالَ لَيْدُ بْنُ رَبِيعَةَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشِ وَاللَّهِ مَا كَانَ يُؤْذِي
جَلِيسُكُمْ فَمَتَى حَدَّثَ فِيكُمْ هَذَا فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ إِنَّ هَذَا سَفِيهٌ فِي سَفَهَاءِ
مَعَهُ قَدْ فَارَقُوا دِينَنَا فَلَا تَجِدَنَّ فِي نَفْسِكَ مِنْ قَوْلِهِ فَرْدٌ عَلَيْهِ عُثْمَانُ حَتَّى

سَرَى - أَيَّ عَظْمٍ أَمْرُهُمَا فَفَقَامَ إِلَيْهِ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَلَطَمَ عَيْنَهُ فَحَظَرَهَا وَالْوَلِيدُ ابْنُ
الْمُعَيَّرَةِ قَرِيبٌ يَرَى مَا بَلَغَ مِنْ عُثْمَانَ .

فَقَالَ أَمَا وَاللَّهِ يَا ابْنَ أُخِي إِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ عَمَّا أَصَابَهَا لَعْنِيَّةٌ لَقَدْ كُنْتُ فِي
ذِمَّةٍ مَنِيعَةٍ فَقَالَ عُثْمَانُ بَلَى وَاللَّهِ إِنْ عَيْنِي الصَّحِيحَةُ لَفَقِيرَةٌ إِلَى مَا أَصَابَ أُخْتَهَا
فِي اللَّهِ وَإِنِّي لَفِي جَوَارٍ مَنْ هُوَ أَعَزُّ مِنْكَ وَأَقْدَرُ يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ ، وَقَالَ عُثْمَانُ
ابْنُ مَظْعُونٍ فِيمَا أَصِيبَ مِنْ عَيْنِهِ :

شِعْرًا: فَإِنْ تَكَ عَيْنِي فِي رَضَى اللَّهِ نَالَهَا يَدَا مُلْحِدٍ فِي الدِّينِ لَيْسَ بِمُهْتَدٍ
فَقَدْ عَوَّضَ الرَّحْمَنُ مِنْهَا ثَوَابَهُ وَمَنْ يُرْضِهِ الرَّحْمَنُ يَأْقَوْمُ يَسْعَدُ
فَأِنِّي وَقَدْ قَلْتُمْ غَوِي مُظَلَّلٌ سَفِيهَةٌ عَلَى دِينِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ
أُرِيدُ بِذَلِكَ الْحَقَّ وَالْحَقُّ دِينُنَا عَلَى رَغِمِ مَنْ يَبْغِي عَلَيْنَا وَيَعْتَدِي

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلَايَتَنَا وَتَسْمَعُ كَلَامَنَا وَتَرَى مَكَانَنَا لَا يَخْفَى
عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَحْنُ الْبُؤْسَاءُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ الْمُسْتَغِيثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ بِكَ
نَسْأَلُكَ أَنْ تُقَيِّطَ لِدِينِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيُزِيلُ مَا حَدَّثَ مِنَ الْبَدْعِ وَالْمُنْكَرَاتِ
وَيُقِيمَ عِلْمَ الْجِهَادِ وَيَقْتَمِعَ أَهْلَ الزَّيْغِ وَالْكَفْرِ وَالْعِبَادِ اللَّهُمَّ الْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَوَفَّقْنَا
لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ وَبَارِكْ لَنَا فِي الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ وَلَا تَفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ يَا خَيْرَ
مَنْ دَعَا دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ يَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ وَمُجِيبَ الدَّعَوَاتِ هَبْ
لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَّيْنَاهُ يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا
فِي ضَمَائِرِ الصَّامِتِينَ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ،
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصْلٌ»: أَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ عَنِ مُحَمَّدِ الْعَبْدَرِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَانَ
مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ فَنَى مَكَّةَ شَبَابًا وَجَمَالًا وَكَانَ أَبَوَاهُ يُحِبَّانِهِ وَكَانَتْ أُمُّهُ مَلِيئَةً -
أَيَّ غَنِيَّةً كَثِيرَةً الْمَالِ - تَكْسُوهُ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الثِّيَابِ ، وَأَرْفَهُ ، وَكَانَ
اعْطَرَ أَهْلَ مَكَّةَ ، يَلْبَسُ الْحَضْرَمِيِّ مِنَ النِّعَالِ ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُهُ

وَيَقُولُ ، مَا رَأَيْتُ بِمَكَّةَ أَحْسَنَ لِمَّةً ، وَلَا أَرْقَ حُلَّةً ، وَلَا أَنْعَمَ نِعْمَةً مِنْ مُصْعَبِ
ابنِ عُمَيْرٍ .

فَبَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ فِي دَارِ أَرْقَمَ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ
فَأَسْلَمَ ، وَصَدَّقَ بِهِ ، وَخَرَجَ فَكْتَمَ إِسْلَامَهُ ، خَوْفًا مِنْ أُمَّهِ وَقَوْمِهِ ، فَكَانَ يَخْتَلِفُ
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِرًّا ، فَبَصَرَ بِهِ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ يُصَلِّي فَأَخْبَرَ أُمَّهُ وَقَوْمَهُ ،
فَأَخَذُوهُ فَحَبَسُوهُ فَلَمْ يَزَلْ مَحْبُوسًا ، حَتَّى خَرَجَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فِي الْهَجْرَةِ
الْأُولَى ، ثُمَّ رَجَعَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ حِينَ رَجَعُوا ، فَرَجَعَ مُتَغَيِّرَ الْحَالِ قَدْ خَرَجَ فَكَفَّتْ
أُمُّهُ عَنْهُ مِنَ الْعَدْلِ .

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
إِلَى مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُقْبِلًا عَلَيْهِ إِهَابٌ كَبَشٍ - أَي جِلْدٌ كَبَشٍ -
(قَدْ تَمَنَّقَ بِهِ) - أَي شَدَّهُ فِي وَسْطِهِ ، فَقَالَ « أَنْظِرُوا إِلَى هَذَا الَّذِي نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ
وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ بَيْنَ أَبَوَيْنِ يَغْدُوَانِهِ بِأَطْيَبِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَلَيْهِ حُلَّةً
شَرَاهَا - أَوْ شُرَيْتَ - بِمِائَةِ دِرْهَمٍ فَدَعَاهُ حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى مَا تَرَوْنَ .

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنُهُ أَبُو يَعْلَى وَابْنُ رَاهُوَيْهَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
قَالَ خَرَجْتُ فِي غَدَاةٍ شَاتِيَةٍ مِنْ بَيْتِي جَائِعًا حَرَصًا قَدْ أَذْلَقَنِي الْبَرْدُ ، فَأَخَذْتُ
إِهَابًا مَعْطُونًا كَانَ عِنْدَنَا فَجَبَّئْتُهُ .

ثُمَّ أَذْخَلْتُهُ فِي عُنُقِي ثُمَّ حَزَمْتُهُ عَلَى صَدْرِي أَسْتَدْفِيءُ بِهِ ، فَوَاللَّهِ مَا فِي بَيْتِي
شَيْءٌ آكَلُ مِنْهُ ، وَلَوْ كَانَ فِي بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ لَبَلَّغَنِي ، فَخَرَجْتُ فِي بَعْضِ
نَوَاحِي الْمَدِينَةِ ، فَاطْلَعْتُ إِلَى يَهُودِيٍّ فِي حَائِطٍ مِنْ ثَعْرَةَ جِدَارِهِ ، فَقَالَ مَالِكُ
يَا عَرَابِي هَلْ لَكَ فِي كُلِّ دَلْوٍ بَتْمَرَةٌ ، فَقُلْتُ نَعَمْ فَافْتَحَ الْحَائِطَ فَفَتَحَ لِي
فَدَخَلْتُ أَنْزِعُ دَلْوًا وَيُعْطِينِي تَمْرَةً حَتَّى امْتَلَأَتْ كَفِّي ، قُلْتُ حَسْبِي مِنْكَ
الآن .

ثُمَّ جِئْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ فِي الْمَسْجِدِ، وَهُوَ فِي عِصَابَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَاطَّلَعَ عَلَيْنَا مِصْعَبُ ابْنِ عُمَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بُرْدَةٍ لَهُ مَرْقُوعَةٍ، فَلَمَّا رَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ التَّعِيمِ وَرَأَى حَالَهُ الَّذِي هُوَ عَلَيْهَا فَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَبَكَى ثُمَّ قَالَ كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا غَدَا أَحَدُكُمْ فِي حُلَّةٍ وَرَاحَ فِي أُخْرَى، وَسُتِرَتْ بُيُوتِكُمْ كَمَا تُسْتَرُّ الْكَعْبَةُ فَلَنَا نَحْنُ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ نُكْفَى الْمَوْتَةَ، وَتَتَفَرَّغُ لِلْعِبَادَةِ، قَالَ بَلْ أَنْتُمْ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْكُمْ يَوْمَئِذٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

اللَّهُمَّ انظُمْنَا فِي سِلْكِ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ أَعَدَدْتَ لَهُمْ فَسِيحَ جَنَاتِكَ، وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ أَمَانِكَ وَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَايَا وَأَجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهَبَاتِكَ وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصَلِّ»: قِصَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُدَافَةَ السَّهْمِيِّ مَعَ مَلِكِ الْفُرْسِ مَشْهُورَةٌ وَذَلِكَ أَنَّهُ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ حِينَ عَزَمَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَبْعَثَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ بِكُتُبٍ إِلَى مُلُوكِ الْأَعَاجِمِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ.

وَلَقَدْ كَانَ ﷺ يُقَدِّرُ حُطُورَةَ هَذِهِ الْمُهْمَةِ فَهَؤُلَاءِ الرُّسُلُ سَيِّدُهُونَ إِلَى بِلَادٍ نَائِيَةٍ لَاعْهَدَ لَهُمْ بِهَا مِنْ قَبْلُ، يَجْهَلُونَ لُغَاتِهِمْ وَلَا يَعْرِفُونَ شَيْئًا عَنِ أَخْلَاقِ مُلُوكِهِمْ، ثُمَّ إِنَّهُمْ سَيِّدَعُونَ هَؤُلَاءِ إِلَى تَرْكِ مَا عَلَيْهِ آبَاؤُهُمْ وَالذُّحُولِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ الَّذِي هُوَ ضِدُّ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِلْحَادِ وَالْكُفْرِ.

إِنَّهَا رِحْلَةٌ حَاطِرَةٌ الذَّاهِبُ إِلَيْهَا مَفْقُودٌ، وَالْعَائِدُ مِنْهَا مَوْلُودٌ، لِذَلِكَ جَمَعَ الْمُصْطَفَى ﷺ أَصْحَابَهُ وَقَامَ فِيهِمْ حَاطِرًا، فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَتَشَهَّدَ ثُمَّ

قَالَ أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُبْعَثَ بَعْضَكُمْ إِلَى مُلُوكِ الْأَعَاجِمِ، فَلَا تَحْتَلِفُوا عَلَيَّ، كَمَا اخْتَلَفْتُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ.

فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَحْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ نُؤَدِي عَنكَ مَا تُرِيدُ، فَأُبْعَثْنَا حَيْثُ شِئْتَ، انْتَدَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سِتَّةً مِنَ الصَّحَابَةِ لِيَحْمِلُوا كُتُبَهُ إِلَى مُلُوكِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، وَكَانَ أَحَدُ هَؤُلَاءِ السِّتَةِ، عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ حُدَافَةَ السَّهْمِيُّ، اخْتَارَهُ لِيَحْمِلَ رِسَالَتَهُ إِلَى كِسْرَى مَلِكِ الْفُرْسِ.

فَجَهَّزَ عَبْدُ اللَّهِ رَاحِلَتَهُ وَوَدَّعَ أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ، وَمَضَى إِلَى غَايَتِهِ تَرْفَعُهُ النَّجَادُ وَتَحْطُهُ الْوَهَادِ، حَتَّى دِيَارَ فَارِسَ، فَاسْتَأْذَنَ بِالْدُخُولِ عَلَى مَلِكِهَا، وَأَخْطَرَ أَعْوَانَ الْمَلِكِ بِالرِّسَالَةِ الَّتِي يَحْمِلُهَا بِيَأْتِهَا ذَاتُ اهْتِمَامٍ.

عِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ كِسْرَى بِإِيْوَانِهِ فَرَّيْنِ، وَدَعَا عُظَمَاءَ فَارِسَ لِحُضُورِ مَجْلِسِهِ، فَحَضَرُوا، ثُمَّ أَذِنَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُدَافَةَ بِالْدُخُولِ، فَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُدَافَةَ عَلَى سَيِّدِ فَارِسَ، مُشْتَمِلًا شَمَلَتَهُ، مُرْتَدِيًا عَبَاءَتَهُ الصَّفِيْقَةَ، عَلَيْهِ بَسَاطَةُ الْأَعْرَابِ.

لَكِنَّهُ عَالِي الْهَامَةِ، مَشْدُودَ الْقَامَةِ، تَأَجَّجُ بَيْنَ جَوَانِحِهِ عِزَّةُ الْإِسْلَامِ فَلَمَّا رَأَاهُ كِسْرَى مُقْبِلًا أَشَارَ إِلَى أَحَدِ رِجَالِهِ بِأَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ الْكِتَابَ.

فَقَالَ لَا: إِنَّمَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَدْفَعَهُ لَكَ يَدًا بِيَدٍ، لَا أُخَالِفُ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ كِسْرَى لِرِجَالِهِ أَتْرَكُوهُ يَدُوثُ مِنِّي، فَذَنَا مِنْ كِسْرَى، فَنَآوَلَهُ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ.

ثُمَّ دَعَا كِسْرَى كَاتِبًا عَرَبِيًّا مِنْ أَهْلِ الْحِيْرَةِ وَأَمَرَهُ أَنْ يُفَضَّ الْكِتَابَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِ، فَإِذَا فِيهِ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مَحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسَ، سَلَامٌ، عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى».

وَلَمَّا سَمِعَ كِسْرَى هَذَا الْمِقْدَارَ مِنَ الرَّسَالَةِ اشْتَعَلَ غَضَبُهُ فِي صَدْرِهِ

فَاخْمَرَ وَجْهَهُ، وَانْتَفَحَتْ أَوْدَاجُهُ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَدَأَ بِنَفْسِهِ، فَجَذَبَ الرِّسَالَةَ مِنْ يَدِ كَاتِبِهِ، وَجَعَلَ يُمَزِّقُهَا، دُونَ أَنْ يَعْلَمَ مَا فِيهَا، وَيَقُولُ أَكْتُبْ لِي بِهَذَا وَهُوَ عَبْدِي .

ثُمَّ أَمَرَ بَعْدَ اللَّهِ بْنِ حُدَافَةَ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ مَجْلِسِهِ، فَأَخْرَجَ مِنَ الْمَجْلِسِ، وَهُوَ لَا يَدْرِي مَاذَا يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ، لَكِنَّهُ مَا لَبِثَ أَنْ قَالَ وَاللَّهِ مَا أُبَالِي عَلَى أَيِّ حَالٍ أَكُونُ بَعْدَ أَنْ أَدَيْتُ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَرَكِبَ رَاِحِلَتَهُ وَانْطَلَقَ .

وَلَمَّا سَكَتَ غَضَبُ كِسْرَى، أَمَرَ أَنْ يُرَدُّوهُ إِلَيْهِ، فَالْتَمَسُوهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَارْسَلُوا فِي أَثَرِهِ، وَطَلَبُوهُ فِي الطَّرِيقِ، فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ كِسْرَى، وَتَمَزِّيْقِهِ الْكِتَابَ، فَمَا زَادَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَنْ قَالَ: «مَزَّقَ اللَّهُ مُلْكَهُ» .

أَمَّا كِسْرَى فَكَتَبَ إِلَى بَاذَانَ نَائِبَهُ عَلَى الْيَمَنِ، أَنْ أُرْسِلَ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي ظَهَرَ بِالْحِجَازِ رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ مِنْ عِنْدِكَ، وَمُرَّهُمَا أَنْ يَأْتِيَانِ بِهِ، وَحَمَلُهُمَا رِسَالَةً لَهُ يَأْمُرُهُمَا بِأَدَائِهَا لَهُ، وَيَأْمُرُهُ فِيهَا بِأَنْ يَنْصَرِفَ مَعَهُمَا إِلَى لِقَاءِ كِسْرَى دُونَ إِبْطَاءٍ .

وَطَلَبَ إِلَى الرَّجُلَيْنِ أَنْ يَقِفَانِ عَلَى خَبَرِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَسْتَفْصِيَا أَمْرَهُ، وَأَنْ يَأْتِيَاهُ بِمَا يَقِفَانِ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِهِ مِنْ مَعْلُومَاتٍ .

فَخَرَجَ الرَّجُلَانِ حَتَّى بَلَغَا الطَّائِفَ، فَوَجَدَا رَجُلًا تُجَارًا مِنْ قُرَيْشٍ فَسَأَلَاهُمَا عَنْ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالُوا هُوَ فِي يَثْرِبَ، ثُمَّ مَضَى التُّجَارُ إِلَى مَكَّةَ فَرَجِحِينَ مُسْتَبْشِرِينَ، وَجَعَلُوا يُهْنُونَ قُرَيْشًا، وَيَقُولُونَ قُرُوا عَيْنًا فَإِنَّ كِسْرَى تَصَدَّى لِمُحَمَّدٍ وَكَفَاكُمْ شَرَّهُ .

أَمَّا الرَّجُلَانِ فَيَمَّمَا وَجْهَيْهِمَا شَطْرَ الْمَدِينَةِ، حَتَّى إِذَا وَصِلَا إِلَيْهَا، لَقِيَا

النَّبِيِّ ﷺ وَدَفَعَا إِلَيْهِ رِسَالَةَ بَاذَانَ، وَقَالَ لَهُ إِنَّ مَلِكَ الْمُلُوكِ كِسْرَى كَتَبَ إِلَيَّ
مَلِكِنَا بَاذَانَ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْكَ مَنْ يَأْتِيهِ بِكَ .

وَقَدْ أَتَيْتَكَ لِتَنْطَلِقَ مَعَنَا فَإِنْ أَحْبَبْنَا كَلَّمْنَا كِسْرَى بِمَا يَنْفَعُكَ، وَيَكْفِ أَدَاةَ
عَنكَ، وَإِنْ أُبَيَّتَ فَهُوَ مَنْ قَدْ عَلِمْتَ سَطْوَتَهُ، وَبَطْشَهُ، وَقُدْرَتَهُ عَلَى إِهْلَاكِكَ،
وَإِهْلَاكِ قَوْمِكَ .

فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ لَهُمَا إِرْجِعَا إِلَيَّ رِحَالِكُمَا الْيَوْمَ، وَأْتِيَا
غَدًا، فَلَمَّا غَدَوْا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي الْيَوْمِ التَّالِي، أَخْبَرَهُمَا بِأَنَّ اللَّهَ قَتَلَ كِسْرَى
حَيْثُ سَلَطَ عَلَيْهِ ابْنُهُ «شَيْرَوِيه» فِي لَيْلَةٍ كَذَا مِنْ شَهْرِ كَذَا .

فَحَدَّثَا فِي وَجْهِهِ وَبَدَتْ الدَّهْشَةُ عَلَى وَجْهِهِمَا، وَقَالَ أَتَدْرِي مَا تَقُولُ
أَنْكُتُبُ بِذَلِكَ لِبَاذَانَ، قَالَ نَعَمْ وَقَوْلَا لَهُ إِنَّ دِينِي سَيَبْلُغُ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مُلْكُ
كِسْرَى، وَإِنَّكَ إِنْ أَسَلَمْتَ، أُعْطَيْتَكَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ، وَمَلَكَتُكَ عَلَى قَوْمِكَ
وَخَرَجَ الرَّجُلَانِ مِنْ عِنْدِ الرَّسُولِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَقَدِمَا عَلَى بَاذَانَ
وَأَخْبَرَاهُ الْخَبَرَ .

فَقَالَ لَئِنْ كَانَ مَا قَالَهُ مُحَمَّدٌ حَقًّا فَهُوَ نَبِيٌّ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَسَنَرَى
فِيهِ رَأْيًا فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ قَدِمَ عَلَى بَاذَانَ كِتَابُ شَيْرَوِيهِ .

وَفِيهِ يَقُولُ أَمَّا بَعْدَ فَقَدْ قَتَلْتُ كِسْرَى وَلَمْ أَقْتُلْهُ إِلَّا ائْتِقَامًا لِقَوْمِنَا فَقَدْ
اسْتَحَلَّ قَتْلَ أَشْرَافِهِمْ وَسَبَى نِسَائِهِمْ وَانْتَهَبَ أَمْوَالَهُمْ فَإِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا
فَخِذْ لِي الطَّاعَةَ مِمَّنْ عِنْدَكَ .

فَلَمَّا قَرَأَ بَاذَانَ الْكِتَابَ «كِتَابَ شَيْرَوِيهِ» طَرَحَهُ جَانِبًا وَأَعْلَنَ دُخُولَهُ فِي
الْإِسْلَامِ وَأَسْلَمَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْفُرْسِ بِالْيَمَنِ .. ائْتَهَى .

اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سِلْكِ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ
أَعَدَدْتَ لَهُمْ فَسِيحَ جَنَّاتِكَ، وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ أَمَانِكَ، وَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَايَا وَأَجْرِلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهَبَاتِكَ
وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فصل»

عَبْدُ اللهِ بْنُ حُدَافَةَ وَقِصَّتُهُ مَعَ مَلِكِ الرُّومِ

أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ وَابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ أَبِي رَافِعٍ قَالَ وَجَّهَ عُمَرُ ابْنُ الْحَطَّابِ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جَيْشاً إِلَى الرُّومِ وَفِيهِمْ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ حُدَافَةَ مِنْ
أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَاسْرَهُ الرُّومُ فَذَهَبُوا بِهِ إِلَى مَلِكِهِمْ فَقَالُوا لَهُ إِنَّ هَذَا مِنْ
أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَقَالَ لَهُ الطَّاغِيَةُ هَلْ لَكَ أَنْ تَنْصُرَ وَأَشْرِكَكَ فِي مُلْكِي
وَسُلْطَانِي.

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ لَوْ أُعْطِيتَنِي مَا تَمْلِكُ وَجَمِيعَ مَا مَلَكَتُهُ الْعَرَبُ عَلَى أَنْ
أَرْجِعَ عَنْ دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ طَرْفَةَ عَيْنٍ مَا فَعَلْتُ، قَالَ إِذَا أَفْطَلْتَكَ قَالَ أَنْتَ
وَذَاكَ، فَأَمَرَ بِهِ فَصُلِبَ، وَقَالَ لِلرُّمَّةِ أَرْمُوهُ قَرِيباً مِنْ بَدَنِهِ قَرِيباً مِنْ رِجْلَيْهِ،
وَهُوَ يَعْزُضُ عَلَيْهِ وَهُوَ يَأْبَى.

ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأَنْزَلَ ثُمَّ دَعَا بِقَدْرِ فَصَبَّ فِيهِ حَتَّى اخْتَرَقَ، ثُمَّ دَعَا بِأَسِيرِينَ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَأَمَرَ بِأَحَدِهِمَا فَأَلْقَى فِيهَا، وَهُوَ يَعْزُضُ عَلَيْهِ النَّصْرَانِيَّةَ، وَهُوَ
يَأْبَى ثُمَّ أَمَرَ بِهِ أَنْ يُلْقَى فِيهَا، فَلَمَّا ذَهَبَ بِهِ بِكَيِّ، فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُ قَدْ بَكَى فَظَنَّ
أَنَّهُ جَزِعَ، فَقَالَ رُدُّوهُ فَعَرَضَ عَلَيْهِ النَّصْرَانِيَّةَ فَأَبَى فَقَالَ مَا أَبْكَاكَ إِذَا.

قَالَ أَبْكَانِي أَنِّي قُلْتُ فِي نَفْسِي تُلْقَى السَّاءَةَ فِي هَذَا الْقَدْرِ فَتَذْهَبَ فَكُنْتُ
أَشْتَهِي أَنْ يَكُونَ بَعْدَ كُلِّ شَعْرَةٍ فِي جَسَدِي نَفْسٌ تُلْقَى فِي اللهِ قَالَ لَهُ الطَّاغِيَةُ

هَلْ لَكَ أَنْ تُقَبَّلَ رَأْسِي وَأُحَلِّيَ مِنْكَ، قَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ وَعَنْ جَمِيعِ أُسَارَى الْمُسْلِمِينَ، قَالَ وَعَنْ جَمِيعِ أُسَارَى الْمُسْلِمِينَ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي عَدُوٌّ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ، أَقْبَلُ رَأْسَهُ يُحَلِّيَ عَنِّي وَعَنْ أُسَارَى الْمُسْلِمِينَ، لَا أَبَالِي فَدَنَا مِنْهُ فَقَبَّلَ رَأْسَهُ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ الْأَسَارَى، فَقَدِمَ بِهِمْ عَلَى عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ عُمَرُ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُقَبَّلَ رَأْسَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ، وَأَنَا أَبْدَأُ فِقَامَ عُمَرَ فَقَبَّلَ رَأْسَهُ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ وَأَسْكِنْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ الْقَرَارِ، اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا بِحُسْنِ الْإِقْبَالِ عَلَيْكَ وَالْإِصْغَاءِ إِلَيْكَ وَوَفَّقْنَا لِلتَّعَاوُنِ فِي طَاعَتِكَ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى خِدْمَتِكَ وَحُسْنِ الْأَدَابِ فِي مُعَامَلَتِكَ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِكَ وَالرِّضَا بِقَضَائِكَ وَالصَّبْرَ عَلَى بَلَائِكَ وَالشُّكْرَ لِنِعْمَائِكَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ يَفْرَعُ
مُقَرَّرٌ بِأَثْقَالِ الذُّنُوبِ وَمُكْتَبِرٌ
فَأَنَّكَ ذُو الْإِحْسَانِ وَالْجُودِ وَالْعَطَا
فَكُمُ مِنْ قَبِيحٍ قَدْ سَتَرْتَ عَنِ الْوَرَى
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْجَى سِوَاكَ وَيُتَّقَى
فَيَا مَنْ هُوَ الْقُدُّوسُ لَا رَبَّ غَيْرُهُ
وَيَا مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى فَوْقَ خَلْقِهِ
بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى وَأَوْصَافِكَ الْعُلَى
أَعْنِي عَلَى الْمَوْتِ الْمَرِيرَةِ كَأْسُهُ
وَكَنْ مُؤْنِسِي فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ عِنْدَمَا
وَتَبَّتْ جَنَانِي لِسُؤَالٍ وَحُجَّتْ سِي
وَمِنْ هَوْلِ يَوْمِ الْحَشْرِ وَالْكَرْبِ نَجِّنِي
وَيَا سَيِّدِي لَا تُحْزِنِي فِي صَحِيفَتِي

يَخَافُ وَيَرْجُو الْفَضْلَ فَالْفَضْلُ أَوْسَعُ
وَيَرْجُوكَ فِي غُفْرَانِهَا فَهُوَ يَطْمَعُ
لَكَ الْمَجْدُ وَالْإِفْضَالُ وَالْمَنْ أُجْمَعُ
وَكَمُ نِعَمٍ تَثْرَى عَلَيْنَا وَتَتَّبَعُ
وَأَنْتَ إِلَهُ الْخَلْقِ مَا شِئْتَ تَصْنَعُ
تَبَارَكْتَ أَنْتَ اللَّهُ لِلْخَلْقِ مَرْجِعُ
تَبَارَكْتَ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَمْنَعُ
تَوَسَّلَ عَبْدٌ بِأَيْسٍ يَتَضَرَّعُ
إِذَا الرُّوحُ مِنْ بَيْنِ الْجَوَانِحِ تُنْزَعُ
يُرْكَمُ مَنْ فَوْقِي الشَّرَابُ وَأُودَعُ
إِذَا قِيلَ مَنْ رَبِّ وَمَنْ كُنْتَ تَتَّبَعُ
إِذَا الرُّسُلُ وَالْأَمْلَاكُ وَالنَّاسُ حُشِّعُ
إِذَا الصَّحُفُ بَيْنَ الْعَالَمِينَ تُوزَعُ

وَهَبْ لِي كِتَابِي بِالْيَمِينِ وَثَقِّلْنِي
وَيَارَبِّ خَلِّصْنِي مِنَ النَّارِ إِنَّهَا
أَجْرُنِي أَجْرُنِي يَا إِلَهِي فَلَيْسَ لِي
وَهَبْ لِي شِفَاءً مِنْكَ رَبِّي وَسَيِّدِي
فَأَنْتَ الَّذِي تُرَجِي لِكَشْفِ مُلَمَّةٍ
فَقَدْ أَعَيْتِ الْأَسْبَابُ وَانْقَطَعَ الرَّجَا
إِلَيْكَ إِلَهِي قَدْ رَفَعْتُ شِكَايَتِي
فَفَرِّجْ لَنَا خَطْبًا عَظِيمًا وَمُعْضِلًا
وَمَاذَا عَلَى رَبِّي عَزِيزٌ وَفَضْلُهُ
فَكَمْ مَنَحَ أَعْطَى وَكَمْ مَحَنٍ كَفَى
وَأَزْكَى صَلَاةِ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ

اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهِجَ الْمُفْلِحِينَ وَالْبَسْنَا خِلَعَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ، وَخَصَّنَا
مِنْكَ بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ، وَوَقَّفْنَا لِقَوْلِ الْحَقِّ وَاتَّبَاعِهِ وَخَلَّصْنَا مِنَ الْبَاطِلِ وَابْتِدَاعِهِ،
وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّدًا وَلَا تَجْعَلْ لِقَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدًا وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشًا رَعْدًا وَلَا تُشِمِّتْ بِنَا
عَدُوًّا وَلَا حَاسِدًا، وَارْزُقْنَا عِلْمًا نَافِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا، وَفَهْمًا ذَكِيًّا وَطَبْعًا صَفِيًّا
وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصْلٌ»

«سَعِيدُ بْنُ عَامِرِ الْجُمَحِيِّ وَحُبَيْبٌ»

حُبَيْبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ أَحَدُ الْمُعْذَبِينَ فِي اللَّهِ التَّابِتِينَ عَلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ
ثُبُوتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَمِمَّنْ حَضَرَهُ يَوْمَ قَتْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَعِيدُ بْنُ عَامِرِ
الْجُمَحِيِّ خَرَجَ إِلَى التَّنْعِيمِ فِي ظَاهِرَةِ مَكَّةَ بِدَعْوَةِ مِنْ زُعَمَاءِ قُرَيْشٍ لِيَشْهَدَ

مَعَهُمْ مَصْرَعٌ حُبَيْبِ بْنِ عَدِيِّ أَحَدِ صَحَابَةِ مُحَمَّدٍ بَعْدَ أَنْ ظَفِرَ بِهِ الْأَعْدَاءُ
الْمُشْرِكُونَ غَدْرًا.

وَقَدْ أَقْدَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَتِمَّكَنَ مِنْ رُؤْيِيهِ أَسِيرٌ قُرَيْشِيٌّ مُكَبَّلًا بِقَيْودِهِ يُسَاقُ إِلَى
الْمَوْتِ، فَوَقَفَ سَعِيدٌ يُطَلُّ عَلَى حُبَيْبٍ وَهُوَ يُقَدِّمُ إِلَى خَشْبَةِ الصَّلْبِ وَسَمِعَ
صَوْتَ حُبَيْبِ الثَّابِتِ الْهَادِيءِ يَقُولُ إِنَّ شِئْتُمْ أَنْ تَتْرَكُونِي أُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ قَبْلَ
مَصْرَعِي فَافْعَلُوا.

ثُمَّ نَظَرَ سَعِيدٌ إِلَيْهِ وَهُوَ يَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ يَا لِحُسْنَيْهِمَا
وَيَا لِتَمَامِهِمَا وَسَمِعَهُ وَهُوَ يَقُولُ لَوْلَا أَنْ تَظُنُّوا أَنِّي أَطَلْتُ الصَّلَاةَ جَزَعًا مِنَ
الْمَوْتِ لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنَ الصَّلَاةِ.

ثُمَّ رَأَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ يُمْتَلُونَ بِحُبَيْبٍ حَيًّا وَيُقَطِّعُونَ مِنْهُ الْقِطْعَةَ تَلَوُ
الْقِطْعَةَ وَيَقُولُونَ لَهُ أَتُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ مَكَانَكَ وَأَنْتَ نَاجٍ، فَيَقُولُ وَالِدَّمَاءِ
تَنْزِفُ مِنْهُ وَالرُّوحُ تَتَسَلَّلُ مِنْ بَدَنِهِ، وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ أَكُونَ آمِنًا وَادِعَا فِي
أَهْلِي وَوَالِدِي وَأَنْ مُحَمَّدًا يُوَخَّزُ بِشَوْكَةٍ.

وَلَا غُرُوبَ بِالْأَشْرَافِ إِنْ ظَفِرَتْ بِهِمْ كِلَابُ الْأَعَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ
فَحَرْبَةً وَخَشِي سَقَتْ حَمَزَةَ الرَّدَى وَمَوْتُ عَلِيٍّ مِنْ حُسَّامِ ابْنِ مُلْجِمٍ

ثُمَّ أَبْصَرَ سَعِيدٌ بَنِي عَامِرٍ حُبَيْبًا وَهُوَ يَرْفَعُ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ مِنْ فَوْقِ خَشْبَةِ
الصَّلْبِ وَهُوَ يَقُولُ اللَّهُمَّ احْصِهِمْ عَدَدًا وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا وَلَا تُبْقِي مِنْهُمْ أَحَدًا ثُمَّ
خَرَجَ رُوحُهُ الطَّيِّبُ وَبِهِ الشَّيْءُ الْكَثِيرُ مِنْ ضَرْبَاتِ السُّيُوفِ وَطَعَنَاتِ الرَّمَاكِ.

ثُمَّ إِنْ سَعِيدًا أَخَذَ دَرْسًا، فَعَلِمَ أَنَّ الْحَيَاةَ الْحَقَّةَ عَقِيدَةٌ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ حَتَّى الْمَوْتِ، وَعَلِمَ أَنَّ الْأَيْمَانَ الثَّابِتَ لَا يُزَلُّهُ شَيْءٌ الْبَتَّةَ.

وَعَلِمَ أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي تَبْلُغَ مَحَبَّتَهُ وَالذَّبُّ عَنْهُ إِلَى هَذَا الْحَدِّ إِنَّمَا هُوَ
رَسُولٌ مُؤَيَّدٌ مِنَ السَّمَاءِ، عِنْدَ ذَلِكَ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ سَعِيدِ بْنِ عَامِرٍ لِلْإِسْلَامِ،

فَقَامَ فِي مَجْمَعِ مِنَ النَّاسِ وَأَعْلَنَ بَرَاءَتَهُ مِمَّا عَلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ،
وَهَاجَرَ سَعِيدُ ابْنُ عَامِرٍ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَلَزِمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَشَهِدَ مَعَهُ خَيْرَ ،
وَمَا بَعْدَهَا مِنَ الْعَزَوَاتِ .

وَلَمَّا تُوفِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ظَلَّ سَيْفًا ، مُسْلُوًّا فِي يَدِي حَلِيفَتِي رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَكَانَا يَعْرِفَانِ لَهُ صِدْقَهُ وَتَقْوَاهُ .

وَلَمَّا آلَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَتَاهُ سَعِيدٌ فَقَالَ لَهُ ، يَا عُمَرُ
أَوْصِيكَ أَنْ تَحْشَى اللَّهَ فِي النَّاسِ ، وَلَا تَحْشَى النَّاسَ فِي اللَّهِ ، وَأَنْ لَا يُخَالِفَ
قَوْلُكَ فِعْلَكَ ، فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا صَدَّقَهُ الْفِعْلُ .

يَا عُمَرُ أَقِمِ وَجْهَكَ لِمَنْ وَلَاكَ اللَّهُ أَمْرُهُ مِنْ بَعِيدِ الْمُسْلِمِينَ وَقَرِيبِهِمْ
وَأَحَبِّ لَهُمْ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَأَهْلِ بَيْتِكَ ، وَأَكْرَهُ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ وَأَهْلِ
بَيْتِكَ ، وَخُضِ الْعِمْرَاتِ إِلَى الْحَقِّ وَلَا تَحْفَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ .

فَقَالَ عُمَرُ ، وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَا سَعِيدُ ، فَقَالَ يَسْتَطِيعُهُ مِثْلُكَ مِمَّنْ وَلَا هُمْ
اللَّهُ أَمْرُ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ أَحَدٌ ، عِنْدَ ذَلِكَ دَعَا عُمَرُ سَعِيدًا إِلَى
مُسَاعَدَتِهِ فَقَالَ لَهُ إِنْ أَمْرُكَ جَمِصَ .

فَقَالَ يَا عُمَرُ نَشَدْتُكَ اللَّهَ لَا تَفْتِنِي فَعَضِبَ عُمَرُ وَقَالَ وَيْحَكُمُ وَضَعْتُمْ هَذَا
الْأَمْرَ فِي عُنُقِي ثُمَّ تَحَلَّيْتُمْ عَنِّي ، وَاللَّهِ لَا أَدْعُكَ ثُمَّ أَلْزَمَهُ بِجَمِصَ وَقَالَ أَلَا
تَفْرِضُ لَكَ رِزْقًا قَالَ وَمَا أَفْعَلُ بِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَطَائِي مِنْ بَيْتِ الْمَالِ يَزِيدُ
عَنْ حَاجَتِي .

ثُمَّ مَضَى وَالْيَأَى عَلَى جَمِصَ وَمَا مَضَى إِلَّا زَمَنَ يَسِيرٌ حَتَّى جَاءَ بَعْضُ أَهْلِ
جَمِصَ إِلَى عُمَرَ فَقَالَ اكْتُبُوا أَسْمَاءَ الْفُقَرَاءِ عِنْدَكُمْ بِجَمِصَ حَتَّى أُسَدَّ
حَاجَتَهُمْ ، فَرَفَعُوا لَهُ كِتَابًا فِيهِ بَعْضُ الْفُقَرَاءِ الْمَوْجُودِينَ بِجَمِصَ وَمِنْ جَمَلَةٍ
الْفُقَرَاءِ الْمَكْتُوبِينَ ، سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ الْجَمْعِي .

فَقَالَ عُمَرُ مَنْ سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ، فَقَالُوا أَمِيرُنَا قَالَ أَمِيرُكُمْ فَكَبَّرُوا، قَالُوا نَعَمْ،
وَاللَّهِ إِنَّهُ لَيَمُرُّ عَلَيْهِ الْأَيَّامُ الطُّوَالَ، وَلَا يُوَقَدُ فِي بَيْتِهِ نَارٌ، فَكَبَى عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ بِكَاءٍ شَدِيداً، حَتَّى بَلَثَ دُمُوعَهُ لِحَيْثِهِ.

ثُمَّ عَمَدَ إِلَى أَلِفِ دِينَارٍ فَجَعَلَهَا فِي صُرَّةٍ وَقَالَ اقْرَأُوا عَلَيْهِ السَّلَامَ وَقُولُوا لَهُ
يَسْتَعِينُ بِهَذَا عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِهِ فَجَاؤُهُ بِهَا فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا وَأَخْبَرُوهُ، جَعَلَ
يُبْعِدُهَا عَنْهُ، وَيَسْتَرْجِعُ.

فَجَاءَتْ زَوْجَتُهُ وَقَالَتْ لَهُ مَا شَأْنُكَ، أَمَاتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ بَلْ أَعْظَمَ
مِنْ ذَلِكَ، قَالَتْ وَمَا ذَلِكَ، قَالَ دَخَلْتُ عَلَيَّ الدُّنْيَا لِتُفْسِدَ آخِرَتِي وَحَلَّتْ الْفِتْنَةُ
فِي بَيْتِي، قَالَتْ تَخَلِّصْ مِنْهَا، قَالَ هَلْ تُعِينِنِي عَلَى ذَلِكَ، قَالَتْ نَعَمْ فَوَزَّعَهَا عَلَى
فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ.

ثُمَّ لَمْ يَمْضِ إِلَّا مُدَّةً يَسِيرَةً حَتَّى أَتَى عُمَرُ إِلَى حِمصٍ يَتَفَقَّدُهَا وَيَسْأَلُ عَنْ
أَمِيرِهِمْ وَسِيرَتِهِ مَعَهُمْ، وَهَلْ نَقِمُوا عَلَيْهِ بِشَيْءٍ، فَذَكَرُوا أَرْبَعُ:

أَحَدُهَا: قَالُوا إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْنَا حَتَّى يَتَعَالَى النَّهَارُ، فَسَأَلَ عُمَرُ سَعِيداً
لِمَاذَا فَقَالَ إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَقُولَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ حَيْثُ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ تَوْضِيحِهِ، فَإِنَّهُ
لَيْسَ لِأَهْلِي خَادِمٌ فَأَقُومُ الصَّبْحَ فَأَعْجِنُ لَهُمْ عَجِينَهُمْ، ثُمَّ أَنْتَظِرُهُ يَحْتَمِرُ، ثُمَّ
أَقُومُ فَأُخْبِرُهُ لَهُمْ، ثُمَّ أَتَوَضَّأُ وَأَخْرُجُ إِلَيْهِمْ.

وَأَمَّا الثَّانِيَةُ: فَقَالُوا إِنَّهُ لَا يُجِيبُ أَحَدًا بِاللَّيْلِ، فَسَأَلَهُ عُمَرُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ
إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَذْكَرُهُ، وَلَكِنْ لِمَا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُ النَّهَارَ لَهُمْ،
وَلِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ اللَّيْلَ.

قَالَ عُمَرُ وَمَا هِيَ الثَّلَاثَةُ، قَالُوا إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ يَوْماً مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، فَسَأَلَهُ
فَقَالَ إِنَّهُ لَيْسَ لِي خَادِمٌ، وَلَيْسَ عِنْدِي ثِيَابٌ غَيْرَ التِّيِّ عَلَيَّ فَأَنَا أَعْسِلُهَا فِي
الشَّهْرِ مَرَّةً، وَأَنْتَظِرُهَا حَتَّى تَجِفَّ، ثُمَّ أَخْرُجُ إِلَيْهِمْ آخِرَ النَّهَارِ.

وأما الرابعة: فقالوا إنه تُصِيبُهُ غَشِيَةٌ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ فَيَغِيبُ عَمَّنْ فِي
 الْمَجْلِسِ، فَسَأَلَهُ عَمْرُ عَنْهَا فَقَالَ إِنِّي حَضَرْتُ مَصْرَعَ حُبَيْبِ بْنِ عَدِيٍّ، وَأَنَا
 مُشْرِكٌ وَرَأَيْتُ قَرِيشاً تُقَطِّعُ جَسَدَهُ وَهِيَ تَقُولُ أَتُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مَكَانَكَ
 مُحَمَّدًا، فَقَالَ وَاللَّهِ مَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ آمِنًا وَأَهْلِي وَوَلَدِي وَأَنْ مُحَمَّدًا تَشُوكُهُ
 شُوكَةً.

فَإِذَا ذَكَرْتُ ذَلِكَ الْمَشْهَدَ وَأَنِّي لَمْ أَنْصُرْهُ ظَنَنْتُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لِي
 فَتَصِيبُنِي تِلْكَ الْعَشِيَّةُ، ثُمَّ بَعَثَ لَهُ عُمَرُ بِأَلْفِ دِينَارٍ يَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى حَوَائِجِهِ،
 فَلَمَّا عَلِمَتْ زَوْجَتُهُ قَالَتْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَغْنَانَا عَنْ خِدْمَتِكَ أَشْتَرْنَا لَنَا مَوْتَةً
 وَاسْتَأْجَرْنَا لَنَا نَحَادِمًا فَقَالَ لَهَا وَهَلْ لَكَ فِيمَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ قَالَتْ وَمَا ذَاكَ
 قَالَ نَدْفَعُهَا إِلَى مَنْ يَأْتِينَا بِهَا وَنَحْنُ أَحْوَجُ مَا نَكُونُ إِلَيْهَا قَالَتْ وَمَا ذَاكَ قَالَ
 نُفَرِّضُهَا لِلَّهِ فَرَضًا حَسَنًا قَالَتْ نَعَمْ وَجُرَيْتٌ خَيْرٌ فَمَا قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ حَتَّى
 وَرَّعَهَا عَلَى الْأَيْتَامِ وَالْأَرَامِلِ وَالْمَسَاكِينِ فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ لَقَدْ كَانَ مِنَ
 الَّذِينَ يُؤَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ .. أَهْ بِاخْتِصَارٍ.

شِعْرًا: وَمَا النَّاسُ إِلَّا رَاحِلُونَ وَبَيْنَهُمْ	رِجَالٌ ثَوْتُ آثَارِهِمْ كَالْمَعَالِمِ
بِعِزَّةِ بَاسٍ وَطَّلَاعِ بَصِيرَةٍ	وَهَزَّةِ نَفْسٍ وَتَسَاعِ مَرَاجِمِ
حُظُوظٍ كَمَالٍ أَظْهَرَتْ مِنْ عَجَائِبِ	بِمِرَّاتِ شَخْصٍ مَا اخْتَفَى فِي الْعَوَالِمِ
وَمَا يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ يَخْتَصُّ نَفْسَهُ	أَلَّا إِنَّمَا التَّخْصِيصُ قِسْمَةٌ رَاجِمِ
وَمَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا تَيَقَّنَ أَنَّهَا	مَطِيَّةٌ يَقْضَانِ وَطَيْفَةٌ حَالِمِ
فَلِلَّهِ سَاعٌ فِي مَنَاهِجِ طَاعَةٍ	لِإِتْلَافِ عَدْلِ أَوْ لِإِتْلَافِ ظَالِمِ

اللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ النَّفَاقِ وَأَخْلِصْ عَمَلَنَا مِنَ الرِّيَاءِ وَمَكْسِنَا مِنَ الرِّبَا
 وَنُورْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلَى طَاعَتِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا، اللَّهُمَّ اعْطِنَا مِنْ
 الْخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُو وَاصْرِفْ عَنَّا مِنَ السُّوءِ فَوْقَ مَا نَحْذَرُ. اللَّهُمَّ عَلِّقْ قُلُوبَنَا
 بِرَجَائِكَ وَاقْطَعْ رَجَاءَنَا عَمَّنْ سِوَاكَ. اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ عِيُونَنَا فَاسْتُرْهَا وَتَعْلَمُ

حَاجَاتِنَا فَاقْضِهَا كَفَى بِكَ وَلِيًّا وَكَفَى بِكَ نَصِيرًا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا
لِسُئْلِكَ سَبِيلَ عِبَادِكَ الْأَخْيَارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فصل»: لِلْبِرَاءِ بْنِ مَالِكِ الْأَنْصَارِيِّ أَخُو أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ كَانَ الْبِرَاءُ شُجَاعًا قَتَلَ مِائَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ مُبَارَزَةً وَهُوَ وَحْدَهُ غَيْرَ الَّذِينَ
قَتَلَهُمْ فِي غِمَارِ الْمَعَارِكِ مَعَ الْمُحَارِبِينَ .

وَبَعْدَ أَنْ التَّحَقَّ النَّبِيُّ ﷺ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى إِرْتَدَّ قَبَائِلُ مِنَ الْعَرَبِ وَخَرَجُوا
مِنَ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَهْلُ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، وَجَمَاعَاتٍ مُتَفَرِّقَةٌ هُنَا وَهُنَا،
مِمَّنْ نَبَتَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ .

وَصَمَدَ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِهَذِهِ الْفِتْنَةِ الْمُدْمِرَةِ الْعَمِيَاءِ صُمُودَ الْجِبَالِ
الرَّاسِيَاتِ، وَجَهَّزَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ أَحَدَ عَشَرَ جَيْشًا .

وَعَقَدَ لِقَادَةَ هَذِهِ الْجُيُوشِ أَحَدَ عَشَرَ لِيَاءً، وَدَفَعَ بِهِمْ فِي أَرْجَاءِ جَزِيرَةِ
الْعَرَبِ لِيُعِيدُوا الْمُرْتَدِّينَ إِلَى سَبِيلِ الْهُدَى وَالْحَقِّ .

وَكَانَ أَقْوَى الْمُرْتَدِّينَ بَأْسًا وَأَكْثَرُهُمْ عَدَدًا بَنُو حَنِيفَةَ، أَصْحَابُ مُسَيْلَمَةَ
الْكُذَّابِ فَقَدْ اجْتَمَعَ مَعَ مُسَيْلَمَةَ مِنْ قَوْمِهِ وَحُلَفَائِهِ أَرْبَعُونَ أَلْفًا وَكَانَ أَكْثَرُهُمْ
قَدْ اتَّبَعُوا مُسَيْلَمَةَ عَصِيَّةً لَا إِيمَانَ بِهِ .

فَلِذَلِكَ صَرَخَ بَعْضُهُمْ وَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّ مُسَيْلَمَةَ كُذَّابٌ وَمُحَمَّدًا صَادِقٌ
لَكِنْ كُذَّابٌ رَيْبَعَةٌ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ صَادِقٍ مُضَرٍّ: فَدَرَّ اللَّهُ أَنَّ جَيْشَ مُسَيْلَمَةَ يَهْزِمُ
أَوَّلَ جَيْشٍ خَرَجَ إِلَيْهِ مِنْ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ بِقِيَادَةِ عِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ .

فَأَرْسَلَ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَيْشًا ثَانِيًا بِقِيَادَةِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ حَشَدًا
فِيهِ وَجُوهَ الصَّحَابَةِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ .

وكان في طليعة هؤلاء البراء بن مالك الأنصاري وتفر من كمة المسلمين، والتقى الجيشان في أرض اليمامة، فما هو إلا أن رجحت كفة مسيئمة وأصحابه وزلزلت الأرض تحت أقدام المسلمين وطفقوا يتراجعون عن مواقعهم حتى اقتحم قوم مسيئمة ومن معهم فسطاد خالد بن الوليد واقتلوه من أصوله.

عند ذلك شعر المسلمون بالخطر الداهم وأدركوا أنهم إن هزموا أمام مسيئمة فلن تقوم للإسلام قائمة، وهب خالد إلى جيشه فأعاد تنظيمه فميز المهاجرين عن الأنصار، وميز أبناء البوادي عن هؤلاء وهؤلاء، وجمع أبناء كل أب تحت راية واحدة ليعرف بلاء كل فريق منهم، وليعلم من أين أتى المسلمون.

ثم دارت رحى الحرب معركة ضروس لم يعرف لها نظير، وثبتت قوم مسيئمة في ساحات الوغى ثبوت الجبال الراسيات ولم يألوا بكثرة ما قتل منهم، وأبدى المسلمون من الشجاعة والبطولة ما لو جمع لكان ملحمة من روائع الملاحم.

فهذا ثابت بن قيس حامل لواء الأنصار يتحنط ويتكفن ويحفر لنفسه حفرة في الأرض فينزله فيها إلى نصف ساقه ويبقى ثابتاً يجالد عن راية قومه حتى خر صريعاً شهيداً.

وهذا زيد بن الخطاب أخو عمر رضي الله عنهما ينادي في المسلمين أيها الناس عضوا على أضراسكم واضربوا في عدوكم وامضوا قدماً، أيها الناس والله لا أتكلم بعد هذه الكلمة أبداً حتى يهزم مسيئمة أو القى الله، فأدلى إليه بحجتي، ثم كر على قومه فما زال يُقاتل حتى قتل.

وهذا سالم مولى أبي حذيفة يحمل راية المهاجرين فيحشى عليه قومه أن

يَضْعَفُ أَوْ يَتَزَعَزَعُ فَقَالُوا لَهُ إِنَّا لَنَحْشَى أَنْ نُؤْتَى مِنْ قِبَلِكَ فَقَالَ إِنْ أُتِيتُمْ مِنْ قِبَلِي
فَيْسَسَ حَامِلُ الْقُرْآنِ أَكُونُ، ثُمَّ كَرَّ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ كَرَّةً بَاسِلَةً حَتَّى أُصِيبَ .

فَلَمَّا رَأَى خَالِدٌ أَنَّ الْوَطِيسَ حَمِيَّ وَاشْتَدَّ التَّفَتُّ إِلَى الْبِرَاءِ بْنِ مَالِكٍ وَقَالَ
إِلَيْهِمْ يَا فَتَى الْأَنْصَارِ، فَالْتَفَتَ الْبِرَاءُ إِلَى قَوْمِهِ وَقَالَ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ لَا يُفَكِّرَنَّ أَحَدٌ
مِنْكُمْ بِالرُّجُوعِ إِلَى يَثْرِبَ، فَلَا مَدِينَةَ لَكُمْ بَعْدَ الْيَوْمِ، وَإِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ، ثُمَّ
الْجَنَّةُ .

ثُمَّ حَمَلَ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَحَمَلُوا مَعَهُ وَاتَّبَرَى يَشُقُّ الصُّفُوفَ، وَيُعْمَلُ
السَّيْفَ فِي رِقَابِ أَعْدَاءِ اللَّهِ حَتَّى زُلْزِلَتْ أَقْدَامُ مُسَيْلَمَةَ وَأَصْحَابِهِ، فَالْجَوُّوا إِلَى
الْحَدِيقَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِحَدِيقَةِ الْمَوْتِ لِكَثْرَةِ مَنْ قُتِلَ فِيهَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فَأَعْلَقَ
مُسَيْلَمَةُ وَآلَافٌ مَعَهُ مِنْ جُنْدِهِ الْأَبْوَابَ وَتَحَصَّنُوا بِعَالِي جُدْرَانِهَا وَجَعَلُوا
يُمَطِّرُونَ الْمُسْلِمِينَ بِنِبَالِهِمْ مَنْ دَاخِلَهَا فَتَسَاقَطَ عَلَيْهِمْ تَسَاقُطَ الْمَطَرِ .

عِنْدَ ذَلِكَ تَقَدَّمَ الْبِرَاءُ بْنُ مَالِكٍ وَقَالَ يَا قَوْمُ ضَعُونِي عَلَى تُرْسٍ وَارْفَعُوا
التُّرْسَ عَلَى الرِّمَاحِ ثُمَّ أَقْدَفُونِي بِالْحَدِيقَةِ قَرِيباً مِنْ بَابِهَا فَإِنَّمَا أَنْ أُسْتَشْهَدَ وَإِنَّمَا
أَنْ أَفْتَحَ الْبَابَ وَفِي زَمَنِ يَسِيرٍ جَلَسَ الْبِرَاءُ عَلَى التُّرْسِ وَرَفَعَتْهُ الرِّمَاحُ وَالْقَتُّهُ فِي
حَدِيقَةِ الْمَوْتِ قُرْبَ الْبَابِ بَيْنَ الْآلَافِ الْمُؤَلَّفَةِ مِنْ جُنْدِ مُسَيْلَمَةَ .

فَنَزَلَ عَلَيْهِمْ نُزُولَ الصَّاعِقَةِ فَجَالَدَهُمْ أَمَامَ بَابِ الْحَدِيقَةِ حَتَّى قَتَلَ عَشْرَةَ
مِنْهُمْ وَفَتَحَ الْبَابَ لِلْمُسْلِمِينَ وَبِهِ بَضْعٌ وَثَمَانُونَ جُرَاحَةً فَتَدَفَّقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى
الْحَدِيقَةِ مِنْ حَيْطَانِهَا وَأَبْوَابِهَا وَأَعْمَلُوا السُّيُوفَ فِي رِقَابِ الْمُرْتَدِينَ حَتَّى قَتَلُوا
مِنْهُمْ قَرِيباً مِنْ عِشْرِينَ أَلْفاً وَوَصَلُوا إِلَى مُسَيْلَمَةَ الْكَذَّابِ فَقَتَلُوهُ .

ثُمَّ حَمَلُوا الْبِرَاءَ بْنَ مَالِكٍ إِلَى رَحْلِهِ لِيُدَاوَى فِيهِ وَأَقَامَ عَلَيْهِ خَالِدُ ابْنُ
الْوَلِيدِ شَهْرًا يُعَالِجُهُ حَتَّى أُذِنَ لِلَّهِ لَهُ بِالشِّفَاءِ وَظَلَّ الْبِرَاءُ بَعْدَ ذَلِكَ يَتَمَنَّى
الشَّهَادَةَ الَّتِي فَاتَتْهُ يَوْمَ الْحَدِيقَةِ حَتَّى فَتَحَ تَسْتُرٌ مِنْ بِلَادِ الْفُرْسِ فِي إِحْدَى
الْقِلَاعِ الْمُمَرَّدَةِ .

فَحَاصِرَهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَأَحَاطُوا بِهِمْ فَلَمَّا طَالَ الْحِصَارُ وَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ عَلَى
 الْفُرسِ جَعَلُوا يُدْلُونَ مِنْ فَوْقِ أُسْوَارِ الْقَلْعَةِ سَلَاسِلَ مِنْ حَدِيدٍ عُلِقَتْ بِهَا
 كَلَالِيْبُ مِنْ فُؤَادِ حُمَيْتِ الْبِنَارِ فَكَانَتْ تَنْشَبُ فِي أَجْسَادِ الْمُسْلِمِينَ وَتَعْلَقُ
 بِهِمْ فَيَرْفَعُونَهُمْ إِلَيْهِمْ إِمَّا مَوْتَى وَإِلَّا عَلَى وَشَكِ الْمَوْتِ فَعَلِقَ كَلُوبٌ مِنْهَا بِأَنْسِ
 بِنِ مَالِكِ أَحِي الْبَرَاءِ بِنِ مَالِكِ .

فَوَثَبَ الْبَرَاءُ عَلَى جِدَارِ الْحِصْنِ وَأَمْسَكَ السَّلْسِلَةَ الَّتِي مَسَكَتْ أَخَاهُ
 وَجَعَلَ يُعَالِجُ الْكَلَابَ لِيُخْرِجَهُ مِنْ جَسَدِ أَخِيهِ وَأَخَذَتْ يَدَاهُ تَحْتَرِقُ فَلَمْ يُبَالِ
 إِلَى أَنْ خَلَصَ أَخَاهُ وَهَبَطَ إِلَى الْأَرْضِ بَعْدَ أَنْ صَارَتْ يَدُهُ عِظَامًا لَيْسَ عَلَيْهَا
 لَحْمٌ ثُمَّ دَعَا الْبَرَاءُ رَبَّهُ أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ فَأَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ وَاسْتَشْهَدَ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُ وَأَرْضَاهُ .. أَهْ، بِاخْتِصَارٍ مِنْ صُورٍ مِنْ حَيَاةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

شِعْرًا: لَهْفِي عَلَى سُرُجِ الدُّنْيَا الَّتِي طَفِئَتْ وَلَا يَزَالُ لَهَا فِي النَّاسِ أَنْوَارُ
 لَهْفِي عَلَيْهِمْ رِجَالًا طَالَمَا صَبَرُوا وَهَكَذَا طَالِبُ الْعَلِيَاءِ صَبَّارُ
 لَهْفِي عَلَيْهِمْ رِجَالًا طَالَمَا عَدَلُوا بَيْنَ الْأَنَامِ وَمَا حَابَوْا وَلَا مَارُوا
 مَا لَوْ يَمِينًا عَنِ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا لِأَنَّهَا فِي عُيُونِ الْقَوْمِ أَقْدَارُ
 وَصَاحِبُوهَا بِأَجْسَادِ قُلُوبِهِمْ طِيرٌ لَهَا فِي ظِلَالِ الْعَرْشِ أَوْكَارُ

اللَّهُمَّ قُوِّ مَحَبَّتِكَ فِي قُلُوبِنَا وَثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
 الْآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هِدَاةً مُهْتَدِينَ سَلَمًا لِأَوْلِيَائِكَ حَرْبًا لِأَعْدَائِكَ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ
 سِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا وَتَسْمَعُ كَلَامَنَا وَتَرَى مَكَانَتَنَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا
 نَحْنُ الْبُؤْسَاءُ الْقُرَاءُ إِلَيْكَ الْمُسْتَغِيثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ بِكَ نَسْأَلُكَ أَنْ تُقَيِّضَ لِيَدَيْكَ
 مَنْ يَنْصُرُهُ وَيُزِيلُ مَا حَدَثَ مِنَ الْبِدْعِ وَالْمُنْكَرَاتِ وَيُقِيمُ عِلْمَ الْجِهَادِ وَيَقْمَعُ
 أَهْلَ الزُّبَيْغِ وَالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تُعْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« قصة »

لأم سلمة وما حصل لها من الأذى

اسمها هند بنت أبي أمية سيّد من سادات مخزوم المرموقين وجواداً يُقال له زاد الراكب لأنه إذا سافر لا يترك أحداً يرافقه ومعه زاد بل يقوم برفقته من الزاد، وزوج أم سلمة عبد الله بن عبد الأسد أحد العشرة السابقين إلى الإسلام لم يسلم قبله إلا أبو بكر ونقر قليل.

أسلمت أم سلمة مع زوجها فكانت هي الأخرى من السابقات إلى الإسلام، ولما شاع خبر إسلامها هاجت قريش وجعلت تصب عليها الأذى الشديد، فلم يؤثر بهما ولم يزل لهما ولم يتردداً.

ولما اشتد عليهما الأذى وأذن النبي ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة كانوا في طليعة المهاجرين ومضت أم سلمة وزوجها إلى ديار الثرية وخلفت وراءها في مكة بيتها الفسيح العالى، وعزها الشامخ، وأقربائها ومالها، محتسبة الأجر من العلي العظيم مُحْتَقِرَةً ما تركت في جانب مرضاة الله.

وبالرغم مما حصل لأم سلمة ومن هاجر معها من الحفاوة والاکرام والتقدير، فقد كان الشوق يحدوها إلى مهبط الوحي وإلى النبي الكريم.

ثم تتابع الأخبار على المهاجرين إلى أرض الحبشة بأن المسلمين في مكة قد كثروا وافتتوا وعزوا، وأن إسلام حمزة وعمر بن الخطاب قد شدّ أزرهم وكفكف شيئاً من أذى قريش عن المسلمين.

فعزم فريق من المهاجرين على العودة إلى مكة يحدوهم الشوق ويدعوهم الحنين، فكانت أم سلمة وزوجها مع العازمين على العودة.

لكن سرعان ما تبين للعائدين أن ما نُقل لهم من الأخبار أنه كان مبالغاً

فِيهِ ، وَأَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ قَابَلُوا زِيَادَةَ الْقُوَّةِ وَالْعِزَّةَ بِالتَّهَوُّرِ وَالتَّفَنُّنِ فِي التَّعْدِيبِ
وَتَرْوِيْعِهِمْ وَازْعَاجِهِمْ وَأَذَاقُهُمْ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ .

عِنْدَ ذَلِكَ أَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ بِالهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَعَزَمَتْ أُمُّ
سَلَمَةَ وَزَوْجُهَا ، عَلَى الْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ لَكِنْ هِجَرْتُهُمَا لَمْ تَكُنْ كَمَا ظَنَّا أَنَّهَا
سَهْلَةٌ بَلْ كَانَتْ صَعْبَةً عَسْرَةً خَلَّفَتْ وَرَاءَهَا مَأْسَاءً تَهُونُ دُونَهَا كُلَّ مَأْسَاءٍ .

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَلَمَّا عَزَمَ أَبُو سَلَمَةَ عَلَى الْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ أَعَدَّ لِي بَعِيرًا ،
ثُمَّ حَمَلَنِي عَلَيْهِ وَجَعَلَ طِفْلَنَا سَلَمَةَ فِي حَجْرِي ، وَمَضَى يَقُودُ بِنَا الْبَعِيرَ ، وَهُوَ
لَا يَلُوي عَلَى شَيْءٍ ، وَقَبْلَ أَنْ نَفْصِلُ عَنْ مَكَّةَ رَأَى رِجَالٌ مِنْ قَوْمِي مِنْ بَنِي
مَخْزُومٍ فَتَصَدُّوا لَنَا .

وَقَالُوا لِأُمِّ سَلَمَةَ إِنَّ كُنْتَ قَدْ غَلَبْتَنَا عَلَى نَفْسِكَ فَمَا بَالُ امْرَأَتِكَ وَهِيَ
بِنْتُنَا ، فَعَلَامَ تَتْرُكُكَ تَأْخُذُهَا مِنَّا وَتَسِيرُ بِهَا ثُمَّ وَثَبُوا عَلَيْهِ وَانْتَرَعُونِي ، وَمَا إِنْ
رَأَاهُمْ قَوْمٌ زَوْجِي بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ يَأْخُذُونَنِي أَنَا وَطِفْلِي حَتَّى غَضِبُوا غَضَبًا
شَدِيدًا .

وَقَالُوا لَا وَاللَّهِ لَا تَتْرُكُ الْوَلَدَ عِنْدَ صَاحِبَتِكُمْ بَعْدَ أَنْ انْتَرَعْتُمُوهَا مِنْ
صَاحِبِنَا انْتِرَاعًا فَهُوَ ابْنُنَا وَنَحْنُ أَوْلَى بِهِ ، قَالَتْ ثُمَّ طَفِقُوا يَتَجَادَبُونَ الطِّفْلَ
بَيْنَهُمْ حَتَّى ضَرُّوا يَدَهُ وَأَخَذُوهُ .

وَبَعْدَ لَحْظَاتٍ وَجَدْتُ نَفْسِي مُمَرِّقَةً الشَّمْلِ وَحَيْدَةً فَرِيدَةً فَزَوْجِي اتَّجَهَ
إِلَى الْمَدِينَةِ فَرَارًا بِدِينِهِ وَنَفْسِهِ وَوَلَدِي اخْتَطَفَهُ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ
حِطْفًا مُحِطَّمًا مُهَيَّضًا .

أَمَّا أَنَا فَقَدْ اسْتَوْلَى عَلَيَّ بَنُو مَخْزُومٍ قَوْمِي وَجَعَلُونِي عِنْدَهُمْ فَفَرَّقَ بَيْنِي
وَبَيْنَ ابْنِي فِي سَاعَةٍ قَالَتْ ، وَمِنْ ذَلِكَ جَعَلْتُ أَخْرُجُ كُلَّ عِدَاةٍ إِلَى الْأَبْطَحِ

فَأَجْلَسُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي شَهِدَ مَأْسَاتِي، وَأَسْتَعِيدُ فِيهَا صُورَةَ اللَّحْظَاتِ الَّتِي
حِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَ زَوْجِي وَوَلَدِي فِيهَا.

وَأُظِلُّ أَبْنِي حَتَّى يُحَيِّمَ عَلَيَّ اللَّيْلَ وَيَقِيْتُ عَلَى ذَلِكَ قَرِيْبًا مِنْ سَنَةٍ، قَالَتْ
إِلَى أَنْ مَرَّ بِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمِّي فَرَّقَ لِحَالِي وَرَحْمَنِي، قَالَ لِبْنِي قَوْمِي أَلَا
تُطْلِقُونَ هَذِهِ الْمِسْكِينَةَ فَرَّقْتُمْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا وَوَلَدِهَا وَمَا زَالَ بِهِمْ حَتَّى
قَالُوا لِي الْحَقِّي بِزَوْجِكَ إِنْ شِئْتَ.

قَالَتْ أُمُّ سَلْمَةَ، وَلَكِنْ كَيْفَ لِي أَنْ الْحَقَّ بِزَوْجِي فِي الْمَدِينَةِ وَأُتْرِكَ فَلَذَّةَ
كَبِدِي وَلِدِي فِي مَكَّةَ عِنْدَ بَنِي عَبْدِ الْأَسَدِ، قَالَتْ وَرَأَى بَعْضُ النَّاسِ مَا أُعَالِجُ
مِنْ أَحْزَانٍ وَأَشْجَانٍ فَرَّقَتْ قُلُوبُهُمْ لِحَالِي وَكَلَمُوا بَنِي عَبْدِ الْأَسَدِ فِي شَأْنِي
وَاسْتَعْطَفُوهُمْ عَلَيَّ فَرَدُّوا لِي وَلِدِي سَلْمَةَ. قَالَتْ أُمُّ سَلْمَةَ فَأَعَدَدْتُ بَعِيرِي
وَوَضَعْتُ وَلِدِي فِي حَجْرِي وَخَرَجْتُ مُتَوَجِّهَةً إِلَى الْمَدِينَةِ أُرِيدُ زَوْجِي وَمَا مَعِي
أَحَدٌ مِنَ خَلْقِ اللَّهِ.

قَالَتْ وَمَا وَصِلْتُ التَّنْعِيمَ حَتَّى لَقِيْتُ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ فَقَالَ إِلَى أَيْنَ يَا بِنْتَ
زَادِ الرَّابِ فَقُلْتُ أُرِيدُ زَوْجِي فِي الْمَدِينَةِ قَالَ أَمَا مَعَكَ أَحَدٌ قُلْتُ لَا وَاللَّهِ إِلَّا
اللَّهُ ثُمَّ ابْنِي هَذَا قَالَ عُثْمَانُ وَاللَّهِ لَا أتركُكِ أَبَدًا حَتَّى تَبْلُغِي الْمَدِينَةَ قَالَتْ أُمُّ سَلْمَةَ
ثُمَّ أَخَذَ بِخَطَامِ بَعِيرِي وَانْطَلَقَ يَهْوِي بِي قَالَتْ فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَكْرَمَ مِنْهُ
وَلَا أَشْرَفَ وَسَارَ مَعِي حَتَّى بَلَّغْنَا الْمَدِينَةَ.

فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى قَرْيَةِ بَقْبَاءَ لِبْنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ قَالَ زَوْجُكِ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ
فَادْخُلِيهَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى مَكَّةَ وَنَزَلَتْ عَلَى زَوْجِهَا
وَقَرَّتْ عَيْنُهَا بِهِ وَبَوْلَدِهَا.

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ شَهِدَ أَبُو سَلْمَةَ بَدْرًا وَعَادَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ انْتَصَرُوا
نَصْرًا مُؤَزَّرًا، وَشَهِدَ أَحَدًا وَأَبْلَى بِلَاءً حَسَنًا، لَكِنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا وَقَدْ جُرِحَ

جُرْحًا بَلِيغًا، فَمَا زَالَ يُعَالِجُهُ حَتَّى تَوَارَى لَهُ أَنَّهُ قَدْ ائْتَمَلَ وَالتَّمَ .
لَكِنَّ الْجُرْحَ كَانَ بِنَاؤُهُ عَلَى فَسَادِ، فَمَا لَبِثَ أَنْ تَفَرَ وَالزَّمَّ أَبَا سَلَمَةَ
الْفِرَاشَ .

وَبَيْنَمَا أَبُو سَلَمَةَ يُعَالِجُ جُرْحَهُ قَالَ لِزَوْجَتِهِ يَا أُمَّ سَلَمَةَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ يَقُولُ لَا يُصِيبُ أَحَدًا مُصِيبَةٌ فَيَسْتَرْجِعُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ عِنْدَكَ
أَحْتَسِبُ مُصِيبَتِي هَذِهِ، اللَّهُمَّ أَحْلِفْنِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

وَوَضَعَ أَبُو سَلَمَةَ عَلَى فِرَاشِ مَرَضِهِ أَيَّامًا وَفِي ذَاتِ صَبَاحٍ أَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ عَلَى بَيْتِهِ لِيَعُودَهُ، فَلَمْ يَكُنْ يُجَاوِزُ بَابَ الدَّارِ حَتَّى فَارَقَ أَبُو سَلَمَةَ الْحَيَاةَ .

فَأَغْمَضَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا سَلَمَةَ وَقَالَ إِنْ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ اتَّبَعَهُ الْبَصْرُ وَرَفَعَ
ﷺ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِينَ
وَاحْلِفْهُ فِي عُقْبِهِ وَافْسَحْ لَهُ قَبْرَهُ وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ مَا كَادَتْ تَخْرُجُ مِنْ حِدَادِ
حَتَّى تَتَابَعُ عَلَيْهَا الْخُطَّابُ فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ إِلَيْهَا يَخْطُبُهَا فَأَبَتْ أَنْ تَسْتَجِيبَ لَهُ ثُمَّ
تَقَدَّمَ عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ فَرَدَّتْهُ كَمَا رَدَّتْ صَاحِبَهُ .

ثُمَّ تَقَدَّمَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَتْ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ فِيَّ خِلَالًا ثَلَاثًا فَأَنَا امْرَأَةٌ
شَدِيدَةُ الْعَيْرَةِ فَأَخَافُ أَنْ تَرَى شَيْئًا مِنِّْي يُغْضِبُكَ فَيُعَذِّبُنِي اللَّهُ .

وَأَنَا امْرَأَةٌ قَدْ دَخَلْتُ فِي السِّنِّ وَأَنَا امْرَأَةٌ ذَاتُ عِيَالٍ .

فَقَالَ ﷺ أَمَا مَا ذَكَرْتِ مِنْ غَيْرَتِكَ فَإِنِّي أَدْعُو اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُذَهَبَهَا
عَنكَ .

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتِ فِي السِّنِّ فَقَدْ أَصَابَنِي مِثْلُ الَّذِي أَصَابَكَ وَأَمَّا مَا ذَكَرْتِ
مِنَ الْعِيَالِ فَإِنَّمَا عِيَالُكَ عِيَالِي .

ثُمَّ تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دَعَاءَهَا وَأَخْلَفَهَا خَيْرًا مِنْ أَبِي
سَلَمَةَ .

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ لَمْ تَكُنْ أُمَّ سَلَمَةَ فَقَطُّ بَلْ كَانَتْ أُمَّاَ لِلْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهَا وَأَرْضَاهَا وَجَعَلَ جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ مَثْوَانًا وَمَثْوَاهَا.. أَهـ .

اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سَبِيلِكَ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ
أَعَدَدْتَ لَهُمْ فَسِيحَ جَنَّاتِكَ ، وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ أَمَانِكَ ، وَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَايَا وَأَجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهَبَاتِكَ
وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فِيَاوَيْحَ مَنْ شَبَّتْ عَلَى الزَّيْبِغِ نَفْسُهُ
وَمَاتَ وَمَا لَاقَى سِوَى الْخِزْيِ وَالشَّقَا
وَلَاقَى إِلَهَ الْعَرْشِ فِي ثَوْبِ حَسْرَةٍ
فَقَالَ حُذُوهُ لِلْجَجِيمِ مُكْبَلًا
وَيَا فَوْزَ مَنْ أَدَّى مَنَاسِكَ دِينِهِ
وَتَابَعَ دِينَ الْحَقِّ فِقْهًا وَحِكْمَةً
فَهَذَا الَّذِي فِي الْخُلْدِ يَنْعَمُ بِهِ
فَلَا تُهْمِلُوا يَا قَوْمُ آدَابَ دِينِكُمْ
وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا غَمُضَةٌ وَالتَّفَاتَةُ
وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا طَائِرٌ وَجَنَاحُهُ
وَمَا الْمَوْتُ إِلَّا جَارِحٌ لَا يَعُوقُهُ
وَرَامِي الْمَنَابِ لَا تُرْدُ سِهَامُهُ
وَإِنَّا وَإِنْ عِشْنَا زَمَانًا مُطْوَلًا
فَبَطْنُ الثَّرَى حَتْمًا مَحَطُّ رِحَالِنَا
إِلَى أَنْ دَهَاهَا الشَّيْبُ وَهُوَ نَذِيرُ
وَوَبَّخَهُ بَيْنَ الْقُبُورِ نَكِيرُ
وَقَدْ كَانَ فِي ثَوْبِ الْغُرُورِ يَدُورُ
وَصَلَّوهُ نَارًا إِنَّهُ لَكَفُورُ
وَعَاشَ سَلِيمَ الْقَلْبِ وَهُوَ طَهُورُ
وَلَبِيَ نِدَاءَ اللَّهِ وَهُوَ شَكُورُ
وَتَحَظُّوا بِهِ بَيْنَ الْأَرَائِكِ حُورُ
فَهَجِّرْ طَرِيقَ الْأَنْبِيَاءِ فُجُورُ
وَحُلُوْ أَمَانِي فَوْتُهُنَّ مَرِيرُ
مُرُورُ لَيْالِي الْعُمُرِ وَهُوَ قَصِيرُ
إِذَا انْقَضَ بُيُوتَانُ عَلَا وَقُصُورُ
سَوَاءٌ لَدَيْهَا حَاكِمٌ وَحَقِيرُ
وَطَابَ لَدَيْهَا الْعَيْشُ وَهُوَ نَظِيرُ
وَهَلْ تَمَّ حَيٌّ مَا حَوَتْهُ قُبُورُ

وَيَا لَيْتَهَا كَانَتْ نِهَايَةَ ضَعْفِنَا
 وَحَشْرَ مَهْوُلٍ وَازْدِحَامٍ بِمَوْقِفِ
 وَمَصْرَفُهُ سِجْنٌ لِمَنْ عَاشَ لَاهِيًا
 وَخُضْرُ جِنَانٍ لِلَّذِي مَاتَ تَائِبًا
 فَلَا تُسَلِّمُوا لِلنَّارِ حَرًّا وَجُوهَكُمْ
 وَتُوبُوا إِلَيْهِ وَاسْأَلُوهُ حَنَانَهُ
 وَلَا يَعْتَرِزُ ذُو الْجَاهِ مِنْكُمْ بِجَاهِهِ
 وَعَنْ جَاهِهِ وَالْمَالِ مَنْ مَاتَ خَارِجًا
 وَلَا ثَلْهَكُمْ دُنْيَا أَبَادَتْ وَأَهْلَكَتْ
 وَإِنَّا وَإِنْ كَانَتْ آسَافِلُ قَوْمِنَا
 وَبَاعُوا بُدْيَاهُمْ فَضَائِلَ دِينِهِمْ
 فَقَدْ أَسْخَطُوا الرَّحْمَنَ حَتَّى أَهَانَهُمْ
 فَمِنَّا أَنَاسٌ فِي الدِّيَاجِي نَوَاحُهُمْ
 يُنَادُونَ يَا رَحْمَنُ لَطْفًا فَإِنَّا
 فَيَا مَصْلِحَ الْأَحْوَالِ جَمِّلْ شُؤُنَنَا
 وَأَنْتَ إِلَهُ الْعَالَمِينَ بِأَسْرِهِمْ
 فَلَا يَأْسَ إِذْ أَنْتَ الْقَدِيرُ وَكُلُّ مَنْ
 وَصَلَ وَسَلَّمَ يَا إِلَهِي تَفْضُلًا
 مَحَمَّدُ قُطْبُ الْمُرْسَلِينَ وَمَنْ رَحَى

وَلَكِنَّ عُقْبَى الظَّاعِينَ نَشُورُ
 عَلَى كُلِّ إِخْوَانِ الضِّيَاعِ عَسِيرُ
 بِهِ لَهَبٌ يَشْوِي الْحَشَا وَسَعِيرُ
 وَكَانَ لَهُ فِي الدَّاجِيَاتِ زَفِيرُ
 وَلَا تُغْضِبُوا الرَّحْمَنَ فَهُوَ غَيُورُ
 فَوَاللَّهِ رَبِّي إِنَّهُ لَعَفُورُ
 فَأَكْبَرُ عَاتٍ فِي الْمَعَادِ حَقِيرُ
 وَأَغْنَى غَنِيٍّ إِذْ يَمُوتُ فَقِيرُ
 مُلُوكُ قُرُونٍ عَدُهِنَّ كَثِيرُ
 تَسَاوَى لَدَيْهِمْ مُؤْمِنٌ وَكُفُورُ
 وَفَاسِقُهُمْ لِلْمَاكِرِينَ نَصِيرُ
 وَلَيْسَ لَهُمْ لِلْإِنْتِقَامِ شُعُورُ
 تَبِينَ لَهُمْ عِنْدَ الْبُكَاءِ صُخُورُ
 عَهْدَتَاكَ عَطْفًا لِلْمَلْهُوفِ تَجِيرُ
 فَأَنْتَ لِإِصْلَاحِ الشُّؤُونِ جَدِيرُ
 وَأَنْتَ سَمِيعُ عَالِمٍ وَبَصِيرُ
 تَوْلَاهُ يَا سُبْحَانَكَ فَهُوَ كُفُورُ
 عَلَى مَنْ يَذْكُرَاهُ الْقُلُوبُ تُنِيرُ
 رَسَالَتِهِمْ جَمْعًا عَلَيْهِ تَدُورُ

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ النَّفَاقِ وَعَمَلْنَا مِنَ الرِّيَاءِ وَالسُّنْأِ مِنَ
 الْكُذْبِ وَأَعْيُنَنَا مِنَ الْخِيَانَةِ إِنَّكَ تَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورَ وَاعْفِرْ
 لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

نَمَازِجُ مِنْ سِيرَةِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ الْمُخْلِصِينَ وَنُصَحِهِمْ لِوَلَاةِ الْأُمُورِ
وَبُعْدِهِمْ عَنِ الطَّمَعِ وَالْجَشَعِ عَكْسُ مَا عَلَيْهِ أَكْثَرُ عُلَمَاءِ هَذَا الزَّمَانِ

عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُمَرَ قَالَ بَعَثَ إِلَيَّ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ وَأَنَا بِالسَّاحِلِ فَأَتَيْتُهُ، فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَيْهِ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ، رَدَّ
عَلَيَّ وَاسْتَجَلَسَنِي، ثُمَّ قَالَ لِي مَا الَّذِي أَبْطَأَ بِكَ عَنَّا يَا أَوْزَاعِي.

قَالَ قُلْتُ وَمَا الَّذِي تُرِيدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ أُرِيدُ الْأَخْذَ عَنْكُمْ
وَالْإِقْتِبَاسَ مِنْكُمْ، قَالَ فَقُلْتُ فَاظْطُرُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا تَجْهَلَ شَيْئاً مِمَّا أَقُولُ
لَكَ، قَالَ كَيْفَ أَجْهَلُهُ وَأَنَا أَسْأَلُكَ عَنْهُ وَفِيهِ وَجْهْتُ إِلَيْكَ وَأَقْدَمْتُكَ لَهُ.

قَالَ قُلْتُ أَخَافُ أَنْ تَسْمَعَهُ، ثُمَّ لَا تَعْمَلُ بِهِ، قَالَ فَصَاحَ بِي الرَّبِيعُ
وَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى السَّيْفِ، فَانْتَهَرَهُ الْمَنْصُورُ وَقَالَ هَذَا مَجْلِسُ مَثُوبَةٍ لَا مَجْلِسُ
عُقُوبَةٍ فَطَابَتْ نَفْسِي، وَابْتَسَطْتُ فِي الْكَلَامِ.

فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَدَّثَنِي مَكْحُولٌ عَنْ عَطِيَّةَ عَنْ بَشْرِ قَالَ قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَيُّمَا عَبْدٍ جَاءَتْهُ مَوْعِظَةٌ مِنَ اللَّهِ فِي دِينِهِ، فَأَتَتْهَا نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ
سَيِّقَتْ إِلَيْهِ، فَإِنْ قَبَلَهَا بِشُكْرٍ وَإِلَّا كَانَتْ حُجَّةً مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِ، لِيَزْدَادَ بِهَا إِثْمًا
وَيَزْدَادَ اللَّهُ بِهَا سُخْطًا عَلَيْهِ.

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَدَّثَنِي مَكْحُولٌ عَنْ عَطِيَّةَ ابْنِ يَاسِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: «أَيُّمَا وَالٍ مَاتَ غَاشًا لِرِعِيَّتِهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ».

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ كَرِهَةِ الْحَقِّ فَقَدْ كَرِهَ اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ، إِنَّ
الَّذِي لَيْسَ قَلْبُ أُمَّتِكَ لَكُمْ حِينَ وَلَاكُمْ أُمُورَهُمْ لِقَرَابَتِكُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
وَقَدْ كَانَ بِهِمْ رُؤُوفًا رَحِيمًا مُوَاسِيًا لَهُمْ بِنَفْسِهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ مَحْمُودًا عِنْدَ اللَّهِ
وَعِنْدَ النَّاسِ، فَحَقِيقٌ بِكَ أَنْ تَقُومَ لَهُ فِيهِمْ بِالْحَقِّ، وَأَنْ تَكُونَ بِالْقَسْطِ لَهُ فِيهِمْ
قَائِمًا، وَلِعَمُورَاتِهِمْ سَاتِرًا لَا تُغْلِقَ عَلَيْكَ ذُنُوبُهُمُ الْحِجَابَ، تَبْتَهِّجُ بِالنِّعْمَةِ عِنْدَهُمْ
وَتَبْتَسِسُ بِمَا أَصَابَهُمْ مِنْ سُوءٍ.

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ كُنْتَ فِي شُعْلِ شَاغِلٍ مِنْ خَاصَّةِ نَفْسِكَ عَنْ عَامَّةِ
النَّاسِ الَّذِينَ أَصْبَحَتْ تَمْلِكُهُمْ أَحْمَرُهُمْ وَأَسْوَدُهُمْ مُسْلِمِهِمْ وَكَافِرُهُمْ وَكُلُّ لَهُ
عَلَيْكَ نَصِيبٌ مِنَ الْعَدْلِ، فَكَيْفَ بِكَ إِذَا انْبَعَثَ مِنْهُمْ فِتْنًا، وَلَيْسَ مِنْهُمْ أَحَدٌ
إِلَّا وَهُوَ يَشْكُو بَلِيَّةً أَدْخَلْتُهَا عَلَيْهِ أَوْ ظَلَامَةً سَفَتْهَا إِلَيْهِ.

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَدَّثَنِي مَكْحُولٌ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ رُوَيْمٍ قَالَ كَانَ بِيَدِ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ جَرِيدَةٌ يَسْتَاكُ بِهَا وَيُرَوِّعُ بِهَا الْمُنَافِقِينَ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ
لَهُ يَا مُحَمَّدُ مَا هَذِهِ الْجَرِيدَةُ الَّتِي كَسَّرْتَ بِهَا قُلُوبَ أُمَّتِكَ وَمَلَأْتَ قُلُوبَهُمْ
رُعبًا، فَكَيْفَ بِمَنْ شَقَّقَ أُسْتَارَهُمْ وَسَفَكَ دِمَاءَهُمْ وَخَرَّبَ دِيَارَهُمْ، وَأَجْلَاهُمْ
عَنْ بِلَادِهِمْ وَغَيَّبَهُمُ الْخَوْفُ مِنْهُ.

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَدَّثَنِي مَكْحُولٌ عَنْ زِيَادَةَ عَنْ حَارِثَةَ عَنْ حَبِيبِ ابْنِ
مَسْلَمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا إِلَى الْقِصَاصِ مِنْ نَفْسِهِ فِي حَدْثِ حَدْثِهِ
أَعْرَابِيٍّ لَمْ يَتَعَمَّدْهُ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْكَ
جَبَّارًا وَلَا مُتَكَبِّرًا، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْأَعْرَابِيَّ فَقَالَ: «اِقْتَصِرْ مِنِّي» فَقَالَ
الْأَعْرَابِيُّ قَدْ أَحْلَلْتُكَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، وَمَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ أَبَدًا، وَلَوْ أَتَيْتَ
عَلَى نَفْسِي فَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ.

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَضُّ نَفْسِكَ لِنَفْسِكَ، وَخُذْ لَهَا الْآمَانَ مِنْ رَبِّكَ،
وَارْغَبْ فِي جَنَّةِ عَرْضِهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، الَّتِي يَقُولُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
لَقَيْدُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا.

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الْمُلْكَ لَوْ بَقِيَ لِمَنْ قَبْلَكَ لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ، وَكَذَا لَا
يَبْقَى لَكَ كَمَا لَمْ يَبْقَ لِغَيْرِكَ.

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَتَدْرِي مَا جَاءَ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ عَنْ جَدِّكَ ﴿مَا لِهَذَا
الْكِتَابِ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ قَالَ الصَّغِيرَةُ التَّبَسُّمُ وَالْكَبِيرَةُ

الضَّحِكُ ، فَكَيْفَ بِمَا عَمِلْتَهُ الْأَيْدِي وَحَصَدْتُهُ الْأَلْسُنُ .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَلَّغْنِي أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَوْ مَاتَتْ سَخْلَةٌ عَلَى شَاطِئِ الْفَرَاتِ ضِيَعَتْ لَحَشِيَّتُ أَنْ أُسْأَلَ عَنْهَا ، فَكَيْفَ مِمَّنْ حُرِمَ عَذْلُكَ وَهُوَ عَلَى بَسَاطِكَ .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَتَدْرِي مَا جَاءَ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ عَنْ جَدِّكَ ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الزُّبُورِ يَا دَاوُدُ إِذَا قَعَدَ الْخَصْمَانُ بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَكَانَ لَكَ فِي أَحَدِهِمَا هَوَى ، فَلَا تَتَمَنَّيَنَّ فِي نَفْسِكَ أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ لَهُ فَيَفْلِحَ عَلَى صَاحِبِهِ ، فَأَمْحُوكَ عَنْ نُبُوتِي ثُمَّ لَا تَكُونُ خَلِيفَتِي ، وَلَا كَرَامَةً ، يَا دَاوُدُ إِنَّمَا جَعَلْتُ رُسُلِي إِلَى عِبَادِي رُعَاةَ كُرْعَاةِ الْإِبِلِ ، لِيَعْلَمَهُم بِالرُّعَايَةِ وَرِفْقِهِمْ بِالسِّيَاسَةِ لِيَجْبُرُوا الْكَسِيرَ وَيُدْلَهُوا الْهَزِيلَ عَلَى الْكَلَاءِ وَالْمَاءِ .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ قَدْ بُلِّيتَ بِأَمْرٍ لَوْ عُرِضَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ لِأَبِينَ أَنْ يَحْمِلَنَّهُ وَاشْفَقْنَ مِنْهُ .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ جَابِرٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرَةَ الْإِنصَارِيِّ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنَ الْإِنصَارِ عَلَى الصَّدَقَةِ ، فَرَأَاهُ بَعْدَ أَيَّامٍ مُقِيمًا فَقَالَ لَهُ مَا مَنَعَكَ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَى عَمَلِكَ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ لَكَ مِثْلَ أَجْرِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قَالَ لَا ثُمَّ قَالَ وَكَيْفَ ذَلِكَ قَالَ إِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ مَا مِنْ وَالٍ يَلِي شَيْئًا مِنْ أُمُورِ النَّاسِ إِلَّا أَتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُوبَةً يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ ، لَا يَفُكُّهَا إِلَّا عَدْلُهُ ، فَيُوقَفُ عَلَى جَسْرٍِ مِنَ النَّارِ يَنْتَفِضُ بِهِ ذَلِكَ الْجَسْرُ انْتِفَاضَةً تُزِيلُ كُلَّ عَضْوٍ مِنْهُ عَنْ مَوْضِعِهِ ، ثُمَّ يُعَادُ فِي حَاسَبٍ ، فَإِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَجَا بِإِحْسَانِهِ ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا انْحَرَفَ بِهِ ذَلِكَ الْجَسْرُ ، فَيَهْوَى بِهِ فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِمَّنْ سَمِعَتْ قَالَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ وَسَلْمَانَ فَأَرْسَلُ إِلَيْهِمَا عُمَرُ فَسَأَلَهُمَا فَقَالَا نَعَمْ سَمِعْنَا

مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ عُمَرُ وَأَعْمَرَاهُ مَنْ يَتَوَلَّاهَا بِمَا فِيهَا فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ سَلَّتْ اللَّهُ أَنْفَهُ، وَالصَّقَّ خَدَّهُ بِالْأَرْضِ قَالَ فَأَخَذَ الْمِنْدِيلَ
فَوَضَعَهُ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ بَكَى وَانْتَحَبَ حَتَّى أَبْكَانِي .

ثُمَّ قُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ سَأَلَ الْعَبَّاسُ النَّبِيَّ ﷺ إِمَارَةَ مَكَّةَ أَوْ الطَّائِفَ
أَوْ الْيَمْنَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ النَّبِيِّ نَفْسٌ تُحِبُّهَا خَيْرٌ مِنْ أَمَارَةٍ
لَا تُحْصِيهَا، نَصِيحَةٌ مِنْهُ لِعَمِّهِ وَشَفَقَةٌ عَلَيْهِ، وَأَخْبِرُهُ أَنَّهُ لَا يُغْنِي عَنْهُ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، فَقَالَ يَا عَبَّاسُ وَيَا صَفِيَّةُ
وَيَا فَاطِمَةَ بِنْتُ مُحَمَّدٍ إِنِّي لَسْتُ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ
عَمَلُكُمْ وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا يَقْسِمُ أَمْرَ النَّاسِ إِلَّا
حَصِيفُ الْعَقْلِ أَرِيبُ الْعَقْدِ، لَا يُطْلَعُ مِنْهُ عَلَى عَوْرَةٍ، لَا يُخَافُ مِنْهُ عَلَى حُرَّةٍ،
وَلَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ، وَقَالَ الْأَمْرَاءُ أَرْبَعَةٌ فَأَمِيرٌ قَوِيٌّ ظَلَفَ نَفْسَهُ
وَعُمَالَهُ، فَذَلِكَ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَدُ اللَّهِ بِاسِطَةٌ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ، وَأَمِيرٌ فِيهِ
ضَعْفٌ ظَلَفَ نَفْسَهُ وَارْتَعَ عُمَالَهُ لِضَعْفِهِ، فَهُوَ عَلَى شَفَاءِ هَلَاكِ إِلَّا أَنْ يَرْحَمَهُ
اللَّهُ، وَأَمِيرٌ ظَلَفَ عُمَالَهُ لِضَعْفِهِ وَارْتَعَ نَفْسَهُ فَذَلِكَ الْحُطْمَةُ، الَّذِي قَالَ فِيهِ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَرُّ الرَّعَاءِ الْحُطْمَةُ فَهُوَ الْهَالِكُ وَحَدُّهُ، وَأَمِيرٌ ارْتَعَ نَفْسَهُ
وَعُمَالَهُ فَهَلَكُوا جَمِيعًا .

وَقَدْ بَلَغَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ
أَتَيْتَكَ حِينَ أَمَرَ اللَّهُ بِمَنْفِخِ النَّارِ فَوَضَعْتَ عَلَى النَّارِ تُسَعَّرُ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَقَالَ لَهُ
يَا جَبْرِيلُ صِفْ لِي النَّارَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ بِهَا فَأَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ حَتَّى
احْمَرَّتْ، ثُمَّ أَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ حَتَّى اصْفَرَّتْ، ثُمَّ أَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ
حَتَّى اسْوَدَّتْ، فَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ، لَا يُضِيءُ جَمْرُهَا، وَلَا يَطْفَأُ لَهْبُهَا،
وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ أَنَّ ثَوْبًا مِنْ ثِيَابِ أَهْلِ النَّارِ أَظْهَرَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ لَمَاتُوا
جَمِيعًا وَلَوْ أَنَّ ذَنْبًا مِنْ شَرَابِهَا صُبَّ فِي مِيَاهِ الْأَرْضِ جَمِيعًا قَتَلَ مَنْ ذَاقَهُ، وَلَوْ

أَنَّ ذِرَاعًا مِنَ السُّلْسِلَةِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ وَضِعَ عَلَى جِبَالِ الْأَرْضِ جَمِيعًا لَذَابَتْ وَمَا اسْتَقَلَّتْ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا أُدْجِلَ النَّارَ ثُمَّ أُخْرِجَ مِنْهَا لَمَاتَ أَهْلُ الْأَرْضِ مِنْ نَتْنِ رِيحِهِ وَتَشْوِيهِ خَلْقِهِ وَعِظَامِهِ .

فَبَكَى النَّبِيُّ ﷺ وَبَكَى جَبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِبُكَائِهِ فَقَالَ أَتُبْكِي يَا مُحَمَّدُ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، وَلِمَ بَكَيتَ يَا جَبْرِئِيلُ وَأَنْتَ الرُّوحُ الْأَمِينُ أَمِينُ اللَّهِ عَلَى وَحْيِهِ .

قَالَ أَحَافُ أَنْ أُبْتَلَى بِمَا ابْتُلِيَ بِهِ هَارُوتُ وَمَارُوتُ، فَهُوَ الَّذِي مَنَعَنِي مِنَ اتِّكَالِي عَلَى مَنْزِلَتِي عِنْدَ رَبِّي، فَأَكُونُ قَدْ أَمِنْتُ مَكْرَهُ، فَلَمْ يَزَالَا يَنْكِيَانِ حَتَّى نُودِيََا مِنَ السَّمَاءِ، يَا جَبْرِئِيلُ، وَيَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَنَكُمَا أَنْ تَعْصِيَاهُ، فَيَعَذِّبَكُمَا، وَفَضَلَ مُحَمَّدٍ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ كَفَضَلَ جَبْرِئِيلُ عَلَى سَائِرِ الْمَلَائِكَةِ .

وَقَدْ بَلَغَنِي يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي أَبَالِي إِذَا قَعَدَ الْخَصْمَانِ بَيْنَ يَدَيَّ عَلَى مَنْ مَالَ الْحَقُّ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ، فَلَا تُمَهِّلْنِي طَرْفَةَ عَيْنٍ .

يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أَشَدَّ الشَّدَّةِ الْقِيَامُ لِلَّهِ بِحَقِّهِ، وَأَنْ أَكْرَمَ الْكَرَمِ عِنْدَ اللَّهِ التَّقْوَى، وَإِنَّهُ مَنْ طَلَبَ الْعِزَّ بِطَاعَةِ اللَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ وَأَعَزَّهُ .

وَمَنْ طَلَبَهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ أَذَلَّهُ، وَوَضَعَهُ، فَهَذِهِ نَصِيحَتِي إِلَيْكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ، ثُمَّ نَهَضْتُ فَقَالَ لِي إِلَى أَيْنَ فَقُلْتُ إِلَى الْوَلَدِ وَالْوَطَنِ، بِإِذْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فَقَالَ قَدْ أَذِنْتُ لَكَ، وَشَكَرْتُ لَكَ نَصِيحَتِكَ، وَقَبَلْتُهَا، وَاللَّهُ الْمُؤَفَّقُ لِلْخَيْرِ وَالْمُعِينُ عَلَيْهِ، وَبِهِ أَسْتَعِينُ، وَعَلَيْهِ أَتَوَكَّلُ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَلَا تُخْلِنِي بِمُطَالَعَتِكَ أَيَّي، بِمِثْلِ هَذَا فَإِنَّكَ الْمَقْبُولُ الْقَوْلَ غَيْرَ الْمُتَّهَمِ فِي النَّصِيحَةِ، قُلْتُ أَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

«فَصْلٌ»

وَلَمَّا اسْتَوْلَى الْمَلِكُ الصَّالِحُ عَلَى دِمَشْقَ اسْتَعَانَ بِالْإِفْرَنْجِ، وَاصْطَلَحَ مَعَهُمْ عَلَى أَنْ يُسْعِفُوهُ ضِدًّا أَخِيهِ، مَلِكَ مِصْرَ، وَيُعْطِيَهُمْ مُقَابِلَ مَعُونَتِهِمْ صَيْدًا وَقَلْعَةَ الشَّقِيفِ، وَغَيْرَهَا مِنْ حُصُونِ الْمُسْلِمِينَ.

وَدَخَلَ الصَّلْبِيُّونَ دِمَشْقَ، لِشِرَاءِ الصَّلَاحِ فَاسْتَفْطَعَ الشَّيْخُ الْعِزُّ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ لِدَيْكَ، وَغَمَّ غَمًّا شَدِيدًا، فَأَفْتَى بِتَحْرِيمِ بَيْعِ السَّلَاحِ لِلْإِفْرَنْجِ، وَتَرَكَ الدُّعَاءَ لِلسُّلْطَانِ فِي خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ.

وَتَدَدَ بِخَبَايَةِ السُّلْطَانِ لِلْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ مِمَّا دَعَا بِهِ فِي خُطْبَةِ: «اللَّهُمَّ أَبْرَمَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ أَمْرَ رُشْدٍ تُعْزُ فِيهِ وَبَيْتِكَ، وَتُنْذِلُ بِهِ عُدُوكَ، وَيُعْمَلُ فِيهِ بِطَاعَتِكَ، وَيُنْهَى فِيهِ عَنِ مَعْصِيَتِكَ، وَالنَّاسُ يُؤْمِنُونَ عَلَى دُعَائِهِ»، فَبِمِثْلِ لَمَحِ الْبُرْقِ بَلَغَ الْجَوَاسِيسُ الْمَلِكَ مَا فَعَلَهُ قَاضِي الْقَضَاةِ.

وَمَا أَكْثَرَ الْمُبْلَغِينَ وَالْمُتَوَدِّدِينَ وَالنَّمَامِينَ فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَمَكَانٍ، فَغَضِبَ السُّلْطَانُ، وَعَزَلَ الشَّيْخَ عَنِ الْقَضَاةِ فَرَحَلَ الشَّيْخُ عَنِ دِمَشْقَ إِلَى مِصْرَ، وَبَيْنَمَا هُوَ فِي الطَّرِيقِ أَرْسَلَ السُّلْطَانُ فِي أَثَرِهِ، فَأَدْرَكَتُهُ رُسُلُ الْمَلِكِ الصَّالِحِ. وَطَلَبُوا مِنْهُ الرُّجُوعَ، وَقَالُوا لَهُ أَنَّ السُّلْطَانَ عَفَا عَنْكَ وَسَيَرُدُّكَ إِلَى مَنْصِبِكَ عَلَى أَنْ تَنْكَسِرَ لَهُ وَتَعْتَدِرَ، وَتُقَبَّلَ يَدُهُ.

فَقَالَ لَهُمُ الشَّيْخُ أَنَا مَا أَرْضَى أَنْ يُقَبَّلَ يَدِي، فَضَلًّا عَنِ أَنْ أُقَبَّلَ يَدَهُ، يَا قَوْمُ أَنْتُمْ فِي وَادِي، وَأَنَا فِي وَادِي، ثُمَّ مَضَى فِي طَرِيقِهِ حَتَّى وَصَلَ مِصْرَ. هَكَذَا الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ.

اللَّهُمَّ قَوِّنَا بِالْيَقِينِ وَأَمْنَحْنَا التَّوْفِيقَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصَلِّ»: وَلَمَّا عَلِمَ مَنْدَرُ بْنُ سَعِيدٍ قَاضِي الْجَمَاعَةِ بِقَرُطَبَةَ، أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ بَنَى مَدِينَةَ الزُّهْرَاءِ وَوَضَعَ فِيهَا الصَّرْحَ الْمُرَدَّ، وَاتَّخَذَ لِقَبْتِهِ قَرَامِيدَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ.

فَعَضِبَ الشَّيْخُ لِذَلِكَ، وَتَأَلَّمَ لِهَذَا الْبَدْخِ فِي مَالِ الدَّوْلَةِ وَعَلِمَ أَنَّهُ الْمَسْئُولُ الْأَوَّلُ أَمَامَ بَدْيِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَأَنَّهُ يُتَعَيَّنُ عَلَيْهِ أَنْ يَنْهَى عَنِ هَذَا السَّرْفِ الْمُضِرِّ بِصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ.

فَجَاءَ إِلَى النَّاصِرِ وَقَبَّحَ عَمَلَهُ هَذَا وَأَبَّهُ بِقَوْلِهِ مَا ظَنَنْتُ أَنَّ الشَّيْطَانَ أَخْرَاهُ اللَّهُ بَلَعُكَ هَذَا الْمَبْلَغَ، وَلَا أَنَّ تُمْكِنَهُ مِنْ قِيَادِكَ هَذَا التَّمَكِينِ حَتَّى أَنْزَلَكَ اللَّهُ مَنَازِلَ الْكَافِرِينَ مَعَ مَا آتَاكَ اللَّهُ وَفَضَّلَكَ عَلَى الْعَالَمِينَ.

فَاقْشَعَرَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ مِنْ قَوْلِ الشَّيْخِ وَقَالَ لَهُ أَنْظِرْ مَاذَا تَقُولُ كَيْفَ أَنْزَلْتَنِي مَنَازِلَهُمْ قَالَ نَعَمْ أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِيَهُمْ سُقْفًا مِنْ فُضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ، وَلِيُوتِيَهُمْ أَبْوَابًا وَسُرُورًا عَلَيْهَا يُتَكَيَّفُونَ وَزُرْحَفَاءَ، وَإِنْ كُلَّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

فَسَكَتَ النَّاصِرُ وَنَكَسَ رَأْسَهُ سَاعَةً، وَاغْرُورَقَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْبُكَاءِ وَصَارَتْ دُمُوعُهُ تَجْرِي عَلَى خَدَّيْهِ وَلِحْيَتَيْهِ، خَوْفًا مِنَ اللَّهِ حَيْثُ وَصَلَتْ الْمَوْعِظَةُ الْخَالِصَةُ إِلَى قَلْبِهِ، وَتَأَثَّرًا عَظِيمًا لِأَنَّهَا مِنْ قَلْبٍ إِلَى قَلْبٍ.

ثُمَّ قَالَ لِلشَّيْخِ جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا وَعَنِ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، وَأَكْثَرَ فِينَا مِنْ أَمْثَالِكَ، فَالذِي نَطَقْتَ بِهِ حَقُّ وَاللَّهِ وَقَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ يَلْهَجُ بِالِاسْتِغْفَارِ ثُمَّ أَمَرَ بِنَقْصِ سَقْفِ الْقَبَةِ، وَعَادَ قَرَامِيدَهَا ثُرَابًا.

فَتَأَمَّلْ يَا أَحْيَى كَيْفَ أَنَّ سُلْطَانَ الدُّنْيَا وَالْمَادَّةِ وَقَفَ خَاشِعًا أَمَامَ هَذَا الْعَالِمِ الذِّي لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَأَيِّمٍ الَّذِي أَدَّى وَاجِبَهُ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ مُعْتَمِدًا

على فاطر السموات والأرض الذي ما من دابة إلا هو آخذٌ بناصيتها ولو كان من علماء هذا العصر المظلم لسمعت غير هذا فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل .

اللَّهُمَّ أَحْيِي قُلُوبًا أَمَاتَهَا الْبُعْدُ عَنْ بَابِكَ ، وَلَا تُعَذِّبْنَا بِالْيَمِّ عِقَابِكَ يَا أَكْرَمَ مَنْ سَمَحَ بِالنَّوَالِ وَجَادَ بِالْإِفْضَالِ ، اللَّهُمَّ أَيْقِظْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِلُطْفِكَ وَإِحْسَانِكَ ، وَتَجَاوَزْ عَنْ جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وَغَفْرَانِكَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فصل» : وَذَكَرَ أَنَّهُ قَدِمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورُ مَكَّةَ شَرَّفَهَا اللَّهُ حَاجًا فَكَانَ يَخْرُجُ مِنْ دَارِ النَّدْوَةِ إِلَى الطَّوَافِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ ، يَطُوفُ وَيُصَلِّي وَلَا يُعْلَمُ بِهِ ، فَإِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ ، رَجَعَ إِلَى دَارِ النَّدْوَةِ ، وَجَاءَ الْمُؤَدِّونَ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ وَأَقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ .

فَخَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ حِينَ أَسْحَرَ فَبَيْنَمَا هُوَ يَطُوفُ إِذْ سَمِعَ رَجُلًا عِنْدَ الْمُتَزَمِّ وَهُوَ يَقُولُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ظُهُورَ الْبَغْيِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ ، وَمَا يَحُولُ بَيْنَ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ مِنَ الظُّلْمِ ، وَالطَّمَعِ ، فَاسْرِعْ الْمَنْصُورُ فِي مَشِيهِ ، حَتَّى مَلَأَ مَسَامِعَهُ مِنْ قَوْلِهِ وَفَهُمَ قَوْلُهُ كَلَّهُ .

ثُمَّ خَرَجَ فَجَلَسَ نَاحِيَةً مِنَ الْمَسْجِدِ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَدَعَاهُ ، فَأَتَاهُ الرَّسُولُ ، وَقَالَ لَهُ أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَاسْتَلَّمَ الرُّكْنَ وَأَقْبَلَ مَعَ الرَّسُولِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : مَا هَذَا الَّذِي سَمِعْتُكَ تَقُولُ مِنْ ظُهُورِ الْبَغْيِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَحُولُ بَيْنَ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ مِنَ الظُّلْمِ وَالطَّمَعِ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ حَشَوْتُ مَسَامِعِي مَا أَمْرَضَنِي وَأَقْلَقَنِي .

فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ أَمَّنْتَنِي عَلَى نَفْسِي أَنْبَأْتُكَ بِالْأُمُورِ مِنْ أَصُولِهَا

وَالْأَقْتَصَرْتُ عَلَى نَفْسِي فِيهَا لِي شُغْلٌ شَاغِلٌ ، فَقَالَ لَهُ أَنْتَ إِمِنْ عَلَى نَفْسِكَ
فَقَالَ الَّذِي دَخَلَهُ الطَّمَعُ حَتَّى حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَقِّ وَاصْلَاحِ مَا ظَهَرَ مِنَ الْبَغْيِ
وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ أَنْتَ .

فَقَالَ وَيَحَكَ يَدْخُلْنِي الطَّمَعُ وَالصَّفَرَاءُ وَالْبَيْضَاءُ فِي يَدَيِ وَالْحُلُو
وَالْحَامِضُ فِي قَبْضَتِي قَالَ وَهَلْ دَخَلَ أَحَدًا مِنَ الطَّمَعِ مَا دَخَلَكَ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى اسْتَرَعَاكَ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالَهُمْ فَأَغْفَلْتَ أُمُورَهُمْ
وَاهْتَمَمْتَ بِجَمْعِ أَمْوَالِهِمْ .

وَجَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ حِجَابًا مِنَ الْحِصِّ ، وَالْأَجْرِ وَأَبْوَابًا مِنَ الْحَدِيدِ
وَحِجَبَةً مَعَهُمُ السَّلَاحُ ثُمَّ سَجَنْتَ نَفْسَكَ فِيهَا عَنْهُمْ وَبَعَثْتَ عُمَّالَكَ فِي جَمْعِ
الْأَمْوَالِ وَجِبَابِهَا .

وَاتَّخَذْتَ وُزَرَآءَ وَأَعْوَانًا ظَلَمَةً إِنْ نَسِيتَ لَمْ يُذَكِّرْوكَ وَإِنْ ذَكَرْتَ لَمْ
يُعِينُوكَ وَقَوَّيْتَهُمْ عَلَى ظَلْمِ النَّاسِ بِالْأَمْوَالِ وَالْكِرَاعِ ، وَالسَّلَاحِ وَأَمَرْتَ بِأَنْ
لَا يَدْخُلَ عَلَيْكَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فُلَانٌ وَفُلَانٌ سَمَّيْتَهُمْ وَلَمْ تَأْمُرْ بِإِبْصَالِ الْمَظْلُومِ
وَالْمَلْهُوفِ وَلَا الْجَائِعِ وَلَا الْعَارِي وَلَا الضَّعِيفِ وَلَا الْفَقِيرِ وَلَا أَحَدًا إِلَّا وَهْ فِي
هَذَا الْمَالِ حَقٌّ .

فَلَمَّا رَأَى هَؤُلَاءِ النَّفَرِ الَّذِينَ اسْتَحْلَصَتْهُمْ لِنَفْسِكَ وَآثَرْتَهُمْ عَلَى رَعِيَّتِكَ
وَأَمَرْتَهُمْ أَنْ لَا يُحْجَبُوا عَنْكَ تَجِبِي الْأَمْوَالِ وَلَا تَقْسِمُهَا قَالُوا هَذَا قَدْ حَانَ اللَّهُ
فَمَا لَنَا لَا نَحُونَهُ وَقَدْ سُوِّجَرَ لَنَا .

فَاتَّخَمُوا عَلَى أَنْ لَا يَصِلَ إِلَيْكَ مِنْ عِلْمِ أَخْبَارِ النَّاسِ إِلَّا مَا أَرَادُوا وَإِنْ لَا
يَخْرُجُ لَكَ عَامِلٌ فَيُخَالِفُ لَهُمْ أَمْرًا إِلَّا أَقْصَوْهُ حَتَّى تَسْقُطَ مَنْزِلَتُهُ وَيَصْغُرَ
قَدْرُهُ .

فَلَمَّا انْتَشَرَ ذَلِكَ عَنْكَ وَعَنْهُمْ ، أَعْظَمَهُمُ النَّاسُ - وَهَابُوهُمْ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ
صَانَعَهُمْ عُمَّالِكَ بِالْهَدَايَا وَالْأَمْوَالِ لِيَتَّقَوْا بِهِمْ عَلَى ظَلْمِ رَعِيَّتِكَ .

ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ ذَوْوُ الْقُدْرَةِ وَالثَّرْوَةِ مِنْ رَعِيَّتِكَ لِيَنَالُوا ظُلْمَ مَنْ دُونَهُمْ مِنَ
الرَّعِيَةِ فَاُمْتَلَأَتْ بِلَادُ اللَّهِ بِالطَّمَعِ بَغِيًّا وَفَسَادًا وَصَارَ هُوَ لِأَيِّ الْقَوْمِ شُرَكَاءَكَ فِي
سُلْطَانِكَ وَأَنْتَ غَافِلٌ .

فَإِنْ جَاءَ مُتَظَلِّمٌ حَيْلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الدُّخُولِ إِلَيْكَ وَإِنْ أَرَادَ رَفَعَ صَوْتَهُ أَوْ
قَصَّصَهُ إِلَيْكَ عِنْدَ ظُهُورِكَ وَجَدَكَ قَدْ نَهَيْتَ عَنْ ذَلِكَ ، وَقَفَّتْ لِلنَّاسِ رِجَالًا يَنْظُرُ
فِي مَظَالِمِهِمْ ، فَإِنْ جَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ وَبَلَغَ بِطَانَتِكَ سَأَلُوا صَاحِبَ الْمَظَالِمِ أَنْ لَا
يَرْفَعَ مَظْلَمَتَهُ وَإِنْ كَانَتْ لِلْمُتَظَلِّمِ بِهِ حُرْمَةٌ وَإِجَابَةٌ لَمْ يُمَكِّنْهُ مِمَّا يُرِيدُ خَوْفًا
مِنْهُمْ .

فَلَا يَزَالُ الْمَظْلُومُ يَخْتَلِفُ إِلَيْهِ وَيَلُودُ بِهِ وَيَشْكُو ، وَيَسْتَعِيثُ وَهُوَ يَدْفَعُهُ
وَيَعْتَلِي عَلَيْهِ ، فَإِذَا جُهِدَ ، وَأُخْرِجَ وَظَهَرَتْ صَرَخَ بَيْنَ يَدَيْكَ فَيَضْرِبُ ضَرْبًا
مُبْرَحًا ، لِيَكُونَ نَكَالًا لِغَيْرِهِ ، وَأَنْتَ تَنْظُرُ ، وَلَا تُنْكِرُ وَلَا تُعْنِي ، فَمَا بَقَاءُ
الإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ عَلَى هَذَا .

وَلَقَدْ كَانَ بَنُو أُمِّيَّةَ وَكَانَتِ الْعَرَبُ لَا يَنْتَهِي إِلَيْهِمُ الْمَظْلُومُ إِلَّا رُفِعَتْ
ظِلَامَتُهُ إِلَيْهِمْ ، فَيُنْصَفُ وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَأْتِي مِنَ أَقْصَى الْبِلَادِ حَتَّى يَبْلُغَ بَابَ
سُلْطَانِهِمْ ، فَيُنَادِي يَا أَهْلَ الإِسْلَامِ فَيَتَبَدَّرُونَهُ مَا لَكَ فَيَرْفَعُونَ مَظْلَمَتَهُ إِلَى
سُلْطَانِهِمْ فَيُنْصَفُ .

وَلَقَدْ كُنْتُ أُسَافِرُ إِلَى أَرْضِ الصِّينِ وَبِهَا مَلِكٌ فَقَدِمْتُهَا مَرَّةً وَقَدْ ذَهَبَ
سَمْعُ مَلِكِهِمْ ، فَجَعَلَ يَبْكِي فَقَالَ وَزَرَاؤُهُ مَا لَكَ تَبْكِي لَا بَكَتْ عَيْنَاكَ .

فَقَالَ أَمَا إِنِّي لَسْتُ أَبْكِي عَلَى الْمُصِيبَةِ الَّتِي نَزَلَتْ بِي ، وَلَكِنْ أَبْكِي
لِمَظْلُومٍ يَصْرُخُ بِالْبَابِ فَلَا أَسْمَعُ صَوْتَهُ .

ثُمَّ قَالَ أَمَا إِنْ كَانَ ذَهَبَ سَمْعِي فَإِنَّ بَصَرِي لَمْ يَذْهَبْ ، نَادُوا فِي النَّاسِ
أَلَا لَا يَلْبَسُ ثَوْبًا أَحْمَرَ إِلَّا مَظْلُومًا ، فَكَانَ يَرْكَبُ الْفَيْلَ وَيَطُوفُ طَرْفِي النَّهَارِ
هَلْ يَرَى مَظْلُومًا فَيُنْصِفُهُ .

هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُشْرِكٌ بِاللَّهِ، قَدْ غَلَبَتْ رَأْفَتُهُ بِالْمُشْرِكِينَ، وَرِقَّتُهُ،
عَلَى شُحِّ نَفْسِهِ فِي مَلِكِهِ وَأَنْتَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ، وَابْنُ عَمِّ نَبِيِّ اللَّهِ لَا تَغْلِبُكَ رَأْفَتُكَ
بِالْمُسْلِمِينَ، وَرِقَّتُكَ عَلَى شُحِّ نَفْسِكَ؛ فَانْكَ لَا تَجْمَعُ الْأَمْوَالَ إِلَّا لِوَاحِدٍ مِنْ
ثَلَاثَةٍ .

إِنْ قُلْتَ أَجْمَعُهَا لَوْلَدِي فَقَدْ أَرَاكَ اللَّهُ عِبْرًا فِي الطِّفْلِ الصَّغِيرِ يَسْقُطُ مِنْ
بَطْنِ أُمِّهِ وَمَالُهُ عَلَى الْأَرْضِ مَالٌ، وَمَا مِنْ مَالٍ إِلَّا وَدُونَهُ يَدٌ شَحِيحَةٌ تَحْوِيهِ،
فَمَا يَزَالُ اللَّهُ تَعَالَى يُلَطِّفُ بِذَلِكَ الطِّفْلِ حَتَّى تَعْظُمَ رَغْبَةُ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَلَسْتَ
الَّذِي تُعْطِي بَلِ اللَّهُ يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ .

وَإِنْ قُلْتَ أَجْمَعُ لِأَشِيْدِ سُلْطَانِي فَقَدْ أَرَاكَ اللَّهُ عِبْرًا فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكَ مَا
أَغْنَى عَنْهُمْ مَا جَمَعُوهُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَمَا أَعْدَوْا مِنَ الرِّجَالِ وَالسِّلَاحِ
وَالكِرَاعِ وَمَا ضُرَّكَ وَوَلَدَ أَيْبِكَ مَا كُنْتُمْ فِيهِ مِنْ قَلَةِ الْجِدَّةِ وَالضَّعْفِ حِينَ أَرَادَ
اللَّهُ بِكُمْ مَا أَرَادَ .

وَإِنْ قُلْتَ أَجْمَعُ لِطَلَبِ غَايَةٍ هِيَ أَجْسَمٌ مِنَ الْغَايَةِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا فَوَاللَّهِ مَا
فَوْقَ مَا أَنْتَ فِيهِ إِلَّا مَنْزِلَةٌ لَا تُدْرِكُ إِلَّا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ - يُرِيدُ الْجَنَّةَ وَصَدَقَ
رَحِمَهُ اللَّهُ - .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلْ تُعَاقِبَ مَنْ عَصَاكَ مِنْ رَعِيَّتِكَ بِأَشَدِّ مِنَ الْقَتْلِ قَالَ لَا
قَالَ فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِالْمَلِكِ الَّذِي خَوَّلَكَ، وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ مُلْكِ الدُّنْيَا .

وَهُوَ تَعَالَى لَا يُعَاقِبُ مَنْ عَصَاهُ بِالْقَتْلِ، وَلَكِنْ يُعَاقِبُ مَنْ عَصَاهُ بِالْخُلُودِ
فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، وَهُوَ الَّذِي يَرَى مِنْكَ مَا عَقَدَ عَلَيْهِ قَلْبُكَ وَأَضْمَرْتَهُ
جَوَارِحُكَ فَمَاذَا تَقُولُ إِذَا انْتَزَعَ الْمَلِكُ الْحَقَّ الْمُبِينُ مُلْكَ الدُّنْيَا مِنْ يَدِكَ وَدَعَاكَ
إِلَى الْحِسَابِ هَلْ يُعْنِي عَنْكَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِمَّا كُنْتَ فِيهِ مِمَّا شَحَحَتْ عَلَيْهِ مِنْ
مُلْكِ الدُّنْيَا .

فَبَكَى الْمَنْصُورُ بُكَاءً شَدِيداً حَتَّى نَحَبَ وَارْتَفَعَ صَوْتُهُ ثُمَّ قَالَ كَيْفَ
 اِحْتِيَالِي فِيمَا حُوِّلْتُ فِيهِ وَلَمْ أَرِ مِنَ النَّاسِ إِلَّا خَائِئِناً، قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّكَ
 بِالْأُتْمَةِ الْأَعْلَامِ الْمُرْشِدِينَ قَالَ وَمَنْ هُمْ، قَالَ الْعُلَمَاءُ قَالَ قَدْ فُرُوا مِنِّي، قَالَ
 هَرَبُوا مِنْكَ مَخَافَةً أَنْ تَحْمِلَهُمْ عَلَى مَا ظَهَرَ مِنْ طَرِيقَتِكَ مِنْ قِبَلِ عُمَّالِكَ .

ولكن افتح الأبواب وسهل الحجاب، وانتصر للمظلوم من الظالم،
 وامنع المظالم وخذ الشيء مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل، وأنا
 ضامن على أن من هرب منك أن يأتيتك، فيعاونك على صلاح أمرك،
 ورعييتك فقال المنصور اللهم وفقني أن أعمل بما قال هذا الرجل وأقيمت
 الصلاة فخرج فصلى بهم .. إلخ .

شِعْرًا: مَا ضَرَّ مَنْ رَهَبَ الْمُلُوكَ لَوْ أَنَّهُ
 وَإِذَا رَجَوْتَ لِنِعْمَةٍ أَوْ نِقْمَةٍ
 وَإِذَا دَعَوْتَ سِوَى الْإِلَهِ فَإِنَّمَا
 آخِر: وَاللَّهُ بِالْغَيْبِ، وَالتَّقْدِيرِ مُنْفَرِدٌ
 فَلَا مُعْجِلَ لِلْمَقْضِيِّ آجِلُهُ
 ثِقُ بِالْعَلِيمِ الَّذِي يَقْضِي الْأُمُورَ، وَلَا

اللَّهُمَّ توفنا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرِ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ وَاعْفِرْ لَنَا .
 اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ وَبَارِكْ لَنَا فِي الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ وَلَا
 تَفْضُحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاكَ دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ يَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ
 وَمُجِيبَ الدَّعَوَاتِ هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَّيْنَاهُ يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ
 السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ضَمَائِرِ الصَّامِتِينَ أَدِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا: زِيَادَةُ الْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ نَقْصَانُ
 وَكُلُّ وَجْدَانٍ حَظٌّ لَا ثَبَاتَ لَهُ
 وَرُبْحُهُ غَيْرَ مَحْضِ الْخَيْرِ نُحْسِرَانُ
 فَإِنْ مَعْنَاهُ فِي التَّحْقِيقِ فَقُدَانُ

يا عامراً لِخِرَابِ الدَّهْرِ مُجْتَهَداً
 ويا حَرِيصاً على الأُمُوالِ تَجْمَعُهَا
 رَاعِي الفُؤادِ عن الدُّنيا وَزُخْرُفِها
 وَأَرعِ سَمْعَكَ أَمْثالاً أَفْصَلُها
 أَحْسِنِ إلى النّاسِ تَسْتَعْبِدُ قُلُوبَهُمْ
 يا خادِمَ الجِسمِ كَم تَسْعَى لِخِدمَتِهِ
 أَقْبِلْ على النّفسِ وإِسْتَكْمِلْ فَضائِلِها
 وَإِنْ أَسَاءَ مُسِييءٌ فَلْيَكُنْ لَكَ فِي
 وَكُنْ على الدَّهْرِ مِعْواناً لِذِي أَمَلٍ
 وإشْدُدْ يَدَيْكَ بِحَبْلِ اللَّهِ مُعْتَصِماً
 مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُحْمَدِ فِي عَواقِبِهِ
 مَنْ إِسْتَعانَ بِغَيْرِ اللَّهِ فِي طَلَبٍ
 مَنْ كانَ لِلْخَيْرِ مَناعاً فَلَيْسَ لَهُ
 مَنْ جادَ بِالمالِ مالَ النّاسِ قاطِبَةً
 مَنْ سألَمَ النّاسَ يَسَلِّمُ مِنْ غَوائِلِهِمْ
 مَنْ كانَ لِلعَقْلِ سُلطاناً عَلَيْهِ غَداً
 مَنْ مَدَّ طَرفاً بِفِرطِ الجَهِلِ نَحَواهُوِي
 مَنْ إِسْتشارَ صُرُوفَ الدَّهْرِ قامَ لَهُ
 مَنْ يَزْرَعُ الشَّرَّ يَحْصُدُ فِي عَواقِبِهِ
 مَنْ إِسْتنامَ إلى الأَشْرابِ نَامَ وَفي
 كُنْ رَيِّقَ البِشْرِ إِنَّ الحَرَّ هِمَّتُهُ
 وَرافِقِ الرِّقِّ فِي كُلِّ الأُمُورِ فَلَمْ
 ولا يَغْرُنْكَ حَظُّ جَرِّهِ خَرَقُ
 أَحْسِنِ إِذا كانَ إِمكانٌ وَمَقَدِرَةٌ

بِاللَّهِ هَلْ لِحَرْبِ الدَّهْرِ عُمَرانُ
 أَتَسَيَّتْ أَنَّ سُرُورَ المِمالِ أَحْزانُ
 فَصَفُوهَا كَدْرٌ وَالوَصْلُ هُجْرانُ
 كَمَا يُفْصَلُ ياقوتٌ وَمَرْجانُ
 فَطالَ ما اسْتَعَبَدَ الإِنسانَ إِحسانُ
 أَتَطْلُبُ الرِّبْحَ ما فِيهِ خُسرانُ
 فَأَتَتْ بِالنَّفْسِ لا بِالجِسمِ إِنسانُ
 عُروضِ زَلَّتِهُ عَفْوَ وَغُفرانُ
 يَرْجُوا نَدانَكَ فَإِنَّ الحَرَ مِعْوانُ
 فَإِنَّهُ الرِّكْنُ إِنْ نَحائِثَكَ أركانُ
 وَيَكْفِيهِ شَرٌّ مَنْ عَزَّوا وَمَنْ هانُوا
 فَإِنَّ ناصِرَهُ عَجْزٌ وَخُدْلانُ
 على الحَقِيقَةِ إِخوانُ وَأُخْدانُ
 إِلَيْهِ وَالْمالُ لِلإِنسانِ فَتَّانُ
 وَعاشَ وَهُوَ قَرِيرُ العَيْنِ خُدْلانُ
 وما على نَفْسِهِ لِلجِرْصِ سُلْطانُ
 أَغْضَى على الحَقِّ يوماً وَهُوَ خَزْيانُ
 على حَقِيقَةِ طَبَعِ الدَّهْرِ بُرْهانُ
 نَدامَةٌ وَلِحَصْدِ الرِّزْقِ إِبْبانُ
 قَمِيصِهِ مِنْهُوا صَيْلٌ وَثُعبانُ
 صَحِيفَةٌ وَعَليها البِشْرُ عُنْوانُ
 يَنْدَمُ رَفِيقٌ وَلَمْ يَذْمُمْهُ إِنسانُ
 فَالْخَرَقُ هَدْمٌ وَرِفْقُ المِرايِ بُنيانُ
 فلنْ يَدُومَ عَلى الإِحْسانِ إِمكانُ

فالروضُ يزدانُ بالأنوارِ فَاغْمُهُ
 دَعِ حُرٌّ وَجْهَكَ لَا تَهْتِكْ غَلَاتَهُ
 لَا ضِلَّ لِلْمَرْءِ يَعْزَى مِنْ نُهْيٍ وَتَقَى
 وَالنَّاسُ أَعْوَانُ مَنْ وَانْتَهُ دَوْلَتُهُ
 سَحْبَانُ مِنْ غَيْرِ مَالٍ بِأَقْلٍ حَصْرٌ
 وَلَا تُودِعِ السِّرَّ وَشَاءَ بِهِ مَدْلًا
 لَا تَحْسِبِ النَّاسَ طَبْعًا وَاحِدًا فَلَهُمْ
 مَا كُلُّ مَاءٍ كَصَدَائِهِ لِوَارِدِهِ
 لَا تَحْدِثَنَّ بِمَطْلٍ وَجْهَ عَارِفَةٍ
 لَا تَسْتَشِيرْ غَيْرَ نَدْبٍ حَازِمٍ يَقِظُ
 فَلْتَدَايِرِ فُرْسَانَ إِذَا رَكَضُوا
 وَلِلْأُمُورِ مَوَاقِيتٌ مُقَدَّرَةٌ
 فَلَا تَكُنْ عَجَلًا فِي الْأَمْرِ تَطْلُبُهُ
 كَفَى مِنَ الْعَيْشِ مَا قَدْ سَدَّ مِنْ عَوَزٍ
 وَذُوا الْقِنَاعَةِ رَاضٍ مِنْ مَعِيشَتِهِ
 حَسْبُ الْفَتَى عَقْلُهُ جَلًّا يُعَاشِرُهُ
 هُمَا رَضِيْعَا لِبَانِ حَكْمَةٍ وَتَقَى
 إِذَا نَبَا بِكَرِيمٍ مَوْطِنُ فَلَهُ
 يَظَالِمًا فِرْحًا بِالْعَزِ سَاعَدَهُ
 مَا اسْتَمْرَأَ الظُّلْمَ لَوْ أَنْصَفَتْ آكَلُهُ
 يَا أَيُّهَا الْعَالِمُ الْمَرَضِيُّ سِيرْتُهُ
 وَيَا أَخَا الْجَهْلِ لَوْ أَصْبَحْتَ فِي لَجَجٍ
 وَلَا تَحْسِبَنَّ سُرُورًا دَائِمًا أَبَدًا
 يَارِفَلًا فِي الشَّبَابِ الْوَجِيفِ مُنْتَشِيًا

وَالْحُرُّ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ يَزْدَانُ
 فَكُلُّ حُرٍّ لِحُرِّ الْوَجْهِ صَوَّانُ
 وَإِنْ أَظْلَلْتَهُ أَوْرَاقُ وَأَفْنَانُ
 وَهُمْ عَلَيْهِ إِذَا عَادَتْهُ أَعْوَانُ
 وَبِأَقْلٍ فِي ثَرَاءِ الْمَالِ سَحْبَانُ
 فَمَا رَعَى غَنَمًا فِي الدَّوِّ سِرْحَانُ
 غَرَائِزُ لَسْتَ تُحْصِيهِنَّ أَلْوَانُ
 نَعَمْ وَلَا كُلُّ نَبْتٍ فَهَوِ سَعْدَانُ
 فَالْبِرُّ يَحْدِثُهُ مَطْلٌ وَلَيَّانُ
 قَدْ اسْتَوَى عِنْدَهُ سِرٌّ وَإِعْلَانُ
 فِيهَا أَبْرُوا كَمَا لِلْحَرْبِ فُرْسَانُ
 وَكُلُّ أَمْرٍ لَهُ حَدٌّ وَمِيزَانُ
 فَلَيْسَ يُحْمَدُ قَبْلَ النُّضْجِ بُحْرَانُ
 فَفِيهِ لِلْحُرِّ فُنْيَانُ وَعُنْيَانُ
 وَصَاحِبُ الْحِرْصِ إِنْ أَثْرَى فَغَضْبَانُ
 إِذَا تَحَامَاهُ إِخْوَانُ وَخِلَانُ
 وَسَاكِنَا وَطَنِ مَالٍ وَطُغْيَانُ
 وَرَاءَهُ فِي بَسِيطِ الْأَرْضِ أَوْطَانُ
 إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةِ الدَّهْرِ يَقْضَانُ
 وَهَلْ يَلِدُ مَذَاقَ الْمَرْءِ حُطْبَانُ
 أَبْشِرْ فَأَنْتَ بِغَيْرِ الْمَاءِ رِيَّانُ
 فَأَنْتَ مَا بَيْنَهَا لَا شَكَّ ضَمَّانُ
 مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَرْمَانُ
 مِنْ كَأْسِهِ هَلْ أَصَابَ الرَّشْدَ نَشْوَانُ

لَا تَغْتَرِرُ بِشَبَابِ زَائِلٍ حَضِيلٍ فَكَمْ تَقَدَّمَ قَبْلَ الشَّيْبِ شُبَانُ
 وَيَأْخَا الشَّيْبَ لَوْ نَاصَحْتَ نَفْسَكَ لَمْ يَكُنْ لِمِثْلِكَ فِي الْإِسْرَافِ إِمْعَانُ
 هَبِ الشَّيْبَةَ تُبْلَى عُنْدَ صَاحِبِهَا مَا عُنْدُ أَشْيَبَ يَسْتَهْوِيهِ شَيْطَانُ
 كُلُّ الذُّنُوبِ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُهَا إِنْ شِيعَ الْمِرَّةَ إِخْلَاصٌ وَإِيمَانُ
 وَكُلُّ كَسْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَجْبِرُهُ وَمَا لِكَسْرِ قِتَاةِ الدِّينِ جُبْرُنُ

نصيحة أبي حازم التابعي لسليمان بن عبد الملك

رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا حَجَّ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ زَائِرًا لِقَبْرِ رَسُولِ
 اللَّهِ ﷺ، وَمَعَهُ ابْنُ شِهَابِ الزُّهْرِيِّ وَرَجَاءُ بْنُ حَيَوَةَ، فَأَقَامَ بِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ،
 فَقَالَ: أَمَا هَاهُنَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَدْرَكَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقِيلَ لَهُ: بَلَى.
 هَاهُنَا رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو حَازِمٍ.

فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَجَاءَهُ وَهُوَ أَقْوَرُ أُعْرَجٌ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ سُلَيْمَانُ إِزْدَرَّتُهُ عَيْنُهُ،
 فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا حَازِمٍ: مَا هَذَا الْجَفَاءُ الَّذِي ظَهَرَ مِنْكَ وَأَنْتَ تُوصَفُ بِرُؤْيَةِ
 أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ فَضْلِ وَدِينٍ تُذَكِّرُ بِهِ.

فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ: وَأَيُّ جَفَاءٍ رَأَيْتَ مِنِّي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ سُلَيْمَانُ:
 إِنَّهُ أَتَانِي وَجُوهُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَعُلَمَاؤُهَا وَخِيَارُهَا، وَأَنْتَ مَعْدُودٌ فِيهِمْ وَلَمْ تَأْتِنِي.
 فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ: أَعَيْدُكَ بِاللَّهِ أَنْ تَقُولَ مَا لَمْ يَكُنْ مَا جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَكَ مَعْرِفَةً
 آتَيْكَ عَلَيْهَا.

قَالَ سُلَيْمَانُ: صَدَقَ الشَّيْخُ، فَقَالَ: يَا أَبَا حَازِمٍ مَا لَنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ؟ فَقَالَ
 أَبُو حَازِمٍ: لِأَنَّكُمْ أَخْرَبْتُمْ آخِرَتَكُمْ، وَعَمَرْتُمْ دُنْيَاكُمْ، فَانْتُمْ تَكْرَهُونَ النُّقْلَةَ مِنَ
 الْعُمَرَانِ إِلَى الْحَرَابِ!

قَالَ سُلَيْمَانُ: صَدَقْتَ يَا أَبَا حَازِمٍ؛ فَكَيْفَ الْقُدُومُ عَلَى الْآخِرَةِ؟ قَالَ:
 نَعَمْ: أَمَا الْحَمْسُنُ فَإِنَّهُ يُقَدَّمُ عَلَى الْآخِرَةِ كَالْغَائِبِ يُقَدَّمُ عَلَى أَهْلِهِ مِنْ سَفَرٍ بَعِيدٍ.

وأما قُدُومُ المِسيءِ فكالعبدِ الأبقِ يُوخذُ فيشُدُّ كِتافَهُ، فيؤتَى بِهِ إلى سَيِّدٍ
فَظِ غَلِيظٍ، فإن شاءَ عَفَا وإن شاءَ عَذَّبَ! فَبَكَى سُلَيْمَانُ بُكَاءً شَدِيداً، وَبَكَى
مَنْ حَوْلَهُ.

ثُمَّ قالَ: لَيْتَ شِعْرِي مَا لَنَا عِنْدَ اللَّهِ يَا أبا حَازِمٍ؟ فقالَ: إِعْرِضْ نَفْسَكَ
عَلَى كِتَابِ اللَّهِ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ ما لَكَ عِنْدَ اللَّهِ. قالَ سُلَيْمَانُ: يا أبا حَازِمٍ وَأَيْنَ
أُصِيبُ تِلْكَ المَعْرِفَةَ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ قالَ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الأَبْرارَ لَفِي نَعِيمٍ
وَإِنَّ الفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾.

قالَ سُلَيْمَانُ: يا أبا حَازِمٍ: فَأَيْنَ رَحْمَةُ اللَّهِ؟ قالَ: «إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنْ
المُحْسِنِينَ» قالَ سُلَيْمَانُ: يا أبا حَازِمٍ: مَنْ أَعْقَلَ النَاسِ؟ قالَ أبو حَازِمٍ: أَعْقَلَ
النَاسِ مَنْ تَعَلَّمَ العِلْمَ والحِكمَةَ وَعَلَّمَهَا النَاسِ.

قالَ سُلَيْمَانُ: فَمَنْ أَحْمَقُ النَاسِ؟ فقالَ: مَنْ حَطَّ في هَوَى رَجُلٍ وَهُوَ
ظالِمٌ فَباعَ آخِرَتَهُ بَدُنِيا غَيْرِهِ! قالَ سُلَيْمَانُ: فما أَسْمَعَ الدُّعاءَ؟ قالَ أبو حَازِمٍ:
دُعاءَ المُحِبِّينَ الخائِفينَ.

فقالَ سُلَيْمَانُ: فما أَزْكَى الصَّدَقَةِ عِنْدَ اللَّهِ؟ قالَ: جُهدُ المُقِلِّ. قالَ: فما
تَقُولُ فيما إِبْتُلينا بِهِ؟ قالَ: إِعْفِنَا عَن هَذا وَعَن الكِلامِ فِيهِ أَصْلَحَكَ اللَّهُ. قالَ
سُلَيْمَانُ: نَصِيحَةً تُلقِيها.

فقالَ: ما أَقولُ فِي سُلْطانِ إِسْتَوَلَى عَنوَةَ بلا مَشوْرَةٍ مِنَ المُؤمِنينَ ولا
إِجْتامِعِ مِنَ المُسْلِمينَ، فَسَفَكَتِ فِيهِ الدِّماءَ الحِرامَ، وَقُطِعَتْ بِهِ الأَرْحامُ،
وَعُظِّلَتْ بِهِ الحُدودُ، وَنُكِبَتْ بِهِ العُهُودُ، وَكُلُّ ذَلِكَ عَلى تَنفِيزِ الطَّيْبَةِ، والجَمعِ
وماذا يُقالُ لَكُمْ!

فقالَ بَعْضُ جُلُساتِهِ: بئسَ ما قُلْتَ يا أَقوْرُ!! أَميرُ المُؤمِنينَ يُسْتَقْبَلُ بِهَذا؟
فقالَ أبو حَازِمٍ: أَسْكُتْ يا كاذِبُ، فَإِنما أَهْلَكَ فِرْعَوْنَ هَامانُ. وَهَامانُ فِرْعَوْنَ!

إن الله قد أخذ على العلماء لِيُبَيِّنَهُ للناس ولا يكتُمونه، أي لا يَبْذُونَهُ وراء ظهورهم .

قال سليمان: يا أبا حازم: كَيْفَ لَنَا أَنْ نُصَلِّحَ مَا فَسَدَ مِنَّا؟ فقال: المأخوذ في ذَلِكَ قَرِيبٌ يَسِيرٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فاستوى سليمان جالساً من إتكائه فقال: كَيْفَ ذَلِكَ؟ فقال: تَأْخُذُ الْمَالَ مِنْ حِلِّهِ، وَتَضَعُهُ فِي أَهْلِهِ، وَتَكْفُفُ الْأَكْفَ عَمَّا نُهَيْتَ عَنْهُ وَتُمْضِيهَا فِيمَا أَمَرْتَ بِهِ .

قال سليمان: وَمَنْ يُطِيقُ ذَلِكَ، فقال أبو حازم: مَنْ هَرَبَ مِنَ النَّارِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَتَبَدَّدَ سُوءَ الْعَادَةِ إِلَى خَيْرِ الْعِبَادَةِ، فقال سليمان: إِصْحَبْنَا يَا أبا حازم، وَتَوَجَّهْ مَعَنَا نُصِيبْ مِنَّا وَنُصِيبْ مِنْكَ، قال أبو حازم: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ ! .

قال سليمان: وَلِمَ يَا أبا حازم؟ قال: أَخَافُ أَنْ أُرْكَنَ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَيَذِيقَنِي اللَّهُ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ . فقال سليمان: فَتَزُورُنَا؟

قال أبو حازم: إِنَّا عَهْدُنَا الْمُلُوكَ يَأْتُونَ إِلَى الْعُلَمَاءِ، وَلَمْ يَكُنِ الْعُلَمَاءُ يَأْتُونَ الْمُلُوكَ، فَصَارَ فِي ذَلِكَ صِلَاحُ الْفَرِيقَيْنِ، ثُمَّ صِرْنَا الْآنَ فِي زَمَانِ الْعُلَمَاءِ يَأْتُونَ الْمُلُوكَ، وَالْمُلُوكُ تَقَعُدُ عَنِ الْعُلَمَاءِ، فَصَارَ ذَلِكَ فَسَادُ الْفَرِيقَيْنِ جَمِيعاً .

اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِمَا وَفَقْتَ إِلَيْهِ الْقَوْمَ وَانْقَطْنَا مِنْ سِنَةِ الْعَفْلَةِ وَالنُّومِ وَأَرْزَقْنَا الْإِسْتِعْدَادَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَرْبِحُ فِيهِ الْمُتَّقُونَ، اللَّهُمَّ وَعَامِلْنَا بِإِحْسَانِكَ وَجُدْ عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَامْتِنَانِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فصل»: قال سليمان: فَأَوْصِنَا يَا أبا حازم وَأَوْجِزْ: قال إني الله أن لا يراك حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك . قال سليمان: إذع لنا بخير . فقال

أَبُو حَازِمٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ سُلَيْمَانُ وَلِيًّا فَبَشِّرْهُ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا فَخُذْ إِلَى الْخَيْرِ بِنَاصِيئِهِ.

قال سُلَيْمَانُ: زِدْنِي. قال: قَدْ أُوجِزْتُ، فَإِنْ كُنْتَ وَلِيًّا فَاغْتَبِطْ، وَإِنْ كُنْتَ عَدُوًّا فَاغْتَبِطْ، فَإِنَّ رَحْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا مُبَاحَةٌ وَلَا يَكْتُوبُهَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا لِمَنْ إِتَّقَى فِي الدُّنْيَا؛ فَلَا تَفْعَ فِي قَوْسٍ يُرْمَى بِهَا وَتَرِي.

فقال سُلَيْمَانُ: هَاتِ يَا غُلَامُ أَلْفَ دِينَارٍ. فَأَتَاهُ بِهَا، فَقَالَ خُذْهَا يَا أَبَا حَازِمٍ. فقال: لَا حَاجَةَ لِي بِهَا، لِأَنِّي وَغَيْرِي فِي هَذَا الْمَالِ سَوَاءٌ، فَإِنْ سَوَّيْتَ بَيْنَنَا وَعَدَلْتَ، أَخَذْتُ، وَإِلَّا فَلَا.

لِأَنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ ثَمَنًا لِمَا سَمِعْتُ مِنْ كَلَامِي، وَإِنَّ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا هَرَبَ مِنْ فِرْعَوْنَ وَرَدَّ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ الْجَارِيَتَيْنِ تَذُودَانِ، فَقَالَ: مَا لَكُمَا مُعِينٌ؟ قَالَتَا: لَا، فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ: «رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ» وَلَمْ يَسْأَلْ أَجْرًا.

فلما أَعْجَلَ بِالْجَارِيَتَيْنِ الْإِنْصِرَافَ أَنْكَرَ ذَلِكَ أَبُوهُمَا، فَقَالَ لَهُمَا: مَا أَعْجَلَكُمَا الْيَوْمَ؟ قَالَتَا: وَجَدْنَا رَجُلًا صَالِحًا قَوِيًّا سَقَى لَنَا. قال: مَا سَمِعْتُمَاهُ يَقُولُ؟ قَالَتَا: تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ وَهُوَ يَقُولُ: «رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ».

فقال: يَبْغِي لِهَذَا أَنْ يَكُونَ جَائِعًا. تَنْطَلِقُ إِحْدَاكُمَا لَهُ، فَتَقُولُ لَهُ: إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا، فَأَتَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى إِسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ: إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا.

فَجَزَعُ مُوسَى مِنْ ذَلِكَ وَكَانَ طَرِيدًا فِي الْبِيْضِ وَالصَّحَارِي، فَقَالَ لَهَا: قُولِي لِأَبِيكَ إِنْ الَّذِي سَقَى يَقُولُ لَا أَقْبَلُ أَجْرًا عَلَى مَعْرُوفٍ إِصْطَنَعْتُهُ.

فَانصَرَفَتْ إِلَى أَبِيهَا فَأَخْبَرَتْهُ، فَقَالَ إِذْهَبِي فَقُولِي لَهُ: أَنْتَ بِالْخِيَارِ بَيْنَ قَبُولِ

ما يَعْرضُ عَلَيْكَ أَبِي وَيَبِينُ تَرْكِيهِ، فَأَقْبَلْ فَإِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يَرَاكَ وَيَسْمَعَ مِنْكَ .
فَأَقْبَلَ وَالْجَارِيَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَهَبَّتِ الرِّيحُ، فَوَصَفَتْهَا لَهُ وَكَانَتْ ذَاتَ خَلْقٍ كَامِلٍ :
فَقَالَ لَهَا كُونِي وَرَائِي وَأُرِينِي سَمَّتِ الطَّرِيقَ .

فلما بَلَغَ الْبَابَ قَالَ : إِسْتَاذِنِي لَنَا . فَدَخَلَتْ عَلَى أَبِيهَا ، فَقَالَتْ : إِنَّهُ مَعَ قُوَّتِهِ
لَأَمِينٌ ، فَقَالَ شُعَيْبٌ : وَبِمَ عَرَفْتَ ذَلِكَ ؟ فَأُخْبِرْتُهُ مَا كَانَ مِنْ قَوْلِهِ عِنْدَ هُبُوبِ
الرياحِ عَلَيْهَا .

فَقَالَ أَدْخِلِيهِ ، فَدَخَلَ فَإِذَا شُعَيْبٌ قَدْ وَضَعَ الطَّعَامَ ، فَلَمَّا سَلَّمَ رَحَّبَ بِهِ
وَقَالَ : أَصِيبِ مِنْ طَعَامِنَا يَا فَتَى . فَقَالَ مُوسَى : أَعُوذُ بِاللَّهِ . قَالَ شُعَيْبٌ : لِمَ ؟
قَالَ : لِأَنِّي مِنْ بَيْتٍ لَا تَبِيعُ دِينَنَا بِمَلَأِ الْأَرْضِ ذَهَبًا .

قَالَ شُعَيْبٌ : لَا وَاللَّهِ مَا طَعَامِي كَمَا تَظُنُّ وَلَكِنَّهُ عَادَتِي وَعَادَةُ آبَائِي : نُقْرِي
الضَيْفَ ، وَنُطْعِمُ الطَّعَامَ ؛ فَجَلَسَ مُوسَى فَأَكَلَ . وَهَذِهِ الدَّنَانِيرُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ
كَانَتْ ثَمَنًا لِمَا سَمِعْتَ مِنْ كَلَامِي فَلَيْتَ أَكَلِ الْمَيْتَةَ وَالِدَمَ فِي حَالِ الضَّرُورَةِ أَحَبُّ
إِلَيَّ مِنْ أَنْ آخُذَهَا .

فَأُعْجِبَ سَلِيمَانُ بِأَمْرِهِ عُجْبًا شَدِيدًا . فَقَالَ بَعْضُ جَلِيسَائِهِ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ . إِنْ النَّاسَ كُلَّهُمْ مِثْلُهُ ، قَالَ : لَا . قَالَ الزَّهْرِيُّ : إِنَّهُ لَجَارِي مُنْذُ ثَلَاثِينَ
سَنَةً مَا كَلَّمْتُهُ قَطُّ .

فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ : صَدَقْتَ لِأَنَّكَ نَسِيتَ اللَّهَ فَنَسِيتَنِي وَلَوْ ذَكَرْتَ اللَّهَ
لَذَكَرْتَنِي . قَالَ الزَّهْرِيُّ : أَتَشْتُمُنِي ؟ قَالَ لَهُ سَلِيمَانُ : بَلْ أَنْتَ شَتَمْتَ نَفْسَكَ ،
أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ لِلْجَارِ عَلَى الْجَارِ حَقًّا ؟

قَالَ أَبُو حَازِمٍ إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا كَانُوا عَلَى الصَّوَابِ كَانَتِ الْأَمْرَاءُ تَحْتَاجُ
إِلَى الْعُلَمَاءِ ، وَكَانَتِ الْعُلَمَاءُ تَفْرُ بِدِينِهَا مِنَ الْأَمْرَاءِ .

فَلَمَّا رَأَى قَوْمٌ مِنْ أَرَاذِلِ النَّاسِ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَأَتَوْا بِهِ الْأَمْرَاءَ ، إِسْتَعْنَتْ

الأمراء عن العلماء وإجتمع القوم على المعصية، فسقطوا وهلكوا.

ولو كان علماؤنا هؤلاء يصونون علمهم لكانت الأمراء تهابهم وتُعظمهم. فقال الزهري: كأنك إياي تُريدُ وبني تُعرضُ؟ قال: هو ما تسمع.

قال سُلَيْمَانُ: يا أبا حازم، عِظْني وَأَوْجِزْ: قال: الدُّنْيَا حَلَالُهَا حِسَابٌ، وحرَامُهَا عَذَابٌ، وإلى الله المآبُ؛ عَذَابَكَ أُوَدِّعُ.

قال لَقَدْ أُوجِزْتَ فَأخبرني مَا مَالِكُ؟ قال الثقةُ بَعْدَ لِيهِ، والتوكُّلُ على كَرَمِهِ وحسُنُ الظَّنِّ بِهِ، والصبرُ إلى أَجَلِهِ، واليأسُ مما في أيدي الناس.

قال: يا أبا حازم: إرفعِ إلينا حَوَائِجَكَ. قال: رَفَعْتُهَا إلى مَنْ لَا تُحْذَلُ دُونُهُ، فَمَا أَعْطَانِي مِنْهَا قَبْلْتُ، وما أَمْسَكَ عني رَضِيْتُ.

مَعَ أَنِي قَدْ نَظَرْتُ فَوَجَدْتُ أَمْرَ الدُّنْيَا يُؤُولُ إلى شَيْئَيْنِ، أَحَدُهُمَا لي وَالآخر لِغَيْرِي؛ فَأَمَّا مَا كَانَ لي فَلَوْ إِحْتَلْتُ عَلَيْهِ بِكُلِّ حِيلَةٍ مَا وَصَلْتُ إِلَيْهِ قَبْلَ أَوَانِهِ وَحِينِهِ الَّذِي قُدِّرَ لي.

وَأما الَّذِي لِغَيْرِي فَذَلِكَ لَا أَطْمَعُ فِيهِ، فَكَمَا مَنَعَنِي رِزْقَ غَيْرِي، كَذَلِكَ مَنَعَ غَيْرِي رِزْقِي، فَعَلَامَ أَقْتُلُ نَفْسِي فِي الإِقْبَالِ وَالإِدْبَارِ!

قال سُلَيْمَانُ: لا بُدَّ أَنْ تَرَفَعَ إلينا حَاجَةٌ نَأْمُرُ بِقَضَائِهَا. قال: فَتَقْضِيهَا؟ قال: نَعَمْ. قال: فلا تُعْطِنِي شَيْئاً حَتَّى أَسْأَلَكِهِ، ولا تَرْسُلْ إِلَيَّ حَتَّى أَتِيكَ، وَإِنْ مَرَضْتُ فلا تُعْذِنِي، وَإِنْ مِتَّ فلا تُشْهَدْنِي. قال سُلَيْمَانُ: أُبَيَّتْ يا أبا حازم. قال: أَتَأْذُنُ لي أَصْلَحَكَ اللهُ فِي القِيَامِ، فَإِنِّي شَيْخٌ قَدْ رَمَنْتُ.

قال سُلَيْمَانُ: يا أبا حازم: مَسْأَلَةٌ ما تَقُولُ فِيها؟ قال: إِنْ كانَ عِنْدِي عِلْمٌ أَخْبَرْتُكَ بِهِ، وإلا فهذا الَّذِي عَن يَسَارِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُسْأَلُ عَنْهُ إِلا وَعِنْدَهُ عِلْمٌ (يريد الزهري) فقال لَهُ الزهري عَائِداً بِاللَّهِ مِنْ شَرِّكَ أَيُّهَا المَرءُ! قال أَمَا مِنْ شَرِّي فَقَدْ عَفِيتُ، وَأما مِنْ لِسَانِي فلا.

قال سُلَيْمَانُ: ما تقول في سلام الأئمة من صلاتهم: أواحدة أم إثنان؟
فإن العلماء لدينا قد اختلفوا علينا في ذلك أشدَّ الاختلاف. قال: على الخبير
سَقَطَتْ؛ أُرْسِيكَ في هذا بخير شافٍ.

حَدَّثَنِي عامرُ بنُ سعدِ بنِ أبي وقاصٍ عن أبيه سعدٍ أنه شهدَ رسولَ الله
ﷺ يسلمُ في الصلاة عن يمينه حتى يرى بياضَ خديه الأيمن ثم يسلم عن يساره
حتى يرى بياضَ خديه الأيسر، سلاماً يجهر به. قال عامر: وكان أبي يفعلُ
ذلك.

وأخبرني سهلُ بنُ سعدٍ الساعدي أنه رأى عمراً بنَ الخطاب وابنَ عمرَ
يُسَلِّمان من الصلاة كذلك. فقال الزهري: أعلم ما تُحدِّثُ به أيُّها الرَّجُلُ،
فإن الحديثَ عن رسولِ الله صعبٌ شديدٌ إلا بالثبوتِ واليقينِ.

قال أبو حازمٍ: قد عَلِمْتُهُ وَرَوَيْتُهُ قَبْلَ أَنْ تَطْلَعَ أَضْرَاسُكَ في رَأْسِكَ.
فالتفتَ الزُّهْرِيُّ إلى سُلَيْمَانَ، قال: أَصْلَحَكَ اللهُ، إن هذا الحديثَ ما سَمِعْتُ
به من حديثِ رسولِ الله ﷺ قَطُّ، فَضَحَكَ أَبُو حَازِمٍ.

ثمَّ قال: يا زُهْرِيُّ أَحَطَّتْ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كُلُّهُ؟ قال لا. قال:
فثَلَاثَةُ أَرْبَاعِهِ؟ قال: لا. قال فثَلُثُهُ؟ فقال أراني ذلك، قد رَوَيْتُ وَبَلَّغْنِي.

فقال أبو حازمٍ: فهذا من الثُلُثِ الذي لم يبلُغْك وبقي عليك إسماعُهُ. فقال
سُلَيْمَانُ: ما ظَلَمَكَ من حَاجِّكَ. ثم قامَ مَأْذُوناً لَهُ. فَأَتْبَعَهُ سُلَيْمَانُ بَصَرَهُ، يَنْظُرُ
إِلَيْهِ وَيُعْجَبُ بِهِ.

ثم ائْتَفَتْ إِلَى جُلَسَائِهِ فقال: ما كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّهُ بَقِيَ في الدُّنْيَا مِثْلُ هَذَا.
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم..

نصيحة سُفيان الثوري لهرون الرشيد

من عبد الله هارون أمير المؤمنين، إلى أخيه في الله سُفيان ابن سعيد الثوري.

أما بعد يا أخي، فقد علمت أن الله آخى بين المؤمنين، وقد آخيتك في الله مؤاخاة لم أصرم فيها حبلك، ولم أقطع منها وودك، وإني منطوي لك على أفضل المحبة، وأتم الإرادة.

ولولا هذه القلادة التي قلديها الله تعالى لأتيتك ولو حبواً، لما أجد لك في قلبي من المحبة، وإنه لم يبق أحد من إخواني إلا زارني وهنأني بما صرت إليه.

وقد فتحت بيوت الأموال، وأعطيتهم من الموهب السنية، ما فرحت به نفسي وقرت به عيني وقد استبطأتك، وقد كتبت كتاباً مني إليك أعلمك بالشوق الشديد إليك.

وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاء في فضل زيارة المؤمن ومواصلته فإذا ورد عليك كتابي هذا فاعجل العجل.

ثم أعطى الكتاب لِعباد الطالقاني وأمره بإصاليه إليه، وأن يُحصى عليه بسمعه وقلبه دقيق أمره وجليله ليخبره به. قال عبّاد: فانطلقت إلى الكوفة فوجدت سُفيان في مسجده، فلما رأني على بُعد قام وقال: أعود بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وأعود بك اللهم من طارق يطرق إلا بخير.

قال: فنزلت عن فرسي بباب المسجد، فقام يصلي ولم يكن وقت صلاة: فدخلت وسلمت فما رفع أحد من جلسائه رأسه إليّ، قال: فبقيت واقفاً وما منهم أحد يعرض عليّ الجلوس، وقد علمتني من هيبتهم الرعدة، فرميت بالكتاب إليه.

فَلَمَّا رَأَى الْكِتَابَ رَتَعَدَ وَتَبَاعَدَ مِنْهُ كَأَنَّهُ حَيَّةٌ عَرَضَتْ لَهُ فِي مِحْرَابِهِ فَرَكَعَ
وَسَجَدَ وَسَلَّمَ وَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي كُمِّهِ وَأَخَذَهُ وَقَلَبَهُ بِيَدِهِ، وَرَمَاهُ إِلَى مَنْ كَانَ
خَلْفَهُ، وَقَالَ: لِيَقْرَأَهُ بَعْضُكُمْ فَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ أَنْ أَمَسَ شَيْئًا مَسَّهُ ظَالِمٌ بِيَدِهِ.

قَالَ عَبَادُ: فَمَدَّ بَعْضُهُمْ يَدَهُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَرْتَعِدُ كَأَنَّهُ حَيَّةٌ تَنْهَشُهُ ثُمَّ قَرَأَهُ
فَجَعَلَ سُفْيَانَ يَبْتَسِمُ تَبَسُّمَ الْمُتَعَجِّبِ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَتِهِ، قَالَ أَقْلِبُوهُ
وَأَكْتُبُوا لِلظَّالِمِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَقِيلَ لَهُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنَّهُ خَلِيفَةٌ فَلَوْ كَتَبْتَ إِلَيْهِ فِي
بَيَاضٍ نَقَى لَكَانَ أَحْسَنَ.

فَقَالَ: أَكْتُبُوا لِلظَّالِمِ فِي ظَهْرِ كِتَابِهِ، فَإِنْ كَانَ اكْتَسَبَهُ مِنْ حَلَالٍ فَسَوْفَ
يُجْزَى بِهِ وَإِنْ كَانَ اكْتَسَبَهُ مِنْ حَرَامٍ فَسَوْفَ يُصَلَّى بِهِ وَلَا يَبْقَى شَيْءٌ مَسَّهُ
ظَالِمٌ بِيَدِهِ عِنْدَنَا، فَيَفْسِدُ عَلَيْنَا دِينَنَا، فَقِيلَ لَهُ مَا نَكْتُبُ إِلَيْهِ، قَالَ: أَكْتُبُوا لَهُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنَ الْعَبْدِ الْمَيِّتِ سُفْيَانَ إِلَى الْعَبْدِ الْمَعْرُورِ بِالْأَمَالِ هَارُونَ الَّذِي سَلِبَ
حِلَاوَةَ الْإِيمَانِ، وَلَذَّةَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ.

أَمَّا بَعْدُ.. فَإِنِّي كَتَبْتُ إِلَيْكَ أُعْلِمُكَ أَنِّي قَدْ صَرَمْتُ حَبْلَكَ، وَقَطَعْتُ
وُدَّكَ، وَأَنَّكَ قَدْ جَعَلْتَنِي شَاهِدًا بِإِقْرَارِكَ عَلَى نَفْسِكَ فِي كِتَابِكَ بِمَا هَجَمْتَ
عَلَى بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ فَأَنْفَقْتَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، وَأَنْفَقْتَهُ بِغَيْرِ حُكْمِهِ، وَلَمْ تَرْضَ
بِمَا فَعَلْتَ وَأَنْتَ نَائٍ عَنِّي حَتَّى كَتَبْتَ إِلَيَّ تُشْهِدُنِي عَلَى نَفْسِكَ.

فَأَمَّا أَنَا فَإِنِّي قَدْ شَهِدْتُ عَلَيْكَ أَنَا وَإِخْوَانُكَ الَّذِينَ حَضَرُوا قِرَاءَةَ كِتَابِكَ،
وَسُنُودِي الشَّهَادَةَ غَدًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ الْحَكِيمِ الْعَدْلِ يَا هَارُونَ هَجَمْتَ عَلَى بَيْتِ
مَالِ الْمُسْلِمِينَ بِغَيْرِ رِضَاهُمْ.

هَلْ رَضِيَ بِفِعْلِكَ الْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ، وَالْعَامِلُونَ عَلَيْهَا فِي أَرْضِ اللَّهِ،
وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ، أَمْ رَضِيَ بِذَلِكَ حَمَلَةُ الْقُرْآنِ وَأَهْلُ

الْعِلْمَ يَعْنِي الْعَامِلِينَ، أَمْ رَضِيَ بِفِعْلِكَ الْإِيْتَامَ وَالْأَرَامِلَ، أَمْ رَضِيَ بِذَلِكَ خَلْقٍ
مِنْ رَعِيَّتِكَ .

فَشَدُّ يَاهَارُونَ مُعْزَرَكٌ، وَأَعَدَّ لِلْمَسْأَلَةِ جَوَاباً وَلِلْبَلَاءِ جَلْبَاباً، وَاعْلَمْ أَنَّكَ
سَتَقِفُ بَيْنَ يَدَيِ الْحَكَمِ الْعَدْلِ فَاتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ إِذْ سُلِبَتْ حَلَاوَةُ الْعِلْمِ
وَالرُّهُدِ وَلَذَّةِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَمُجَالَسَةِ الْأَخْيَارِ، وَرَضِيْتَ لِنَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ
ظَالماً وَلِلظَّالِمِينَ إِمَاماً .

يَاهَارُونَ .. فَعَدَّتْ عَلَى السَّرِيرِ، وَلَبِسَتْ الْحَرِيرَ، وَأَسْبَلَتْ سُتُوراً دُونَ
بَابِكَ، وَتَشَبَّهَتْ بِالْحَجَبَةِ بَرِّ الْعَالَمِينَ ثُمَّ أَقْعَدَتْ أَجْنَادَكَ دُونَ بَابِكَ، وَسِتْرَكَ
يُظْلِمُونَ النَّاسَ، وَلَا يُنْصِفُونَ، وَيَشْرَبُونَ الْحَمْرَ وَيُحْدُونَ الشَّارِبَ، وَيَزُونُونَ
وَيُحْدُونَ الزَّانِي، وَيَسْرِقُونَ السَّارِقَ، وَيَقْتُلُونَ وَيُحْدُونَ الْقَاتِلَ .

أَفَلَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَحْكَامُ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ قَبْلَ أَنْ يَحْكُمُوا بِهَا عَلَى النَّاسِ .
فَكَيْفَ بِكَ يَاهَارُونَ غَداً إِذَا نَادَى الْمُنَادِي مِنْ قَبْلِ اللَّهِ أَحْشَرُوا الظُّلْمَةَ
وَأَعْوَانَهُمْ، فَتَقَدَّمَتْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَيَدَاكَ مَغْلُوبَتَانِ إِلَيَّ عَنْقُكَ لَا يَفُكُهُمَا إِلَّا
عَذْلُكَ وَإِنْصَافُكَ، وَالظَّالِمُونَ حَوْلَكَ وَأَنْتَ لَهُمْ إِمَامٌ أَوْ سَائِقٌ إِلَى النَّارِ .

وَكَأَنِّي بِكَ يَاهَارُونَ وَقَدْ أُخِذْتَ بِضِيقِ الْخِنَاقِ، وَوَرَدْتَ الْمَسَاقَ وَأَنْتَ
تَرَى حَسَنَاتِكَ فِي مِيزَانٍ غَيْرِكَ، وَسَيِّئَاتِكَ فِي مِيزَانِكَ عَلَى سَيِّئَاتِكَ، بَلَاءٌ
عَلَى بَلَاءٍ، وَظُلْمَةٌ فَوْقَ ظُلْمَةٍ .

فَاتَّقِ اللَّهَ يَاهَارُونَ فِي رَعِيَّتِكَ، وَاحْفَظْ مُحَمَّدًا ﷺ فِي أُمَّتِهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ
هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَصِرْ إِلَيْكَ إِلَّا وَهُوَ صَائِرٌ إِلَى غَيْرِكَ، وَكَذَلِكَ الدُّنْيَا تَفْعَلُ بِأَهْلِهَا
وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ، فَمِنْهُمْ مَنْ تَزَوَّدَ زَاداً نَفَعَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَسِرَ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ،
وَإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَكْتُبَ إِلَيَّ بَعْدَ هَذَا، فَإِنِّي لَا أُجِيبُكَ وَالسَّلَامُ .

وَلَمَّا وَلى ابْنُ هُبَيْرَةَ حُكْمَ الْعِرَاقِ جَمَعَ فُقَهَاءَهَا وَاسْتَشَارَهُمْ فِيمَا يَفْعَلُ

إِذَا أَمَرَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْأَمْرِ وَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّ فِيهِ ظُلْمًا فَلَا أَنْ لَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الْقَوْلَ .

وَأَبَى الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَصْدَعَ بِالْحَقِّ وَيُنْقِذَ الشَّعْبَ مِنْ ظُلْمِ ابْنِ هُبَيْرَةَ وَيُنْقِذَ ابْنَ هُبَيْرَةَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَنْ أَطَاعَهُ، فَقَالَ لَهُ إِنَّ حَقَّ الرَّعِيَّةِ لَأَزِمُ لَكَ وَحَقُّ عَلَيكَ أَنْ تَحُوطَهُمْ بِالنَّصِيحَةِ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتُرِعِيَهُ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٍ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ .

اعْلَمْ أَنَّ حَقَّ اللَّهِ الْأَزِمُ مِنْ حَقِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُطَاعَ وَلَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ يَا ابْنَ هُبَيْرَةَ اتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيكَ رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ يُزِيلُكَ عَنْ سَرِيرِكَ وَيُخْرِجُكَ مِنْ سِعَةِ قَصْرِكَ إِلَى ضَيْقِ قَبْرِكَ فَتَدْعُ سُلْطَانَكَ وَدُنْيَاكَ خَلْفَ ظَهْرِكَ وَتَقْدَمُ عَلَى رَبِّكَ وَتَنْزِلُ عَلَى عَمَلِكَ .

يَا ابْنَ هُبَيْرَةَ إِنَّ اللَّهَ لَيَمْنَعُكَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَمْنَعُكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ اللَّهِ وَإِنَّ أَمْرَ اللَّهِ فَوْقَ كُلِّ أَمْرٍ وَإِنِّي أَحْذَرُكَ بِأَسْهُ الَّذِي لَا يُرَدُّ عَنْ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ .

فَقَالَ لَهُ ابْنُ هُبَيْرَةَ إِزْبِعْ عَلَيَّ ظَلْعَكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ وَأَعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَاحِبُ الْعِلْمِ وَصَاحِبُ الْحُكْمِ وَصَاحِبُ الْفَضْلِ وَإِنَّمَا وَاوَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَمْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ لِعِلْمِهِ بِهِ وَمَا يَعْلَمُهُ مِنْ فَضْلِهِ وَنَيْتِهِ فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ يَا ابْنَ هُبَيْرَةَ الْجِسَابُ وَرَائِكَ سَوَاطِئُ وَسَوَاطِئُ وَغَضَبٌ بَعْضُ اللَّهِ وَاللَّهُ بِالْمِرْصَادِ إِنَّكَ إِنْ تَلَقَى مَنْ يَنْصَحُ لَكَ فِي دِينِكَ وَيَحْمِلُكَ عَلَى أَمْرِ آخِرَتِكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَلَقَى رَجُلًا يَعْزُكَ وَيَمْنِيكَ فَقَامَ ابْنُ هُبَيْرَةَ مِنَ الْمَجْلِسِ وَقَدْ اصْفَرَّ وَجْهُهُ وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَعَلَيْهِ الْكَآبَةُ وَقَامَ الْحَسَنُ وَقَدْ أَدَّى مَا عَلَيْهِ وَأَرْضَى رَبَّهُ وَأَخْلَصَ لَهُ وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ وَهَكَذَا الْعُلَمَاءُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونُوا .

شِعْرًا: لَا شَيْءَ أَبْلُغُ مِنْ ذُلِّ يُجْرِعُهُ أَهْلُ الْخَسِيسَةِ أَهْلُ الدِّينِ وَالْحَسَبِ

القَائِمِينَ بِمَا جَاءَ الرَّسُولَ بِهِ
 آخِر: وَلَا يَلْبَثُ الْجُهَالُ أَنْ يَتَهَضُّمُوا
 آخِر: مَا إِنْ نَفَى عَنْكَ قَوْمًا أَنْتَ تَكْرَهُهُمْ
 آخِر: وَالْعَاقِلُ النَّجْرِيُّ مُحْتَاجٌ إِلَى
 آخِر: وَمَنْ يَحْلَمْ وَلَيْسَ لَهُ سَفِيهَةٌ
 آخِر: تَعْدُوا الذِّئَابُ عَلَى مَنْ كِلَابَ لَهُ

والمُبَغِضِينَ لِأَهْلِ الزَّيْغِ وَالرَّيْبِ
 أَحَا الْحِلْمِ مَا لَمْ يَسْتَعِنَ بِسَفِيهِ
 كَمِثْلِ قَمْعِكَ جُهَالًا بِجُهَالِ
 أَنْ يَسْتَعِينَ بِجَاهِلٍ مَعْتُوهُ
 يُلَاقِي الْمُعْضِلَاتِ مِنَ الرَّجَالِ
 وَتَتَّقِي مَرِيضَ الْمُسْتَنْفِرِ الْحَامِي

حج أبو جعفر فدعا ابن أبي ذئب فقال: نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ أَلَسْتُ أَعْمَلُ بِالْحَقِّ
 أَلَسْتُ تَرَانِي أَعْدُلُ .

فَقَالَ ابْنُ أَبِي ذَيْبٍ أَمَّا إِذَا نَشَدْتَنِي بِاللَّهِ، فَأَقُولُ: اللَّهُمَّ لَا أَرَاكَ تَعْدُلُ،
 وَإِنَّكَ لَجَائِرٌ، وَإِنَّكَ لَتَسْتَعْمِلُ الظُّلْمَةَ وَتَدْعُ أَهْلَ الْخَيْرِ .

قال محمد بن عمر فحدثني محمد بن إبراهيم بن يحيى وأخبرت عن
 عيسى بن علي قالوا فظننا أن أبا جعفر سيعاجله بالعقوبة فجعلنا نلف إيانا
 مخافة أن يصيبنا من دمه .

فَجَزَعَ أَبُو جَعْفَرٍ وَاعْتَمَ وَقَالَ لَهُ: فَمَ فَاخْرُجْ .

تَأْمَلْ يَا أَحْيَى هَلْ يُوجَدُ هَذَا الطَّرَازُ مِمَّنْ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ أَظُنُّهُ
 مَعْدُومٌ فِي هَذَا الْوَقْتِ مَا فِيهِ الْيَوْمَ مَنْ يَصْدَعُ بِالْحَقِّ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ
 الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

دَخَلَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ عَلَى الْمَنْصُورِ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا
 فَاشْتَرَّ مِنْهُ نَفْسَكَ بِبَعْضِهَا وَإِنِّي لِأَحْذَرُكَ لَيْلَةً تَتَمَحَّضُ صَبِيحَتُهَا عَنْ يَوْمِ
 الْقِيَامَةِ .

ثم قال له عن حاشيته: إن هؤلاء اتَّخَذُواكَ سُلْمًا لِشَهَوَاتِهِمْ .
 فَأَنْتَ الْآخِذُ بِالْقَرْنَيْنِ وَهُمْ يَحْلِبُونَ .

فَاتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ وَحَدَكَ وَمُحَاسَبٌ وَحَدَكَ وَمَبْعُوثٌ وَحَدَكَ وَلَنْ يُعْنُوا
عَنكَ هَؤُلَاءِ مِنْ رَبِّكَ شَيْئاً .

فقال له : أَعِنِّي بِأَصْحَابِكَ فَأَسْتَعِينُ بِهِمْ دُونَ هَؤُلَاءِ فَرَدَّ عَلَيْهِ أَظْهَرَ الْحَقِّ
يَتَّبِعُكَ أَهْلُهُ .

فقال له : أَلَكِ حَاجَةٌ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : مَا هِيَ ؟ قَالَ : أَنْ لَا تَبْعَثَ إِلَيَّ
حَتَّى آتِيكَ . قَالَ : إِذَا لَا تَلْتَقِي . قَالَ : عَنْ حَاجَتِي سَأَلْتَ ثُمَّ ذَهَبَ .

قال الْحَجَّاجُ لِيَحْيَى بْنِ يَعْمُرَ : مَا تَقُولُ فِي وَاسِطِ (مَدِينَةِ بَنَاهَا الْحَجَّاجُ)
فقال له : مَا أَقُولُ فِيهَا وَقَدْ بَنَيْتَهَا مِنْ غَيْرِ مَالِكٍ وَسَيَسْكُنُهَا غَيْرُ أَهْلِكَ .

فقال له الْحَجَّاجُ فِي غَيْظٍ وَغَضَبٍ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا قُلْتَ . قَالَ : مَا أَخَذَ
اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْعُلَمَاءِ مِنَ الْعَهْدِ إِلَّا يَكْتُمُوا النَّاسَ حَدِيثاً .

فقال له : أَلَمْ تَخْشَ سَيْفَ الْحَجَّاجِ ؟

فقال : لَقَدْ مَلَأْتَنِي خَشْيَةَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا فَلَمْ تَدْعُ مَكَاناً لِحَشِيَّةِ سِوَاهُ .

وقيل إِنَّ الْحَجَّاجَ خَطَبَ يَوْمًا فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ الصَّبْرُ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ
أَيْسَرُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى عَذَابِ اللَّهِ فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ : وَيْحَكَ يَا حَجَّاجُ مَا
أَصْفَقَ وَجْهَكَ وَأَقْلَ حَيَاءَكَ تَفْعَلُ مَا تَفْعَلُ وَتَقُولُ مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ خَبَيْتَ وَضَلَّ
سَعْيُكَ .

فقال لِلْحَرَسِ : خُذُوهُ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ خُطْبَتِهِ قَالَ لَهُ : مَا الَّذِي جَرَأَكَ
عَلَيَّ ؟ فَقَالَ : وَيْحَكَ يَا حَجَّاجُ أَنْتَ تَجْتَرِيءُ عَلَى اللَّهِ وَلَا أُجْتَرِيءُ عَلَيْكَ وَمَنْ
أَنْتَ حَتَّى لَا اجْتَرَأُ عَلَيْكَ وَأَنْتَ تَجْتَرَأُ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ؟ فَقَالَ : خَلُّوا سَبِيلَهُ
فَأُطْلِقَ .

وَدَخَلَ الْعِزُّ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ عَلَى السُّلْطَانِ فَوَعَّظَهُ وَشَدَّدَ فِي الْمَوْعِظَةِ فَعَابَتْهُ

وَلَدَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ لَهُ: هَذَا إِجْتِمَاعٌ لِلَّهِ فَلَا أَكْذَرُهُ بِشَيْءٍ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا.
يَا بُنَيَّ لَقَدْ رَأَيْتُ السُّلْطَانَ فِي تِلْكَ الْعِظَمَةِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَهِنَهُ لِغَلَا تَكْبُرِ
نَفْسُهُ عَلَيْهِ فَتَوَدَّيْهِ.

وَلَقَدْ اسْتَحْضَرْتُ هَيْبَةَ اللَّهِ تَعَالَى إِذْ أَحَاطِ بِهِ، فَصَارَ السُّلْطَانُ أَقْلًا مِنَ الْقِطِّ
عِنْدِي.

وَلَوْ كَانَتْ بِنَفْسِي لَدَيْهِ حَاجَةٌ مِنْ حَاجَاتِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُهُ الدُّنْيَا كُلَّهَا.
وَأَجْبِرَ أَحَدَ الْعُلَمَاءِ عَلَيَّ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيَّ مَلِكٌ مِصْرَ وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَلْبَسَ
مَلَائِسَ خَاصَّةً فَأَبَى وَقَالَ: كَيْفَ أَتَجَمَّلُ لَهُ بِلِبَاسٍ لَا أَتَجَمَّلُ بِهِ لِرَبِّي فِي
الصَّلَاةِ.

وَدَخَلَ عَبَّادُ الْخَوَاصِّ عَلَيَّ إِبرَاهِيمَ بْنَ صَالِحٍ وَهُوَ أَمِيرُ فَلَسْطِينِ فَقَالَ لَهُ:
يَا شَيْخَ عِظْمِي. فَقَالَ: بِمِ اعْظَمِكَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ بَلَّغْنِي أَنْ أَعْمَلَ الْأَحْيَاءَ تُعْرِضُ
عَلَيَّ أَقَارِبَهُمْ مِنَ الْمَوْتَى فَانظُرْ مَا يُعْرِضُ عَلَيَّ رَسُولُهُ ﷺ مِنْ عَمَلِكَ فَبَكَى حَتَّى
سَأَلَتْ دُمُوعُهُ عَلَيَّ لِحَيْبِهِ.

فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِجْلَالَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ
فَقَامَ فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيَّ، قَالَ: فَقَالَ بَعْدَ مُدَّةٍ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ تَوَاضَعْنَا لِعِلْمِكَ
فَانْتَفَعْنَا بِهِ، وَتَوَاضَعْنَا لَنَا عِلْمُ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ فَلَمْ نَنْتَفِعْ بِهِ.

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ أَنَّ الْمَهْدِيَّ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ حَاجًّا جَاءَهُ مَالِكٌ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ،
فَأَمَرَ الْمَهْدِيُّ ابْنَيْهِ الْهَادِيَّ وَهَارُونَ الرَّشِيدَ أَنْ يَسْمَعَا مِنْهُ فَطَلَبَاهُ إِلَيْهِمَا فَامْتَنَعَ،
فَعَاتَبَهُ الْمَهْدِيُّ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِلْعِلْمِ نَضَارَةٌ، يُؤْتَى أَهْلُهُ.

وَفِي رِوَايَةٍ: الْعِلْمُ أَهْلٌ أَنْ يُوقَّرَ وَيُوقَّرَ أَهْلُهُ فَأَمْرُهُمَا وَالذُّهُمَا بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِ
فَسَأَلَهُ مُؤَدَّبُهُمَا أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ: إِنَّ أَهْلَ هَذِهِ الْبَلَدَةِ يَقْرَعُونَ عَلَيَّ الْعَالِمَ
كَمَا يَقْرَأُ الصَّبِيَّانُ عَلَيَّ الْمُعَلِّمَ فَإِذَا أَخْطَاوَا أَفْتَاهُمْ فَرَجَعُوا إِلَى الْحَلِيفَةِ فَعَاتَبَهُ

المهدي في ذلك فقال: يَا إِمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سَمِعْتُ ابْنَ شَهَابٍ يَقُولُ سَمِعْنَا هَذَا الْعِلْمَ مِنْ رِجَالٍ فِي الرُّوضَةِ سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيْبِ وَأَبُو سَلْمَةَ وَعُرْوَةُ وَالْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَسَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَعَدَّ آخَرِينَ كُلُّ هَؤُلَاءِ يُقْرَأُ عَلَيْهِمْ وَلَا يَقْرَأُونَ فَقَالَ الْمَهْدِيُّ فِي هَؤُلَاءِ قُدُورَةٌ صَيَّرُوا إِلَيْهِ فَأَقْرَأُوا عَلَيْهِ .

أَرَادَ الْوَلِيدُ أَنَّ يُولِي يَزِيدَ بْنَ مَرْثَدٍ الْقَضَاءَ فَبَلَغَ ذَلِكَ يَزِيدَ فَلَيْسَ فَرَوَةً وَقَلْبَهَا فَجَعَلَ الْجِلْدَ عَلَى ظَهْرِهِ وَالصُّوفَ خَارِجًا وَأَخَذَ بِيَدِهِ رَغِيفَ (أَيِ خُبْزَةٍ) وَعَرَفًا (أَيِ عَظْمٍ عَلَيْهِ لَحْمٌ) وَخَرَجَ بِلا رِءَاءٍ وَلَا قَلَنْسُوءَ (أَيِ أَصْلَعِ الرَّأْسِ) وَلَا نَعْلَ وَلَا نُحْفَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ وَيَأْكُلُ .

فَقِيلَ لِلْوَلِيدِ إِنَّ يَزِيدَ قَدْ اخْتَلَطَ (أَيِ خَرَّفَ) وَأُخْبِرَ بِمَا فَعَلَ فَتَرَكَهُ الْوَلِيدُ .

قُلْتُ: وَفِعْلُ يَزِيدٍ يَدُلُّ عَلَى وَرَعِهِ وَخَوْفِهِ مِنْ تَبَعَةِ الْقَضَاءِ لِأَنَّ الْقَضَاءَ فِيهِ خَطَرٌ عَظِيمٌ وَلِهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ يَحْرُمُ عَلَى مَنْ لَا يُحْسِنُهُ وَلَمْ تَجْتَمِعْ فِيهِ شُرُوطُهُ الدَّخُولِ فِيهِ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْقَضَاءُ ثَلَاثَةٌ وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ وَاثْنَانِ فِي النَّارِ»، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ وُلِيَ الْقَضَاءَ فَقَدْ ذَبَحَ بَغِيرَ سَكِينٍ»، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِيَأْتِيَنَّ عَلَى الْقَاضِيِ الْعَدْلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَاعَةً يَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي تَمْرَةٍ قَطٍ» .

وَفِي لَفْظٍ: يُدْعَى الْقَاضِيِ الْعَدْلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَلْقَى مِنْ شِدَّةِ الْحِسَابِ مَا يَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي عُمُرِهِ قَطٍ .

تَرَكَ حَلْفَ الْبَزَّارِ الرَّوَايَةَ عَنِ الْكِسَائِيِّ فَلَمْ يَرَوْى عَنْهُ مَعَ أَنَّهُ كَانَ أَسْتَاذَهُ وَهُوَ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ فِي تَصْنِيفِهِ كِتَابَ الْقِرَاءَاتِ وَلَمَّا أَنْ ضَايَقُوهُ لَمْ يَرَوْى عَنْهُ . قَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ، قَالَ لِي سَيِّدِي الرَّشِيدُ فَقُلْتُ: إِنَّ إِنْسَانًا مِقْدَارُ الدُّنْيَا عِنْدَهُ أَنْ يُجَلَّ أَهْلُهَا هَذَا الْإِجْلَالُ لِحَرِيٍّ أَنْ لَا يُؤْخَذَ عَنْهُ شَيْءٌ مِنَ الْعِلْمِ .

قُلْتُ: لَهِ دَرُهُ حَيْثُ لَمْ يَطْمَئِنَّ قَلْبُهُ لِمَنْ يُعَظِّمُ الدُّنْيَا .
فانظر رحمك الله إلى شدة ورعهم وترفعهم وتنزههم عن مخالطة الملوك
وأهل الدنيا، وصيانة العلم وإعزازة وبمثل هذه الأخلاق العطرة والصفات
الفاضلة عظم الإسلام وأهله .

دخل رجل على المأمون كان يمشي في الناس فيأمرهم بالمعروف وينهاهم
عن المنكر دون أن يكون مأموراً من قبل الخليفة، فاستدعاه المأمون وقال له لم
تأمر وتنهى وقد جعل الله ذلك إلينا ونحن الذين قال الله فيهم: ﴿الذين إن
مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن
المنكر﴾ .

فقال الرجل صدقت يا أمير المؤمنين أنت كما وصفت نفسك من
السُّلطانِ والتَّمكِينِ غَيْرِ أَنَا أَوْلِيَاؤُكَ وَأَعْوَانُكَ فِيهِ .

ولا يُنكَرُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ جَهِلَ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ ﷺ، قال الله جل
وعلا وتقدس: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر﴾، وقال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنان يشد
بعضه بعضاً﴾، فاعجب المأمون بكلامه وسر به وقال مثلك يجوز أن يأمر
بالمعروف فإمض على ما كنت عليه بأمرنا وعن رأينا وهكذا حين أحسن الرجل
الاحتجاج بالقرآن والسنة انقطعت حجة المأمون، ولم يجد بداً من إقرار
الرجل على طريقته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وعكس هذا الرجل دخل واعظ على المأمون فوعظه وأغلظ عليه في
القول . فقال له المأمون: يارجل ارفق فإن الله بعث من هو خير منك إلى من
هو شر مني، وأمره بالرفق .

بعث موسى وهارون إلى فرعون، فأوصاهما بقوله: ﴿فقولا له قولا لينا

لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى ﴿١٠٦﴾ ، وَهُنَا كَانَ مَوْقِفُ الْمَأْمُونِ هُوَ الْأَقْوَى لِأَنَّ الدَّلِيلَ مَعَهُ .
بعث الأمير طاهر بن عبدالله إلى محمد بن رافع بخمسة آلاف درهم على
يد رسوله ، فدخل عليه بعد صلاة العصر وهو يأكل الخبز مع الفجل ، فوضع
كيس الدراهم بين يديه .

فقال : بَعَثَ الْأَمِيرُ طَاهِرٌ بِهَذَا الْمَالِ إِلَيْكَ لِتُنْفِقَهُ عَلَى أَهْلِكَ فَقَالَ خُذْهُ خُذْهُ
لَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَإِنَّ الشَّمْسَ قَدْ بَلَغَتْ رُؤُوسَ الْحَيْطَانِ وَإِنَّمَا تَعْرُبُ بَعْدَ سَاعَةٍ وَأَنَا
قَدْ جَاوَزْتُ الثَّمَانِينَ سَنَةً إِلَى مَتَى أَعِيشُ .

فَرَدَّ الْمَالَ وَلَمْ يَقْبَلْ فَأَخَذَ الرَّسُولُ الْمَالَ وَذَهَبَ وَدَخَلَ عَلَى الشَّيْخِ ابْنِهِ
وَقَالَ : يَا أَبَتِ لَيْسَ لَنَا اللَّيْلَةَ خَبِزَ . قَالَ فَذَهَبَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ خَلْفَ الرَّسُولِ
لِيَرِدَ الْمَالَ إِلَى صَاحِبِهِ نَحْوْفًا مِنْ أَنْ يَذْهَبَ ابْنُهُ خَلْفَ الرَّسُولِ فَيَأْخُذَ الْمَالَ ، هَذَا
مِنْ رَقْمٍ وَاحِدٍ فِي الزَّهْدِ .

وَقَالَ أَحَدُ الزُّهَادِ لِلْمَنْصُورِ : أَذْكَرُ لَيْلَةً تَبَيَّنَتْ فِي الْقَبْرِ لَمْ تَبْتَ لَيْلَةً مِثْلَهَا ،
وَإِذَا كَرَّ لَيْلَةً تَمَحَّضُ عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا لَيْلَةً بَعْدَهَا .

فَأَفْحَمَ الْمَنْصُورَ قَوْلَهُ فَأَمَرَ لَهُ بِمَالٍ فَرَدَّهُ وَقَالَ : لَوْ احْتَجَجْتُ إِلَى مَالِكِ
مَا وَعَظْتُكَ . (لِلَّهِ دَرُّهُ مَا أَزْهَدُهُ بِالْحُطَامِ الْفَانِي) .

وَقَالَ لِابْنِهِ لَمَّا وُلَّاهُ الْعَهْدَ : إِسْتَدِمِ النِّعْمَةَ بِالشُّكْرِ ، وَالْقُدْرَةَ بِالْعَفْوِ ،
وَالنَّصْرَ بِالتَّوَاضِعِ ، وَالتَّالِفَ بِالطَّاعَةِ ، وَلَا تَنْسَ نَصِييَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَنَصِييَكَ
مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَقَالَ لِلرَّبِيعِ وَيَحْكُ لَقَدْ رَأَيْتُ مَنْأَمًا هَالِنِي رَأَيْتُ قَائِلًا وَقَفَ فِي
بَابِ هَذَا الْقَصْرِ يَقُولُ :

كَأَنِّي بِهَذَا الْقَصْرِ قَدْ بَادَ أَهْلُهُ وَأَوْحَشَ مِنْهُ أَهْلُهُ وَمَنَازِلُهُ
وَصَارَ رَأْسُ الْقَصْرِ مِنْ بَعْدِ بَهْجَةٍ إِلَى جَدَثٍ يُبْنِي عَلَيْهِ جَنَادِلُهُ

وكان ابن أبي ذئب جالساً في المسجد النبوي الشريف في المدينة فدخل
أمير المؤمنين المهدي فلم يبقَ أحدٌ إلا قام .
فلما وصلَ إلى ابن أبي ذئب لم يقم .
قال المسيبُ بن زهير : قُم هذا أمير المؤمنين ، فقال : إنما يقوم الناس لربِّ
العالمين .

فقال المهدي دَعُهُ فَلَقَدْ قَامَتْ كُلُّ شَعْرَةٍ فِي رَأْسِي .
فهكذا العلماء المخلصون الذين يحفظ الله بهم الإسلام ويرفع الله بهم
المسلمين .

تأمل يا أخي هل يُوجدُ في زَمَنِنَا مثَلُ هَؤُلاءِ ما أَظُنُّ يُوجدُ ولا رقم ثلاثة
لا حول ولا قوة إلا بالله .

فإن قلتُ زِنْدَ العِلْمِ كَابٍ فَإِنَّمَا كَبَى حَيْثُ لم تُحْمَى جِمَاهُ وَأَظْلَمَا
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ العِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ وَلَوْ عَظُمُوهُ فِي النَفُوسِ لَعُظِّمَا
ولكن أهائوه فهائوا وذنسوا مُحْيَاهُ بِالْأَطْمَاعِ حَتَّى نَجَّهَمَا
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

عن جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي قال ما رأينا في القراء أحداً مثل
عيسى بن يونس أرسلنا إليه فأتانا بالرقعة فاعتل قبل أن يرجع فقلت يا أبا عمرو
وقد أمر لك بعشرة آلاف فقال هي فقلت خمسون ألفاً، قال : لا حاجة لي
فيها، فقلت : لِمَ وَاللَّهِ لَأَهْنِئَنَّكَهَا هِيَ وَاللَّهِ مِائَةٌ أَلْفَ .

قال : لا والله لا يتحدَّثُ أهل العلم أني أكلتُ لِلِسُنَّةِ ثَمَنًا، أَلَا كَانَ هَذَا
قبل أن تُرْسِلُوا إِلَيَّ، فَأَمَّا عَلَى الْحَدِيثِ فَلَا وَاللَّهِ وَلَا شَرَابَةَ مَاءٍ وَلَا هَلِيلِجَةَ .

وقال أبو بكر المرزوي سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ وَذَكَرَ وَرَعَ عَيْسَى بْنَ
يُونُسَ، قَالَ قَدِمَ فَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفٍ أَوْ قَالَ بِمِائَةِ أَلْفٍ فَلَمْ يَقْبَلْ، وَتَدْرِي ابْنُ كَمْ كَانَ
عَيْسَى أَرَادَ أَنَّهُ كَانَ حَدَّثَ السَّنِ .

وقال محمد بن المنكدر حج الرشيد فدخل الكوفة فركب الأمين والمأمون إلى عيسى بن يونس فحدثهما فأمر له المأمون بعشرة آلاف درهم .

فأبى أن يقبلها فظن أنه استقلها، فأمر له بعشرين ألفاً، فقال عيسى لا والله ولا إهليلجة ولا شربة ماء على حديث رسول الله ﷺ، ولو ملأت لي هذا المسجد ذهباً إلى السقف . لله دره هذا من رقم (١) في الزهد .

طلب الخليفة هشام بن عبد الملك ذات يوم أحد العلماء، فلما دخل عليه قال السلام عليك يا هشام ثم خلع نعليه وجلس بجانبه .
فغضب هشام وهم يقتله ولما تحدث معه وجدته عالماً كبيراً .
فلما انتهى الحديث عاتبه بقوله لقد سميتني باسمي ولم تكنني أو تدعني بالخلافة وخالعت نعليك وجلست بجانبني فلم فعلت ذلك .
فقال له : لم أدعك بالخلافة لأن الناس لم ينتخبوك كلهم .
وسميتك ولم أكنك ، لأن الله جل وعلا وتقدس نادى الأنبياء بأسمائهم ، فقال يا عيسى ، يا إبراهيم ، يا موسى ، يا نوح ، يا داوود .

وكنى عدوه فقال : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ .
وخالعت نعلي بجانبك وأنا أخلعهما لما أدخل بيت ربي .
وجلست بجانبك لأنني سمعت أن رسول الله ﷺ قال : « من سره أن يمثل له الرجال قياماً فليتبوء مقعده من النار » .
فكرهت لك النار فأمر له هشام بمال فلم يقبله وانصرف .

تأمل يا أخي هذا الورع عن أخذ شيء من حطام الدنيا على ما حدثهما به وقال لا يتحدث أهل العلم أني أكلت للسنة ثمناً .

فما ظنك بمن يأكل بالكتب التي تحتوي على الآيات والأحاديث باسم تحقيق أو نشر ويحتكرها نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة . نعوذ بالله

من عمى البصيرة، قال الله تعالى: ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً﴾، وقال تعالى: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ وأكثر يا أخي من قول الحمد لله الذي عافا مما ابتلاهم الله إيعافيم ولا يبلانا.

ويروى عن أبي عمرو الزاهد صاحب أبي العباس أن بعض الوزراء أرسل إليه يسأله مبلغ ما يحتاج إليه لقوته وقوت عياله في كل سنة ليُجري عليه كفايته فقال للرسول الذي أرسله أحد الوزراء: قل لصاحبك أنا في جرایة الذي ما من دابة إلا عليه رزقها وإذا غضب علي لم يقطع عني ما يجره علي لله درره هذا من رقم (١) في العفاف والزهد.

اللَّهُمَّ اخْتِمْ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ أَعْمَارَنَا وَحَقِّقْ بِفَضْلِكَ آمَالَنا وَسَهِّلْ لِبُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلَنَا وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ أَعْمَالَنا يَا مُنْقِذَ الْعَرَقِيِّ وَيَا مُنْجِيَ الْهَلَكِيِّ وَيَا دَائِمَ الْإِحْسَانِ اذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَأَثْلْنَا مِنْ كَرَمِكَ وَجُودِكَ مَا تَقَرُّ بِهِ عُيُونُنَا مِنْ رُؤْيَيْكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

شِعْرًا: قَلَّ الْحَمَاءُ وَمَا فِي الْحَيِّ أَنْصَارُ
وَأَصْبَحَتْ دَارُنَا تَبْكِي لِفِرْقَتِهَا
سَارُوا جَمِيعًا فَصَارُوا لِلْوَرَى سَمْرًا
لَهْفِي عَلَيْهِمْ لَوْ أَنَّ اللَّهْفَ يَنْفَعُنِي
مَا فِي الزَّمَانِ فَتَى تَرْجُوهُ فِي حَدِيثِ
وَلَا مُعِينًا عَلَي بَلَوَى يُدَافِعُهَا
سِوَى لِقَامِ لَهُمْ بِالْغَشِّ سَرْبَلَةٌ
وَالْحَقْدُ وَالْغُلُّ وَالْبَعْضَاءُ بَيْنَهُمْ
وَيَحْسُدُونَ عَلَى النَّعْمَاءِ صَاحِبَهَا
وَاللَّمَزُ فِيهِمْ وَكُلُّ الْقُبْحِ قَدْ جَمَعُوا

وَدَبَّرَ الْأَمْرَ أَحْدَاثُ وَأَعْمَارُ
كُلَّ الْكِرَامِ الَّذِي بِالْحَدِّ قَدْ سَارُوا
يَتْلُوا لِذِكْرَاهُمْ فِي الْحَيِّ سَمَارُ
جَدَّدْتُ لَهْفِي وَدَمَعُ الْعَيْنِ مَدْرَارُ
وَلَا رِجَالًا لَهُمْ فِي الْمَجْدِ إِخْطَارُ
إِذَا الْعَرِيبُ جَفَاهُ الصَّحْبُ وَالْجَارُ
وَفِي الْقُلُوبِ لَهُمْ بِالضَّعِينِ إِعْصَارُ
لَا يُفْلِحُوا أَبَدًا وَالْخَيْرُ يَنْهَارُ
وَيَشْمُتُونَ إِذَا مَا حَلَّ إِعْسَارُ
وَفِي الْقُلُوبِ مِنَ الْأَحْقَادِ أَوْغَارُ

لَا خَيْرَ فِيهِمْ وَلَا نُصْحًا تُؤْمَلُهُ
 وَإِنْ بَدَا لَكَ أَمْرٌ بِالْمُنَى خَلِعْ
 لَا تَقْرَبَنَّ لَهُمْ لَا زِلْتَ مُدْرِعًا
 وَأَطْلُبْ جَلِيسًا كَرِيمَ النَّفْسِ مُلْتَمِسًا
 إِنْ غَبَتْ حَادَ وَلَا تُلْقِيهِ مُتَّقِصًا
 هَذَا هُوَ الْخِلُّ فَالزَّمْ إِنْ طَفِرْتَ بِهِ
 وَقَلِّ مِثْلًا وَمَا ظَنِّي تُحَصِّلُهُ
 فَأَنْسُ بِرَبِّكَ فَغَرَّ الْبَيْتِ مُلْتَرِمًا
 وَلِلصَّلَاةِ فَلَا تُهْمِلْ جَمَاعَتَهَا
 وَالصَّدَقِ وَالْبِرِّ لَا تَعْدُوهُمَا أَبَدًا
 وَالزَّمْ عَفَافًا وَلَا تَتَّبِعْ طَرِيقَ هَوَى
 وَأَذْكَرْ إِلَهًا فِي خَلْقِهِ مَنْنٌ
 وَأَحْفَظْ لِسَانَكَ عَنِ الْغَوِّ وَعَنْ رَفَثٍ
 وَأَرْحَمْ يَتِيمًا عَدَا بِالْيَتِيمِ مُتَّصِفًا
 وَصِلْ قَرِيبًا وَلَا تَقْطَعْ لَهُ رَحِمًا
 وَبِرِّ جَارًا وَلَا تَهْتِكْ مَحَارِمَهُ
 وَكُنْ حَلِيمًا وَلَا تَعْضَبْ عَلَى أَحَدٍ
 وَتَمَّ نَظْمِي وَصَلَّى خَالِقِي أَبَدًا
 وَإِلَيْهِ الْعُرُّ مَعَ صَحْبِ أَوْلَى كَرِيمٍ

اللَّهُمَّ قَنَعْنَا مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ وَسَهَّلْ عَلَيْنَا كُلَّ أَمْرٍ عَسِيرٍ وَوَفَّقْنَا لِمَا تُحِبُّهُ
 وَتَرْضَاهُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَسْكِنْنَا دَارَ كَرَامَتِكَ يَا مَنْ هُوَ مَلْجُؤُنَا
 وَمَلَاذُنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ كُلِّ فَرْجٍ وَمِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجًا وَاعْفِرْ
 لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصْلٌ»

وعن أبي قدامة السرخسي قال : قام العمري للخليفة على الطريق فقال له :
فَعَلْتَ وَفَعَلْتَ . فقال له : ماذا تريد؟ قال : تَعْمَلُ بكذا وتعمل بكذا . فقال له
هارون : نَعَمْ يَا عَمَّ ، نَعَمْ يَا عَمَّ .

وعن سعيد بن سليمان قال : كنت بمكة في زقاق الشطوى وإلى جنبي
عبدالله بن عبدالعزيز العَمْرِي وقد حج هارون الرشيد .

فقال له إنسان : يا أبا عبد الرحمن هو ذا أمير المؤمنين يسعى قد أدخلني له
المسعى . قال العمري للرجل : لا جزاك الله عني خيراً ، كلفتني أمراً كنت عنه
غنياً . ثم تعلق نعليه (أي لبسهما) .

وقام فتبعته وأقبل هارون الرشيد من المروة يريد الصفا فصاح به :
يا هارون ! فلما نظر إليه قال : لَبَّيْكَ يَا عَمَّ . قال : ارْقِ الصفا . فلما رَقِيَ .

قال : ارم بطرْقِكَ إلى البيت . قال : قد فَعَلْتُ . قال : كم هم؟ قال : ومن
يُحْصِيهِمْ؟ قال : فكم في الناس مِثْلُهُمْ؟ قال : خَلَقْتُ لا يُحْصِيهِمْ إلا الله .

قال : اعْلَمَ أيها الرجل أن كُلَّ واحدٍ منهم يُسأل عن خاصَّةِ نفسه وأنت
وَحَدَّكَ تُسأل عنهم كلهم فانظر كيف تكون؟ قال : فبكى هارون وجَلَسَ
وجَعَلُوا يُعْطُونَهُ مِندِيلاً مِندِيلاً للدموع .

قال العمري : وأخرى أقولها . قال : قُلْ يَا عَمَّ . قال : والله إن الرَّجُلَ
لَيُسْرِفُ في ماله فيستحقُّ الحَجَرَ عليه ، فكيف بِمَنْ يُسْرِفُ في مالِ المسلمين؟
ثم مَضَى وهارون يَبْكِي .

قال محمد بن خلف : سمعت محمد بن عبد الرحمن يقول : بلغني أن هَارُونَ
الرَّشِيدَ قال : إِنِّي لِأُحِبُّ أَنْ أُحَجَّ كُلَّ سَنَةٍ مَا يَمْنَعُنِي إِلَّا رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ عُمَرَ ثُمَّ
يُسْمِعُنِي مَا أَكْرَهَ .

وقد روى لنا من طريق آخر أنه لقيه في المسعى فأخذ بلجام دابته فأهوت إليه الأجناد فكفّهم عنه الرشيد فكلّمه فإذا دموع الرشيد تسيل على معرفة دابته .

ثم انصرف . وأنه لقيه مرّة فقال : يهارون فعَلتَ وفَعَلتَ . فجعلَ يسمعُ منه ويقول : مَقْبُولٌ منك يا عمّ ، على الرّأس والعين .

فقال : يا أمير المؤمنين من حال الناس كَيْتَ وكَيْتَ . فقال : عن غيرِ علمي وأمري وخارجِ العمري إلى الرشيد مرّة ليعظّه فلمّا نزل الكوفة زحف العسكر حتّى لو كان نزل بهم مائة ألف من العدو ما زادوا على هيبتة . ثم رجع ولم يصل إليه .

وعن أبي يحيى الزهري قال : قال عبد الله بن عبدالعزيز العمري عند موته : بنعمة ربي أحدثت أني لم أصبح أملك إلا سبعة دراهم من لحاء شجرٍ فتلته بيدي ، وبنعمة ربي أحدثت : لو أن الدنيا أصبحت تحت قدمي ما يمنعني أخذها إلا أن أزيل قدمي عنها ؛ ما أزلتها .

استسقى موسى بن نصير في الناس في سنة ٩٣ حين أخطوا بإفريقية فأمرهم بصيام ثلاثة أيام ثم خرج بهم وميّز أهل الذمة عن المسلمين وفرّق بين البهائم وأولادها ثم أمر بالبكاء وارتفاع الضجيج وهو يدعوا الله تعالى حتّى انتصف النهار ثم نزل فقيل له ألا دعوت لأمر المؤمنين؟ فقال : هذا موطن لا يذكر فيه إلا الله عزّ وجلّ فسقاهم الله عزّ وجلّ لما قال ذلك .

كتب زر بن حبيش إلى عبد الملك بن مروان كتاباً يعظّه فيه فكان في آخره : ولا يطعمك يا أمير المؤمنين في طول الحياة ما يظهر من صحة بدنك فأنت أعلم بنفسك واذكر ما تكلم به الأولون .

شِعْرًا : إذا الرجال ولدت أولادها وبليت من كبر أجسادها

وَجَعَلْتَ أَسْقَامَهَا تَعَادُهَا فَذِي زُورٍ قَدْ دَنَا حَصَادُهَا
 فلما قرأ عبد الملك الكتبَ بكى حتَّى بَلَ طرفَ ثوبِهِ بدموعِهِ ثم قال :
 صدقَ زِرٌّ ولو كَتَبَ إلينا بغيرِ هذا كان أرفقَ بنا .

شِعْرًا: يَا بَانِي الْقَصْرِ الْكَبِيرِ بَيْنَ الدَّسَاكِرِ وَالْقُصُورِ
 وَمَجَرَّرِ الْجَيْشِ الَّذِي مَلَأَ البَسِيطَةَ وَالصُّدُورِ
 وَمُدَوِّخِ الْأَرْضِ الَّتِي أَعْيَتْ عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ
 أَمَا فَرَعْتَ فَلَا تَدْعُ بَيْنَانَ قَبْرِكَ فِي الْقُبُورِ
 وَانظُرْ إِلَيْهِ تَرَاهُ كَيْـ فَ إِيكَ مُعْتَرِضًا يُشِيرُ
 وَاذْكُرْ رُقَادَكَ وَسَطَّهُ تَحْتَ الْجَنَادِلِ وَالصُّخُورِ
 قَدْ بَدَّدْتَ تِلْكَ الْجِيُـ شُ وَعُيِّرْتَ تِلْكَ الْأُمُورِ
 وَاعْتَضْتَ مِنْ لَيْنِ الْحَرِيـ رِ حُشُونَةَ الْحَجَرِ الْكَبِيرِ
 وَثَرِكْتَ مُرْتَهِنًا بِهِ لَا مَالَ وَنِيكَ وَلَا عَشِيرُ
 حَيْرَانَ تُغْلِنُ بِالْأَسَى لَهْفَانَ تَدْعُو بِالثُّبُورِ
 وَدُعَيْتَ بِاسْمِكَ بَعْدَمَا قَدْ كُنْتَ تُدْعَى بِالْأَمِيرِ
 وَلَأَنْتَ أَهْوَنُ فِيهِ مِنْ جُعَلٍ عَلَى نَثْنٍ يَدُورُ
 إِنْ لَمْ يَجُدْ بِالْعَفْوِ مَنْ يَعْفُو عَنِ الذَّنْبِ الْكَبِيرِ
 هَذَا هُوَ الْحَقُّ الْيَقِينُ نِ وَكُلُّ ذَاكَ هُوَ الْعُرُورُ

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَتَبَّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
 الْآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَتَوْفِقًا مُسْلِمِينَ وَالْحِفْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ يَا أَكْرَمَ
 الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فصل»

وعن الفضل بن الربيع قال : حج أمير المؤمنين الرشيد فأتاني فخرجت

مسرعاً فقلت : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ أتيتك . فقال : ويحك قد حاك في نفسي شيء فانظر لي رجلاً أسأله . فقلت : ها هنا سفيان بن عيينة .

فقال : امض بنا إليه . فأتيناه فقرعت الباب فقال من ذا ؟ فقلت : أجب أمير المؤمنين . فخرج مسرعاً فقال : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ أتيتك . فقال له : خذ لما جئناك له رحمك الله .

فحدثه ساعة ثم قال له : عليك دين ؟ قال : نعم . فقال : أبا عباس اقض دينه فلما خرجنا قال : ما أغنى عني صاحبك شيئاً ، انظر لي رجلاً أسأله . فقلت له : ها هنا عبدالرزاق بن همام . قال : امض بنا إليه فأتيناه فقرعت الباب فقال : من هذا ؟ قلت : أجب أمير المؤمنين .

فخرج مسرعاً فقال : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ أتيتك . قال : خذ لما جئناك له .

فحدثه ساعة ثم قال له : عليك دين ؟ قال : نعم . قال : أبا عباس اقض دينه . فلما خرجنا قال : ما أغنى صاحبك شيئاً انظر لي رجلاً أسأله .

قلت : ها هنا الفضيل بن عياض . قال : امض بنا إليه . فأتيناه فإذا هو قائم يصلي يتلو آية من القرآن يرددها . فقال : اقرع الباب . فقرعت الباب فقال : من هذا ؟ فقلت : أجب أمير المؤمنين . فقال : ما لي ولأمير المؤمنين ؟ فقلت : سبحان الله أما عليك طاعة ؟

أليس قد روى عن النبي ﷺ أنه قال : « ليس للمؤمن أن يذل نفسه » فنزل ففتح الباب ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ المصباح ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت .

فدخلنا فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كفّ هارون قبلي إليه . فقال : يا لها من كف ما أليتها إن نجت غداً من عذاب الله عز وجل .

فقلت في نفسي: ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب تقي . فقال له : خذ
لما جئناك له رحمك الله .

فقال : إن عمر بن عبدالعزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبدالله ، ومحمد
بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم : إني قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا
عليّ . فعُدَّ الخلافة بلاء وعدادتها أنت وأصحابك نعمة .

فقال له سالم بن عبدالله : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فَصُمْ عن
الدُّنيا وليكن إفطارك من الموت .

وقال له محمد بن كعب القرظي : إن أردت النجاة من عذاب الله ، فليكن
كبير المسلمين عندك أباً وأوسطهم أخاً وأصغرهم عندك ولداً فوقر أبك وأكرم
أخاك وتحنن على ولدك .

وقال له رجاء بن حيوة : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله عز وجل
فأحبَّ للمسلمين ما تُحبُّ لنفسك واکره لهم ما تكرهُ لنفسك ثم مُت إذا
شئت .

وإني أقول لك إني أخاف عليك أشدَّ الخوف يوم تزل في الأقدام فهل
معك رحِمك الله مَنْ يشير عليك بمثل هذا؟

فَبَكَى هارون بكاءً شديداً حتى غُشى عليه فقلت له : أرفق بأمر المؤمنين .
فقال : يابنُ أم الربيع تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا ثم أفاق فقال له : زدني
رحمك الله .

فقال : يا أمير المؤمنين بلغني أن عاملاً لعمر بن عبدالعزيز شكاً إليه .
فكتب إليه عمر : يا أخي أذكرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد
وإياك أن يُنصَرف بك من عند الله فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء .

قال : فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبدالعزيز فقال

له : ما أقدمك ؟ قال : خلعت قلبي بكتابك لا أعود إلى ولاية أبداً حتى ألقى الله عز وجل .

قال : فبكى هارون بكاءً شديداً ثم قال له : زدني رحمك الله . فقال : يا أمير المؤمنين إن العباس عم المصطفى ﷺ جاء إلى النبي فقال : يا رسول الله أمرني على إمارة فقال له النبي ﷺ : « إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة فإن استطعت أن لا تكون أميراً فافعل » .

فبكى هارون بكاءً شديداً وقال له : زدني رحمك الله فقال : يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة ، فإن استطعت أن تقى هذا الوجه من النار فافعل ، وإياك أن تصبح وتُمسي وفي قلبك غشٌّ لأحد من رعيتك فإن النبي ﷺ قال : « من أصبح لهم غاشاً لم يرخ رائحة الجنة » .

فبكى هارون وقال له : عليك دَيْنٌ ؟ قال : نعم دَيْن لربي يحاسبني عليه ، فالويل لي إن سألتني ، والويل لي إن ناقشني ، والويل لي إن لم ألهم حجتي . قال : إنما أعني دَيْن العباد .

قال : إن ربي لم يأمرني بهذا ، أمر ربي أن أوحدّه وأطيع أمره ، فقال عز وجل : ﴿ وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم رزقٍ وما أريد أن يُطعمون أن الله هو الرزاق ذو القُوَّة المبيِّن ﴾ .

فقال له : هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك وتَقَوِّى على عبادتك . فقال : سبحان الله أنا أدلُّك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا ؟ سلمك الله ووفقك .

ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فلما صرنا على الباب قال هارون : أبا عباس إذا دلَّتني على رجل فدُلَّني على مثل هذا ، هذا سيد المسلمين .

فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت: يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال فتفرجنا به. فقال لها: مثلي ومثلكم كمثلكم قوم كان لهم بغير يأكلون من كسبه فلما كبر نُحروه فأكلوا لحمه.

فلما سمع هارون هذا الكلام قال: ندخل فعسى أن يقبل المال فلما علم الفضيل خرج فجلس في السطح على باب الغرفة، فجاء هارون فجلس إلى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه فبينما نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت يا هذا قد أتعبت الشيخ منذ الليلة فانصرف رحمك الله فانصرف. تأمل يا أخي هل يوجد في زمننا من يرد حطام الدنيا إذا عرض عليه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. هذا الله أعلم أنه من رقم (1) في الزهد.

بَلِّغْ يَا أَخِي مَنْ يَأْكُلُونَ بِالْكَتَبِ الدِّينِيَّةِ بِاسْمِ تَحْيِيقٍ وَنَشْرِ وَقُلْ لَهُمُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ واذكر لهم طريقة الرسل وأنهم لا يسألون الناس أجراً.

شِعْرًا: إِعْلَمْ بَأَنَّ طَرِيقَ الْحَقِّ مُنْفَرِدٌ وَالسَّالِكُونَ طَرِيقَ الْحَقِّ أَفْرَادٌ
لَا يَطْلُبُونَ وَلَا تُطَلَّبُ مَسَاعِيهِمْ فَهَمُّ عَلَى مَهَلٍ يَمْشُونَ قُصَادٌ
وَالنَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا لَهُ قَصَدُوا فَجَلُّهُمْ عَنِ طَرِيقِ الْحَقِّ رُقَادٌ

قيل إن هارون الرشيد خرج في تزهةٍ ومعه سليمان بن جعفر فقال له هارون قد كانت لك جارية تُعني فتُحسِنُ الغنا فأت بها فجاءت فَعَنَّتْ فلم تُحسِنُ الغنا فقال لها ما شأنك قالت ليس هذا عودي.

فَقَالَ لِلْخَادِمِ جِئْهَا بِعُودِهَا قَالَ فَجَاءَ بِالْعُودِ فَوَافَقَ شَيْخًا يَلْقُطُ التَّوَى فَقَالَ
إِبْعِدْ عَنِ الطَّرِيقِ يَا شَيْخَ فَرَفَعَ الشَّيْخُ رَأْسَهُ فَرَأَى الْعُودَ فَأَخَذَهُ فَضْرَبَ بِهِ الْأَرْضَ.
فَأَخَذَهُ الْخَادِمُ وَذَهَبَ بِهِ إِلَى صَاحِبِ الرَّبْعِ فَقَالَ احْتَفِظْ بِهَذَا فَإِنَّهُ سَيَطْلُبُهُ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ لَهُ صَاحِبُ الرَّبْعِ لَيْسَ بِبَعْدَادٍ أَعْبُدُ مِنْ هَذَا فَكَيْفَ يَطْلُبُهُ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ.

فقال له اسمع ما أقول لك ثم دخل على هارون الرشيد فقال له إني مررت على شيخ يلقط النوى فقلت تنح عن الطريق يا شيخ فرفع رأسه فرآى العود «أي عود الغنا» فأخذه وضرب به الأرض.

فغضب هارون واستشاط واحمرت عيناه فقال سليمان بن جعفر ما هذا الغضب يا أمير المؤمنين إنبتت إلى صاحب الربع يضرب عنقه ويرمي به في دجلة فقال لا ولكن نبتت إليه فنناظره أولاً.

قال فبعثت إليه فجاءه الرسول فقال أحب أمير المؤمنين قال نعم. قال: أركب قال لا فجاء يمشي حتى أوقف على باب القصر فقبل لهارون قد جاء الشيخ.

فقال لنداماه أي شيء ترون نرفع من ما قدأمننا من المنكر حتى يدخل الشيخ أو نقوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر فقالوا نقوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر فقاموا صغرة إلى مجلس ليس فيه منكر.

ثم طلب الشيخ فأدخل وفي كفه الكيس الذي فيه النوى (أي الفصم) فقال له الخادم أخرج هذا وادخل على أمير المؤمنين فقال من هذا عشائي الليلة قال نحن نعشيك قال لا حاجة لي في عشاكم.

فقال له هارون أي شيء تريد منه فقال في كفه نوى فقلت له اطرحه وادخل على أمير المؤمنين فقال دعه لا تطرحه فدخل على هارون وجلس.

فقال هارون يا شيخ ما حملك على ما صنعتت قال وأي شيء صنعتته وجعل هارون يستحي أن يقول كسرت عودنا.

فلما أكثر عليه فقال الشيخ لهارون إني سمعت آباءك وأجدادك يقرؤن هذه الآية على المنبر: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى﴾ ورأيت منكراً فغيرته.

قال فَغَيْرُهُ قال الراوى فوالله ما قال إِلَّا هذا فلما خَرَجَ أُعْطِيَ هَارُونَ رَجُلًا
بَدْرَةً يعنى عشرة آلاف درهم فقال له اتبع الشيخ فإن رأيتُهُ يقول قُلْتُ لأمير
المؤمنين وقال لي فلا تُعْطِه شيئاً وأتني به وإن رأيتُهُ لا يكلم أحدًا فاعطه البدره .
فلما خَرَجَ من القَصْرِ تَبِعَهُ ولم يَرَهُ يُكَلِّمُ أحدًا فقال له يقول لك أمير
المؤمنين خذ هذه البدره فقال قل لأمير المؤمنين يردّها من حيث أخذها .

فانظر رحمك الله كيف حفظه الله جل وعلا من سطوتهم ورد عنه كيدهم
ببركة الاخلاص والتقوى لرب العالمين وقال النبي ﷺ لابن عباس: « يا غلام
احفظ الله يحفظك » .

ولو كان هذا من الجهلة المرائين لخرَجَ وهو يقول اتفق لي مع أمير المؤمنين
كذا وكذا وقال لي وقُلْتُ له يَتَّبِحُ بذلك ولا يقنع بعلم الله جل وعلا
واطلاعه . هذا الله أعلم أنه من رقم (١) في الزهد .

فينبغي التفتن لمثل هذا فإنه دليل على ما في القلب من الداء الدفين من
الرياء وطلب الجاه والمنزلة في قلوب الخلق .

وقد روى النسائي وأبو داود أن النبي ﷺ قال: « إن الله لا يقبل من
العمل إلا ما كان خالصاً ويبتغي به وجهه » .

فإن قلت فما الذي يُمَيِّزُ لنا النية الصالحة الخالصة من النية الفاسدة وما
العلامة في ذلك والمعياري في صحته .

قُلْتُ محل الاعتبار في ذلك أن يرى المُنْكَرُ نَفْسَهُ كالمكره على هذا الفعل
وكالمتكلف له والمتجشم المشقة فيه .

ويؤدُّ لو تصدى لهذا الفعل غيره وكفاه الله به ويُحِبُّ أن لا يَعْلَمَ به أحدٌ
من الناس اِكْتِفَاءً بعلم الله جل وعلا وتقديس واطلاعه عليه .

ويختار الكلام مع ولي الأمر من سلطان أو غيره في الخلوة على الكلام معه لا على رؤوس الأشهاد .

بل يودُّ لو كلّمه سِرًّا وُحْدَهُ وَنَصَحَهُ خُفِيَةً من غير حضور ثالث لهما ويكره أن يقال عنه أو يُحكى ما اتفق له .

ويكره أن يشتهر بذلك بين العامة بل لو أثيرَ كلامُهُ وغير المنكر بقوله ثم اشتهر عند الناس نِسْبَةُ ذَلِكَ إلى غيره لما شقَّ عليه .

ذلك إذا علم الله بحقيقة الحال كفاية وهو المجازي كل أحد بعلمه .

ويكون قَصْدُهُ زَوَالَ المنكر على أيِّ وَجِهٍ كان ولو حصل له مع زواله اِزْدِرَاءٌ وَتَنْقِصٌ وَسَبٌّ وَتَغْلِيظٌ كَلَامٍ وَذَمٌّ بَيْنَ الناسِ أو إِعْرَاضٌ وَهَجْرٌ مِمَّنْ عَادَتُهُ المَوَدَّةُ له والاقبال عليه ونحو ذلك من الأحوال التي تَكْرَهُهَا النُفُوسُ وَتَنْفُرُ منها الطَّبَاعُ .

فهذه كُُلُّهَا من عِلَامَاتِ الإِخْلَاصِ وَحُسْنِ القَصْدِ وَابْتِعَاءِ وَجِهِ اللهِ تَعَالَى والدارِ الآخِرَةِ .

وأما غَيْرُ المُخْلِصِ فبضد ذلك فيرى عند نفسه نشاطاً إلى هذا الفعل وإقبالاً عليه وسُرُورًا به وَيُحِبُّ أن يَكُونَ جَهْرًا في مَلَأٍ من الناسِ لَا سِرًّا وَيُحِبُّ أن يُحكى عنه ذَلِكَ وَأَن يَشْتَهَرَ به وَأَن يُحَمَدَ عليه .

حتى إنَّه لو نُسِبَ أزالَهُ المنكر إلى غيره لَقَامَتْ قِيَامَتُهُ بل تَجِدُهُ يَنْقِضِي عُمُرَهُ وهو يَحْكِي ما اتَّفَقَ لَهُ وَمَا قَالَ وَمَا قِيلَ لَهُ مُتَّبِعًا بِذَلِكَ بين أقرانه وَزُمَلَانِيَّةٍ وَأبناءِ جِنْسِيهِ وَرُبَّمَا زَادَ في القِصَّةِ وَتَقْصَرَ .

ولو سَبَقَهُ غَيْرُهُ إلى ما كان هو قد عَزَمَ عليه من ذَلِكَ وَرَجَعَ السلطانُ إلى قوله لَتُقَلَّ ذَلِكَ وَشَقَّ عليه .

وَرُبَّمَا يَقُولُ لِمَنْ يُطْلِعُهُ عَلَى نَيْبَتِهِ كُنْتُ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَدْخُلَ عَلَى السُّلْطَانِ
فَأَقُولُ لَهُ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ سَبَقَنِي فَلَانٌ وَلِكِنَّهُ لَمْ يَتَكَلَّمْ كَمَا يَنْبَغِي وَلَوْ دَخَلْتُ
عَلَيْهِ لَقُلْتُ كَذَا وَفَعَلْتُ كَذَا فَهَذِهِ عَلَامَاتٌ عَلَى فِسَادِ النِّيَّةِ وَسُوءِ الْقَصْدِ وَعَدَمِ
الِاخْتِلاصِ .

هَذِهِ نَمَازِجُ وَأَمْثَلَةٌ سُقْنَاهَا مِنْ سِيرَةِ الْعُلَمَاءِ الْمُخْلِصِينَ الْعَامِلِينَ بَعْلِهِمْ
الَّذِينَ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

سَأَلَ الْمَهْدِيُّ الْإِمَامَ مَالِكًا وَقَالَ لَهُ هَلْ لَكَ دَارٌ ؟ فَقَالَ : لَا . فَأَعْطَاهُ ثَلَاثَةَ
آلَافٍ دِينَارٍ وَقَالَ لَهُ : اشْتَرِ لَكَ بِهَا دَارًا ، فَأَخَذَ وَأَبْقَاهَا عِنْدَهُ .

فَلَمَّا أَرَادَ الرَّشِيدُ الرَّجِيلَ إِلَى بَغْدَادٍ قَالَ لِمَالِكٍ : يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَخْرُجَ مَعَنَا
فَإِنِّي عَزَمْتُ أَنْ أَحْمِلَ النَّاسَ عَلَى الْمَوْطِ ، كَمَا حَمَلَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النَّاسَ
عَلَى الْقِرَآنِ . فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ : أَمَّا حَمْلُ النَّاسِ عَلَى الْمَوْطِ فَلَيْسَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ
لِأَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ افْتَرَقُوا بَعْدَهُ فِي الْأَمْصَارِ فَحَدَّثُوا فَعِنْدَ كُلِّ أَهْلِ
مِصْرٍ عِلْمٌ .

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اخْتِلَافُ أُمَّتِي رَحْمَةٌ ، وَأَمَّا الْخُرُوجُ مَعَكَ فَلَا
سَبِيلَ إِلَيْهِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ، وَقَالَ الْمَدِينَةُ
تَنْفِي حَبَّتِهَا كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ حَبَّتَ الْحَدِيدِ .

وَهَذِهِ دَنَانِيرُكُمْ كَمَا هِيَ إِنْ شِئْتُمْ فَخُذُوهَا وَإِنْ شِئْتُمْ فَدَعُوهَا يَعْنِي أَنْكَ
إِنَّمَا كَلَفْتَنِي مُفَارَقَةَ الْمَدِينَةِ بِمَا اسْتَطَعْتَهُ لَدَيَّ مِنْ أَخْذِ هَذِهِ الدَّنَانِيرِ ، فَلَا أَنْ خُذَهَا
فَإِنِّي لَا أُؤَيِّرُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا عَلَى مُفَارَقَةِ الْمَدِينَةِ .

هَذَا مِنْ رَقَمٍ وَاحِدٍ فِي الْعَفَافِ وَالزُّهْدِ ، لِلَّهِ دَرُّهُ هَكَذَا الْعُلَمَاءُ الْعَامِلُونَ
الْمُخْلِصُونَ الْبَعِيدُونَ عَنِ الشَّهْرَةِ وَالظُّهُورِ وَالرِّيَاءِ .

شِعْرًا: إِذَا رُمْتَ أَنْ تَنْجُو مِنَ النَّارِ سَالِمًا
 وَتُحْطَى بِجَنَاتٍ وَحُورٍ خَرَائِدٍ
 وَفِي هَذِهِ الدُّنْيَا تَعِيشُ مُنْعَمًا
 فَمِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ فَاسْأَلْكَ سَبِيلَهَا
 فَعَادِ الَّذِي عَادَى وَوَالِ الَّذِي لَهُ
 فَمَنْ لَمْ يُعَادِيَ الْمُشْرِكِينَ وَمَنْ لَهُمْ
 فَلَيْسَ عَلَى مِنْهَاجِ سُنَّةِ أَحْمَدٍ
 وَأَخْلِصْ لِمَوْلَاكَ الْعِبَادَةَ رَاغِبًا
 مُحِبًّا لِأَهْلِ الْخَيْرِ لَا مُتَكْرِهًا
 وَكُنْ سَلِسًا سَهْلًا لَيِّنًا مُهْدَبًا
 إِلَى كُلِّ مَنْ يَدْتُو إِلَى مِنْهَجِ التَّقَى
 وَمَنْهَجِهِمْ خَيْرَ الْمَنْهَجِ كُلِّهَا
 فَهَذَا الَّذِي يُرْضَى لِكُلِّ مُوَحِّدٍ
 وَذَلِكَ يَوْمٌ لَوْ عَلِمْتَ بِهِوْلَهُ
 وَلَمْ تَتَلَذَّذْ بِالْحَيَاةِ وَطَيْبِهَا

اللَّهُمَّ بَارِكْ فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَتَوَرِّ قُلُوبِنَا وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَالْفَ بَيْنَ
 قُلُوبِنَا وَاهْدِنَا سَبِيلَ السَّلَامِ وَنَجِّنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَجَنِّبْنَا الْفَوَاحِشَ
 مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، اللَّهُمَّ
 يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ تُوفِّقَنَا لِمَا فِيهِ صَلَاحُ دِينِنَا
 وَدُنْيَانَا وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرِمْ مَثْوَانَا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 أَجْمَعِينَ.

«فصل: في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»

اعلم وفقك الله أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجبان وجوب كفايي يخاطب به الجميع، ويسقط بمن يقوم به، وإن كان العالم به واحداً تعين عليه، وإن كانوا جماعة لكن لا يحصل المقصود إلا بهم جميعاً تعين عليهم.

وأما تعريفهما، فالمعروف اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس. والمنكر ضده وعرفه بعضهم بقوله المنكر اسم جامع لكل ما يكرهه الله وينهى عنه والمعروف اسم جامع لكل ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح.

وقد حَبَّبَ اللهُ إِلَيْنَا الْخَيْرَ وَأَمَرَنَا أَنْ نَدْعُوَ إِلَيْهِ، وَكَرِهَ إِلَيْنَا الْمُنْكَرَ وَنَهَانَا عَنْهُ، وَأَمَرَنَا بِمَنْعِ غَيْرِنَا مِنْهُ، كَمَا أَمَرْنَا بِالتَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى. فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالعُدْوَانِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

والأصل في وجوبهما: الكتاب والسنة والإجماع قال الله تعالى: ﴿وَلِتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وَأَبَانَ جَلَّ وَعَلَا أَنَّنَا بِهِمَا خَيْرُ الْأُمَمِ فَقَالَ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.

وفي المسند والسني من حديث عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ إن من كان قبلكم كان إذا عمل العامل الخطيئة جاءه الناهي تعذيراً فإذا كان العُد جالساً وواكله وشاربه كأنه لم يره على خطيئة بالأمس فلما رأى الله عز وجل

ذَلِكَ مِنْهُمْ ضَرَبَ بِقُلُوبٍ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ ثُمَّ لَعَنَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ .

وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَتَأْخُذَنَّ عَلَى يَدِ السَّفِيهِ وَلَتَأْطُرَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللَّهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ ثُمَّ لِيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ .

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَمْرٍو الصَّنَعَانِيِّ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى يُوشَعَ بْنِ نُونٍ إِنِّي مُهْلِكٌ مِنْ قَوْمِكَ أَرْبَعِينَ أَلْفًا مِنْ خِيَارِهِمْ وَسِتِّينَ أَلْفًا مِنْ شِرَارِهِمْ قَالَ يَا رَبِّ هُوَلاءِ الْأَشْرَارُ فَمَا بَالُ الْأَخْيَارِ قَالَ إِنَّهُمْ لَمْ يَعْضُبُوا لِعَظْمِي وَكَانُوا يُوَاكِلُونَهُمْ وَيُشَارِبُونَهُمْ .

وَذَكَرَ أَبُو عَمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي عِمْرَانَ قَالَ بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَلَكَينِ إِلَى قَرْيَةٍ أَنْ دَمَّرَاهَا بِمَنْ فِيهَا فَوَجَدُوا فِيهَا رَجُلًا قَائِمًا يُصَلِّي فِي مَسْجِدٍ فَقَالَا يَا رَبِّ إِنَّ فِيهَا عَبْدَكَ فَلَنَا يُصَلِّي فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دَمَّرَاهَا وَدَمَّرَاهُ مَعَهُمْ فَإِنَّهُ مَا تَمَعَّرَ وَجْهَهُ فِيَّ قَطُّ .

وَذَكَرَ الْحَمِيدِيُّ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ حَدَّثَنِي سُفْيَانُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ مِسْعَرٍ أَنَّ مَلَكًا أَمَرَ أَنْ يَحْسِفَ بِقَرْيَةٍ فَقَالَ يَا رَبِّ إِنَّ فِيهَا فَلَانًا الْعَابِدَ .

فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ أَنْ بِهِ فَابِدًا فَإِنَّهُ لَمْ يَتَمَعَّرَ وَجْهَهُ فِيَّ سَاعَةً قَطُّ .

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ وَهَبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ لَمَّا أَصَابَ دَاوُدُ الْحَطِيبَةَ قَالَ يَا رَبِّ اغْفِرْ لِي قَالَ قَدْ غَفَرْتُ لَكَ وَالزَّمْتُ عَارَهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ يَا رَبِّ كَيْفَ وَأَنْتَ الْحَكَمُ الْعَدْلُ لَا تَظْلِمُ أَحَدًا أَنَا أَعْمَلُ الْحَطِيبَةَ وَتُزْلِمُ عَارَهَا غَيْرِي .

فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ إِنَّكَ لَمَّا عَمِلْتَ الْحَطِيبَةَ لَمْ يَفْعَلُوا عَلَيْكَ بِالْإِنْكَارِ .

وَأَوْضَحَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْأَجْرَ بِهِمَا عَظِيمٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ ، أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ أَصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

وَوَصَفَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِأَنَّ بَعْضَهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ .

وَشَهِدَ اللَّهُ بِالصَّلَاحِ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَضَافُوا إِلَى إِيمَانِهِمُ الْقِيَامَ بِهِمَا فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ، يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

وَبَيَّنَ جَلَّ شَأْنُهُ أَنَّ قَوْمًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ اسْتَحَقُّوا اللَّعْنَ بِتَرْكِهِمَا فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرِ فَعْلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ .

قَالَ الْفَرُطِيُّ وَبَخَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عُلَمَاءُهُمْ فِي تَرْكِهِمْ نَهْيَهُمْ فَقَالَ : ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ .

قَالَ وَدَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ تَارِكَ الْمُنْكَرِ الَّذِي لَا يَنْهَى عَنْهُ كَمُرْتَكِبِهِ .

وَذَلِكَ أَنَّ الْأُمَّةَ فِي عَهْدِ اسْتِقَامَتِهَا وَتَمَسُّكِهَا بِالسُّنَنِ لَا تَتْرُكُ بَيْنَ أَظْهُرِهَا عَاصِيًا وَلَا مَعْصِيَةً فَإِذَا رَأَتْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ثَارَتْ ثَوْرَةَ الْأَسْوَدِ وَلَمْ تَسْكُنْ حَتَّى تُذِيقَهُ مَا يَسْتَحِقُّ عَلَى مَعْصِيَتِهِ .

كُلُّ ذَلِكَ غَيْرَةٌ عَلَى دِينِهَا وَطَلْبًا لِمَرْضَاةِ رَبِّهَا . وَالْعُصَاةُ وَالْفَسَقَةُ يَرْتَدُّونَ عِنْدَمَا يَرُونَ رَدْعَ إِخْوَانِهِمْ .. انْتَهَى كَلَامُهُ .

شِعْرًا: وَأَهْوَى مِنَ الْفِتْيَانِ كُلِّ مُوَفِّقٍ لِبَطَاعَةِ رَبِّ الْخَلْقِ بَارِي الْبَرِيَّةِ
مُلَازِمُ بَيْتِ اللَّهِ يَتْلُوا كِتَابَهُ وَيُكْثِرُ ذِكْرَ اللَّهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ
وَيَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ حَسَبَ اقْتِدَارِهِ وَعَنْ مُنْكَرٍ يَنْهَى بِلُطْفٍ بِدَعْوَتِي

وَفِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ يُخْبِرُنَا جَلَّ وَعَلَا عَمَّا كَانَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمَا نَزَلَ
بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ فَيَقُولُ: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ
مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْدِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ. فَلَمَّا نَسُوا
مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَبْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ
بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهَوْا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ ،
فَأَفَادَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ صَارُوا إِلَى ثَلَاثِ فِرَقٍ :

فِرْقَةٌ ارْتَكَبَتْ الْمَحْذُورَ وَاحْتَالُوا عَلَى اصْطِيَادِ الْأَسْمَاكِ يَوْمَ السَّبْتِ
الْمُحْرَمِ فِيهِ الصَّيْدُ ، وَفِرْقَةٌ نَهَتْ عَنِ ذَلِكَ وَاعْتَرَلَتْهُمْ ، وَفِرْقَةٌ سَكَتَتْ فَلَمْ تَفْعَلْ
وَلَمْ تَنْهَ وَلَكِنَّهَا قَالَتْ لِلْمُنْكَرَةِ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا
شَدِيدًا ، أَي لِمَ تَنْهَوْنَ هَؤُلَاءِ وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا وَاسْتَحَقُّوا الْعُقُوبَةَ مِنَ
اللَّهِ فَلَا فَائِدَةَ فِي نَهْيِكُمْ إِيَّاهُمْ .

قَالَتْ لَهُمُ الْمُنْكَرَةُ مَعْدِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ أَنْ فِيمَا أُخِذَ عَلَيْنَا مِنَ الْأَمْرِ
بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَي وَلَعَلَّ لِهَذَا الْإِنْكَارِ يَتَّقُونَ
مَا هُمْ فِيهِ وَيَتْرَكُونَهُ وَيَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ تَائِبِينَ فَإِذَا تَابُوا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَرَحِمَهُمْ .

فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ (أَي فَلَمَّا أَبَى الْفَاعِلُونَ قَبُولَ النَّصِيحَةِ) أَنْجَبْنَا
الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا (أَي الَّذِينَ ارْتَكَبُوا الْمَعْصِيَةَ)
بِعَذَابٍ بَئِيسٍ ، فَنَصَّتْ الْآيَاتُ عَلَى نَجَاةِ النَّاهِينَ وَهَلَاكِ الظَّالِمِينَ وَسَكَتَتْ عَنِ
السَّاكِتِينَ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانُوا ثَلَاثَةً ثُلُثَ نَهْوًا وَثُلُثَ قَالُوا لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا وَثُلُثَ أَصْحَابِ الْخَطِيئَةِ فَمَا نَجَا إِلَّا الَّذِينَ نَهَوْا وَهَلَكَ سَائِرُهُمْ وَهَذَا اسْنَادُهُ جَيِّدٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ .

وَفِي الْحَدِيثِ الثَّابِتِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ حَطَبَ النَّاسَ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَعُونَ هَذِهِ الْآيَةَ وَتَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوَاضِعِهَا : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ » .

وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُعَيِّرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يُعَمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ » وَفِي لَفْظٍ (مِنْ عِنْدِهِ) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَابْنُ مَاجَةَ وَالتَّسَائِيُّ وَلَفْظُهُ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ الْقَوْمَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُعَيِّرُوهُ عَمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ » .

وَفِي رِوَايَةٍ لِأَبِي دَاوُدَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَا مِنْ قَوْمٍ يَعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي ثُمَّ يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُعَيِّرُوا ثُمَّ لَا يُعَيِّرُوا إِلَّا يُوشِكُ أَنْ يُعَمَّهُمُ اللَّهُ مِنْهُ بِعِقَابٍ » وَفِي رِوَايَةٍ : « إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الطَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يُعَمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِهِ » .

وَقَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حُمَيْدٍ وَلَقَدْ وَصَلْنَا إِلَى حَدِّ مَائَتْ فِيهِ الْغَيْرَةُ الدِّينِيَّةُ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ مِمَّنْ يُرْجَى وَيُظَنُّ أَنَّهُمْ حُمَاةُ الْإِسْلَامِ وَأَبْطَالُ الدِّينِ مِمَّا جَعَلَ الْعَصَاةَ يَمْرُحُونَ فِي مِيَادِينِ شَهَوَاتِهِمْ وَيَفْتَحِرُونَ بِعِصْيَانِهِمْ بَدُونَ حَسِيْبٍ وَلَا رَقِيْبٍ .

شِعْرًا : قُلْ لِلذِّي بِقِرَاعِ السِّيفِ هَدَدْنَا لَا قَامَ قَائِمٌ جَنِبِي حِينَ تَصْرَعُهُ قَامَ الْحَمَامُ إِلَى الْبَارِي يُهَدِّدُهُ وَاسْتَيْقَضَتْ لِأَسْوَدٍ أَصْبَعُهُ

وَلَوْ شِئْتُ لَقُلْتُ وَلَا أُحْسِنُ لِأَيِّمَاءٍ نَحْنُ فِي زَمَنِ عِلَا فِيهِ وَاعْتَرَّتْ أَرْبَابُ
الرِّذَائِلِ وَأَصْبَحَتْ الدَّوْلَةُ لَهُمْ وَأَهْلُ الْفَضِيلَةِ الْمُتَمَسِّكُونَ بِأَهْدَابِ دِينِهِمْ عِنْدَمَا
يُنْكِرُونَ عَلَى الْمُجْرِمِينَ إِجْرَامَهُمْ يَكُونُونَ كَالْمَضْغَةِ فِي الْأَفْوَاهِ الْبَدِيئَةِ تَرْمِيهِمْ
بِكُلِّ نَقِصَةٍ وَأَقْلُ مَا يَقُولُونَ إِنَّهُمْ مُتَأَخَّرُونَ جَامِدُونَ فِي بَقَايَا قُرُونِ الْهَمْجِيَّةِ
يَسْتَهْزِئُونَ وَيُقَهِّقُهُونَ وَيَعْمِزُونَ بِالْحَوَاجِبِ وَالْعِيُونَ وَيُخْرِجُونَ أَسْنَتَهُمْ
سُخْرِيَّةً وَاسْتِهْزَاءً بِهِمْ وَيَضْحَكُونَ مِنْ عُقُولِهِمْ لَمَّا رَاجَتْ الرِّذِيلَةُ هَذَا الرَّوَّاجُ
وَمَا دَرَى هَوْلَاءِ أَنَّهُمْ فِي غَايَةِ مِنَ السُّقُوطِ وَالْهَمْجِيَّةِ لِفَسَادِ عُقُولِهِمْ وَبُعْدِهِمْ
عَنْ مَعْرِفَةِ أَوْامِرِ دِينِهِمْ .

وَنَاهِيكَ لَوْ قَامَ كُلُّ مِنَّا بِمَا عَلَيْهِ مِنَ الدَّعْوَةِ لِلْإِسْلَامِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَارْتِشَادِ النَّاسِ وَعِظَتِهِمْ وَتَذَكِيرِهِمْ بِمَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ
وَاسْتِقَامَتُهُمْ لَاسْتَقَرَّ الْخَيْرُ وَالْمَعْرُوفُ فِينَا وَامْتَنَعَ فُشُو الشَّرِّ وَالْمُنْكَرِ بَيْنَنَا .
أهـ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ .

قال بعضهم :

قُمْ يَا مُحَمَّدُ وَاسْتَمِعْ لِي يَا عُمَرُ
وَغَدَا بَنُو الْإِسْلَامِ فِي زَيْغٍ فَمَا
تَرَكُوا هُدَى الدِّينِ الْحَنِيفِ الْمُعْتَبَرِ
وَنَسُوا أَصُولَ الدِّينِ مِنْ دَهْشٍ وَقَدْ
وَالدِّينُ يَدْعُوهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ
حَتَّى تَشْتَّتْ شَمْلُهُ وَاصْدَعَتْ
فَالِي مَتَى هَذَا السُّكُوتُ وَقَدْ دَنَا
عَارٌّ وَأَيْمُ اللَّهِ أَنْ نَلْهُو وَقَدْ
فَكَفَّاكُمْ زَيْغاً وَهَجْراً فَاْمُدُّوا
وَذَرُوا جَدَالَ الْمَلْحِدِينَ فَإِنَّهُمْ

وَاسْتَيْقِظَا فَالِدِينُ يَدْعُو لِلنَّصْرِ
يَسْعُونَ إِلَّا لِلْمَلَاهِي وَالْبَطْرِ
وَاسْتَبَدُّوا الْعَيْنَ الصَّحِيحَةَ بِالْعَوْرِ
أَضْحَى نَصِيرُ الشَّرِّعِ فِيهِمْ مُحْتَقَرٌ
وَقُلُوبُهُمْ ضَلَّتْ وَقَدْ عَمِيَ الْبَصَرُ
أَرْكَأَهُ وَأَسَاءَ مَثْوَاهُ الضَّرُّ
وَقَتُّ الْجِهَادِ وَمَا لَنَا عَنْهُ مَقَرٌ
كَادَتْ مَعَالِمُ دِينِنَا أَنْ تَنْدَثِرُ
أَيْدِي الْخِلَاصِ وَيَأْتِدُوا الدِّينَ الْأَغْرُ
فَقَدُّوا الرِّشَادَ وَكَانَ مَاوَاهُمْ سَقَرٌ

وَتَكَاتَفُوا فِي السَّعْيِ حَوْلَ نَجَاتِهِ لَا يَثْنِ هِمَّتَكُمْ حُمُولٌ أَوْ ضَجْرٌ
فَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبَادِ إِذَا هُمُوا نَصَرُوا الْحَنِيفَ وَحَصَّنُوهُ مِنَ الْغَيْرِ

اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِلزُّومِ الطَّرِيقِ الَّذِي يُقَرِّبُنَا إِلَيْكَ وَهَبْ لَنَا نُورًا نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ
وَيَسِّرْ لَنَا مَا يَسِّرْتَهُ لِأَهْلِ مَحَبَّتِكَ وَأَيِّقِظْنَا مِنْ غَفْلَاتِنَا وَالْهَمْنَا رُشْدَنَا وَاسْتُرْنَا فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَةِ عِبَادِكَ الْمُتَّقِينَ وَالْحَقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فُضِّلَ »

وقال الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد رحمه الله .. وبعد: فلا يخفى ما
أصيبَ به الإسلامُ والمسلمون من الشُرُورِ والفتنِ والدواهيِ والحنِ .. وأن
الإسلامَ قد أدبرَ واذنَ بالوداعِ . والنفاقَ قد أشرفَ وأقبلَ بإطلاعِ .. والإسلامَ
بدأ يَرْتَجُلُ مِنْ عَقْرِ دَارِهِ لِتَقْصِيرِ أَهْلِهِ إِذْ لَمْ يَشْرَحُوا لِلنَّاسِ مَحَاسِنَهُ وَفَضَائِلَهُ
وَحِكْمَهُ وَأَسْرَارَهُ . ولم يَقُومُوا بِالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ بِعَرْسِ مَحَبَّتِهِ فِي الْقُلُوبِ .. بِذِكْرِ مَا
تَقْدُمُ فَإِنَّ آيَاتِ الْقُرْآنِ الدَّالَّةَ عَلَى الدَّعْوَةِ أَكْثَرَ مِنْ آيَاتِ الصُّومِ وَالْحَجِّ الَّذِينَ
هُمَا رُكْنَانِ مِنَ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ الْخَمْسَةِ .

والاجتماع المأمور به في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾
تهدمت مَبَانِيهِ وَالْإِتِّتْلَافُ وَالتَّعَاوُنُ ذَهَبَ وَذَهَبَتْ مَعَانِيهِ .. فلا حول ولا قوة إلا
باللَّهِ .

نرى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو ركن من أركان الإسلام في
قول طائفة من العلماء ضعف جانبه وكثر في الناس مجانبه وتنوعت مقاصد
الخلق وتباينت آرائهم .

فالمنكر للمنكر في هذه الأزمنة .. يقول الناس فيه ما أكثر فضوله وما أسفه

رأيه وربما غمزوه بنقص في عقله .. ومن سكت وأخلد قيل ما أحسن عقله وما أقوى رأيه في معاشرته للناس ومخالطته لهم .

والله قد جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقاً بين المؤمنين والمنافقين .. فأخص أوصاف المؤمنين المميّزة لهم من غيرهم هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورأس الأمر بالمعروف الدعوة إلى الإسلام وإرشاد الناس إلى ما خلقوا له وتبصيرهم بما دل عليه كتاب ربهم وسنة نبيهم وتحذيرهم من مخالفة ذلك .

قال الإمام الغزالي في قوله تعالى : ﴿المؤمنون بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ . وصف الله المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر والذي هجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خارج عن هؤلاء المؤمنين .. إنتهى .

وفي قوله تعالى : ﴿فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء﴾ ما يدل على أن الناجي هو الذي ينهى عن السوء دون الواقع فيه والمداهن عليه . والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الأساس الأعظم للدين . والمهم الذي بعث الله لأجله النبيين ولو أهمل لاضمحلت الديانة وفشت الضلالة وعم الفساد وهلك العباد .

إن في النهي عن المنكر حفاظ الدين وسياج الأداب والكمالات . فإذا أهمل أو تسوّهل فيه تجرأ الفساق على إظهار الفسوق والفجور بلا مبالاة ولا حجل .. ومتى صار العامة يرون المنكرات بأعينهم ويسمعونها بأذانهم زالت وحشتها وقبحها من نفوسهم ثم يتجرأ الكثيرون أو الأكثر على ارتكابها . ولكن يا للأسف استولت على القلوب مدهانة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق حيث اندرس من هذا الباب عمله وعلمه وانمحي معظمه ورسمه واسترسل الناس في اتباع الأهواء والشهوات .

ولاشك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حفظ للشريعة وحماية لاحكامها تدل عليه بعد إجماع الأمة وإرشاد العقول السليمة إليه . الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مثل قوله تعالى : ﴿ ليسوا سواءً من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون * يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين ﴾ فدلّت الآية الكريمة على عدم صلاحهم بمجرد الإيمان بالله واليوم الآخر حيث لم يشهد لهم بذلك إلا بعد أن أضاف إليها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وقد ذم سبحانه وتعالى من لم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقال تعالى : ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ وهذا غاية التشديد ونهاية التهديد . فبين سبحانه وتعالى أن السبب للعنهم هو ترك التناهي عن المنكر . وبين أن ذلك بعس الفعل .

ولاشك أن من رأى أخاه على منكر ولم ينه عنه فقد أعانه عليه بالتخلية بينه وبين ذلك المنكر وهو عدم الجرد في أبعاد أخيه عن ارتكابه .

قال ابن عباس رضي الله عنه : لعنوا في كل لسان على عهد موسى في التوراة ولعنوا على عهد داود في الزبور . ولعنوا على عهد عيسى في الإنجيل . ولعنوا على عهد نبيكم محمد ﷺ في القرآن .

﴿ لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الآثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون ﴾ .

قال القرطبي : وبخ سبحانه وتعالى علماءهم في تركهم نهيم فقال : ﴿ لبئس ما كانوا يصنعون ﴾ كما وبخ من سارع في الإثم بقوله : ﴿ لبئس ما كانوا يعملون ﴾ قال ودلت الآية على أن تارك النهي عن المنكر كمرتكب المنكر أه .. فإن الأمة في عهد استقامتها وتمسكها بالسنن لا تطيق أن ترى بين أظهرها

عاصياً ولا معصية فإذا رأت شيئاً من ذلك ثارت ثورة الأسد ولم تهدأ إلا إذا أذقت المحرم ما يليق به وما يستحق على قدر جرمته تفعل ذلك غيرة على دينها وطلباً لمرضاة ربها. والمجرمون إذا رأوا ذلك كفوا عن إجرامهم وبالغوا في التستر إذا أرادوا تلوّث أنفسهم بما يرتكبون. فإذا لم تسقمهم الأئمة ولم تراع سنن دينها ضعفت غيرها أو إنعدمت كلياً في نفوسها إذ لو شاهدت ما شاهدت من المعاصي.. إما أن يتحرك بعض أفرادها حركة ضعيفة لا يخاف معها العاصي ولا ينزجر عن معصيته. وأما أن يتفق الجميع على الإغماض عن ذلك العاصي فيفعل ما يشاء بدون خوف ولا خجل إذاً يرفع ذووا الإجرام رؤوسهم غير هيايين ولا خجلين من أحد.

ولقد وصلنا إلى حد ماتت فيه الغيرة الدينية عند كل أحد ممّن يرجى ويظن أنهم حماة الإسلام وأبطال الدين مما جعل العصاة يرحون في ميادين شهواتهم ويفتخرون بعصيانهم بدون حسيب ولا رقيب. ولو شئت لقلت ولا أخشى لائماً نحن في زمن علا فيه وإعتز أرباب الرذائل. وأصبحت الدولة لهم. وأهل الفضيلة المتمسكون بأهداب دينهم عندما ينكرون على المجرمين إجرامهم يكونون كالمضغة في الأفواه البذيئة ترميهم بكل نقيصة وأقل ما يقولون أنهم متأخرون جامدون في بقايا قرون الهمجية يتسمون ويقهقهون ويغمزون بالحواجب والعيون ويخرجون ألسنتهم سخرية وإستهزاء بهم ويضحكون من عقولهم. لما راجت الرذيلة في هذا العصر هذا الرواج.

وما درى هؤلاء المرذولون أنهم في غاية من السقوط والهمجية التي ليست دونها همجية لفساد عقولهم وبعدهم عن معرفة أوامر دينهم.

وناهيك لو قام كل منا بما عليه من الدعوة إلى الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإرشاد الناس وعظمتهم وتذكيرهم بما فيه صلاحهم واستقامتهم

لاستقر الخير والمعروف فينا وامتنع فشو السر والمنكر بيننا: ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ .

وقد صرح العلماء رحمة الله عليهم بأنه يجب على الإمام أن يولي هذا المنصب الجليل والأمر الهام الذي هو في الحقيقة مقام الرسل . محتسباً يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.. ويكون ذا رأي وصرامة، وقوة في الدين، وعلم بالمنكرات الظاهرة. كما قال تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ .

فدلت الآية الكريمة على أنه يجب على المسلمين أن تقوم منهم طائفة بوظيفة الدعوة إلى الخير وتوجيه الناس وعظمتهم وتذكيرهم إلى ما فيه صلاحهم واستقامة دينهم وأن يكونوا على المنهج القويم. والصراط المستقيم. والمخاطب بهذا كافة المسلمين فهم المكلفون لاسيما الإمام الأعظم وأن يختاروا طائفة منهم تقوم بهذه الفريضة الهامة التي هي أحد أركان الإسلام في قول طائفة من العلماء.

قفا نبك على رسوم علوم الدين والإسلام الذي بدأ يرتحل من بلاده. ولكن يا للأسف على منام القلوب وقيام الألسنة بالتقول والتأويل على الإسلام بما لا حقيقة له.

لقد انطمس المعنى وذهب اللب وما بقى إلا قشور ورسوم واكتفى الكثيرون من الإسلام بمجرد الإلتساب إليه بدون أن يعملوا به ويقوموا بالدعوة إليه تحذيراً وإنذاراً وأمراً ونهياً وتبصيراً للناس بدينهم بذكر فضله وعظمته وإيضاح أسراره وحكمه وغرس العقيدة الحقّة في قلوبهم. فهذا واجب المسلمين بعضهم لبعض كل على قدر استطاعته ومقدرته.

هذا وأسأل الله أن يوفق المسلمين وولاة أمورهم لما فيه صلاحهم وصلاح

دينهم وأن يجمع كلمتهم على الحق إنه ولي ذلك والقادر عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل. وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً إلى يوم الدين.

«فصل»

وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ، وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ تَخَلَّفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةٌ خَرْدَلٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُوهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صَبْرَةَ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعَهُ بِلَالًا فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» فَقَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ مَنْ عَشْنَا فَلَيْسَ مِنَّا.

فَهَذَا نَهْيٌ مِنْهُ ﷺ عَنِ الْمُنْكَرِ، هُوَ غِشُّ النَّاسِ فِي طَعَامِهِمْ وَأَجْمَعَتْ الْأُمَّةُ عَلَى وَجُوبِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي الْمَسْنَدِ أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ أَخَّرَ الصَّلَاةَ مَرَّةً فَقَامَ

عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَتَوَّابَ بِالصَّلَاةِ فَصَلَّى بِالنَّاسِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ أَجَاءَكَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرٌ فِيمَا فَعَلْتَ أَمْ ابْتَدَعْتَ قَالَ لَمْ يَأْتِنِي أَمْرٌ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ ابْتَدَعْ وَلَكِنْ أُنْبِئَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ عَلَيْنَا أَنْ نَنْتَظِرَكَ بِصَلَاتِنَا وَأَنْتَ فِي حَاجَتِكَ .

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَا بُدَّ مِنَ الْعِلْمِ بِالْمَعْرُوفِ وَالْمُنْكَرِ وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَهُمَا . الثَّانِي أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْعِلْمِ بِحَالِ الْمَأْمُورِ وَالتَّنْهِي ، وَمِنْ الصَّلَاحِ أَنْ يَأْتِيَ بِالْأَمْرِ وَالتَّنْهِي بِالصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَهُوَ أَقْرَبُ الطَّرِيقِ إِلَى حُصُولِ الْمَقْصُودِ وَلَا بُدَّ مِنَ الرَّفْقِ وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ حَلِيمًا صَبُورًا عَلَى الْأَذَى فَإِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ أَدَى فَإِنْ لَمْ يَحْلَمْ وَيَصْبِرْ كَانَ مَا يُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ فَلَا بُدَّ مِنَ الْعِلْمِ وَالتَّرْفُقِ وَالتَّصَبُّرِ ، وَالتَّوَقُّفِ قَبْلَ الْأَمْرِ وَالتَّنْهِي وَالتَّرْفُقِ مَعَهُ وَالتَّصَبُّرِ بَعْدَهُ .

وَقَالَ سُفْيَانُ لَا يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا مَنْ كَانَ فِيهِ خِصَالٌ ثَلَاثٌ: رَفِيقٌ بِمَا يَأْمُرُ رَفِيقٌ بِمَا يَنْهَى ، عَدْلٌ بِمَا يَأْمُرُ عَدْلٌ بِمَا يَنْهَى ، عَالِمٌ بِمَا يَأْمُرُ عَالِمٌ بِمَا يَنْهَى .

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَمْضِيَ لِمَا تُرِيدُ مِنَ الْعَدْلِ فَوَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَبَالِي لَوْ غَلَّتْ بِي وَبَكَ الْقَدُورُ فِي ذَلِكَ قَالَ يَا بَنِيَّ إِنِّي إِنَّمَا أُرْوِضُ النَّاسَ رِيَاضَةَ الصَّعْبِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَجِيءَ الْأَمْرَ مِنَ الْعَدْلِ فَأُؤْخِرُ ذَلِكَ حَتَّى أُخْرِجَ مَعَهُ طَمَعًا مِنْ طَمَعِ الدُّنْيَا فَيَنْفِرُوا مِنْ هَذَا وَيَسْكُنُوا لِهَذِهِ .

وَيُشْتَرَطُ فِي وُجُوبِ الْإِنْكَارِ أَنْ يَأْمَنَ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ ، فَإِنْ خَافَ السَّبَّ أَوْ سَمَاعَ الْكَلَامِ السَّيِّئِ لَمْ يَسْقُطْ عَنْهُ وَالْحَزْمُ أَنْ لَا يُبَالِي لِمَا وَرَدَ «أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةٌ حَقٌّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ» وَقَوْلُهُ: «لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ هَيْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِحَقِّي إِذَا عَلِمَهُ» .

وقال ابن القيم رحمه الله: انكار المنكر له أربع درجات:

(الأولى): أن يزول ويخلفه ضده.

(الثانية): أن يقل وإن لم يزول من جملته.

(الثالثة): أن يخلفه ما هو مثله.

(الرابعة): أن يخلفه ما هو شر منه.

فالدرجتان الأولىان مشرّوعتان، والثالثة موضع اجتهاد والرابعة محرّمة،
وليحذر الأمر والنهي من أن يخالف قوله أو أن يأمر بما لا يأمر به.

شِعْرًا: رَأَيْتَكَ تَنْهَى وَلَا تَنْتَهِي وَتَسْمِعُ وَعَظًا وَلَا تَسْمَعُ
فِيَا حَجَرَ الشَّحْدِ حَتَّى مَتَى تَسُنُّ الْحَدِيدَ وَلَا تَقْطَعُ

فَقَدْ وَرَدَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلَى قَوْمٍ تُفْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ: قَالَ قُلْتُ
مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ حُطَبَاءُ أُمَّتِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا مِمَّنْ كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ
وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ». وَحَتَّى لَا يَتَعَرَّضَ لِسُحْرِيَّةِ
النَّاسِ بِهِ وَاسْتَهْزَائِهِمْ بِهِ وَحَتَّى تَكُونَ دَعْوَتُهُ مَقْبُولَةً.

شِعْرًا: يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلَّمُ غَيْرَهُ هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ
تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السَّقَامِ مِنَ الضَّنَى كَيْمَا يَصِحُّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمٌ
إِبْدَأْ بِنَفْسِكَ فَإِنَّهَا عَنْ غِيهَا فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
فَهَنَّاكَ يُقْبَلُ مَا تَقُولُ وَيُقْتَدَى بِالرَّأْيِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ
آخِر: فَرَاكَ مِنَ الْأَيَّامِ نَابٌ وَمِحْلَبٌ وَخَائِكَ لَوْنُ الرَّأْسِ وَالرَّأْسُ أَشْيَبُ
فَحَتَّامٌ لَا تَنْفِكُ جَامِحَ هِمَّةٍ بَعِيدَ مَرَامِي النَّفْسِ وَالْمَوْتُ أَقْرَبُ
نُسْرٌ بَعِيشٍ أَنْتَ فِيهِ مُنْعَصِرٌ وَتَسْتَعْدِبُ الدُّنْيَا وَأَنْتَ مُعَذَّبٌ
تُعَذِّدُكَ وَالْأَوْقَاتُ جِسْمَكَ تَعْتَدِي وَتَسْقِيكَ وَالسَّاعَاتُ رُوحَكَ تَشْرَبُ
وَتَعْجَبُ مِنْ آفَاتِهَا مُتَلَفِّتًا إِلَيْهَا، لَعَمْرُ اللَّهِ فَعَلَّكَ أَعْجَبُ

وَتَحْسِبُهَا بِالْبِشْرِ تُبْطِنُ خُلَّةً فَيَظْهَرُ مِنْهَا غَيْرُ مَا تَتَحَسَّبُ
 إِذَا رَضِيَتْ أَعْمَتَكَ عَنْ طُرُقِ الْهُدَى فَمَا ظَنَّ ذِي لُبٍ بِهَا حِينَ تَغْضَبُ
 وَفِي سَلْبِهَا ثَوْبُ الشَّبَابِ دَلَالَةٌ عَلَيَّ أَنَّهَا تُعْطِي خِدَاعًا وَتَسْلُبُ
 أَرْضَى بِأَنَّ يَنْهَكَ شَيْئَكَ وَالْحِجَا وَأَنْتَ مَعَ الْأَيَّامِ تَلْهُوُ وَتَلْعَبُ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

«فَصْلٌ»

قال شيخ الإسلام رحمه الله: مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَلْبِهِ بُغْضٌ مَا يُبْغِضُهُ اللَّهُ
 وَرَسُولُهُ مِنَ الْمُنْكَرِ الَّذِي حَرَّمَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ، لَمْ يَكُنْ فِي قَلْبِهِ
 الْإِيمَانُ الَّذِي أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ مُبْغِضًا لَشَيْءٍ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ أَصْلًا
 لَمْ يَكُنْ مَعَهُ إِيْمَانٌ أَصْلًا .

وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَأْتِي مِنْ ذَلِكَ بِمَا يَسْتَطِيعُ وَلَا يُقْصِرُ فِي نُصْرَةِ دِينِ
 اللَّهِ وَلَا يَعْتَذِرُ فِي إِسْقَاطِ ذَلِكَ بِالْأَعْذَارِ الَّتِي لَا تَصِحُّ وَلَا يَسْقُطُ بِهَا مَا أَوْجَبَ اللَّهُ
 عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، وَعَلَيْهِ بِالْأَخْذِ بِالرَّفِقِ وَاللُّطْفِ وَإِظْهَارِ الشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ فَإِنَّ
 ذَلِكَ عَلَيْهِ مَدَارٌ كَبِيرٌ عِنْدَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ .

قال الله تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهِمْ
 بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وَمِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ يَدْعُوَ كُلَّ أَحَدٍ عَلَى حَسَبِ حَالِهِ وَفَهْمِهِ
 وَقَبُولِهِ وَانْقِيَادِهِ .

وَمِنَ الْحِكْمَةِ الدَّعْوَةُ بِالْعِلْمِ وَالْبِدْأَةُ بِالْأَهَمِّ، وَبِالْأَقْرَبِ إِلَى الْأَذْهَانِ
 وَالْفَهْمِ وَبِمَا يَكُونُ قَبُولُهُ أَتَمًّا، وَالرَّفِقُ وَاللِّينُ، فَإِنَّ انْقِيَادَ بِالْحِكْمَةِ وَإِلَّا فَيَنْتَقِلُ
 مَعَهُ إِلَى الدَّعْوَةِ بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَهُوَ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ الْمَقْرُونُ بِالترغيبِ
 وَالترهيبِ .

وَلِيَحْذَرَ مِنَ الْمُدَاهَنَةِ فِي الدِّينِ، وَمَعْنَاهُ أَنْ يَسْكُتَ الْإِنْسَانُ عَنِ الْأَمْرِ

بالمَعْرُوفِ والتَّهْيِ عن المنكِرِ وعن قولِ الحقِّ وكلمةِ العدلِ : طَمَعاً في الناسِ وتوقُّعاً لِمَا يَحْصُلُ منهم مِن جَاهٍ أو مَالٍ أو حُظُوظِ الدُّنْيَا .

وقال أَبُو عَبْدِ اللَّهِ لِعُمَرَ بْنِ صَالِحٍ يَا أَبَا حَفْصٍ يَا تِيَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ الْمُؤْمِنُ فِيهِ بَيْنَهُمْ مِثْلُ الْجَيْفَةِ وَيَكُونُ الْمُنَافِقُ يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ فَقُلْتُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَكَيْفَ يُشَارُ إِلَى الْمُنَافِقِ بِالْأَصَابِعِ فَقَالَ يَا أَبَا حَفْصٍ صَبِرُوا أَمْرَ اللَّهِ فَضُولاً .

وَقَالَ الْمُؤْمِنُ إِذَا رَأَى أَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ أَوْ نَهْيًا عَنِ الْمُنْكَرِ لَمْ يَصْبِرْ حَتَّى يَأْمُرَ وَيَنْهَى قَالُوا يَعْنِي هَذَا فَضُولٌ قَالَ وَالْمُنَافِقُ كُلُّ شَيْءٍ يَرَاهُ قَالَ بِيَدِهِ عَلَى فَمِهِ : « أَيَّ صَمْتٍ فَلَمْ يَنْهَ وَلَمْ يَأْمُرْ » فَقَالُوا : « نَعَمْ الرَّجُلُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفُضُولِ عَمَلٌ » .

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ الْجَارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَعَلَّقُ بِجَارِهِ وَيَقُولُ ظَلَمَنِي فَيُرَدُّ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ مَا ظَلَمَهُ وَلَا خَانَهُ فِي أَهْلِ وَلَا مَالٍ فَيَقُولُ الْجَارُ صَدَقَ إِنَّهُ لَمْ يَخْنِي فِي أَهْلِ وَلَا مَالٍ وَلَكِنَّهُ وَجَدَنِي أَغْصِي اللَّهُ فَلَمْ يَنْهَنِي هَذَا الْأَثَرُ بِالْمَعْنَى وَرُوِيَ حَدِيثٌ آخَرَ وَيُلُّ لِلْعَالِمِ مِنَ الْجَاهِلِ حَيْثُ لَا يَعْلَمُهُ .

شِعْرًا : وَقَعْنَا فِي الْخَطَايَا وَالْبَلَايَا
تَفَانَى الْخَيْرِ وَالصُّلَحَاءِ ذُلُّوا
وَبَاءَ الْأَمْرُونَ بِكُلِّ عَرَفٍ
فَصَارَ الْحُرُّ لِلْمَمْلُوكِ عَبْدًا
فَهَذَا شُعْلُهُ طَمَعٌ وَجَمْعٌ
آخِرُ : إِذَا بِالْمَعْرُوفِ لَمْ أَثْنِ صَادِقًا
فَقِيمٌ عَرَفْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ بِاسْمِهِ
وَفِي زَمَنِ انْتِقَاصِي وَاشْتِبَاهِ
وَعَزَّ بِذُلِّهِمْ أَهْلُ السَّفَاهِ
فَمَا عَنِ مُنْكَرٍ فِي النَّاسِ نَاهٍ
فَمَا لِلْحُرِّ مِنْ قَدْرِ وَجَاهٍ
وَهَذَا غَافِلٌ سَكْرَانٌ لَاهٍ
وَلَمْ أَذُمَّ الْجُبْنَ اللَّئِيمَ الْمُدْمَمًا
وَشَقَّ لِي اللَّهُ الْمَسَامِعَ وَالْفَمَا
وَلَمْ أَذُمَّ الْجُبْنَ اللَّئِيمَ الْمُدْمَمًا
وَشَقَّ لِي اللَّهُ الْمَسَامِعَ وَالْفَمَا

آخر: أَرَى الْإِحْسَانَ عِنْدَ الْحَرِّ حَمْدًا
كَقَطْرِ صَارَ فِي الْأَصْدَافِ دُرًّا
آخر: إِذَا سَبَّيْتُ نَذْلَ تَزَايَدْتُ رِفْعَةً
وَلَوْ لَمْ تَكُنْ نَفْسِي عَلَيَّ عَزِيزَةً
آخر: مَتَى تَضَعِ الْكِرَامَةَ فِي لَيْمٍ
آخر: لَا تَلْطَفَنَّ بِيذِي لَوْمَ فَتَطْغِيهِ
إِنَّ الْحَدِيدَ ثَلَيْنُ النَّارِ قَسْوَتُهُ
وعِنْدَ النَّذْلِ مَنْقَصَةٌ وَذَمًّا
وَفِي تَابِ الْأَفَاعِي صَارَ سُمًّا
وَمَا الْعَيْبُ إِلَّا أَنْ أَكُونَ مُسَابِهُ
لَمَكَّنْتَهَا مِنْ كُلِّ نَذْلٍ تُجَاوِبُهُ
فإِنَّكَ قَدْ أُسِّتَ إِلَى الْكِرَامَةِ
أَغْلَظُهُ يَأْتِيكَ مِطْوَعًا وَمِذْعَانًا
وَلَوْ صَبَبَتْ عَلَيْهِ الْبَحْرَ مَا لَانَا

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

«فصل»: عن عبادة بن الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ بَايَعَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالْمَنْشِطِ وَالْمَكْرَهِ وَعَلَى أَثَرَةِ عَلَيْنَا وَعَلَى أَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ بُرْهَانٌ وَعَلَى أَنْ تَقُولَ بِالْحَقِّ أَيُّمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ إِذَا رَأَيْتَ أُمَّتِي تَهَابُ الظَّالِمَ أَنْ تَقُولَ لَهُ: إِنَّكَ ظَالِمٌ فَقَدْ تَوَدَّعَ مِنْهُمْ وَلَقَدْ كَانَ سَلْفُنَا الصَّالِحُ الْكِرَامُ لَهُمْ مَوَاقِفُ عَظِيمَةٌ شَرِيفَةٌ وَنَوَادِرُ طَرِيفَةٌ وَقِصَصٌ غَرِيبَةٌ وَحِكَايَاتُ عَجِيبَةٌ دَالَّةٌ عَلَى صِدْقِ إِيمَانِهِمْ وَقُوَّةِ يَقِينِهِمْ وَشِدَّةِ وَرَعِهِمْ فَكَانُوا لَا يَخْشَوْنَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ أَوْ كَلِمَةَ مُدَاهِنٍ أَوْ فِرْيَةَ مُفْتَرٍ أَوْ قُوَّةَ ظَالِمٍ بَلْ يُجَاهِرُونَ بِالْحَقِّ بِكُلِّ صِرَاحَةٍ وَيَنْطِقُوا بِالصِّدْقِ وَإِنْ غَضِبَ الْخَلْقُ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ فِي أَشَدِّ الْمَوَاقِفِ وَأَخْرَجَهَا.

وَإِلَيْكَ مَا كَانَ مِنْ مَوْقِفِ الصَّحَابِيِّ الْجَرِيءِ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَعَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ أَمِيرٍ مِنْ قَبْلِ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ فَمِنَ السَّنَةِ

المأثورة والطريقة المعروفة من فعله ﷺ إذا خَرَجَ يَوْمَ الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى إِلَى الْمُصَلَّى فَأَوَّلُ شَيْءٍ يَبْدَأُ بِهِ الصَّلَاةَ .

ثُمَّ يَنْصَرِفُ فَيَقُومُ مُقَابِلَ النَّاسِ وَالنَّاسُ جُلُوسٌ عَلَى صُفُوفِهِمْ فَيَعْظُمُهُمْ وَيُوصِيهِمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَيَأْمُرُهُمْ بِحَلَالِ اللَّهِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ حَرَامِهِ ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ فَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى خَرَجْتُ مَعَ مَرْوَانَ وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ فِي عِيدِ الْأَضْحَى أَوْ الْفِطْرِ فَلَمَّا أَتَيْنَا الْمُصَلَّى إِذَا مِنْبَرٌ بِنَاهُ كَثِيرٌ بِنُ الصَّلَاتِ التَّابِعِي الْكَبِيرِ وَالْمَوْلُودِ فِي الزَّمَنِ النَّبَوِيِّ .

فَإِذَا مَرَّوَانُ يُرِيدُ أَنْ يَرْتَقِيَهُ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ وَفِيهِ مُخَالَفَةٌ لِلسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ وَالْعَمَلِ الْمَأْثُورِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَجَذَبْتُ بِتَوْبِهِ لِيَبْدَأَ بِالصَّلَاةِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ فَجَذَبَنِي فَارْتَفَعَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَخَطَبَ قَبْلَ الصَّلَاةِ .

فَقُلْتُ لَهُ وَإِلْصَاحِيهِ غَيْرْتُمْ وَاللَّهِ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخَلْفَائِهِ مِنْ بَعْدِهِ فَأَنْتُمْ كَأَنْتُمْ يُقَدِّمُونَ الصَّلَاةَ عَلَى الْخُطْبَةِ فِي الْعِيدَيْنِ فَقَالَ مَرْوَانُ يَا أَبَا سَعِيدٍ قَدْ ذَهَبَ مَا تَعْلَمُ مِنْ تَقْدِيمِ الصَّلَاةِ عَلَى الْخُطْبَةِ فِي الْعِيدَيْنِ فَقُلْتُ مَا أَعْلَمُ وَاللَّهِ خَيْرٌ مِمَّا لَا أَعْلَمُ .

لِأَنَّ الَّذِي أَعْلَمُ طَرِيقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي أَمَرْنَا بِاتِّبَاعِهِ وَالتَّأْسِي بِهِ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ فَقَالَ مَرْوَانُ مُعْتَذِرًا عَنْ تَرْكِ السُّنَّةِ : « إِنْ النَّاسَ لَمْ يَكُونُوا يَجْلِسُونَ لَنَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَجَعَلْتُهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ » . فَتَأَمَّلْ هَذَا الْمَوْقِفَ الْمَشْرُفَ الَّذِي وَقَفَهُ أَبُو سَعِيدٍ الْخَدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَيْفَ جَذَبَ مَرْوَانَ بِتَوْبِهِ وَقَالَ لَهُ غَيْرْتُمْ وَاللَّهِ وَلَمْ يَخْفِ صَوْلَةَ الْإِمَارَةِ وَجَاهَ الْحُكْمِ وَجَاهَرَ بِالْحَقِّ وَأَنْكَرَ الْبِدْعَةَ وَأَمَرَ بِالسُّنَّةِ عَلَى رُؤْسِ الْأَشْهَادِ مِنَ النَّاسِ فَحَفِظَهُ اللَّهُ وَنَصَرَهُ وَأَيَّدَهُ وَأَعَزَّهُ وَصَدَّقَ اللَّهُ حَيْثُ قَالَ : ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾ ، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ ﴾ .

وَرُوِيَ أَنَّ ضَبَّةَ بِنِ مِحْصَنِ الْعَنْزِي قَالَ كَانَ عَلَيْنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِي أَمِيرًا بِالْبَصْرَةِ فَكَانَ إِذَا خَطَبَنَا حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَنْشَأَ يَدْعُو لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ فَعَاظَنِي ذَلِكَ فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ أَيْنَ أَنْتَ مِنْ صَاحِبِهِ تُفَضِّلُهُ عَلَيْهِ فَصَنَعَ ذَلِكَ جُمَعًا.

ثُمَّ كَتَبَ إِلَى عُمَرَ يَشْكُونِي يَقُولُ إِنَّ ضَبَّةَ بِنِ مِحْصَنِ الْعَنْزِي يَتَعَرَّضُ لِي فِي خُطْبَتِي فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: أَنْ أَشْخِصَهُ إِلَيَّ فَأَشْخِصَنِي إِلَيْهِ فَقَدِمْتُ فَضَرَبْتُ عَلَيْهِ الْبَابَ، فَقَالَ مَنْ أَنْتَ فَقُلْتُ أَنَا ضَبَّةُ فَقَالَ لَا مَرْحَبًا وَلَا أَهْلًا قُلْتُ أَمَّا الْمَرْحَبُ فَمِنَ اللَّهِ، وَأَمَّا الْأَهْلُ فَلَا أَهْلَ لِي، وَلَا مَالَ فِيمَا اسْتَحَلَلْتَ يَا عُمَرُ إِشْخَاصِي مِنْ مِصْرِي بِلَا ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ، وَلَا شَيْءٍ أَتَيْتُهُ، فَقَالَ مَا الَّذِي شَجَرَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَامِلِي، قَالَ قُلْتُ الْآنَ أُخِيرُكَ بِهِ، إِنَّهُ كَانَ إِذَا خَطَبَنَا حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَدْعُو لَكَ فَعَاظَنِي ذَلِكَ مِنْهُ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ أَيْنَ أَنْتَ مِنْ صَاحِبِهِ، تُفَضِّلُهُ عَلَيْهِ، فَصَنَعَ ذَلِكَ جُمَعًا.

ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْكَ يَشْكُونِي، قَالَ فَاذْفَعْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَاكِيًا، وَهُوَ يَقُولُ أَنْتَ وَاللَّهِ أَوْفَقُ مِنْهُ وَأَرْشَدُ فَهَلْ أَنْتَ غَافِرٌ لِي ذَنْبِي يَعْفِرَ اللَّهُ لَكَ.

قَالَ فَقُلْتُ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ قَالَ ثُمَّ اذْفَعْ بَاكِيًا، وَهُوَ يَقُولُ وَاللَّهِ لِلَّيْلَةِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ، وَيَوْمٍ خَيْرٌ مِنْ عُمَرَ وَآلِ عُمَرَ، وَبَعَثَ الْحَجَّاجُ الظَّالِمَ الْمَشْهُورُ إِلَى الْحَسَنِ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ فَتَلَوْا عِبَادَ اللَّهِ عَلَى الدِّرْهَمِ وَالدِّينَارِ. قَالَ نَعَمْ قَالَ مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا قَالَ مَا أَحْزَنَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ مِنَ الْمَوَائِقِ ﴿لَيُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ﴾ قَالَ يَا حَسَنُ أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَإِيَّاكَ أَنْ يَلْعَنِي عَنْكَ مَا أَكْرَهَ فَأَفْرَقَ بَيْنَ رَأْسِكَ وَجَسَدِكَ تَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الظُّلْمَةِ وَأَعْوَانِ الظُّلْمَةِ مِنْ أَمْثَالِ الْحَجَّاجِ.

شِعْرًا: الظُّلْمُ نَارٌ فَلَا تَحْقِرْ صَغِيرَتَهُ لَعَلَّ جَذْوَةَ نَارٍ أَحْرَقَتْ بَلَدًا
ثُمَّ تَطَاوَلَ الزَّمَنُ وَمَضَتْ فَتْرَةٌ مِنْهُ فَانْدَرَسَ هَذَا الْوَاجِبُ وَعَفَّتْ أَثَارُهُ

وَامَحَتْ مَعَالِمُهُ وَأَنْطَوَتْ أُخْبَارُهُ وَدَاهَنَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَجُنَّ النَّاسُ عَنِ الْمُسَارِحَةِ لِلْوَلَاتِ فِي الْمُخَالَفَاتِ إِلَّا تَوَادِرُ مَرُورًا خِلَالَ الْقُرُونِ الْأُولَى أَمَّا نَحْنُ فَصَارَتْ شَجَاعَتُنَا وَصَلَابَتُنَا وَإِنْكَارَاتُنَا حَوْلَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا أَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِالدِّينِ فَلَيْسَ عِنْدَنَا مِنَ الْإِنْكَارِ إِلَّا التَّلَاوُمُ فِيمَا بَيْنَنَا إِذَا أَمِنَ بَعْضُنَا مِنْ بَعْضٍ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَلِيمِ الْعَظِيمِ .

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ :

قُلْ لِي مَتَى سَلِمَ الرَّسُولُ وَصَحْبُهُ مِنَ جَاهِلٍ وَمُعَانِدٍ وَمُنَافِقٍ وَتَظُنُّ أَنَّكَ وَاثِرًا لَهُمْ وَمَا كَلَّا وَلَا جَاهَدْتَ حَقَّ جِهَادِهِ مَنَّكَ وَاللَّهِ الْمُحَالَ النَّفْسُ فَاسِدٌ لَوْ كُنْتَ وَارِثَهُ لِأَذَاكَ الْأُولَى

وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ عَلَى الْإِحْسَانِ وَمُحَارِبٍ بِالْبَغْيِ وَالطُّغْيَانِ نِلْتَ الْأَذَى فِي نُصْرَةِ الرَّحْمَنِ فِي اللَّهِ لَا يَبِيدُ وَلَا يَلْسَانِ تَحَدَّثَ سِوَى ذَا الرَّأْيِ وَالْحُسْبَانِ وَرَأُوا عِدَاهُ بِسَائِرِ الْأَلْوَانِ

وَقَدْ قِيلَ: إِنْ الْمُنْكَرَاتِ أَشْبَهَ بِجَرَائِمِ الْأَمْرَاضِ فِي تَنْقِيلِهَا وَانْتِشَارِهَا، وَالتَّأثيرِ بِهَا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِنْ وَجَدْتَ كِفَاحًا يَحْجُرُ عَلَيْهَا فِي مَكَانِهَا حَتَّى يَقْتُلَهَا وَيُبِيدُهَا سَلِمَ مِنْهَا مَوْضِعُهَا، وَسَلِمَ مِنْهَا مَا وَرَاءَهُ، وَإِذَا لَمْ تَجِدْ كِفَاحًا وَتُرِكَتْ وَشَأْنُهَا اتَّسَعَتْ دَائِرَتُهَا، وَتَفَشَّتْ فِي جَمِيعِ الْأَرْجَاءِ وَقَضَّتْ عَلَى عَنَاصِرِ الْحَيَاةِ وَعَرَّضَتْهَا لِلْفَنَاءِ وَالذَّمَارِ .

وَمِنْ هُنَا كَانَ أَثَرُ الْمُنْكَرَاتِ غَيْرِ خَاصٍ بِمُرْتَكِبِيهَا، وَكَانَ السَّاكِنُونَ عَلَيْهَا عَامِلِينَ عَلَى نَشْرِهَا وَإِذَاعَتِهَا، وَبِهَذَا الْمَوْقِفِ السَّلْبِيِّ يَكُونُونَ أَهْلًا لِحُلُولِ الْعِقَابِ بِهِمْ وَإِصَابَتِهِمْ بِمَا يُصَابُ بِهِ الْمَبَاشِرُونَ لَهَا .

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ وَقَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حُمَيْدٍ فِي آخِرِ رِسَالَةٍ لَهُ

تَتَضَمَّنُ الْحَثَّ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ: فَمَا تَبَيَّنَ عَلَى رُسُومِ
عُلُومِ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ الَّذِي بَدَأَ يَرْتَجِلُ مِنْ بِلَادِهِ وَلَكِنْ يَالِأَسْفَ عَلَى مَنْ
الْقُلُوبِ وَقِيَامِ الْأَلْسِنَةِ بِالتَّقْوَلِ وَالتَّأْوِيلِ عَلَى الْإِسْلَامِ بِمَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ.

لَقَدْ انْطَمَسَ الْمَعْنَى وَذَهَبَ اللَّبُّ وَمَا بَقِيَ إِلَّا قَشُورٌ وَرُسُومٌ اِكْتَفَى
الْكَثِيرُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ بِمُجَرَّدِ الْإِنْتِسَابِ إِلَيْهِ بَدُونَ أَنْ يَعْلَمُوا بِهِ وَيَقُومُوا
بِالدُّعْوَةِ إِلَيْهِ تَحْذِيرًا وَإِنْدَارًا وَأَمْرًا وَنَهْيًا وَتَبْصِيرًا لِلنَّاسِ بِدِينِهِمْ بِذِكْرِ فَضْلِهِ
وَعَظَمَتِهِ وَإِبْطَاحِ أَسْرَارِهِ وَحِكْمِهِ وَغَرْسِ الْعَقِيدَةِ الْحَقَّةِ فِي قُلُوبِهِمْ فَهَذَا
وَاجِبٌ الْمُسْلِمِينَ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ كُلُّ عَلَى قَدْرِ اسْتَطَاعَتِهِ وَمَقْدِرَتِهِ أَه.

وَقَوْلُهُ ﷺ فِي حَدِيثِ جَابِرٍ «أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
أَنْ أَقْلِبْ مَدِينَةَ كَذَا وَكَذَا بِأَهْلِهَا، قَالَ يَارَبِّ إِنَّ فِيهِمْ فُلَانًا لَمْ يَعْصِكَ طَرْفَةَ
عَيْنٍ قَالَ: فَقَالَ: أَقْلِبْهَا عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ، فَإِنَّ وَجْهَهُ لَمْ يَتَمَعَّرْ فِي سَاعَةٍ قَطَّ».

وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ كَانَ حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ بَنِي
إِسْرَائِيلَ يَعْشَى مَنزِلَهُ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فَيَعْظُمُهُمْ وَيَذَكِّرُهُمْ بِأَيامِ اللَّهِ فَرَأَى بَعْضَ
بَنِيهِ يَعْجِزُ النِّسَاءَ فِي يَوْمٍ فَقَالَ مَهْلًا يَا بَنِيَّ فَسَقَطَ مِنْ سَرِيرِهِ فَانْقَطَعَ نُحَاغُهُ
وَاسْقَطَتْ أَمْرَأَتُهُ وَقُتِلَ بَنُوهُ.

فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى نَبِيِّهِمْ أَنْ أَخْبِرْ فُلَانًا الْحَبْرَ أَنِّي لَا أُخْرِجُ مِنْ صُلْبِكَ
صِدْقًا أَبَدًا مَا كَانَ غَضْبُكَ إِلَّا أَنْ قُلْتَ مَهْلًا يَا بَنِيَّ.

إِذَا فَهَمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ الْإِنْتِقَامَ إِذَا وَقَعَ لَيْسَ هُوَ أَخْذًا لِلْبَرِيءِ بِجَرِيمَةِ
الْمُذْنِبِ كَمَا يَطُنُّ الْبَعْضُ، وَإِنَّمَا هُوَ أَخْذًا لِلْمُذْنِبِ بِجَرِيمَةِ ذَنْبِهِ، فَالذَّنْبُ
ذَنْبَانِ: ذَنْبٌ يَصْدُرُ عَنْ شَخْصٍ، وَهُوَ الْفِعْلُ نَفْسُهُ، وَذَنْبٌ يَصْدُرُ عَنْ مَنْ
يَعْلَمُ هَذَا الذَّنْبَ، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى مُكَافَحَتِهِ.

ثُمَّ هُوَ يُبْعَدُ نَفْسَهُ عَنْ مُكَافَحَةِ هَذَا الذَّنْبِ طَمَعًا فِي مَالٍ أَوْ مَكَانَةٍ وَبِذَلِكَ
يَكُونُ شَرِيكًا فِي الْعَمَلِ عَلَى نَشْرِهِ.. أَه.

وفي السنن أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حكّم بكفر أهل مسجد بالكوفة قال واحد إنما مسيئمة على حق فيما قال وسكت الباقون فأفتى بكفرهم جميعاً.. أه من الدرر السنية.

قلت لأن الواجب عليهم أن يكذبوه ويقولوا له كذبت بل هو على باطل فالسأكت شريك الفاعل لقدرتي على الإنكار باللسان.

وقال سفيان إذا أمرت بالمعروف شددت ظهر المؤمن وإذا نهيت عن المنكر أرغمت أنف المنافق.

شعرا: لا يدرك المجد إلا مخلص ورغ
وليس تأخذه في الله لائمة
إذا رأى منكراً في بيت إنسان
يراقب الله في سير وإعلان

اللهم اجعلنا من حزبك المفليحين، وعبادك الصالحين الذين أهلتهم لخدمتك وجعلتهم أمرين بالمعروف فاعلين له، وناهين عن المنكر، ومجتنبين له، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

«فصل»

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله، أما بعد فإنه لم يظهر المنكر في قوم قط ثم لم ينههم أهل الصلاح منهم إلا أصابهم الله بعذاب من عنده أو بأيدي من يشاء من عباده، ولا يزال الناس معصومين من العقوبات والنقمة ما قمع أهل الباطل واستخفي فيهم بالمحارم.

فلا يظهر من أحد محرماً إلا انتقموا ممن فعله فإذا ظهرت فيهم المحارم فلم ينههم أهل الصلاح أنزلت العقوبات من السماء إلى الأرض ولعل أهل

الإِذْهَانِ أَنْ يَهْلِكُوا مَعَهُمْ وَإِنْ كَانُوا مُخَالَفِينَ لَهُمْ، فَاتِي لَمْ أَسْمَعْ اللَّهَ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى فِيمَا نَزَلَ مِنْ كِتَابِهِ عِنْدَ مُثَلَّةِ أَهْلِكَ بِهَا أَحَدًا نَجَّى أَحَدًا مِنْ أَوْلَيْكَ، إِلَّا
أَنْ يَكُونَ النَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ.

وَيُسَلِّطُ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ تِلْكَ الْحَارِمِ إِنْ هُوَ لَمْ يُصِبْهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ
بِأَيْدِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ مِنَ الْخَوْفِ وَالذُّلِّ وَالنَّقَمِ فَإِنَّهُ رَبُّمَا اتَّقَمَ بِالْفَاجِرِ مِنَ
الْفَاجِرِ وَبِالظَّالِمِ مِنَ الظَّالِمِ ثُمَّ صَارَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ بِأَعْمَالِهِمَا إِلَى النَّارِ، فَتَعُوذُ
بِاللَّهِ أَنْ يَجْعَلَنَا ظَالِمِينَ، أَوْ يَجْعَلَنَا مُدَاهِنِينَ لِلظَّالِمِينَ.

وَأَنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ قَدْ كَثُرَ الْفُجُورُ فِيكُمْ وَأَمِنَ الْفُسَاقُ فِي مَدَائِنِكُمْ
وَجَاهَرُوا بِالْمَحَارِمِ بِأَمْرِ لَا يُحِبُّ اللَّهُ مِنْ فَعَلُهُ وَلَا يَرْضَى الْمُدَاهِنَةَ عَلَيْهِ، كَانَ
لَا يَظْهَرُ مِثْلُهُ فِي عِلَانِيَةِ قَوْمٍ يَرْجُونَ اللَّهَ وَقَارًا وَيَخَافُونَ مِنْهُ غَيْرًا وَهُمْ الْأَعْرُونَ
الْأَكْثَرُونَ مِنْ أَهْلِ الْفُجُورِ، أَيِ أَكْثَرُ مِنْ أَهْلِ الْفُجُورِ وَأَعَزُّ مِنْهُمْ.

وَلَيْسَ بِذَلِكَ مَضَى أَمْرُ سَلْفِكُمْ وَلَا بِذَلِكَ تَمَّتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بَلْ كَانُوا
﴿أَشِدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رَحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾، ﴿أَذَلَّةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةَ عَلَى
الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾.

وَلَعَمْرِي إِنَّ مِنَ الْجِهَادِ الْغِلْظَةَ عَلَى مَحَارِمِ اللَّهِ بِالْأَيْدِي وَاللِّسَنِ
وَالْمُجَاهِدَةِ لَهُمْ فِيهِ.

وَإِنْ كَانُوا الْآبَاءَ وَالْأَبْنَاءَ وَالْعَشَائِرَ، وَإِنَّمَا سَبِيلُ اللَّهِ طَاعَتُهُ.
وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ بَطَأَ بِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ عَنِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ،
إِتِّقَاءَ التَّلَاوُمِ أَنْ يُقَالَ فَلَانٌ حَسَنُ الْخُلُقِ، قَلِيلُ التَّكْلِيفِ، مُقْبِلٌ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَا
جَعَلَ اللَّهُ أَوْلَيْكَ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا بَلْ أَوْلَيْكَ أَسْوَأُكُمْ أَخْلَاقًا.

وَمَا أَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ، بَلْ أَدْبَرَ عَنْهَا، وَلَا سَلِمَ مِنَ الْكُلْفَةِ

ها، بَلْ وَقَعَ فِيهَا، وَإِذْ رَضِيَ لِنَفْسِهِ مِنَ الْحَالِ غَيْرَ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ، مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.

وَقَدْ ذَلَّتْ أَلْسِنَةُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ بِأَيَّةٍ وَضَعُوهَا غَيْرَ مَوْضِعِهَا، وَتَأَوَّلُوا فِيهَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ وَصَدَقَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلَا يَضُرُّنَا ضَلَالَةُ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْنَا، وَلَا يَنْفَعُنَا هَدْيُ مَنْ اهْتَدَى إِذَا ضَلَلْنَا ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ وَإِنَّ مِمَّا عَلَى أَنْفُسِنَا وَأَنْفُسِ أَوْلِيَانَا مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَلَا يُظْهِرُوهُ لِلَّهِ مُحَرَّمًا إِلَّا اتَّقَمُوا مِمَّنْ فَعَلَهُ مِنْهُمْ، مَنْ كُنْتُمْ، وَمَنْ كَانُوا، وَقَوْلُ مَنْ قَالَ إِنَّ لَنَا فِي أَنْفُسِنَا شُغْلًا، وَلَسْنَا مِنَ النَّاسِ فِي شَيْءٍ.

وَأَلَوْ أَنَّ أَهْلَ طَاعَةِ اللَّهِ رَجَعَ رَأْيُهُمْ إِلَى ذَلِكَ، مَا عُجِلَ لِلَّهِ بِطَاعَةٍ، وَلَا تَنَاهَوْا لَهُ عَنِ مَعْصِيَةٍ، وَلَقَهَرِ الْمُضِلُّونَ الْمُحِقِّينَ، فَصَارَ النَّاسُ كَالْأَنْعَامِ، أَوْ أَضَلَّ سَبِيلًا، فَتَسَلَطُوا عَلَى الْفُسَّاقِ مِنْ كُنْتُمْ وَمَنْ كَانُوا فَادْفَعُوا بِحَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ، وَبَبَصَرِكُمْ عَمَاهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ لِلْأَبْرَارِ عَلَى الْفُجَّارِ سُلْطَانًا مُبِينًا، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا وُلاةً وَلَا أئِمَّةً.

مَنْ ضَعُفَ عَنِ ذَلِكَ فَلْيَرْفَعْهُ إِلَى إِمَامِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ التَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، قَالَ اللَّهُ لِأَهْلِ الْمَعَاصِي: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَحْسِيفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾.

وَلَيْسَتْ هِيَ الْفُجَّارُ أَوْ لِيَهَيِّئَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالَ: ﴿لِنُعْرِيتِكَ بِهِمْ﴾ الْآيَةَ.

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ هُوَ وَرَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ لَهَا الرَّجُلُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ حَدِّثِينَا عَنِ الزَّلْزَلَةِ، فَقَالَتْ إِذَا اسْتَبَاحُوا الزَّنَا، وَشَرَبُوا الْحُمُورَ، وَضَرَبُوا بِالْمَعَارِفِ، غَارَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سَمَائِهِ، فَقَالَ لِلْأَرْضِ تَزْلُزِي بِهِمْ، فَإِنْ تَابُوا وَتَزَعُوا وَإِلَّا هَدَمَهَا عَلَيْهِمْ.

قَالَ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنِينَ أَعْدَابًا لَهُمْ؟ قَالَتْ بَلْ مَوْعِظَةٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَنَكَالًا
وَعَذَابًا وَسُخْطًا عَلَى الْكَافِرِينَ فَقَالَ أَنَسُ مَا سَمِعْتُ حَدِيثًا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
أَنَا أَشَدُّ فَرَحًا بِهِ مِنِّي بِهَذَا الْحَدِيثِ .

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا حَدِيثًا مَرْسَلًا أَنَّ الْأَرْضَ تَزَلْزَلَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا ثُمَّ قَالَ اسْكُنِي فَإِنَّهُ لَمْ يَأْنِ لَكَ بَعْدُ .

ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسْتَعْتَبِكُمْ فَأَعْتِبُوهُ، ثُمَّ تَزَلْزَلَتْ
بِالنَّاسِ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ مَا كَانَتْ هَذِهِ الزَّلْزَلَةُ إِلَّا
عَلَى شَيْءٍ أَحَدْتُمُوهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ عَادَتْ لَا أُسَاكِنُكُمْ فِيهَا أَبَدًا .

وَفِي مَنَاقِبِ عُمَرَ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا أَنَّ الْأَرْضَ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ تَزَلْزَلَتْ
فَضْرَبَ يَدَهُ عَلَيْهَا، وَقَالَ مَالِكٍ؟ أَمَا إِنَّهَا لَوْ كَانَتْ الْقِيَامَةُ حَدَّثَتْ أَحْبَابَكَ،
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ فَلَيْسَ فِيهَا ذِرَاعٌ وَلَا شِبْرٌ إِلَّا
وَهُوَ يَنْطِقُ .

وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الْأَمْصَارِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ هَذَا الرَّجْفَ شَيْءٌ
يُعَاقِبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ الْعِبَادَ، وَقَدْ كَتَبْتُ إِلَى الْأَمْصَارِ أَنْ يَخْرُجُوا فِي يَوْمِ كَذَا
وَكَذَا فِي شَهْرِ كَذَا وَكَذَا فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيَتَصَدَّقْ بِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
يَقُولُ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ وَقُولُوا كَمَا قَالَ آدَمُ:
﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، وَقُولُوا
كَمَا قَالَ يُونُسُ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ .

شِعْرًا: إِلَهِي لَكَ الْحَمْدُ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ عَلَى نِعْمٍ تَتَرَى عَلَيْنَا سَوَابِغُ
وَقَدْ عَجِزَتْ عَن شُكْرِ فَضْلِكَ قُوَّتِي وَكُلُّ الْوَرَى عَن شُكْرِ جُودِكَ عَاجِزُ

اللَّهُمَّ يَا عَالِمَ الْخَفِيَّاتِ وَيَا سَامِعَ الْأَصْوَاتِ وَيَا بَاعِثَ الْأَمْوَاتِ وَيَا مُجِيبَ
الدَّعَوَاتِ وَيَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ يَا خَالِقَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ أَنْتَ اللَّهُ الْأَحَدُ

الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد الوهاب الذي لا يبخل
والحليم الذي لا يعجل لا راداً لامرك ولا معقب لحكمك نسألك أن تغفر
ذنوبنا وتنور قلوبنا وتثبت محبتك في قلوبنا وتسكننا دار كرامتك إنك على
كل شيء قدير وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

«موعظة»

قال الله تعالى : ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ، وقال : ﴿فَذَكَرْ
إِنْ نَفَعْتَ الذِّكْرَى﴾ ، وقال تعالى : ﴿فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾
فيا عباد الله لقد خاطب الله المؤمنين بقوله : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ
تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ خاطبهم بهذا الخطاب
الرائع ووصفهم بهذا الوصف العظيم ، بأنهم خير أمة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، وأن
مجتمعهم أعلا وأعزُّ مجتمع في العالم حاضره وماضيه لما اتصفوا به من
الصفات الفاضلة ، والأخلاق العالية ، والغيرة الصادقة ، على حدوده .

وهذا الوصف وقت ان كانوا متمسكين بتعاليم دينهم ، وكان الإسلام
وبهاؤه يلوخ في أعمالهم ، ومعاملاتهم ، وأخلاقهم فلا غش ولا خداع
ولا كذب ، ولا خيانة ولا غدرًا ، ولا نميمة ، ولا غيبة ، ولا قطيعة هدفهم
القضاء على المنكرات وإماتتها ، وإعزاز المعروف ونشره بين المسلمين ، وهذا
يدل على قوة إيمانهم ، وشدة تمسكهم به ورغبة في النجاة التي وعد الله بها
الناس عن السوء ، قال تعالى : ﴿فَلَمَّا تَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ
عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابٍ بَيِّنٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ .

فيا عباد الله تأملوا حالتنا الحاضرة ، وحالة سلفنا الكرام الذين كانوا كل
منهم يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ويرحم كبيرهم الصغير ويوقر الصغير
الكبير ، يتأمرون بالمعروف ، ويتناهون عن المنكر ، يُنصِفُونَ حَتَّى الْأَعْدَاءِ مِنْ
أَنْفُسِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ .

فَالْقَوِيُّ عِنْدَهُمْ ضَعِيفٌ ، حَتَّى يُسْتَوْفَى مِنْهُ الْحَقُّ ، وَالضَّعِيفُ عِنْدَهُمْ قَوِيٌّ
حَتَّى يُوْخَذَ حَقُّهُ ، إِذَا فَقَدُوا أَتْحَاهُمْ بَحْثُوا عَنْهُ فَإِنْ كَانَ مَرِيضاً عَادُوهُ وَإِذَا مَاتَ
شَيَعُوهُ ، وَإِنْ احتَاجَ أَقْرَضُوهُ ، وَوَأَسَوْهُ وَإِنْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ أَكْرَمُوهُ .

عَامِلِينَ بِقَوْلِهِ ﷺ : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ
إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى » ، وَحَدِيثُ :
« الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَنِيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُمُ بَعْضاً » .

أَمَا نَحْنُ فَحَالَتُنَا حَالَةٌ مُخِيفَةٌ جَدًّا لِأَنَّنا عَلَى ضِدِّ مَا ذَكَرْنَا مِنْ حَالَةِ سَلَفِنَا
وَلَا حَاجَةَ إِلَى تَكَرُّارٍ ، أَلَيْ سَمِعَكَ وَقَلْبَ نَظَرَكَ ، وَأَحْضَرَ قَلْبَكَ تَرَى ذَلِكَ بَعِينٍ
بَصِيرَتِكَ وَتَرَى مَا يُخِيفُكَ وَيُقَلِّقُ رَاحَتَكَ وَيَقْضُ مَضْجَعَكَ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ فِي
الْبُيُوتِ وَالْأَسْوَاقِ وَالْبَرِّ وَالْبَحْرِ . وَلَا أُدْرِي هَلْ بَيْتُكَ خَالٍ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ الَّتِي
سَأَذْكَرُهَا فَهَنِيئاً لَكَ إِنْ شَاءَ اللهُ وَلَا أَظْنه خَالٍ مِنْهَا .

فَإِنْ تَنَجَّ مِنْهَا تَنَجُّ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِحْوَكَ نَاجِيَا
وَإِنْ شَكَّكَتَ فَفَتِّشْ عَلَى نَفْسِكَ تَجِدْ ذَلِكَ ، فَالْمُنْكَرُ تَرَاهُ بِأَعْيُنِنَا وَنَسْمَعُهُ
بِأَذَانِنَا بَلْ وَفِي بُيُوتِنَا فَهَلْ بَيْتُكَ خَالٍ مِنْ صُورِ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ ، هَلْ هُوَ خَالٍ
مِنَ الْمِذْيَاحِ ، هَلْ هُوَ خَالٍ مِنَ التَّلْفِزِيُونِ ، وَالسَّيِّمَاءِ وَالْبَكَمَاتِ وَمُسْجَلَاتِ
الْأَعْيَانِ ، هَلْ هُوَ خَالٍ مِنْ شُرَابِ الْمُسْكَرَاتِ ، هَلْ مَا يَأْتِي لِبَيْتِكَ لِإِنَّاسٍ
طَيِّبِينَ طَاهِرِينَ الْأَخْلَاقِ ، هَلْ هُوَ خَالٍ مِنْ حَالِقِي اللَّحْيِ هَلْ هُوَ خَالٍ مِنَ
الْمُخَنَفِسِينَ مَطِيلِي أَظْفَارِهِمْ تَشْبُهًا بِالْيَهُودِ ، وَهَلْ هُوَ خَالٍ مِنَ الْمُتَشَبِّهِينَ
بِالْمَجُوسِ وَالْمُتَشَبِّهِينَ بِالْإِفْرَنْجِ ، هَلْ هُوَ خَالٍ مِمَّنْ لَا يَشْهَدُونَ صَلَاةَ الْجَمَاعَةِ
أَوْ لَا يَصَلُونَ أَبَدًا ، هَلْ هُوَ خَالٍ مِنَ النِّسَاءِ الْقَاصَّاتِ لِرُؤْسِهِنَّ الْمُطِيلَاتِ
لِأَظْفَارِهِنَّ ، هَلْ هُوَ خَالٍ مِنْ شُرَابِ أَبِي الْخَبَائِثِ الدُّخَانِ ، وَنُحُوهٍ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ
وَأَمَّا فِي الْأَسْوَاقِ فَحَدِّثْ عَنْ كَثْرَةِ الْمُنْكَرَاتِ وَلَا حَرَجَ عَلَى حَدِّ قَوْلِ الْمُتَنَبِّي :
شِعْرًا : وَقَدْ وَجَدْتُ مَكَانَ الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ فَإِنْ وَجَدْتَ لِسَانًا قَائِلًا قُلِّ

آخر: أَخَذِرْكَ أَخَذِرْكَ لَا أَخَذِرْكَ وَاحِدَةً
عن المَذَائِبِيعِ والتَّفَازِ والكُورَةِ
كَذَا الْمَجَلَّاتِ مَعَ صُحُفٍ وَنَحْوِهِمَا
مَا حَصَلُوا مِنْهَا إِلَّا الْإِثْمَ وَالْعَنْتَ
كَمْ عِنْدَهَا ضَاعَ مِنْ وَقْتِ بِلَا تَمَنِ
لَوْ كَانَ فِي الْبِرِّ نِلْتُ الْأَجْرَ وَالصَّلَاةِ

وَمَعَ ذَلِكَ فَلَا أَسِنَّةٌ تَنْطِقُ وَلَا قُلُوبٌ تَتَمَعَّرُ إِلَّا النُّوَادِرَ، الْمَوْجُودُ هُوَ
التَّلَاوُمُ وَالْقِيلُ وَالْقَالَ، وَالْمَدَاهِنَةُ، وَالْجُلُوسُ مَعَ أَهْلِ الْمَعَاصِي، وَمُحَادَثَتُهُمْ
وَمُبَاشَرَتُهُمْ وَأَظْهَارُ الْبِشْرِ لَهُمْ وَتَعْظِيمُهُمْ وَتَقْلِيدُهُمْ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ .

فِيَا عِبَادَ اللَّهِ اتَّقُوا اللَّهَ وَاسْأَلُوا طَرِيقَ سَلْفِكُمْ وَاصدُّعُوا بِالْحَقِّ وَأَمْرُوا
بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا،
وَكَوْنُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ مَا حَلَّ بِمَنْ قَبْلِكُمْ، وَتَضْرَبَ
قُلُوبُ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ، قَبْلَ فِتْنَةٍ لَا تُصَيِّبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً، قَبْلَ
أَنْ تُلْعَنُوا كَمَا لُعِنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، بِسَبَبِ عَدَمِ تَنَاهِيهِمْ عَنِ الْمُنْكَرِ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ
وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ
فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ .

فِيَا عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لِمِنْ أَعْظَمِ الشَّعَائِرِ
الْإِسْلَامِيَّةِ، وَأَقْوَى الْأَسُسِ الَّتِي يَقُومُ عَلَيْهَا بِنَاءُ الْمَجْتَمَعَاتِ النَّزِيهَةِ الرَّاقِيَّةِ، فَإِذَا
لَمْ يَكُنْ أَمْرٌ وَلَا نَهْيٌ أَوْ كَانَ وَلَكِنْ كَالْمَعْدُومِ، فَعَلَى الْأَخْلَاقِ وَالْمُثُلِ الْعُلْيَا
السَّلَامُ، وَيَلُ يَوْمَعِدِ لِلْفَضِيلَةِ مِنَ الرَّذِيلَةِ، وَلِلْمُتَدَيِّنِينَ مِنَ الْفَاسِقِينَ وَالْمُنَافِقِينَ .

فِيَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَارَكُوا الْأَمْرَ قَبْلَ أَنْ يَفُوتَ الْأَوَانُ وَتَعْضُوا عَلَى الْبَنَانِ فَقَدْ
قَالَ لَكُمْ سَيِّدُ وَلِدِ عَدْنَانَ: « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مِنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ
يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ .

عِبَادَ اللَّهِ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ نَأْمَنُ بِإِذْنِ اللَّهِ عَلَى الدِّينِ مِنْ

الاضمحلال والتلاشي، وتأمُنُ بإذنِ اللهِ على الأخلاقِ الفاضلةِ مِنَ الذهبِ والانحلال، والحدَرُ الحدَرُ مِنْ مُخَالَفَةِ الْقَوْلِ لِلْفِعْلِ، فتأثيرُ الدَّعْوَةِ بِالْفِعْلِ أَقْوَى بِكَثِيرٍ مِنَ الْأَقْوَالِ الْمَجْرَدَةِ مِنَ الْأَفْعَالِ.

وفي المُسْنَدِ وغيره مِنْ حَدِيثِ عروَةَ عن عائِشَةَ قالتْ دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ حَفَزَهُ النَّفْسُ فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ أَنْ قَدْ حَفَزَهُ شَيْءٌ، فَمَا تَكَلَّمْتُ حَتَّى تَوَضَّأَ وَخَرَجَ فَلَصِقْتُ بِالْحُجْرَةِ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَتْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لَكُمْ مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، قَبْلَ أَنْ تَدْعُونِي فَلَا أُجِيبُكُمْ، وَتَسْتَنْصُرُونِي فَلَا أَنْصُرُكُمْ، وَتَسْأَلُونِي فَلَا أُعْطِيكُمْ.

وقال العُمَرِيُّ الزَّاهِدُ إِنَّ مِنْ غَفْلَتِكَ عَنْ نَفْسِكَ وَإِعْرَاضِكَ عَنِ اللَّهِ أَنْ تَرَى مَا يُسْخِطُ اللَّهَ فَتَجَاوِزَهُ، وَلَا تَنْتَهَى عَنْهُ، خَوْفًا مِمَّنْ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، قُلْتُ وَمَا أَكْثَرَ الْمُدْلِسِينَ السَّاكِنِينَ الَّذِينَ يَمْرُونَ بِالْجَالِسِينَ أَمَامَ التَّلْفِيزِيِّونَ وَعِنْدَ الْمَذْيَاعِ وَالْكُورَةِ بَلْ وَلَا يَأْمُرُونَهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ وَيَمْرُونَ بِأَوْلَادِهِمْ فِي فُرْشِهِمْ وَلَا يُوقِظُونَهُمْ لِلصَّلَاةِ وَكَأَنَّ أَمْرَهُمْ أَمْرٌ مُبَاحٌ إِنْ شَاءَ أَنْكَرَ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ، وَقَالَ مَنْ تَرَكَ الْأَمْرَ بِالْعُرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ مَخَافَةً مِنَ الْمَخْلُوقِينَ نَزَعَتْ مِنْهُ الطَّاعَةَ، وَلَوْ أَمَرَ وَلَدُهُ أَوْ بَعْضَ مَوَالِيهِ لَا اسْتَحَفَّ بِحَقِّهِ.

وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ثَوْبِيكَ الْقُرَيْ أَنَّهُ تَخَرَّبَ وَهِيَ عَامِرَةٌ قِيلَ وَكَيْفَ تَخَرَّبَ وَهِيَ عَامِرَةٌ، قَالَ إِذَا عَلَا فُجَّارُهَا أَبْرَارُهَا وَسَادَ الْقَبِيلَةَ مُنَافِقُوهَا قُلْتُ وَمِمَّا يُؤَيِّدُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْبَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ الآية، وَإِلَيْكَ هَذَا نَظْمٌ لِلْأَسْبَابِ الَّتِي بِهَا حَيَاةُ الْقَلْبِ فَالْتِقَ لَهَا سَمْعَكَ وَأَحْضِرْ قَلْبَكَ تَأْتِيكَ بَعْدَ الدُّعَاءِ.

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إِلَيْهِ الْقَوْمَ وَأَيِّقِظْنَا مِنْ سِنَةِ الْعَفْلَةِ وَالنَّوْمِ وَأَرْزُقْنَا الْاِسْتِعْدَادَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَرْبُحُ فِيهِ الْمُتَّقُونَ، اللَّهُمَّ وَعَامِلْنَا بِإِحْسَانِكَ وَجُدْ

عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَامْتِنَانِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ ذُلَّنَا بَيْنَ يَدَيْكَ وَاجْعَلْ رَغْبَتَنَا فِيْمَا لَدَيْكَ، وَلَا تَحْرِمْنَا بَدُنُونَا، وَلَا تَطْرُدْنَا بَعِيُونَا، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا، اللَّهُمَّ اجْعَلْ قُلُوبَنَا مَمْلُوءَةً وَالسِّنْتَنَا رَطْبَةً بِذِكْرِكَ وَنُفُوسَنَا مُطِيعَةً لِأَمْرِكَ وَأَرْزُقْنَا الرُّهْدَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا: حَمَدْتُ الَّذِي أَغْنَى وَأَقْنَى وَعَلَّمَ وَأَهْدَى صَلَاةً تَسْتَمِرُّ عَلَى الرِّضَا أَعَادَ لَنَا فِي الْوَحْيِ وَالسَّنَنِ الَّتِي أَزَالَ بِهَا الْأَغْلَافَ عَنْ قَلْبِ حَائِرٍ فَيَأْتِيهَا الْبَاغِي اسْتِنَارَةَ عَقْلِهِ فَعُتُونُ اسْعَادِ الْفَتَى فِي حَيَاتِهِ وَفَاقِدُ ذَا لاشكَّ قَدْ مَاتَ قَلْبُهُ وَآيَةُ سُقْمٍ فِي الْجَوَارِحِ مَنْعُهَا وَصِحَّتُهَا تَدْرِي بِإِيَّانِ نَفْعِهَا وَعَيْنُ امْتِرَاضِ الْقَلْبِ فَقَدْ الَّذِي لَهُ وَمَعْرِفَةُ وَالشُّوقُ إِلَيْهِ انَابَةٌ وَمُوْتِرُ مَحْبُوبٍ سِوَى اللهِ قَلْبُهُ وَأَعْظَمُ مَحْذُورٍ خَفَى مَوْتُ قَلْبِهِ وَآيَةُ ذَا هُونٍ الْقَبَائِحُ عِنْدَهُ فَجَامِعُ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ اتِّبَاعُهَا وَمِنْ شُؤْمِهِ تَرَكُ إِغْتِدَاءِ بِنَافِعِ إِذَا صَحَّ قَلْبُ الْعَبْدِ بَانَ ارْتِحَالُهُ وَمِنْ ذَلِكَ إِحْسَاسُ الْمُحِبِّ لِقَلْبِهِ

وَصَيَّرَ شَكَرَ الْعَبْدَ لِلْخَيْرِ سَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ وَالْآلِ جَمْعًا مُسَلِّمًا أَتَانَا بِهَا نَحْوَ الرَّشَادِ وَعَلَّمَا وَفَتَّحَ آدَانَا أُصِمَّتْ وَأَحْكَمَا تَدَبَّرَ كِلَا الْوَحْيَيْنِ وَانْقَدَ وَسَلَّمَ مَعَ اللهِ إِقْبَالًا عَلَيْهِ مُعْظَمًا أَوْ اعْتَلَّ بِالْأَمْرَاضِ كَالرَّيْنِ وَالْعَمَا مَنَافِعُهَا أَوْ نَقَصُ ذَلِكَ مِثْلَمَا كُنْطِقِ وَبَطْشِ وَالتَّصَرُّفِ وَالنَّمَا أُرِيدُ مِنَ الْأَخْلَاصِ وَالْحُبِّ فَاعْلَمَا بِإِيثارِهِ دُونَ الْمَحَبَّاتِ فَاحْكَمَا مَرِيضٌ عَلَى جُرْفٍ مِنَ الْمَوْتِ وَالْعَمَا عَلَيْهِ لِشُغْلِ عَنْ دَوَاهُ بَصْدِمَا وَلَوْلَاهُ أَضْحَى نَادِمًا مُتَأَلِّمًا هَوَاهَا فَخَالَفَهَا تَصَحَّحَ وَتَسَلَّمَ وَتَرَكَ الدَّوَا الشَّافِي وَعَجَزُ كِلَاهُمَا إِلَى دَارِهِ الْأُخْرَى فَرَّاحَ مُسَلِّمًا بِضَرْبٍ وَتَحْرِيكِ إِلَى اللهِ دَائِمًا

إِلَى أَنْ يُهَيَّا بِالْإِتَابَةِ مُحِبِّتًا
وَمِنْهَا دَوَامُ الذِّكْرِ فِي كُلِّ حَالَةٍ
وَيَصْحَبُ حُرًّا دَلَّهُ فِي طَرِيقِهِ
وَمِنْهَا إِذَا مَا فَاتَهُ الْوِرْدُ مَرَّةً
وَمِنْهَا اشْتِيَاقُ الْقَلْبِ فِي وَقْتِ خِدْمَةٍ
وَمِنْهَا ذَهَابُ الْهَمِّ وَقْتِ صَلَاتِهِ
وَيَشْتَدُّ عَنْهَا بَعْدَهُ لِخُرُوجِهِ
فَأَكْرَمَ بِهِ قَلْبًا سَلِيمًا مُقْرَبًا
وَمِنْهَا اجْتِمَاعُ الْهَمِّ مِنْهُ بِرَبِّهِ
وَمِنْهَا اهْتِمَامٌ يُثْمِرُ الْجِرْصَ رَغْبَةً
بِإِخْلَاصِ قَصْدٍ وَالنَّصِيحَةِ مُحْسِنًا
وَيَشْهَدُ مَعَ ذَا مِنَّةٍ اللَّهُ عِنْدَهُ
فَسِتُّ بِهَا الْقَلْبُ السَّلِيمُ ارْتِدَاءَهُ
فِيَارَبِّ وَقَفْنَا إِلَى مَا نَقُولُهُ
فَإِنِّي وَإِنْ بَلَغْتُ قَوْلَ مُحَقِّقٍ
وَلَمَا أَتَى مِثْلِي إِلَى الْجَوْ خَالِيًا
كَعَابٍ خَلَا مِنْ أَسَدِهِ فَتَوَاتَبَتْ
فِيَا سَامِعَ النَّجْوَى وَيَا عَالِمَ الْحَفَا
فَأَجْرَانِي إِلَّا اضْطِرَّارُ رَأْيَتِهِ
فَأُبْدَيْتُ مِنْ جُرَّاهُ مُزَجِّي بِضَاعَتِي
فَمَا خَابَ عَبْدٌ يَسْتَجِيرُ بِرَبِّهِ
وَصَلُّوا عَلَيَّ خَيْرَ الْآنَامِ مُحَمَّدٍ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

«فصل»

عَلَّمَ وَفَقَّنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ وَجَعَلْنَا وَإِيَّاكَ
وَإِيَابَهُمْ مِنَ الْمُصَدِّقِينَ لِلَّهِ فِيمَا أَخْبَرُوا بِهِ وَحَيْثُ أَنَّهُ قَدْ كَثُرَ فِي زَمَانِنَا الْمُنْكَرُونَ
لِلْجِنِّ وَغَالِبُهُمْ يَسْتَنْدُونَ فِي انْكَارِهِمْ بِأَنَّ طَرِيقَ مَعْرِفَةِ وَجُودِهِمْ هِيَ النَّظَرُ أَوْ
السَّمْعُ أَوْ اللَّمْسُ وَأَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا جِنًّا وَلَمْ يَسْمَعُوهُمْ وَلَمْ يَمَسُّوهُمْ .

وَلَكِنْ عَدَمُ النَّظَرِ أَوْ السَّمْعِ أَوْ اللَّمْسِ أَوْ عَدَمُ وُصُولِ أَحَدِ الْحَوَاسِّ
الْخَمْسِ إِلَى وُجُودِ الْجِنِّ لَا يَقُومُ دَلِيلًا عَلَى عَدَمِ وُجُودِهِمْ لَا ثَقَلًا وَلَا عَقْلًا أَمَّا
العقل فإنه يُجَوِّزُ وُجُودَ كَائِنٍ حَيٍّ غَيْرِ مَرْتَبِي بِالْعَيْنِ بِدُونِ واسِطَةِ الْمَجْهَرِ
المكتشف أخيراً فإنَّ المكروبَ كائنٌ حَيٌّ خلقه اللهُ وَهُوَ كَثِيرٌ فِي طَبَقَاتِ الْجَوِّ
وَلَا يُمكن رُؤْيُتُهُ بِالْعَيْنِ .

وَمَنْ لَمْ يُقَرَّرْ وَيَعْتَقَدَ مَا غَابَ عَنِ سَمْعِهِ وَلَمْسِهِ لَزَمَهُ انْكَارُ الرُّوحِ وَالْآلَامِ
وَالعقلِ وَالجُوعِ وَالظَّمَاءِ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ مَرْتَبَةً وَلَا مَسْمُوعَةً وَلَا مَلْمُوسَةً وَلَا
مَدُوقَةً وَأَمَّا الثَّقُلُ فَكَثِيرٌ فَمِنَ الْأَدِلَّةِ قَوْلُهُ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا
لِيَعْبُدُونِ﴾ وَقَالَ اللهُ تَعَالَى أَمْرًا رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يُخْبِرَ قَوْمَهُ أَنَّ الْجِنَّ اسْتَمَعُوا
لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فَأَمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوا لِمَا قَالَ وَتَلَا وَاتَّقَادُوا لَهُ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي
إِلَى الرُّشْدِ فَأَمَّنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا إِحْدًا﴾ الْآيَاتِ . وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا
إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ
وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ . وَهَذَا مِنْ
حِكْمَةِ اللهِ وَلُطْفِهِ بِعِبَادِهِ الْبَشَرِ فَلَوْ كَشَفَ لَنَا عَنْ حَقِيقَتِهِمْ وَسَلَطَ نَظْرَنَا
الْمَحْدُودَ عَلَى ذَوَاتِهِمْ لَمَا أَمَكَّنَ اللهُ أَعْلَمُ أَنَّ يَعِيشَ الْإِنْسَانُ مَعَهُمْ وَقَالَ تَعَالَى:
﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ .

وَقَالَ: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾. وقال في مَنْ سَحَّرَ لِسُلَيْمَانَ: ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ الآيات، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ «أَكَلَ الرَّبَا يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَجْنُونًا يُحْنَقُ» رواه ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، قَالَ وَرُوِيَ عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ وَسَعِيدِ ابْنِ جُبَيْرٍ وَالسُّدِّيِّ وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ وَقَتَادَةَ وَمَقَاتِلِ بْنِ حَيَانَ نَحْوُ ذَلِكَ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهِجَ الْمُفْلِحِينَ وَالْبِسْنَا خِلْعَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ، وَخَصَّنَا مِنْكَ بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ، وَوَفَّقْنَا لِقَوْلِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ وَخَلَّصْنَا مِنَ الْبَاطِلِ وَابْتِدَاعِهِ، وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّدًا وَلَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدًا وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشًا رَغَدًا وَلَا تُشْمِتْ بِنَا عَدُوًّا وَلَا حَاسِدًا، وَارْزُقْنَا عِلْمًا نَافِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا، وَفَهْمًا ذَكِيًّا وَطَبْعًا صَفِيًّا وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصْلٌ»

أَمَّا السُّنَّةُ فَوَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ﴿إِنْ عَفَرْتَنَا مِنَ الْجِنِّ تَفَلَّتْ عَلَيَّ الْبَارِحَةُ لَيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةُ فَأَمَكَّنِي اللَّهُ مِنْهُ فَأَرَدْتُ أَنْ أُرْبِطَهُ إِلَىٰ سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّىٰ نُصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾».

وَوَرَدَ أَنَّ صَفِيَّةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ جَاءَتْ تَزُورُهُ وَهُوَ مَعْتَكِفٌ فَقَامَ مَعَهَا مَوَدَّعًا حَتَّىٰ بَلَغَتْ بَابَ الْمَسْجِدِ فَرَأَهُ رَجُلَانِ مِنَ الْإِنصَارِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ عَلَىٰ رِسْلِكُمَا إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيِّ فَقَالَا سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَبَّرَ عَلَيْهِمَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْدِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا».

وَهَذَا صَرِيحٌ وَاضِحٌ فِي أَنَّ الشَّيْطَانَ يَخْتَرِقُ الْجِسْمَ الْبَشَرِيَّ وَيَسْرِي فِيهِ
 كَمَا يَسْرِي الدَّمُ وَمَعَ خَفَائِهِ فَقَدْ التَزَمَ الشَّيْطَانُ لَعْنَةُ اللَّهِ فِي عِدَاوَتِهِ سَبْعَةَ أُمُورٍ :
 أَرْبَعَةٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَا ضِلَّيْنَهُمْ وَلَا مَنِّينَهُمْ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَبْتَئَنَّ آذَانَ الْإِنْعَامِ
 وَلَا مَرَئَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنْهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَا قُعْدَانَ لَهُمْ
 صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ
 شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ .

وَهَذَا الْإِلْتِزَامُ يُبَيِّنُ أَنَّهُ عَدُوٌّ مُتَّظَاهِرٌ بِالْعِدَاوَةِ وَلِذَلِكَ فَصَّلَ اللَّهُ عِدَاوَتَهُ
 بِأَسْمَائِهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ : (السُّوءُ) وَهُوَ مُتَنَازِلٌ جَمِيعَ الْمَعَاصِي مِنَ الْقَلْبِ
 وَالْجَوَارِحِ ، (وَالْفَحْشَاءُ) وَهِيَ مَا عَظُمَ جُرْمُهُ وَذُبُّهُ كَالْكِبَائِرِ الَّتِي بَلَّغَتِ الْعَايَةَ
 فِي الْفُحْشِ وَذَلِكَ كَالزُّنَا وَاللُّوَاطِ . وَالْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ بِإِلْعَامِ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ
 وَشَرْعِهِ .

وَرَوَى مُسْلِمٌ أَنَّ فَتَى مِنَ الْأَنْصَارِ قَتَلَ حَيَّةً فِي بَيْتِهِ فَمَاتَ فِي الْحَالِ فَقَالَ
 النَّبِيُّ ﷺ : « إِنْ فِي الْمَدِينَةِ جِنًّا قَدْ أَسْلَمُوا فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئًا فَادْنُوهُ ثَلَاثَةَ
 أَيَّامٍ فَإِنْ بَدَأَ لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَاقْتُلُوهُ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ » .

وَهَكَذَا تَكَرَّرَ الرَّوَايَاتُ الصَّحِيحَةُ أَنَّ الْجِنَّ كَانُوا بِالْمَدِينَةِ وَقَدْ أَسْلَمَ
 بَعْضُهُمْ وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
 ﷺ قَالَ : « مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا نَحَسَّهُ الشَّيْطَانُ إِلَّا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ » .

وَرَوَى مُسْلِمٌ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ قَرِينَهُ
 مِنَ الْجِنِّ » ، فَرَأَى الصَّحَابَةَ أَنَّ قَوْلَهُ ﷺ عَامٌّ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِيَّاكَ ، أَيُّ
 حَتَّى أَنْتَ ، فَقَالَ ﷺ : « وَإِيَّايَ لَكِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا
 بِالْخَيْرِ » .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَفْتُهُ وَقُلْتُ
لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَلِي عِيَالٌ وَبِي حَاجَةٌ
شَدِيدَةٌ.

قَالَ فَخَلِّتُ عَنْهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أُسَيْرُكَ
الْبَارِحَةَ» قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَأَ حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلِّتُ
سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ» فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَعَلَ
ذَلِكَ ثَلَاثَ لَيَالٍ كُلِّ ذَلِكَ وَالرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ
وَسَيَعُودُ».

فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّلَاثَةِ قُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ
مَرَّاتٍ تَزْعُمُ أَنَّكَ لَا تَعُودُ، فَقَالَ دَعْنِي أُعَلِّمَكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا فَقُلْتُ
وَمَا هِيَ قَالَ إِذَا أُوتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَأَقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ
الْقَيُّومُ﴾ حَتَّى خَتَمَ الْآيَةَ فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرُبُكَ شَيْطَانٌ
حَتَّى تُصْبِحَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ تَعْلَمُ مَنْ
تُحَاطَبُ مِنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قُلْتُ لَا. قَالَ ذَلِكَ شَيْطَانٌ.

عَنْ أَبِي السَّائِبِ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ فِي بَيْتِهِ قَالَ فَوَجَدْتُهُ
يُصَلِّي فَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُهُ حَتَّى يَقْضِي صَلَاتَهُ فَسَمِعْتُ تَحْرِيكَاً فِي عَرَاجِينِ فِي
نَاحِيَةِ الْبَيْتِ فَالتَفْتُ فَإِذَا حَيَّةٌ فَوَثَبَتْ لِأُقْتَلَهَا فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ أَجْلِسُ فَجَلَسْتُ فَلَمَّا
انْصَرَفَ أَشَارَ إِلَى بَيْتٍ فِي الدَّارِ فَقَالَ أَتَرَى هَذَا الْبَيْتَ فَقُلْتُ نَعَمْ فَقَالَ كَانَ فِيهِ
فَتًى مِمَّنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بَعْرُسٍ قَالَ فَحَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْخَنْدَقِ فَكَانَ
ذَلِكَ الْفَتَى يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِأَنْصَافِ النَّهَارِ فَيَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ.

فَاسْتَأْذَنَهُ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُذْ عَلَيْكَ سِلَاحَكَ فَإِنِّي أَخْشَى
عَلَيْكَ قُرَيْظَةَ فَأَخَذَ الرَّجُلُ سِلَاحَهُ ثُمَّ رَجَعَ فَإِذَا امْرَأَتُهُ بَيْنَ الْبَابَيْنِ قَائِمَةٌ فَاهْوَى

إِلَيْهَا بِالرُّمَحِ لِيَطْعُمَهَا بِهِ فَأَصَابَتْهُ، فَقَالَتْ أَكْفَفْ عَلَيْكَ رُمَحَكَ وَاذْخُلِ الْبَيْتَ حَتَّى تَنْظُرَ مَا الَّذِي أَخْرَجَنِي فَإِذَا بِحَيَّةٍ عَظِيمَةٍ مُنْطَوِيَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ فَأَهْوَى إِلَيْهَا بِالرُّمَحِ فَانْتَضَمَهَا بِهِ ثُمَّ خَرَجَ فَرَكَّزَهُ فِي الدَّارِ فَاضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ فَمَا يُدْرِي أَيُّهُمَا كَانَ أَسْرَعَ مَوْتًا الْحَيَّةُ أَمْ الْفَتَى قَالَ فَجِئْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ وَقُلْنَا ادْعُ اللَّهَ يُحْيِيهِ لَنَا فَقَالَ اسْتَغْفِرُوا لِصَاحِبِكُمْ .

ثُمَّ قَالَ إِنَّ بِالْمَدِينَةِ جِنَّاً قَدْ أَسْلَمُوا فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئاً فَادْنُوهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنْ بَدَأَ لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَاقْتُلُوهُ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنْ لِهَذِهِ الْبُيُوتِ عَوَامِرَ فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئاً مِنْهَا فَحَرِّجُوا عَلَيْهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنْ ذَهَبَ وَإِلَّا فَاقْتُلُوهُ فَإِنَّهُ كَافِرٌ وَقَالَ لَهُمْ اذْهَبُوا فَادْفِنُوا صَاحِبَكُمْ .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا تُودِيَ بِالصَّلَاةِ أَذْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ فَإِذَا قُضِيَ النَّدَاءُ أَقْبَلَ حَتَّى إِذَا ثَوَّبَ بِالصَّلَاةِ أَذْبَرَ حَتَّى إِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ يَقُولُ اذْكُرْ كَذَا وَاذْكُرْ كَذَا - لِمَا لَمْ يَذْكُرْ مِنْ قَبْلُ - حَتَّى يَظُلَّ الرَّجُلُ مَا يُدْرِي كَمْ صَلَّى » متفق عليه « التَّثْوِيبُ » : الإِقَامَةُ يَخْطُرُ : يُوسِسُ .

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ نَامَ حَتَّى أَصْبَحَ قَالَ : « يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ عَلَى كُلِّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدُهُ كُلُّهَا فَاصْبَحَ نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانٌ » متفق عليه .

اللَّهُمَّ انظُرْنَا فِي سَبِيلِكَ حِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ وَآمِنًا يَوْمَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ ، وَاحْشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ

الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصَلِّ»

وروى مسلمٌ عن ابن مسعودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَسْتَنْجُوا بِالرُّوثِ ،
وَلَا بِالْعِظَامِ ، فَإِنَّهُ زَادَ إِخْوَانَكُمْ مِنَ الْجِنِّ » ، وَوَرَدَ فِي السَّنَةِ الصَّحِيحَةِ بِاللَّفْظِ
الصَّرِيحِ أَكَلَ الشَّيْطَانِ ، وَشَرِبَهُ فَقَدْ وَرَدَ إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ
وَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ ، وَيَأْخُذُ
بِشِمَالِهِ وَهَذَا لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَرْحٍ ، وَلَا تَأْوِيلٍ لوضوحه .

وَحَدِيثُ الْوَادِي الَّذِي نَامَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ
عَرَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً بِطَرِيقِ مَكَّةَ ، وَوَكَّلَ بِلَالًا يُوفِّظُهُمُ لِلصَّلَاةِ ، فَرَقَدَ
بِلَالٌ وَرَقَدُوا ، حَتَّى اسْتَيْقَظُوا وَقَدْ طَلَعَتِ عَلَيْهِمُ الشَّمْسُ ، فَاسْتَيْقَظَ الْقَوْمُ قَدْ
فَزِعُوا ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَرْكَبُوا ، حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْ ذَلِكَ الْوَادِي .

وَقَالَ هَذَا وَادٍ فِيهِ الشَّيْطَانُ ، فَرَكَبُوا حَتَّى خَرَجُوا مِنْ ذَلِكَ الْوَادِي ثُمَّ
أَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَنْزِلُوا ، وَأَنْ يَتَوَضَّؤُوا ، وَأَمَرَ بِلَالًا أَنْ يُنَادِيَ بِالصَّلَاةِ ،
فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاسِ ثُمَّ انصَرَفَ ، وَقَدْ رَأَى مِنْ فَزَعِهِمْ ، فَقَالَ أَيُّهَا
النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ أَرْوَاحَنَا وَلَوْ شَاءَ لَرَدَّهَا إِلَيْنَا فِي حِينٍ غَيْرِ هَذَا ، فَإِذَا رَقَدَ
أَحَدُكُمْ عَنِ الصَّلَاةِ أَوْ نَسِيَهَا ، ثُمَّ فَزِعَ إِلَيْهَا فَلْيُصَلِّهَا كَمَا كَانَ يُصَلِّيَهَا فِي وَقْتِهَا .

ثُمَّ التَفَّتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ فَقَالَ إِنَّ الشَّيْطَانَ أَتَى
بِلَالًا وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فَأَجْمَعُهُ ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يُهْدِيهِ كَمَا يُهْدِي الصَّبِيَّ حَتَّى نَامَ ،
ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِلَالًا فَأَخْبَرَ بِلَالٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِثْلَ الَّذِي أَخْبَرَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا بَكْرٍ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ
اللَّهِ ، رَوَاهُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ مَرْسَلًا .

وعن ابن مسعودٍ قال خَرَجَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَلَقِيَهُ رَجُلٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالَ هَلْ لَكَ أَنْ تُصَارِعَنِي، فَإِنْ صَرَعْتَنِي عَلَّمْتُكَ آيَةً إِذَا قَرَأْتَهَا حِينَ تَدْخُلُ بَيْتَكَ لَمْ يَدْخُلْهُ شَيْطَانٌ، فَصَارَعَهُ فَصَرَعَهُ، فَقَالَ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، كَأَنَّ ذِرَاعَيْكَ ذِرَاعَا كَلْبٍ، أَهَكَذَا أَنْتُمْ أَيُّهَا الْجِنُّ، أَمْ أَنْتَ مِنْ بَيْنِهِمْ، قَالَ إِنِّي فِيهِمْ لَصَلِيعٌ فَعَاوَدَنِي فَعَاوَدَهُ فَصَرَعَهُ الْإِنْسِيُّ قَالَ تَقْرَأُ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، فَإِنَّهُ لَا يَقْرُؤُهَا أَحَدٌ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ إِلَّا خَرَجَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ خِجِيجٌ كَخِجِيجِ الْحِمَارِ فَقِيلَ لَابْنِ مَسْعُودٍ أَهْوَى عُمَرُ قَالَ مَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ إِلَّا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمِنْ ذَلِكَ مَا فِي مَجِيءِ الشَّيْطَانِ فِي صُورَةِ شَيْخٍ نَجْدِي فِي دَارِ النَّدْوَةِ.

وَمِنْ قِصَّتِهَا أَنَّهُ اجْتَمَعَ قُرَيْشٌ لِلتَّشَاوُرِ فِي أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْأَخْبَارِ هَاجَرَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَابْنِهِ وَأَخِيهِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ، وَعُمَانَ بْنِ عَفَّانٍ، وَطَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَحَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلِبِ، عَمَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَغَيْرِهِمْ.

وَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ أَصْحَابِهِ يَنْتَظِرُ الْأَذْنَ فِي الْهَجْرَةِ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ مَعَهُ بِمَكَّةَ أَحَدٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، إِلَّا مَنْ حُبِسَ، أَوْ فُتِنَ، إِلَّا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ كَثِيرًا مَا يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَيَقُولُ لَهُ لَا تَعْجَلْ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لَكَ صَاحِبًا، فَيَطْمَعُ أَبُو بَكْرٍ إِنْ يَكُونُ هُوَ.

وَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ شِيعَةً، وَأَصْحَابًا مِنْ غَيْرِ بِلَدِهِمْ، وَرَأَوْا خُرُوجَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَيْهِمْ، حَذَرُوا خُرُوجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعَلِمُوا أَنَّهُ قَدْ أَجْمَعَ لِحَرْبِهِمْ فَاجْتَمَعُوا فِي دَارِ النَّدْوَةِ، وَهِيَ دَارُ قُصَيِّ بْنِ كِلَابٍ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ لَا تَقْضِي أَمْرًا إِلَّا فِيهَا يَتَشَاوَرُونَ فِيمَا يَصْنَعُونَ، بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ خَافُوهُ.

قال ابن عباسٍ لَمَّا خَرَجُوا فِي الْيَوْمِ الَّذِي اتَّعَدُوا لَهُ، كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ

يُسَمَّى يَوْمَ الرَّحْمَةِ، فَاعْتَرَضَ إبليسُ فِي هَيْئَةِ شَيْخِ جَلِيلٍ، عَلَيْهِ بَتْلَةٌ أَيْ كِسَاءٌ غَلِيظٌ، فَوَقَفَ عَلَى بَابِ الدَّارِ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا مِنَ الشَّيْخِ، قَالَ شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ، سَمِعَ بِالذِّي اتَّعَدْتُمْ لَهُ، فَجَاءَ لِيَسْمَعَ مَا تَقُولُونَ، وَعَسَى أَنْ لَا يَعِدْكُمْ مِنْهُ رَأْيًا، وَنُصْحًا، قَالُوا فَادْخُلْ.

وَقَدْ اجْتَمَعَ أَشْرَافُ قُرَيْشٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ، وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَأْمَنُهُ عَنِ الوُثُوبِ عَلَيْنَا، فَأَجْمَعُوا فِيهِ رَأْيًا، فَقَالَ قَائِلٌ أَحْبِسُوهُ فِي الْحَدِيدِ وَأَغْلِقُوا عَلَيْهِ بَابًا، ثُمَّ تَرَبَّصُوا بِهِ مَا أَصَابَ أَمثَالَهُ مِنَ الشُّعْرَاءِ مِنَ المَوْتِ، فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ لَا وَاللَّهِ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ، وَاللَّهِ لَنْ حَبَسْتُمُوهُ كَمَا تَقُولُونَ لِيَخْرُجَنَّ أَمْرُهُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَيُثْبِتُوا عَلَيْكُمْ فَيَنْزِعُوهُ مِنْكُمْ، مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ فَانظُرُوا فِي غَيْرِهِ.

فَتَشَاوَرُوا، ثُمَّ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ نُخْرِجُهُ عَنِ بِلَادِنَا، ثُمَّ إِذَا خَرَجَ فَوَاللَّهِ لَا نُبَالِي أَيْنَ ذَهَبَ، فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ لَا وَاللَّهِ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ أَلَمْ تَرَوْا حُسْنَ حَدِيثِهِ، وَحَلَاوَةَ مَنْطِقِهِ، وَغَلَبَتُهُ عَلَى قُلُوبِ الرِّجَالِ بِمَا يَأْتِي بِهِ، وَاللَّهِ مَا هُوَ رَأْيٍ.

فَقَالَ: أَبُو جَهْلٍ وَاللَّهِ إِنَّ لِي رَأْيًا، قَالُوا وَمَا هُوَ يَا أَبَا الْحَكَمِ قَالَ أَرَى أَنْ نَأْخُذَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ شَابًا، ثُمَّ نُعْطِي كُلَّ فِتَى سَيْفًا، ثُمَّ يَعْمِدُوا إِلَيْهِ فَيَضْرِبُوهُ بِهَا ضَرْبَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَيَقْتُلُوهُ فَتَسْتَرِيحُوا مِنْهُ فَإِنَّهُمْ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ تَفَرَّقَ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ جَمِيعًا، فَلَمْ يَقْدِرْ بَنُو عَبْدِ مَنَاةٍ عَلَى حَرْبِ قَوْمِهِمْ جَمِيعًا، فَرَضُوا بِالْعَقْلِ فَعَقَلْنَا لَهُمْ.

فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ هَذَا هُوَ الرَّأْيُ الَّذِي لَا أَرَى غَيْرَهُ، فَتَفَرَّقَ القَوْمُ عَلَى ذَلِكَ، فَأَتَى جَبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ لَا تَبِيتَ اللَّيْلَةَ عَلَى فِرَاشِكَ، فَلَمَّا كَانَ عَتَمَةٌ مِنَ اللَّيْلِ، اجْتَمَعُوا عَلَى بَابِهِ يَرْقُبُونَهُ حَتَّى يَنَامَ فَيُثْبِتُونَ عَلَيْهِ.

فَلَمَّا رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَكَانَهُمْ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ نَمْ عَلَى فِرَاشِي وَتَسَحَّ بِرِدَائِي الْأَخْضَرَ، فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا عَلَى بَابِهِ قَالَ أَبُو جَهْلٍ إِنَّ مُحَمَّدًا يَزْعُمُ أَنَّكُمْ إِنْ تَابَعْتُوهُ عَلَى أَمْرِهِ كُنْتُمْ مُلُوكَ الْعَرَبِ، وَالْعَجَمِ ثُمَّ بُعِثْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ وَجُعِلَتْ لَكُمْ جَنَّاتُ كَعْنَاتِ الْأَرْدُنِ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ فِيكُمْ ذَبْحٌ، ثُمَّ بُعِثْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ، ثُمَّ جُعِلَتْ لَكُمْ نَارٌ تُحْرَقُونَ فِيهَا.

قَالَ وَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخَذَ حَفْنَةً مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ نَعَمْ أَنَا أَقُولُ ذَلِكَ أَنْتَ أَحَدُهُمْ فَأَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَبْصَارِهِمْ عَنْهُ فَلَا يَرَوْنَهُ وَجَعَلَ يَنْثُرُ ذَلِكَ التُّرَابَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، وَهُوَ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ﴿يَسَ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَاعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾، وَلَمْ يُبْقِ مِنْهُمْ رَجُلًا إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تُرَابًا.

ثُمَّ انْصَرَفَ فَأَتَاهُمْ آتٍ فَقَالَ مَا تَنْتَظِرُونَ هَهُنَا، قَالُوا مُحَمَّدًا قَالَ خَبَيْكُمُ اللَّهُ، وَاللَّهُ خَرَجَ عَلَيْكُمْ مُحَمَّدٌ ثُمَّ مَا تَرَكَ مِنْكُمْ رَجُلًا إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تُرَابًا، وَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ.

قَالَ فَوَضَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ فَإِذَا عَلَيْهِ تُرَابٌ، ثُمَّ جَعَلُوا يَتَطَلَّعُونَ، فَيَرُونَ عَلِيًّا عَلَى الْفِرَاشِ مُسَجًى بِبُرْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَقُولُونَ وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا لَمُحَمَّدٌ نَائِمًا فِي بُرْدِهِ، فَلَمْ يَبْرَحُوا كَذَلِكَ حَتَّى أَصْبَحُوا.

فَقَامَ عَلِيٌّ عَنِ الْفِرَاشِ فَقَالُوا وَاللَّهِ لَقَدْ صَدَقْنَا الَّذِي كَانَ حَدَّثَنَا وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ وَالشَّاهِدُ هُوَ مَجِيءُ الشَّيْطَانِ وَرُؤْيِيَّتُهُ وَكَلَامُهُ وَهُوَ أَبُو الْعَجَنِ لَعْنَةُ اللَّهِ.

وَمِنْ ذَلِكَ صِيَاحُ ابْنِ لَيْسَ يَوْمَ أُحُدٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قُتِلَ، فَلَمْ يُشَكَّ فِي ذَلِكَ، حَتَّى طَلَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ السَّعْدَيْنِ، قَالَ الرَّاويُّ نَعْرِفُهُ بِكَتِفَيْهِ إِذَا

مَشَى قَالَ فَفَرِحْنَا حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يُصِيبْنَا مَا أَصَابَنَا، فَأَوْمَأَ نَحْوَنَا.. الحديث .
 وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
 «إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَلْيَتَوَضَّأْ وَلْيَسْتَنْبِثْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ
 يَبِيْتُ عَلَى حَيَاشِيَمِهِ» متفق عليه .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ فَصَلَّى
 صَلَاةَ الصُّبْحِ وَهُوَ خَلْفُهُ فَقَرَأَ فَالتَّبَسَّتْ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةُ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ لَوْ
 رَأَيْتُمُونِي وَإِبْلِيسَ فَأَهْوَيْتُ بِيَدِي فَمَا زِلْتُ أَخْنِقُهُ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ لُعَابِهِ بَيْنَ
 أَصْبَعِي هَاتَيْنِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا وَلَوْ لَا دَعْوَةُ أَخِي سُلَيْمَانَ أَصْبَحَ مَرْبُوطًا
 بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ يَتَلَاعَبُ بِهِ صَبِيَانُ الْمَدِينَةِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصَلِّ» : وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ وَالْجِنُّ يَتَصَوَّرُونَ فِي صُورِ الْإِنْسِ،
 وَالبَهَائِمُ فَيَتَصَوَّرُونَ فِي صُورِ الْحَيَاتِ، وَالْعَقَارِبِ، وَغَيْرِهَا، وَفِي صُورِ الْإِبْلِ،
 وَالبَقَرِ وَالغَنَمِ، وَالحَيْلِ، وَالبِغَالِ، وَالحَمِيرِ، وَفِي صُورِ الطَّيْرِ، وَفِي صُورِ بَنِي
 آدَمَ، كَمَا أَتَى الشَّيْطَانُ قُرَيْشًا فِي صُورَةِ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ قَشَمٍ، لَمَّا أَرَادُوا
 الخُرُوجَ إِلَى بَدْرٍ، قَالَ تَعَالَى : ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ
 لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ .

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِهِ مَكَايِدِ الشَّيْطَانِ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ مِنْ
 أَمْرَاءِ مُعَاوِيَةَ غَضِبَ ذَاتَ لَيْلَةٍ عَلَى ابْنِهِ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ مَنْزِلِهِ فَخَرَجَ الْعَلَامُ
 لَا يَدْرِي أَيْنَ يَذْهَبُ، فَجَلَسَ وَرَاءَ الْبَابِ مِنْ خَارِجٍ، فَنَامَ سَاعَةً ثُمَّ اسْتَيْقَظَ،
 وَبَابُهُ يَحْمِشُهُ هَرُّ أَسْوَدٍ بَرِّيٍّ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ الْهَرُّ الَّذِي فِي مَنْزِلِهِمْ .

فَقَالَ لَهُ الْبَرِّيُّ وَيَحَكَ أَفْتَحْ، فَقَالَ لَا أَسْتَطِيعُ فَقَالَ وَيَحَكَ أَتَيْتَنِي بِشَيْءٍ
 أَتَبْلَعُ بِهِ، فَإِنِّي جَائِعٌ وَأَنَا تَعْبَانٌ، هَذَا أَوْأَنْ مَجِيئِيءٍ مِنَ الْكُوفَةِ وَقَدْ حَدَثَ اللَّيْلَةُ

حَدَّثَ عَظِيمٌ، قُتِلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ فَقَالَ لَهُ الْهَرُ الْأَهْلِيُّ وَاللَّهُ إِنْهُ لَيْسَ شَيْءٌ هَاهُنَا، إِلَّا وَقَدْ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، غَيْرَ سَفُودٍ كَانُوا يَشُوونَ عَلَيْهِ اللَّحْمَ.

فَقَالَ ابْنُنِي بِهِ فَجَاءَهُ فَجَعَلَ يَلْحَسُهُ حَتَّى أَخَذَ حَاجَتَهُ وَانصَرَفَ وَذَلِكَ بِمَرَأَى مِنَ الْعُلَامِ، وَسَمِعَ، فَقَامَ إِلَى الْبَابِ فَطَرَقَهُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَبُوهُ، فَقَالَ مَنْ فَقَالَ افْتَحْ، فَقَالَ وَيْحَكَ مَا لَكَ، فَقَالَ افْتَحْ فَفَتَحَ فَقَصَّ عَلَيْهِ خَبَرَ مَا رَأَى.

فَقَالَ وَيْحَكَ أَمَنَّا هَذَا، قَالَ لَا وَاللَّهِ قَالَ وَيْحَكَ، فَأَصَابَكَ جُنُونٌ بَعْدِي، قَالَ لَا وَاللَّهِ، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ كَمَا وَصَفْتَ لَكَ.

فَاذْهَبْ إِلَى مُعَاوِيَةَ الْآنَ فَاتَّخِذْ عِنْدَهُ بِمَا قُلْتُ لَكَ، فَذَهَبَ الرَّجُلُ فَاسْتَأْذَنَ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَأَخْبَرَهُ خَبَرَ مَا ذَكَرَ لَهُ وَلَدَهُ، فَأَرْحُوا ذَلِكَ عِنْدَهُمْ قَبْلَ مَجِيءِ الْبُرْدِ، وَلَمَّا جَاءَتِ الْبُرْدُ وَجَدُوا مَا أَخْبَرَهُمْ قَبْلَ مَجِيءِ الْبُرْدِ، وَلَمَّا جَاءَتِ الْبُرْدُ وَجَدُوا مَا أَخْبَرُوهُمْ بِهِ مُطَابِقًا لِمَا كَانَ خَبَرَ بِهِ الْعُلَامُ.

وَرُوِيَ أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ بَالَ بِجُحْرِ بِالشَّامِ ثُمَّ اسْتَلْقَى مَيِّتًا فَسَمِعَ مِنْ بِنْتٍ بِالْمَدِينَةِ قَائِلًا يَقُولُ نَحْنُ قَتَلْنَا سَيِّدَ الْخَزْرَجِ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، رَمَيْنَاهُ بِسَهْمَيْنِ فَلَمْ نُحْطِي فُؤَادَهُ، فَحَفِظُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ سَعْدٌ فَوَجَدُوهُ الْيَوْمَ الَّذِي سُمِعَ فِيهِ الْخَبَرُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِتَدْبِيرِ كِتَابِكَ وَإِطَالَةِ التَّأَمُّلِ فِيهِ وَجَمْعِ الْفِكْرِ عَلَى مَعَانِي آيَاتِهِ. اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قَوَاعِدَ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِنَا وَشَيِّدْ فِيهَا بُنْيَانَهُ وَوَطِّدْ فِيهَا أَرْكَانَهُ وَاللَّهُمَّ ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمُعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مَنْ نَوْمِ الْعَفْلَةِ وَتَبَهَّنَا لِاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهَلَّةِ وَوَفَّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَذُنُوبِنَا وَلَا تُؤَاخِزْنَا بِمَا انطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْتَنَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعَلَّمَهَا مِنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصْلٌ»

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ولا ريب أنَّ الأوثانَ يَحْصُلُ عندها من الشياطين، وَخِطَابِهِمْ، وَتَصَرُّفِهِمْ ما هُوَ من أسباب ضلال بني آدم، وَجَعَلَ الْقُبُورِ أَوْثَانًا، هُوَ أَوَّلُ الشَّرِّكَ، وَلِهَذَا يَحْصُلُ عِنْدَ الْقُبُورِ لِبَعْضِ النَّاسِ مِنْ خِطَابٍ يَسْمَعُهُ، وَشَخْصٍ يَرَاهُ، وَتَصَرُّفٍ عَجِيبٍ، مَا يَظُنُّ أَنَّهُ مِنَ الْمَيِّتِ .

وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ، مِثْلُ أَنْ يَرَى الْقَبْرَ قَدْ انشَقَّ، وَخَرَجَ مِنْهُ الْمَيِّتُ، وَكَلَّمَهُ وَعَانَقَهُ وَهَذَا يُرَى عِنْدَ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ وَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَتَصَوَّرُ بِصُورِ الْإِنْسِ، وَيَدَّعِي أَحَدَهُمْ أَنَّهُ النَّبِيُّ فَلَانٌ أَوْ الشَّيْخُ فَلَانٌ وَيَكُونُ كاذبًا فِي ذَلِكَ .

وَفِي هَذَا الْبَابِ مِنَ الْوَقَائِعِ مَا يَضِيقُ هَذَا الْمَوْضِعَ عَنْ ذِكْرِهِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ جَدًّا، وَالْجَاهِلُ يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ الَّذِي رَأَاهُ قَدْ خَرَجَ مِنَ الْقَبْرِ وَعَانَقَهُ أَوْ كَلَّمَهُ هُوَ الْمَقْبُورُ أَوْ النَّبِيُّ، أَوْ الصَّالِحُ، أَوْ غَيْرُهُمَا، وَالْمُؤْمِنُ الْعَظِيمُ يَعْلَمُ أَنَّهُ شَيْطَانٌ، وَيَتَبَيَّنُ ذَلِكَ بِأُمُورٍ :

أَحَدُهَا أَنْ يَقْرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ بِصِدْقٍ، فَإِذَا قَرَأَهَا تَعَيَّبَ ذَلِكَ الشَّخْصُ، أَوْ سَاخَ فِي الْأَرْضِ، أَوْ احْتَجَبَ، وَلَوْ كَانَ رَجُلًا صَالِحًا أَوْ مَلَكًا أَوْ جِنِّيًّا مُؤْمِنًا لَمْ تَضُرَّهُ آيَةُ الْكُرْسِيِّ، وَإِنَّمَا تَضُرُّ الشَّيَاطِينَ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ إِقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ إِذَا أَوَيْتَ فِرَاشَكَ، فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ صَدَقَ وَهُوَ كَذُوبٌ .

وَمِنْهَا أَنْ يَسْتَعِينَدَ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيَاطِينِ .

وَمِنْهَا أَنْ يَسْتَعِينَدَ بِالْعُودَةِ الشَّرْعِيَّةِ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ كَانَتْ تَعْرِضُ لِلْأَنْبِيَاءِ فِي حَيَاتِهِمْ، وَتُرِيدُ أَنْ تُؤْذِيَهُمْ، وَتُفْسِدَ عِبَادَتَهُمْ كَمَا جَاءَتْ الْجِنُّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِشُعْلَةٍ مِنْ نَارٍ تُرِيدُ أَنْ تَحْرِفَهُ، فَاتَاهُ جَبْرِيْلٌ بِالْعُودَةِ الْمَعْرُوفَةِ، الَّتِي تَضَمَّنَهَا

الْحَدِيثُ الْمَرْوِيُّ عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ أَنَّهُ قَالَ سَأَلَ رَجُلٌ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ حُبَيْشٍ ،
 وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ أَذْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ كَيْفَ صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ كَادَتْهُ
 الشَّيَاطِينُ ، قَالَ تَحَدَّرْتُ عَلَيْهِ مِنَ الشَّعَابِ ، وَالْأُودِيَةِ ، وَفِيهِمْ شَيْطَانٌ مَعَهُ شُعْلَةٌ
 مِنْ نَارٍ ، يُرِيدُ أَنْ يُحْرِقَ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ .

قَالَ فَرَعِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ قُلْ
 مَا أَقُولُ ، قَالَ قُلْ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ ، الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ ،
 مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ، وَذَرَأً وَبَرًّا وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ
 فِيهَا ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ فِيهَا ، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ
 وَالنَّهَارِ ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ يَطْرُقُ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِحَيْرٍ يَارْحَمَنَ .

قَالَ فَطَفَعْتُ نَارَهُمْ ، وَهَزَمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي
 الدَّرْدَاءِ أَنَّهُ قَالَ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي ، فَسَمِعَنَاهُ يَقُولُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ، ثُمَّ
 قَالَ أَلْعُنْكَ بَلْعَنِهِ اللَّهُ ثَلَاثًا ، وَبَسَطَ يَدَهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ ، قُلْنَا
 يَا رَسُولَ اللَّهِ سَمِعْنَاكَ تَقُولُ شَيْئًا فِي الصَّلَاةِ لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُ قَبْلَ ذَلِكَ ،
 وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ .

قَالَ إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ إبليسُ جَاءَ بِشَهَابٍ مِنْ نَارٍ ، لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِهِ ، فَقُلْتُ
 أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ قُلْتُ أَلْعُنْكَ بَلْعَنَةِ اللَّهِ التَّامَّةِ فَاسْتَأْخَرَ ، ثُمَّ
 أَرَدْتُ أَنْ أَخْذَهُ ، وَلَوْلَا دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ لَاصْبَحَ مُوثِقًا يَلْعَبُ بِهِ وَلِدَانُ
 الْمَدِينَةِ .

وَكَثِيرًا مِنَ الْعِبَادِ يَرَى الْكَعْبَةَ تَطُوفُ بِهِ وَيَرَى عَرْشًا عَظِيمًا ، وَعَلَيْهِ صُورَةٌ
 عَظِيمَةٌ ، وَيَرَى أَشْخَاصًا تَصْعَدُ ، وَتَنْزِلُ فَيَطُفُّهَا الْمَلَائِكَةُ وَيَطْنُ أَنْ تِلْكَ
 الصُّورَةُ هِيَ اللَّهُ ، تَعَالَى ، وَتَقَدَّسَ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ شَيْطَانًا .

وَقَدْ جَرَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ لِغَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ

وَعَرَفَ أَنَّهُ الشَّيْطَانُ، كَالشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ فِي حِكَايَتِهِ الْمَشْهُورَةِ، حَيْثُ قَالَ كُنْتُ مَرَّةً فِي الْعِبَادَةِ فَرَأَيْتُ عَرْشاً عَظِيماً، وَعَلَيْهِ نُورٌ، فَقَالَ لِي يَا عَبْدَ الْقَادِرِ، أَنَا رَبُّكَ، وَقَدْ حَلَلْتُ لَكَ مَا حَرَّمْتُ عَلَى غَيْرِكَ، قَالَ فَقُلْتُ لَهُ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَحْسَبُ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، قَالَ فَتَمَزَّقَ ذَلِكَ الثَّورُ، وَصَارَ ظُلْمَةً، وَقَالَ يَا عَبْدَ الْقَادِرِ نَجَوْتُ مِنِّي بِفَقْهِكَ فِي دِينِكَ، وَعِلْمِكَ وَمُنَازَلَتِكَ، فِي أَحْوَالِكَ، لَقَدْ فَتَنْتُ بِهِدِهِ الْقِصَّةَ سَبْعِينَ رَجُلًا.

فَقِيلَ لَهُ كَيْفَ عَلِمْتَ أَنَّهُ الشَّيْطَانُ، قَالَ بِقَوْلِهِ لِي حَلَلْتُ لَكَ مَا حَرَّمْتُ عَلَى غَيْرِكَ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ شَرِيْعَةَ مُحَمَّدٍ لَا تُنْسَخُ وَلَا تُبَدَّلُ، وَلِأَنَّهُ قَالَ أَنَا رَبُّكَ، وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَقُولَ أَنَا اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ الْمَرِيَّ هُوَ اللَّهُ وَصَارَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ اللَّهَ تَعَالَى، فِي الْيَقِظَةِ، وَمُسْتَنَدُهُمْ مَا شَاهَدُوهُ، وَهُمْ صَادِقُونَ فِيمَا يُخْبِرُونَ بِهِ، وَلَكِنْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الشَّيْطَانُ.

وَهَذَا قَدْ وَقَعَ كَثِيرًا لِطَوَائِفِ مِنْ جُهَالِ الْعِبَادِ يَظُنُّ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَرَى اللَّهَ تَعَالَى بِعَيْنِهِ فِي الدُّنْيَا لِأَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ رَأَى مَا ظَنَّ أَنَّهُ اللَّهُ وَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ.

وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ مَنْ رَأَى مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ نَبِيٌّ أَوْ رَجُلٌ صَالِحٌ أَوْ الْحَضْرُ وَكَانَ شَيْطَانًا قَالَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ مَلَكٌ وَالْمَلَكُ يَتَمَيَّزُ عَنِ الْجِنِّيِّ بِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ وَالْجِنُّ فِيهِمُ الْكُفَّارُ وَالْفُسَّاقُ وَالْجُهَالُ وَفِيهِمُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّبِعُونَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ فَكَثِيرًا مِمَّنْ لَمْ يَعْرِفْ أَنَّ هَؤُلَاءِ جِنٌّ وَشَيْطَانِينَ يَعْتَقِدُهُمْ مَلَائِكَةً وَإِنَّمَا هُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ.

قَالَ وَالشَّيَاطِينُ يُوَالُونَ مَنْ يَفْعَلُ مَا يُحِبُّونَهُ مِنَ الشِّرْكِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ فَتَارَةً يُخْبِرُونَهُ بِبَعْضِ الْأُمُورِ الْعَائِبَةِ، لِيُكَاشِفَ بِهَا، وَتَارَةً يُؤْذُونَ مَنْ يُرِيدُ أَذَاهُ، بِقَتْلِ، أَوْ تَمْرِيطِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَ تَارَةً يَجْلِبُونَ لَهُ مَا يُرِيدُ، مِنَ الْإِنْسِ وَتَارَةً يَسْرِقُونَ لَهُ مَا يَسْرِقُونَهُ مِنْ

أَمْوَالِ النَّاسِ مِنْ نَقْدٍ وَطَعَامٍ، وَثِيَابٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَيَعْتَقِدُ أَنَّهُ مِنْ كَرَامَاتِ
الْأَوْلِيَاءِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ مَسْرُوقًا.

وَتَارَةً يَحْمِلُونَهُ فِي الْهَوَاءِ فَيَذْهَبُونَ بِهِ إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَذْهَبُونَ
بِهِ إِلَى مَكَّةَ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ، وَيَعُودُونَ بِهِ فَيَعْتَقِدُ هَذَا كَرَامَةً، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَحُجَّ حَجَّ
الْمُسْلِمِينَ لَا أَحْرَمَ وَلَا لَبَى وَلَا طَافَ بِالْبَيْتِ وَلَا بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَمَعَ أَنَّ
هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الضَّلَالِ انْتَهَى باختصار.

اللَّهُمَّ أَنْظُمْنَا فِي سِلْكِ حَزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ، واجعلنا من عبادك المخلصين
وَأَمَّا يَوْمَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ، واحشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«مَوْعِظَةٌ»

«فِي التَّحْذِيرِ عَنِ الْإِهْمَاكِ فِي الدُّنْيَا وَلَذَاتِهَا وَشَهَوَاتِهَا»

عِبَادَ اللَّهِ إِنْ مَنْ نَظَرَ إِلَى الدُّنْيَا بَعَيْنِ البَصِيرَةِ أَيْقَنَ أَنَّ نَعِيمَهَا ابْتِلَاءٌ،
وَحَيَاتُهَا عَنَاءٌ وَعَيْشُهَا نَكْدٌ، وَصَفْوَهَا كَدْرٌ وَأَهْلُهَا مِنْهَا عَلَى وَجَلٍ إِمَّا بِنِعْمَةٍ
زَائِلَةٍ، أَوْ بِلِيَّةٍ نَازِلَةٍ أَوْ مَنِيَّةٍ قَاضِيَةٍ.

مَسْكِينٌ مَنْ اطمأنَّ وَرَضِيَ بِدَارِ حَلَالِهَا حِسَابًا، وَحَرَامِهَا عِقَابًا، إِنْ
أَخَذَهُ مِنْ حَلَالٍ حُوسِبَ عَلَيْهِ، وَإِنْ أَخَذَهُ مِنْ حَرَامٍ عُدِّبَ بِهِ، مَنْ اسْتَعْنَى فِي
الدُّنْيَا فُتِنَ، وَمَنْ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ، مَنْ أَحَبَّهَا أَذَلَّتْهُ، وَمَنْ التَفَّتْ إِلَيْهَا وَنَظَرَهَا
أَعْمَتَتْهُ.

شِعْرًا: «لَوْ كُنْتَ رَائِدَ قَوْمٍ ظَاعِنِينَ إِلَى دُنْيَاكَ هَدَى لَمَا أَلْفَيْتَ كَذَابًا»
«لَقُلْتَ تِلْكَ بَلَاءٌ نَبَتْهَا سَقَمٌ وَمَاوُهَا الْعَذْبُ سُمٌّ لِفَتَى ذَابًا»

وَكَمْ كُشِفَ لِلسَّامِعِينَ عَن حَقِيقَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ لَهُمْ قَصْرَ مُدَّتِهَا وَانْقِضَاءَ
لَدَّتِهَا بِمَا يُضْرَبُ مِنَ الْأَمْثَالِ الْحِسِّيَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿اعْلَمُوا إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ
أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ
شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ۝﴾ .

قال بعضهم:

مَيَّزْتُ بَيْنَ جَمَالِهَا وَفِعَالِهَا فَإِذَا الْمَلَا حَةَ بِالْقَبَاحَةِ لَا تَفِي
حَلَفْتُ لَنَا أَنْ لَا نَحُونُ عُهُودَنَا فَكَأَنَّهَا لَنَا أَنْ لَا تَفِي
آخِر: أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا غَضَارَةٌ أَيَكَّةُ إِذَا اخْضَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ جَفَّ جَانِبُ
هِيَ الدَّارُ مَا الْأَمَالُ إِلَّا فَجَائِعُ عَلَيْهَا وَمَا اللَّذَاتُ إِلَّا مَصَائِبُ
فَكَمْ سَخِنَتْ بِالْأَمْسِ عَيْنٌ قَرِيرَةٌ وَقَرَّتْ عُيُونٌ دَمَعُهَا الْآنَ سَاكِبُ
فَلَا تَكْتَحِلُ عَيْنَاكَ مِنْهَا بِعَبْرَةٍ عَلَى ذَاهِبٍ مِنْهَا فَإِنَّكَ ذَاهِبُ
آخِر: لِلْمَوْتِ فِينَا سِبْهَامٌ غَيْرُ مُحْطِئَةٌ مَنْ فَاتَهُ الْيَوْمَ سَهْمٌ لَمْ يَفُتْهُ غَدَا
مَا ضَرَّ مَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا وَغَدَرَتْهَا أَنْ لَا يُنَافِسَ فِيهَا أَهْلَهَا أَبَدَا
آخِر: لَحَى اللَّهُ ذِي الدُّنْيَا مَرَادًا وَمَنْزِلًا فَمَا أَغْدَرَ الْمَثْوَى وَمَا أَوْبَأَ الْمَرْعَى
تَدَلَّلَ كَالْحَسَنَاءِ فِي حُسْنٍ وَجْهَهَا وَلَكِنَّهَا فِي فُبْحٍ أَفْعَالِهَا أَفْعَى
نَرَى أَنَّنَا نَسْعَى لِخَيْرٍ نَنَالُهُ وَقَدْ وَطِئَتْ أَقْدَامُنَا حَيَّةً نَسْعَى

«فَصْلٌ»

شَرَحَ لَنَا الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ حَالَ الدُّنْيَا الَّتِي إِفْتَتَنَ النَّاسُ بِهَا
الَّذِينَ قَصُرَ نَظَرُهُمْ وَبَيَّنَّ أَنَّهَا مِنْ مُحَقَّرَاتِ الْأُمُورِ الَّتِي لَا يَرَكُنُ إِلَيْهَا الْعُقَلَاءُ
فَضْلًا عَنِ الْإِفْتِنَانِ بِهَا وَالْإِنْهَمَاكِ فِي طَلَبِهَا وَقَتْلِ الْوَقْتِ فِي تَحْصِيلِهَا بِأَنَّهَا لَعِبٌ
لَا ثَمَرَةَ فِيهِ سِوَى التَّعَبِ، وَلَهُوَ تَشْغُلُ صَاحِبِهَا وَتُلْهِيهِ عَمَّا يَنْفَعُهُ فِي آخِرَتِهِ،

وَزِينَتَهُ لَا تُفِيدُ الْمَفْتُونَ بِهَا شَرَفًا ذَاتِيًّا كَالْمَلَابِسِ الْجَمِيلَةِ وَالْمَرَائِبِ الْبَهِيَّةِ
وَالْمَنَازِلِ الرَّفِيعَةِ الْوَاسِعَةِ، وَتَفَاخُرُ بِالْأَنْسَابِ وَالْعِظَامِ الْبَالِيَةِ وَمُبَاهَاتِ بِكَثْرَةِ
الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِظَمِ الْجَاهِ .

ثُمَّ أَشَارَ جَلَّ شَأْنُهُ إِلَى أَنَّهَا مَعَ ذَلِكَ سَرِيعَةُ الزَّوَالِ، قَرِيبَةُ الْاضْمِحْلَالِ،
كَمَثَلِ غَيْثِ رَاقِ الزُّرَاعِ نَبَاتُهُ النَّاشِئُ بِهِ، ثُمَّ يَهْيِجُ وَيَتَحَرَّكُ وَيَنُمُو إِلَى أَقْصَى
مَا قَدَّرَهُ اللَّهُ لَهُ فَسَرَّعَانَ مَا تَرَاهُ مُصْفَرًّا مُتَعَيِّرًا ذَابِلًا بَعْدَمَا رَأَيْتُهُ أَخْضَرَ نَاضِرًا،
ثُمَّ يَصِيرُ مِنَ الْيُسْرِ هَشِيمًا مُتَكَسِّرًا، فَفِيهِ تَشْبِيهُ جَمِيعِ مَا فِي الدُّنْيَا مِنَ السِّنِينَ
الْكَثِيرَةِ بِمُدَّةِ نَبَاتِ غَيْثٍ وَاحِدٍ يَفْتَى وَيَضْمَجِلُ وَيَتَلَاشَى فِي أَقَلِّ مِنْ سَنَةٍ .

إِشَارَةٌ إِلَى سُرْعَةِ زَوَالِهَا وَقُرْبِ فَنَائِهَا، وَبَعْدَ مَا بَيَّنَّ جَلَّ وَعَلَا حَقَّارَةَ
الدُّنْيَا وَسُرْعَةَ زَوَالِهَا تَزْهِيدًا فِيهَا، وَتَنْفِيرًا وَتَحْذِيرًا مِنَ الْإِنْهَمَاكِ فِي طَلَبِهَا أَشَارَ
إِلَى فَحَامَةِ شَأْنِ الْآخِرَةِ وَفِطَاعَةِ مَا فِيهَا مِنَ الْآلَامِ وَعِظَمِ مَا فِيهَا مِنَ اللَّذَاتِ
تَرْهِيبًا مِنْ عَذَابِهَا الْأَلِيمِ، وَتَرْغِيبًا فِي تَحْصِيلِ النِّعَمِ الْمُقِيمِ وَالْعَيْشِ السَّلِيمِ مِمَّا
لَا عَيْنَ رَأَتْ وَلَا أُذُنَ سَمِعَتْ وَلَا حَظَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ .

وَالنَّاسُ فِيهَا قِسْمَانِ فُطِنَاءُ قَدْ وَفَّقَهُمُ اللَّهُ فَعَلِمُوا أَنَّهَا ظِلٌّ زَائِلٌ وَنَعِيمٌ حَائِلٌ
وَأَضْعَاطٌ أَحْلَامٌ، بَلْ فَهَمُوا أَنَّهَا نِعَمٌ فِي طَيْبِهَا نِعْمٌ، وَعَرَفُوا أَنَّهَا حَيَاةٌ فَانِيَّةٌ،
وَأَنَّهَا مَعْبَرٌ وَطَرِيقٌ إِلَى الْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ، فَرَضُوا مِنْهَا بِالْيَسِيرِ، وَقَعَعُوا مِنْهَا بِالْقَلِيلِ،
فَاسْتَرَاحَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ هَمِّهَا وَأَحْزَانِهَا وَاسْتَرَاحَتْ أَبْدَانُهُمْ مِنْ نَصَبِهَا،
وَعَنَائِهَا، وَسَلِمَ لَهُمْ دِينُهُمْ، وَكَانُوا عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْمَحْمُودِينَ، فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ
دُنْيَاهُمْ عَنْ طَاعَةِ مَوْلَاهُمْ .

جَعَلُوا النَّفْسَ الْآخِرَةَ وَمَا وَرَاءَهُ نَصَبَ أَعْيُنِهِمْ، وَتَدَبَّرُوا مَاذَا يَكُونُ
مَصِيرُهُمْ، وَفَكَّرُوا كَيْفَ يَخْرُجُونَ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِيمَانُهُمْ سَأَلَمَ لَهُمْ وَمَا الَّذِي
يَبْقَى مَعَهُمْ مِنْهَا فِي قُبُورِهِمْ، وَمَا الَّذِي يَتْرُكُونَهُ لِأَعْدَائِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَمَنْ
لَا يُعْنِيهِمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾، ﴿يَوْمَ لَا يُعْنِي مَوْلَا عَنْ

مَوْلَا شَيْعًا ﴿﴾ ، ﴿﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿﴾ وَيَقْبِي عَلَيْهِمْ وَبَالَ مَا جَمَعُوا وَمَا عَمَرُوا فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ .

أَدْرَكُوا كُلَّ هَذَا فَتَاهَبُوا لِلسَّفَرِ الطَّوِيلِ وَأَعَدُّوا الْجَوَابَ لِلْحِسَابِ ، وَقَدَّمُوا الزَّادَ لِلْمَعَادِ وَخَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ، فَطُوبَى لَهُمْ خَافُوا فَأَمِنُوا وَأَحْسَنُوا فَفَازُوا وَأَفْلَحُوا وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ يَدُمُ الدُّنْيَا وَيُحْدَرُ عَنْهَا .

شِعْرًا: وَلَمْ يَطْلُبْ عَلُوَّ الْقَدْرِ فِيهَا
وَإِنْ نَالَ النُّفُوسَ مِنَ الْمَعَالِي
إِذَا بَلَغَ الْمُرَادَ عَلًّا وَعِزًّا
كَقَصْرِ قَدْ تَهَدَّمَ حَافَتَاهُ
أَقُولُ وَقَدْ رَأَيْتُ مُلُوكَ عَصْرِي
آخِرًا: هِيَ الدُّنْيَا تَقُولُ بِمِلءِ فِيهَا
فَلَا يَغْرُرُ كُمُومَانِي ابْتِسَامًا
آخِرًا: أَفْ مِنَ الدُّنْيَا وَأَسْبَابَهَا
هُمُومَهَا مَا تَنْقُضِي سَاعَةً
آخِرًا: زَهْدْتُ فِي الْخَلْقِ طَرًّا بَعْدَ تَجْرِبَةٍ
إِنِّي لَا عَجَبُ مِنْ قَوْمٍ يَقُودُهُمُوا
أَوْ أَنْ يَذِلُّوا لِمَخْلُوقٍ عَلَى طَمَعٍ
أَمَا وَرَبِّكَ لَوْ دَانُوا بِمَعْرِفَةِ
مَنْ ذَا تُمَدُّ إِلَيْهِ الْكَفُّ فِي طَلَبِ
آخِرًا: عَجِبْتُ لِمَخْلُوقٍ يِبَالُغُ فِي الثَّنَا
وَيَنْسَى الَّذِي مِنْهُ الْغِنَى وَلَهُ الثَّنَا
آخِرًا: إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا فُطِنَّا
نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا

وَعِزَّ النَّفْسِ إِلَّا كُلُّ طَاغٍ
فَلَيْسَ لِنَيْلِهَا طِيبُ الْمَسَاغِ
تَوَلَّى وَاضْمَحَلَّ مَعَ الْبَلَاغِ
إِذَا صَارَ الْبِنَاءُ إِلَى الْفِرَاغِ
الَا لَا يَبْعِيَنَّ الْمُلْكَ بَاغِ
حَذَارِ حَذَارٍ مِنْ بَطْشِي وَفَتْكِي
فَقَوْلِي مُضْحِكٌ وَالْفِعْلُ مُبْكِي
كَأَنَّهَا لِلْحُزْنِ مَخْلُوقَةٌ
عَنْ مَلِكٍ فِيهَا وَلَا سُوقَةٌ
وَمَا عَلَيَّ بِزُهْدِي فِيهِمْ دَرَكٌ
حِرْصٌ إِلَى بُرَّةٍ مُلْكًا لِمَنْ مَلَكُوا
وَفِي خَزَائِنِ رَبِّ الْعِزَّةِ إِشْتَرَكُوا
لَقَدْ أَصَابُوا بِهَا الْمَرْغُوبَ لَوْ سَلَكُوا
بِمَا عَلَيَّهَا وَأَنْتَ الْمَالِكُ الْمَلِكُ
عَلَى بَعْضِ خَلْقِ اللَّهِ يَرْجُ الدَّرَاهِمَا
وَيَأْمُرُ مَنْ يُعْطِي وَيَمْنَعُ مَنْ يَشَا
طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا
أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيِّ سَكْنَا

جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا
 آخِر: دَعِ الْحِرْصَ عَلَى الدُّنْيَا
 وَلَا تَجْمَعْ مِنَ الْمَالِ
 فَإِنَّ الرِّزْقَ مَقْسُومٌ
 فَفَيْضُ كُلِّ ذِي حِرْصٍ
 آخِر: لَا تَبْخُلَنَّ بِدُنْيَا وَهِيَ مُقْبَلَةٌ
 وَإِنْ تَوَلَّتْ فَأُخْرَى أَنْ تَجُودَ بِهَا
 آخِر: إِذَا كُنْتَ ذَا مَالٍ وَلَمْ تَكُ ذَا نَدَى
 آخِر: وَأُخْسِرُ النَّاسَ سَعِيًّا مَنْ قَضَى عُمُرًا
 آخِر: لَا تَعْتَرِبْ عَن وَطَنِ
 رَبِّ جَوْدٍ مَاجِدٍ
 أَكْثَرَ هُدَيْتَ ذِكْرَهُ
 يَوْمَ الْحِسَابِ وَالْجَزَا
 صَالِحِ الْأَعْمَالِ فِيهَا سُفْنَا
 فِي الْعَيْشِ فَلَا تَطْمَعُ
 فَلَا تَدْرِي لِمَنْ تَجْمَعُ
 وَسُوءُ الظَّنِّ لَا يَنْفَعُ
 عَنِّي كُلُّ مَنْ يَقْنَعُ
 فَلَا يَضُرُّ بِهَا التَّبْدِيرُ وَالسَّرْفُ
 فَالشُّكْرُ مِنْهَا إِذَا مَا أُذْبِرَتْ خَلْفُ
 فَأَنْتَ إِذَا وَالْمُقْتَرِينَ سَوَاءُ
 فِي غَيْرِ طَاعَةِ مَنْ أَنْشَأَهُ مِنْ عَدَمِ
 تَزْدَادُ فِيهِ مِنْ ثِقَلِي
 مَا لَهُ شَرِيكَ يَافَتْسِي
 تَلُّ بِهِ الْأَجْرَ الْعَجْسِيْمُ
 تَحْظَى بِجَنَاتِ النَّعِيمِ

اللَّهُمَّ الْحَقْنَا بِعِبَادِكَ الْأَبْرَارِ وَأَسْكِنْنَا الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
 وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
 اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فصل»: وَالْقِسْمُ الثَّانِي مِنَ النَّاسِ جُهَالٌ عُمِّيُّ الْبَصَائِرِ لَمْ يَنْظُرُوا فِي
 أَمْرِهَا وَلَمْ يَكْشِفُوا سُوءَ حَالِهَا وَمَالِهَا، بَرَزَتْ لَهُمْ بَزِينَتِهَا فَفَتَنَتْهُمْ، فَأَلِيهَا
 أَخْلَدُوا، وَبِهَا رَضُوا، وَلَهَا اطمأنوا، حَتَّى أَلْهَتْهُمْ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَشَعَلَتْهُمْ عَنِ
 ذِكْرِ اللَّهِ، وَطَاعَتِهِ، ﴿تَسُوا اللَّهَ فأنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ .

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا
 وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ، أُولَئِكَ مَاوَاهُم النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ .

نَعَمْ إِنَّهُمْ نَسُوا اللَّهَ وَأَهْمَلُوا حُقُوقَهُ وَمَا قَدَرُوهُ حَقَّ قَدْرِهِ، وَلَمْ يُرَاعُوا لِإِنِّهِمَا كَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَتَهَالِكُمْ عَلَيْهَا مَوَاجِبَ أَوْامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ حَقَّ رِعَايَتِهَا، فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أَنْسَاهُمْ مَصَالِحَهُمْ وَأَغْفَلَهُمْ عَنِ مَنَافِعِهَا وَفَوَائِدِهَا فَصَارَ أَمْرُهُمْ فُرْطًا فَرَجَعُوا بِخَسَارَةِ الدَّارَيْنِ، وَعُغِبُوا غَيْبًا لَا يُمَكِّنُ تَدَارُكُهُ وَلَا يُجْبِرُ كَسْرَهُ، وَسَيَّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْأَهْوَالِ مَا يُنْسِيهِمْ أَرْوَاحَهُمْ، وَيَجْعَلُهُمْ حَيَارَى ذَاهِلِينَ يَوْمَ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَنِ مَا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنْ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ.

وَفِي مِثْلِ هَذَا يَقُولُ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ اجْتِهَادُكَ فِيمَا ضَمِنَ لَكَ مَعَ تَقْصِيرِكَ فِيمَا طَلِبَ مِنْكَ دَلِيلٌ عَلَى انْطِمَاسِ بَصِيرَتِكَ، أَقَامُوا الدُّنْيَا فَهَدَمْتَهُمْ، وَاعْتَرَوْا بِهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَذَلَّتْهُمْ، أَكْثَرُوا فِيهَا مِنَ الْأَمَالِ وَأَحْبَبُوا طُولَ الْأَجَالِ وَنَسُوا الْمَوْتَ وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الشَّدَائِدِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾.

شِعْرًا: إِذَا لَمْ تَحْشَ عَاقِبَةَ الْمَعَاصِي وَلَمْ تَسْتَحِجِّي فَاصْنَعِ مَا تَشَاءُ إِذَا مَا كُنْتَ ذَا قَلْبٍ فَنَوْعٍ فَأَنْتَ وَمَالِكَ الدُّنْيَا سَوَاءٌ

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمُّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَأَتَتْ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ.

وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمُّهُ جَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ، فَلَا يُمَسِّي إِلَّا فَقِيرًا وَلَا يُصْبِحُ إِلَّا فَقِيرًا.

وَمَا أَقْبَلَ عَبْدٌ عَلَى اللَّهِ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ تَتَقَادُ إِلَيْهِ بِالْوِدِّ وَالرَّحْمَةِ، وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ خَيْرٍ إِلَيْهِ أَسْرَعَ.. أَهـ.

وَقَالَ فِي عِدَّةِ الصَّابِرِينَ، وَقَدْ أَخْبَرَ ﷺ أَنَّهَا لَوْ سَاوَتْ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ

بُعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ، وَأَنْهَا أَهُونَ عَلَى اللَّهِ مِنَ السَّحْلَةِ الْمَيْتَةِ
عَلَى أَهْلِهَا .

شِعْرًا: عَجَبًا لِأَمْنِكَ وَالْحَيَاةِ قَصِيرَةً وَبِفَقْدِ إِلْفٍ لَا تَرَالُ تُرَوُّعُ
أَحْلَامُ لَلَّيْلِ أَوْ كَظَلِّ زَائِلٍ إِنَّ اللَّيْبَ يَمِثْلُهَا لَا يُخْدَعُ
فَتَزُودَنَّ لِيَوْمِ فُقْرِكَ ذَائِبًا أَلْغَيْرِ نَفْسِكَ لَا أَبَالِكَ تَجْمَعُ

وَأَنَّ مِثْلَهَا فِي الْآخِرَةِ كَمَثَلِ مَا يَعلُقُ بِأَصْبُحٍ مَنْ أَدْخَلَ أَصْبَعَهُ فِي الْبَحْرِ
وَأَنَّهَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وِلَاهُ، وَعَالِمٌ وَمُتَعَلِّمٌ وَأَنَّهَا سِجْنُ
الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِينَ .

وَأَمَرَ الْعَبْدَ أَنْ يَكُونَ فِيهَا كَأَنَّهُ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ وَيَعُدُّ نَفْسَهُ مِنْ أَهْلِ
الْقُبُورِ وَإِذَا أَصْبَحَ فَلَا يَنْتَظِرُ الْمَسَاءَ وَإِذَا أَمْسَى فَلَا يَنْتَظِرُ الصَّبَاحَ .

وَنَهَى عَنِ اتِّخَاذِ مَا يُرِغَبُ فِيهَا، وَلَعَنَ عَبْدَ الدِّينَارِ وَعَبْدَ الدِّرْهَمِ وَدَعَا
عَلَيْهِ بِالْتَعْسِ وَالِانْتِكَاسِ وَعَدَمِ إِقَالَةِ الْعَثْرَةِ بِالِانْتِقَاشِ .

شِعْرًا: خَلِيلِي إِنْ الْمَالُ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ يُنْفَقُ
وَمَا خَابَ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ عَامِلٌ لَهُ فِي التَّقَى أَوْفَى الْمَحَامِدِ سُوقُ
وَلَا ضَاقَ فَضْلُ اللَّهِ عَنِ مُتَعَفِّفٍ وَلَكِنَّ أَحْلَاقَ الرِّجَالِ تَضْيِقُ

وَأَخْبَرَ أَنَّهَا خَضْرَاءٌ حُلُوةٌ أَي تَأْخُذُ الْعُيُونَ بِحُظْرَتِهَا وَالْقُلُوبَ بِحَلَاوَتِهَا،
وَأَمَرَ بِاتِّقَائِهَا وَالْحَذَرِ مِنْهَا كَمَا يُتَّقَى النِّسَاءَ وَيُحَذَرُ مِنْهُنَّ وَأَخْبَرَ أَنَّ الْحِرْصَ
عَلَيْهَا، وَعَلَى الرِّيَاسَةِ وَالشَّرْفِ يُفْسِدُ الدِّينَ .

وَأَخْبَرَ أَنَّهُ فِي الدُّنْيَا كَرَاحٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ فِي يَوْمِ صَائِفٍ، ثُمَّ رَاحَ
وَتَرَكَهَا، وَهَذَا فِي الْحَقِيقَةِ حَالُ سُكَّانِ الدُّنْيَا كُلِّهِمْ، وَلَكِنَّ هُوَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهِدَ
هَذِهِ الْحَالَ، وَعَمِيَ عَنْهَا بَنُو الدُّنْيَا .

وَمَرَّ بِهِمْ وَهُمْ يُعَالِجُونَ خُصَالَهُمْ قَدْ وَهِيَ، فَقَالَ مَا أَرَى الْأَمْرَ إِلَّا أَعْجَلَ

مِن ذَلِكَ، وَأَمْرٌ بِسْتِرِّ عَلَى بَابِهِ فَنَزَعَ وَقَالَ إِنَّهُ يُذَكِّرُنِي الدُّنْيَا، وَأَعْلَمَ النَّاسَ أَنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ حَقٌّ فِي سِوَى بَيْتِ يَسْكُنُهُ، وَتَوْبِ يُوَارِي عَوْرَتَهُ وَقَوْتِ يُقِيمُ صَلْبَهُ .

وَأَخْبَرَ أَنَّ الْمَيْتَ يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ، وَمَالُهُ، وَعَمَلُهُ فِيرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ، وَكَانَ يَقُولُ: الرَّهْدُ فِي الدُّنْيَا يُرِيحُ الْقَلْبَ وَالْبَدْنَ، وَالرَّغْبَةُ فِي الدُّنْيَا تُطِيلُ الْهُمُومَ، وَالْحَزَنُ، وَكَانَ يَقُولُ مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ كُلَّهَا هَمًّا وَاحِدًا، كَفَاهُ اللَّهُ سَائِرَ هُمُومِهِ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَّتِهَا هَلَكَ .

وَأَخْبَرَ أَنَّ بَدَلَ الْعَبْدِ مَا فَضَلَ عَنْ حَاجَتِهِ خَيْرٌ لَهُ، وَامْسَاكُهُ شَرٌّ لَهُ وَأَنَّهُ لَا يَلَامُ عَلَى الْكِفَافِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَيْسُوا بِالْمُتَنَعِمِينَ فِيهَا فَإِنَّ أَمَامَهُمْ دَارَ النِّعَمِ فَهُمْ لَا يَرْضُونَ بِنِعْمَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا عِوَضًا مِنْ ذَلِكَ النِّعَمِ .

«نَصِيحَةٌ»: إِذَا اسْتَعْنَى النَّاسُ بِالدُّنْيَا، فَاسْتَعْنِ أَنْتَ بِاللَّهِ، وَإِذَا فُرِحُوا بِالدُّنْيَا، فَافْرَحْ أَنْتَ بِاللَّهِ، وَإِذَا أَنْسُوا بِأَحْبَابِهِمْ فَاجْعَلْ أَنْسَكَ بِاللَّهِ، وَإِذَا تَعَرَّفُوا إِلَى كِبَرَانِهِمْ لِيُنَالُوا بِهِمُ الْعِزَّةَ وَالْكَرَامَةَ فَتَعَرَّفْ أَنْتَ إِلَى اللَّهِ، وَتَوَدَّدْ إِلَيْهِ تَنْلُ بِذَلِكَ غَايَةَ الْعِزِّ وَالرَّفْعَةِ وَالْكَرَامَةَ .

وَفِي حَدِيثٍ مَنَاجَاةِ مُوسَى : وَلَا تُعْجِبَنَّكُمْ رَيْبَتُهُ وَلَا مَا مُتَّعَ بِهِ وَلَا تَمُدَّانَ إِلَى ذَلِكَ أَعْيُنَكُمْ، فَإِنَّهَا زَهْرَةُ الدُّنْيَا، وَزِينَةُ الْمُتَرَفِّينَ وَإِنِّي لَوْ شِئْتُ أَنْ أُرِيَنَّكُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَرِيئَةً يَعْلَمُ فَرَعُونَ حِينَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا أَنَّ مَقْدِرَتَهُ تَعْجِزُ عَنْ مِثْلِ مَا أُوتِيْتُمَا فَعَلْتُ .

وَلَكِنْ أَرْغَبُ بِكُمْ عَنْ نَعِيمِهَا ذَلِكَ، وَأَزْوِيهِ عَنْكُمْ، وَكَذَلِكَ أَفْعَلُ بِأَوْلِيَائِي، وَقَدِيمًا مَا أَحْرَثُ لَهُمْ فِي ذَلِكَ فَإِنِّي لِأَذُودُهُمْ عَنْ نَعِيمِهَا وَرَحَائِهَا كَمَا يَدُودُ الرَّاعِي الشَّقِيْقُ غَنَمَهُ عَنْ مَرَاعِي الْهَلَكَةِ وَإِنِّي لِأَجْنِبُهُمْ سَلَوَتَهَا،

وَعَيْشَهَا كَمَا يَدُودُ الرَّاعِي الشَّفِيقِ إِبْلَهَ عَنِ مَبَارِكِ الْعِزَّةِ .

وَمَا ذَلِكَ لِهَوَانِهِمْ عَلَيَّ، وَلَكِنْ لِيَسْتَكْمِلُوا نَصِيحَتَهُمْ مِنْ كَرَامَتِي سَالماً
مَوْفِراً لَمْ تَكَلِمَهُ الدُّنْيَا وَلَمْ يُطْعِهِ الْهَوَى .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَتَزَيَّنْ لِيِ الْعِبَادُ بِرِيئَةٍ هِيَ أَبْلَغُ مِنَ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهَا زِينَةُ
الْمُتَّقِينَ عَلَيْهِمْ مِنْهَا لِبَاسٌ يُعْرَفُونَ بِهِ مِنَ السَّكِينَةِ، وَالْحُشُوعِ سِيَمَاهُمْ فِي
وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السَّجُودِ .

أُولَئِكَ أَوْلِيَائِي حَقّاً فَإِذَا لَقِيْتُهُمْ فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ، وَذَلِّلْ لَهُمْ قَلْبَكَ،
وَلِسَانَكَ، وَقَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عَيْسَى مَنْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ؟

قَالَ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا، حِينَ نَظَرَ النَّافِسُ إِلَى عَاجِلِهَا فَأَمَاتُوا
مِنْهَا مَا يَخْشَوْنَ أَنْ يُمِيتَهُمْ، وَتَرَكَوا مَا عَلِمُوا أَنَّ سَيِّئَتَهُمْ، فَصَارَ اسْتِكْتَارُهُمْ
مِنْهَا اسْتِقْلَالاً، وَذَكَرَهُمْ إِيَّاهَا فَوَاتاً، وَمَا عَارَضَهُمْ مِنْ رِفْعَتِهَا بِغَيْرِ الْحَقِّ وَضَعُوهُ .

خَلَقَتْ الدُّنْيَا عِنْدَهُمْ فَلَيْسُوا يُجَدِّدُونَهَا، وَخَرِبَتْ بَيْنَهُمْ فَلَيْسُوا
يَعْمُرُونَهَا، وَمَاتَتْ فِي صُدُورِهِمْ، فَلَيْسُوا يُحْيَوْنَهَا، يَهْدُمُونَهَا فَيَبْنُونَ بِهَا
آخِرَتَهُمْ، وَيَبِيعُونَهَا، فَيَشْتَرُونَ بِهَا مَا يَبْقَى لَهُمْ .

رَفَضُوهَا فَكَانُوا بِهَا هُمُ الْفَرِحِينَ، وَنَظَرُوا إِلَى أَهْلِهَا صَرَخَى قَدْ حَلَّتْ بِهِمْ
الْمَثَلَاتُ، فَأَحْيَوْا ذِكْرَ الْمَوْتِ وَأَمَاتُوا ذِكْرَ الْحَيَاةِ .

يُحِبُّونَ اللَّهَ، وَيُحِبُّونَ ذِكْرَهُ، وَيَسْتَضِيئُونَ بِنُورِهِ، وَيُضِيئُونَ بِهِ لَهُمْ خَيْرُ
عَجِيبٍ وَعِنْدَهُمُ الْخَيْرُ الْعَجِيبُ، بِهِمْ قَامَ الْكِتَابُ، وَبِهِ قَامُوا وَبِهِمْ نَطَقَ
الْكِتَابُ، وَبِهِ نَطَقُوا، وَبِهِمْ عَلِمَ الْكِتَابُ، وَبِهِ عَمِلُوا لَيْسُوا يَرُونَ نَائِلاً مَعَ مَا
نَالُوا، وَلَا أَمَاناً دُونَ مَا يَرْجُونَ، وَلَا خَوْفاً دُونَ مَا يَحْذَرُونَ .

وَقَالَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، اجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ كَمَنَازِلِ الْأَضْيَافِ فَمَا لَكُمْ فِي الْعَالَمِ مِنْ مَنَزِلٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ .

وَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْحَوَارِيِّينَ أَيُّكُمْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْنِيَ فَوْقَ مَوْجِ الْبَحْرِ دَارًا، قَالُوا يَا رُوحَ اللَّهِ مَنْ يَقْدِرُ عَلَيَّ ذَلِكَ، قَالَ إِيَّاكُمْ وَالْدُّنْيَا فَلَا تَتَّخِذُوهَا قَرَارًا .

وَقَالَ حَلَاوَةُ الدُّنْيَا مَرَارَةُ الْآخِرَةِ، وَمَرَارَةُ الدُّنْيَا، حَلَاوَةُ الْآخِرَةِ .

وَقَالَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ تَهَاوَنُوا بِالْدُّنْيَا، تَهْنُ عَلَيْكُمْ، وَأَهِينُوا الدُّنْيَا تَكْرُمَ عَلَيْكُمْ الْآخِرَةَ، وَلَا تُكْرِمُوا الدُّنْيَا، تَهْنُ عَلَيْكُمْ الْآخِرَةَ، فَإِنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِأَهْلٍ لِلْكَرَامَةِ، وَكُلُّ يَوْمٍ تَدْعُوا إِلَى الْفِتْنَةِ وَالْحَسَارَةِ .

قَالُوا وَقَدْ تَوَاتَرَ عَنِ السَّلَفِ أَنَّ حُبَّ الدُّنْيَا رَأْسُ الْخَطَايَا، وَأَصْلُهَا وَقِيلَ إِنَّ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ رَأْسُ الْخَطِيئَةِ حُبُّ الدُّنْيَا، وَالنِّسَاءُ حُبَالَةُ الشَّيْطَانِ، وَالْحَمْرُ جِمَاعُ كُلِّ شَرٍّ .

شِعْرًا: النَّارُ آخِرُ دِينَارٍ نَطَقَتْ بِهِ
وَالْمَرْءُ بَيْنَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ وَرِعًا

شِعْرًا: قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَظْلَمَ لَيْلِي إِذْ أَضَاءَ شِهَابُهَا
عَلَى الرَّغْمِ مِنِّي حِينَ طَارَ غُرَابُهَا
وَمَا أَوَاكَ مِنْ كُلِّ الدِّيَارِ خَرَابُهَا
طَلَائِعُ شَيْبٍ لَيْسَ يُعْنِي خِضَابُهَا
تَنْعَّصَ مِنْ أَيَّامِهِ مُسْتَطَابُهَا
وَقَدْ فَنَيْتَ نَفْسٌ تَوَلَّى شَبَابُهَا
حَرَامٌ عَلَى نَفْسِ التَّقِيِّ ارْتِكَابُهَا
كَمِثْلِ زَكَاةِ الْمَالِ تَمَّ نِصَابُهَا

خَبَتْ نَارُ نَفْسِي بِاشْتِعَالِ مَفَارِقِي
أَيَّا بَوْمَةٍ قَدْ عَشَشَتْ فَوْقَ هَامَتِي
رَأَيْتُ خَرَابَ الْعُمْرِ مِنِّي فَزَرْتِي
أَنْعَمَ عَيْشًا بَعْدَ مَا حَلَّ عَارِضِي
إِذَا اصْفَرَ لَوْنُ الْمَرْءِ وَابْيَضَّ شَعْرُهُ
وَعِزَّةُ عُمْرِ الْمَرْءِ قَبْلَ مَشِيئِهِ
فَدَعُ عَنْكَ سَوَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا
وَأَدْ زَكَاةَ الْجَاهِ وَاعْلَمْ بِأَنَّهَا

وَأَحْسِنَ إِلَى الْأَحْرَارِ تَمْلِكُ رِقَابَهُمْ
وَلَا تَمْشِينَ فِي مَنْكِبِ الْأَرْضِ فَأَخْرَأَ
وَمَنْ يَذُقِ الدُّنْيَا فَإِنِّي طَعَمْتُهَا
فَلَمْ أَرَهَا إِلَّا غُرُورًا وَبَاطِلًا
وَمَا هِيَ إِلَّا جِيفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ
فَإِنْ تَجْتَنِبُهَا كُنْتَ سَلِمًا لِأَهْلِهَا
إِذَا انْسَدَّ بَابُ عُنُقِكَ مِنْ دُونِ حَاجَةٍ
فَإِنَّ قُرَابَ الْبَطْنِ يَكْفِيكَ مِلْوُهُ
فَطُوبَى لِنَفْسٍ أَوْطَنْتْ قَعَرَ بَيْتِهَا
فَيَارَبِّ هَبْ لِي تَوْبَةً قَبْلَ مَهْلِكِ
فَمَا تَحْرَبُ الدُّنْيَا بِمَوْتِ شِرَارِهَا
فَخَيْرُ تِجَارَاتِ الرِّجَالِ اكْتِسَابُهَا
فَعَمَّا قَلِيلٍ يَحْتَوِيكَ ثَرَابُهَا
وَسِيَقَ الْيَنَاءِ عَذْبُهَا وَعَذَابُهَا
كَمَا لَاحَ فِي ظَهْرِ الْفَلَاحِ سَرَابُهَا
عَلَيْهَا كِلَابٌ هَمُّهُنَّ اجْتِنَابُهَا
وَإِنْ تَجْتَنِبُهَا نَارَ عُنُقِكَ كِلَابُهَا
فَدَعُهَا لِأُخْرَى يَنْفَتِحُ لَكَ بَابُهَا
وَيَكْفِيكَ سَوَاتِ الْأُمُورِ اجْتِنَابُهَا
مُغْلَقَةَ الْأَبْوَابِ مُرْخَى حِجَابِهَا
أَبَادِرُهَا مِنْ قَبْلِ إِغْلَاقِ بَابِهَا
وَلَكِنْ بِمَوْتِ الْأَكْرَمِينَ خَرَابُهَا

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ وَأَيَّدْنَا
بِنَصْرِكَ وَأَرْزُقْنَا مِنْ فَضْلِكَ وَنَجِّنَا مِنْ عَذَابِكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ، اللَّهُمَّ اسْلِكْ
بِنَا مَسَلِكَ الصَّادِقِينَ الْأَبْرَارِ، وَالْحَقِّقْنَا بِعِبَادِكَ الْمُصْطَفِينَ الْأَخْيَارِ، وَأَتِنَا فِي
الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصْلٌ»

وَعَنْ سُفْيَانَ قَالَ كَانَ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ يَقُولُ حُبُّ الدُّنْيَا أَصْلُ كُلِّ خَطِيئَةٍ
وَالْمَالُ فِيهِ دَاءٌ كَثِيرٌ، قَالُوا وَمَا دَأْوُهُ قَالَ لَا يَسْلُمُ مِنَ الْفَحْرِ وَالْخِيَلَاءِ، قَالُوا فَإِنْ
سَلِمَ، قَالَ يَشْغَلُهُ إِصْلَاحُهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالُوا وَذَلِكَ مَعْلُومٌ بِالتَّجْرِبَةِ وَالمُشَاهَدَةِ، فَإِنْ حُبَّهَا يَدْعُوا إِلَى خَطِيئَةٍ
ظَاهِرَةٍ وَبَاطِنَةٍ، وَلَا سِيَّمَا خَطِيئَةً يَتَوَقَّفُ تَحْصِيلُهَا عَلَيْهَا، فَيُسَكِّرُ عَاشِقُهَا حُبَّهَا

عَنْ عَلِمِهِ بِتِلْكَ الْخَطِيئَةِ، وَقُبْحِهَا وَعَنْ كَرَاهَتِهَا وَاجْتِنَابِهَا.

وَحُبُّهَا يُوقِعُ فِي الشُّبُهَاتِ، ثُمَّ فِي الْمَكْرُوهَاتِ، ثُمَّ فِي الْمُحَرَّمَاتِ،
وَطَالَمَا أَوْقَعَ فِي الْكُفْرِ، بَلْ جَمِيعُ الْأُمَّمِ الْمُكَدَّبَةِ لِأَنْبِيَائِهِمْ إِنَّمَا حَمَلَهُمْ عَلَى
كُفْرِهِمْ وَهَلَاكِهِمْ حُبُّ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الرِّسْلَ لِمَا نَهَوْهُمْ عَنِ الشِّرْكِ وَالْمَعَاصِي
الَّتِي كَانُوا يَكْتَسِبُونَ بِهَا الدُّنْيَا، حَمَلَهُمْ حُبُّهَا عَلَى مُخَالَفَتِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ.

فَكُلُّ خَطِيئَةٍ فِي الْعَالَمِ أَصْلُهَا حُبُّ الدُّنْيَا، وَلَا تَنْسَ خَطِيئَةَ الْأَبْوِينِ قَدِيمًا،
فَإِنَّمَا كَانَ سَبَبُهَا حُبُّ الْخُلُودِ فِي الدُّنْيَا، وَلَا تَنْسَ ذَنْبَ ابْلِيسَ وَسَبَبَهُ حُبُّ
الرِّيَاسَةِ، الَّتِي مَحَبَّتُهَا شَرٌّ مِنْ مَحَبَّةِ الدُّنْيَا.

وَبِسَبَبِهَا كَفَرَ فِرْعَوْنُ وَهَامَانَ وَجُنُودُهُمَا، وَأَبُو جَهْلٍ وَقَوْمُهُ، وَالْيَهُودُ،
فَحُبُّ الدُّنْيَا وَالرِّيَاسَةِ هُوَ الَّذِي عَمَرَ النَّارَ بِأَهْلِهَا.

وَالرُّهْدُ فِي الدُّنْيَا وَالرُّهْدُ فِي الرِّيَاسَةِ هُوَ الَّذِي عَمَرَ الْجَنَّةَ بِأَهْلِهَا.

وَالسُّكْرُ بِحُبِّ الدُّنْيَا أَكْبَرُ مِنَ السُّكْرِ بِشُرْبِ الْخَمْرِ بِكَثْرٍ، وَصَاحِبُ
هَذَا السُّكْرِ لَا يُفْلِقُ مِنْهُ، إِلَّا فِي ظُلْمَةِ اللَّحْدِ، وَلَوْ انْكَشَفَ عَنْهُ غِطَاؤُهُ فِي
الدُّنْيَا لَعَلِمَ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ السُّكْرِ، وَأَنَّهُ أَشَدُّ مِنْ سُكْرِ الْخَمْرِ وَالدُّنْيَا تَسْحَرُ
الْعُقُولَ أَكْبَرُ سِحْرِ.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا سَيَّارُ حَدَّثَنَا جَعْفَرُ قَالَ سَمِعْتُ مَالِكََ ابْنَ دِينَارٍ
يَقُولُ اتَّقُوا السَّحَارَةَ، اتَّقُوا السَّحَارَةَ، فَانْهَى تَسْحَرَ قُلُوبَ الْعُلَمَاءِ.

شِعْرًا: أَهْلُ الْمَنَاصِبِ فِي الدُّنْيَا وَرَفَعَتِهَا
قَدْ أَنْزَلُونَ لِأَنَّا غَيْرَ جُنْسِهِمْ
فَمَا لَهُمْ فِي تَوْقِي ضُرًّا نَظَرُ
فَلَيْتَنَا لَوْ قَدَرْنَا أَنْ نَعْرِفَهُمْ
لَهُمْ مُرِيحَانٍ مِنْ جَهْلٍ وَفَرَطٍ غَنَى
أَهْلُ الْفَضَائِلِ مَرْدُؤُونَ عِنْدَهُمْ
مَنَازِلَ الْوَحْشِ فِي الْإِهْمَالِ بَيْنَهُمْ
وَمَا لَهُمْ فِي تَرْقِي قَدْرَنَا هِمَمُ
مِقْدَارَهُمْ عِنْدَنَا أَوْ لَوْ دَرَوْهُ هُمُومُ
وَعِنْدَنَا النَّافِعَانَ الْعِلْمُ وَالْهِمَمُ

آخِر: رَأَيْتُ النَّاسُ قَدْ مَالُوا إِلَى مَنْ عِنْدَهُ مَالٌ
وَمَنْ لَا عِنْدَهُ مَالٌ فَعَنَتُهُ النَّاسُ قَدْ مَالُوا

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

«فَصَلِّ»: وَأَقْلُ مَا فِي حُبِّهَا أَنَّهُ يُلْهِي عَنِ حُبِّ اللَّهِ، وَذِكْرِهِ، وَمَنْ أَلْهَاهُ
مَالُهُ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ فَهُوَ مِنَ الْخَاسِرِينَ، قَالُوا وَإِنَّمَا كَانَ حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ الْخَطَايَا
وَمُفْسِدًا لِلدِّينِ مِنْ وُجُوهِ، أَحَدُهَا: أَنَّهُ يَقْتَضِي تَعْظِيمَهَا وَهِيَ حَقِيرَةٌ عِنْدَ اللَّهِ.
وَمِنْ أَكْبَرِ الدُّنُوبِ تَعْظِيمُ مَا حَقَّرَهُ اللَّهُ، وَثَانِيهَا: أَنَّ اللَّهَ لَعَنَهَا، وَمَقْتَهَا،
وَأَبْغَضَهَا إِلَّا مَا كَانَ لَهُ فِيهَا، وَمَنْ أَحَبَّ مَا لَعَنَهُ اللَّهُ، وَمَقْتَهُ وَأَبْغَضَهُ، فَقَدْ
تَعَرَّضَ لِلْفِتْنَةِ، وَمَقْتِهِ وَغَضَبِهِ.

وثالثها: أَنَّهُ إِذَا أَحَبَّهَا صَيَّرَهَا غَايَةً، وَتَوَسَّلَ إِلَيْهَا بِالْأَعْمَالِ الَّتِي جَعَلَهَا
اللَّهُ وَسَائِلَ إِلَيْهِ، وَإِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ، فَعَكَسَ الْأَمْرَ وَقَلَبَ الْحِكْمَةَ فَانْتَكَسَ
قَلْبُهُ، وَانْعَكَسَ سَيْرُهُ إِلَى وِرَاءِ.

فَهَا هُنَا أَمْرَانِ: أَحَدُهُمَا جَعَلَ الْوَسِيلَةَ غَايَةً، وَالثَّانِي التَّوَسُّلَ بِأَعْمَالِ
الْآخِرَةِ إِلَى الدُّنْيَا، وَهَذَا شَرٌّ مَعْكُوسٌ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، وَقَلْبٌ مَنكُوسٌ غَايَةً
الانْتِكَاسَ.

وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ حَدِيثُ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ
يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وقوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ
جَعَلْنَا لَهُمْ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَدْمُومًا مَدْحُورًا﴾، وقوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ

الْآخِرَةَ نَزِدُّ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿١٨٢﴾ .

شِعْرًا: أَصْبَحَتِ الدُّنْيَا لَنَا عِبْرَةً فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ
قَدْ أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى ذَمِّهَا وَمَا أَرَى مِنْهُمْ لَهَا تَارِكًا
آخِر: وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِي الْمَالِ الْقِلَّةُ وَلَنْ يَقْضِيَ الْحَاجَاتِ إِلَّا الْمُهَيَّمُنُ

فهذه ثلاث آياتٍ يُشْبِهُ بِعَضْهَا بَعْضًا، وَتَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ، وَهُوَ أَنَّ
مَنْ أَرَادَ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا وَزَيَّنْتَهَا دُونَ اللَّهِ وَالِدَارِ الْآخِرَةِ، فَحِظْهُ مَا أَرَادَ، وَهُوَ
نَصِيبُهُ، لَيْسَ لَهُ نَصِيبٌ غَيْرُهُ.

وَالْأَحَادِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُطَابِقَةٌ لِذَلِكَ مُفَسَّرَةٌ لَهُ، كَحَدِيثِ أَبِي
هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ هُمْ أَوَّلُ مَنْ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ، الْغَازِي
وَالْمُتَصَدِّقُ، وَالْقَارِيءُ الَّذِينَ أَرَادُوا بِذَلِكَ الدُّنْيَا وَالنَّصِيبَ وَهُوَ فِي صَحِيحِ
مُسْلِمٍ .

شِعْرًا: وَمَا تَحْسُنُ الدُّنْيَا إِذَا هِيَ لَمْ تُعْنُ بِآخِرَةِ حَسَنَاءَ يَتَّقَى نَعِيمُهَا
آخِر: غَدًا تُوفَى النِّفُوسُ مَا كَسَبَتْ وَيَحْصُدُ الزَّارِعُونَ مَا زَرَعُوا
إِنْ أَحْسَنُوا أَحْسَنُوا لِأَنْفُسِهِمْ وَإِنْ أَسَاءُوا فَبِئْسَ مَا صَنَعُوا

فالعاقل من استعمل الدنيا في طاعة الله وجعلها مطيةً لِلْآخِرَةِ .

شِعْرًا: لِمَنْ تَطَلَّبَ الدُّنْيَا لَمْ تُرَدِّ بِهَا رِضَا الْمَلِكِ الْقُدُوسِ رَبِّ الْبَرِيَّةِ

وَفِي سُنَنِ النَّسَائِيِّ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ
ﷺ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: رَجُلٌ غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ، مَا لَهُ فَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ لَا شَيْءَ لَهُ: فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا شَيْءَ
لَهُ ثُمَّ قَالَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا وَابْتِغَى بِهِ وَجْهَهُ .

فَهَذَا قَدْ بَطَلَ أَجْرُهُ وَحَبِطَ عَمَلُهُ مَعَ أَنَّهُ فَصَدَّ حُصُولَ الْأَجْرِ لِمَا ضَمَّ إِلَيْهِ

فَصَدَّ الذِّكْرَ بَيْنَ النَّاسِ فَلَمْ يُخْلِصَ عَمَلَهُ فَبَطَلَ كُلُّهُ، قَالَ وَرَابِعُهَا: أَنَّ مَحَبَّتَهَا
تُعْتَرِضُ بَيْنَ الْعَبْدِ، وَبَيْنَ فِعْلٍ مَا يَعُودُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ فِي الْآخِرَةِ، لاشتغالِهِ عَنْهُ
بِمَحْبُوبِهِ وَالنَّاسُ هَاهُنَا مَرَاتِبٌ .

فَمِنْهُمْ مَنْ يَشْغَلُهُ مَحْبُوبُهُ عَنِ الْإِيمَانِ، وَشَرَائِعِهِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْغَلُهُ عَنِ الْوَاجِبَاتِ الَّتِي تَجِبُ عَلَيْهِ لِلَّهِ وَلِخَلْقِهِ فَلَا يَقُومُ بِهَا
ظَاهِرًا وَلَا بَاطِنًا .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْغَلُهُ حُبُّهَا عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْوَاجِبَاتِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْغَلُهُ عَنِ وَاجِبٍ يُعَارِضُ تَحْصِيلَهَا وَإِنْ قَامَ بَعِيرِهِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْغَلُهُ عَنِ الْقِيَامِ بِالْوَاجِبِ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَنْبَغِي عَلَى الْوَجْهِ
الَّذِي يَنْبَغِي فَيَقْرُطُ فِي وَقْتِهِ، وَفِي حُقُوقِهِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْغَلُهُ عَنِ عِبُودِيَّةِ قَلْبِهِ فِي الْوَاجِبِ، وَتَفْرِيعِهِ لِلَّهِ عِنْدَ آدَائِهِ،
فَيُؤَدِّيهِ ظَاهِرًا وَلَا بَاطِنًا، وَأَيُّنَ هَذَا مِنْ عَشَائِقِ الدُّنْيَا وَمُحِبِّيَّهَا هَذَا مِنْ أَنْذَرِهِمْ،
وَأَقْلَ دَرَجَاتِ حُبِّهَا أَنْ يُشْغَلَ عَنِ سَعَادَةِ الْعَبْدِ وَهُوَ تَفْرِيعُ الْقَلْبِ لِحُبِّ اللَّهِ،
وَلِسَانِهِ لِذِكْرِهِ وَجَمْعُ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ وَجَمْعُ لِسَانِهِ وَقَلْبِهِ عَلَى رَبِّهِ، فَعِشْقُهَا
وَمَحَبَّتُهَا تُضِرُّ بِالْآخِرَةِ، وَلَا بُدَّ، كَمَا أَنَّ مَحَبَّةَ الْآخِرَةِ تُضِرُّ بِالدُّنْيَا .

وَخَامِسُهَا: أَنَّ مَحَبَّتَهَا تَجْعَلُهَا أَكْثَرَ هَمِّ الْعَبْدِ .

وَسَادِسُهَا: أَنَّ مُحِبَّهَا أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا بِهَا، وَهُوَ مُعَذَّبٌ فِي دُورِهِ
الثَّلَاثِ، يُعَذَّبُ فِي الدُّنْيَا بِتَحْصِيلِهَا، وَفِي السَّعْيِ فِيهَا وَمُنَازَعَةِ أَهْلِهَا وَفِي دَارِ
الْبَرْزَخِ أَيَّ فِي الْقَبْرِ بِفَوَاتِهَا، وَالْحَسْرَةِ عَلَيْهَا، وَكَوْنِهِ قَدْ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
مَحْبُوبِهِ عَلَى وَجْهِ لَا يَرْجُو اجْتِمَاعَهُ بِهِ أَبَدًا وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُ هُنَاكَ مَحْبُوبٌ يُعَوِّضُهُ
عَنْهُ .

فَهَذَا أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا فِي قَبْرِهِ، يَعْمَلُ الْهَمُّ، وَالْعَمُّ، وَالْحَزَنُ وَالْحَسْرَةُ،
فِي رُوحِهِ مَا تَعْمَلُ الدِّيدَانُ وَهَوَامُّ الْأَرْضِ فِي جِسْمِهِ .

وَسَابِعُهَا: أَنَّ عَاشِقَهَا وَمُحِبَّهَا الَّذِي يُؤَثِّرُهَا عَلَى الْآخِرَةِ مِنْ أَسْفِهِ الْخَلْقِ
وَأَقْلِهِمْ عَقْلًا، إِذْ آثَرَ الْخَيَالَ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَالْمَنَامَ عَلَى الْيَقِظَةِ وَالظَّلَّ الزَّائِلَ
عَلَى النَّعِيمِ الدَّائِمِ وَالذَّارَ الْفَانِيَةَ عَلَى الدَّارِ الْبَاقِيَةِ إِنَّ اللَّيْبَ بِمِثْلِهَا لَا يُخَدَعُ .

ثُمَّ عَقَدَ فَصْلًا وَذَكَرَ فِيهِ أَمْثَلَةً تُبَيِّنُ حَقِيقَةَ الدُّنْيَا: الْمَثَالَ الْأَوَّلُ: لِلْعَبْدِ
ثَلَاثَةُ أَحْوَالٍ، حَالَةٌ لَمْ يَكُنْ فِيهَا شَيْئًا، وَهِيَ مَا قَبْلَ أَنْ يُوجَدَ، وَحَالَةٌ أُخْرَى
وَهِيَ مِنْ سَاعَةِ مَوْتِهِ، إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ فِي الْبَقَاءِ السَّرْمَدِيِّ فَلِنَفْسِهِ وَجُودٌ بَعْدَ
خُرُوجِهَا مِنَ الْبَدَنِ، إِمَّا فِي الْجَنَّةِ وَإِمَّا فِي النَّارِ .

ثُمَّ تُعَادُ إِلَى بَدَنِهِ، فَيُجَازَى بِعَمَلِهِ، وَيَسْكُنُ إِحْدَى الدَّارَيْنِ فِي خُلُودِ دَائِمٍ
بَيْنَ هَاتَيْنِ الْحَالَتَيْنِ وَهِيَ مَا بَعْدَ وَجُودِهِ وَمَا قَبْلَ مَوْتِهِ حَالَةٌ مُتَوَسِّطَةٌ، وَهِيَ أَيَّامُ
حَيَاتِهِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مِقْدَارِ زَمَانِهَا، وَيُنْسِبِهِ إِلَى الْحَالَتَيْنِ، يَعْلَمُ أَنَّهُ أَقَلُّ مِنْ طَرْفَةِ
عَيْنٍ فِي مِقْدَارِ عُمْرِ الدُّنْيَا .

وَمَنْ رَأَى الدُّنْيَا بِهَذِهِ الْعَيْنِ لَمْ يَرْكُنْ إِلَيْهَا، وَلَمْ يُبَالِ كَيْفَ تَقَضَّتْ أَيَّامُهُ
فِيهَا فِي ضُرٍّ وَضَيْقٍ أَوْ فِي سَعَةٍ وَرَفَاهِيَّةٍ وَلِهَذَا لَمْ يَضَعْ النَّبِيُّ ﷺ لَبَنَةً عَلَى لَبَنَةٍ
وَلَا قَصَبَةً عَلَى قَصَبَةٍ، وَقَالَ مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، إِثْمًا مِثْلِي وَمِثْلُ الدُّنْيَا كَرَائِبٍ قَالَ
فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا .

وإلى هذا أشار المسيح بقوله عليه السلام «الدُّنْيَا قَنْطَرَةٌ فَاعْبُرُوهَا
وَلَا تَعْمُرُوهَا»، وَهَذَا مِثْلُ صَحِيحٍ فَإِنَّ الْحَيَاةَ مَعْبُرٌ إِلَى الْآخِرَةِ، وَالْمَهْدُ هُوَ
الرُّكْنُ الْأَوَّلُ، عَلَى أَوَّلِ الْقَنْطَرَةِ، وَاللَّحْدُ هُوَ الرُّكْنُ الثَّانِي عَلَى آخِرِهَا .

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ قَطَعَ نِصْفَ الْقَنْطَرَةِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ قَطَعَ ثَلَاثِيهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَبْقَ لَهُ إِلَّا حُطْوَةٌ وَاحِدَةٌ، وَهُوَ

غافل عنها وكيفما كان فلا بُدَّ مِنَ العُبُورِ، فَمَنْ وَقَفَ بَيْنِي عَلَى القَنْطَرَةِ،
 وَيُزِينُهَا بِأَصْنَافِ الزَّيْتِ، وَهُوَ يُسْتَحَثُّ عَلَى العُبُورِ فَهُوَ فِي غَايَةِ الجَهْلِ
 والحُمُقِ. المِثَالُ الثَّانِي: شَهَوَاتِ الدُّنْيَا فِي القَلْبِ كَشَهَوَاتِ الأَطْعِمَةِ فِي
 المَعِدَةِ، وَسَوْفَ يَجِدُ العَبْدُ عِنْدَ المَوْتِ لِشَهَوَاتِ الدُّنْيَا فِي قَلْبِهِ مِنَ الكَرَاهَةِ
 والنَّتَنِ والقُبْحِ مَا يَجِدُهُ لِالأَطْعِمَةِ اللَّذِيذَةِ إِذَا انْتَهَتْ فِي المَعِدَةِ، غَايَتُهَا، وَكَمَا
 أَنَّ الأَطْعِمَةَ كُلَّمَا كَانَتْ أَلَذَّ طَعْمًا وَأَكْثَرَ دَسْمًا وَأَكْثَرَ حَلَاوَةً كَانَ رَجِيئُهَا
 أَقْدَرُ، فَكَذَلِكَ كُلُّ شَهْوَةٍ كَانَتْ فِي النَفْسِ أَلَذَّ وَأَقْوَى فَالتَّأْذِي بِهَا عِنْدَ المَوْتِ
 أَشَدُّ، كَمَا أَنَّ تَفْجُوعَ الإِنْسَانِ بِمُحِبُّوبِهِ إِذَا فَقَدَهُ يَقْوَى بِقَدْرِ مَحَبَّةِ المَحْبُوبِ.

شِعْرًا: طَالِبُ الدُّنْيَا بِحِرْصٍ وَعَجَلٍ
 نَحْنُ فِيهَا مِثْلُ رَكْبٍ نَازِلٍ

شِعْرًا: قَالَ بَعْضُهُمْ يُخَاطَبُ نَفْسَهُ:

إِنَّمَا الدُّنْيَا كِظْلٌ مُتَقَلِّ
 لِمَقِيلٍ كُلَّمَا حَلَّ ارْتَحَلَ

إِلَى مَ أَرَى يَا قَلْبُ مِنْكَ التَّرَاخِيَا
 وَأُخْبِرَ عَنِ قُرْبِ الرَّجِيلِ نَصِيحَةً
 وَعُضُّ عَلَى مَا فَاتَ مِنْكَ أَنَامِلًا
 فَكَمْ مَرَّةً وَافَقْتَ نَفْسًا مَرِيدَةً
 وَكَمْ مَرَّةً أُحْدِثْتَ بَدْعًا لِشَهْوَةٍ
 وَكَمْ مَرَّةً أَمَرَ الإِلَهَ نَبَذْتَهُ
 وَكَمْ مَرَّةً قَدْ خُضْتَ بَحْرَ غَوَايَةِ
 وَكَمْ مَرَّةً بَرَّ الإِلَهَ غَمَصْتَهُ
 وَلَا زِلْتَ بِالدُّنْيَا حَرِيصًا وَمَوْلِعًا
 فَمَا لَكَ فِي بَيْتِ البَلَاءِ إِذْ نَزَلْتَهُ
 فَتَسْأَلُ عَنِ رَبِّ وَدَيْنِ مُحَمَّدٍ
 وَيَأْتِيكَ مِنَ نَارِ سُمُومِ الأَيْمَةِ

وَقَدْ حَلَّ وَخَطَّ الشَّيْبُ بِالرَّأْسِ نَاوِيَا
 فَدُونِكَ طَاعَاتٍ وَحَلَّ المَسَاوِيَا
 وَفَجَّرَ مِنَ العَيْنِ الدَّمُوعَ الهَوَامِيَا
 فَقَدْ حَمَلْتَ شَرًّا عَلَيْكَ الرُّوَاسِيَا
 وَغَادَرْتَ هَدِيًّا مُسْتَقِيمًا تَوَانِيَا
 وَطَاوَعْتَ شَيْطَانًا عَدُوًّا مُدَاجِيَا
 وَأَسْحَطْتَ رَبًّا بِاكتِسَابِ المَعَاصِيَا
 وَقَدْ صِرْتَ فِي كُفْرَانِهِ مُتَمَادِيَا
 وَقَدْ كُنْتَ عَنِ يَوْمِ القِيَامَةِ سَاهِيَا
 عَنِ الأَهْلِ والأَحْبَابِ وَالمَالِ نَائِيَا
 فَإِنْ قُلْتَ هَاهُ فَادِرٍ أَنْ كُنْتَ هَاوِيَا
 وَتُبْصِرُ فِيهَا عَقْرَبًا وَأَفَاعِيَا

وَبَالَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ حَالِكَ إِذْ نُصِبَ صِرَاطٌ وَمِيزَانٌ يُبِينُ الْمَطَاوِيَا
فَمَنْ نَاقَشَ الرَّحْمَنُ نُوقِشَ بِنَتِّهِ وَالْقِيَّ فِي نَارٍ وَإِنْ كَانَ وَالِيَا
هُنَالِكَ لَا تَجْزِيهِ نَفْسٌ عَنِ الرَّدَى فَكُلُّ أَمْرِي فِي غَمِّهِ كَانَ جَائِيَا

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَاحْتِمْنَا لَنَا بِحَاتِمَةِ
السَّعَادَةِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ،
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ التَّوْبَةَ وَدَوَامَهَا، وَتَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَأَسْبَابِهَا، اللَّهُمَّ أَفْضِ
عَلَيْنَا مِنْ بَحْرِ كَرَمِكَ وَعَوْنِكَ حَتَّى نَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى السَّلَامَةِ مِنْ وَبَالِهَا
وَأَرْأَفَ بِنَا رَأْفَةَ الْحَبِيبِ بِحَبِيبِهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَتُرُوبِهَا، وَارْحَمْنَا مِنْ هُمُومِ
الدُّنْيَا وَغُمُومِهَا بِالرُّوحِ وَالرِّيْحَانِ إِلَى الْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا، وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ
الكَرِيمِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ
وَالصَّالِحِينَ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ.

المثال الثالث: لَهَا وَأَهِلَّهَا فِي اسْتِغْلَالِهِمْ بِنِعْمِهَا عَنِ الْآخِرَةِ وَمَا يُعْقِبُهُمْ
مِنَ الْحَسَرَاتِ مَثَلُ أَهْلِ الدُّنْيَا فِي غَفْلَتِهِمْ مَثَلُ قَوْمٍ رَكِبُوا سَفِينَةً فَأَنْتَهَتْ بِهِمْ إِلَى
جَزِيرَةٍ فَأَمَرَهُمُ الْمَلَأُ بِالخُرُوجِ لِقِضَاءِ الْحَاجَةِ وَحَذَرَهُمُ الْإِبْطَاءَ، وَخَوَّفَهُمْ
مُرُورَ السَّفِينَةِ.

فَتَفَرَّقُوا فِي نَوَاحِي الْجَزِيرَةِ، فَقَضَى بَعْضُهُمْ حَاجَتَهُ وَبَادَرَ إِلَى السَّفِينَةِ
فَصَادَفَ الْمَكَانَ خَالِيًا، فَأَخَذَ أَوْسَعَ الْأَمَاكِنِ وَالْيَتَاهَا.

وَوَقَفَ بَعْضُهُمْ فِي الْجَزِيرَةِ، يَنْظُرُ إِلَى أَرْهَارِهَا وَأَنْوَارِهَا الْعَجِيبَةِ وَيَسْمَعُ
نَعَمَاتِ طَيُورِهَا، وَيُعْجِبُهُ حُسْنُ أَحْجَارِهَا، ثُمَّ حَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ بِفَوَاتِ السَّفِينَةِ،
وَسُرْعَةِ مُرُورِهَا، وَخَطَرِ ذَهَابِهَا فَلَمْ يُصَادَفْ إِلَّا مَكَانًا ضَيِّقًا فَجَلَسَ فِيهِ.

وَأَكْبَ بَعْضُهُمْ عَلَى تِلْكَ الْحِجَارَةِ الْمُسْتَحْسَنَةِ، وَالْأَزْهَارِ الْفَائِقَةِ فَحَمَلَ
مِنْهَا حِمْلَهُ فَلَمَّا جَاءَ لَمْ يَجِدْ فِي السَّفِينَةِ إِلَّا مَكَانًا ضَيْقًا، وَزَادَهُ حِمْلُهُ ضَيْقًا،
فَصَارَ مَحْمُولُهُ ثَقَلًا عَلَيْهِ، وَوَبَالًا وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى نَبْذِهِ بَلْ لَمْ يَجِدْ مِنْ حَمْلِهِ بَدَأً
وَلَمْ يَجِدْ لَهُ فِي السَّفِينَةِ مَوْضِعًا، فَحَمَلَهُ عَلَى عُنُقِهِ وَنَدِمَ عَلَى أَخْذِهِ، فَلَمْ تَنْفَعُهُ
النَّدَامَةُ، ثُمَّ ذَبَلَتْ الْأَزْهَارُ، وَتَغَيَّرَتْ أَرَائِحُهَا وَأَذَاهُ نَتْنُهَا.

وَتَوَلَّجَ بَعْضُهُمْ فِي تِلْكَ الْغِيَاضِ، وَنَسِيَ السَّفِينَةَ، وَأَبْعَدَ فِي نُزْهَتِهِ، حَتَّى
إِنِ الْمَلَّاحَ نَادَى بِالنَّاسِ، عِنْدَ دَفْعِ السَّفِينَةِ، فَلَمْ يَبْلُغْهُ صَوْتُهُ، لاشْتِغَالِهِ
بِمَلَاهِيهِ، فَهُوَ تَارَةً يَتَنَاوَلُ مِنَ الثَّمَرِ وَتَارَةً يَشْمُ تِلْكَ الْأَزْهَارِ وَتَارَةً يُعْجَبُ مِنْ
حُسْنِ الْأَشْجَارِ.

وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ خَائِفٌ مِنْ سُبْحٍ يَخْرُجُ عَلَيْهِ، غَيْرِ مُنْفَكٍّ مِنْ شَوْكٍ يَتَشَبَّهُ
فِي ثِيَابِهِ، وَيَدْخُلُ فِي قَدَمِيهِ أَوْ غُصْنٍ يَجْرَحُ بَدَنَهُ أَوْ عَوْسَجٍ يُحْرِقُ ثِيَابَهُ،
وَيَهْتِكُ عَوْرَتَهُ، أَوْ صَوْتٍ هَائِلٍ يُفْرَعُهُ.

ثُمَّ مِنْ هَوْلَاءِ مَنْ لَحِقَ بِالسَّفِينَةِ، وَلَمْ يَبْقَ فِيهَا مَوْضِعٌ، فَمَاتَ عَلَى
السَّاحِلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ شَعَلَهُ لَهْوُهُ، فَافْتَرَسَتْهُ السَّبَاعُ وَنَهَشَتْهُ الْحَيَاتُ وَمِنْهُمْ مَنْ
تَاهَ فَهَامَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى هَلَكَ، فَهَذَا مِثَالُ أَهْلِ الدُّنْيَا فِي اشْتِغَالِهِمْ بِحُظُوظِهِمْ
الْعَاجِلَةِ، وَنِسْيَانِهِمْ مَوْرَدَهُمْ وَعَاقِبَةَ أَمْرِهِمْ، وَمَا أَقْبَحَ بِالْعَاقِلِ أَنْ تَعْرَهُ أَحْجَارًا،
وَنَبَاتٌ يَصِيرُ هَشِيمًا.

المثال الرابع: لاغترار الناس بالدُّنْيَا، وَضَعْفُ إِيمَانِهِمْ بِالْآخِرَةِ أَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ، إِنَّمَا مِثْلِي وَمِثْلُكُمْ وَمِثْلُ الدُّنْيَا كَمِثْلِ قَوْمٍ سَلَكَوا
مَفَازَةَ غُبْرَاءَ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَدْرُوا مَا سَلَكَوا مِنْهَا أَكْثَرَ أَمْ مَا بَقِيَ، أَنْفَذُوا الرِّيَّادَ،
وَحَسَرُوا الظَّهْرَ، وَبَقُوا بَيْنَ ظَهْرَانِي الْمَفَازَةِ، لَا زَادَ وَلَا حَمُولَةَ، فَأَيَّقُوا
بِالْهَلَكَةِ.

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ خَرَجَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ فِي حُلَّةٍ يَقْطُرُ رَأْسُهُ، فَقَالُوا إِنَّ هَذَا قَرِيبُ عَهْدِ بَرِيْفٍ، وَمَا جَاءَكُمْ هَذَا إِلَّا مِنْ قَرِيبٍ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ، قَالَ يَا هَؤُلَاءِ عَلامَ أَنْتُمْ، قَالُوا عَلَى مَا تَرَى، قَالَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ هَدَيْتُكُمْ عَلَى مَاءٍ رُوءٍ وَرِياضٍ مُخْضِرٍ مَا تَجْعَلُونَ لِي؟

قَالُوا لَا نَعْصِيكَ شَيْئاً، قَالَ عُهودَكُمْ، وَمَوَائِقُكُمْ بِاللَّهِ، قَالَ فَأَعْطُوهُ عُهودَهُمْ، وَمَوَائِقَهُمْ بِاللَّهِ لَا يَعْصُونَهُ شَيْئاً قَالَ فَأُورِدْهُمْ مَاءً وَرِياضاً خُضْراً قَالَ فَمَكَتْ مَا شَاءَ اللَّهُ .

ثُمَّ قَالَ يَا هَؤُلَاءِ الرَّحِيلَ، قَالُوا إِلَى أَيْنَ، قَالَ إِلَى مَاءٍ لَيْسَ كَمَا تُكْمُونَ وَرِياضٍ لَيْسَتْ كَرِياضِكُمْ، قَالَ فَقَالَ جُلُّ الْقَوْمِ، وَهُمْ أَكْثَرُهُمْ وَاللَّهِ مَا وَجَدْنَا هَذَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَجِدَهُ، وَمَا نَصْنَعُ بِعَيْشٍ هُوَ خَيْرٌ مِنْ هَذَا؟

شِعْرًا: عَلَى الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا السَّلَامُ إِذَا مَلَكَتْ خَزَائِنَهَا اللَّئَامُ
قَالَ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ وَهُمْ أَقْلُهُمْ، أَلَمْ يُعْطُوا هَذَا الرَّجُلَ عُهودَكُمْ، وَمَوَائِقُكُمْ بِاللَّهِ، لَا تَعْصُونَهُ شَيْئاً، وَقَدْ صَدَقْتُمْ فِي أَوَّلِ حَدِيثِهِ، فَوَاللَّهِ لَيَصْدُقَنَّكُمْ فِي آخِرِهِ، فَرَاخَ بِمَنْ اتَّبَعَهُ، وَتَخَلَّفَ بِقِيَّتِهِمْ، فَبَادَرَهُمْ عَدُوَّهُمْ، فَأَصْبَحُوا بَيْنَ أَسِيرٍ وَقَتِيلٍ .

شِعْرًا: إِذَا عَاجَلَ الدُّنْيَا أَلَمَ بِمَفْرَجٍ
وَكَانَتْ حَيَاةُ الْحَيِّ سَوْقًا إِلَى الرَّدَى
وَمَا بُثَّ مَنْ يَعْدُو فِي كُلِّ لَحْظَةٍ
وَلِلْمَرءِ يَوْمٌ لَا مَحَالَةَ مَا لَهُ
كَفَانَا اعْتِرَافًا بِالْفَنَاءِ وَرُقْبَةً
آخِر: أَرَانِي بِحَمْدِ اللَّهِ فِي الْمَالِ زَاهِدًا
تَخَلَّيْتُ عَنْ دُنْيَايَ إِلَّا ثَلَاثَةً
فَمَنْ خَلْفَهُ فَجَعَّ سَيِّئَلُوهُ آجِلُ
وَأَيَّامُهُ دُونَ الْمَمَاتِ مَرَّاجِلُ
لَهُ آجِلٌ فِي مُدَّةِ الْعُمْرِ قَاتِلُ
عَدُوِّ وَسَطَ عَامٍ مَا لَهُ الدَّهْرُ قَابِلُ
لِمَكْرُوهِهِ أَنْ لَيْسَ لِلْخُلْدِ أَمَلُ
وَفِي شَرَفِ الدُّنْيَا وَفِي الْعِزِّ أَزْهَدًا
دَفَاتِرَ مِنْ عِلْمٍ وَبَيْتًا وَمَسْجِدًا

غَنَيْتُ بِهَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ حَوَيْتُهُ وَكُنْتُ بِهَا أَغْنَى وَأَقْنَى وَأَسْعَدَا
 وَكَمْ قَدَّرَ أَيْنَا مِنْ عَزِيزٍ مُشْرِفٍ يَبِيْتُ مَقْرَأً بِالضَّلَالَةِ مُجْهَدَا
 أَتَتْهُ الْمَنَايَا وَهُوَ فِي حِينٍ غَفَلَةٍ فَأُضْحَى ذَلِيلًا فِي التُّرَابِ مُوسَدَا

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَثَبِّتْ إِيمَانَنَا وَتَوَزَّ بِصَائِرِنَا وَاهْدِنَا سُبُلَ
 السَّلَامِ وَجَنِّبْنَا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْهَمَمَاتِ ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَاعْمُرْ
 أَوْقَاتِنَا بِتِلَاوَةِ كِتَابِكَ وَأَرْزُقْنَا التَّدَبُّرَ لَهُ وَالْعَمَلَ بِهِ فِي الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ وَأَغْفِرْ لَنَا
 وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصْلٌ»

المثال الخامسُ لِلدُّنْيَا وَأَهْلِهَا، مَا مَثَّلَهَا بِهِ ﷺ كَطَلِ شَجَرَةٍ، وَالْمَرْءُ
 مُسَافِرٌ فِيهَا إِلَى اللَّهِ، فَاسْتَظَلَّ فِي ظِلِّ تِلْكَ الشَّجَرَةِ فِي يَوْمِ صَائِفٍ، ثُمَّ رَاحَ
 وَتَرَكَهَا.

فَتَأَمَّلْ حُسْنَ هَذَا الْمِثَالِ، وَمُطَابَقَتَهُ لِلْوَاقِعِ سَوَاءً، فَإِنَّهَا فِي حُضْرَتِهَا
 كَشَجَرَةٍ، وَفِي سُرْعَةِ انْقِضَائِهَا وَقَبْضِهَا شَيْئاً فَنَشِئاً كَالظِّلِّ وَالْعَبْدُ مُسَافِرٌ إِلَى
 رَبِّهِ، وَالْمُسَافِرُ إِذَا رَأَى شَجَرَةً فِي يَوْمِ صَائِفٍ لَا يَحْسُنُ بِهِ أَنْ يَبْنِي تَحْتَهَا دَاراً،
 وَلَا يَتَّخِذَهَا قَرَاراً، بَلْ يَسْتَظِلُّ بِهَا بِقَدْرِ الْحَاجَةِ، وَمَتَى زَادَ عَلَى ذَلِكَ انْقَطَعَ عَنِ
 الرَّفَاقِ.

المثال السادسُ تَمَثِيلُهُ لَهَا ﷺ بِمُدْخِلِ أَصْبَعِهِ فِي الْيَمِّ، فَالَّذِي يَرْجِعُ بِهِ
 أَصْبَعُهُ مِنَ الْبَحْرِ هُوَ مَثَلُ الدُّنْيَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْآخِرَةِ.

المثال السابعُ مَا مَثَّلَهَا بِهِ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفِقِ عَلَى صِحَّتِهِ مِنْ حَدِيثِ
 أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ، عَلَى
 الْمِنْبَرِ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، فَقَالَ إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ

مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، وَزَيْنَتِهَا فَقَالَ رَجُلٌ يَارَسُولَ اللَّهِ: أَوْ يَأْتِي الخَيْرَ بِالشَّرِّ، فَصَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ كَيْفَ قُلْتَ؟ قَالَ يَارَسُولَ اللَّهِ أَوْ يَأْتِي الخَيْرَ بِالشَّرِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ الخَيْرَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالخَيْرِ، وَإِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعَ مَا يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلِمُّ، إِلَّا آكِلَةَ الخَضِرِ، أَكَلْتُ حَتَّى إِذَا امْتَلَأَتْ حَاصِرَاتُهَا، اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسَ فَتَلَطَّتْ وَبَالَتْ، ثُمَّ اجْتَرَّتْ فَعَادَتْ فَأَكَلَتْ.

فَمَنْ أَخَذَ مَالًا بِحَقِّهِ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَ مَالًا بِغَيْرِ حَقٍّ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، فَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ مِمَّا يَخَافُ عَلَيْهِمُ الدُّنْيَا، وَسَمَّاهَا زَهْرَةً، فَشَبَّهَهَا بِالزَّهْرِ، فِي طِيبِ رَائِحَتِهِ وَحُسْنِ مَنْظَرِهِ، وَقِلَّةِ بَقَائِهِ.

فَهَذِهِ الفِقرَةُ اليَسِيرَةُ، مِنْ جَوَامِعِ كَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَوَتْ عَلَى إِنْجَازِهَا بَشَارَةَ الصَّحَابَةِ الكَرَامِ بِمَا سَيَكُونُ عَلَى أَيْدِيهِمْ، مِنْ فَتْحِ البِلَادِ، وَإِخْضَاعِ العِبَادِ، وَجَلْبِ الأَمْوَالِ الطَّائِلَةِ، وَالعَنَائِمِ الكَثِيرَةِ، وَتَحْذِيرِهِمْ مِنَ الغُرُورِ، وَالرُّكُونِ إِلَى هَذِهِ الأَشْيَاءِ الفَانِيَةِ، وَالأَعْرَاضِ الرَّائِلَةِ.

وَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَثَلَيْنِ حَكِيمَيْنِ أَحَدُهُمَا مَثَلُ المَفْرُطِ فِي جَمْعِ الدُّنْيَا، وَالأَخرَ مَثَلُ المَقْتَصِدِ فِيهَا، أَمَّا الأَوَّلُ، فَمَثَلُهُ مَثَلُ الرَّبِيعِ وَذَلِكَ قَوْلُهُ فَإِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعَ مَا يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلِمُّ، بَأَنَّ يُقَارِبَ الهَلَاكَ.

فَهَذَا المَطْرُ ماءٌ يَنْزِلُهُ اللَّهُ لِإِغَاثَةِ الخَلْقِ وَإِرْوَاءِ كُلِّ ذِي رُوحٍ فَرَغَمَ فَوَائِدِهِ الكَثِيرَةَ وَمَنَافِعِهِ الغَزِيرَةَ وَمَا يَتَسَبَّبُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ إنبَاتِ العُشْبِ وَالكَلَاءِ، يَأْكُلُ مِنْهُ الحَيَوَانُ فَيُكثِرُ فَيَنْفُخُ بَطْنَهُ، فَيَهْلِكُ أَوْ يُقَارِبُ الهَلَاكَ، وَكَذَلِكَ الَّذِي يُكثِرُ مِنَ جَمْعِ المَالِ، وَيَكُونُ عِنْدَهُ مِنَ الجَشَعِ وَالشَّرِّ، وَالحِرْصِ، مَا يَتَجَاوَزُ بِهِ الحَدَّ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا جَمَعَ المَالُ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ، وَمَنَعَ ذَا الحَقِّ حَقَّهُ، فَإِنَّ لَمْ يَقْتُلْهُ قَارِبَ أَنْ يَقْتُلَهُ.

شِعْرًا: تَوَقَّ مَصَارِعَ العَفَلَاتِ واحْذَرْ فَلَيْسَتْ زِينَةُ الدُّنْيَا بِزِينَةَ وَقَصْرُكَ عَنْ هَوَاكَ فَكُلْ نَفْسِ غَدَاةَ غَدٍ بِمَا كَسَبْتَ رَهِينَةَ

هِيَ الدُّنْيَا تَمُوجُ كَمَا تَرَاهَا بِمَا فِيهَا فَشَأْنُكَ وَالسُّفِينَةَ
 آخِر: إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ غُرُورٌ وَالْجُهُولُ الْجُهُولُ مَنْ يَصْطَفِيهَا
 مَا مَضَى فَاتَ وَالْمُؤَمَّلُ غَيْبٌ وَلَكَ السَّاعَةُ الَّتِي فِيهَا
 آخِر: وَمَنْ لَمْ يَعْشِقِ الدُّنْيَا قَدِيمًا وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوُصُولِ
 آخِر: وَمَنْ لَحَظَ الدُّنْيَا بَعَيْنِ حَقِيرَةٍ فَقَدْ لَحَظَ الدُّنْيَا بَعَيْنِ الْحَقِيقَةِ

وَلِذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْأَمْوَالِ قَتَلَتْهُمْ أَمْوَالُهُمْ فَإِنَّهُمْ شَرُّهُوا فِي جَمْعِهَا،
 وَاحْتِاجَ إِلَيْهَا غَيْرُهُمْ، فَلَمْ يَصِلُوا إِلَى ذَلِكَ إِلَّا بِقَتْلِهِمْ، أَوْ مَا يَقَارِبُ ذَلِكَ مِنْ
 إِذْلَالِهِمْ وَقَهْرِهِمْ وَالضَّعْفِ عَلَيْهِمْ.

وَأَمَّا الْمِثَالُ الثَّانِي: وَهُوَ مِثَالُ الْمُقْتَصِدِ فِي جَمْعِ الدُّنْيَا، الطَّالِبِ لِحِلَّهَا،
 فَقَدْ مَثَّلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ «إِلَّا آكَلَةِ الْخُضْرِ»، فَكَأَنَّهُ قَالَ أَلَا انظُرُوا آكَلَةَ
 الْخُضْرَاءِ، وَاعْتَبِرُوا بِشَأْنِهَا «أَكَلْتُ حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا» وَعَظَّمْ
 جَنَابَهَا، أَقْلَعَتْ سَرِيعًا «اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ» تَسْتَمْرِيءُ بِذَلِكَ مَا أَكَلَتْ
 وَتَجْتَرُّهُ «فَتَلَطَّتْ» أَلَقَتْ مَا فِي بَطْنِهَا مِنْ أَدَى سَهْلًا رَقِيفًا.

وَفِي قَوْلِهِ «اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ فَتَلَطَّتْ وَبَالَتْ» ثَلَاثُ فَوَائِدَ أَحَدُهَا
 أَنَّهَا لَمَّا أَحَدَتْ حَاجَتَهَا مِنَ الْمَرْعَى تَرَكْتُهُ، وَبَرَكَتْ مُسْتَقْبَلَةً عَيْنَ الشَّمْسِ،
 تَسْتَمْرِيءُ، الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ أَنَّهَا أُعْرِضَتْ عَمَّا يَضُرُّهَا مِنَ الشَّرِّهِ فِي الْمَرْعَى،
 وَأَقْبَلَتْ عَلَى مَا يَنْفَعُهَا، مِنْ اسْتِقْبَالِ الشَّمْسِ الَّتِي يَحْصُلُ لَهَا بِحَرَارَتِهَا انْضَاجُ
 مَا أَكَلَتْهُ وَإِخْرَاجُهُ.

الثَّلَاثَةُ: أَنَّهَا اسْتَفْرَعَتْ بِالْبَوْلِ وَالثَّلْطِ مَا جَمَعْتَهُ مِنَ الْمَرْعَى فِي بَطْنِهَا،
 فَاسْتَرَاخَتْ بِإِخْرَاجِهِ وَلَوْ بَقِيَ فِيهَا لَقَتَلَهَا، هَكَذَا جَامِعُ الْمَالِ مَصْلَحَتَهُ أَنْ يَفْعَلَ
 بِهِ كَمَا فَعَلَتْ هَذِهِ الشَّاةُ فَتَنَّبَهُ لِذَلِكَ أَيُّهَا الْمُعْفَلُ الْجَمُوعُ الْمَنُوعُ.

شِعْرًا: وَإِيَّاكَ وَالدُّنْيَا الدَّيِّبَةَ إِنَّهَا هِيَ السَّحْرُ فِي تَحْيِيلِهِ وَافْتِرَائِهِ

وَأَضْعَاثُ حُلْمٍ حَادِجٍ بِبَهَائِهِ
 وَمَنْ أَضْحَكَتْ قَدْ آذَنْتْ بِبُكَائِهِ
 تُجْرَعُهُ كَأَسَّ الرَّدَى فِي مَسَائِهِ
 بِأَيْدِي الْمَنَايَا أَوْ بِأَيْدِي عِدَائِهِ
 وَيَحْسِبُهَا الْمَعْرُورُ مِنْ أَصْدِقَائِهِ
 سَرَابٌ فَمَا الظَّامِي رَوَى مِنْ عَنَائِهِ
 وَكَمْ ذَمَّهَا الْأَخْيَارُ مِنْ أَصْفِيَائِهِ
 مِنَ الْعِلْمِ مَا يَجْلُو الصَّدَا بِجَلَائِهِ
 فَمَا قَلْبُهُ إِلَّا مَرِيضاً بِدَائِهِ
 وَإِنْ لَمْ يَقُمْ جُلُّ الْوَرَى بِأَدَائِهِ
 سَتَزْهَدُ فِيهِ النَّاسُ بَعْدَ فَنَائِهِ
 رَهِيناً أَسِيراً آيساً مِنْ وَرَائِهِ
 وَتَكْسُوهُ ثَوْبَ الرُّحْصِ بَعْدَ غَلَائِهِ
 عَلَى جَمْعِهَا قَاسَى عَظِيمٍ شَقَائِهِ
 يَضِيقُ بِهِ بَعْدَ اتِّسَاعِ فَضَائِهِ
 أَنِيسٌ سِوَى دُودٍ سَعَى فِي حَشَائِهِ
 وَمِنْ ثُرْبَةٍ تَحْوِي الْفَتَى لِبَلَائِهِ
 فَيَجْزَى بِهِ الْإِنْسَانُ أَوْ فِي جَزَائِهِ
 وَلَا بُدَّ يَوْماً لِلْفَتَى مِنْ لِقَائِهِ
 وَلَا بُدَّ فِيهِمْ مِنْ نُفُوزِ قَضَائِهِ
 لَتَغْنَمَ وَقْتِ الْعُمْرِ قَبْلَ انْفِضَائِهِ
 وَأَسْبَابُهَا مَمْدُودَةٌ مِنْ وَرَائِهِ
 يَكُونُ خِتَامَ الْعُمْرِ عِنْدَ انْتِهَائِهِ
 تُضَارِعُ لَوْنَ التَّبْرِ حَالَ صَفَائِهِ

مَتَاعُ غُرُورٍ لَا يَدُومُ سُرُورُهَا
 فَمَنْ أَكْرَمَتْ يَوْماً أَهَانَتْ لَهُ غَدَاً
 وَمَنْ تُسْقِيهِ كَأْساً مِنَ الشَّهْدِ غُدُوءَةً
 وَمَنْ تَكْسُ تَاجَ الْمُلْكِ تَنْزَعُهُ عَاجِلاً
 إِلَّا إِنَّهَا لِلْمَرْءِ مِنْ أَكْبَرِ الْعِدَا
 فَلَدَائِهَا مَسْمُومَةٌ وَوَعُودُهَا
 وَكَمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ ذَمِّهَا
 فَدُونُكَ آيَاتِ الْكِتَابِ تَجِدُ بِهَا
 وَمَنْ يَكُ جَمْعُ الْمَالِ مَبْلَغَ عِلْمِهِ
 فَدَعَهَا فَإِنَّ الزُّهْدَ فِيهَا مُحْتَمٌ
 وَمَنْ لَمْ يَذَرِهَا زَاهِداً فِي حَيَاتِهِ
 فَتَتْرُكُهُ يَوْماً صَرِيحاً بِقَبْرِهِ
 وَيَنْسَاهُ أَهْلُوهُ الْمُفْدَى لَدَيْهِمْ
 وَيَنْتَهَبُ الْوَرَاثُ أَمْوَالَهُ الَّتِي
 وَتُسْكِنُهُ بَعْدَ الشَّوَاهِقِ حُفْرَةً
 يُقِيمُ بِهَا طَوْلَ الزَّمَانِ وَمَا لَهُ
 فَوَاهِياً لَهَا مِنْ غُرْبَةٍ ثُمَّ كُرْبَةٍ
 وَمَنْ بَعْدَ ذَا يَوْمِ الْحِسَابِ وَهَوْلُهُ
 وَلَا تَنْسَ ذِكْرَ الْمَوْتِ فَالْمَوْتُ غَائِبٌ
 قَضَى اللَّهُ مَوْلَانَا عَلَى الْخَلْقِ بِالْفَنَاءِ
 فَخُذْ أَهْبَةً لِلْمَوْتِ مِنْ عَمَلِ التُّقَى
 وَإِيَّاكَ وَالْأَمَالَ فَالْعُمْرُ يَنْقُضِي
 وَحَافِظٌ عَلَى دِينِ الْهُدَى فَلَعْلُهُ
 فَدُونُكَ مِنِّي فَاسْتَمِعْهَا نَصِيحَةً

وَصَلَّى عَلَى طَوْلِ الزَّمَانِ مُسَلِّمًا سَلَامًا يَفُوقُ الْمِسْكَ عَرْفَ شِدَائِهِ
 عَلَى خَاتَمِ الرِّسْلِ الْكَرَامِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ وَالْآلِ أَهْلَ كِسَائِهِ
 وَاتَّبَاعِهِمْ فِي الدِّينِ مَا اهْتَرَّ بِالرُّبَا رِيَاضُ سَقَاهَا طَلَّهَا بِنْدَائِهِ
 اللَّهُمَّ اجْعَلْ قُلُوبَنَا مَمْلُوءَةً بِحُبِّكَ وَالسِّنَّتَنَا رَطْبَةً بِذِكْرِكَ وَنُفُوسَنَا مُطِيعَةً
 لِأَمْرِكَ وَأَرْزُقْنَا الرُّهْدَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عَلَى الْإِقْبَالِ وَالْآخِرَةَ وَاغْفِرْ لَنَا، اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا
 لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَنَجِّنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ ، وَأَمَّا مِنَ الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ
 الرَّجْفِ وَالرِّزَالِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
 وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 أَجْمَعِينَ .

«فَصْلٌ» : إِعْلَمْ وَفَقْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ ، أَنْ
 الْأُلْفَةَ ثَمَرَةَ حُسْنِ الْخُلُقِ ، وَالتَّفَرُّقَ ثَمَرَةَ سُوءِ الْخُلُقِ ، فَحُسْنُ الْخُلُقِ يُوجِبُ
 التَّحَابَ ، وَالتَّالِفَ وَالتَّوَافُقَ ، وَسُوءُ الْخُلُقِ يَثْمُرُ التَّبَاغُضَ ، وَالتَّحَاسُدَ ، وَالتَّدَابُرَ .

وَمَهْمَا كَانَ الْمَثْمُرُ مَحْمُودًا ، كَانَتْ الثَّمَرَةُ مَحْمُودَةً ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ لَا تَخْفَى
 فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ، وَقَالَ
 ﷺ : «أَكْثَرُ مَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ تَقْوَى ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ» ، وَقَالَ أُسَامَةُ بْنُ شَرِيكٍ
 قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا خَيْرُ مَا أُعْطِيَ الْإِنْسَانُ ؟ فَقَالَ : «حُسْنُ الْخُلُقِ» وَقَالَ ﷺ :
 «بُعِثْتُ لِأَتِمَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ» .

وَقَالَ ﷺ : «أَثْقَلُ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ خُلُقٌ حَسَنٌ» ، وَقَالَ ﷺ :
 «الْمُؤْمِنُ الْفِ مَالُوفٌ ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلُفُ وَلَا يُؤْلَفُ» ، وَلِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ
 السُّلَمِيِّ فِي آدَابِ الصُّحْبَةِ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ : (مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ لَهُ
 إِخْوَانٌ صَالِحِينَ) .

وَاللِّإِحْيَاءِ أَرْبَعٌ حُصَالٌ : الْأَوَّلَى الْعَقْلُ الْمَوْفُورُ الْهَادِي إِلَى مَرَاشِدِ الْأُمُورِ

بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِنَّ الْحُمُقَ لَا تَثْبُتُ مَعَهُ مَوَدَّةٌ وَلَا تَدُومُ مَعَهُ صُحْبَةٌ، لِعَدَمِ مُرَاعَاتِهِ حُقُوقِ الْأَخْيَاءِ .

وَالْحَصْلَةُ الثَّانِيَةُ الدِّينَ الْوَاقِفَ بِصَاحِبِهِ عَلَى الْخَيْرَاتِ، فَإِنَّ تَارِكَ الدِّينِ عَدُوٌّ لِنَفْسِهِ يُلْقِيهَا فِي الْمَهَالِكِ، فَكَيْفَ يُرْجَى مِنْهُ نَفْعٌ وَمَوَدَّةٌ لِعَيْرِهِ .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ اصْطَحَبْ مِنَ الْإِخْوَانِ صَاحِبَ الدِّينِ، وَالْحَسَبِ، وَالرَّأْيِ وَالْأَدَبِ، فَإِنَّهُ عَوْنٌ لَكَ عِنْدَ حَاجَتِكَ، لِأَنَّ دِينَهُ يُحْتَمُّ عَلَيْهِ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ مِنْ مُفْتَضِّلَاتِهِ وَيَدُّ عِنْدَ نَائِبَتِكَ، وَذَلِكَ مِنْ مُوَجِّبَاتِ رَأْيِهِ، وَحَسْبِهِ، وَأَنْسٌ عِنْدَ وَحْشَتِكَ لِأَدَبِهِ .

وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْعَارِفِينَ: الْأَخُ الصَّالِحُ خَيْرٌ مِنْ نَفْسِكَ، لِأَنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، وَالْأَخُ الصَّالِحُ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِالْخَيْرِ .

الثَّالِثَةُ: أَنْ يَكُونَ مَحْمُودَ الْأَخْلَاقِ، مَرْضِيَّ الْأَفْعَالِ، مُؤَثَّرًا لِلْخَيْرِ، أَمْرًا بِهِ لِخَلِيلِهِ، كَارِهًا لِلشَّرِّ دِيَانَةً، وَخُلُقًا، نَاهِيًا عَنِ الشَّرِّ مُرُوءَةً وَحَسَبًا، فَإِنَّ مَوَدَّةَ الشَّرِّيرِ تَكْسِبُ الْأَعْدَاءَ، وَتُفْسِدُ الْأَخْلَاقَ، وَلَا خَيْرَ فِي مَوَدَّةِ تَجَلِبُ عَدَاوَةً، وَتُورِثُ مَذَمَّةً وَمَلَامَةً .

وَقَدْ ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ مَثَلَيْنِ لِلْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السُّوءِ، فَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السُّوءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يَحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحَةً خَبِيثَةً»، متفقٌ عليه .

هَذَا الْحَدِيثُ يُفِيدُ أَنَّ الْجَلِيسَ الصَّالِحَ جَمِيعُ أَحْوَالِ صَدِيقِهِ مَعَهُ خَيْرٌ وَبَرَكَتَةٌ وَنَفْعٌ وَمَعْنَمٌ مِثْلُ حَامِلِ الْمِسْكِ الَّذِي تَنْتَفِعُ بِمَا مَعَهُ مِنْهُ، إِمَّا بِبَهْبَةٍ، أَوْ بِبَيْعٍ أَوْ أَقْلُ شَيْءٍ مُدَّةَ الْجُلُوسِ مَعَهُ، وَأَنْتَ قَرِيرُ النَّفْسِ، مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ، بِرَائِحَةِ الْمِسْكِ .

وهذا تقريبٌ، وَتَشْبِيهُ لَهُ بِذَلِكَ وَإِلَّا فَمَا يَحْصُلُ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي يُصِيبُهُ الْعَبْدُ مِنْ جَلِيسِهِ الصَّالِحِ أْبْلَغُ وَأَفْضَلُ مِنَ الْمِسْكِ الْأَذْفَرِ، فَإِنَّهُ إِذَا أُنْ يُعْلَمُكَ أَمْوَرًا تَنْفَعُكَ فِي دِينِكَ، وَإِذَا أُنْ يُعْلَمُكَ أَمْوَرًا تَنْفَعُكَ فِي دُنْيَاكَ، أَوْ فِيهِمَا جَمِيعًا، أَوْ يُهْدِي لَكَ نَصِيحَةً تَنْفَعُكَ مُدَّةَ حَيَاتِكَ، وَبَعْدَ وَفَاتِكَ أَوْ يَنْهَاكَ عَمَّا فِيهِ مَضْرَةٌ لَكَ.

شِعْرًا: عَاشِرُ أَحْوَالِ الدِّينِ كَيْ تَحْظَى بِصُحْبَتِهِ فَالطَّبِيعُ مُكْتَسَبٌ مِنْ كُلِّ مَصْحُوبٍ
كَالرِّيْحِ آخِذَةٌ مِمَّا تَمُرُّ بِهِ تَنْتَأُ مِنَ النَّتَنِ أَوْ طِيبًا مِنَ الطَّيْبِ

فَأَنْتَ مَعَهُ دَائِمًا فِي مَنْفَعَةٍ، وَرَبْحِكَ مَضْمُونٌ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَتَجِدُهُ دَائِمًا يَرَى أَنَّكَ مُقَصِّرٌ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، فَتَزْدَادُ هِمَّتَكَ فِي الطَّاعَةِ، وَيَجْتَهِدُ فِي الزِّيَادَةِ مِنْهَا، وَتَرَاهُ يُبْصِرُكَ بِعُيُوبِكَ، وَيَدْعُوكَ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَمَحَاسِنِهَا بِقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ وَحَالِهِ.

فَالْإِنْسَانُ مَجْبُورٌ عَلَى التَّقْلِيدِ، وَالْإِقْتِدَاءِ بِصَاحِبِهِ، وَجَلِيسِهِ، وَالطَّبِيعِ وَالْأَرْوَاحِ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، يَقُودُ بَعْضُهَا بَعْضًا إِلَى الْخَيْرِ، أَوْ إِلَى الشَّرِّ، وَأَقْلُ نَفْعٍ يَحْصُلُ مِنَ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ انْكَفَافُ الْإِنْسَانِ بِسَبَبِهِ عَنِ السَّيِّئَاتِ، وَالْمَسَاوِي وَالْمَعَاصِي، رِعَايَةٌ لِلصُّحْبَةِ، وَمُنَافَسَةٌ فِي الْخَيْرِ وَتَرْفَعًا عَنِ الشَّرِّ وَاللَّهُ الْمُؤَقِّقُ.

وَمِنْ مَا فَيَسْتَفَادُ مِنَ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ أَنَّهُ يَحْمِي عِرْضَكَ فِي مَغِيبِكَ، وَفِي حَضْرَتِكَ، يُدَافِعُ وَيَذُبُّ عَنْكَ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّكَ تَنْتَفِعُ بِدُعَائِهِ لَكَ حَيًّا أَوْ مَيِّتًا.

وَأَمَّا مُصَاحَبَةُ الْأَشْرَارِ فَهِيَ السُّمُّ النَّاقِعُ، وَالْبَلَاءُ الْوَاقِعُ، فَتَجِدُهُمْ يُشَجِّعُونَ عَلَى فِعْلِ الْمَعَاصِي، وَالْمُنْكَرَاتِ، وَيَرْغَبُونَ فِيهَا وَيَفْتَحُونَ لِمَنْ خَالَطَهُمْ، وَجَالَسَهُمْ أَبْوَابَ الشَّرِّ وَيُزَيِّنُونَ لِمَجَالِسِيهِمْ أَنْوَاعَ الْمَعَاصِي.

شِعْرًا: وَلَا تَجْلِسْ إِلَى أَهْلِ الدُّنْيَا فَإِنَّ خَلَائِقَ السُّفَهَاءِ تُعْدِي وَيَحْتُونَهُمْ عَلَى أَذْيَةِ الْخَلْقِ، وَيَذَكِّرُونَهُمْ بِأَمْوَرِ الْفَسَادِ، الَّتِي لَمْ تَدْرِ فِي

خَلَدِهِمْ، وَإِنْ هَمَّ بِتَوْبَةٍ وَانزَجَارٍ عَنِ الْمَعَاصِي حَسَنُوا عِنْدَهُ تَأْجِيلَ ذَلِكَ،
وَطَوَّلَ الْأَمَلِ، وَأَنْ مَا أَنْتَ فِيهِ أَهْوَنُ مِنْ غَيْرِهِ، وَفِي إِمْكَانِكَ التَّوْبَةُ، وَالْإِنَابَةُ إِذَا
كَبُرَتْ فِي السَّنِّ.

وَمَا يُقَلِّدُهُمْ بِهِ وَيَكْسِبُهُ مِنْ طِبَاعِهِمْ أَكْثَرُ مِنْ مَا ذَكَرْنَا، وَكَمْ قَادُوا
أَصْحَابَهُمْ إِلَى الْمَهَالِكِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

شِعْرًا: وَأَهْوَى مِنَ الشُّبَّانِ كُلِّ مُجِيبٍ عَنْ اللَّهِ مِقْدَامًا إِلَى كُلِّ طَاعَةٍ
أَخُو عِفَّةٍ عَنِ كُلِّ شَيْءٍ مُحَرَّمٍ وَذُرُّ رَغْبَةٍ فِيمَا يَقُودُ لِحَنَةِ
تَمَسَّكَ بِهِ إِنْ تَلَقَّه يَا أَخَا التُّقَى تَمَسَّكَ ذِي بُخْلِ بِبَيْتِرٍ وَفِضَّةٍ
أَحَبُّ مِنَ الْإِخْوَانِ كُلِّ مُوَاتِي وَكَلَّ غَضِيضِ الطَّرْفِ عَنْ هَفَوَاتِي
يُؤَافِقُنِي فِيمَا بِهِ اللَّهُ رَاضِيًا وَيَحْفَظُنِي حَيًّا وَبَعْدَ مَمَاتِي
آخِر: وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تَزُرْ بِهَا حَبِيبًا وَلَمْ يَطْرُبْ إِلَيْكَ حَبِيبُ

اللَّهُمَّ اأْمُنْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا عَنَّا كُلَّ ذَنْبٍ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصْلٌ»: وَكَمْ حَثَّ ﷺ عَلَى أَهْلِ الدِّينِ فَعَنَ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرِ الْمَرْءُ مَنْ يُخَالِلُ» قَالَ
الْعُلَمَاءُ مَعْنَاهُ لَا تُخَالِلْ إِلَّا مَنْ رَضِيَتْ دِينَهُ وَأَمَانَتُهُ فَإِنَّكَ إِذَا خَالَتَهُ قَادَكَ إِلَى
دِينِهِ، وَمَذْهَبِهِ، وَلَا تُعَرِّزْ بِدِينِكَ وَلَا تُخَاطِرْ بِنَفْسِكَ، فَتُخَالِلْ مَنْ لَيْسَ مَرْضِيًّا
فِي دِينِهِ وَمَذْهَبِهِ.

وَقَالَ سَفِيَانُ بْنُ عَمِينَةَ، وَقَدْ رَوَى فِي تَفْسِيرِ هَذَا الْحَدِيثِ انْظُرُوا إِلَى
فِرْعَوْنَ مَعَهُ هَامَانَ وَانظُرُوا إِلَى الْحِجَاجِ مَعَهُ يَزِيدُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ شَرٌّ مِنْهُ قُلْتُ
وَانظُرُوا إِلَى يَزِيدِ بْنِ مَعَاوِيَةَ مَعَهُ مُسْلِمٌ ابْنُ عَقْبَةَ الْمُرِّي شَرٌّ مِنْهُ انظُرُوا إِلَى
سَلِيمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ صَحْبَهُ رَجَاءُ بْنُ حَيَّوَةَ الْكَنْدِيُّ أَحَدُ الْأَعْلَامِ الْأَفْضَلِ،
فَقَوْمُهُ وَسَدَدُهُ.

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «تُصَاحِبُ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلُ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا» قَالَ الْعُلَمَاءُ مَعْنَى الْحَدِيثِ لَا تَدْعُوا إِلَى مُوَاطَأَتِكُمْ إِلَّا الْأَتْقِيَاءَ، لِأَنَّ الْمُوَاطَأَةَ تَدْعُو إِلَى الْأَلْفَةِ، وَتُوَجِّهُهَا، وَتَجْمَعُ بَيْنَ الْقُلُوبِ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ فَتَوَخَّ أَنْ يَكُونَ حُلَطَاؤُكَ وَذَوُؤُ الْاِحْتِصَاصِ بِكَ أَهْلُ التَّقْوَى.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَا تَلْزَمُوا مَجَالِسَ الْعَشَائِرِ فَإِنَّهَا تُمِيتُ الْقَلْبَ، وَلَا يُبَالِي الرَّجُلُ بِمَا تَكَلَّمَ، نَادِيهِمْ، وَتَفَرَّقُوا فِي الْعَشَائِرِ فَإِنَّهُ أُحْرَى أَنْ تُحْفَظُوا فِي الْمَقَالَةِ».

وقال بعضهم: يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُجَانِبَ طُلَّابَ الدُّنْيَا فَإِنَّهُمْ يَدُلُّونَهُ عَلَى طَلِبِهَا وَمَنْعِهَا وَذَلِكَ يُبْعِدُهُ عَنِ نَجَاتِهِ وَيَقْضِيهِ عَنْهَا وَيَحْرُسُ وَيَجْتَهِدُ فِي عِشْرَةِ أَهْلِ الْخَيْرِ وَطُلَّابِ الْآخِرَةِ:

شِعْرًا: إِصْحَبْ مِنَ الْإِخْوَانِ مَنْ أَحْلَصُوا
وَمَنْ إِذَا تَكَاسَلَتْ فِي طَاعَةٍ
آخِر: لَجَلَسْتِي مَعَ فَقِيهِ مُخْلِصٍ وَرَعٍ
أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا
آخِر: وَقَارِنْ إِذَا قَارَنْتَ حُرًّا أَحَا تَقَى
آخِر: وَمَنْ يَكُنِ الْعُرَابُ لَهُ دَلِيلًا
كُلُّ مَنْ لَا يُوَاحِيكَ فِي اللَّهِ
خَيْرُ خَلٍ أَفْذَتُهُ ذُو إِحْيَاءٍ
لِلَّهِ فِي أَعْمَالِهِمْ وَاتَّقُوا
لِلَّهِ لِأَمْوَالِكُمْ وَلَا قَصَرُوا
أَنْفِي بِهَا الْجَهْلُ أَوْ أزدَدَ بِهَا أَدَبًا
وَمِلْئِهَا فَضَّةٌ أَوْ مِلْئِهَا ذَهَبًا
فَإِنَّ الْفَتَى يُزِرِّي بِهِ قُرْأُوهُ
يَمُرُّ بِهِ عَلَى جَيْفِ الْكِلَابِ
فَلَا تَرُجُ أَنْ يَدُومَ إِحْوَاؤُهُ
كَانَ لِلَّهِ وَدُهُ وَصَفَاؤُهُ

وقال آخر: عَلَيْكَ بِصُحْبَةِ أَهْلِ الْخَيْرِ مِمَّنْ تَسَلَّمُ مِنْهُ فِي ظَاهِرِكَ وَتَعِينُكَ رُؤْيَتُهُ عَلَى الْخَيْرِ وَيُذَكِّرُكَ اللَّهُ.

قَالَ الْعُلَمَاءُ قَدْ حَدَّرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ مُجَالَسَةِ مَنْ لَا يَسْتَفِيدُ الْمَرْءُ بِهِ فَضِيلَةً، وَلَا يَكْتَسِبُ بِصُحْبَتِهِ عِلْمًا وَأَدَبًا.

وعن وَدِيعَةَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ
 وَهُوَ يَعْطُ رَجُلًا لَا تَتَكَلَّمُ فِيهَا لَا يَعْغِيكَ، وَاعْتَزَلَ عَدُوَّكَ، وَاحْذَرْ صَدِيقَكَ، إِلَّا
 الْأَمِينَ وَلَا أَمِينَ إِلَّا مَنْ يَحْشَى اللَّهَ وَيَطِيعُهُ، وَلَا تَمْشِ مَعَ الْفَاجِرِ، فَيَعْلَمَكَ مِنْ
 فُجُورِهِ، وَلَا تُطْلِعْهُ عَلَى سِرِّكَ وَلَا تُشَاوِرْ فِي أَمْرِكَ إِلَّا الَّذِينَ يَحْشَوْنَ اللَّهَ
 سُبْحَانَهُ .

وَوَعِظَ بَعْضُهُمْ ابْنَهُ فَقَالَ لَهُ إِيَّاكَ وَإِخْوَانَ السُّوءِ، فَإِنَّهُمْ يَحُونُونَ مَنْ
 رَافَقَهُمْ، وَيُفْسِدُونَ مَنْ صَادَقَهُمْ، وَقُرْبُهُمْ أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ، وَرَفْضُهُمْ
 وَالْبُعْدُ عَنْهُمْ مِنْ اسْتِكْمَالِ الْأَدَبِ وَالِدِّينِ وَالْمَرْءُ يُعْرِفُ بِقَرِينِهِ، قَالَ وَالْإِخْوَانُ
 إِثْنَانِ فَمُحَافِظٌ عَلَيْكَ عِنْدَ الْبَلَاءِ، وَصَدِيقٌ لَكَ فِي الرَّخَاءِ، فَاحْفَظْ صَدِيقَ
 الْبَلِيَّةِ، وَتَجَنَّبْ صَدِيقَ الْعَافِيَةِ فَإِنَّهُمْ أَعْدَى الْأَعْدَاءِ فِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ
 الشَّاعِرُ :

«أَرَى النَّاسَ إِخْوَانَ الرَّخَاءِ وَإِنَّمَا
 «وَكُلَّ خَلِيلٍ بِالْمُهُونِ مَلَاطِفٌ
 آخِر: إِذَا حَقَّقْتَ وَدَاً فِي صَدِيقِ
 وَكُنْ كَالشَّمْسِ تَطْلُعُ كُلَّ يَوْمٍ
 آخِر: فَمَا أَكْثَرَ الْإِخْوَانَ حِينَ تَعُدُّهُمْ
 آخِر: وَكُلُّ مُقَلٍّ حِينَ يَغْدُو لِحَاجَةٍ
 وَكَانَ بَنُو عَمِّي يَقُولُونَ مَرْحَبًا
 النَّاسُ أَعْوَانُ مَنْ دَامَتْ لَهُ نِعَمٌ
 لَمَّا رَأَيْتُ أَخْلَاطِي وَخَالِصَتِي
 أَبْدَوْا صُدُودًا وَإِعْرَاضًا فَقُلْتُ لَهُمْ
 آخِر: سَمِعْنَا بِالصَّدِيقِ وَلَا نَرَاهُ
 آخِر: فَرِيدٌ مِنَ الْخَلَالِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ

أُحُوكَ الَّذِي آخَاكَ عِنْدَ الشَّدَائِدِ
 وَلَكِنَّمَا الْإِخْوَانِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ
 فَرَزُهُ وَلَا تَخَفُ مِنْهُ مِلَالًا
 وَلَا تَكُ فِي زِيَارَتِهِ هِلَالًا
 وَلَكِنَّهُمْ فِي النَّائِبِ قَلِيلٌ
 إِلَى كُلِّ يَلْقَى مِنَ النَّاسِ مُذْنِبٌ
 فَلَمَّا رَأَوْنِي مُعْدِمًا مَاتَ مَرْحَبٌ
 وَالْوَيْلُ لِلْمَرْءِ إِنْ زَلَّتْ بِهِ قَدَمٌ
 وَالْكُلُّ مُنْقَبِضٌ عَنِّي وَمُحْتَشِمٌ
 أَذِنْتُ ذَنْبًا فَقَالُوا ذَنْبَكَ الْعَدَمُ
 عَلَى التَّحْقِيقِ يُوجَدُ فِي الْأَنْبَامِ
 إِذَا عَظَّمَ الْمَطْلُوبُ قَلَّ الْمُسَاعِدُ

آخر: وَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ إِلَّا أَقْلَهُمْ
 بَنِي أُمَّ ذِي الْمَالِ الْكَثِيرِ يَرَوْنَهُ
 وَهُمْ لِمُقَلِّ الْمَالِ أَوْلَادُ عِلَّةٍ
 آخر: وَلَيْسَ أَحْوَكُ الدَّائِمِ الْعَهْدِ بِالَّذِي
 وَلَكِنَّهُ النَّائِي إِذَا كُنْتَ آمِنًا
 آخر: دَعَوَى الْإِخَاءَ مَعَ الرَّحَاءِ كَثِيرَةً
 خِفَافَ الْعُهُودِ يُكْثِرُونَ التَّنَقُّلًا
 وَإِنْ كَانَ عَبْدًا سَيِّدَ الْقَوْمِ جَحْفَلًا
 وَإِنْ كَانَ مَحْضًا فِي الْعُمُومَةِ مُحْوَلًا
 يَسُوءُكَ إِنْ وَلِيَّ وَيُرْضِيكَ مُقْبِلًا
 وَصَاحِبِكَ الْأَذْنَى إِذَا الْأَمْرُ أَعْضَلًا
 وَمَعَ الشَّدَائِدِ تُعْرَفُ الْإِخْوَانُ

وعن شريك بن عبدالله كان يُقال لا تسافر مع جبان فإنه يقر من أبيه
 وأمه، ولا تُسافر مع أحمق، فإنه يخذلك أحوج ما تكون إليه ولا تُسافر مع
 فاسق فإنه يبيعك بأكلة وشربة.

وعن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله ﷺ إن الله خلق آدم عليه
 السلام من قبضة قبضتها من جميع أجزاء الأرض فجاء بنوا آدم على قدر
 الأرض، منهم الأحمر والأسود والأبيض والسهل والحزن.

قال العلماء في هذا الحديث بيان أن الناس أصناف، وطبقات، وأنهم
 متفاوتون في الطبائع، والأخلاق، فمنهم الخير الفاضل، الذي ينتفع بصحبتيه،
 وصداقته، ومجاورته، ومشاورته ومقارنته ومشاركته ومصاهرته ولا ينسى ما
 أسديت إليه من معروف عندما كان محتاجا.

شعرا: وَإِنَّ أَوْلَى الْمَوَالِي أَنْ تُوَالِيَهُ
 إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أُيسرُوا ذَكَرُوا
 آخر: نَسِيْبُكَ مَنْ نَاسَبَكَ فِي الدِّينِ وَالتَّقَى
 آخر: تَقَى الدِّينِ يَجْتَنِبُ الْمَحَازِي
 آخر: كُلُّ الْأَنَامِ بَنُو أَبٍ لَكِنَّمَا
 آخر: إِذَا أَرَدْتَ شَرِيْفَ النَّاسِ كُلِّهِمْ
 عِنْدَ السُّرُورِ الَّذِي وَاسَاكَ فِي الْحَزَنِ
 مَنْ كَانَ يَأْلُفُهُمْ فِي الْمَنْزِلِ الْحَشِينِ
 وَجَارِكَ مَنْ أَحْبَبْتَ فِي اللَّهِ قَرْبَهُ
 وَيَحْمِيهِ عَنِ الْعَدْرِ الْوَفَاءُ
 بِالَّذِينَ تُعْرَفُ قِيْمَةُ الْإِنْسَانِ
 فَانظُرْ إِلَى مُخْلِصِ اللَّهِ فِي الدِّينِ

وَمِنْهُمْ الرَّدِيءُ الناقصُ العقلِ الذي يُتَضَرَّرُ بِقُرْبِهِ، وَعِشْرَتِهِ وَصداقَتِهِ
وَجَمِيعُ الاتصالاتِ به ضررٌ وشرٌّ، ونكدٌ، وشبهُ ما لِهَذَا الدَّلْبُ المسمَّى
الخُنَيْزِ، وَبَعْضُهُمْ يُسَمِّيهِ شَبَابَ النارِ، فهذا النَّبْتُ يَمُصُّ الماءَ عن الشَّجَرِ
وَالزَّرْعِ وَيَضِيقُ عَلَيْهِ، وَيَضُرُّ مَنْ اتَّصَلَ بِهِ، قال ابنُ القَيْمِ رحمه اللهُ في وَصْفِ
المنحرفين مُشَبَّهًا لَهُمْ بِهِ وهو شَبَّهَ مُطَابِقُ:

فَهُمْ لَدَى غَرَسِ الإِلهِ كَمَثَلِ غَرَسِ الدَّلْبِ بَيْنَ مَعَارِسِ الرُّمَانِ
يَمْتَصُّ مَاءَ الزَّرْعِ مَعَ تَضْيِيقِهِ أبدأً عَلَيْهِ وَلَيْسَ ذَا قِنْوَانِ
آخِرُ: النَّاسُ مِثْلُ ضُرُوفِ حَشْوِهَا صَبْرٌ وَفَوْقَ أَفْوَاهِهَا شَيْءٌ مِنَ العَسَلِ
تَعْرُ ذَائِقُهَا حَتَّى إِذَا كُشِفَتْ لَهُ تَبَيَّنَ مَا تَحْوِيهِ مِنْ دَخَلِ

ومنها السَّبَاخُ الحَبِيئَةُ التي يَضِيعُ بُدُورُهَا، وَيَبِيدُ زَرْعُهَا وما بين ذَلِكَ على
حَسَبِ ما يُشَاهَدُ مِنْهَا وَيُوجَدُ حَساً.

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسُ مَعَادِنُ قَالَ
الْحَطَّايِ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ، وفي هَذَا الْقَوْلِ أَيْضاً بَيَانٌ أَنَّ اخْتِلَافَ النَّاسِ غَرَائِزُ
فِيهِمْ، كَمَا أَنَّ المَعَادِنَ وَدَائِعَ مَرْكُوزَةً فِي الأَرْضِ فَمِنْهَا الجَوْهَرُ النَفِيسُ وَمِنْهَا
الْفِلْزُ الحَسِينُ.

وكَذَلِكَ جَوَاهِرُ النَّاسِ، وَطَبَاعُهُمْ، مِنْهَا الزَكِيُّ الرَضِيُّ وَمِنْهَا الناقصُ
الدُّنْيِيُّ وَإِذَا كَانُوا كَذَلِكَ، وَكَانَ الأَمْرُ عَلَى العِيَانِ مِنْهُمْ مُشْكِلًا وَاسْتِبرَاءُ العَيْبِ
فِيهِمْ مُتَعَدِّراً فَالْحَزْمُ إِذَا الأَمْسَاكُ عَنْهُمْ، وَالتَّوَقُّفُ عَنِ مُدَاخَلَتِهِمْ إِلَى أَنْ تَكْشِفَ
المِحْنَةُ عَنِ أَسْرَارِهِمْ وَبَوَاطِنِ أَمْرِهِمْ فَيَكُونُ عِنْدَ ذَلِكَ إِقْدَامٌ عَلَى خِبرَةٍ، أَوْ
إِحْجَامٌ عَنِ بَصِيرَةٍ.

شِعْرًا: وَقَلَّ مَنْ ضَمِنَتْ خَيْرًا طَوِيئَتُهُ إِلَّا وَفِي وَجْهِهِ لِلخَيْرِ عُنْوَانٌ
وَلَعَلَّكَ أَسْعَدَكَ اللهُ إِذَا خَبَرْتَهُمْ، وَإِذَا عَرَفْتَهُمْ أَنْكَرْتَهُمْ، إِلَّا مَنْ يَحْصُهُمْ

التُّنْيَاءُ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ، وَعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ جَالِسًا ذَاتَ يَوْمٍ وَقَدَّامَهُ قَوْمٌ يَصْنَعُونَ شَيْئًا كَرِهَهُ مِنْ كَلَامٍ وَلَعَطٍ، فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَنْهَاهُمْ، فَقَالَ لَوْ نَهَيْتُهُمْ عَنِ الْحُجُونِ، لَأَوْشَكَ بَعْضُهُمْ أَنْ يَأْتِيَهُ، وَلَيْسَتْ لَهُ حَاجَةٌ.

قال الخطَّابي على هذا الحديث قد أنبأ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا القول أن الشرَّ طباعٌ في الناس، وأنَّ الخِلافَ عادةٌ لهم، قُلْتُ وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قِصَّةُ آدَمَ وَحَوَاءَ حِينَمَا نَهَاهُمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ الْأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَكَلَا مِنْهَا.

فَبَعْضُ النَّاسِ نَهَيْهُ عَنِ الشَّيْءِ كَأَنَّهُ إِغْرَاءٌ لَهُ فِيهِ، فَإِذَا نَهَيْتَهُ عَنِ شِدَّةِ الْإِقْبَالِ عَلَى الدُّنْيَا وَالْإِقْلَالِ مِنْ مَحَبَّتِهَا، أزدَادَ وَفَطِنَ لِأَشْيَاءَ قَدْ نَسِيَهَا.

قال بعضهم:

وَإِذَا زَحَرَتْ النَّفْسَ عَنِ شَعْفِهَا فَكَأَنَّ زَجَرَ غَوِيهَا إِغْرَاؤُهَا
قال بَعْضُ الْحُكَمَاءِ الشَّرُّ فِي طَبَاعِ النَّاسِ، وَحُبُّ الْخِلافِ لَهُمْ عَادَةٌ،
وَالجَوْرُ فِيهِمْ سُنَّةٌ.

وَلِذَلِكَ تَرَاهُمْ يُؤْذُونَ مَنْ لَا يُؤْذِيهِمْ، وَيُظْلِمُونَ مَنْ لَا يُظْلِمُهُمْ، وَيُخَالِفُونَ
مَنْ يَنْصَحُهُمْ وَلَا يَمْنَعُهُمْ مِنَ الظُّلْمِ إِلَّا خَوْفٌ أَوْ رَجَاءٌ.

وقديماً قيل:

وَالظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ النَّفُوسِ فَإِنْ تَجِدَ ذَا عَفَّةٍ فَلِعَلَّةٍ لَا يَظْلِمُ
قِيلَ لِرَجُلٍ أَمَا تَسْتَحِي تُوْذِي جِيرَانِكَ، قَالَ فَمَنْ أُوْذِي، أُوْذِي مَنْ لَا
أَعْرِفُ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْحَالِ هَذَا مَطْبُوعٌ عَلَى الشَّرِّ وَالْأَذِيَّةِ.

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

«فَصَلِّ»: إذا فهمت ذلك فاعلم أن الإخاء فيما مضى غالباً بين الأخوان كان أحدهم يعتمد على الله ثم على أخيه، ويطمئن إليه، في مهامه كل الأطمئنان، كان أحدهم يؤاخي أخاه على الصفاء بينهم والحنان، كان الأخ نفس أخيه، وربما زاد عنه، في القيام بشئونه مرات، كان الأخ لا يؤاخي إلا إذا أحب لأخيه ما يحب لنفسه.

وكان أحدهم يدخل بيت أخيه بحضرتيه ويأخذ من خزانته ما يريد، كان أحدهم إذا سأل أخاه ما هو محتاج إليه أتب نفسه إذ أهمله حتى أفصح هو عن حاجاته، كان بعضهم يلاحظ بعضاً فذا رأى فُرجة سدها ووجه أخيه غير مبدول.

كانت الصُحبة أولاً صافية وكان الحب لله ما فيه شائبة، أو طمع من الأطماع، وحيث أن الصاحب هو العضد الأقوى، والساعد الأيمن للمرء في حياته وما ينتابُه في مُلماته فعلى العاقل أن يختار أصحابه ويتتقى جلساءه ويتخبهم من ذوي السيرة المحمودة والعقل الراجح، والرأي السديد، والدين المتين، وليحذر من مؤاخاة من لا يصلح للأخوة، ولا يُراعي حق الوداد وآداب المُجالسة والمُحادثة.

وأوصى بعضهم ابنه لما حضرته الوفاة فقال يا بني إذا أردت صحبة إنسانٍ فاصحب من إذا خدّمته صانك، وإن صحبته زانك، اصحب من إذا مددت يدك للخير مدّها، وإن رأى منك حسنة عدّها، وإن رأى منك سيئة سدّها.

اصحب من إذا حاولت أمراً أعانك، ونصرك، وإن تنازعتما في شيء آترك، فإن يسر الله لك بصاحبٍ من هذا الطراز فاستمسك بعززه، قال الامام الشافعي رحمه الله لولا القيام بالأسحار، وصُحبة الأخيار، ما أخترت البقاء في هذه الدار، وقال بعض الأُدباء أفضل الذخائر أخ صاحب وفاء.

وقال بعضُ الشعراء:

(هُمُومٌ رِجَالٍ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ
نَكُونُ كَرُوحٍ بَيْنَ جِسْمَيْنِ قُسِّمَتْ
آخر: عَلَيْكَ مِنَ الْإِخْوَانِ كُلِّ ثِقَاتٍ
فَذَاكَ بِهِ فَاشُدُّ يَدَيْكَ وَلَا تُرِدْ
يَحُوطُكَ فِي غَيْبٍ وَيَرَعَاكَ شَاهِدًا
وَمَنْ لِي بِهَذَا لَيْتَ أَنِّي لَقَيْتُهُ
آخر: ثَلَاثٌ خِصَالٍ لِلصَّدِيقِ جَعَلْتُهَا
مُؤَاسَاةً وَالصَّفْحُ عَنْ عَثْرَاتِهِ
آخر: وَمَنْ لَمْ يُعْمَضْ عَيْنُهُ عَنْ صَدِيقِهِ
وَمَنْ يَتَّبِعْ جَاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ
آخر: هُمُ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا فَلَا بُدَّ مِنْ قَدَى
وَمِنْ قِلَّةِ الْإِنْصَافِ أَنَّكَ تَبْتَعِي
آخر: وَكَمْ مِنْ أَخٍ لَمْ تَحْتَمِلْ مِنْهُ خَلَّةً
وَمَنْ لَمْ يُرِدْ إِلَّا خَلِيلًا مُهْدَبًا
آخر: إلبسْ عَلَى النِّقْصِ مَنْ نُصَاحِبُهُ
وَقَارِبِ النَّاسِ عَلَى عُقُولِهِمْ
آخر: مَا صَاحِبُ الْمَرْءِ مَنْ إِنْ زَلَّ عَاقِبُهُ
فَإِنْ أَرَدْتَ وَصَالًا لَا يَكْدُرُهُ
آخر: إِذَا مَا كُنْتَ مُعْتَقِدًا صَدِيقًا
مُشَارِكَةً إِذَا مَا عَنَّ حَطْبُ
وَسِرِّكَ فَاتَمِنَهُ عَلَيْهِ وَانظُرْ
فَإِنَّ صَادَقْتَ مَا تُرْضَى وَالْأَى
آخر: بِمَنْ يَتَّقُ الْإِنْسَانَ فِيمَا يُتُوبُهُ

وَقَدْ صَارَ هَذَا النَّاسُ إِلَّا أَقْلَهُمْ
تَعَايْتُ عَنْ قَوْمٍ فَظَنُّوا عَبَاوَةً
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَنَّنَا بِمَنَازِلِ
آخِر: لَا تَعْتَرِ رَبِّي الزَّمَانَ وَلَا تَقُلْ
جَرَّبْتُهُمْ فَإِذَا الْمُعَاقِرُ عَاقِرٌ
آخِر: وَرُبَّ أَخٍ لَمْ يُدْنِهِ مِنْكَ وَالِدٌ
وَرُبَّ بَعِيدٍ حَاضِرٌ لَكَ نَفْعُهُ
ذُنَابًا عَلَى أَجْسَادِهِنَّ يَثَابُ
بِمَفْرَقِ أَغْبَانَا حَصَى وَتُرَابُ
تَحَكَّمُ فِي اسَادِهِنَّ كِلَابُ
عِنْدَ الشَّدَائِدِ لِي أَخٌ وَحَمِيمٌ
وَالْأَلُّ آلٌ وَالْحَمِيمُ حَمِيمٌ
أَبْرٌ مِنْ ابْنِ الْأُمِّ عِنْدَ النَّوَابِ
وَرُبَّ قَرِيبٍ شَاهِدٌ مِثْلُ غَائِبٍ

وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِإِخْوَانِ الصِّدْقِ فَإِنَّهُمْ زِينَةٌ فِي الرَّخَاءِ وَعِصْمَةٌ فِي الْبَلَاءِ».

فَإِذَا عَزَمَ الْإِنْسَانُ عَلَى اصْطِفَاءِ الْإِخْوَانِ سَبَرَ أحوَالَهُمْ قَبْلَ إِخَائِهِمْ
وَكَشَفَ عَنْ أَخْلَاقِهِمْ قَبْلَ اصْطِفَائِهِمْ قَالَ بَعْضُهُمْ:

شِعْرًا: كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَسْتَ تُنْكِرُهُ
مُتَّصِنٌ لَكَ فِي مَوَدَّتِهِ
يُطْرِي الْوَفَاءَ وَذَا الْوَفَاءَ
فَارْفُضْ بِإِجْمَالِ مَوَدَّةٍ مَنْ
وَعَلَيْكَ مَنْ حَالَاهُ وَاحِدَةٌ
آخِر: أَيْلُ الرَّجَالِ إِذَا أَرَدْتَ إِخَاءَهُمْ
فَإِذَا ظَفِرْتَ بِذِي الْأَمَانَةِ وَالتَّقَى
آخِر: غَايِضُ صَدِيقِكَ تَكْشِفُ عَنْ ضَمَائِرِهِ
فَالْعُودُ يُنْبِئُكَ عَنْ مَكُونِ بَاطِنِهِ
مَا دَمْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فِي يُسْرِ
يَلْقَاكَ بِاللَّتْرِحِيبِ وَالسَّبْرِ
وَيَلْحِي الْعَدْرَ مُجْتَهِدًا وَذَا الْعَدْرِ
يَقْلِي الْمُقِلَّ وَيَعْشِقُ الْمُثْرِي
فِي الْعَسْرِ مَا كُنْتَ وَبِالْيُسْرِ
وَتَوَسَّمَنَّ أُمُورَهُمْ وَتَفَقَّدِ
فِيهِ الْيَدَيْنِ قَرِيرَ عَيْنٍ فَاشْدُدِ
وَتَهْتِكِ السِّتْرَ عَنْ مَحْجُوبِ أَسْرَارِ
دُخَانُهُ حِينَ تُلْقِيهِ عَلَى النَّارِ

وَلَا تَبْعَثْهُ الْوَحْدَةَ عَلَى الْإِقْدَامِ قَبْلَ الْخِبْرَةِ، وَلَا حُسْنَ الظَّنِّ عَلَى الْإِغْتِرَارِ
بِالتَّصْنُوعِ.

فإن التَّمَلَّقَ الذي هُوَ القَوْلُ الحَسَنُ مَعَ حُبِّ القَلْبِ، مَصَائِدُ العُقُولِ،
والتَّفَاقُ تَدْلِيسُ الفِطَنِ، والمَلَّقُ والتَّفَاقُ سَجِيئَتَا المُتَصَنِّعِ، وليسَ فِيمَنْ يَكُونُ
النِّفَاقُ والمَلَّقُ سَجَايَاهُ خَيْرٌ يُرْجَى، ولا صِلَاحٌ يُوَمِّلُ بِلِ الشَّرِّ والأَذَى فِيهِ،
فَلْيَكُنْ اللَّيِّبُ فَطِنًا حَادِفًا، صَاحِبَ فِرَاسَةٍ لا يُحْسِنُ الظَّنَّ بِكُلِّ أَحَدٍ.

شِعْرًا: فَلَا تُلْزِمَنَّ النَّاسَ غَيْرَ طِبَاعِهِمْ فَتَنَعَبَ مِنْ طُولِ العِتَابِ وَيَتَعَبُوا
فَتَارِكُهُمْ مَا تَارَكوكُ فَإِنَّهُمْ إِلَى الشَّرِّ مَذْكَائُوا عَنِ الحَيْرِ أَقْرَبُ
ولا تَعْتَرُزْ مِنْهُمْ بِحُسْنِ بَشَاشَةٍ فَأَكْثَرُ إِيْمَاصِ البَوَارِقِ خُلْبُ
أخْر: وصَاحِبُ لِي كَدَاءِ البَطْنِ صُحْبَتُهُ يَوَدُّنِي كَوِدَادِ الذِّئْبِ لِلرَّاعِي
يُثْنِي عَلَيَّ جَزَاهُ اللهُ صَالِحَةً ثَنَاءً هِنْدٍ عَلَى رُوحِ ابْنِ زُبَاعِ
شِعْرًا: إِنِّي لِأَعْرِفُ فِي الرِّجَالِ مُحَادِعًا يُبْدِي الصَّفَاءَ وَوَدُّهُ مَمْدُوقُ
مِثْلَ العَدِيرِ يُرِيكَ قُرْبَ قَرَارِهِ لِصَفَائِهِ والقَعْرِ مِنْهُ عَمِيقُ
أخْر: رَعَى اللهُ إِخْوَانَ التَّمَلَّقِ إِنَّهُمْ كَفَوْنَا مَوْنَاتِ البَقَاءِ عَلَى العَهْدِ
فَلَوْ وَفَوْا كُنَّا أُسَارَى حُقُوقِهِمْ تَرَاوَحَ مَا بَيْنَ النَّسِيئَةِ وَالتَّقْدِ

وَقَالَتِ الحُكَمَاءُ إِعْرِفِ الرَّجُلَ مِنْ فِعْلِهِ، لا مِنْ كَلَامِهِ، وَأَعْرِفْ مَحَبَّتَهُ مِنْ
عَيْنِيهِ، لا مِنْ لِسَانِيهِ، وَعَلَيْكَ بِمَنْ حَالَاهُ فِي العُسْرِ، وَالْيُسْرِ وَاحِدَةٌ أَيْ يُحِبُّكَ
كُلَّ حِينٍ، سَوَاءً كُنْتَ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا أَمَّا إِخْوَانُ الرِّخَاءِ فَاتْرُكْهُمْ، قَالَ بَعْضُهُمْ.

ولا حَيْرَ فِي وَدِّ امْرِئٍ مُتَلَوِّنٍ إِذَا الرِّيحُ مَالَتْ مَالَ حَيْثُ تَمِيلُ
جَوَادٌ إِذَا اسْتَعْنَيْتَ عَنْ أَخِي مَالِهِ وَعِنْدَ احْتِمَالِ الفَقْرِ عَنكَ بِحَيْلُ
فَمَا أَكْثَرَ الإِخْوَانَ حِينَ تَعُدُّهُمْ وَلَكِنَّهُمْ فِي النَّائِبَاتِ قَلِيلُ

عَلَى أَنَّ الإِنْسَانَ مَوْسُومٌ بِسِمَاتٍ مَن قَارَبَ، وَمَنْسُوبٌ إِلَيْهِ أَفَاعِيلُ مَن
صَاحَبَ، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المرءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ». وَقَالُوا مَا مِنْ شَيْءٍ أَذْلُ عَلَى شَيْءٍ
مِنَ الصَّاحِبِ عَلَى صَاحِبِهِ وَقَدِيمًا قِيلُ:

فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي
 وَلَا تَصْحَبَ الْأَزْدَى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدَى
 بِشَيْءٍ أَنْتَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ
 وَقُلْ قَدْ مَاتَ لَا أَسْفَأَ عَلَيْهِ
 وَفَوْقَ أَفْوَاهِهَا شَيْءٌ مِنَ الْعَسَلِ
 لَهُ تَبَيَّنَ مَا تَحْوِيهِ مِنْ دَخَلِ
 وَأَكْثَرُ مَنْ صَاحَبْتَ غَيْرَ مُوَافِقِ
 قُلُوبِ الْأَعَادِيِّ فِي جُلُودِ الْأَصَادِقِ
 وَأَهْوَنُ مَنْ عَادَيْتَهُ مَنْ يُدَاهِنُ
 وَاعْرَضَ عَنْ أَشْرَارِهِمْ فَهُوَ صَالِحٌ
 وَاعْرَضَ عَنْ أَحْيَارِهِمْ فَهُوَ طَالِحٌ
 وَذَلِكَ أَمْرٌ فِي الْبَرِيَّةِ وَاضِحٌ
 فَاظْطُرُّ بَعِينَ الْبَحْثِ مَنْ نُدْمَاؤُهُ
 طَيَّ الْكِتَابِ وَصَحْبُهُ عُنَاؤُهُ
 يُصَانُ لَدَيْهِ الدِّينُ وَالْمَالُ وَالْعِرْضُ
 كَمَا عَنْ شُؤُونِ الْقَلْبِ قَدْ أَتَبَأَ التَّبْضُ
 وَإِلَّا فَذَلِكَ الْحُبُّ آخِرُهُ الْبُغْضُ
 يَكُونُ كَعَمْرٍو بَيْنَ عُرْبٍ وَأَعْجَمِي
 كَمَا شَرَقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِ
 مُضَافاً لِأَرْبَابِ الصُّدُورِ تَصَدَّرَا
 فَتَنَحَّطَ قَدْرًا مِنْ عُلَاكَ وَتُحَقِّقَا
 يُبَيِّنُ قَوْلِي مُعْرِباً وَمُحَدِّراً

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلَّ عَنْ قَرِينِهِ
 آخِر: إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبْ خِيَارَهُمْ
 آخِر: إِذَا بَخَلَ الصَّدِيقُ عَلَيْكَ يَوْمًا
 فَمَثَلُ قَبْرِهِ فِي الْأَرْضِ شَخْصًا
 آخِر: النَّاسُ شَبِيهُ ظُرُوفٍ حَشَوَهَا صَبْرٌ
 تَحْلُو الْوَالِدَاتِ قَهَّ حَتَّى إِذَا انْكَشَفَتْ
 آخِر: وَأَكْثَرُ مَنْ شَاوَرْتَهُ غَيْرُ حَازِمٍ
 إِذَا أَنْتَ فَتَشَّتِ الرَّجَالُ وَجَدْتَهُمْ
 آخِر: وَأَعْظَمُ آفَاتِ الرَّجَالِ نِفَاقُهَا
 آخِر: إِذَا قَرَّبَ السُّلْطَانُ أَحْيَارَ قَوْمِهِ
 وَإِنْ قَرَّبَ السُّلْطَانُ أَشْرَارَ قَوْمِهِ
 وَكُلُّ امْرِيءٍ يُبَيِّنُكَ عَنْهُ قَرِينُهُ
 آخِر: وَإِذَا أَرَدْتَ تَرَى فَضِيلَةَ صَاحِبِ
 فَالْمَرْءِ مَطْوِيٍّ عَلَى عِلَاتِهِ
 آخِر: تَحَرَّ إِذَا صَادَفْتَ مَنْ وَدَّهِ مَحْضُ
 فَكُلُّ حَلِيلٍ مُنْبِيءٌ عَنْ حَلِيلِهِ
 وَبِالصِّدْقِ عَامِلٌ مَنْ تُحِبُّ مِنَ الْوَرَى
 آخِر: تَجَنَّبْ صَدِيقًا مِثْلَ مَا وَاحَدَرَ الَّذِي
 فَإِنَّ قَرِينَ السُّوءِ يُرْدِي وَشَاهِدِي
 آخِر: عَلَيْكَ بِأَرْبَابِ الصُّدُورِ فَمَنْ غَدَا
 وَإِيَّاكَ أَنْ تَرْضَى بِصُحْبَةِ نَاقِصٍ
 فَرَفَعُ أَبُو مَنْ ثُمَّ خَفَضُ مُزْمَلٍ

وَالْإِشَارَةُ فِي قَوْلِهِ: «ثُمَّ خَفَضُ مُزْمَلٍ» إِلَى قَوْلِ امْرِيءِ الْقَيْسِ:

كَانَ أَبَانًا فِي عَرَائِينِ وَبَلِيهِ كَبِيرُ أُتَاسٍ فِي بَجَادِ مُزْمَلٍ
وَذَلِكَ أَنَّ مُزْمَلًا صِفَةً لِكَبِيرٍ، فَكَانَ حَقُّهُ الرَّفْعُ وَلَكِنْ حُفِضَ لِمَجَاوَرَتِهِ
الْمَحْفُوضِ .

كَانَ جُنْدُبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ صَدِيقًا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ لَهُ حِينَ
وَدَّعَهُ أَوْصِنِي يَا ابْنَ عَبَّاسٍ فَإِنِّي لَا أُدْرِي أَنْتَجَمِعُ بَعْدَهَا أَمْ لَا .

فَقَالَ أَوْصِيكَ يَا جُنْدُبُ وَنَفْسِي بِتَوْحِيدِ اللَّهِ وَإِخْلَاصِ الْعَمَلِ لِلَّهِ وَإِقَامِ
الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ فَإِنَّ كُلَّ خَيْرٍ أَتَيْتَ بَعْدَ هَذِهِ الْخِصَالِ مُقْبُولٌ وَإِلَى اللَّهِ
مَرْفُوعٌ وَمَنْ لَمْ يَكْمَلْ هَذِهِ الْأَعْمَالَ رُدَّ عَلَيْهِ مَا سِوَاهَا .

وَكُنْ فِي الدُّنْيَا كَالْغَرِيبِ الْمَسَافِرِ وَاذْكُرِ الْمَوْتَ وَالتَّهْنِئَةَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ فَكَأَنَّكَ
قَدْ فَارَقْتَهَا وَصِرْتَ إِلَى غَيْرِهَا وَاحْتَجَجْتَ إِلَى مَا قَدَّمْتَ وَلَمْ تَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِمَّا
خَلَفْتَ ثُمَّ افْتَرَقَا .

كَتَبَ عُمَرُ إِلَى ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ مَنْ اتَّقَاهُ كَفَاهُ وَمَنْ
أَقْرَضَهُ جَزَاهُ وَمَنْ شَكَرَهُ زَادَهُ فَاجْعَلِ التَّقْوَى عِمَادًا بَصْرَكَ وَنُورَ قَلْبِكَ .

وَأَعْلَمْ أَنَّهُ لَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ وَلَا جَدِيدَ لِمَنْ لَا خَلْقَ لَهُ وَلَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا
أَمَانَةَ لَهُ وَلَا مَالَ لِمَنْ لَا رَفْقَ لَهُ وَلَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حَسَنَةَ لَهُ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا نُورَ فَتَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَتَوَلَّنَا بِحُسْنِ رِعَايَتِكَ حَتَّى
تَتَوَكَّلَ عَلَيْكَ وَارْزُقْنَا حَلَاوَةَ التَّدْلِيلِ بَيْنَ يَدَيْكَ فَالْعَزِيمُ مَنْ لَأَذَّ بِعِزِّكَ وَالسَّعِيدُ
مَنْ التَّجَأَ إِلَى حِمَاكَ وَجُودِكَ وَالذَّلِيلُ مَنْ لَمْ تَوَيْدُهُ بِعِنَايَتِكَ وَالشَّقِيءُ مَنْ رَضِيَ
بِالْإِعْرَاضِ عَنْ طَاعَتِكَ ، اللَّهُمَّ نَزِّهْ قُلُوبَنَا عَنِ التَّعَلُّقِ بِمَنْ دُونِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ قَوْمِ
تُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

«فَصْلٌ»

والمؤآخاة في الناس على وجهين أحدهما أحوة مكتسبة بالاتفاق الجاري
مجرى الاضطراب، والثانية مكتسبة بالقصد والاختيار، فأما المكتسبة بالاتفاق
فهي أوكد حالأ، لأنها تنعقد عن أسباب موجودة في المتأخين، تعود
المؤآخاة إلى تلك الأسباب، وهي موجودة فطرةً.

فالمؤآخاة ضرورية لا يمكن دفعاً، كما لا يمكن دفع الإيلام، والمكتسبة
بالقصد، تُعقد لها أسباب اختيارية، تنفاد إليها، وتعمد عليها بحسب قوتها
وضعفها، وربما تكون تكلفاً وحديعةً، فتصير المؤآخاة معادة، وما كان
جاريًا بالطبع فهو الزم، مما هو حادث بالقصد.

إنما كان كذلك لأن الإئتلاف بالتشاكل، والتوافق، والتشاكل بالتجانس
فإذا عُدِمَ التجانس من وجه، انتفى التشاكل من وجهه ومع انتفاء التشاكل يُعَدُّمُ
الائتلاف فثبت أن التجانس، وإن تنوع أصل الإحاء وقاعدة الإئتلاف.

وقد روي عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:
«الأرواح جنودٌ مجندةٌ فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» رواه
البخاري، فالظواهر التي تبدو لنا ونراها في الاجتماعات العامة، مئيل كل
امرىء إلى من يشاكله ويناسبه، روحاً وخلقاً، أو ديناً، وأدباً أو مبدأً أو مذهباً
أو حرفةً وعملاً.

قيل إن إياساً سافر إلى بلد فلما وصل وصادف بعض أهل البلد وجرى
بينهم كلام قال إياس عرفنا خياركم من شراركم في يومين فقبل له كيف قال كان
معنا خيارناً وشرارنا فلحق كل بشكله خيارنا لحقوا بخياركم وشرارنا لحقوا
بشراركم فألف كل شكله. أ.هـ.

شِعْرًا: والألف ينزع نحو الألفين كما طير السماء على الأفها تقع

آخر: إِذَا بُلِيَ اللَّبِيبُ بِقُرْبِ قَدَمِ
 فَذُو الطَّبَعِ الكَثِيفِ بِغَيْرِ قَصْدٍ
 وَذَلِكَ أَنَّ بَيْنَهُمَا اخْتِلَافًا
 آخر: وَإِيَّاكَ إِيَّاكَ المِزَاحَ فَإِنَّهُ
 وَيُذْهِبُ مَاءَ الوَجْهِ بَعْدَ بَهَائِهِ
 آخر: تَوَقَّ بِنِي الزَّمَانِ فَكَمْ خَلِيلٍ
 وَخَفَّفَ مَا اسْتَطَعْتَ فَكُلُّ نَذَلٍ
 وَلَا تَنْظُرْ لِجِسْمِ المَرءِ وَأَنْظُرْ
 وَإِنْ عَايَنْتَ ذَا فَسَقٍ وَكُفْرٍ
 آخر: إِذَا أَنْتَ سَارَرْتَ فِي مَجْلِسٍ
 فَهَذَا يَقُولُ قَدْ اغْتَابَنِي
 آخر: وَقَدْ تَعَامَى رِجَالٌ لَوْ تَبَيَّنَ لَهُمْ
 ذَمَّتْ وَقَتَكَ أَنْ تَابِتَكَ نَائِبَةٌ
 خَفَ مِنْ جَلِيسِكَ وَأَصْنَمْتَ إِنْ بُلِيتَ بِهِ
 آخر: كَانَ إِجْتِمَاعُ النِّاسِ فِيْمَا مَضَى
 فَانْقَلَبَ الأَمْرُ إِلَى ضِدِّهِ
 شِعْرًا: مُحَاوِلَةُ النِّاسِ فِي الدُّنْيَا عَلَى خَطَرٍ
 كَرَآكِبِ البَحْرِ إِنْ تَسَلَّمَ حُشَاشَتُهُ

فَتَرَى المُجْتَمِعِينَ بَعْدَ مُدَّةٍ وَجِيْزَةٍ مِنْ بَدْيِ الاجْتِمَاعِ، قَدْ انْقَسَمُوا
 جَمَاعَاتٍ، تَتَحَدَّثُ كُلُّ جَمَاعَةٍ فِي شُؤْنِهَا الخَاصَّةِ، وَأُمُورِهَا المُشْتَرَكَةِ،
 وَتَتَغَيَّرُ نُفُوسُهَا إِذَا رَأَتْ دَخِيلًا بَيْنَ جَمَاعَاتِهَا لَا تُرْبِطُهُ بِهِمْ صِلَةٌ، وَلَا تَجْمَعُهُمْ
 بِهِ جَمَاعَةٌ، وَعِنْدَمَا تَرَكَّبُ فِي قِطَارٍ، أَوْ سِيَارَةٍ أَوْ سَفِينَةٍ أَوْ فِي مَجْلِسٍ مِنْ
 المَجَالِسِ، تَرَى نَفْسَكَ مُنْجَذِبَةً إِلَى بَعْضِ الحَاضِرِينَ مُشْتَمِرَةً وَنَافِرَةً مِنْ
 الآخَرِينَ، وَرَبْمَا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ اجْتِمَاعٌ وَلَا تَعَارُفٌ، وَلَا تَعَادٍ وَتَخَاصُّمٌ.

فالسِّرُّ فِي هَذَا مَا بَيْنَهُ الْمَصْطَفَى ﷺ بِهَذَا الْحَدِيثِ فَهِيَ يَقُولُ: «إِنَّ أَرْوَاحَ الْعِبَادِ وَنُفُوسَهُمْ جُنُودٌ مُجْتَمِعَةٌ، وَجُيُوشٌ مُجَيِّشَةٌ فَالَّتِي بَيْنَهَا تَعَارُفٌ وَتَشَاكُلٌ وَتَوَافُقٌ وَتَنَاسُبٌ، يَأْلَفُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَيُسَرُّ بِاجْتِمَاعِهِ، وَيَفْرَحُ لِلِقَائِهِ، لِاتِّفَاقٍ فِي الْمَبْدَأِ وَتَقَارُبٍ فِي الرُّوحِ».

رَوَى أَبُو يَعْلَى فِي مُسْنَدِهِ عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَتْ كَانَتْ امْرَأَةً بِمَكَّةَ مَزَاحَةً، فَنَزَلَتْ عَلَى امْرَأَةٍ مِثْلِهَا فِي الْمَدِينَةِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ صَدَقَ جِبِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ».

فَالْأَخْيَارُ الْأَبْرَارُ الْأَتْقِيَاءُ الْأَمْجَادُ الْأَطْهَارُ، إِذَا وُجِدُوا فِي مُجْتَمَعٍ جَذَبُوا أَشْبَاهَهُمْ، أَوْ انْجَذَبُوا إِلَيْهِمْ، وَسَرَى بَيْنَهُمْ تَيَّارٌ مِنَ الْحُبِّ جَمَعَ قُلُوبَهُمْ وَقَوَّى رَوَابِطَهَا وَثَبَّتَ صِلَتَهَا.

قال بعضهم:

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْقَلْبَ نَحْوَكَ شَيْقٌ وَأَنْتَ بِمَا أَلَمِي مِنَ الشَّوْقِ أَعْلَمُ
فَوُدُّكَ عَنْ وِدِّي إِلَيْكَ مُبْلَغٌ وَقَلْبُكَ عَنْ قَلْبِي إِلَيْكَ يُتْرَجِمُ
وَكَذَلِكَ الْأَشْرَارُ وَالْفَجَّارُ وَالْفَسَقَةُ وَالظَّالِمَةُ، إِذَا حَضَرُوا بِنَادٍ بَادَرَ إِلَيْهِمُ
الْفَسَقَةُ، وَالْمُجْرِمُونَ، وَالسُّفُلُ، وَاللَّوْمَاءُ، وَجَذَبَهُمْ قُرْنَاؤُهُمْ، وَتَفَرُّوا مِنْ
لَا يَتَخَلَّقُ بِأَخْلَاقِهِمْ، وَلَا يَسِيرُ فِي رِكَابِهِمْ.

قَالَ ﷺ: «لَوْ أَنَّ مُؤْمِنًا دَخَلَ إِلَى مَجْلِسٍ فِيهِ مِائَةٌ مُنَافِقٍ، وَمُؤْمِنٌ وَاحِدٌ، لَجَاءَ حَتَّى يَجْلِسَ إِلَيْهِ، وَلَوْ أَنَّ مُنَافِقًا دَخَلَ إِلَى مَجْلِسٍ فِيهِ مِائَةٌ مُؤْمِنٍ، وَمُنَافِقٌ وَاحِدٌ، لَجَاءَ حَتَّى يَجْلِسَ إِلَيْهِ».

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ شِبْهَ الشَّيْءِ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ بِالطَّبْعِ، وَإِنْ كَانَ هُوَ لَا يَشْعُرُ بِهِ، وَكَانَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ يَقُولُ: «لَا يَتَّفِقُ اثْنَانِ فِي عِشْرَةٍ إِلَّا فِي أَحَدِهِمَا

وَصَفُّ عَنِ الْآخِرِ، وَإِنَّ أَجْنَاسَ النَّاسِ كَأَجْنَاسِ الطَّيْرِ وَلَا يَتَفَقُّ نَوْعَانِ مِنَ الطَّيْرِ فِي الطَّيْرَانِ إِلَّا وَبَيْنَهُمَا مُنَاسَبَةٌ» .

قَالَ فَرَأَى يَوْمًا غَرَابًا مَعَ حَمَامَةٍ فَعَجِبَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ اتَّفَقَا وَلَيْسَا مِنْ شَكْلٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ طَارَا فَإِذَا هُمَا أُعْرَجَانِ فَقَالَ مِنْ هَاهُنَا اتَّفَقَا، وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ كُلُّ إِنْسَانٍ إِلَى شَكْلِهِ كَمَا أَنَّ كُلَّ طَيْرٍ يَطِيرُ مَعَ جِنْسِهِ قَالَ بَعْضُهُمْ:

(لِكُلِّ امْرِيٍّ شَكْلٌ يَقْرَأُ بِعَيْنِهِ وَقِرَّةُ عَيْنِ الْفَسَلِ أَنْ يَصْحَبَ الْفَسَلًا) ويقول الآخر:

يَذُكُّكَ إِنْ وُلِّيَ وَيُرْضِيكَ مُقْبَلًا
وَصَاحِبُكَ الْأَدْنَى إِذَا الْأَمْرُ مُعْضَلًا
أَحْبُوْ بِحَالِصِ شُكْرِي الْأَعْدَاءِ
وَنَفَيْتُ عَنْ أَخْلَاقِي الْأَقْدَاءِ
وَالسُّمُّ أَحْيَانًا يَكُونُ شِفَاءً
صَدِيقًا مُجَلًّا فِي الْمَجَالِسِ مُعْظَمًا
يُرَى عِنَبًا مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ حِصْرِمًا
وَالَّذِي بِالتَّهَانِي وَالسُّرُورِ يُرَى
وَإِنْ عَرَّتْ شِدَّةٌ أَعْنَى بِمَا قَدِرًا
فَأَكْثَرُ النَّاسِ جَمْعٌ غَيْرٌ مُؤْتَلِفٌ
بِغَيْرِ فَاءٍ وَإِخْوَانٌ بِلَا أَلِفٍ
لَهُ غَائِبًا يَوْمًا كَمَا هُوَ شَاهِدٌ
كَرِيمًا عَلَى صَدِيقِ الْإِخَاءِ يُسَاعِدُ
فَقُلْتُ لَهُمْ إِنَّ الشُّكُولَ أَقَارِبُ
وَإِنْ فَرَّقْتَنَا فِي الْأَصُولِ الْمُنَاسِبُ

وَلَيْسَ أَحْوَكُ الدَّائِمِ الْعَهْدِ بِالَّذِي
وَلَكِنَّهُ النَّائِي إِذَا كُنْتَ آمِنًا
آخِرٌ: مَنْ خَصَّ بِالشُّكْرِ الصَّدِيقَ فَإِنِّي
تَكْرَرُوا عَلَيَّ مَعَائِي فَحَذِرْتُهَا
وَلَرُبَّمَا اتَّفَعَ الْفَتَى بَعْدُوهُ
آخِرٌ: وَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ صَارَ بَعْدَ عَدَاوَةٍ
وَلَا غُرُوٌّ فَالْعُنُقُودُ مِنْ بَعْدِ كَرَمِهِ
آخِرٌ: لَيْسَ الصَّدِيقُ الَّذِي يَلْقَاكَ مُبْتَسِمًا
إِنَّ الصَّدِيقَ الَّذِي يُؤَلِّي نَصِيحَتَهُ
آخِرٌ: عَاشِرٌ مِنَ النَّاسِ مَنْ تَبَقَى مَزْدَتُهُ
مِنْهُمْ صَدِيقٌ بِلَا قَافٍ وَمَعْرِفَةٌ
آخِرٌ: إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُنْصِفْ أَخَاهُ وَلَمْ يَكُنْ
فَلَا خَيْرَ فِيهِ فَالْتَّمَسْ غَيْرَهُ أَخَا
آخِرٌ: وَقُلْتُ أَخِي قَالُوا أَخٌ مِنْ قَرَابَةٍ
نَسَبِيٍّ فِي رَأْيٍ وَعَزْمِي وَهَمَّتِي

وَإِذَا عَرَفْتَ رَجُلًا بِالْبِرِّ وَالتَّقَى وَالاستِقَامَةِ وَتَفَرَّتْ مِنْهُمْ نَفْسُكَ وَنَبَأَ عَنْهُمْ

قلبك، فاعلم أنك مريض، إما مرض شبهة وإلا مرض شهوة، وأنت ناقص معيب، ذوتهم في الطهارة، فداؤ نفسك من غيوبها، وطهرها من أوزارها حتى تتقارب الأرواح وتتشاكل النفوس، فتحل الألفة محل النفرة.

وإذا رأيت نفسك تميل إلى من تعرفهم بالشر والفجور، والفسق والخلاعة والعهر فإتهم نفسك واستدرك عمرك، قبل الفوت، وابتعد عنهم كل البعد، وثب إلى الله واسأله أن يعافيك، مما ابتلاهم.

وإذا رأيت نفسك تحدثك بآثك البر الأمين التقي المخلص أو الإنسان المهذب، فكذب نفسك في الإعجاب، وفي هذا الوهم الكاذب، واعتقد أنك غير محدوغ، وأبله مفتون، ففتش في زوايا قلبك، تجد للباطل ركنًا، وللشيطان حظًا، وللفساد جوأً وهذا ما جذب قلبك إلى الأشرار.

وإذا رأيتك تميل إلى الأحيار، وتحب مجالسهم، وتنجذب نفسك إليهم، مع علمك بسوء سيرتك واعوجاج طريقتك، فاعلم أن فيك بقية خير، ولا يزال فيك أمل قرب هذه البقية وقو هذا الأمل، حتى يرحل عنك الشر، وتدخل في حزب الخير.

وكذلك إذا رأيت في نفسك بعض الميل للمجرمين، وأنت طاهر تقي تقي، فاعرف أن الشيطان قد نث فيك نفته، وثغر في قلبك ثغرة، فتدارك أمرك وتحصن منه واستعد بالله قال الله تعالى لنبية عليها السلام: ﴿وإما ينزغتك من الشيطان نزغ فاستعد بالله﴾ الآية، وقال: ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ إلى آخر السورة.. أه من الأدب النبوي.

وعن أبي ذر أنه قال: الصاحب، الخير خير من الوحدة والوحدة خير من جليس السوء ومملي الخير خير من الساكت والساكت خير من مملي الشر والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم.

«فصل»

قال بعض الحكماء عداوة العاقل أقل ضرراً من مودة الأحمق لأن الأحمق ربما ضر وهو يقدر أن ينفع لعدم تمييزه بين النفع والضرر فيتجاوز الحد، والعاقل لا يتجاوز الحد في مضرته فمضرته لها حد يقف عليه العقل إذا انتهى إلى ذلك الحد.

ومضرة الجاهل ليست بذات حد والمحدود أقل ضرراً مما هو غير محدود قال بعضهم:

ولاً أن يعادي عاقلاً خيراً له من أن يكون له صديق أحمق
فأرغب بنفسك أن تصادق جاهلاً إن الصديق على الصديق مُصدق

وقال بعض الأدباء من أشار عليك بمصاحبة جاهل لم يخل من أمرين: إما أن يكون صديقاً جاهلاً، ما يعرف ولا يميز بين من يصلح للصحبة ومن لا يصلح، وإما أن يكون هذا المشير عليك عدواً لكنه عاقل لأنه يشير بما يضرك ويحتال عليك بالأشياء التي تضرك، وقديماً قيل:

ولا تصحب الحمقى فذو الجهل إن يرم صلاحاً لإمرٍ يا أبا الحزم يفسد
ويقول الآخر:

فعداوة من عاقل متجمل أولى وأسلم من صداقة أحمق
وقال بعضهم الأصدقاء ثلاثة أحدهم كالغذاء لا بد منه، والثاني كاللداء يحتاج إليه في وقت دون وقت، والثالث كاللداء لا يحتاج إليه قط، وقد قيل مثل جملة الناس كمثل الشجر والنبات فمنها ما له ظل وليس له ثمر وهو مثل الذي ينتفع به في الدنيا دون الآخرة، فإن نفع الدنيا كالظل السريع الزوال، ومنها ما له ثمر وليس له ظل.

وَمِنْهَا مَا لَيْسَ لَهُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا كَأَمْ غَيْلَانَ تُمَزَّقُ الشَّيَابَ وَلَا طَعْمَ فِيهَا
وَلَا شَرَابٍ وَمِثْلُهُ مِنَ الْحَيَوَانِ الْحَيَّةُ وَالْعَقْرَبُ وَالْفَأْرُ وَمِثْلُهُ فِي النَّبَاتِ الْحُنَيْزُ فَإِنَّهُ
يُضَيِّقُ عَلَى الزَّرْعِ وَيَضُرُّ مَنْ لَمَسَهُ وَلَا يُؤْكَلُ وَلَا لَهُ ثَمَرٌ يُؤْكَلُ .

وَيَشْرَبُ مَاءَ الزَّرْعِ وَيُعَوِّقُ نُموَهُ إِذَا فَلَابُدُّ مِنَ الْإِخْتِيَارِ قَبْلَ الْمُعَامَلَةِ
شِعْرًا: لَا تَشْكُرَنَّ فَتَى حَتَّى تُعَامِلَهُ وَتَسْتَيْبِنَ مِنَ الْحَالِلِينَ إِنْصَافًا
فَقَدْ تَرَى رَجُلًا بِأَدَى الصَّلَاحِ فَإِنْ عَامَلْتَهُ فِي حَقِيرٍ غَشَّ أَوْ حَافَا
آخِر: النَّاسُ شَتَّى إِذَا مَا أَنْتَ ذُقْتَهُمْ لَا يَسْتَوُونَ كَمَا لَا تَسْتَوِي الشَّجَرُ
هَذَا لَهُ ثَمَرٌ حُلُوٌّ مَذَاقَتُهُ وَذَلِكَ لَيْسَ لَهُ طَعْمٌ وَلَا ثَمَرٌ

إِذَا فَهَمَّتْ تَفَاوَتْ النَّاسِ فِي الْعَقْلِ وَالذِّينِ فَعَلَيْكَ قَبْلَ الصَّدَاقَةِ أَنْ تَفْحَصَ
عَنْ مَنْ تُرِيدُ صَدَاقَتَهُ وَإِحَاءَهُ فَإِذَا حَصَلَتْ عَلَى مَنْ تُرِضَاهُ دِينًا وَعَقْلًا وَأَدَبًا
فَالزَّمُهُ ، كَمَا قِيلَ :

أَبْلُ الرِّجَالِ إِذَا أَرَدْتَ إِحَاءَهُمْ وَتَوَسَّمَنَّ أُمُورَهُمْ وَتَفَقَّدِ
فَإِذَا ظَفَرْتَ بِذِي الْأَمَانَةِ وَالتَّقَى فِيهِ الْيَدَيْنِ قَرِيرَ عَيْنٍ فَاشْدُدِ
آخِر: لَا تَمْدَحَنَّ أَمْرًا حَتَّى تُجَرِّبَهُ وَلَا تَذُمَّنَّهُ مِنْ غَيْرِ تَجْرِبٍ
فَإِنَّ حَمْدَكَ مَنْ لَمْ تَبْلُهُ سَرَفٌ وَإِنَّ ذَمَّكَ بَعْدَ الْحَمْدِ تَكْذِيبٌ
آخِر: جَامِلٌ أَخَاكَ إِذَا اسْتَرَبْتَ بِوَدِّهِ وَانظُرْ بِهِ عُقْبَى الزَّمَانِ يُعَاوِذُ
فَإِنْ اسْتَمَرَ عَلَى الْفَسَادِ فَحَلِّهِ فَالْعُضُوُّ يُقَطِّعُ لِلْفَسَادِ الزَّائِدِ

وقال ابن القيم رحمه الله ينبغي للعبد أن يأخذ من المخالطة بمقدار الحاجة ،
ويجعل الناس فيها أربعة أقسام: متى خلط أحد الأقسام بالآخر ولم يميز بينهما
دخل عليه الشر .

أحداها : من مخالطته كالغذاء لا يستغنى عنه في اليوم فإذا أخذ حاجته منه
ترك الخلطة ، ثم إذا احتاج إليه خالطه هكذا على الدوام . وهذا الضرب أعز من

الكبريت الأحمر وهم العلماء بالله وأمره، ومكايد عدوه، وأمراض القلب وأدويتها الناصحون لله ولرسوله ولخلقه. فهذا الضرب في مخالطتهم الربح كل الربح.

القسم الثاني: من مخالطته كالدواء، يحتاج إليه عند المرض فمادمت صحيحاً فلا حاجة لك في خلطته، وهم من لا يستغنى عن مخالطتهم في مصلحة المعاش، وقيام ما أنت محتاج إليه من أنواع المعاملات والمشاركات والاستشارة والعلاج للأدواء ونحوها فإذا قضت حاجتك من مخالطة هذا الضرب بقيت مخالطتهم من القسم الثالث: وهم من مخالطتهم كالداء على اختلاف مراتبه وأنواعه وقوته وضعفه.

فمنهم من مخالطته كالداء العضال، والمرض المزمن، وهو من لا تريح عليه في دين ولادنيا، ومع ذلك فلا بد من أن تخسر عليه الدين والدنيا أو أحدهما، فهذا إذا تمكنت منك مخالطته واتصلت، فهي مرض الموت المخوف.

ومنهم من مخالطته كوجع الضرس، يشتد ضربه عليك، فإذا فارقك سكن الألم.

ومنهم من مخالطته حمى الروح، وهو الثقيل البغيض، الذي لا يحسن أن يتكلم فيفيدك، ولا يحسن أن ينصت فيستفيد منك ولا يعرف نفسه فيضعها منزلتها، بل إن تكلم فكلامه كالعصى تنزل على قلوب السامعين، مع إعجابه بكلامه وفرحه به.

فهو يحدث من فيه كلما تحدث، ويظن أنه مسك يطيب به المجلس، وإن سكت فأثقل من نصف الرحا العظيمة التي لا يطاق حملها ولاجرها على الأرض ويذكر عن الشافعي رحمه الله أنه قال: ما جلس إلى جانبي ثَقِيلٌ إلا وجدتُ الجائب الذي يليه أنزلَ من الجانب الآخر.

قال بعضهم:

يَا مَنْ تَبَرَّمَتِ الدُّنْيَا بَطْلَعَتِهِ كَمَا تَبَرَّمَتِ الْأَجْفَانُ بِالسُّهْدِ
يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مُحْتَالًا فَأَحْسِبُهُ لِثِقَلِ طَلْعَتِهِ يَمْشِي عَلَى كَبِدِي

وقال ابن القيم:

وَرَأَيْتُ يَوْمًا عِنْدَ شَيْخِنَا قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ رَجُلًا مِنْ هَذَا الضَّرْبِ، وَالشَّيْخُ
يَحْمِلُهُ، وَقَدْ ضَعَفَتِ الْقُوَى عَنْ حَمَلِهِ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ: مَجَالِسَةُ الثَّقِيلِ حَمَى
الرَّبِيعِ، ثُمَّ قَالَ: لَكِنْ قَدْ أَدْمَنْتُ أَرْوَاحَنَا عَلَى الْحَمَى، فَصَارَتْ لَهَا عَادَةٌ أَوْ كَمَا
قَالَ:

قال بعضهم:

مَا حِيلَتِي فِي ثِقَلِ قَدْ بُلِيَتْ بِهِ مِنْ قُبْحِ طَلْعَتِهِ يُسْتَحْسَنُ الرَّمْدُ
قَدْ زَادَ فِي الثَّقَلِ حَتَّى مَا يُقَارِبُهُ فِي ثِقَلِهِ أَحَدٌ حَتَّى وَلَا أَحَدٌ
ومرض الشعبي فعاده ثقیل فأطال الجلوس ثم قال للشعبي ما أشد ما مرَّ
بك في مرضك قال قعودك عندي.

ومرَّ به صدیق له وهو بين ثقیلین فقال له كيف الروح فقال في النزاع
يعني في شدة عظيمة.

وبالجملة: فمخالطة كل مخالف حمى للروح، فعرضية ولازمة.

ومن نكد الدنيا على العبد أن يتلي بواحد من هذا الضرب، وليس له بُدٌّ
من معاشرته ومخالطته فليعاشره بالمعروف، حتى يجعل الله له من أمره فرجاً
ومخرجاً.

القسم الرابع: من مخالطته اهلك كله ومخالطته بمنزلة أكل السم، فإن اتفق
لآكله ترياق، وإلا فأحسن الله فيه العزاء، وما أكثر هذا الضرب في الناس
لا أكثرهم الله.

وهم أهل البدع والضلالة، والصادون عن سنة رسول الله ﷺ الداعون إلى خلافها، الذي يصدون عن سبيل الله وييغونها عوجاً، فيجعلون البدعة سنة، والسنة بدعة، والمعروف منكراً والمنكر معروفاً.

إن جَرَدْتَ التَّوْحِيدَ بينهم قالوا: تَنَقَّصْتَ جَنَابَ الأولياءِ والصالحين .

وإن جَرَدْتَ الْمُتَابَعَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قالوا: أَهْدَرْتَ الأئِمَّةَ المتبوعين .

وإن وصفت الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير غلو ولا تقصير قالوا: أنت من المشبهين .

وإن أمرت بما أمر الله به ورسوله من المعروف ونهيت عما نهى الله عنه ورسوله من المنكر قالوا: أنت من المفتونين .

وإن اتبعت السنة وتركت ما خالفها قالوا: أنت من أهل البدع المضلين .

وإن انقطعت إلى الله تعالى، وخليت بينهم وبين جيفة الدنيا قالوا: أنت من الملبسين .

وإن تركت ما أنت عليه واتبعت أهواءهم فأنت عند الله من الخاسرين وعندهم من المنافقين .

فالحزم كل الحزم: التماس مرضاة الله تعالى ورسوله بإغضابهم، وأن لا تشتغل باعتابهم، ولا باستعتابهم، ولا تبالي بدمهم ولا بغضهم فإنه عين كالك كما قال :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني فاضل
وقال آخر:

وقد زادني حباً لنفسي أنني بغيضٌ إلى كلِّ امرئٍ غيرِ طائلٍ

فمن أيقظ بواب قلبه وحارسه من هذه المداخل الأربعة التي هي أصل بلاء العالم .

وهي : فضول النظر، والكلام، والطعام، والمخالطة واستعمل ما ذكرناه من الأسباب التسعة التي تحرزها من الشيطان فقد أخذ بنصيبه من التوفيق . وسد عن نفسه أبواب جهنم، وفتح عليها أبواب الرحمة، وانغمر ظاهره وباطنه . ويوشك أن يحمد عند الممات عاقبة هذا الدواء، فعند الممات يحمد القوم التقي . وفي الصباح يحمد القوم السري، والله الموفق لارب غيره ولا إله سواه .
أهد .

اللَّهُمَّ يَا عَالَمَ الْخَفِيَّاتِ وَيَا سَامِعَ الْأَصْوَاتِ وَيَا بَاعِثَ الْأَمْوَاتِ وَيَا مُجِيبَ الدَّعَوَاتِ وَيَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ يَا خَالِقَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ أَنْتَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ الْوَهَّابُ الَّذِي لَا يَبْخُلُ وَالْحَلِيمُ الَّذِي لَا يَعْجَلُ لِرَادِّ لَأَمْرِكَ وَلَا مُعَقِّبٌ لِحُكْمِكَ نَسَأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ ذُنُوبَنَا وَتُنَوِّرَ قُلُوبَنَا وَتُثَبِّتَ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَتُسَكِّنَنَا دَارَ كَرَامَتِكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«موعظة»

عِبَادَ اللَّهِ لَا شَيْءَ أَعْلَى عَلَيْكُمْ مِنْ أَعْمَارِكُمْ وَأَنْتُمْ تُضَيِّعُونَهَا فِيمَا لَا فَايِدَةَ فِيهِ . وَلَا عَدُوَّ أَعْدَى لَكُمْ مِنْ إِبْلِيسَ وَأَنْتُمْ تُطِيعُونَهُ، وَلَا أَضَرَ عَلَيْكُمْ مِنْ مُوَافَقَةِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ وَأَنْتُمْ تُصَادِقُونَهَا، لَقَدْ مَضَى مِنْ أَعْمَارِكُمْ الْإِطَائِبُ، فَمَا بَقِيَ بَعْدَ شَيْبِ الدَّوَائِبِ .

يا حاضرَ الجسم والقلبُ غائبُ، اجتماعُ العيبِ معَ الشَّيبِ منَ أعظمِ المصائبِ، يَمْضِي زَمَنُ الصَّبَا فِي لَعِبٍ وَسَهْوٍ وَغَفْلَةٍ، يَا لَهَا مِنْ مَصَائِبِ، كَفَى زَاجِرًا وَعَظْمًا تَشْيِبُ مِنْهُ الدَّوَائِبِ، يَا غَافِلًا فَاتَهُ الْأَرْبَاحُ وَأَفْضَلُ

الْمَنَاقِبِ، أَيْنَ الْبُكَاءُ وَالْحَزَنُ وَالْقَلْقُ لِحَوْفِ الْعَظِيمِ الطَّالِبِ أَيْنَ الزَّمَانُ الَّذِي
فَرَطْتَ فِيهِ وَلَمْ تَخْشَ الْعَوَاقِبَ، أَيْنَ الْبُكَاءُ دَمًا عَلَى أَوْقَاتِ قُتِلْتَ عِنْدَ التَّلْفِيزِيُونِ
وَالْمِذْيَاعِ وَالْكُرَّةِ وَالسَّيْنَمَاءِ وَالْفِيدْيُوِّ وَالْحَمْرِ وَالذُّخَانِ وَالْمَلَاعِبِ وَاللَّعِبِ
بِالْوَرَقِ وَالْقِيلِ وَالْقَالَ .

كَمْ فِي يَوْمِ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ مِنْ دَمْعٍ سَاكِبٍ عَلَى ذُنُوبٍ قَدْ حَوَّاهَا كِتَابُ
الْكَاتِبِ، مَنْ لَكَ يَوْمٌ يَنْكَشِفُ عَنْكَ غِطَاؤُكَ فِي مَوْقِفِ الْمُحَاسِبِ، إِذَا قِيلَ
لَكَ مَا صَنَعْتَ فِي كُلِّ وَاجِبٍ، كَيْفَ تَرْجُو النِّجَاةَ وَأَنْتَ تَلْهُوُ بِأَسْرِ الْمَلَاعِبِ،
لَقَدْ ضَيَّعْتَكَ الْأَمَانِي بِالظَّنِّ الْكَاذِبِ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْمَوْتَ صَعَبٌ شَدِيدٌ
الْمَشَارِبِ، يُلْقِي شَرَّهُ بِكَأْسِ صُدُورِ الْكَتَائِبِ، وَأَنْتَ لَا مَفَرَّ مِنْهُ لِهَارِبٍ فَانظُرْ
لِنَفْسِكَ وَاتَّقِ اللَّهَ أَنْ تَبْقَى سَلِيمًا مِنَ النَّوَائِبِ فَقَدْ بَنَيْتَ كَنْسَجَ الْعَنْكَبُوتِ بَيْتًا
أَيْنَ الَّذِينَ عَلَوْا فَوْقَ السُّفُنِ وَالْمَرَاقِبِ أَيْنَ الَّذِينَ عَلَوْا عَلَى مُتُونِ النِّجَائِبِ،
هَجَمْتَ عَلَيْهِمُ الْمَنَائِيَا فَأَصْبَحُوا تَحْتَ النَّصَائِبِ وَأَنْتَ فِي أَثَرِهِمْ عَن قَرِيبٍ
عَاطِبٍ، فَانظُرْ وَتَفَكَّرْ وَاعْتَبِرْ وَتَدَبَّرْ قَبْلَ هُجُومٍ مَنْ لَا يَمْنَعُ عَنْهُ حَرَسٌ وَلَا بَابٌ
وَلَا يَفُوتُهُ هَرَبٌ هَارِبٌ .

اللَّهُمَّ يَسِّرْ لَنَا سَبِيلَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشْدًا وَاجْعَلْ
مَعُونَتَكَ الْعُظْمَى لَنَا سِنْدًا وَاحْشُرْنَا إِذَا تَوَفَّيْتَنَا مَعَ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ
لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا: وَكَيْفَ قَرَّتْ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْيُنُهُمْ
وَالْمَوْتُ يُنْذِرُهُمْ جَهْرًا عِلَانِيَةً
وَالنَّارُ ضَاحِيَةٌ لَا بُدَّ مَوْرِدُهُمْ
قَدْ أَمْسَتْ الطَّيْرُ وَالْأَنْعَامُ آمِنَةً
أَوْ اسْتَلَدُوا لَدَيْدَ النَّوْمِ أَوْ هَجَعُوا
لَوْ كَانَ لِلْقَوْمِ أَسْمَاعٌ لَقَدْ سَمِعُوا
وَلَيْسَ يَدْرُونَ مَنْ يَنْجُو وَمَنْ يَقَعُ
وَالنَّوْنُ فِي الْبَحْرِ لَا يُحْشَى لَهَا فَرْعُ

والآدمي بهذا الكسب مُرْتَهَنٌ
 حَتَّى يَرَى فِيهِ يَوْمَ الْجَمْعِ مُنْقَرِداً
 وَإِذْ يَقَوْمُونَ وَالْأَشْهَادُ قَائِمَةٌ
 وَطَارَتْ الصُّحُفُ فِي الْأَيْدِي مُنْشَرَةً
 فَكَيْفَ بِالنَّاسِ وَالْأَنْبَاءِ وَاقِعَةٌ
 أَفِي الْجَنَانِ وَفَوْزٍ لَا انْقِطَاعَ لَهُ
 تَهْوِي بُسْكَانِهَا طَوْرًا وَتَرْفَعُهُمْ
 طَالَ الْبُكَاءُ فَلَمْ يَنْفَعْ تَضَرُّعُهُمْ
 لَهُ رَقِيبٌ عَلَى الْأَسْرَارِ يَطَّلِعُ
 وَخَصْمُهُ الْجِلْدُ وَالْأَبْصَارُ وَالسَّمْعُ
 وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ وَالْأَمْلَاكُ قَدْ خَشَعُوا
 فِيهَا السَّرَائِرُ وَالْأَخْبَارُ تُطَّلَعُ
 عَمَّا قَلِيلٍ وَمَا تُدْرِي بِمَا تَقَعُ
 أَمْ فِي الْجَحِيمِ فَلَا تُبْقِي وَلَا تَدْعُ
 إِذَا رَجَوْا مَخْرَجًا مِنْ غَمِّهَا فُجِعُوا
 هَيْهَاتَ لَارِقَةٍ تُغْنِي وَلَا جَزْعُ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَتَوَّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً
 مُهْتَدِينَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي
 سَبَلِكِ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ أَعَدَدْتَ لَهُمْ فَسِيحَ جَنَانِكَ ،
 وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ أَمَانِكَ ، وَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ
 الْبَلَايَا ، وَأَجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهَبَاتِكَ وَتَمَنَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ
 مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَاعْفِرْ لَنَا
 وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَصْلٌ »

وقال ابن القيم أصل الخير والشر من قبل الفكر، فإن الفكر مبدأ الإرادة
 والطلب في الزهد، والتترك، والحُب والبُغْضِ وَأَنْفَعُ الْفِكْرِ فِي مَصَالِحِ الْمَعَادِ
 وَفِي طُرُقِ اجْتِلَابِهَا، وَفِي دَفْعِ مَفَاسِدِ الْمَعَادِ وَفِي طُرُقِ اجْتِنَابِهَا، فَهَذِهِ أَرْبَعَةٌ
 أَفْكَارٍ، هِيَ أَجَلُ الْأَفْكَارِ، وَيَلِيهَا أَرْبَعَةٌ، فِكْرٌ فِي مَصَالِحِ الدُّنْيَا وَطُرُقِ تَحْصِيلِهَا
 وَفِكْرٌ فِي مَفَاسِدِ الدُّنْيَا وَطُرُقِ اجْتِنَابِهَا مِنْهَا فَعَلَى هَذِهِ الْأَقْسَامِ الثَّمَانِيَةِ دَارَتْ
 أَفْكَارُ الْعُقَلَاءِ .

وَرَأْسُ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ، الْفِكْرُ فِي آلاءِ اللَّهِ وَنِعَمِهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَطُرُقِ الْعِلْمِ بِهِ، وَبِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ مِنْ كِتَابِهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ وَمَا وَالْأَهْمَاءِ، وَهَذَا الْفِكْرُ يُثْمِرُ لِصَاحِبِهِ الْمَحَبَّةَ، وَالْمَعْرِفَةَ، فَإِذَا فَكَّرَ فِي الْآخِرَةِ وَشَرَفَهَا وَدَوَّامَهَا وَفِي الدُّنْيَا وَحَسَنَتِهَا وَفَنَائِهَا أَثْمَرَ لَهُ ذَلِكَ الرَّغْبَةَ فِي الْآخِرَةِ وَالزَّهْدَ فِي الدُّنْيَا. وَكُلَّمَا فَكَّرَ فِي قِصْرِ الْأَمَلِ، وَضَيْقِ الْوَقْتِ، أَوْرَثَهُ ذَلِكَ الْجِدَّ وَالاجْتِهَادَ، وَبَذَلَ الْوُسْعَ فِي اغْتِنَامِ الْوَقْتِ.

وهذه الأفكار تعلِّي همته، وتُحْيِيهَا بَعْدَ مَوْتِهَا وَسُقُولِهَا وَتَجْعَلُهُ فِي وادٍ والناسُ في وادٍ.
قال بعضهم:

فَكَرَّتْ فِي الْجَنَّةِ الْعُلْيَا فَلَمْ أَرَهَا	تُنَالُ إِلَّا عَلَى جَسْرٍ مِنَ التَّعَبِ
آخِر: إِنَّ أَمْرًا بَاعَ أُخْرَاهُ بِفَاحِشَةٍ	مِنَ الْفَوَاحِشِ يَأْتِيهَا لَمَعْبُونُ
وَمَنْ تَشَاغَلَ بِالدُّنْيَا وَزُخْرِفَهَا	عَنْ جَنَّةٍ مَا لَهَا مِثْلُ لَمَفْتُونُ
وَكُلُّ مَنْ يَدَّعِي عَقْلًا وَهَمَّتُهُ	فِيْمَا يُبْعَدُ عَنْ مَوْلَاهُ مَجْنُونُ
آخِر: يَأْمَنْ يُعَانِقُ دُنْيَاً لَا بَقَاءَ لَهَا	يُمْسِي وَيُصْبِحُ فِي دُنْيَاهُ سَفَارَا
هَلَّا تَرِكَتْ لَدَى الدُّنْيَا مُعَانِقَةً	حَتَّى تُعَانِقَ فِي الْفِرْدَوْسِ أَبْكَارَا
إِنْ كُنْتَ تَبْغِي جَنَّانَ الْخُلْدِ تَسْكُنُهَا	فَاطْلُبْ رِضَى خَالِقِ الْجَنَّاتِ وَالنَّارَا

وَبِإِزَاءِ هَذِهِ الْأَفْكَارِ الرَّدِّيَّةِ الَّتِي تَجُولُ فِي قُلُوبِ أَكْثَرِ هَذَا الْخَلْقِ، كَالْفِكْرِ فِيْمَا يُكَلِّفُ الْفِكْرُ فِيهِ، وَلَا أُعْطِيَ الْإِحَاطَةَ بِهِ مِنْ فَضُولِ الْعِلْمِ الَّذِي لَا يَنْفَعُ، كَالْفِكْرِ فِي كَيْفِيَّةِ ذَاتِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ مِمَّا لَا سَبِيلَ لِلْعُقُولِ إِلَى إِدْرَاكِهِ بِهِ.

ومنها الفكرُ في الصناعاتِ الدَّقِيقَةِ الَّتِي لَا تَنْفَعُ بَلْ تَضُرُّ، كَالْفِكْرِ فِي الشُّطْرُنِجِ وَالْمُوسِيقَى وَأَنْوَاعِ الْأَشْكَالِ، وَالتَّصَاوِيرِ. قُلْتُ وَكُلْ أَنْوَاعِ الْمَلَاهِي.

ومنها الفكرُ في الْعُلُومِ الَّتِي لَوْ كَانَتْ صَحِيحَةً لَمْ يُعْطَى الْفِكْرُ فِيهَا النَّفْسَ كَمَالًا وَلَا شَرَفًا كَالْفِكْرِ فِي دَقَائِقِ الْمَنْطِقِ، وَالْعِلْمِ الرَّيَاضِيِّ، وَالطَّبِيعِيِّ، وَأَكْثَرِ

علوم الفلاسفة التي لو بلغ الإنسان غايتها لم يكمل بذلك، ولم يترك نفسه .
ومنها الفكر في الشهوات، واللذات وطرق تحصيلها، وهذا وإن كان
للنفس فيه لذة لكن لا عاقبة له ومضرته في عاقبة الدنيا قبل الآخرة أضعاف
مسرته .

ومنها الفكر فيما لم يكن لو كان كيف كان كالفكر فيما إذا صار ملكاً
أو وجد كثرًا أو ملك ضيعةً ماذا يصنع وكيف يتصرف، ويأخذ ويعطي
وينتقم ونحو ذلك من أفكار السفيل .

ومنها الفكر في جزئيات أحوال الناس، ومجرياتهم، ومدخلهم
ومخارجهم، وتوابع ذلك من فكر النفوس المبطلة الفارغة من الله ورسوله
والدار الآخرة .

ومنها الفكر في دقائق الحيل، والمكر، التي يتوصل بها إلى أغراضه
وهواه مباحة كانت أو محرمة .

ومنها الفكر في أنواع الشعر، وصوره وأفانينه في المدح والهجاء والغزل
والمراثي ونحوها، فإنه يشغل الإنسان عن الفكر فيما فيه سعادته وحياته
الدائمة .

ومنها الفكر في المقدرات الذهنية التي لا وجود لها في الخارج ولا بالناس
حاجة إليها البتة، وذلك موجود في كل علم حتى في علم الفقه والأصول
والطب، فكل هذه الأفكار مضرتها أرجح من منفعتها ويكفي في مضرتها
شغلها عن الفكر فيما هو أولى به، وأعود عليه بالرفع عاجلاً وآجلاً. أهـ .

شِعْرًا: يَا غَافِلًا عَن صُرُوفِ الْوَقْتِ فِي سِنَةِ
كَمْ ذَا تَنَامُ وَعَيْنُ الْوَقْتِ سَاهِرَةٌ
لَهُ حَوَادِثُ فِي الْعُدُوتِ وَالْبُكْرِ
فَشَيْمَةُ الْوَقْتِ شُوبُ الصَّفْوِ بِالْكَدْرِ
الْوَقْتُ يُوقِظُ بِالآيَاتِ وَالْعِبَرِ
لَا تَأْمَنُ الْوَقْتُ وَأَحْذَرُ مِنْ تَقْلِبِهِ

وارغَبْ بِنَفْسِكَ عَمَّا سَوْفَ تُدْرِكُهُ
 مَاذَا يَعْرُكَ مِنْ دَارِ الْفَنَاءِ وَمِنْ
 فَاْمَهْدَ لِنَفْسِكَ فَالسَّاعَاتُ فَآئِيَةٌ
 آخِرُ: يَا مَنْ تَبَجَّحَ بِالْأَلْبَانِ وَزُخْرِفَهَا
 وَلَا يَعْرُكَ عَيْشٌ إِنْ صَفَا وَعَفَا
 إِنَّ الزَّمَانَ كَمَا جَرَّبْتَ خِلْقَتَهُ
 فِعْلَ اللَّيْبِ أَخِي التَّحْقِيقِ وَالتَّنْظِيرِ
 عُمُرٍ يَمُرُّ كَمِثْلِ اللَّمْحِ بِالْبَصْرِ
 وَالْعُمُرُ مُنْتَقِصٌ وَالْمَوْتُ فِي الْأَثَرِ
 كُنْ مِنْ صُرُوفِ لَيْالِيهَا عَلَى حَذَرٍ
 فَالْمَرْءُ مِنْ غُرْرِ الْأَيَّامِ فِي غَرْرِ
 مُقَسَّمِ الْأَمْرِ بَيْنَ الصَّفْوِ وَالْكَدِرِ

اللَّهُمَّ الْهَمُّنَا ذِكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ، وَخَلَّصْنَا مِنْ حَقُوقِ خَلْقِكَ،
 وَبَارِكْ لَنَا فِي الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ، وَلَا تَفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ، يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ
 دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجِحٍ يَاقَاضِي الْحَاجَاتِ، وَمُجِيبَ الدَّعَوَاتِ، هَبْ لَنَا مَا
 سَأَلْنَا، وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَّيْنَا، يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي
 صُدُورِ الصَّامِتِينَ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
 الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصْلٌ»

اعلم وفقنا الله وإياك وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ الْحُبَّ فِي اللَّهِ وَالْبُعْضَ فِي اللَّهِ،
 أَصْلٌ عَظِيمٌ مِنْ أُصُولِ الْإِيمَانِ يَجِبُ مُرَاعَاتُهُ وَهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «أَوْثَقُ
 عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُعْضُ فِي اللَّهِ»، وَأَكْثَرَ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِهِ فِي الْقُرْآنِ،
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

فالمعنى أَنَّ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي مُوَالَاتِ الْمُؤْمِنِينَ مَنُذُوحَةً عَنْ مُوَالَاتِ
 الْكَافِرِ، فَلَا تُؤْثِرُوهُمْ عَلَيْهِمْ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي
 شَيْءٍ﴾ المعنى وَمَنْ يَتَوَلَّاهُمْ فَهُوَ بَرِيءٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَرِيءٌ مِنْهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:
 ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّاهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ .

وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ أي إلا أن تحافوا على أنفسكم في إبداء العداوة للكافرين، فلكم في هذه الحال الرخصة في المسالمة والمهادنة، ولا في التولي الذي هو محبة القلب الذي تتبعه النصرة، بل يكون القلب مطمئناً بالعداوة، والبغضاء، ينتظر زوال المانع.

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مَنْ دُونَكُمْ لَا يَأْلُوكُمْ خَبًا لَأُودُوا مَا عَشْتُمْ قَدْ بَدَثَ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ، هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا، وَإِذَا خَلَا عَضُوبًا عَلَيْكُمْ الْأَنْمَالُ مِنَ الْعَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِعَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ، إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ، وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ الآية.

ففي هذه الآيات تحذير من الله لعباده المؤمنين عن ولاية الكفار واتخاذهم بطانة أو خصيصة وأصدقاء، يسرون إليهم، ويفضون لهم بأسرار المؤمنين، أولاً أنهم لا يقصرون في مصرة المؤمنين، وإفساد الأمر على المؤمنين ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

ثانياً: محبتهم ما شق على المؤمنين، وتمنيهم ضرر المؤمنين في دنياهم ودينهم.

ثالثاً: أنهم يبدون العداوة والبغضاء في كلامهم وفي فلتات السنتهم.

رابعاً: أن ما تخفيه صدورهم من البغضاء والعداوة أكبر مما ظهر لكم من أقوالهم وأفعالهم، ثم ذكر نوعاً آخر من التحذير عن مخالطة الكافرين واتخاذهم بطانة.

وفيه تنبيه على خطئهم في ذلك وقد ضمنه موراً ثلاثاً كل منها يستدعي الكف عن مخالطة الكفار، أولاً أنكم تحبونهم ولا يحبونكم، ثانياً أنكم

تُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ مَا نَزَّلَ عَلَى نَبِيِّكُمْ وَمَا نَزَّلَ عَلَى نَبِيِّهِمْ، ثَالِثًا أَنَّهُمْ يُدَاهِنُونَكُمْ وَيُنَافِقُونَكُمْ فَإِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا مَعَ بَنِي جَنَسِهِمْ عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأُنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ وَالْبُغْضِ.

وإِنَّمَا فَعَلُوا ذَلِكَ لِمَا رَأَوْا مِنْ ائْتِلَافِ الْمُسْلِمِينَ، واجْتِمَاعِ كَلِمَتِهِمْ وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ، وَنَصْرِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ، حَتَّى عَجَزَ أَعْدَاؤُهُمْ أَنْ يَجِدُوا إِلَى ذَلِكَ التَّشْفِي سَبِيلًا، فَاضْطَرُّوا إِلَى مُدَارَاتِهِمْ.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾.

وَالْآيَاتُ هَذِهِ تُنَادِي بِالنَّهْيِ الْمَطْلُوقِ عَنِ الْوَلَاءِ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَعَنِ الْاسْتِنصَارِ بِهِمْ، وَالرَّكُونِ إِلَيْهِمْ وَالثَّقَةِ بِهِمْ، وَبِمَوَدَّتِهِمْ وَالاعْتِقَادِ فِي قُدْرَتِهِمْ عَلَى إِيصَالِ خَيْرٍ لِلْمُسْلِمِينَ، أَوْ دَفْعِ أذى بَلِّ هُمْ عَلَى الْعَكْسِ لَا يَأْلُونَ جُهْدًا فِي دَفْعِ النَّفْعِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِيصَالِ الضَّرْرِ وَالْأذى لِلْمُسْلِمِينَ فَانْتَبِهْ يَا أَخِي وَاحْذَرُهُمْ وَحَذَّرْ عَنْهُمْ. وَإِيَّاكَ وَمُدَارَاتِهِمْ.

يَقُولُونَ لِي الْعِدَا تَنْجِ مِنْهُمْ فَقُلْتُ مُدَارَاتُ الْعِدَا لَيْسَ تَنْفَعُ
 وَلَوْ أَنَّنِي دَارَيْتُ دَهْرِي حَيَّةً إِذَا مُكِنْتُ يَوْمًا مِنَ اللَّسْعِ تَلْسَعُ
 آخِر: إِذَا وَتَرْتِ امْرَأً فَاحْذَرِ عَدَوَاتَهُ مَنْ يَزْرَعُ الشُّوكَ لَا يَحْصُدُ بِهِ عِنَبًا
 إِنَّ الْعَدُوَّ وَإِنْ أَبَدَى مُجَامَلَةً إِذَا رَأَى مِنْكَ يَوْمًا فُرْصَةً وَثَبَا

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ وَلِهَذَا كَانَ السَّلْفُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَسْتَدِلُّونَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ عَلَى تَرْكِ الْاسْتِعَانَةِ بِهِمْ فِي الْوَلَايَاتِ، فَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ قُلْتُ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِنَّ لِي كَاتِبًا نَصْرَانِيًّا، قَالَ مَالِكٌ قَاتَلَكُ اللَّهُ، أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أَلَا اتَّخَذْتَ حَنِيفِيًّا.

قَالَ قُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِي كِتَابَتُهُ وَلَهُ دِينُهُ، قَالَ لَا أَكْرَمُهُمْ إِذَا أَهَانَهُمُ اللَّهُ، وَلَا أَعَزَّهُمْ إِذَا أَذَلَّهُمُ اللَّهُ، وَلَا أَدْنِيَهُمْ إِذَا أَقْصَاهُمْ اللَّهُ «بَلَّغْ يَا أَخِي مَنْ وَالآهَمُ وَوَالَاهُمْ وَوَثِقْ بِهِمْ» وَأَحْمَدُ اللَّهُ الَّذِي عَافَاكَ مِمَّا ابْتَلَاهُمْ بِهِ .

وَلَمَّا دَلَّ عَلَيْهِ مَعْنَى الْكِتَابِ وَجَاءَتْ بِهِ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسُنَّةُ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، الَّتِي أَجْمَعَ الْفُقَهَاءُ عَلَيْهَا بِمُخَالَفَتِهِمْ، وَتَرَكَ التَّشْبِيهِ بِهِمْ، فَقِي الصَّحِيحِينَ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَصْبُغُونَ، فَخَالَفُوهُمْ أَمْرٌ بِمُخَالَفَتِهِمْ قَالَ .

وَقَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ وَذَلِكَ يَقْتَضِي تَبَرُّؤَهُ مِنْهُمْ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، وَإِذَا كَانَ اللَّهُ قَدْ بَرَّأَ رَسُولَهُ ﷺ مِنْ جَمِيعِ أُمُورِهِمْ، فَمَنْ كَانَ مُتَّبِعًا لِلرَّسُولِ ﷺ حَقِيقَةً كَانَ مُتَّبِعًا مِنْهُمْ، كَتَبَرَّتْهُ عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ وَمَنْ كَانَ مُوَافِقًا لَهُمْ كَانَ مُخَالَفًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِقَدْرِ مُوَافَقَتِهِ لَهُمْ .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّ مُشَابَهَتَهُمْ فِي بَعْضِ أَعْيَادِهِمْ، تُوجِبُ سُرُورَ قُلُوبِهِمْ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْبَاطِلِ، خُصُوصًا إِذَا كَانُوا مَقْهُورِينَ، تَحْتَ ذُلِّ الْجِزْيَةِ وَالصَّغَارِ، فَإِنَّهُمْ يَرُونَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ صَارُوا فِرْعَاءَ لَهُمْ فِي خِصَائِصِ دِينِهِمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُوْجِبُ قَسْوَةَ قُلُوبِهِمْ وَأَنْشِرَاحَ صُدُورِهِمْ وَرَبَّمَا أَطْمَعَهُمْ ذَلِكَ فِي انْتِهَازِ الْفُرْصِ وَاسْتِدْلَالِ الضُّعْفَاءِ وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَكُلَّمَا كَانَتْ الْمُشَابَهَةُ أَكْثَرَ كَانَ التَّفَاعُلُ فِي الْأَخْلَاقِ وَالصِّفَاتِ أَمَّ حَتَّى يُوَلِّ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ لَا يُمَيِّزُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ إِلَّا بِالْعَيْنِ فَقَطُّ .

وَلَمَّا كَانَ بَيْنَ الْإِنْسَانِ مُشَارَكَةً فِي الْجِنْسِ الْخَاصِّ، كَانَ التَّفَاعُلُ فِيهِ أَشَدُّ، ثُمَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَائِرِ الْحَيَوَانَ مُشَارَكَةً فِي الْجِنْسِ، الْمُتَوَسِّطِ، فَلَا بُدَّ مِنْ نَوْعِ تَفَاعُلٍ بِقَدْرِهِ .

ثُمَّ بَيَّنَّهٖ وَيَبِّنَ النَّبَاتِ مُشَارَكَةً فِي الْجِنْسِ الْبَعِيدِ مَثَلًا، فَلَا بُدَّ مِنْ تَوْجَعِ مَا مِنَ الْمُنْفَاعِلَةِ: قَالَ وَلَا جَلَّ هَذَا الْأَصْلُ وَقَعَ النَّاتِرُ وَالتَّائِبُ فِي بَنِي آدَمَ، وَاكْتِسَابِ بَعْضِهِمْ أَخْلَاقَ بَعْضٍ بِالْمُشَارَكَةِ، وَالْمُعَاشِرَةِ، وَكَذَلِكَ الْآدَمِيُّ إِذَا عَاشَرَ تَوْعًا مِنَ الْحَيَوَانِ، اكْتَسَبَ مِنْ بَعْضِ أَخْلَاقِهِ.

وَلِهَذَا صَارَتِ الْخِيَلَاءُ وَالْفَخْرُ فِي أَهْلِ الْإِبْلِ، وَصَارَتِ السَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْعَنَمِ، وَصَارَ الْجَمَالُونَ وَالْبِعَالُونَ فِيهِمْ أَخْلَاقٌ مَذْمُومَةٌ، مِنْ أَخْلَاقِ الْجَمَالِ وَالْبِعَالِ، وَكَذَا الْكَلَابُونَ.

قُلْتُ وَهَذَا وَاضِحٌ مُشَاهِدٌ عِنْدَ الَّذِينَ يَتَأَمَّلُونَ بِدِقَّةٍ، فَالْمُعَاشِرُونَ لِلدَّجَاجِ وَالْحَمَامِ، وَالْأَرَانِبِ وَالْحُمُرِ وَالْبَقَرِ يَأْخُذُونَ مِنْ أَخْلَاقِهَا.

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَصَارَ الْحَيَوَانُ الْإِنْسِي فِيهِ بَعْضُ أَخْلَاقِ الْإِنْسِ مِنَ الْمُعَاشِرَةِ وَالْمُؤَالَفَةِ وَقَلَّةِ الثُّفْرَةِ، فَلِلْمُشَابَهَةِ وَالْمُشَاكَلَةِ فِي الْأُمُورِ الظَّاهِرَةِ تُوجِبُ مُشَابَهَةً وَمُشَاكَلَةً فِي الْأُمُورِ الْبَاطِنَةِ عَلَى وَجْهِ الْمَسَارَقَةِ وَالتَّدْرِيجِ الْخَفِيِّ.

قَالَ: وَقَدْ رَأَيْنَا الْيَهُودَ الَّذِينَ عَاشَرُوا الْمُسْلِمِينَ، هُمْ أَقْلُ كُفْرًا مِنْ غَيْرِهِمْ، كَمَا رَأَيْنَا الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ أَكْثَرُوا مِنْ مُعَاشِرَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى هُمْ أَقْلُ إِيمَانًا مِنْ غَيْرِهِمْ، وَالْمُشَارَكَةُ فِي الْهَدَى الظَّاهِرِ، تُوجِبُ أَيْضًا مُنَاسِبَةً وَائْتِلَافًا وَإِنْ بَعُدَ الْمَكَانُ، وَالزَّمَانُ، فَهَذَا أَيْضًا أَمْرٌ مَحْسُوسٌ فَمُشَابَهَتُهُمْ فِي أَعْيَادِهِمْ وَلَوْ بِالْقَلِيلِ، هُوَ سَبَبٌ لِتَوْجَعِ مَا مِنْ اكْتِسَابِ أَخْلَاقِهِمْ الَّتِي هِيَ مَلْعُونَةٌ.

فَنَقُولُ مُشَابَهَتُهُمْ فِي الظَّاهِرِ سَبَبٌ وَمَظْنَةٌ لِمُشَابَهَتِهِمْ فِي عَيْنِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَفْعَالِ الْمَذْمُومَةِ، بَلْ فِي نَفْسِ الْعِتْقَادِ، وَتَأْتِيرُ ذَلِكَ لَا يَظْهَرُ وَلَا يَنْضَبِطُ وَنَفْسُ الْفَسَادِ الْحَاصِلِ مِنَ الْمُشَابَهَةِ قَدْ لَا يَظْهَرُ وَلَا يَنْضَبِطُ وَقَدْ يَتَعَسَّرُ، أَوْ يَتَعَدَّرُ زَوَالَهُ، بَعْدَ حُصُولِهِ لَوْ تَفَطَّنَ لَهُ.

وَكُلُّ مَا كَانَ سَبِيًّا إِلَى مِثْلِ هَذَا الْفَسَادِ فَإِنَّ الشَّرَّاعَ يُحَرِّمُهُ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ
الْأَصُولُ الْمَقْرُورَةُ .

وَقَالَ إِنَّ الْمُشَابَهَةَ فِي الظَّاهِرِ تُورِثُ نَوْعَ مَوَدَّةٍ وَمَحَبَّةٍ وَمَوَالَاةٍ فِي الْبَاطِنِ
قَالَ وَالْمَحَبَّةُ وَالْمَوَالَاةُ لَهُمْ تَنَافِي الْإِيمَانِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴾
وَقَالَ تَعَالَى فِيمَا ذَمَّ بِهِ أَهْلَ الْكِتَابِ : ﴿ لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى
لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ﴾ الْآيَاتِ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ
فَاسِقُونَ ﴾ .

فَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أَنْزَلَ مُسْتَلْزِمٌ لِعَدَمِ وَلَايَتِهِمْ فَتُبُوتُ
وَلَايَتِهِمْ يُوجِبُ عَدَمَ الْإِيمَانِ ، انْتَهَى كَلَامُهُ .

إِذَا فَهَمْتَ ذَلِكَ ، فَاعْلَمْ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ كُلِّ مَا ذَكَرْنَا ، هُوَ أَنَّكَ تَكُونُ
مُتَيَقِّظًا حَافِظًا لِمَنْ وَلَاكَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حَسَبَ قُدْرَتِكَ وَاسْتِطَاعَتِكَ مُبْعَدًا لَهُمْ كُلَّ
الْبُعْدِ عَنِ الْإِتِّصَالِ بِالْكَفَّارِ ، وَالسَّفَرِ إِلَى بِلَادِهِمْ ، وَالْإِقَامَةِ عِنْدَهُمْ ، لِمَا وَضَّحْنَا
لَكَ سَابِقًا فَإِنْ قَبِلْتَ ذَلِكَ فَهُوَ الْمَطْلُوبُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ وَإِنْ أَيْتَتْ
قُبُولَ هَذِهِ النَّصِيحَةِ فَسَوْفَ تَعْلَمُ إِذَا انْجَلَى الْعُبَارُ ، أَفْرَسَ تَحْتِكَ أَمْ حِمَارًا ،
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التَّكْلَانُ .

أَلَا رَبُّ نُصْحٍ يُعَلِّقُ الْبَابَ دُونَهُ وَغِشِي إِلَى جَنْبِ السَّرِيرِ يُقَرِّبُ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

« فِصْلٌ »

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ
لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ الْآيَتِينَ . وَقَالَ :

﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء﴾
الآية .

قال ابن عباس: لا تميلوا وقال عكرمة أن تطيعوهم أو تؤدوهم، أو
تصطنعوهم، أي تولوهم الأعمال، كمن يولي الفساق والفجار .

وقال الثوري ومن لاق لهم دواة أو برى لهم قلما أو ناولهم قرطاساً
دخل في هذا، قال بعض المفسرين في الآية فالتهي متناول للانحطاط في
هواهم، والانقطاع إليهم، ومصاحبتهم، ومجالستهم، وزيارتهم ومداهنتهم
والرضا بأعمالهم والتشبه والتزبي بزبيهم، ومدد العين إلى زهرتهم، وذكرهم
بما فيه تعظيماً لهم قلت ما أكثر هذا في زمننا نسأل الله أن يحفظنا عن ذلك .

وقال آخر: لا تستبدوا وتطمئثوا إلى الذين ظلموا وإلى الجبارين الطغاة
الظالمين، أصحاب الجور والظلم الذين يقهرون بقوتهم، ويظلمون لا تميلوا
إليهم طالبين نصرتهم أو حمايتهم مهما يكن في أيديهم من القوة والسلطان
والمال، فإن ركونكم إليهم على هذا النحو يقدح في اعتمادكم على الله، وفي
إخلاصكم بالتوجه إليه وحده والاتكال عليه وحده والاعتزاز به وحده .

والركون إلى الظلمة المتسلطين سواء كانوا أفراداً أو كانوا دُولاً يتمثل في
صور شتى، ومنه التعاون مع الطغاة على الشعوب، الذين لا يحكمون بما
أنزل الله، ومنه معاهدات الحماية، ومعاهدات الدفاع المشترك، ومعاهدات
الصداقة، والتحالف مع الذين يؤذون المؤمنين في ديارهم، وكل صورة
يتحقق فيها اعتماد المسلمين على أهل الظلم أفراداً ودُولاً والاستناد إلى
قوتهم، وعونهم، ومساعدتهم .

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء
تلقون إليهم بالموادة﴾ صدر هذه السورة نزل في حاطب بن أبي بلتعة، لما

كَتَبَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، يُخْبِرُهُمْ بِمَسِيرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ يُعَوَّلُ عَلَى الْكُفْرَةِ وَيَعْتَمَدُ عَلَيْهِمْ وَيَتَّخِذُهُمْ أَوْلِيَاءَ نَسَأَلُ اللَّهَ الْعِصْمَةَ إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ.

فَيَجِبُ عَلَيْنَا مَعَشَرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ نَتَّبَعَهُمْ وَلَا نُقَارِبَهُمْ فِي الْمَنَازِلِ وَلَا نَذْهَبَ إِلَيْهِمْ، وَلَا نَكُونَ مَعَهُمْ، وَأَنْ نَنْصَحَ مَنْ كَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي بِلَادِهِمْ، بَانَ يُهَاجِرَ عَنْهُمْ، وَأَنْ نُبَيِّنَ لَهُ، قَالَ ﷺ «لَا تَسْتَضِيْعُوا بِنَارِ الْمُشْرِكِينَ».

وَقَالَ «مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ أَوْ سَكَنَ مَعَهُ فَهُوَ مِثْلُهُ» وَحَدِيثُ «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ مُسْلِمٍ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ لَا تَرَأَى نَارَهُمَا»، وَكَانَ ﷺ يَأْخُذُ عَلَى أَصْحَابِهِ عِنْدَ الْبَيْعَةِ يَأْخُذُ عَلَى يَدِ أَحَدِهِمْ «أَنْ لَا تَرَى نَارَ الْمُشْرِكِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ حَرْبًا لَهُمْ».

شِعْرًا: شَرُّ الْبِلَادِ بِلَادٌ لَا أَدَانَ بِهَا وَلَا زَكَاةٌ وَلَا صَوْمٌ يَكُونُ بِهَا إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ شَخْصٍ يُقِيمُ بِهَا آخِرُ: إِرْحَلْ بِنَفْسِكَ مِنْ أَرْضٍ تُضَامُ بِهَا مَنْ ذَلَّ بَيْنَ أَهْلِيهِ بِلَدَّتِهِ الْكُحْلُ نَوْعٌ مِنَ الْأَحْجَارِ مُنْطَرِحًا لَمَّا تَغْرِبُ نَالَ الْعِزَّ أَجْمَعَهُ آخِرُ: إِذَا زِدْتَ فِي أَرْضٍ لِرَبِّكَ طَاعَةً فَمَا هِيَ إِلَّا بِلْدَةٌ مِثْلُ بِلْدَةٍ آخِرُ: إِذَا اغْتَرَبَ الْحُرُّ الْكَرِيمُ بَدَتْ لَهُ تَفْرُقُ أَلْفٌ وَبَذَلُ لِهَيْبَةٍ آخِرُ: وَكُنْ فِي بِلْدَةٍ تَزْدَادُ فِيهَا وَلَا يُقَامُ بِهَا فَرَضُ الصَّلَوَاتِ وَلَا مَسَاجِدَ فِيهَا لِلْعِبَادَاتِ عِنْدَ الْمُعَادِي لِخَلَاقِ السَّمَوَاتِ وَلَا تَكُنْ لِفِرَاقِ الْأَهْلِ فِي حَرَقٍ فَالْأَعْتَرَابُ لَهُ مِنْ أَحْسَنِ الْخُلُقِ فِي أَرْضِهِ كَالثَرَى يُرَى عَلَى الطَّرِيقِ وَصَارَ يُحْمَلُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْحَدَقِ فَلَا تَكْثِرُنَّ مِنْهَا التُّزُوعَ لِغَيْرِهَا وَخَيْرُهُمَا مَا كَانَ عَوْنًا عَلَى التَّقَى ثَلَاثُ خِلَالٍ كُلُّهُنَّ صِعَابٌ وَإِنْ حُمَّ لَمْ يَعْطِفْ عَلَيْهِ صِحَابٌ لَدَى الْخَلَاقِ مَرْتَبَةٌ وَقَدْرًا

فَخَيْرُ النَّاسِ مَنْ أَرْضَىٰ إِلَهًا تَفَرَّدَ بِالْجَلَالِ وَالْكَمَالِ
وَفِي حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ مَرْفُوعاً «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ مُسْلِمٍ عَمَلًا أَوْ
يُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ»، أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَوَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ أَقْسَمَ لَا يُظِلُّهُ
سَقْفٌ، هُوَ وَقَاطِعُ رَحِمٍ.

فَانْتَبَهْ يَا مَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَاتَىٰ بِكُفَارٍ خَدَامِينَ أَوْ سَوَاقِينَ أَوْ خِيَاطِينَ
أَوْ طَبَاحِينَ وَأَمِنَهُمْ عَلَىٰ مَحَارِمِهِ وَهُمْ أَعْدَاءُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ هَذَا وَالْعِيَاذُ
بِاللَّهِ إِجْرَامٌ عَظِيمٌ وَمَحَارِبَةٌ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَنَشْرٌ لِلْفُسَادِ فِي الْبِلَادِ
الْإِسْلَامِيَّةِ .

فَكَيْفَ بِمَنْ يَذْهَبُ إِلَىٰ بِلَادِ الْكُفْرِ وَيَجْلِسُ مَعَهُمْ، وَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ
وَيَتَبَادَلُ مَعَهُمُ الْكَلَامَ بَلِيْنٍ وَبِشْرٍ وَيَنَامُ وَيَصْحُو، وَيَقُومُ وَيَقْعُدُ وَهُوَ بَيْنَهُمْ فِي
تَقَلُّبَاتِهِ وَحَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ .

وَلَقَدْ وَصَلَ الْأَمْرُ فِي هَذَا الزَّمَنِ إِلَىٰ أَنَاثًا يَبْعَثُونَ أَمَانَاتِهِمْ أَفْلَادَ أَكْبَادِهِمْ
إِلَىٰ بِلَادِ الْكُفْرِ وَالشَّرِكِ وَالْحُرِّيَّةِ وَالْفُسَادِ يَتَعَلَّمُونَ عِنْدَ أَوْلِيَّكَ الْكُفْرَةَ أَعْدَاءِ
الْإِسْلَامِ وَأَهْلِيهِ الَّذِينَ تَجِبُ الْهَجْرَةُ مِنْ بِلَادِهِمْ وَرُبَّمَا كَانَ عِنْدَ الْأَوْلَادِ
الْمَبْعُوثِينَ لِلتَّعَلُّمِ عِنْدَ الْكُفْرَةِ مَبَادِيءُ طَيِّبَةٌ وَأَخْلَاقٌ قَاضِلَةٌ فَإِذَا ذَهَبُوا إِلَىٰ بِلَادِ
الْكُفْرِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ ضَيَّعُوا دِينَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ وَاعْتَضُوا عَنْ قَصْدٍ وَعَنْ غَيْرِ قَصْدٍ
شُرُورًا وَسُمُومًا يَحْمِلُونَهَا ثُمَّ يَأْتُونَ بِهَا فَيَنْفُثُونَهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ يُعْدُونَ
أَقْرَانَهُمْ وَيَزَيِّتُونَ لَهُمْ طَرِيقَتَهُمْ فَيَهْلِكُونَ وَيُهْلِكُونَ وَلَا أَدْرِي مَاذَا عِنْدَ مُضَيِّعِ
هَذِهِ الْأَمَانَةِ مِنَ الْجَوَابِ إِذَا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْ الْجَبَّارِ جَلٌّ وَعَلَا وَسَأَلَهُ عَنْ هَذِهِ
الْأَمَانَةِ وَمَا أَغْقَبَتْ مِنْ شُرُورٍ وَفَسَادٍ .

هَلْ يَدْعِي أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ أَنَّهَا بِلَادُ كُفْرٍ وَإِلْحَادٍ فَيَكُونُ كَاذِبًا أَوْ يَقُولُ إِنَّهُ
يَدْرِي وَلَكِنَّهُ لَا يُبَالِي بِهِذِهِ الْأَمَانَةِ قُولُوا لَهُ أَلَسْتَ تَقْرَأُ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا

عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا ﴿١﴾ الْآيَةَ .
 وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿٢﴾ إِنْ اللَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴿٣﴾ هَذَا إِذَا
 كَانَ الْبَاعِثُ رَاضِيًا بِذَلِكَ أَوْ أَمْرًا بِهِ .

فَهَلِ الْكُفَّارُ أَهْلٌ لِيُوضَعَ هَذِهِ الْأَمَانَةُ عِنْدَهُمْ أَمَا تَحْشَىٰ اللَّهُ هَذَا وَاللَّهُ جُرْمٌ
 عَظِيمٌ، قَالَ تَعَالَى : ﴿٤﴾ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴿٥﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا
 بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ، فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى
 الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٦﴾ إِنْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ
 عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴿٧﴾ .

وَالشَّيْءُ الَّذِي يُضْحِكُ الْإِنْسَانَ مِنْ جِهَةٍ وَيُبْكِهِ مِنْ جِهَةٍ هُوَ أَنَّهُ رَبَّمَا
 يَكُونُ الْمُرْسَلُونَ مِنَ الَّذِينَ يُعَدُّونَ طَاهِرَةً قُلُوبُهُمْ وَلَكِنْ غَفَلُوا عَنْ هَذِهِ
 الْمَسْأَلَةِ فَلَمْ يَسْأَلُوا عَنْهَا هَلْ يَجُوزُ لَهُمْ أَمْ لَا، ثُمَّ الشَّيْءُ الثَّانِي يَأْتِي أَنَسُ
 آخِرُونَ لَا يَعْرِفُونَ الْوَلَاءَ وَالْبِرَّاءَ أَوْ يَعْرِفُونَهُ وَلَكِنْ يَتَسَاهَلُونَ فَيَأْخُذُونَ الَّذِي
 جَاءُوا مِنْ بِلَادِ الْكُفْرِ يَحْمِلُونَ شَهَادَاتِهِمْ بِالذُّوَابِ وَالْوَلَايِمِ وَهَذَا وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ
 تَشْجِيعًا عَلَى الْمَعَاصِي وَحَثًّا عَلَيْهَا وَإِعْرَاءً بِهَا نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ .

لَأَنَّ الْوَالِجَ هَجْرُهُمْ وَالْإِتِّعَادُ عَنْهُمْ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ
 إِخْوَانَهُمْ كَمَا هُوَ الْمَعْهُودُ فِي الزَّمَنِ الْبَعِيدِ وَالْقَرِيبِ فَيَمْنُ جَاءَ مِنَ الْبِلَادِ الَّتِي
 مُسْتَعْمَرَةٌ لِلْكَفَرَةِ يُهْجَرُ لَا يُكَلِّمُ وَلَا يُدْعَى وَلَا يُجَابُ دَعْوَتُهُ عِنْدَ الْمُتَمَسِّكِينَ
 بِالِدِينِ تَمَامًا الصِّدَّاعِينَ بِالْحَقِّ الْمُخْلِصِينَ لِلَّهِ النَّاصِحِينَ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ
 وَلِوَلَاةِ الْمُسْلِمِينَ وَلَكِنْ يَا لِلْأَسْفِ ذَهَبَ النَّاسُ وَبَقِيَ النَّسْنَسُ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ
 الْوَلَاءَ وَالْبِرَّاءَ إِلَّا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِحُطَامِ الدُّنْيَا .

شِعْرًا: فَمَا النَّاسُ بِالنَّاسِ الَّذِينَ عَهَدْتَهُمْ
 آخِر: أَلَا رَبُّ نُصِجٍ يُغْلِقُ الْبَابَ دُونَهُ
 آخِر: بَذَلْتُ لَهُمْ نُصِجِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى
 وَلَا الدَّارُ بِالذَّارِ الَّتِي كُنْتُ تَعْرِفُ
 وَغَشَّ إِلَىٰ جَنْبِ الشَّرِيرِ يُقَرِّبُ
 فَلَمْ يَسْتَيْبِنُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضَحَى الْعَدِ

وَيَذْكُرُ عَنْ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ تَحَبَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِبُغْضِ أَهْلِ
 الْمَعَاصِي، وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِالْبُعْدِ عَنْهُمْ وَاطْلُبُوا رِضَى اللَّهِ بِسَخَطِهِمْ فَإِذَا كَانَ
 هَذَا مَعَ أَهْلِ الْمَعَاصِي، فَكَيْفَ بِالْكَفْرَةِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ أَعْدَاءِ اللَّهِ
 وَرُسُلِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ.

وَقَدْ أَجَابَ أَبْنَاءُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ لَمَّا سُئِلُوا عَنْ
 السَّفَرِ إِلَى بِلَادِ الْمُشْرِكِينَ، لِلتَّجَارَةِ بِمَا حَاصِلُهُ أَنَّهُ يَحْرُمُ السَّفَرُ إِلَى بِلَادِ
 الْمُشْرِكِينَ إِلَّا إِذَا كَانَ الْمُسْلِمُ قَوِيًّا لَهُ مَنَعَةٌ يَقْدِرُ عَلَى إِظْهَارِ دِينِهِ وَإِظْهَارِ الدِّينِ
 تَكْفِيرَهُمْ وَعَيْبِ دِينِهِمْ وَالطَّعْنِ عَلَيْهِمْ وَالْبَرَاءَةِ مِنْهُمْ وَالتَّحْفُظِ مِنْ مُوَادَّتِهِمْ
 وَالرُّكُونِ إِلَيْهِمْ وَاعْتِزَالِهِمْ وَلَيْسَ فِعْلُ الصَّلَوَاتِ فَقَطُ لِلدِّينِ أَه.

نَسَأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ فَيَا أَيُّهَا الْمُعَافِي أَحْمَدُ رَبِّكَ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا
 مُبَارَكًا وَأَكْثَرَ مِنْ قَوْلِ: رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ
 رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ وَمِنْ قَوْلِ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ
 وَيَا مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ اصْرِفْ قُلُوبَنَا إِلَى طَاعَتِكَ.

اللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ النِّفَاقِ وَعَمَلْنَا مِنَ الرِّيَاءِ وَالسَّيِّئَاتِ مِنَ الْكَيْدِ وَأَعْيُنَنَا
 مِنَ الْخِيَانَةِ وَأَدَانَتَا عَنِ الْاسْتِمَاعِ إِلَى مَا لَا يُرْضِيكَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ
 وَوَفَّقْنَا لِسُلُوكِ مَنَاهِجِ الْمُتَّقِينَ، وَحُصِّنَّا بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ، وَاجْعَلْنَا بِفَضْلِكَ مِنَ
 الْمُتَّقَرِّبِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، اللَّهُمَّ أَهْمْنَا مَا أَهَمَّتْ
 عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ، وَأَيِّقْظَنَا مِنْ رَقَدَةِ الْعَافِلِينَ إِنَّكَ أَكْرَمُ مُنْعِمٍ وَأَعَزُّ مُعِينٍ وَاعْفِرْ
 لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

شِعْرًا:

أَلَا قُلْ لِأَهْلِ الْجَهْلِ مَنْ كُلُّ مَنْ طَعَى عَلَى قَلْبِهِ رَيْنٌ مِنَ الرَّيْبِ وَالْعَمَا
 لَعَمْرِي لَقَدْ أَخْطَأْتُمُو إِذْ سَلَكْتُمْ طَرِيقَةَ جَهْلِ عَيْهَا قَدْ تَجَهَّمَا
 أَيَحْسَبُ أَهْلُ الْجَهْلِ لَمَّا تَعَسَّفُوا وَجَاؤُوا مِنَ الْعُدْوَانِ أَمْرًا مُحَرَّمًا

بِأَنَّ حِمَى التَّوْحِيدِ لَيْسَ بِرَبِّعِهِ
وظَنُّوا سَفَاهًا أَنْ خَلَى فِتْوَاتِبَتْ
أَيْحَسِبُ أَعْمَى الْقَلْبِ أَنْ حُمَاتِهِ
فَإِنْ كَانَ فَذَمَّ جَاهِلٌ ذُو غَبَاوَةٍ
بِقَوْلٍ مِنَ الْجَهْلِ الْمُرَكَّبِ خَالَهُ
سَنَكْشِفُ بِالْبُرْهَانِ غَيْهَبَ جَهْلِهِ
وَنُظْهِرُ مِنْ عَوْرَاتِهِ كُلَّ كَامِنٍ
رُويْدًا فَأَهْلُ الْحَقِّ وَيَحْكُ فِي الْحِمَى
وَتِلْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالسُّنَنِ الَّتِي
فِيَا مَنْ رَأَى نَهَجَ الضَّلَالَةِ نِيرًا
لَعَمْرِي لَقَدْ أَخْطَأْتَ رُشْدَكَ فَاتَّقِ
مِنَ الْمَنَهَجِ الْأَسْنَى الَّذِي ضَاءَ نُورُهُ
وَمَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ فَاسْلُكْ طَرِيقَهَا
وَوَالِ الَّذِي وَالَى وَإِيَّاكَ أَنْ تَكُنْ
أَفِي الدِّينِ يَا هَذَا مُسَاكِنَةَ الْعِدَا
وَأَنْتَ بِدَارِ الْكُفْرِ لَسْتَ بِمُظْهِرٍ
بِأَيِّ كِتَابٍ أَمْ بِآيَةِ آيَةٍ
وَإِنَّ الَّذِي لَا يُظْهِرُ الدِّينَ جَهْرَةً
إِذَا صَامَ أَوْ صَلَّى وَقَدْ كَانَ مُبْغِضًا
تَكَلَّمْتَ هَلْ حَدَّثْتَ نَفْسَكَ مَرَّةً
فَفِي التِّرْمِذِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا
يُقِيمُ بِدَارِ أَظْهَرَ الْكُفْرِ أَهْلَهَا
أَمَا جَاءَ آيَاتٌ تُدَلُّ بِأَنَّهُ
جَهَنَّمُ مَاوَاهُ وَسَاءَتْ مَصِيرُهُ

وَلَا حِصْنَهُ مَنْ يَحِمُّهُ أَنْ يُهْدَمَا
تَعَالَبُ مَا كَانَتْ تَطَأُ فِي فِتَا الْحِمَا
غُفَاةً فَمَا كَانُوا غُفَاةً وَنُومًا
رَأَى سَفَهَاً مِنْ رَأْيِهِ أَنْ تَكَلَّمَا
صَوَابًا وَقَدْ قَالَ الْمَقَالُ الْمُدْمَمَا
وَيَعْلَمُ حَقًّا أَنَّهُ قَدْ تَوَهَّمَا
لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ جَاءَ إِفْكًَا وَمَاتَمَا
وَقَدْ فَوْقُوا نَحْوَ الْمُعَادِينِ أَسْهُمَا
هِيَ النُّورُ إِنْ جَنَّ الظُّلَامُ وَأَجْهَمَا
وَمَهْبِغَ أَهْلِ الْحَقِّ وَالِدِينِ مُظْلِمَا
وَرَا جَعِ لِمَا قَدْ كَانَ أَقْوَى وَأَقْوَمَا
وَدَعِ طُرُقًا تُفْضِي إِلَى الْكُفْرِ وَالْعَمَا
وَعَادِ الَّذِي عَادَاهُ إِنْ كُنْتَ مُسْلِمًا
سَفِيهَاً فَتَحْطَى بِالْهَوَانِ وَتَنْدَمَا
بِدَارِ بِهَا الْكُفْرِ ادْلَهَمَّ وَأَجْهَمَا
لِدِينِكَ بَيْنَ النَّاسِ جَهْرًا وَمُعْلِمَا
أَخَذْتَ عَلَى هَذَا دَلِيلًا مُسْلِمًا
أَبْحَثَ لَهُ هَذَا الْمَقَامَ الْمُحَرَّمَا
وَبِالْقَلْبِ قَدْ عَادَى ذَوِي الْكُفْرِ وَالْعَمَا
بِمَلَّةِ إِبْرَاهِيمَ أَوْ كُنْتَ مُعْدِمَا
بِرِيءٍ مِنَ الْمَرْءِ الَّذِي كَانَ مُسْلِمًا
فَيَا وَيْحَ مَنْ قَدْ كَانَ أَعْمَى وَأَبْكَمَا
إِذَا لَمْ يُهَاجِرْ مُسْتَطِيعٌ فَإِنَّمَا
سِوَى عَاجِزٍ مُسْتَضْعَفٍ كَانَ مُعْدِمَا

فَهَلْ عِنْدَكُمْ عِلْمٌ وَبُرْهَانٌ حُجَّةٍ
وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَجِئُوا بِحُجَّةٍ
وَلَكِنَّمَا الْأَهْوَاءُ تَهْوِي بِأَهْلِهَا
أَلَا فَافْتِقُوا وَارْجِعُوا وَتَنَدُّمُوا
وِظَنِي بَأَنَّ الْحُبَّ لِلَّهِ وَالْوَلَا
وَحُبُّكُمْ الدُّنْيَا وَإِيَّارِ جَمْعِهَا
لِذَلِكَ دَاهَنْتُمْ وَوَالَيْتُمُوا الَّذِي
وَجَوَزْتُمُوا مِنْ جَهْلِكُمْ لِمَسَافِرٍ
بَعِيرٍ دَلِيلٍ قَاطِعٍ بَلْ بِجَهْلِكُمْ
وَقَدْ قُلْتُمْ فِي الشَّيْخِ مَنْ شَاعَ فَضْلُهُ
إِمَامَ الْهُدَى عَبْدِ اللَّطِيفِ أَخِي التُّقَى
مَقَالَةً فَلَمْ جَاهِلٍ مُتَكَلِّفٍ
يَنْفِرُ بَلْ قَدْ قُلْتُمْ مِنْ عَبَائِكُمْ
وَلَيْسَ يَضُرُّ السُّحْبَ فِي الْجَوِّ نَابِحٌ
فَيَدْعُو لَهُ مَنْ كَانَ يَحْيَى بِصَوْبِهِ
أَيَنْسَبُ لِلتَّنْفِيرِ وَهُوَ الَّذِي لَهُ
يُؤْتَبُ فِيهَا مَنْ رَأَى مِنْهُ غَلْطَةً
وَيَنْسَبُ لِلتَّشْدِيدِ إِذْ كَانَ قَدْ حَمَا
وَعَارَ عَلَيْهَا مِنْ أَنْاسٍ تَرَحَّصُوا
فَلَوْ كُنْتُمْ أَعْلَى وَأَفْضَلَ رُبَّةً
يُشَارُ إِلَيْكُمْ بِالْأَصَابِعِ أَوْ لَكُمْ
لَكُنَّا عَدْرَتَاكُمْ وَقُلْنَا أَيْمَةً
وَلَكِنَّاكُمْ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ مَا لَكُمْ
وَمِنْ أَصْغَرِ الطُّلَابِ لِلْعِلْمِ بَلْ لَكُمْ

فَحَيًّا هَلَّا هَاتُوا الْجَوَابَ الْمُحْتَمًّا
لِتَدْفَعَ نَصًّا ثَابِتًا جَاءَ مُحْكَمًا
فَوَيْلٌ لِمَنْ أَلَوْتُ بِهِ مَا تَأَلَّمَا
وَفِيئُوا فَإِنَّ الرُّشْدَ أَوْلَى مِنَ الْعَمَا
عَلَيْهِ تَوَلَّى عَنْكُمْو بَلْ تَصَرَّمَا
عَلَى الدِّينِ أَضْحَى أَمْرُهُ قَدْ تَحَكَّمَا
بِأَوْضَارِ أَهْلِ الْكُفْرِ قَدْ صَارَ مُظْلِمًا
إِقَامَتِهِ بَيْنَ الْعُوَاةِ تَحَكَّمَا
وَتَلْبِيسِ أَفَّاكٍ أَرَادَ التَّهَكُّمًا
وَأُنْجَدَ فِي كُلِّ الْفُنُونِ وَاتَّهَمَا
فَقُلْتُمْ مِنَ الْعُدْوَانِ قَوْلًا مُحْرَمًا
يَرَى إِنَّهُ كُفُوًّا فَقَالَ مِنَ الْعَمَا
يُشَدُّدُ أَوْ قُلْتُمْ أَشَدَّ وَأَعْظَمَا
وَهَلْ كَانَ إِلَّا بِالْأَغَاثَةِ قَدْ هَمَا
وَيُنْجِهَ مَنْ كَانَ أَعْمَى وَأَبْكَمَا
رَسَائِلَ لَمْ يَعْلَمْ بِهَا مَنْ تَوَهَّمَا
وَيَأْمُرُ أَنْ يَدْعُوا بِلَيْنٍ وَيَحْلُمَا
حِمَى الْمِلَّةِ السَّمْحَاءِ أَنْ لَا تَهْدَمَا
وَقَدْ جَهَلُوا الْأَمْرَ الْخَطِيرَ الْمُحْرَمًا
وَأَزَكَى وَأَتْقَى أَوْ أَجَلَّ وَأَعْلَمَا
مِنَ الْعِلْمِ مَا فُقُتُمْ بِهِ مَنْ تَقَدَّمَا
جَهَابِدَةً أَحْرَى وَأَدْرَى وَأَفْهَمَا
مِنَ الْعِلْمِ مَا فُقُتُمْ بِهِ مَنْ تَعَلَّمَا
مَرِيَّةً جَهْلٍ غَيْهَا قَدْ تَجَهَّمَا

لَذَلِكَ أَقَدَّمْتُمْ لِفَتْحِ وَسَائِلِ
تَكَلُّمُوا هَلْ حَدَّثْتُمْ نَفْسَكُمْ
وَإِنَّ الْحَمَامَةَ النَّاصِرِينَ لِرَبِّهِمْ
عَلَى مَا يَشَاءُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ مُحَرَّمٍ
وَإِنْ حِمَى التَّوْحِيدِ أَفْقَرَ رَسْمُهُ
فَتَحْنُ إِذَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَمْ نَزَلْ
أَلَا فَاقْبَلُوا مِنَّا النَّصِيحَةَ وَاحْذَرُوا
وَإِلَّا فَإِنَّا لَا نُؤْفِقُ مِنْ جَفَا
كَمَا أَنَّنَا لَا نَرْتَضِي جَوْرَ مَنْ غَلَا
وَيَا مُؤَثِّرَ الدُّنْيَا عَلَى الدِّينِ إِنَّمَا
وَعَادَيْتَ بَلْ وَآلَيْتَ فِيهَا وَلَمْ تَحْفَ
أَغْرَيْتَكَ دُنْيَاكَ الدُّنْيَا رَاضِيًا
تَرُوقُ لَكَ الدُّنْيَا وَلذَاتُ أَهْلِهَا
خَلِيًا مِنَ الْمَالِ الَّذِي قَدْ جَمَعْتَهُ
وَلَمَّا تُقَدِّمُ مَا يُنْجِيكَ فِي غَدٍ
وَذَلِكَ أَنْ تَأْتِي بَدِينِ مُحَمَّدٍ
تُوَالِي عَلَى هَذَا وَتَرْجُو بِحُبِّهِمْ
وَتُبْغِضُ مَنْ عَادَى وَتَرْجُو بِبُغْضِهِمْ
فَهَذَا الَّذِي تَرْضَى لِكُلِّ مُوَحِّدٍ
وَصَلِ إِلَهِي مَا تَأَلَّقَ بَارِقُ
وَآلٍ وَأَصْحَابٍ وَمَنْ كَانَ تَابِعًا

« موعظة »

عِبَادَ اللَّهِ كُلُّنَا يَعْلَمُ أَنَّ النَّاسَ قِسْمَانِ، قِسْمٌ انْحَازَ إِلَى اللَّهِ، وَهُوَ لَآئِ حِزْبِ

الله، الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ .

وَقَسَمَ انْحَارَ إِلَى عَدُوِّ اللهِ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللهُ وَهَوُلَاءِ حِزْبُ الشَّيْطَانِ الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ فَلَاؤُلُونَ الَّذِينَ هُمُ حِزْبُ اللهِ لَا تَرَاهُمْ يُطِيعُونَ الشَّيْطَانَ أَبَدًا وَلِذَلِكَ لَا تَجِدُهُمْ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ، بَلْ هُمْ بَرَكَاتٌ فِي هَذَا الْوُجُودِ .

فَإِذَا رَأَيْتَ مَسْجِدًا مَعْمُورًا فَهُمُ الَّذِينَ وَفَّقَهُمُ اللهُ لِنَبَاتِهِ، وَإِنْ قِيلَ لَكَ إِنَّهُمْ لَا يَظْلِمُونَ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ فَصَدَّقْ، وَإِنْ رَأَيْتَ مُحْتَاجًا سُدَّتْ حَاجَتُهُ، فَهُمُ الَّذِينَ وَفَّقَهُمُ اللهُ الْإِنْعَاشِيَةَ، وَسَدَّهَا، وَإِنْ رَأَيْتَ عَارِيًّا فَهُمُ الَّذِينَ وَفَّقَهُمُ اللهُ لِكِسْوَتِهِ، وَإِنْ قِيلَ إِنَّ الْمُنْكَرَ الْفُلَانِيَّ أُزِيلَ فَهُمُ الَّذِينَ وَفَّقَهُمُ اللهُ لِلتَّسْبِيبِ فِي إِزَالَتِهِ، وَإِنْ قِيلَ لَكَ إِنَّ إِصْلَاحًا فِي الْأَرْضِ كَانَ صَعْبًا فَسَهِّلْ بِإِذْنِ اللهِ، فَهُمُ الَّذِينَ وَفَّقَهُمُ اللهُ لِإِزَالَتِهِ أَوْ تَسْهِيلِهِ .

وَإِنْ قِيلَ إِنَّ أَنْسَاءَ يَدُورُونَ عَلَى الْبُيُوتِ يَتَفَقَّدُونَ الْفُقَرَاءَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ مَوَارِدُ فَهُمُ الَّذِينَ وَفَّقَهُمُ اللهُ لِذَلِكَ، وَإِنْ قِيلَ إِنَّ أَنْسَاءَ يَتَفَقَّدُونَ مَنْ عَلَيْهِ دِينٌ فَيَتَسَبَّبُونَ لَوْفَائِهِ، فَهُمُ الَّذِينَ وَفَّقَهُمُ اللهُ لِذَلِكَ، وَإِنْ قِيلَ إِنَّهُمْ يَعْبُدُونَ اللهُ عِبَادَةً مَنْ لَا يَمَلُّ وَلَا يَفْتَرُ، فَصَدَّقْ بِمَجْرَدِ مَا يُقَالُ لَكَ .

وَإِنْ قِيلَ إِنَّ بَعْضَ الْبُيُوتِ وَهِيَ الْقَلِيلَةُ إِنَّكَ تَسْمَعُ فِيهَا بِاللَّيْلِ صَوْتَ بُكَاءٍ وَأَنِينٍ وَتَهْجُدًا وَاسْتِغْفَارًا، فَهُمُ أُولَئِكَ الَّذِينَ وَفَّقَهُمُ اللهُ وَجَعَلَهُمْ حِزْبَهُ .

وَإِنْ قِيلَ لَكَ إِنَّ أَنْسَاءَ عِنْدَهُمْ عَطْفٌ عَلَى الْفُقَرَاءِ، وَرَحْمَةٌ وَإِيثَارٌ وَاحْسَانٌ إِلَى الْجَارِ، وَمُوَاسَاةٌ الضُّعْفَاءِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، مِمَّا يَكَادُ فِي زَمَانِنَا هَذَا أَنْ يَكُونَ نَادِرًا فَهُمُ أُولَئِكَ الَّذِينَ وَفَّقَهُمُ الْعَلِيمُ الْحَبِيرُ، وَهَوُلَاءِ هُمُ الْمُهْدَبُونَ الْمُتَنَوِّرُونَ الْمُتَادِبُونَ .

أما الفريق الثاني عَصَمَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ عن طريق سُلُوكِهِمْ، فَهُمْ حِزْبُ الشَّيْطَانِ لا يَحْصُلُ فَسَادٌ فِي الأَرْضِ إِلا مِنْهُمْ، لِأَنَّهُمْ حِزْبُ الشَّيْطَانِ وَإِنْ قِيلَ إِنَّ مُؤْمِنًا قُتِلَ فَهُمْ الَّذِينَ قَتَلُوهُ، أَوْ تَسَبَّبُوا لِقَتْلِهِ، لا يَحْتَلِفُ فِي ذَلِكَ اثْنَانِ، وَإِنْ قِيلَ لَكَ إِنَّ سَيَّارَةً سُرِقَتْ فَهُمْ الَّذِينَ سَرَقُوهَا.

وَإِنْ قِيلَ إِنَّ مَنْزِلًا هُوَ جَمَّ وَسُرِقَ فَقُلْ بِلا تَرَدُّدٍ هُمُ الَّذِينَ هَاجَمُوهُ، وَسَرَقُوهُ، وَهَلْ حِزْبُ الرَّحْمَنِ يَعْتَدُونَ مِثْلَ هَذَا العُدْوَانِ، وَإِنْ قِيلَ إِنَّ إِنْسَانًا حُطِفَ وَغُيِّبَ وَلا يُعْلَمُ أَيْنَ كَانَ، فَقُلْ هُمُ الَّذِينَ حَطَفُوهُ وَغَيَّبُوهُ، وَإِنْ قِيلَ إِنَّ مُسْلِمًا ذَا ثَرَوَةٍ نُشِلَ وَأُخِذَ مِنْهُ آلاَفٌ، فَقُلْ وَهَلْ يَنْشُلُ وَيَحْطِفُ وَيَعْبَثُ بِأَمْوَالِ النَّاسِ إِلا أَوْلِيَاكَ الأَشْرَارُ حِزْبُ الشَّيْطَانِ.

حِزْبُ اللهِ المُوقِفُونَ الكُمَّلَ بَعِيدُونَ عَنِ المَعَاصِي جِدًّا، فَلا تَرَى الوَاحِدَ مِنْهُمْ يَتَعَمَّدُ الجُلُوسَ فِي الطَّرِيقِ، وَيُدَاوِمُ المُرُورَ فِيهَا لِمُطَارَدَةِ النِّسَاءِ، وَمُعَازَلَتِهِنَّ، وَلا تَرَاهُ يُرَكِّبُ النِّسَاءَ بِلا مَحْرَمٍ وَلا يُدْخِلُهَا لِتَشْتَرِي أَوْ يُفْصَلُ عَلَيْهَا، وَلا يَسَّ مَعَهَا مَحْرَمٌ وَلا تَجِدُهُ يَبِيعُ صُورَ ذَوَاتِ الأَرْوَاحِ، وَلا يُصَوِّرُهَا، وَلا يَبِيعُ البِدْعَ المُنْكَرَاتِ، وَلا يَجْلِسُ عِنْدَهَا، وَهِيَ البِدْعُ المُحْرَمَةُ، الَّتِي حَدَّثَتْ فِي زَمَانِنَا مِثْلَ التَّلْفِزِيُونِ وَالسِّيْنِمَاءِ وَالمِذْيَاجِ، وَالكُرَّةِ، وَالوَرَقِ، وَالبِكَمِ وَالدُّخَانِ وَالفِذْيُو وَنَحْوِ هَذِهِ المُنْكَرَاتِ الَّتِي قَضَتْ عَلَى الغَيْرَةِ وَالمُرُوءَةِ وَالشَّيْمَةِ. نَسْأَلُ اللهُ العَافِيَةَ.

وَلا يَعْشُ المُسْلِمِينَ، وَلا يَكُونُ ذَا وَجْهَيْنِ يَتَكَلَّمُ عِنْدَ هَوْلَاءِ بَوَجْهِهِ وَعِنْدَ الآخَرِينَ بَوَجْهِهِ، وَلا يُنَافِقُ وَلا يُوقِعُ بَرِيئًا فِي مَازِقٍ وَلا يَشْهَدُ بِالزُّورِ، وَلا يَحْظُرُ عِنْدَ المُنْكَرَاتِ، بَلْ تَرَاهُمْ فِي مَجَالِسِ الذِّكْرِ يَدُورُونَ حَوْلَ مَا يُقْرَبُهُمْ إِلَى اللهِ.

وَلا تَرَاهُمْ يَرْكَبُونَ إِلَى أَعْدَاءِ اللهِ، وَلا الفَسَقَةَ وَلا يُعْظَمُونَهُمْ وَلا يَتَمَلَّقُونَ لَهُمْ، وَبِضَحْكُونِ مَعَهُمْ، كَمَا يَفْعَلُهُ السُّدَّحُ، الَّذِينَ لا يَعْرِفُونَ الوَلَاءَ وَالبِرَّاءَ، وَلا تَنْشَرُحُ صُدُورُهُمْ، وَلا تَهْتَرُ عَوَاطِفُهُمْ وَلا تَسْتَرِيحُ قُلُوبُهُمْ، وَلا يَهْدُو

بَالِهِمْ، وَلَا يَسْكُنُ قَلْقُهُمْ، إِلَّا إِذَا زَا حَمُوهُمْ وَجَالَسُوهُمْ، وَمَا زَحُوهُمْ
وَعَظْمُوهُمْ، مِمَّنْ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَالتَّهَوَّا عَمَّا هُمْ إِلَيْهِ صَائِرُونَ،
فَلَمْ يَحْسِبُوا لَهُ حِسَابًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُطِغْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ
هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرطًا﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْرِضْ عَمَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا،
ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ
اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ الآية.

فالذي ينبغي أن يتبع ويفتدى به من تمسك بكتاب الله، وامتلأ قلبه
بمحبته الله، وفاض ذلك على لسانه، فلهج بذكر الله، ودعا إلى الله واتبع
مراضيه، فقدمها على هواه وحفظ وقته في طاعة الله بعيداً عن أذية المسلمين
لا يقابل الإساءة بمثلها بل يدفع بالتي هي أحسن وهذا حقاً هو المهدب
المتنور:

شِعْرًا: لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ
إِنِّي أَحْيِي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَيْتِهِ
وَأَحْسِنُ الْبَشَرَ لِلْإِنْسَانِ أَبْغَضُهُ
وَلَسْتُ أَسْلُمُ مِمَّنْ لَسْتُ أَعْرِفُهُ
آخِر: يَا لِي فُؤَادِي أَنْ يَمِيلَ إِلَى الْأَذَى
لِي إِنْ أَرَدْتُ مَسَاءَةً بِمَسَاءَةٍ
حَسْبُ الْمُسِيءِ شُعُورُهُ وَمَقَالُهُ
أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ الْعَدَاوَاتِ
لِأَدْفَعِ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ
كَأَنَّهُ قَدْ مَلَأَ قَلْبِي مَوَدَّاتِ
فَكَيْفَ أَسْلُمُ مِنْ أَهْلِ الْمَوَدَّاتِ
حُبِّ الْأَذِيَّةِ مِنْ طِبَاعِ الْعَقْرَبِ
لَوْ أَنَّي أَرْضَى بِسَرِقِ خُلْبِ
فِي سِرِّهِ يَا لَيْتَنِي لَمْ أَذِنِ

اللَّهُمَّ خَفِّفْ عَنَّا الْأَوْزَارَ وَأَرْزُقْنَا عَيْشَةَ الْأَبْرَارِ وَاصْرِفْ عَنَّا شَرَّ الْأَشْرَارِ
وَأَعْتِقْ رِقَابَنَا وَرِقَابَ آبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا مِنَ النَّارِ يَا عَزِيزُ يَا غَفَّارُ، اللَّهُمَّ أَهْمْنَا
ذِكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ وَبَارِكْ لَنَا فِي الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ وَلَا تَفْضَحْنَا بَيْنَ
خَلْقِكَ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ يَا قَاضِي الْحَاجَاتِ وَمُجِيبَ

الدعواتِ هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ وَحَقَّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَّيْنَاهُ يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي صَمَائِرِ الصَّامِتِينَ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصَلِّ» : وَجَاءَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ
عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ الْآيَةِ . أَنَّهَا
نَزَلَتْ فِي أَبِي عُبَيْدَةَ .

وَالِيكَ الْقِصَّةَ مَسُوقَةً بِأَكْمَلِهَا، أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ
صَحَابِيًّا جَلِيلًا وَبَطَلًا عَظِيمًا مِنْ أَطَالِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ، حَرَصَ أَبُوهُ
عَبْدُ اللَّهِ عَلَى قَتْلِهِ فِي أَوَّلِ لِقَاءٍ، لِأَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَرَكَ دِينَ أَبِيهِ،
وَاعْتَنَقَ الْإِسْلَامَ، وَتَخَلَّفَ عَنْ قَافِلَةِ قُرَيْشٍ، وَالتَّحَقَّ بِقَافِلَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُؤْمِنًا بِدِينِهِ مُصَدِّقًا بِرِسَالَتِهِ .

تَصَدَّى عَبْدُ اللَّهِ لِابْنِهِ مُحَاوِلًا قَتْلَهُ، فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَكِنْ الْابْنُ أَبْعَدَ عَنْهُ،
وَحوَلَ سَيْفَهُ عَنْ أَبِيهِ وَانْطَلَقَ إِلَى فِئَةٍ أُخْرَى غَيْرِ النَّبِيِّ فِيهَا أَبُوهُ، يُقَاتِلُهَا
وَيُجَاهِدُهَا وَافْتَرَقَ الرَّجُلَانِ وَلَكِنْ الْأَبُ بَحَثَ عَنْ ابْنِهِ حَتَّى التَّقَى بِهِ مَرَّةً
ثَانِيَةً، وَرَفَعَ سَيْفَهُ عَلَيْهِ وَوَجَّهَ إِلَيْهِ ضَرْبَةً قَاضِيَةً اسْتَقْبَلَهَا أَبُو عُبَيْدَةَ بِحَرَكَةٍ
خَفِيفَةٍ، جَعَلَتْهَا تَهْوِي فِي الْفَضَاءِ .

وَلَكِنْ الْأَبُ مُصَمِّمٌ عَلَى أَنْ لَا يُفْلِتَ الْابْنُ مَهْمَا كَلَّفَهُ ذَلِكَ مِنْ غَالِي
الْتَمَنِ فَبَحَثَ عَنْ ابْنِهِ هُنَا وَهُنَا، وَتَقَبَّ عَنْهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ حَتَّى التَّقَى بِهِ مَرَّةً
ثَالِثَةً، وَرَفَعَ الرَّجُلُ سَيْفَهُ لِيُوجِّهَ إِلَى ابْنِهِ ضَرْبَةً قَاضِيَةً مُمَيَّنَةً يَشْفِي كُلَّوَمَ قَلْبِهِ،
وَتَهْدُو بِهَا نَفْسَهُ الثَّائِرَةَ عَلَى ابْنِهِ الصَّابِيَةِ .

وَهُنَا نَظَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّ أَبَاهُ يَعْتَرِضُ وَيَتَصَدَّى لَهُ وَفِي اعْتِرَاضِهِ هَذَا

اعْتَرَاضٌ لِلْإِسْلَامِ، فَمَا أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَّا جُنْدِيٌّ مِنَ الْجُنُودِ الْقَائِمِينَ بِنَصْرِ
الْإِسْلَامِ، وَأَنَّ فِي تَصَدِيهِ لَهُ سَدًّا بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِقَامَةِ دِينِ الرَّحْمَنِ، وَانْتِشَارِ كَلِمَةِ
اللَّهِ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ يَصْنُمْتُ أَبُو عُبَيْدَةَ عَلَى هَذَا، وَهَلْ يَسْكُتُ عَلَى مَنْ يَحُولُ
بَيْنَ دَعْوَةِ اللَّهِ، أَنْ تَقُومَ فِي الْأَرْضِ وَأَنْ تُنْشَرُ بَيْنَ النَّاسِ كَلَا لَقَدْ أَدَّى مَا عَلَيْهِ
نَحْوُ أَبِيهِ وَأَعْرَضَ عَنْهُ مَرَّتَيْنِ.

وَلَكِنْ مَا دَامَ أَبُوهُ يَحْرِصُ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ، فَلَيْكُنْ هُوَ أَسْبَقُ مِنْ أَبِيهِ فِي
حِرْصِهِ عَلَى قَتْلِهِ، كَذَلِكَ وَالتَّقَى السِّيفَانِ وَتَقَابُلِ الرَّجُلَانِ وَوَقْفِ الْحَصْمَانِ،
وَفِي لَمَحَةٍ خَاطِفَةٍ رَفَعَ الرَّجُلَانِ سِيفَيْهِمَا كُلُّهُمَا يَحْرِصُ عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ،
وَالِاتِّصَارِ لِدِينِهِ.

وَرَفَعَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَدَهُ عَالِيَةً خَفَافَةً، وَفِي سُرْعَةٍ وَمِضَاءٍ أَهْوَى بِسِيفِهِ الْبَتَّارِ
عَلَى قَلْبِ وَالِدِهِ الْمُتَمَلِّئِ حِقْدًا وَغَضَبًا، عَلَى الْأِسْلَامِ وَدَعْوَةِ الْإِسْلَامِ وَمَزَقَ
السِّيفُ قَلْبَهُ، وَانْفَجَرَ الدَّمُ مِنْهُ بِكَثْرَةٍ وَكَانَتْ هَذِهِ السَّاعَةُ مِنْ سَاعَاتِ التَّارِيخِ
الْفَاصِلَةِ.

هَذَا مِنْ آثَارِ الْحُبِّ فِي اللَّهِ، وَالبُغْضِ فِي اللَّهِ، وَهَذَا الْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ
مُسْلِمٍ أَنْ تَكُونَ أَعْمَالُهُ كُلُّهَا مُنْطَبِقَةً عَلَى مَا تَأْمُرُ بِهِ الشَّرِيعَةُ الْمُطَهَّرَةُ فَيَحِبُّ
مِنَ النَّاسِ مَنْ نَهَجَ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ وَيَتَّبِعُهُ عَنْ مَنْ حَادَ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ،
وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ.

وَمَنْ اتَّبَعَ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ انْطَبَعَ فِي قَلْبِهِ حُبُّ الْكَمَالِ وَالْإِيمَانِ فَيَكُونُ عَدُوًّا
لِلَّهِ فِي نَظَرِهِ عَدُوًّا، وَحَيْثُ يَرَى أَنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ قِيَمَةً أَهْلُ الْإِحْلَاصِ وَالطَّاعَةِ
وَأَحْطَهُمْ مَنْزِلَةً أَهْلُ الْمَعَاصِي وَالشَّنَاعَةِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ.

وَكَذَلِكَ كَانَ شَأْنُ الْمُصْطَفَى ﷺ وَشَأْنُ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
يُحِبُّونَ فِي اللَّهِ، وَيُبْغِضُونَ فِي اللَّهِ يُؤَادُّونَ الطَّائِعِينَ وَإِنْ كَانُوا بُعْدَاءَ وَيُعَادُّونَ

العاصيين وإن كانوا أقرباءً فرابطة التَّفَوُّى عِنْدَهُمْ أَشَدُّ وَأَقْوَى مِنْ رَابِطَةِ النَّسَبِ
وَالْقَرَابَةِ .

وعن البراء بن عازبٍ أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ .
وفي حديث مَرْفُوعٍ لِلَّهِمَّ لَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عِنْدِي يَدًا وَلَا نِعْمَةً فَيَوِّدُهُ قَلْبِي
فإني وَجَدْتُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ
مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ رواه بن مردويه وغيره .

المَعْنَى الْآيَةُ بِلَفْظِ الْحَبْرِ وَالْمَرَادُ بِهَا الْإِنْشَاءُ أَيَّ لَا تَجِدُ قَوْمًا يَجْمَعُونَ
بَيْنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَالْحُبِّ وَالْمُوَالَاةِ لِأَعْدَاءِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ .

فَلَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ حَقِيقَةً إِذَا كَانَ عَامِلًا عَلَى مُقْتَضَى
إِيمَانِهِ ، وَلَوْازِمِهِ مِنْ مَحَبَّةٍ مَنْ قَامَ بِالْإِيمَانِ وَبُغْضٍ مَنْ لَمْ يَقُمْ بِهِ وَمُعَادَاتِهِ .

وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهِ ، وَهَذَا هُوَ الْإِيمَانُ عَلَى الْحَقِيقَةِ الَّذِي وَجِدْتُ
ثَمَرَتَهُ وَمَقْصُودَهُ فَمَنْ أَحَبَّ أَحَدًا امْتَنَعَ أَنْ يُوَالِيَ عَدُوَّهُ .

وَلَقَدْ أَصَابَ الْمُسْلِمُونَ الْيَوْمَ مِنَ الْمُوَالَاةِ لِأَعْدَاءِ اللَّهِ بَلَاءٌ شَدِيدٌ فَتَجِدُ
كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ يَدْعُونَ الْإِيمَانَ يُوَالُونَ أَعْدَاءَ الشَّرَائِعِ الدِّينِيَّةِ وَيُعْظَمُونَهُمْ
وَيُقَدِّرُونَهُمْ وَيَنْصُرُونَهُمْ عَلَى أَبْنَاءِ جِنْسِهِمْ وَلَوْ كَانَ فِي هَذَا ذُلٌّ لَهُمْ وَالْإِئْتِهَا
وَلِدِينِهِمْ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

قال في التَّوْنِيَّةِ :

أُحِبُّ أَعْدَاءَ الْحَبِيبِ وَتَدَّعِي وَحُبُّ لَهٗ مَا ذَاكَ فِي إِمْكَانٍ
وَكَذَا تُعَادِي جَاهِدًا أَحْبَابَهُ أَيْنَ الْمَحَبَّةُ يَا أَخَا الشَّيْطَانِ
لَيْسَ الْعِبَادَةُ غَيْرَ تَوْحِيدِ الْمَحَبِّ سَبَّ مَعَ خُضُوعِ الْقَلْبِ وَالْأَرْكَانِ
آخِرُ : وَالْحُبُّ نَفْسُ وَفَاقِهِ فِيمَا يُحِبُّ وَبُغْضٌ مَا لَا يَرْتَضِي بِجَنَانِ

آخر: وَكُلُّ مَحَبَّةٍ فِي اللَّهِ تَبْقَى
 وَكُلُّ مَحَبَّةٍ فِيهِمَا سِوَاهُ
 آخر: إِذْ أَنْتَ لَمْ تَعْمَلْ بِشَرِّعٍ وَلَمْ تُطِيعْ
 وَلَمْ تَجْتَنِبْ أَعْدَا الشَّرِيعَةِ كُلَّهُمْ
 وَتَحَمَّهَا عَنْ جُهَاِلِهَا وَتَحَوَّطَهَا
 فَلَسْتَ وَلَوْ عَلَّتْ نَفْسَكَ بِالْمُنَى
 عَلَى الْحَالَيْنِ فِي سَعَةٍ وَضَيْقٍ
 فَكَالْحَلْفَاءِ فِي لَهَبِ الْحَرِيقِ
 أَوْلَى الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ التَّقَى وَالتَّسَدُّدِ
 وَتَدْفَعُ عَنْهَا بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ
 وَتَقْمَعُ عَنْهَا نَحْوَةَ الْمُتَهَدِّدِ
 بِدِي سُوْدِدِ بَادٍ وَلَا قُرْبَ سُوْدِدِ

اللَّهُمَّ طَهَّرْ قُلُوبَنَا مِنَ النِّفَاقِ وَعَمَلْنَا مِنَ الرِّيَاءِ وَالسِّتْنَةِ مِنَ الكَذِبِ وَأَعِينْنَا
 مِنَ الخِيَاةِ وَأَدَاتِنَا عَنِ الاستِمَاعِ إِلَى مَا لَا يُرْضِيكَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ يَا حَيُّ
 يَا قَيُّوْمُ يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ تُوفِّقَنَا لِمَا فِيهِ صَلَاحٌ دِينِنَا وَدُنْيَانَا
 وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرِمْ مَثْوَانَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ
 يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

﴿فَصَلِّ﴾: وعن أبي ذرٍ مرفوعاً، «أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالبُغْضُ
 فِي اللَّهِ» رواه أبو داود .

وفي الصحيحين «المرءُ معَ مَنْ أَحَبَّ» وعن علي مرفوعاً «لا يُحِبُّ رَجُلٌ
 قوماً إِلَّا حُشِرَ مَعَهُمْ» رواه الطبراني بإسناد جيد .

وقد رَوَى الإمامُ أحمدُ مَعْنَاهُ عن عائِشةَ بإسنادٍ جيدٍ أيضاً عنها مرفوعاً
 «الشِّرْكُ أَخْفَى مِنَ دَبِيبِ الذَّرِّ عَلَى الصَّفَاءِ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ، وَأَدْنَاهُ أَنْ تُحِبَّ
 عَلَى شَيْءٍ مِنَ الجَوْرِ، أَوْ تُبْغِضَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ العَدْلِ وَهَلِ الدِّينُ إِلَّا الحُبُّ فِي
 اللَّهِ وَالبُغْضُ فِي اللَّهِ» .

يَفْتَخِرُ بَعْضُ الْمُتَحَدِّثِينَ أَنَّهُ لَا يَكْرَهُ أَيَّ إِنْسَانٍ، وَلَا يُبْغِضُ أَحَدًا، وَأَنَّهُ
 يَسْأَلُكَ مَعَ الفَجْرَةِ وَالفَسَقَةِ، وَمَعَ أَهْلِ الدِّينِ وَالصَّلَاحِ بَلْ وَمَعَ الكَفْرَةِ
 وَالمُنَافِقِينَ، وَيُلْقِبُ نَفْسَهُ وَمَنْ سَلَكَ مَذْهَبَهُ بِأَنَّهُ دُبْلُمَاسِي، وَيُظَنُّ هَذَا فَخْرًا
 وَكِرْمًا فِي الْأَخْلَاقِ وَنُبْلًا وَطِيبًا .

وَلَكِنْ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْبُغْضَ، فَلَنْ يَعْرِفَ الْحُبَّ وَمَنْ لَا يَكْرَهُ إِنْسَانًا عَاصِيًا هَيْهَاتَ أَنْ يُحِبَّ عَبْدًا مُطِيعًا إِنْ تُحِبَّ مُؤْمِنًا بِسَبَبِ اخْتِلَاصِهِ وَتَقْوَاهُ فَكَيْفَ لَا يُبْغِضُهُ إِذَا زَالَ عَنْهُ سَبَبُ الْحُبِّ فَانْقَلَبَ فَاجِرًا مُتَهَتِّكًا، تَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ وَلَكِنْ مَا رَأَيْتَ فِيمَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ، مَا رَأَيْتَ فِي الزَّانَةِ هَاتِكِي الْأَعْرَاضِ، وَمُدْمِنِي الْحَمْرِ وَشَارِبِي الدُّخَانِ وَحَالِقِي لِحَاهُمْ، وَأَهْلِي الْخَنَافِسِ وَالتَّشْبِيهِ بِأَعْدَاءِ اللَّهِ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ وَمَنْ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَلَا يَشْهَدُونَ صَلَاةَ الْجَمَاعَةِ، وَيَعْتَصِمُونَ الْحُقُوقَ وَيُؤْذُونَ الْعِبَادَ وَيُخُونُونَ الدِّينَ وَالْبِلَادَ هَلْ تُحِبُّهُمْ أَوْ تُبْغِضُهُمْ لِلَّهِ فَتَشْ عَن قَلْبِكَ وَحَاسِبِ نَفْسِكَ هَلْ تُحِبُّهُمْ فَتَعِينُهُمْ عَلَى الظُّلْمِ أَمْ تُبْغِضُهُمْ وَتَحْقِرُهُمْ وَتُنَابِذُهُمْ وَتَبْتَعِدُ عَنْهُمْ عَسَى أَنْ يَرْجِعُوا عَنْ غِيهِمْ وَبَغْيِهِمْ لَا مَفْرَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَنَا أَعْدَاءُ تُبْغِضُهُمْ فِي اللَّهِ كَمَا يَكُونُ لَنَا أَصْدِقَاءُ نُحِبُّهُمْ فِي اللَّهِ.

فَيَا عِبَادَ اللَّهِ تَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِبُغْضِ أَهْلِ الْمَعَاصِي الظَّالِمَةِ وَالْمُنَافِقِينَ كَمَا تَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِ بِحُبِّ الصَّالِحِينَ، أَشْعُرُوهُمْ بِمَقْتِكُمْ لِآثَامِهِمْ، وَسَحْطِكُمْ عَلَى إِجْرَامِهِمْ، وَلَا تَتَسَامَحُوا فِيمَا يَمَسُّ الدِّينَ وَلَا تَصَفِّحُوا عَمَّنْ يُحَارِبُ رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ.

قال الله جلَّ وَعَلَا لِأَشْرَفِ الْخَلْقِ ﴿وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذَا لَأَذُنَّاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾، أَيُّ لَوْ مِلْتَّ إِلَيْهِمْ لَأَذُنَّاكَ ضِعْفَ عَذَابِ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ عَذَابِ الْمَمَاتِ أَيُّ ضَاعَفْنَا عَلَيْكَ الْعَذَابَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لِأَنَّ الذَّنْبَ مِنَ الْعَظِيمِ يَكُونُ عِقَابُهُ أَشَدَّ مِنْ غَيْرِهِ.

وَمِنْ ثَمَّ يَكُونُ عِقَابُ الْعُلَمَاءِ عَلَى زَلَّاتِهِمْ أَشَدَّ مِنْ عِقَابِ غَيْرِهِمْ مِنَ الْعَامَّةِ، لِأَنَّهُمْ يَقْتَدُونَ بِالْعُلَمَاءِ، رُويَ عَن قَتَادَةَ أَنَّهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ .. إلخ، قَالَ ﷺ «اللَّهُمَّ لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ».

فَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَتَدَبَّرَ هَذِهِ الْآيَةَ وَيَسْتَشْعِرَ الْحَشِيَّةَ وَيَسْأَلَ اللَّهَ أَنْ يُثَبِّتَهُ، وَيَسْتَمْسِكَ بِأَهْدَابِ دِينِهِ، وَيُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ يَأْمُقَلِّبُ الْقُلُوبَ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَيَقُولُ كَمَا قَالَ ﷺ «اللَّهُمَّ لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ» فَإِذَا كَانَ هَذَا الْخِطَابُ لِأَشْرَفِ الْخَلْقِ فَكَيْفَ بَعْيَرَهُ.

وقال تعالى آمراً رسوله ﷺ بالإِعْرَاضِ عَمَّنْ تَوَلَّى وَأَعْرَضَ عَنِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ﴿فَاعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلُغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ وعلى العكس من أقبل على كتاب الله ووقَّره وَقَدَّرَهُ وَأَحَبَّهُ وَاتَّبَعَهُ وَدَعَى إِلَيْهِ نَسَأَلَ اللَّهَ الْعَظِيمَ أَنْ يَغْرِسَ مَحَبَّتَهُ فِي قُلُوبِنَا وَيَرْزُقَنَا تِلَاوَتَهُ وَالْعَمَلَ بِهِ.

وقال ابن عباس رضي الله عنه «مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ وَعَادَى فِي اللَّهِ وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ وَوَالَى فِي اللَّهِ فَإِنَّمَا تُنَالِ وَلَايَةُ اللَّهِ بِذَلِكَ» رواه ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم.

وفي حديث رواه أبو نعيم وغيره عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ «أَوْحَى اللَّهُ إِلَى نَبِيِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَنَّ قُلَّ لِفُلَانٍ الْعَابِدِ أَمَا زُهِدْكَ فِي الدُّنْيَا فَتَعَجَّلْتَ رَاحَةَ نَفْسِكَ وَأَمَا انْقِطَاعَكَ إِلَيَّ فَتَعَزَّزْتَ بِهِ، فَمَا عَمِلْتَ لِي عَلَيْكَ، قَالَ يَارَبُّ وَمَالِكَ عَلَيَّ، قَالَ هَلْ وَالَيْتَ لِي وَلِيًّا، أَوْ عَادَيْتَ لِي عَدُوًّا».

شِعْرًا: وَلَيْسَ فَتَى الْفِتْيَانِ مَنْ ضَاعَ وَقْتُهُ
بِصُحْفٍ وَتِلْفَازٍ وَقِيلَ وَقَالُوا
وَصَارَ بِمَا يُرْضِي الْإِلَهَ مِثَالُ
لِكِنِّ الْمَوْتِ هُوَ الْكُفْرُ بِاللَّهِ
أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ لِجَحْدِهِ اللَّهُ
رُكُوبَكَ مَا لَا يَرْتَضِي اللَّهُ فِعْلَهُ
آخر: لا تَحْسَبَنَّ الْمَوْتَ مَوْتَ الْبَلَاءِ
كِلَاهُمَا مَوْتُ وَلَكِنْ ذَا
آخر: وَحَسْبُكَ مِنْ ذُلِّ وَسُوءِ صَنِيعِهِ

«فائدة»: أَقَلُّ النَّاسِ عَقْلًا مَنْ فَرَطَ فِي عُمُرِهِ فَصَرَفَهُ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ، وَأَقَلُّ مِنْهُ عَقْلًا مَنْ صَرَفَ وَقْتَهُ فِي مَعَاصِي اللَّهِ، نَسَأَلَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ.

وقال تعالى ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساداً كبيراً﴾ فعقد تعالى الموالاة بين المؤمنين، وقطعهم من ولاية الكافرين وأخبر أن الكفار بعضهم أولياء بعض، وإن لم يفعلوا ذلك وقع فتنة وفساد كبير، وكذا يقع فهل يتم الدين أو يُقام علم الجهاد وعلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بالحب في الله والبغض في الله والمعاداة في الله والموالاة في الله.

ولو كان الناس متفقين على طريقة واحدة ومحبّة من غير عداوة ولا بغضاء لم يكن فرق بين الحق والباطل ولا بين المؤمنين والكفار ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

ومن موالاة الأعداء ومصادقتهم ما يفعله كثير من ضعفاء الإيمان من الذهاب إلى أعداء الله في أيام أعيادهم فيدخلون في كنائسهم ويؤتاهم وأنديتهم ويهنئونهم بأعيادهم، والعياد بالله.

وأعظم من ذلك وأطم الذين يدرسون على الكفار ويجلسون بين يدي الكافر والعياد بالله ويأتون بشهادة من أعداء الله ورسوله والمؤمنين، قال الله جلّ وعلا: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾، وقال جلّ وعلا: ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً﴾ فيا أيها المعافي أكثر من حمد الله وشكره وأسأله الثبات حتى الممات.

وقد قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ أن المراد أعياد المشركين، وقال عمر رضي الله عنه إياكم ورطانة الأعاجم وأن تدخلوا على المشركين يوم عيدهم في كنائسهم.

وقال رضي الله عنه اجتنبوا أعداء الله في عيدهم، ومن الأعياد المحدثّة التي لا يجوز للمسلم حضورها لأنها أعياد باطلة ما يسمّى بعيد الاستقلال،

وَعِيدِ الْجَلَاءِ وَعِيدِ الْجُلُوسِ، وَعِيدِ الثَّوْرَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ أَعْيَادِ الْكُفْرَةِ
وَالْمُنَافِقِينَ وَأَتْبَاعِهِمْ .

وقال الشيخ حمَّد بن عَتِيْق رَحِمَهُ اللهُ، وَمِنْ أَعْظَمِ الْوَاجِبَاتِ عَلَى الْمُؤْمِنِ
مَحَبَّةُ اللهِ وَمَحَبَّةُ مَا يُحِبُّهُ مِنْ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ وَكَذَا مَا يُحِبُّهُ
مِنَ الْأَشْخَاصِ كَالْمَلَائِكَةِ، وَصَالِحِ بَنِي آدَمَ، وَمُؤَالَيْهِمْ وَبُعْضِ مَا يُبْغِضُهُ اللهُ،
مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَبُعْضِ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ إِذَا رَسَخَ هَذَا
الْأَصْلُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ لَمْ يَطْمَئِنَّ إِلَى عَدُوِّ اللهِ، وَلَمْ يُجَالِسْهُ وَلَمْ يُسَاكِنْهُ وَسَاءَ
نَظَرُهُ إِلَيْهِ .

فَلَمَّا ضَعُفَ هَذَا الْأَصْلُ فِي قُلُوبِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ وَاضْمَحَلَّ صَارَ كَثِيرٌ
مِنْهُمْ مَعَ أَوْلِيَاءِ اللهِ كَحَالِهِ مَعَ أَعْدَاءِ اللهِ، يَلْقَى كُلًّا مِنْهُمْ بِوَجْهِ طَلِيقٍ، وَصَارَتْ
بِلَادُ الْحَرْبِ كِبِلَادِ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يُحْسَ عَظَبُ اللهِ الَّذِي لَا تُطِيقُ عَظْبَهُ
السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ الرَّاسِيَّاتُ قُلْتُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَى تَدَفَّقَ الْكُفْرَةَ عَلَى
الْمُسْلِمِينَ وَتَدَفَّقَ الشَّبَابَ عَلَى بِلَادِ الْكُفْرِ .

وَلَمَّا عَظُمَتِ الْفِتْنَةُ فِتْنَةُ الدُّنْيَا، وَصَارَتْ أَكْبَرَ هَمِّهِمْ، وَمَبْلَغَ عِلْمِهِمْ
حَمَلَتْهُمْ ذَلِكَ عَلَى التِّمَاسِكِهَا وَطَلَبِهَا وَلَوْ بِمَا يُسْخِطُ اللهُ، فَسَافَرُوا إِلَى أَعْدَاءِ اللهِ
فِي بِلَادِهِمْ، وَخَالَطُوهُمْ فِي أَوْطَانِهِمْ وَلَبَسَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ أَمْرَ دِينِهِمْ فَفَسَدُوا
عَهْدَ اللهِ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي أَخَذَ عَلَيْهِمْ، فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ
فَخُذُوهُ، وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ .

اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سَبِيلِكَ جَزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ
وَأَمِنَّا يَوْمَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ، وَاحْشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصَلِّ»: وَقَالَ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ حَالَ الْمُنَافِقِينَ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ، فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَعِظَهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾، قَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ، أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ بِالْإِعْرَاضِ عَنِ الْمُنَافِقِينَ وَأَعْلَاطِ الْقَوْلِ عَلَيْهِمْ وَأَنْ لَا يَلْقَاهُمْ بَوَجْهِ طَلِقٍ، بَلْ يَكُونُ وَجْهُهُ مُكْفَهَرًا عَابِسًا مُتَعَبِّرًا مِنَ الْعَيْظِ فَإِذَا كَانَ هَذَا مَعَ الْمُنَافِقِينَ، الَّذِينَ بَيْنَ أَظْهَرِ الْمُسْلِمِينَ، يُصَلُّونَ مَعَهُمْ وَيُجَاهِدُونَ مَعَهُمْ وَيُحْجُونَ فَكَيْفَ بِمَنْ يُسَافِرُ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَأَقَامَ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ أَيَّامًا وَلَيَالِيًا وَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِمْ فِي بِيوتِهِمْ وَبَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ وَأَكْثَرَ لَهُمُ التَّحِيَّةَ وَالْآنَ لَهُمُ الْكَلَامَ وَلَيْسَ لَهُ عُذْرٌ إِلَّا طَلَبُ الْعَاجِلَةِ وَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ الدُّنْيَا عُذْرًا لِمَنْ اعْتَدَرَ بِهَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ﴾ الآية .

وقال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه او :

شِعْرًا: وَاللَّهُ حَرَمَ مُكْتَمَ مَنْ هُوَ مُسْلِمٌ فِي كُلِّ أَرْضٍ حَلَّهَا الْكُفَّارُ
وَلَهُمْ بِهَا حُكْمُ الْوِلَايَةِ قَاهِرٌ فَارِبًا بِنَفْسِكَ فَالْمَقَامُ شَنَارُ
وَانظُرْ حَدِيثًا فِي الْبِرَاءَةِ قَدْ أَتَى نَقْلَ الثَّقَاةِ رِوَاثُهُ الْأَخْيَارُ
فِيهِ الْبِرَاءَةُ بِالصَّرَاحَةِ قَدْ أَتَتْ مِنْ مُسْلِمٍ وَكَذَلِكَ الْآثَارُ
قَدْ صَرَّحَتْ فِيمَنْ أَقَامَ بِبِلَدَةٍ مُسْتَوْطِنًا وَوَلَّاتَهَا الْكُفَّارُ

وقال في آخر كلامه: فالواجب على العاقل الناصح لنفسه النظر في أمره والفكر في ذنوبه ومجاهدة نفسه على التوبة النصوح، والندم على ما فات، والعزيمة على أن لا يعود، والتبديل بالعمل الصالح وتقديم محبة الله على جميع المحاب وإيثار مرضاته على حظوظ النفس، فإن كل شيء ضيعه ابن آدم ربما يكون له منه عوض، فإن ضيع حظه من الله لم يكن له عوض، قلت وقد أحسن من قال:

«مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِذَا ضَيَعْتَهُ عَوْضٌ وَمَا مِنْ اللَّهِ إِنْ ضَيَعْتَهُ عَوْضٌ»
آخِر: وَإِنَّمَا رَجُلُ الدُّنْيَا وَوَأَحِدَهَا مَنْ لَا يُعْوَلُ عَلَى أَحَدٍ سِوَى اللَّهِ

وَقَدْ حَابَ مَنْ كَانَ حَظُّهُ مِنَ اللَّهِ دُنْيَا يَحْتَلِبُ دَرَّهَا، وَالْحَاسِرُ مَنْ خَسِرَ دِينَهُ، وَإِنْ أَفَادَ فِي دُنْيَاهُ نَسَأَلَ اللَّهُ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى أَنْ يَأْخُذَ بِنَوَاصِينَا إِلَيْهِ وَأَنْ يُلْزِمَنَا كَلِمَةَ التَّقْوَى وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِهَا وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ .

شِعْرًا: بَكَيْتَ فَمَا تَبْكِي شَبَابَ صَبَاكَ كَفَاكَ نَذِيرُ الشَّيْبِ فِيكَ كَفَاكَ
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّيْبَ قَدْ قَامَ نَاعِيًا مَكَانَ الشَّبَابِ الْعَضُّ ثُمَّ نَعَاكَ
 أَلَمْ تَرَ يَوْمًا مَرًّا إِلَّا كَأَنَّهُ بَاهِلَاكِهِ لِلْهَالِكِينَ عَنَاكَ
 إِلَّا أَيُّهَا الْفَانِي وَقَدْ حَانَ حِينُهُ أَتَطْمَعُ أَنْ تَبْقَى فَلَسْتَ هُنَاكَ
 سَتَمَضِي وَيَبْقَى مَا تَرَاهُ كَمَا تَرَى فَيَنْسَاكَ مَنْ خَلَفْتَهُ هُوَ ذَاكَ
 تَمُوتُ كَمَا مَاتَ الَّذِينَ نَسَيْتَهُمْ وَتَنْسَى وَيَهْوَى الْحَيُّ بَعْدَ هَوَاكَ
 كَأَنَّكَ قَدْ أَقْصَيْتَ بَعْدَ تَقَرُّبٍ إِلَيْكَ وَإِنْ بَاكَ عَلَيْكَ بَكََاكَ
 كَانَ الَّذِي يَحْتُو عَلَيْكَ مِنَ الثَّرَى يُرِيدُ بِمَا يَحْتُو عَلَيْكَ رِضَاكَ
 كَانَ نُحُطُوبَ الدَّهْرِ لَمْ تَجْرِ سَاعَةً عَلَيْكَ إِذَا الْخَطْبُ الْجَلِيلُ دَهَاكَ
 تَرَى الْأَرْضَ كَمْ فِيهَا رُهُونٌ كَثِيرَةٌ غَلَقْنَ فَلَمْ يَحْصُلْ لَهُنَّ فِكََاكَ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ التَّوْفِيقَ لِلْهُدَايَةِ وَالْبُعْدَ عَنِ أَسْبَابِ الْجَهَالَةِ وَالْغَوَايَةِ وَنَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسَّنَةِ، وَأَنْ لَا تَزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَنْصُرَ دِينَكَ، وَكِتَابَكَ وَرَسُولَكَ وَعِبَادَكَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْ تُظَهِّرَ دِينَكَ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ .

«فَصْلٌ»

وقال ابن رجبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
 وَمِنْ تَمَامِ مَحَبَّةِ اللَّهِ مَحَبَّةُ مَا يُحِبُّهُ، وَكَرَاهَةُ مَا يَكْرَهُهُ، فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا
 مِمَّا كَرِهَهُ اللَّهُ، أَوْ كَرِهَ شَيْئًا مِمَّا يُحِبُّهُ اللَّهُ، لَمْ يَكْمُلْ تَوْحِيدُهُ وَصِدْقُهُ فِي قَوْلِهِ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَانَ فِيهِ مِنَ الشِّرْكِ الْخَفِيِّ بَحْسَبِ مَا كَرِهَهُ مِمَّا أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَا أَحَبَّهُ مِمَّا يَكْرَهُهُ اللَّهُ.

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْحَطَ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾، وقال الحسنُ إِعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تُحِبَّ اللَّهَ حَتَّى تُحِبَّ طَاعَتَهُ وقال بعضهم كُلُّ مَنْ ادَّعَى مَحَبَّةَ اللَّهِ وَلَمْ يُوَافِقِ اللَّهَ فِي أَمْرِهِ فَدَعَاؤُهُ بَاطِلَةٌ.

وقال يحيى بن مُعَاذٍ لَيْسَ بِصَادِقٍ مَنْ ادَّعَى مَحَبَّةَ اللَّهِ وَلَمْ يَحْفَظْ حُدُودَهُ، وقال رُوَيْمُ الْمَحَبَّةُ الْمُوَافَقَةُ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ وَأَنْشَدَ يَقُولُ:

«وَلَوْ قُلْتُ لِي مُتْ مُتْ سَمْعًا وَطَاعَةً وَقُلْتُ لِدَاعِي الْمَوْتِ أَهْلًا وَمَرْحَبًا»
شِعْرًا: خَصَائِصُ مَنْ تُشَاوِرُهُ ثَلَاثُ فَخُذْهَا مِنْ كَلَامِي بِالْحَقِيقَةِ
وَدَادٌ خَالِصٌ وَوُفُورٌ عَقْلٍ وَمَعْرِفَةٌ بِحَالِكَ بِالْحَقِيقَةِ
فَمَنْ تَمَّتْ لَهُ هَذِي الْمَعَانِي فَتَابِعْ رَأْيَهُ وَفَقَّ الشَّرِيعَةَ
وَإِنْ خَالَفَ كَلَامَ اللَّهِ أَوْ كَلَامَ الْمُصْطَفَى فَاحْذَرْ تُطِيعَهُ

وَيَشْهَدُ لِهَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، وقال الحسنُ قَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّا نُحِبُّ رَبَّنَا شَدِيدًا، فَأَحَبَّ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ لِحُبِّهِ عِلْمَةً فَأَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ.

وَمِنْ هُنَا يُعْلَمُ أَنَّهُ لَا تَتِمُّ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِلَّا بِشَهَادَةِ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِذَا عُلِمَ أَنَّهُ لَا تَتِمُّ مَحَبَّةُ اللَّهِ إِلَّا بِمَحَبَّةِ مَا يُحِبُّهُ وَكَرَاهَةِ مَا يَكْرَهُهُ، فَلَا طَرِيقَ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا يُحِبُّهُ وَيَكْرَهُهُ إِلَّا بِاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ وَاجْتِنَابِ مَا نَهَى عَنْهُ، فَصَارَتْ مَحَبَّتُهُ مُسْتَلزِمَةً لِمَحَبَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَصَدِيقِهِ وَمُتَابَعَتِهِ.

شِعْرًا: أَخْلِصْ لِمَنْ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ مِنْ عَدَمٍ وَاتَّبِعْ رَسُولَ الْهُدَى فِيمَا أُنَّاكَ بِهِ
وَلِهَذَا قَرَنَ اللَّهُ مَحَبَّتَهُ وَمَحَبَّةَ رَسُولِهِ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿قُلْ إِنْ كَانَ

آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ ﴿﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿﴾ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿﴾ كَمَا قَرَنَ طَاعَتَهُ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ .

شِعْرًا: وَإِنَّمَا يَتَسَامَى لِلْعُلَى رَجُلٌ فِي طَاعَةِ اللَّهِ لَا تُلْهِمُهُ أَمْوَالٌ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : إِنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ » ، وَهَذِهِ حَالَةُ السَّحَرَةِ لَمَّا سَكَنَتْ الْمَحَبَّةُ فِي قُلُوبِهِمْ سَمَحُوا بِبَذْلِ نُفُوسِهِمْ ، وَقَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ .

شِعْرًا: وَمَنْ تَكُنْ الْفِرْدَوْسُ هِمَّةُ نَفْسِهِ فَكُلُّ الَّذِي يُلْقَاهُ فِيهَا مُجِيبٌ وَمَتَى تَمَكَّنَتِ الْمَحَبَّةُ مِنَ الْقَلْبِ لَمْ تَنْبَعِثِ الْجَوَارِحُ إِلَّا إِلَى طَاعَةِ الرَّبِّ ، وَهَذَا مَعْنَى الْحَدِيثِ الْإِلَهِيِّ « وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا » وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ فِيِّي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِرُ . وَالْمَعْنَى أَنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ إِذَا اسْتَعْرَقَ بِهَا الْقَلْبُ وَاسْتَوَلَّتْ عَلَيْهِ لَمْ تَنْبَعِثِ الْجَوَارِحُ إِلَّا إِلَى رِضَا الرَّبِّ ، وَصَارَتِ النَّفْسُ مُطْمَئِنَّةً حِينَئِذٍ بِإِرَادَةِ مَوْلَاهَا عَنْ مَرَادِهَا وَهَوَاهَا ، وَفِي بَعْضِ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ مَنْ أَحَبَّ اللَّهُ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ عِنْدَهُ آثَرٌ مِنْ رِضَاهُ .

شِعْرًا: كَفَانِي فَحَرًّا أَنْ أَمُوتَ مُجَاهِدًا وَحُبُّ إِلَهِي قَائِدِي مُنْذُ نَشَأْتِي وَقَالَ: لَا يَنْجُو غَدًّا إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ، لَيْسَ فِيهِ سِوَاهُ ، قَالَ تَعَالَى ﴿﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿﴾ وَهُوَ الطَّاهِرُ مِنَ أَدْنَسِ الْمُخَالَفَاتِ .

فَأَمَّا الْمُتَلَطِّحُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمُكْرُوهَاتِ، فَلَا يَصْلُحُ لِمُجَاوَرَةِ حَضْرَةِ
الْقُدُّوسِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُطَهَّرَ بِكَبِيرِ الْعَذَابِ فَإِذَا أَرَادَ عَنْهُ الْحَبْثَ صَلَحَ حِينَئِذٍ
لِلْمُجَاوَرَةِ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، فَأَمَّا الْقُلُوبُ الطَّيِّبَةُ فَتَصْلُحُ لِلْمُجَاوَرَةِ
مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ ، ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ ، ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .

مَنْ لَمْ يُحَرِّقْ نَفْسَهُ الْيَوْمَ بِنَارِ الْأَسْفِ عَلَى مَا سَلَفَ أَوْ بِنَارِ الشَّقْوِ إِلَى
لِقَاءِ الْحَبِيبِ، فَتَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا مَا يَحْتَاجُ إِلَى تَطْهِيرِ بِنَارِ جَهَنَّمَ إِلَّا مَنْ لَمْ
يُكْمَلِ التَّوْحِيدَ وَالْقِيَامَ بِحَقُوبِهِ .

أَوَّلُ مَنْ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ الْمُرَائُونَ بِأَعْمَالِهِمْ وَأَوَّلُهُمُ الْعَالِمُ
وَالْمُتَصَدِّقُ وَالْمُجَاهِدُ لِلرِّيَاءِ، وَلَأَنَّ الرِّيَاءَ شِرْكٌ مَا تَظَاهَرَ الْمُرَائِي إِلَى الْخَلْقِ
بِعَمَلِهِ إِلَّا لِحُجَّتِهِ بِعَظَمَةِ الْخَالِقِ، الْمُرَائِي يُزَوِّرُ التَّوْقِيعَ عَلَى اسْمِ الْمَلِكِ لِيَأْخُذَ
الْبَرَاطِيلَ لِنَفْسِهِ، وَيُوْهَهُمْ أَنَّهُ مِنْ خَاصَّةِ الْمَلِكِ، وَهُوَ مَا يَعْرِفُ الْمَلِكُ
بِالْكَلِيَّةِ، تَقَشَّ الْمُرَائِي عَلَى الدَّرْهِمِ الزَّائِفِ اسْمَ الْمَلِكِ لِيُرَوِّجَ وَبِالْبَهْرَجِ لَا يَجُوزُ
إِلَّا عَلَى غَيْرِ النَّاقِدِ .

وقال ابن القيم رحمه الله من أحب شيئاً سوى الله ولم تكن محبته له لله
ولا لكونه معيناً له على طاعة الله، عذب به في الدنيا قبل اللقا كما قيل :
شِعْرَا أَنْتَ الْقَتِيلُ بِكُلِّ مَنْ أَحْبَبْتَهُ فَاخْتَرْتَنَفْسِكَ فِي الْهَوَى مِنْ تَصْطَفِي
فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَلَى الْحَكْمُ الْعَدْلُ سُبْحَانَهُ كُلُّ مُجِبِّ مَا كَانَ يُحِبُّهُ
فِي الدُّنْيَا فَكَانَ مَعَهُ إِمَّا مُنْعَمًا وَإِمَّا مُعَذَّبًا، وَلِهَذَا يُمَثَّلُ لِمُجِبِّ الْمَالِ مَالُهُ
شَجَاعًا أقرع، يَأْخُذُ بِلَهْزَمَتَيْهِ، يَقُولُ أَنَا مَالِكٌ أَنَا كَنْزُكَ وَيُصَفِّحُ لَهُ صَفَائِحَ مِنْ
نَارٍ يُكْوَى بِهَا جَنْبَهُ، وَجَبِينَهُ، وَظَهْرَهُ .

وكذا عاشق الصور إذا اجتمع هو ومَعْشُوقُهُ عَلَى غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ، جُمِعَ
بَيْنَهُمَا فِي النَّارِ وَعَذِبَ كُلُّ مِنْهُمَا بِصَاحِبِهِ، قَالَ تَعَالَى ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ

لِبَعْضِ عَدُوِّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿١٠﴾، وَأُخْبِرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَوَادُّوا فِي الدُّنْيَا عَلَى الشِّرْكِ يَكْفُرُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَلْعَنُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَمَا وَاهُمُ النَّارُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ .

فَالْمُحِبُّ مَعَ مَحْبُوبِهِ دُنْيَا وَآخِرَى، وَلِهَذَا يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْحَلْقِ الْأَيْسَرِ عَدْلًا مِنِّي أَنَّ أَوْلِيَّ كُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مَا كَانَ يَتَوَلَّى فِي دَارِ الدُّنْيَا قَالَ ﷺ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» .

وقال تعالى ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿١١﴾ .

وقال تعالى ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ إلى قوله ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾، قال عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَزْوَاجَهُمْ أَشْبَاهُهُمْ وَنَظَرَاؤُهُمْ، وقال تعالى ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ .
فَقُرِّنَ كُلُّ شَكْلٍ إِلَى شَكْلِهِ، وَجُعِلَ مَعَهُ قَرِينًا وَرَوْجًا، الْبِرُّ مَعَ الْبِرِّ وَالْفَاجِرُ مَعَ الْفَاجِرِ .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا سِوَى اللَّهِ فَالضَّرْرُ حَاصِلٌ لَهُ بِمَحْبُوبِهِ إِنْ وُجِدَ وَإِنْ قَدِمَ، فَإِنَّهُ إِنْ فَقَدَهُ عُدِبَ بِفَوَاتِهِ، وَتَأَلَّمَ عَلَى قَدْرِ تَعَلُّقِ قَلْبِهِ بِهِ، وَإِنْ وَجَدَهُ كَانَ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ الْأَلَمِ قَبْلَ حُصُولِهِ، وَمِنَ التَّكْدِ فِي حَالِ حُصُولِهِ، وَمِنَ الْحَسْرَةِ عَلَيْهِ بَعْدَ فَوَاتِهِ، أضعافُ مَا فِي حُصُولِهِ لَهُ مِنَ اللَّذَّةِ .

وَهَذَا الْأَمْرُ مَعْلُومٌ بِالِاسْتِقْرَاءِ، وَالِاعْتِبَارِ، وَالتَّجَارِبِ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ «الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذَكَرُ اللَّهِ وَمَا وَآلَاهُ» .

فَذِكْرُهُ جَمِيعُ أَنْوَاعِ طَاعَتِهِ فَكُلُّ مَنْ كَانَ فِي طَاعَتِهِ فَهُوَ فِي ذِكْرِهِ، وَإِنْ لَمْ يَتَحَرَّكَ لِسَانُهُ بِالذِّكْرِ، وَكُلُّ مَنْ وَالَاهُ فَقَدْ أَحَبَّهُ وَقَرَّبَهُ فَالْعَنَةُ لَا تَنَالُ ذَلِكَ بِوَجْهِ وَهِيَ نَائِلَةٌ كُلَّ مَا عَدَاهُ .

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الْعَاقِبَةَ فِي أُبْدَانِنَا وَالْعِصْمَةَ فِي دِينِنَا وَأَحْسِنْ مُتَقَلِّبِنَا وَوَقِّفْنَا
لِلْعَمَلِ بِطَاعَتِكَ أَبَدًا مَا أَبْقَيْتَنَا وَاجْمَعْ لَنَا بَيْنَ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ ثَبِّتْ
مَحَبَّتِكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَارْزُقْنَا الْقِيَامَ بِطَاعَتِكَ وَجَنِّبْنَا مَا يُسْخِطُكَ وَأَصْلِحْ
نِيَّاتِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا وَأَعِزَّنَا مِنْ شَرِّ نَفُوسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا وَأَعِزَّنَا مِنْ عَدُوِّكَ وَاجْعَلْ
هُوَآنَا تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُكَ ﷺ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصَلِّ»

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى وَهِيَ الَّتِي
فَطَّرَ اللَّهُ عَلَيْهَا جَمِيعَ خَلْقِهِ.

وَلَهَا أَرْكَانٌ وَشُرُوطٌ، فَأَرْكَانُهَا إِثْنَانُ: نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ. وَحَدُّ النَّفْيِ مِنَ
الْإِثْبَاتِ «لَا إِلَهَ»، أَي نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ. وَالْإِثْبَاتُ «إِلَّا اللَّهُ» أَي
مُثَبِّتًا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ كَمَا أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ.
وَأَمَّا شُرُوطُهَا فَسَبْعَةٌ لَا تَصِحُّ هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَلَا تَنْفَعُ قَائِلُهَا إِلَّا إِذَا
اسْتَجْمَعَتْ لَهُ الشُّرُوطُ الَّتِي تَلِي:

الأول: العلم، بِمَعْنَاهَا نَفِيًّا وَإِثْبَاتًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿فَاعْلَمْ
أَنَّه لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، وَقَالَ: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، وَقَالَ
ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

الثاني: اليقين، أَي اسْتِيقَانُ الْقَلْبِ بِهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ
الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.

وَقَالَ ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ لَا يَلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبْدٌ
غَيْرُ شَاكٍ فِيهِمَا إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»، وَقَالَ ﷺ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: «مَنْ لَقِيتَ وَرَاءَ هَذَا

الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة» كلاهما في الصحيح.

الثالث: الإخلاص، قال الله تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾، وقال: ﴿ألا لله الدين الخالص﴾، وعن أبي هريرة قال: قلت لرسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة، فقال رسول الله ﷺ: «لقد طننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث. أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه».

وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» رواه مسلم.

الرابع: الصدق، قال الله تعالى: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون﴾، عن ابن عباس قال من جاء بلا إله إلا الله، وقال: ﴿فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾.

وقال ﷺ: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار» متفق عليه. وتقدم قوله ﷺ: «يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه» الحديث رواه مسلم.

وقال ﷺ للأعرابي الذي علمه شرائع الإسلام: «أفلح إن صدق».

الخامس: المحبة، قال الله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾.

وقال ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله» الحديث متفق عليه.

وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» متفق عليه.

السادس: الانقياد لها ظاهراً وباطناً، قال الله تعالى: ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾، وقال تعالى: ﴿وأنبيوا إلى ربكم وأسلموا له﴾، وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به».

السابع: القبول لها، وقد جمع بعضهم شروط «لا إله إلا الله» في بيت فقال:

عِلْمٌ يَقِينٌ وَإِحْلَاصٌ وَصِدْقُكَ مَعَ مَحَبَّةٍ وَإِنْقِيَادٍ وَالْقَبُولِ لَهَا
فلا يرد شيئاً من لوازمها ومقتضياتها، قال تعالى: ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب﴾ إلى قوله: ﴿بل لما يذوقوا عذاب﴾.

وقال أيضاً في حق من لم يقبلها: ﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون﴾.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلاً والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» متفق عليه.

وقد شهد الله لنفسه بالوحدانية في قوله تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا

هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴿١﴾ .

فقد تضمنت هذه الآية الكريمة حقيقة التوحيد والرد على جميع طوائف الضلال فقد تضمنت أجلاً شهادة وأعظمها وأعد لها وأصدقها من أجل شاهد بأجل مشهود به .

وعبارات السلف في «شاهد» تدور على الحكم والقضاء والاعلام والبيان والأخبار وهذه الأقوال كلها حق لا تنافي بينها .

فإن الشهادة تتضمن كلام الشاهد وخبره وتتضمن إعلامه وإخباره وبيانه فلها أربع مراتب .

فأول مراتبها : علم ومعرفة واعتقاد لصحة المشهود به وثبوتة .

وثانيها : تكلمه بذلك وإن لم يعلم به غيره بل يتكلم بها مع نفسه ويتذكرها وينطق بها أو يكتبها .

وثالثها : أن يعلم غيره بما يشهد به ويخبره به ويبينه له .

ورابعها : أن يلزمه بمضمونها ويأمره به . فشهادة الله سبحانه لنفسه بالوحدانية والقيام بالقسط تضمنت هذه المراتب الأربع علمه بذلك وتكلمه وإخباره لخلقهم وأمرهم وإلزامهم به .

فأما مرتبة العلم ، فإن الشهادة تتضمنها ضرورة وإلا كان الشاهد شاهداً بما لا علم له به ، قال تعالى : ﴿إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾ ﴿٢﴾ .

وقال صلى الله عليه وسلم : «على مثلها فاشهد» وأشار إلى الشمس ، وأما مرتبة التكلم والخبر فقال تعالى : ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم سكتب شهادتهم ويسألون﴾ ﴿٣﴾ فجعل ذلك منهم شهادة وإن لم يتلفظوا بلفظ الشهادة ولم يؤدوها عند غيرهم .

وأما مرتبة الإعلام فنوعان: إعلام بالقول، وإعلام بالفعل، وهذا شأن كل معلم لغيره بأمر، تارة يعلمه به بقول وتارة بفعل.

ولهذا كان من جعل داره مسجداً وأبرزها وفتح طريقها وأذن للناس بالدخول والصلاة فيها معلماً أنها وقف وإن لم يتلفظ.

وكذا شهادة الرب عز وجل وبيانه وإعلامه يكون بقوله تارة وبفعله أخرى فالقول ما أرسل به رسله وأنزل به كتبه.

وأما بيانه وإعلامه بفعله كما قال ابن كيسان: شهد الله بتدبيره العجيب وأموره المحكمة عند خلقه أن لا إله إلا هو، وقال الآخر:

وفي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ
آخِر: لَهُ كُلُّ ذَرَاةِ الْوَجُودِ شَوَاهِدٌ عَلَى أَنَّهُ الْبَارِي الْإِلَهَ الْمُصَوِّرُ
آخِر: تَأَمَّلْ فِي نَبَاتِ الْأَرْضِ وَانظُرْ إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ الْمَلِيكُ
عُيُونٌ مِنْ لُجَيْنِ شَاخِصَاتٍ بِأَحْدَاقِ هِيَ الذَّهَبُ السَّبِيكُ
عَلَى قُضْبِ الرَّبْرِجِدِ شَاهِدَاتٌ بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ
وَأَنَّ مُحَمَّدًا خَيْرُ الْبَرِيَا إِلَى الثَّقَلَيْنِ أَرْسَلَهُ الْمَلِيكُ
آخِر: تَأَمَّلْ سَطُورَ الْكَائِنَاتِ فَإِنَّهَا مِنْ الْمَلِكِ الْأَعْلَى إِلَيْكَ رَسَائِلُ
وَقَدْ كَانَ فِيهَا لَوْ تَأَمَّلْتَ خَطَّهَا أَلَّا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلُ

ومما يدل على أن الشهادة تكون بالفعل قوله تعالى: ﴿ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجدَ اللَّهِ شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾ فهذه شهادة منهم على أنفسهم بما يفعلونه.

وأما مرتبة الأمر بذلك والإلزام به فإن مجرد الشهادة لا يستلزمه لكن الشهادة في هذا الموضوع تدل عليه وتتضمنه.

فإنه سبحانه شهد به شهادة من حكم به وقضى وأمر وألزم عباده كما قال

تعالى : ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً﴾ ، وقال : ﴿وما
مُروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً﴾ والقرآن كله شاهد بذلك .

ووجه استلزام شهادته سبحانه لذلك أنه إذا شهد أنه لا إله إلا هو فقد
أخبر ونبأ وأعلم وحكم وقضى أن ما سواه ليس بإله وأن ألوهية ما سواه باطلة .
فلا يستحق العبادة سواه كما لا تصلح الإلهية لغيره ، وذلك يستلزم الأمر
بإخاذه وحده إلهاً والنهي عن اتخاذ غيره معه إلهاً ولا إله إلا الله هي كلمة
التوحيد التي اتفقت عليها الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وما من رسول إلا جعلها مفتتح أمره وقطب رحاه كما قال نبينا ﷺ :
«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني
دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل» .

وحق هذه الكلمة هو فعل الواجبات وترك المحرمات .

وأما فائدتها وثمرتها فالسعادة في الدنيا والآخرة لمن قالها عارفاً لمعناها عاملاً
بمقتضاها وأما مجرد النطق فلا ينفع لا بُدَّ من عمل .

قال شيخ الإسلام : من اعتقد أنه بمجرد تلفظه بالشهادة يدخل الجنة
ولا يدخل النار فهو ضال مخالف للكتاب والسنة والاجماع . أهـ .

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيَقْظَنَّا مِنْ نَوْمِ الْعَفْلَةِ وَتَبَهُّنَا
لِاعْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهَلَّةِ لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَذُنُوبِنَا وَلَا تَوَاحِدُنَا بِمَا
انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْتَنَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعَلَّمَهَا
مِنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«موعظة»

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ لِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ فَضَائِلَ عَظِيمَةً لَا يُمَكِّنُ اسْتِقْصَاؤُهَا مِنْهَا أَنَّهَا

كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ وَأَتَتْهَا مِفْتَاحُ دَارِ السَّلَامِ فَيَاذُوِي الْعُقُولِ الصَّحَاحِ وَيَاذُوِي
الْبَصَائِرِ وَالْفَلَاحِ جَدِّدُوا أَيْمَانَكُمْ فِي الْمَسَاءِ وَالصَّبَاحِ بِقَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ
أَعْمَاقِ قُلُوبِكُمْ مُتَأَمِّلِينَ لِمَعْنَاهَا عَامِلِينَ بِمُقْتَضَاهَا .

عِبَادَ اللَّهِ مَا قَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَلَا صَحَّتِ السَّنَةُ وَالْفَرَضُ وَلَا نَجَا
أَحَدٌ يَوْمَ الْعَرْضِ إِلَّا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا جُرِّدَتْ سُيُوفُ الْجِهَادِ، وَلَا أُرْسِلَتْ
الرُّسُلُ إِلَى الْعِبَادِ، إِلَّا لِيُعَلِّمُوهُمْ الْعَمَلَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

تَاللَّهِ إِنَّهَا كَلِمَةُ الْحَقِّ، وَدَعْوَةُ الْحَقِّ وَأَنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشِّرْكِ وَنَجَاةٌ هَذَا
الْأَمْرِ وَلَا جِلْهًا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا
نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ
مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ .

قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ مِنَ الْعِبَادِ نِعْمَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ
عَرَفَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَإِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ كَالْمَاءِ الْبَارِدِ لِأَهْلِ الدُّنْيَا
وَلِأَجْلِهَا أُعِدَّتْ دَارُ الثَّوَابِ، وَدَارُ الْعِقَابِ وَلَا جِلْهًا أَمَرَتِ الرُّسُلُ بِالْجِهَادِ .

فَمَنْ قَالَهَا عَصَمَ مَالَهُ وَدَمَهُ، وَمَنْ أَبَاهَا فَمَالُهُ وَدَمُهُ حَلَالٌ، وَبِهَا كَلَّمَ اللَّهُ
مُوسَى كِفَاحًا وَهِيَ أَحْسَنُ الْحَسَنَاتِ كَمَا فِي الْمُسْنَدِ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ،
وَعِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ، ارْفَعُوا
أَيْدِيَكُمْ وَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَرَفَعْنَا أَيْدِيَنَا سَاعَةً فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ
وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ اللَّهُمَّ بَعَثْتَنِي بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَأَمَرْتَنِي بِهَا وَوَعَدْتَنِي الْجَنَّةَ وَإِنَّكَ
لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ .

ثُمَّ قَالَ أَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ وَهِيَ أَحْسَنُ الْحَسَنَاتِ، وَهِيَ
تَمْحُو الذُّنُوبَ وَالخَطَايَا .

وَفِي سَنَنِ ابْنِ مَاجَةَ عَنْ أُمِّ هَانِيَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا

تُشْرِكُ ذَنْبًا وَلَا يَسْبِقُهَا عَمَلٌ» ، وَرُوِيَ بَعْضُ السَّلَفِ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ مَا أَتَيْتُ إِلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَيْئًا وَهِيَ تُجَدِّدُ مَا دَرَسَ مِنَ الْإِيمَانِ فِي الْقَلْبِ .

وَإِنَّ أَصْدَقَ قَوْلٍ أَنْتَ قَائِلُهُ قَوْلٌ تَضَمَّنَ تَوْحِيدَ الَّذِي خَلَقَا

وَفِي الْمَسْنَدِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ قَالُوا كَيْفَ نُجَدِّدُ إِيمَانَنَا قَالَ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَهِيَ الَّتِي لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ فِي الْوِزْنِ ، فَلَوْ وُزِنَتْ بِالسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَرَجَحَتْ بِهِنَّ .

كَمَا فِي الْمَسْنَدِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ نُوْحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِابْنِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعْنَ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَرَجَحَتْ بِهِنَّ وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ كُنَّ فِي حَلَقَةٍ مُبْهَمَةٍ فَصَمْتُهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

وَإِنَّهَا تَرَجَحُ بِالسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَمَا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ يَا رَبُّ عَلَّمَنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ ، قَالَ يَا مُوسَى قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ مُوسَى يَا رَبُّ كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا .

قَالَ يَا مُوسَى قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تَخْصِيصِي بِهِ ، قَالَ يَا مُوسَى لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ وَعَامِرُهُنَّ غَيْرِي فِي كِفَّةٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

وَكَذَلِكَ تَرَجَحُ فِي صَحَائِفِ الذُّنُوبِ ، كَمَا فِي حَدِيثِ السَّجَلَاتِ ، وَالبِطَاقَةِ ، وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فِيمَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ .

اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْخِزْيِ وَالبَوَارِ وَأَدْخِلْنَا بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَعَامِلِنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ وَاغْفِرْ لَنَا

وَلَوْلَا دِينُنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَصْلٌ »

وَهِيَ الَّتِي تَحْرِقُ الْحُجْبَ حَتَّى تَصِلَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنَّهَا لَيْسَ لَهَا
دُونَ اللَّهِ حِجَابٌ ، لَمَّا تَقَدَّمَ وَلَمَّا فِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَعَنِ النَّبِيِّ
ﷺ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَيْسَ لَهَا دُونَ اللَّهِ حِجَابٌ .

وَأَنَّهَا تُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا إِلَّا فُتِحَتْ لَهَا
أَبْوَابُ السَّمَاءِ حَتَّى تُفْضِيَ إِلَى الْعَرْشِ » .

وَيُرَوَّى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَرْفُوعًا مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا بَيْنَهُ وَبَيْنَ
اللَّهِ حِجَابٌ ، إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَمَا أَنَّ شَفِيعَكَ لَا تَحْجِبُهَا كَذَلِكَ لَا يَحْجِبُهَا شَيْءٌ
حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَوَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ
وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مُخْلِصًا بِهَا قَلْبُهُ يُصَدِّقُ بِهَا لِسَانُهُ إِلَّا فَتَقَّ
اللَّهُ السَّمَاءَ فَتَقَّ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى قَائِلِهَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَحَقَّ لِعَبْدٍ نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ
أَنْ يُعْطِيَهُ سُؤَالَهُ ، وَهِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي يُصَدِّقُ اللَّهُ قَائِلَهَا .

كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ
قَالَ إِذَا قَالَ الْعَبْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ صَدَّقَهُ رَبُّهُ . وَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، وَأَنَا
أَكْبَرُ ، وَإِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ قَالَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي لَا
شَرِيكَ لِي ، وَإِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ،
قَالَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا لِي الْمُلْكُ وَلِي الْحَمْدُ ، وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا

حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ قَالَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي وَكَانَ يَقُولُ مَنْ قَالَهَا فِي مَرَضِهِ ثُمَّ مَاتَ لَمْ تَطْعَمُهُ النَّارُ .

وَهِيَ أَفْضَلُ مَا قَالَهُ النَّبِيُّونَ كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ فِي دُعَاءِ عَرَفَةَ وَهِيَ أَفْضَلُ الذِّكْرِ كَمَا فِي حَدِيثِ جَابِرِ الْمَرْفُوعِ أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَحَبُّ كَلِمَةٍ إِلَى اللَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَمَلًا إِلَّا بِهَا .

وَهِيَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ ، وَأَكْثَرُهَا تَضْعِيفًا وَتَعْدِيلَ عِتْقِ الرِّقَابِ وَتَكُونُ حِزْرًا مِنَ الشَّيْطَانِ ، كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ ، كَانَتْ لَهُ عِدْلُ عَشْرِ رِقَابٍ ، وَكُنْتُ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ ، وَمُحَى عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ ، إِلَّا وَاحِدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ .

وَوَرَدَ أَنَّ مَنْ قَالَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ عُمَرَ مَرْفُوعًا مَنْ قَالَهَا إِذَا دَخَلَ السُّوقَ وَزَادَ فِيهَا يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ وَمَحَى عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ وَفِي رِوَايَةٍ يُبْنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ .

وَمِنْ فَضَائِلِهَا أَنَّهَا أَمَانٌ مِنَ وَحْشَةِ الْقَبْرِ وَهَوْلِ الْمَحْشَرِ كَمَا فِي الْمُسْنَدِ وَغَيْرِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَ عَلَى أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْشَةٌ فِي قُبُورِهِمْ وَلَا فِي نُشُورِهِمْ ، وَكَأَنِّي بِأَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَنْفُضُونَ التُّرَابَ عَنْ رُؤُوسِهِمْ وَيَقُولُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ .

وَفِي حَدِيثِ مُرْسَلٍ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ أَمَانًا مِنَ الْفَقْرِ ، وَأَنْسَاءً مِنَ وَحْشَةِ الْقَبْرِ ، وَاسْتُجْلِبَ بِهِ الْغِنَى ، وَاسْتُفْرِعَ بِهِ بَابُ الْجَنَّةِ وَهِيَ شِعَارُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا قَامُوا مِنْ قُبُورِهِمْ .

وَمِنْ فَضَائِلِهَا أَنَّهَا تَفْتَحُ لِقَائِلِهَا أَبْوَابَ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ
 وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ مَنْ
 شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ
 عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ،
 وَالنَّارَ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ، فَتُحْتِ
 لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ.

وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قِصَّةِ
 مَنَامِهِ الطَّوِيلِ، وَفِيهِ قَالَ رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي انْتَهَى إِلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَأَغْلَقَتْ
 دُونَهُ، فَجَاءَتْهُ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَفَتَحَتْ لَهُ الْأَبْوَابَ وَأَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ.

وَمِنْ فَضَائِلِهَا أَنَّ أَهْلَهَا وَإِنْ دَخَلُوا النَّارَ بِتَقْصِيرِهِمْ فِي حُقُوقِهِمْ، فَإِنَّهُمْ
 لَا بُدَّ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ
 يَقُولُ اللَّهُ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لِأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا
 اللَّهُ.. أَهـ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

«فَصْلٌ»: قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَصْلُ الْأَعْمَالِ الدِّينِيَّةِ حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
 كَمَا أَنَّ أَصْلَ الْأَقْوَالِ الدِّينِيَّةِ تَصَدِيقُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَكُلُّ إِرَادَةٍ تَمْنَعُ كَيْلَ حُبِّ اللَّهِ
 وَرَسُولِهِ وَتَزَاحِمُ هَذِهِ الْمَحَبَّةَ فَإِنَّهَا تَمْنَعُ كَيْلَ التَّصَدِيقِ.

فَهِيَ مَعَارِضَةٌ لِأَصْلِ الْإِيمَانِ أَوْ مُضَعَفَةٌ لَهُ. فَإِنْ قُوِيَتْ حَتَّى عَارِضَتْ
 أَصْلَ الْحُبِّ وَالتَّصَدِيقِ كَانَتْ كُفْرًا أَوْ شُرْكَاً أَكْبَرَ وَإِنْ لَمْ تَعَارِضْهُ قَدَحَتْ فِي
 كَمَالِهِ وَأَثَرَتْ فِيهِ ضَعْفًا وَفُتُورًا فِي الْعَزِيمَةِ وَالطَّلَبِ، وَهِيَ تَحْجِبُ الْوَاصِلَ وَتَقْطَعُ
 الطَّالِبَ وَتَنْكِي الرَّاغِبَ.

فَلَا تَصْلُحُ الْمُوَالَاةُ إِلَّا بِالْمَعَادَاةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْ إِمَامِ الْخَنَفَاءِ الْمُحْبِينَ أَنَّهُ قَالَ
 لِقَوْمِهِ «أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ وَفِيهِمْ عَدُوِّي إِلَّا رَبُّ
 الْعَالَمِينَ» فَلَمْ تَصْلُحْ لِخَلِيلِ اللَّهِ هَذِهِ الْمُوَالَاةُ وَالْحَلَّةُ إِلَّا بِتَحْقِيقِ هَذِهِ الْمَعَادَاةِ فَإِنْ

ولاية الله لا تصح إلا بالبراءة من كل معبود سواه .
قال تعالى ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا
لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله . كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم
العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ .

وقال تعالى ﴿ وإذا قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي
فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ﴾ أي جعل
هذه الموالات لله والبراءة من كل معبود سواه كلمة باقية في عقبه يتوارثها
الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض .

وهي كلمة : لا إله إلا الله ، وهي التي ورثها إمام الخنفاء لأتباعه إلى يوم
القيامة .

وهي الكلمة التي قامت بها الأرض والسموات وفطر الله عليها جميع
المخلوقات ، وعليها أسست الملة ونصبت القبلة ، وجردت سيوف الجهاد .
وهي محض حق الله على جميع العباد .

وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في هذه الدار والمنجية من عذاب
القبر وعذاب النار ، وهي المنشود الذي لا يدخل أحد الجنة إلا به والحبل الذي
لا يصل إلى الله من لم يتعلق بسببه .

وهي كلمة الإسلام ومفتاح دار السلام ، وبها انقسم الناس إلى شقي
وسعيد ومقبول وطريد .

وبها انفصلت دار الكفر من دار السلام وتميزت دار النعيم من دار الشقاء
والهوان .

وهي العمود الحامل للفرض والسنة « ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله
دخل الجنة » .

وروح هذه الكلمة وسرها أفراد الرب جل ثناؤه وتقدست أسماؤه وتبارك
اسمه وتعالى جده ولا إله غيره بالحجة والجلال والتعظيم والخوف والرجاء
وتوابع ذلك ، من التوكل والإنابة والرغبة والرغبة .

فلا يحب سواه ، بل كل ما كان يحب غيره فإنما هو تبعاً لمحبتة وكونه وسيلة

إلى زيادة محبته ولا يخاف سواه ولا يرجو سواه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يرغب إلا إليه، ولا يهرب إلا منه .

ولا يحلف إلا باسمه، ولا ينذر إلا له، ولا يتاب إلا إليه، ولا يطاع إلا أمره، ولا يحتسب إلا به، ولا يستعان في الشدائد إلا به، ولا يلتجأ إلا إليه، ولا يسجد إلا له، ولا يذبح إلا له وباسمه . يجتمع ذلك في حرف واحد هو : أن لا يعبد بجميع أنواع العبادة إلا هو .

فهذا هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، ولهذا حرم الله على النار أن تأكل من شهد أن لا إله إلا الله حقيقة الشهادة، ومحال أن يدخل النار من تحقق بحقيقة هذه الشهادة وقام بها كما قال تعالى ﴿والذين هم بشهاداتهم قائمون﴾ فيكون قائماً بشهادته في باطنه وظاهره وفي قلبه وقالبه .

فإن من الناس من تكون شهادته ميتة .

ومنهم من تكون نائمة إذا نهت انتهت، ومنهم من تكون مضطجعة، ومنهم من تكون إلى القيام أقرب . وهي في القلب بمنزلة الروح في البدن .

فروح ميتة وروح مريضة إلى الموت أقرب .

وروح إلى الحياة أقرب، وروح صحيحة قائمة بمصالح البدن . وفي الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم «إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند الموت إلا وجدت روحه لها روحاً» .

فحياة هذه الروح بهذه الكلمة فكما أن حياة البدن بوجود الروح فيه وكما أن من مات على هذه الكلمة فهو في الجنة يتقلب فيها .

فمن عاش على تحقيقها والقيام بها فروحه تتقلب في جنة المأوى وعيشها أطيب عيش، قال تعالى ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾ .

فالجنة مأواه يوم اللقاء، وجنة المعرفة والمحبة والأنس بالله والشوق إلى لقائه والفرح به والرضى عنه وبه مأوى روحه في هذه الدار.

فمن كانت هذه الجنة مأواه ههنا كانت جنة الخلد مأواه يوم المعاد، ومن حرم هذه الجنة فهو لتلك الجنة أشد حرماناً.

والأبرار في نعيم وإن اشتد بهم العيش وضائق بهم الدنيا، والفجار في جحيم وإن اتسعت عليهم الدنيا، قال تعالى ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾.

وطيب الحياة جنة الحياة، قال تعالى ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً﴾ فأني نعيم أطيب من شرح الصدر، وأي عذاب أشد من ضيق الصدر.

وقال تعالى ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذي آمنوا وكانوا يتقون. لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾.

فالمؤمن المخلص لله من أطيب الناس عيشاً وأنعمهم بالاً وأشرحهم صدرأً وأسهرهم قلباً؛ وهذه جنة عاجلة قبل الجنة الآجلة. قال النبي ﷺ «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا» قالوا وما رياض الجنة؟ قال «حلق الذكر».

ومن هذا قوله ﷺ «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة» ومن هذا قوله، وقد سأله عن وصاله في الصوم وقال «أني لست كهيئتكم إني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني».

فأخبر ﷺ أن ما يحصل له من الغذاء عند ربه يقوم مقام الطعام والشراب الحسي، وأن ما يحصل له من ذلك أمر مختص به لا يشركه فيه غيره، فإذا أمسك عن الطعام والشراب فله عوض عنه يقوم مقامه وينوب منابه ويغني عنه كما قيل:

لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الشراب وتلهيها عن الزاد
لها بوجهك نور تستضيء به ومن حديثك في أعقابها حادي
إذا اشتكت من كلال السير أو عدها روح اللقاء فتحي عند ميعاد

وكلما كان وجود الشيء أنفع للعبد وهو إليه أحوج كان تألمه بفقده
أشد، وكلما كان عدمه أنفع كان تألمه بوجوده أشد، ولا شيء على الإطلاق
أنفع للعبد من إقباله على الله، واشتغاله بذكره وتنعمه بحبه، وإيثاره لمرضاته.
بل لا حياة ولا نعيم ولا سرور ولا بهجة إلا بذلك.

فعدمه ألم شيء له وأشد عذاباً عليه، وإنما تغيب الروح عن شهود هذا
الألم والعذاب لاشتغالها بغيره واستغراقها في ذلك الغير فتغيب به عن شهود ما
هي فيه من ألم العقوبة بفراق أحب شيء إليها وأنفعه لها.

وهذا بمنزلة السكران المستغرق في سكره الذي احترقت داره وأمواله
وأهله وأولاده وهو لاستغراقه في السكر لا يشعر بألم ذلك الفوات وحسرتة.

حتى إذا صحا وكشف عنه غطاء السكر وانتبه من رقدة الخمر فهو أعلم
بحاله حينئذ، وهكذا الحال سواء عند كشف الغطاء ومعاينة طلائع الآخرة
والإشراف على مفارقة الدنيا والانتقال منها إلى الله.

بل الألم والحسرة والعذاب هناك أشد بأضعاف أضعاف ذلك، فإن
المصاب في الدنيا يرجو جبر مصيبتة في الدنيا بالعوض ويعلم أنه قد أصيب
بشيء زائل لا بقاء له، فكيف بمن مصيبتة بما لا عوض عنه ولا بدل منه ولا
نسبة بينه وبين الدنيا جميعها.

فلو قضى الله سبحانه بالموت من هذه الحسرة والألم لكان العبد جديراً به
وان الموت ليعد أكبر أمنيته وأكبر حسراته، هذا لو كان الألم على مجرد الفوات،

كيف وهناك من العذاب على الروح والبدن أمور أخرى مما لا يقدر قدره؟
 فتبارك من حمل هذا الخلق الضعيف هذين الألين العظيمين اللذين
 لا تحملهما الجبال الرواسي. فاعرض على نفسك الآن أعظم محبوب لك في
 الدنيا، بحيث لا تطيب لك الحياة إلا معه فأصبحت وقد أخذ منك وحيل بينك
 وبينه أحوج ما كنت إليه، كيف يكون حالك هذا ومنه كل عوض؟ فكيف
 بمن لا عوض عنه؟ كما قيل:

وما ضَرَّنِي إِثْلَافُ عُمْرِي كُلِّهِ إِذَا لِمَرَاضِي اللَّهِ أَصْبَحْتُ حَائِزًا
 وفي الأثر الآلهي «ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب، وتكفلت برزقك
 فلا تتعب، ابن آدم اطلبني تجدني فإن وجدتني وجدت كل شيء وإن فتك
 فاتك كل شيء وأنا أحب إليك من كل شيء» انتهى كلامه رحمه الله.

شِعْرًا: كُلُّ لَهُ مَطْلَبٌ يَسْعَى لِيُذْرِكَهُ مُسْتَحْسِنًا لِلَّذِي يَرْضَى وَيَهْوَاهُ
 وَذُو الدِّيَانَةِ يَسْعَى دَائِمًا أَبَدًا فِيمَا يَرَى أَنَّهُ يَرْضَى بِهِ اللَّهُ
 اللَّهُمَّ عَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَلَا تَجْعَلْ عَلْمَنَا وَبَالًا عَلَيْنَا،
 اللَّهُمَّ قَوِي مَعْرِفَتْنَا بِكَ وَبِأَسْمَائِكَ وَصِفَاتِكَ وَنُورَ بَصَائِرِنَا وَمَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا
 وَأَبْصَارِنَا وَقُوَاتِنَا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
 مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

قال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله:

رَسَائِلُ إِخْوَانِ الصِّفَا وَالتَّوَدُّدِ إِلَى كُلِّ ذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ مُوَحَّدِ
 وَمِنْ بَعْدِ حَمْدِ اللَّهِ وَالشُّكْرِ وَالثَّنَا صَلَاةً وَتَسْلِيمًا عَلَى خَيْرِ مُرْشِدِ
 وَآلٍ وَصَحْبٍ وَالسَّلَامِ عَلَيْكُمْ بَعْدُ وَمِيْضِ الْبَرْقِ أَهْلَ التَّوَدُّدِ
 وَبَعْدُ فَقَدْ طَمَّ الْبَلَاءُ وَعَمَّنَا مِنَ الْجَهْلِ بِالذِّينِ الْقَوِيمِ الْمُحَمَّدِيِّ

لِعَيْرِ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ الْمُتَفَرِّدِ
 يُعَادِيهِمْ مِنْ أَهْلِهَا كُلِّ مُعْتَدِ
 إِلَى الْفِقْهِ فِي أَصْلِ الْهُدَى وَالتَّجَرُّدِ
 نَضِيداً مِنَ الْأَصْلِ الْأَصِيلِ الْمُوْطِدِ
 لِذَلِكَ أَمْ قَدْ غَيَّنَ قَلْبَكَ بِالذِّدِ
 كَانَ لَمْ تَصِرْ يَوْماً إِلَى قَبْرِ مَلْحِدِ
 وَتُحْطَى بِجَنَاتٍ وَخُلْدٍ مُؤَبَّدِ
 وَخُورٍ حِسَانٍ كَالْيَوَاقِيْتِ خُرْدِ
 بِأَنْوَاعِهَا لِلَّهِ قَصِداً وَجَرْدِ
 وَبِالْحُبِّ وَالرُّغْبَى إِلَيْهِ وَجَرْدِ
 وَلَا تَسْتَعِثْ إِلَّا بِرَبِّكَ تَهْتَدِ
 لَهُ حَاشِيَاً بَلْ حَاشِعَاً فِي التَّعْبُدِ
 وَكُنْ لَأَيْدَاً بِاللَّهِ فِي كُلِّ مَقْصَدِ
 عَلَيْهِ وَثِقْ بِاللَّهِ ذِي الْعَرْشِ تَرْشُدِ
 فِدَاعٍ لِعَيْرِ اللَّهِ غَاوٍ وَمُعْتَدِ
 فَجَانِبُهُ وَاحْذَرْ أَنْ تَجِيءَ بِمُؤَيِّدِ
 عَلَى عَهْدِ نُوْحٍ وَالنَّبِيِّ مُحَمَّدِ
 مُقِرّاً بِأَنَّ اللَّهَ أَكْمَلُ سَيِّدِ
 هُوَ الْمَالِكُ الرَّزَاقُ فَاسْأَلُهُ وَاجْتَدِ
 أَقَرَّ وَلَمْ يَجْحَدْ بِهَا كُلِّ مُلْحِدِ
 وَلَا تَتَاوَلَهَا كَرَأْيِ الْمُفْسَدِ
 سَمِيٍّ وَقُلْ لَا كُفُوَ لِلَّهِ تَهْتَدِي
 إِلَهُ الْوَرَى حَقّاً بِعَيْرِ تَرُدُّدِ
 لِنِعْمِ الرَّجَا يَوْمَ اللَّقَا لِلْمُوْحِدِ

بِمَا لَيْسَ نَشْكُو كَشْفَهُ وَانْتِقَادَنَا
 وَلَمْ يَنْقُ إِلَّا النَّزْرُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ
 فَهَبُوا عِبَادَ اللَّهِ مِنْ نَوْمَةِ الرَّدَى
 وَقَدْ عَنَّ أَنْ نُهْدِي إِلَى كُلِّ صَاحِبِ
 فَذُوْنِكَ مَا نُهْدِي فَهَلْ أَنْتَ قَابِلِ
 تَرُوْقُ لَكَ الدُّنْيَا وَلَذَاتُ أَهْلِهَا
 فَإِنْ رَمَتْ أَنْ تَنْجُو مِنَ النَّارِ سَالِمَاً
 وَرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَأَرْفَهُ حَبْرَةَ
 فَحَقِّقْ لِتَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ مُخْلِصَاً
 وَأَفْرَدَهُ بِالتَّعْظِيمِ وَالْحَوْفِ وَالرَّجَا
 وَبِالنَّذْرِ وَالذَّبْحِ الَّذِي أَنْتَ نَاسِكُ
 وَلَا تَسْتَعِنْ إِلَّا بِهِ وَبِحَوْلِهِ
 وَلَا تَسْتَعِذْ إِلَّا بِهِ لَا بِغَيْرِهِ
 إِلَيْهِ مُنِيَاً تَائِبَاً مُتَوَكِّلَاً
 وَلَا تَدْعُ إِلَّا اللَّهَ لَا شَيْءَ غَيْرَهُ
 وَفِي صَرْفِهَا أَوْ بَعْضِهَا الشَّرْكَ قَدْ أَتَى
 وَهَذَا الَّذِي فِيهِ الْخِصُومَةُ قَدْ جَرَتْ
 وَوَجْدُهُ فِي أَفْعَالِهِ جَلُّ ذِكْرُهُ
 هُوَ الْخَالِقُ الْمُحْيِي الْمُمِيتُ مُدَبِّرُ
 إِلَى غَيْرِ ذَا مِنْ كُلِّ أَفْعَالِهِ النَّبِي
 وَوَحْدَهُ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ
 فَلَيْسَ كَمِثْلِ اللَّهِ شَيْءٌ وَلَا لَهُ
 وَذَا كُلُّهُ مَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّهُ
 فَحَقِّقْ لَهَا لَفْظاً وَمَعْنَى فَإِنَّهَا

هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى فَكُنْ مُتَمَسِّكاً
فَكُنْ وَاحِداً فِي وَاحِدٍ وَلِوَاحِدٍ
وَمَنْ لَمْ يَقِيْدْهَا بِكُلِّ شَرْوِطِهَا
فَلَيْسَ عَلَى نَهْجِ الشَّرِيعَةِ سَالِكاً
فَأَوْلُهَا الْعِلْمُ الْمُنَافِي لِضِدِّهِ
فَلَوْ كَانَ ذَا عِلْمٍ كَثِيرٍ وَجَاهِلٍ
وَمِنْ شَرْطِهَا وَهُوَ الْقَبُولُ وَضِدُّهُ
كَحَالِ قُرَيْشٍ حِينَ لَمْ يَقْبَلُوا الْهُدَى
وَقَدْ عَلِمُوا مِنْهَا الْمُرَادَ وَأَنَّهَا
فَقَالُوا كَمَا قَدْ قَالَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ
فَصَارَتْ بِهِ أَمْوَالُهُمْ وَدِمَاؤُهُمْ
وَتَالِثُهَا الْإِخْلَاصُ فَأَعْلَمَ وَضِدُّهُ
كَمَا أَمَرَ اللَّهُ الْكَرِيمُ نَبِيَّهُ
وَرَابِعُهَا شَرْطُ الْمَحَبَّةِ فَلْتَكُنْ
وَإِخْلَاصُ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ كُلِّهَا
وَمَنْ كَانَ ذَا حُبٍ لِمَوْلَاهُ إِنَّمَا
فَعَادِ الَّذِي عَادَى لِذَيْنِ مُحَمَّدٍ
وَأَحَبِّ رَسُولِ اللَّهِ أَكْمَلَ مَنْ دَعَى
أَحَبَّ مِنَ الْأَوْلَادِ وَالنَّفْسِ بَلْ وَمِنْ
وَطَّرِفِهِ وَالْوَالِدَيْنِ كَلَيْهِمَا
وَأَحَبُّ لِحُبِّ اللَّهِ مَنْ كَانَ مُؤْمِناً
وَمَا الذِّينُ إِلَّا الْحُبُّ وَالْبُغْضُ وَالْوَلَا
وَخَامِسُهَا فَالْإِنْفِيسَادُ وَضِدُّهُ
فَتَقَادُ حَقاً بِالْحُقُوقِ جَمِيعِهَا

بِهَا مُسْتَقِيماً فِي الطَّرِيقِ الْمُحَمَّدي
تَعَالَى وَلَا تُشْرِكْ بِهِ أَوْ تُنَدِّ
كَمَا قَالَهُ لِأَعْلَامٍ مِنْ كُلِّ مُهْتَدٍ
وَلَكِنْ عَلَى آرَاءِ كُلِّ مَلَدِّ
مِنَ الْجَهْلِ إِنَّ الْجَهْلَ لَيْسَ بِمُسْعِدٍ
بِمَدْلُولِهَا يَوْماً فَبِالْجَهْلِ مُرْتَدٍ
هُوَ الرَّدُّ فَافْهَمْ ذَلِكَ الْقَيْدَ تَرْشُدٍ
وَرَدُّهُ لَمَّا أَنْ عَتَوْا فِي التَّمَرُّدِ
تَدُلُّ عَلَى تَوْجِيهِهِ وَالتَّفَرُّدِ
بِسُورَةِ (ص) فَاعْلَمَنَّ ذَلِكَ تَهْتَدِ
حَلَالاً وَأَغْنَاماً لِكُلِّ مُوَحِّدٍ
هُوَ الشَّرْكُ بِالْمَعْبُودِ مِنْ كُلِّ مُلْحِدٍ
بِسُورَةِ تَنْزِيلِ الْكِتَابِ الْمُمَجِّدِ
مُحِبّاً لِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْهُدِ
كَذَا النَّفْيُ لِلشَّرِكِ الْمُفْنَدِ وَالذِّدِ
يَتِمُّ بِحُبِّ الذِّينِ دِينِ مُحَمَّدٍ
وَوَالِ الَّذِي وَالَاهُ مِنْ كُلِّ مُهْتَدِ
إِلَى اللَّهِ وَالتَّقْوَى وَأَكْمَلَ مُرْشِدِ
جَمِيعِ الْوَرَى وَالْمَالِ مِنْ كُلِّ أَثْلِدِ
بَابَائِنَا وَالْأُمَّهَاتِ فَتَقْتَدِ
وَأَبْغَضُ لِبُغْضِ اللَّهِ أَهْلَ التَّمَرُّدِ
كَذَاكَ الْبِرَا مِنْ كُلِّ غَاوٍ وَمُعْتَدِ
هُوَ التَّرْكُ لِلْمَأْمُورِ أَوْ فِعْلُ مُفْسِدِ
وَتَعْمَلُ بِالْمَفْرُوضِ حَتْمًا وَتَقْتَدِ

وَتَشْرِكُ مَا قَدْ حَرَّمَ اللَّهُ طَائِعاً
فَمَنْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ بِالْقَلْبِ مُسْلِماً
فَلَيْسَ عَلَى نَهْجِ الشَّرِيعَةِ سَالِكاً
وَسَادِسُهَا وَهُوَ الْيَقِينُ وَضِدُّهُ
وَمَنْ شَكَّ فَلْيُكَيِّ عَلَى رَفْضِ دِينِهِ
وَيَعْلَمُ أَنَّ الشَّكَّ يَنْفِي يَقِينَهَا
بِهَا قَلْبُهُ مُسْتَقِيماً جَاءَ ذِكْرُهُ
وَلَا تَنْفَعُ الْمَرْءَ الشَّهَادَةُ فاعْلَمَنَّ
وَسَابِعُهَا الصِّدْقُ الْمُنَافِي لِضِدِّهِ
وَعَارِفٌ مَعْنَاهَا إِذَا كَانَ قَابِلاً
وَطَابَقَ فِيهَا قَلْبُهُ لِلْسَانِهِ
وَمَنْ لَمْ يَقُمْ هَذِهِ الشُّرُوطُ جَمِيعُهَا
إِذَا صَحَّ هَذَا وَاسْتَقَرَّ فَإِنَّمَا
وَإِنْ لَهُ - فَاخْذَرْ هُدَيْتَ - نَوَاقِضاً
فَقَدْ نَقَضَ الْإِسْلَامَ وَارْتَدَّ وَاعْتَدَى
فَمِنْ ذَلِكَ شِرْكٌ فِي الْعِبَادَةِ نَاقِضٌ
كَمَنْ كَانَ يَعْدُو لِلْقَبَابِ بِذَبْحِهِ
وَجَاعِلٍ بَيْنَ اللَّهِ - بَعْياً - وَبَيْنَهُ
وَيَطْلُبُ مِنْهُمْ بِالْخُضُوعِ شَفَاعَةً
وَتَالِثُهَا مَنْ لَمْ يُكْفِّرْ لِكَافِرٍ
وَصَحَّحَ عَمداً مَذْهَبَ الْكُفْرِ وَالرَّدَى
وَرَابِعُهَا فَالاعْتِقَادُ بِأَنَّ مَا
لأَحْسَنُ حُكماً فِي الْأُمُورِ جَمِيعِهَا
كَحَالَةِ كَعْبٍ وَابْنِ أُحْطَبٍ وَالَّذِي

وَمُسْتَسْلِماً لِلَّهِ بِالْقَلْبِ تَرشُدُ
وَلَمْ يَكُ طَوْعاً بِالْجَوَارِحِ يَنْقُدُ
وَإِنْ خَالَ رُشداً مَا أَتَى مِنْ تَعَبُدِ
هُوَ الشَّكُّ فِي الدِّينِ الْقَوِيمِ الْمُحَمَّدي
وَيَعْلَمُ أَنَّ قَدْ جَاءَ يَوْماً بِمُؤَيِّدِ
فَلَا بُدَّ فِيهَا بِالْيَقِينِ الْمُؤَكَّدِ
عَنِ السَّيِّدِ الْمَعْصُومِ أَكْمَلَ مُرْشِدِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ مُسْتَقِيناً ذَا تَجَرُّدِ
مِنَ الْكَذِبِ الدَّاعِي إِلَى كُلِّ مُفْسِدِ
لَهَا عَامِلاً بِالْمُقْتَضَى فَهُوَ مُهْتَدِ
وَعَنْ وَاجِبَاتِ الدِّينِ لَمْ يَتَّبَلِّدِ
بِقَائِلِهَا يَوْماً فَلَيْسَ عَلَى الْهُدِيِّ
حَقِيقَتُهُ الْإِسْلَامُ فاعْلَمَهُ تَرشُدِ
فَمَنْ جَاءَ مِنْهَا نَاقِضاً فَلْيَجَدِّدِ
وَزَاغَ عَنِ السَّمْحَاءِ فَلْيَتَشَهَّدِ
وَذَبْحَ لِعَيْرِ الْوَاحِدِ الْمُتَفَرِّدِ
وَاللَّجِنِ فِعْلَ الْمُشْرِكِ الْمُتَمَرِّدِ
وَسَائِطَ يَدْعُوهُمْ فَلَيْسَ بِمُهْتَدِ
إِلَى اللَّهِ وَالزُّلْفَى لَدَيْهِ وَيَجْتَدِ
وَمَنْ كَانَ فِي تَكْفِيرِهِ ذَا تَرْدُدِ
وَذَا كُلُّهُ كُفْرٌ بِاجْتِمَاعِ مَنْ هُدِي
سِوَى الْمُصْطَفَى الْهَادِي وَأَكْمَلَ مُرْشِدِ
وَأَكْمَلَ مِنْ هُدِيِّ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ
عَلَى هَدْيِهِمْ مِنْ كُلِّ غَاوٍ وَمُعْتَدِ

لِشَيْءٍ أَتَى مِنْ هَدْيِ أَكْمَلِ سَيِّدٍ
بِمَا هُوَ ذَا بُغْضٍ لَهُ فَلْيَجِدْ
وَقَدْ جَاءَ نَصُّ ذِكْرِهِ فِي (مُحَمَّدٍ)
وَلَوْ بِعِقَابِ الْوَاحِدِ الْمُتَفَرِّدِ
عَلَى حَذِرٍ مِنْ ذَلِكَ الْقَيْلِ تَرْشِيدِ
فَرَاغِهِ فِيهَا عِنْدَ ذِكْرِ التَّهْدِيدِ
كَذَلِكَ رَاضٍ فِعْلُهُ لَمْ يُفْنِدِ
بِتَكْفِيرِهِ فَاطْلَبَهُ مِنْ ذَلِكَ تَهْتِيدِ
أَخِي حُكْمَ هَذَا الْمُعْتَدِي الْمُتَمَرِّدِ
يُعَانُ بِهَا الْكُفْرَ مِنْ كُلِّ مَلْحِدِ
عِيَاذًا بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ كُلِّ مُفْسِدِ
وَمِنْهُ بِلَاشِكِ بِهِ أَوْ تَرْدُدِ
وَجَاءَ عَنِ الْهَادِي النَّبِيِّ مُحَمَّدِ
وَصَاحِبِهِ لِاشْكِ بِالْكَفْرِ مُرْتَدِ
عَلَيْهِ أَتْبَاعُ الْمُصْطَفَى خَيْرِ مُرْشِدِ
يَسَعُهُ خُرُوجٌ عَنِ شَرِيعَةِ أَحْمَدِ
كَصَاحِبِ مُوسَى حَيْثُ لَمْ يَتَّقِدِ
وَمُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ فَافْهَمِ لِمَقْصِدِ
مَشَايِخِ أَهْلِ الْإِتِّحَادِ الْمُفْنِدِ
يُسَمَّى ابْنَ رُشْدٍ وَالْحَفِيدِ الْمُلْدِدِ
بِفُصُوصِ وَمَنْ ضَاهَاهُمْ فِي التَّمَرِّدِ
فَلَا يَتَعَلَّمُهُ فَلَيْسَ بِمُهْتَدِ
بِهِ فَهُوَ فِي كُفْرَانِهِ ذُو تَعْمُدِ
إِذَا رُمْتَ أَنْ تَنْجُو وَلِلْحَقِّ تَهْتَدِ

وَخَامِسُهَا يَا صَاحِبَ مَنْ كَانَ مُبْغِضًا
فَقَدْ صَارَ مُرْتَدًا وَإِنْ كَانَ عَامِلًا
وَذَلِكَ بِالْإِجْمَاعِ مِنْ كُلِّ مُهْتَدِ
وَسَادِسُهَا مَنْ كَانَ بِالِدَيْنِ هَازِنًا
وَحُسْنُ ثَوَابِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ فَلْتَكُنْ
وَقَدْ جَاءَ نَصُّ فِي (بِرَاءَةِ) ذِكْرُهُ
وَسَابِعُهَا مَنْ كَانَ لِلْسَّحْرِ فَاعِلًا
وَفِي سُورَةِ (الرَّهْرَاءِ) نَصُّ مُصْرِّحٍ
وَمِنْهُ لَعْمَرِي الصَّرْفُ وَالْعَطْفُ فَاعْلَمَنَّ
وَتَامُنْهَا وَهِيَ الْمُظَاهَرَةُ الَّتِي
عَلَى الْمُسْلِمِينَ الطَّائِعِينَ لِرَبِّهِمْ
وَمَنْ يَتَوَلَّى كَافِرًا فَهُوَ مِثْلُهُ
كَمَا قَالَهُ الرَّحْمَنُ جَلَّ جَلَالُهُ
وَتَاسِعُهَا وَهُوَ اعْتِقَادُ مُضَلَّلٍ
كَمُعْتَقِدٍ أَنْ لَيْسَ حَقًّا وَوَاجِبًا
فَمَنْ يَعْتَقِدُ هَذَا الضَّلَالَ وَأَنَّهُ
كَمَا كَانَ هَذَا فِي شَرِيعَةِ مَنْ خَلَا
هُوَ الْخَضِرُ الْمَقْصُوصُ فِي (الْكَهْفِ) ذِكْرُهُ
وَهَذَا اعْتِقَادُ لِلْمَلَايِدَةِ الْأُولَى
كَنَحْوِ ابْنِ سَيْنَا وَابْنِ سَبْعِينَ وَالَّذِي
وَشَيْخِ كَبِيرٍ فِي الضَّلَالَةِ صَاحِبِ الْ
وَإِعْرَاضُ عَنِ دِينِ رَبَّنَا
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ عَامِلًا
وَلَا فَرَّقَ فِي هَدْيِ التَّوَاقِضِ كُلِّهَا

هُنَالِكَ بَيْنَ الْهَزْلِ وَالْجِدِّ فاعْلَمَنَّ
سِوَى الْمُكْرَهِ الْمَضْهُودِ أَنْ كَانَ قَدْ أَتَى
وَحَازِرٌ، هَذَاكَ اللَّهُ، مِنْ كُلِّ نَافِضٍ
وَكَُنْ بَادِلًا لِلْجِدِّ وَالْجُهْدِ طَالِبًا
وَإِيَّاهُ فَارْغَبْ فِي الْهَدَايَةِ لِلْهُدَى
وَصَلِّ إِلَهِي مَا تَأَلَّقَ بَارِقُ
تَوُّمٌ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَمَا سَرَى
وَمَا لَاحَ نَجْمٌ فِي دُجَى اللَّيْلِ طَافِحُ
عَلَى السَّيِّدِ الْمَعْصُومِ أَفْضَلَ مُرْسَلِ
وَالٍ وَأَصْحَابٍ وَمَنْ كَانَ تَابِعًا

وَلَا رَاهِبٍ مِنْهُمْ لِحَوْفِ التَّهْدِيدِ
هُنَالِكَ بِالشَّرْطِ الْأَصِيدِ الْمُؤَكَّدِ
سِوَاهَا، وَجَانِبَهَا جَمِيعًا لِتَهْتَدِ
وَسَلْ رَبَّكَ التَّثْبِيتَ أَيُّ مُوَحِّدِ
لَعَلَّكَ أَنْ تَنْجُو مِنَ النَّارِ فِي غَدِ
وَمَا وَحَدَّثَ قُودٌ بِمَوْرِ مُعَبَّدِ
نَسِيمُ الصَّبَا أَوْ شَاقَ صَوْتُ الْمُعْرَدِ
وَمَا انْهَلَّ صَوْبُ فِي عَوَالٍ وَوَهْدِ
وَأَكْرَمَ خَلَقِ اللَّهِ طُرًّا وَأَجُودِ
صَلَاةً دَوَامًا فِي الرُّوَاكِ وَفِي الْعَدِ

اللَّهُمَّ أَحْيِي قُلُوبًا أَمَاتَهَا الْبُعْدُ عَنْ بَابِكَ، وَلَا تُعَذِّبْنَا بِالْإِيمِ عِقَابِكَ يَا أَكْرَمَ
مَنْ سَمَحَ بِالتَّوَالِ وَجَادَ بِالْإِفْضَالِ، اللَّهُمَّ أَبْقِظْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِلُطْفِكَ وَإِحْسَانِكَ،
وَتَجَاوَزْ عَنْ جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«نبذة من زهده صلى الله عليه»

كان رسول الله صلى الله عليه أزهد الناس، ويكفيك في تعريف ذلك أن فقره
كان فقر اختياري لا فقر اضطراري.

لأنه صلى الله عليه فتحت عليه الفتوح وجلبت إليه الأموال، ومات ودرعه
مرهونة عند يهودي في نفقة عياله، وهو يدعو: اللهم اجعل رزق آل محمد
قوتاً.

وقالت عائشة رضي الله عنها: ما شبع رسول الله صلى الله عليه ثلاثة أيام تباعاً من

تُخبِز حتى مَضَى لِسَبِيلِهِ، ولو شاء لأَعْطَاهُ اللهُ ما لا يَخْطُرُ بِبَالٍ.

وعنها قالت: ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا شاة ولا درهماً ولا بعيراً
ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبدٍ إلا شطر شعير في رَفِّ لي.

وقال لي: إني عَرَضَ عَلَيَّ ربي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً، فقلتُ
لا يارب أَجُوعُ يوماً وأشبع يوماً، فأما اليوم الذي أَجُوع فيه فأتضرع إليك
وأدعوك، وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمُدك وأثني عليك.

وعنها قالت: إن كُنَّا آل محمد لنمُكُثُ شهراً ما نَسْتَوْقِدُ ناراً، إن هو إلا
التمر والماء.

وعنها قالت: لم يمتل جَوْفُ النبي ﷺ شَبَعاً قط، ولم يُّث إلى أحدٍ
شكوى.

وكانت الفاقة أَحَبَّ إليه من الغنى، وإن كان لَيَظُلُّ جائعاً يَلْتَوِي طُولَ
ليلته من الجوع، فلا يَمْنَعُهُ مِنْ صِيَامِ يوم ولو شاء لَسَأَلَ ربه جميع كُنُوزِ
الأرض وثمراتها ورغد عيشها.

ولقد كنتُ أبكي له رحمةً مما أرى به وأمسحُ بيدي على بطنه مما به من
الجوع، وأقول نفسي لك الفداء، لو تَبَلَّغْتَ مِنَ الدُّنْيَا بما يَقُوتُكَ.

فيقول يا عائشة ما لي وللدُّنْيَا إخواني أولو العزمِ مِنَ الرسل صَبَرُوا على ما
هُوَ أَشَدُّ مِنْ هَذَا فَمَضَوْا على حالهم فَقَدِمُوا على ربهم وأكرمَ ما بهم وأجزَلَ
ثوابهم.

وأجدني أَسْتَحِي إن تَرَفَّهْتُ في مَعِيشَتِي أن يُقَصِّرَني غداً دُونَهُم.

وما مِنْ شيءٍ أَحَبُّ إلي مِنَ اللُّحُوقِ بإخواني وأخلائي، قالت: فما أقام
بعد إلا شهراً ثم توفي ﷺ.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رفع رسول الله ﷺ قطُّ غَدَاءً
لِعِشَاءٍ وَلَا عِشَاءً قَطُّ لِعَدَاءٍ.

ولا اتخذ من شيء زوجين لا قميصين ولا ردائين ولا إزارين، ومن النعال
ولا رثى قط فارغاً في بيته إما يخصف نعلا لرجل مسكين أو يخيط ثوباً لأرملة.

وعن أنس بن مالك أن فاطمة عليها السلام جاءت بكسرةٍ حُبْزٍ إلى النبي
ﷺ، فقال: ما هذه الكسرة يا فاطمة؟

قالت: قرص حَبْزته فلم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة، فقال: أما
إنه أول طعامٍ دَخَلَ فَمَ أَيْبِكُ مُنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ.

وروى مسلم عن النعمان قال: ذكر عمر ما أصاب الناس من الدنيا،
فقال: لقد رأيتُ رسول الله ﷺ يظلم يلتوي ما يجد من الدقل ما يَمَلَأُ بطنه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن كان ليمر بآل رسول الله ﷺ
الأهله ما يُسْرَجُ في بيت أحد منهم سراج ولا يوقد فيه نار إن وجدوا زيتاً
إدهنوا به وإن وجدوا ودكاً أكلوه رواه أبو يعلى ورواه ثقة.

وعن عبدالله بن مسعود قال: نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد
أثر في جنبه، قلنا يارسول الله لو اتخذنا لك وطاء.

فقال: ما لي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب أستظل تحت شجرة ثم
راح وتركها، رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه.

قال عمر بن الخطاب: دخلت على رسول الله ﷺ وهو على حصير
فجلستُ فإذا عليه إزاره وليس عليه غيره وإذا الحصيرُ قد آثَرَ في جَنْبِهِ.

وإذا أنا بقبضةٍ من شعير نحو الصاع وقرظ في ناحية الغرفة، وإذا إهاب
معلق (الإهاب: الجلد) فابتدرت عيني.

فقال: ما يُبْكِيكَ يا ابن الخطاب؟ فقلتُ: يا نبي الله وما لي لا أبكي وهذا الحصر قد أثر في جنبك، وهذه خزانة لا أرى إلا ما أرى.
وذاك كسرى وقصر في الثار والأنهار وأنت نبي الله وصفوته وهذه خزانة.

قال: يا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا، رواه ابن ماجه بإسناد صحيح والحاكِمُ وقال على شرط مسلم.

روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت توفي رسول الله ﷺ وما في رفي من شيء يأكله إلا شطر شعير في رفي لي فأكلت منه حتى طال علي فكلته ففني.

عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يبيت الليالي المتتابعة طاوياً، وأهله لا يجدون عشاءً، وكان عامة خبزهم الشعير.

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يشدُّ صلبه بالحجر من العرث أي الجوع.

بينما عائشة، رضي الله عنها تُحدِّثُ ذات يومٍ إذ بكَّت. قيل لها: ما يبكيك يا أم المؤمنين؟ قالت: ما ملأت بطني من طعام، فشئت أن أبكي إلا بكيت أذكر رسول الله ﷺ وما كان فيه من الجهد.

وعنها أيضاً أن رسول الله ﷺ كانت تأتي عليه أربعة أشهر ما يشبع من خبز بُر.

وعنها أيضاً: قالت: ما شبع آل محمد ثلاثاً من خبز بُر حتى قبض، وما رُفِعَ عن مائدته كسرةً فضلاً، حتى قبض.

عن الحسن (البصري) قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: «والله ما أُمسى في آل محمد صاعٌ من طعام»، وأنها لتسعة أبيات (بيوت زوجاته).
والله ما قالها استقلالاً لرزق الله، ولكن أراد أن تتأسى به أمته.

عن ابن عباس قال: والله لقد كان يأتي على آل محمد ﷺ الليالي ما يجدون فيها عشاءً.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما شبع رسول الله ﷺ في يوم مرتين حتى لحق بالله، ولا رفعنا له فضل طعام عن شبع حتى لحق بالله، إلا أن نرفعه لغائبٍ. فقيل لها: ما كانت معيشتكم؟ قالت: الأسودان: الماء والتمر. وقالت: وكان لنا جيران من الأنصار لهم ربائب يسقوننا من لبنها، جزاهم الله خيراً.

عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ لم يجمع له غداء ولا عشاءً من خبز ولحم إلا على ضقف.

اللَّهُمَّ تَوَزَّ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَأَعِنَّا عَلَى أَنْفُسِنَا وَالشَّيْطَانِ وَأَيْسُهُ مِنَّا كَمَا أَيْسَتْهُ مِنْ رَحْمَتِكَ يَا رَحْمَانُ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فصل»

عن أنس بن مالك قال شهدت للنبي ﷺ وليمة ما فيها خبز ولا لحم. وعن أنس بن مالك قال: ما أعلم رسول الله ﷺ رأى رغيفاً مرفقاً بعينه حتى لحق بربه، ولا شاةً سميطةً قط.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما اجتمع في بطن النبي ﷺ طعامان في يوم قط، إن أكل لحماً لم يزد عليه، وإن كان تمرأ لم يزد عليه، وإن أكل خبزاً لم يزد عليه. وكان رجلاً مسقماً، وكانت العرب تنعت له فيتداوى بما تنعت له العرب، وكانت العجم تنعت له فيتداوى.

عن أبي نضر قال: سمعت عائشة رضي الله عنها تقول: إني لجالسة مع رسول الله ﷺ في البيت. فأهدى لنا أبو بكر رجلاً شاةً فإني لأقطعها مع

رسول الله ﷺ في ظلمة البيت . فقال لها قائل : أما كان لكم سراج ؟ فقالت : لو كان لنا ما يُسْرَجُ به اكلناه .

عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : لقد مات رسول الله ﷺ وما شبع من خُبْزٍ وزيتٍ في يومٍ مرتين .

عن عائشة قالت : بلغني أن الرجل منكم يأكل من ألوان الطعام حتى يلتمس لذلك دواءً يمرئه . فذكرتُ نبيكم ﷺ فذاك الذي أبكاني : خرج من الدنيا ولم يملاً بطنه في يومٍ من طعامين : كان إذا شبع من التمر لم يشبع من الخبز ، وإذا شبع من الخبز لم يشبع من التمر .

عن أنس بن مالك قال : ما يُرفع بين يدي رسول الله ﷺ شيءٌ قط ، ولا حُمِلت معه طِنْفَسَةٌ يجلس عليها .

أخبرني الأعرج عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يجوع . قلت لأبي هريرة : وكيف ذلك الجوع ؟ قال : لكثرة مَنْ يغشاه وأضيافه ، وقوم يلزمونه لذلك ، فلا يأكل طعاماً أبداً إلا ومعه أصحابه ، وأهل الحاجة يتبعونه من المسجد . فلما فتح الله خير ، اتسع الناسُ بعض الاتساع ، وفي الأمر بُعدُ ضيقٍ والمعاش شديد . هي بلادٌ ظلفٌ لا زرع فيها ، إنما طعامُ أهلها التمر ، وعلى ذلك أقاموا .

ورُوِيَ عن جابر رضي الله عنه قال : حضرنا عرسَ علي وفاطمة فما كان عرساً كان أحسنَ منه حَشَوْنَا الفِرَاشَ يعني من الليف .

وأوتينا بتمر وزيت فأكلنا وكان فراشها ليلة عرسها إهاب كبش ، رواه البزار . (الإهاب : الجلد) .

عن عامر الشعبي قال : قال علي رضي الله عنه : لقد تزوجتُ فاطمة ، وما لها ولي فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه الناضح بالنهار ، وما لي ولها خادم غيرها .

وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما زوجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة آدم حشوها ليف ورَحِيَّين وسِقَاءٍ وَجَرَّتَيْنِ .

فقال علي لفاطمة ذات يوم: والله سنوتُ حتى اشتكيتُ صدري (المعنى تعبتُ من إخراج الماء من البئر) وقد جاء الله بسبي فاذهبِي فاستخدمِيه (أي اطلبي منه خادماً).

فقالت: وأنا والله لقد طحنتُ حتى مَجَلتُ يَدَي من العمل فَأَتتِ النبي ﷺ فقال: ما جاء بكِ وما حاجتكِ أَي بُنيَّة، قالت: جئتُ لأَسَلَمَ عَلَيْكَ واستحييتُ أن تَسألَهُ فَرَجَعَتْ .

فقال علي: ما فَعَلتِ؟ قالت: اسْتَحَيْتُ أن أسأله، فَأَتياه جَمِيعًا فقال علي: يارسول الله والله لقد سنوتُ حتى اشتكيتُ صدري.

وقالت فاطمة: لقد طحنتُ حتى مَجَلتُ يَداي، وقد جاءك الله عز وجل بسبي وسعة فأخِدمنا.

فقال: والله لا أعطيكمَا وَأَدعُ أهل الصُّفَّةِ تطوى بطوئهم لا أجدُ ما أنفق عليهم، ولكني أبيعهم وأنفق عليهم.

فرجعَا وأتاها النبي ﷺ، وقد دخلا في قطيفتهما إذا غَطيا رؤسُهُمَا تَكشَفَتْ أقدامُهُمَا، وإذا غَطيا أقدامَهُمَا تَكشَفَتْ رؤسُهُمَا فتشاورا فقال: مكانكما.

ثم قال: ألا أخبرُكما بحيرٍ مما سألتُماني، قالوا: بلى. قال: كلمات عَلَمَنِهِنَّ جَبْريلُ تُسبحانِ في دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَتَحَمَدانِ عَشْرًا، وَتُكَبِّرانِ عَشْرًا.

وإذا أويئُما إلى فراشِكُما، فسبِحا ثلاثًا وثلاثين وأحمدا ثلاثًا وثلاثين، وكبرا أربعًا وثلاثين، وقال: فوالله ما تَرَكتُهُنَّ منذ عَلَمَنِهِنَّ رسول الله ﷺ.

عن بريدة قال : سمع النبي ﷺ رجلاً يقول : اللهم أني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

فقال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى» أخرجه أبو داود والترمذي .
وعن أنس رضي الله عنه قال : دعا رجل فقال : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والاکرام يا حي يا قيوم .

فقال النبي ﷺ : أتدرون بما دعا؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : «والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أعطى» ، أخرجه أصحاب السنن .

عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله ﷺ : «دعوة ذى النون إذ دَعَى وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سُبحانَكَ إني كنت من الظالمين» .
فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب له ، رواه الترمذي والنسائي والحاكم وقال صحيح الإسناد .

وعن معاوية بن أبي سفيان قال : سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول مَنْ دَعَا بهؤلاء الكلمات الخمس لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه «لا إله إلا الله والله أكبر لا إله إلا وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله» رواه الطبراني بإسناد حسن .

وعن معاذ بن جبل قال : سمع رسول الله ﷺ رجلاً وهو يقول : (يا ذا الجلال والاکرام) فقال : «قد استجيبَ لكَ فَسَلْ» رواه الترمذي .

قال أحد العلماء : (إن الذكر باعتباره وسيلة القرب من الله هو دائماً دعاء

وإنَّ الدُّعَاءَ وَهُوَ التَّضَرُّعُ وَالْخُضُوعُ لِلَّهِ تَعَالَى هُوَ دَائِمًا ذِكْرًا .

وليس بينهما مِنْ فَرْقٍ إِلَّا فِي اللَّوْنِ وَالشَّكْلِ .

وقد وردت الآثارُ بما تقولُ : فقد وردَ في الأحاديثِ الشَّريفة أنَّ الله تعالى يقول : « مَنْ شغله القرآنَ وذكرني عن مسألتِي أعطيته أفضل ما أُعطي السائلين » .

وقد ورد في القرآن الكريم عن سيدنا يونس أنه حينما التقمه الحوتُ نجَّاه تسيحه : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ .

وفي سورة «نون» يندمُ أصحاب الجنة - الحديقة - التي طافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ .. على أنهم لم يكونوا من المسبحين ، وخطبهم أوسطهم قائلاً : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ ؟

والاستغفار ؟ .

إنه ذكر لا يتضمن دعاء لفظياً ولكن الثمرات المترتبة عليه هائلة نفيسة . يقول تعالى : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ .

إنَّ الاستغفار ثمرته :

(١) المغفرة .

(٢) والغيث (المطر الذي يروي الأرض فينبت الزرع ويروي به الناس والأنعام ظمأهم) .

(٣) وإمداد الله للمستغفر بالأموال .

(٤) وإمداده له بالبنين .

وأكثر من ذلك ..

يقول الله تعالى : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ ثَابِعُوا إِلَيْهِ ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴾ ، وَمِنْ ثَمَارِهِ إِذَنْ زِيَادَةُ الْقُوَّةِ .

اللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ النِّفَاقِ وَعَمَلْنَا مِنَ الرِّبَايَةِ وَالسِّتْنَةِ مِنَ الكَذِبِ وَأَعِينَنَا مِنَ الخِيَانَةِ وَأَذَانَنَا عَنِ الاستِمَاعِ إِلَى مَا لَا يُرْضِيكَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقِّقْنَا بِالصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فِصْلٌ »

ولقد حدث في مصر أن أحد الأثرياء الصالحين لم يجد سبيلاً - في فترة من الفترات - لري أرضه، وكاد الزرع يصبح حطاماً، فجلس الرجل وسط مزرعته الفسيحة .. وقال : اللهم إنك قلت .. وقولك الحق : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ﴾ وها أنا ذا يارب أستغفرك راجياً أن تفيض علينا من رحمتك .

ثم أخذ في الاستغفار .. ومضت ساعات وهو يتابع الاستغفار في همّة وفي ثقة بموعد الله تعالى ، وإذا بالسماء تتلبد بالغيوم .. وإذا بالمطر ينزل فياضاً مدراراً .

ومن المعروف أن الصالحين حينما يصيهم ضعف يلجؤون إلى الله بالاستغفار فيتحقق لهم وعده : ﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴾ .

- وليست هذه فحسب ثمار الاستغفار .. وذلك أنه أيضاً يمنع أن يصيب العذاب الإنسان .

(٦) ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ .

(٧) ثم .. يقول رسول الله ﷺ :

«مَنْ لَزِمَ الاستِغْفَارَ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجاً، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» .

وثمار الاستغفار أوسع من ذلك في الدنيا والآخرة .

وَألم يقل رسول الله ﷺ : «أفضلُ الدُّعَاءِ : الحمد لله» ؟ و «الحمد لله» أليست ذكراً؟

وإذا كان من الذكر ما هو دعاء، أو إذا كان الذكر كله دعاء.. فإنَّ الدعاءَ أيضاً يكون بغير الدعاء اللفظي وبغير الذكر :

فالإكثار من التوبة دعاءً وذكراً، ويترتب على الإكثار منه ما يقوله الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ .

وإذا أحبَّ اللهُ عبداً من عبادِهِ بسبب الإكثار من التوبة فإنه يترتبُ على هذا الحب آثاره :

«فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَإِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيذَنَّهُ» .

وإذا كانت التوبة ذكراً أو دعاءً فإنَّ التقوى دعاءٌ نفيس .

ألا ترى ما يقوله الله تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ ؟

إنَّ الله سبحانه يجعل له مخرجاً من كلِّ همٍّ وضيقٍ وأزمةٍ بسبب تقواه ويرزقه الله من حيث يدرى ولا يدرى .

ويقول سبحانه : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾ .

يُسِّرُ سبحانه أُمُورَهُ كلها .

ويقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾.

(إِنْتَهَى)

قصيدة فيها تضرُّعٌ إلى رَبِّ العِزَّةِ والجلالِ والكبرياءِ والعظمة:

يَاذَا الجَلالِ وَيَاذَا الجُودِ والكَرَمِ
ذَنبِي عَظِيمٌ وَأَرْجُو مِنْكَ مَغْفِرَةً
دَعَوْتُ نَفْسِي إِلَى الخَيْرَاتِ فامْتَنَعَتْ
خَسِرْتُ عُمْرِي وَقَدْ فَرَطْتُ فِي زَمَنِي
حَمَلْتُ ثِقَلًا مِنَ الأوزارِ فِي صِعْرِي
رَاحَ الشَّبَابُ ووَلَّى العُمُرُ فِي لَعِبِ
زَمَانِ عَزَمِي قَدْ ضَيَعْتُهُ كَسَلًا
قَدْ انْقَضَتْ عَيْشَتِي بِالذُّلِّ والأَسْفِي
ذِي حَالَتِي وانكِسارِي لا تُخَيِّبِنِي
أُتَيْتُ بِالذُّلِّ والتَّقْصِيرِ والنَّدَمِ
سَارَ المَجْدُونَ فِي الخَيْرَاتِ واجتهدُوا
شِفَاءَ قَلْبِي ذِكْرُ اللَّهِ خَالِقِنَا
صَفَتْ لِأَهْلِ التَّقَى أوقائِهِم سَعِدُوا
ضَيَعْتُ عُمْرِي ولا قَدَمْتُ لِي عَمَلًا
طُوبَى لِعَبْدٍ أَطَاعَ اللَّهَ خَالِقَهُ
ظَهَرِي ثَقِيلٌ بِذَنبِي آه والأَسْفِي
أَرْجُوكَ يَاذَا العَلا كَرِي تُفَرِّجُهُ
عَفَلْتُ عَن ذِكْرِ مَعْبُودِي وطَاعَتِهِ
فاغْفِرْ ذُنُوبِي وَكُنْ يارَبِّ مُنْقِذَنَا
قَدْ أَثَقَلْتَنِي ذُنُوبٌ ما لَهَا أَحَدٌ

قَدْ جِئْتُكَ خائِفاً مِنْ زَلَّةِ القَدَمِ
ياوَاسِعِ العَفْوَ والغُفْرانِ والكَرَمِ
وأعْرَضْتَ عَن طَرِيقِ الخَيْرِ والنَّعَمِ
في غَيْرِ طاعةِ مَولايَ فَيانَدِمِي
ياحْجَلِي في غَدٍ مِنْ زَلَّةِ القَدَمِ
وما تَحَصَّلْتُ مِنْ خَيْرٍ وَلَمْ أَقِمِ
والعُمُرُ مِنِّي انْقَضَى فِي غَفْلَةِ الحُلُمِ
إِنْ لَمْ تَجِدْ خالِقِي بالعَفْوَ والكَرَمِ
إِذا وَقَعْتُ ذَلِيلًا حَافِي القَدَمِ
أَرْجُو الرِّضا مِنْكَ بالغُفْرانِ والكَرَمِ
يافُوزَهُم غَنِمُوا الجَناتِ والنَّعَمِ
يافُوزَ عَبيدِ إلى الخَيْرَاتِ يَسْتَقِمِ
نالُوا الهَنا والمُنَى بالخَيْرِ والكَرَمِ
أَنجُو بِهِ يَوْمَ هَوْلِ الخَوْفِ والزَّحَمِ
وقامَ جَنحَ الدُّجى بالدَّمعِ مُنْسَجِمِ
يَوْمَ اللِّقاءِ إِذَ الأُقدامُ فِي زِحَمِ
واشْفِ بِفَضْلِكَ لِي لِلوَايِ مَعَ سَقَمِي
وقَدْ مَشَيْتُ إلى العَصيانِ فِي هِمِمِ
مِنَ الشَّدائِدِ والأَهْوالِ والشُّهُمِ
سِوَاكَ ياغافِرَ الزَّلَّاتِ واللَّمَمِ

كُنْ مُنْجِدِي يَا إِلَهِي وَاغْفُ عَن زَلَلِي
 لَأَحَ الْمَشِيْبُ وَوَلِي الْعُمُرُ فِي لَعِبِ
 مَضَى زَمَانِي وَمَا قَدَّمْتُ مِنْ عَمَلٍ
 تَامَتْ عُيُونِي وَأَهْلُ الْخَيْرِ قَدْ سَهَرُوا
 قَامُوا إِلَى ذِكْرِ مَوْلَاهُمْ فَقَرَّبَهُمْ
 وَلَيْسَ لِي غَيْرَ الْخَلْقِ مِنْ سَنَدٍ
 لَا أُرْتَجِي أَحَدًا يَوْمَ الرَّحَامِ سِوَى
 ثَمِ الصَّلَاةِ عَلَى الْخِتَارِ مِنْ مُضِرِّ

اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهِجَ الْمُفْلِحِينَ وَأَلْبَسْنَا خِلْعَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ، وَخَصَّنَا
 مِنْكَ بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ، وَوَقَّفْنَا لِقَوْلِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ وَخَلَصْنَا مِنَ الْبَاطِلِ وَابْتِدَاعِهِ،
 وَكُنْ لَنَا مُؤَيَّدًا وَلَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدًا وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشًا رَعْدًا وَلَا تُشِمْتْ بِنَا
 عَدُوًّا وَلَا حَاسِدًا، وَرَزُقْنَا عِلْمًا نَافِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا، وَفَهَمًا ذَكِيًّا صَفِيًّا وَشِفَاءً
 مِنْ كُلِّ دَاءٍ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مُكْتَبِينَ لِدِكْرِكَ مُؤَدِّينَ لِحَقِّكَ حَافِظِينَ لِأَمْرِكَ رَاجِينَ
 لِرِغَابِكَ رَاضِينَ فِي جَمِيعِ حَالَاتِنَا عِنْدَكَ، رَاجِينَ فِي كُلِّ أُمُورِنَا إِلَيْكَ مُؤْمِلِينَ
 لِفَضْلِكَ شَاكِرِينَ لِنِعْمِكَ، يَا مَنْ يَجِبُ الْعَفْوُ وَالْإِحْسَانُ، وَيَأْمُرُ بِهِمَا أَعْفُ عَنَا،
 وَأَحْسِنْ إِلَيْنَا، فَإِنَّكَ بِالَّذِي أَنْتَ لَهُ أَهْلٌ مِنْ عَفْوِكَ أَحَقُّ مِنَّا بِالَّذِي نَحْنُ لَهُ أَهْلٌ
 مِنْ عِقُوبَتِكَ.

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ رَجَاءَكَ فِي قُلُوبِنَا، واقطعه عَمَّنْ سِوَاكَ، حتى لا تُرْجُوا غَيْرَكَ
 ولا نستعين إلا بإيك، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَيَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ احِينَا فِي الدُّنْيَا مُؤْمِنِينَ طَائِعِينَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ تَائِبِينَ، اللَّهُمَّ أَعِدْنَا
 مِنْ أَلْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَضَلَعِ الدِّينِ وَعَلَبَةِ الرِّجَالِ

وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصَلِّ»

إِعْلَمْ وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنَّ السَّلَامَ تَحِيَّةُ
الْمُؤْمِنِينَ ، وَشِعَارُ الْمُؤَحِّدِينَ ، وَدَاعِيَةٌ لِلْإِخَاءِ وَالْإِلْفَةِ وَالْمَحَبَّةِ بَيْنَ إِخْوَانِهِم
الْمُسْلِمِينَ ، وَالسَّلَامُ تَحِيَّةُ مُبَارَكَةٍ ، وَصِفَةُ طَيِّبَةٍ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ
الْكَرِيمِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ
اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى
تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾ ، وَالسَّلَامُ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَحِيَّةَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي دَارِ
النَّعِيمِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ .

وإبتداءُ السَّلَامِ سُنَّةٌ مُسْتَحَبَّةٌ ، وَكَيْسَ بِوَاجِبٍ ، وَهُوَ سُنَّةٌ كِفَايَةٌ فَإِنْ كَانَ
الْمُسَلِّمُ جَمَاعَةً كَفَى عَنْهُمْ وَاحِدٌ يُسَلِّمُ وَلَوْ سَلَّمُوا كُلُّهُمْ كَانَ أَفْضَلُ وَرَفَعَ
الصَّوْتِ بِإِبْتِدَاءِ السَّلَامِ سُنَّةٌ ، لِيَسْمَعَهُ الْمُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ كُلُّهُمْ سَمَاعًا مُحَقَّقًا
لِحَدِيثِ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ .

وَإِنْ سَلَّمَ عَلَى أَيْقَاطٍ وَنِيَامٍ أَوْ سَلَّمَ عَلَى مَنْ لَا يَعْلَمُ هَلْ هُمْ أَيْقَاطٌ أَوْ نِيَامٌ
خَفِضَ صَوْتَهُ ، بِحَيْثُ يُسْمَعُ الْأَيْقَاطُ وَلَا يُوقِظُ النَّيَامَ ، وَلَوْ سَلَّمَ عَلَى إِنْسَانٍ ثُمَّ
لَقِيَهُ عَلَى قُرْبٍ سُنَّ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيْهِ ثَانِيًا وَثَالِثًا وَأَكْثَرَ .

وَيُسْنُ أَنْ يَبْدَأَ قَبْلَ الْكَلَامِ ، لِحَدِيثِ مَنْ بَدَأَ بِالْكَلامِ قَبْلَ السَّلَامِ فَلَا
تُجِيبُوهُ . فَيَنْبَغِي لَكَ أَيُّهَا الْأَخُ أَنْ تَنْصَحَ كُلَّ مَنْ ابْتَدَأَكَ بِغَيْرِ السَّلَامِ وَتَعْلِمَهُ
بِالْحَدِيثِ نُحْصُوصًا الْمَكْلَمِينَ لَكَ بِالتَّلْفُونَ بِقَوْلِهِمْ أَلْ أَلْ وَلَا يَتْرُكُ السَّلَامَ إِذَا
كَانَ يَغْلِبُ عَلَى طَنِّهِ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِ .

وإن دَخَلَ عَلَى جَمَاعَةٍ فِيهِمْ عُلَمَاءُ سَلَّمَ أَوَّلًا عَلَى الْجَمِيعِ، ثُمَّ سَلَّمَ عَلَى
الْعُلَمَاءِ سَلَامًا ثَانِيًا تَمَيِّزًا لِمَرْتَبَتِهِمْ وَكَذَا لَوْ كَانَ فِيهِمْ عَالِمٌ وَاحِدٌ، خَصَّهُ
بِالسَّلَامِ ثَانِيًا.

وَلَا يُسَلَّمُ عَلَى امْرَأَةٍ أَجْنَبِيَّةٍ غَيْرِ زَوْجَةٍ لَهُ، أَوْ ذَاتِ مَحْرَمٍ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ
عَجُوزًا غَيْرَ حَسَنَاءٍ أَوْ تَكُونَ بَرِيْرَةً، وَالْمُرَادُ أَنَّهَا لَا تُشْتَهَى لِأَمْنِ الْفِتْنَةِ وَيُكْرَهُ
السَّلَامُ فِي الْحَمَامِ وَيُكْرَهُ السَّلَامُ عَلَى مَنْ يَأْكُلُ وَعَلَى مَنْ يُقَاتِلُ لِاسْتِعَالِهِ.

وَيُكْرَهُ السَّلَامُ عَلَى مَنْ يَبْحَثُونَ فِي الْعِلْمِ، وَعَلَى مَنْ يُؤذَنُ، وَعَلَى مَنْ يَقِيمُ
وَمُحَدِّثٍ بِتَشْدِيدِ الدَّلَالِ وَخَطِيبٍ وَوَاعِظٍ وَمُسْتَمِعٍ.

وَيُكْرَهُ السَّلَامُ عَلَى مُكَرَّرٍ فَقِهِ، وَمُدْرَسٍ فِي عِلْمٍ مَشْرُوعٍ، أَوْ مُبَاحٍ
وَيُكْرَهُ السَّلَامُ عَلَى مَنْ يَبْحَثُونَ فِي الْعِلْمِ.

وَيُكْرَهُ السَّلَامُ عَلَى مَنْ يَقْضِي حَاجَتَهُ، وَيُكْرَهُ عَلَى مَنْ يَتَمَتَّعُ بِأَهْلِهِ وَعَلَى
مُشْتَغِلٍ بِالْقَضَاءِ، وَنَحْوِهِمْ مِنْ كُلِّ مَنْ لَهُ شُغْلٌ عَنِ رَدِّ السَّلَامِ وَيُكْرَهُ أَنْ
يَخُصَّ بَعْضَ طَائِفَةٍ لِقِيَّتِهِمْ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ بَعْضُهُمْ مِمَّنْ يَجِبُ هَجْرُهُ، أَوْ
يُسْتَحَبُّ.

وإن بَدَأَ بِالسَّلَامِ جَمِيعًا، وَجَبَ عَلَى كُلِّ مِنْهُمَا الرَّدُّ، وَلَا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ
يَدِ مَنْ يُصَافِحُهُ، حَتَّى يَنْزِعَ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ، إِلَّا لِحَاجَةٍ كَحَيَاتِهِ مِنْهُ وَنَحْوِهِ وَقَدْ
نَظَّمَ بَعْضُهُمُ الْمَوَاضِعَ الَّتِي يُكْرَهُ فِيهِ السَّلَامُ فَقَالَ:

سَلَامُكَ مَكْرُوهٌ عَلَى مَنْ سَتَسْمَعُ وَمِنْ بَعْدِ مَا أَبْدِي يُسْنُ وَيُشْرَعُ
مُصَلِّ وَتَالِ ذَاكِرٍ وَمُحَدِّثٍ خَطِيبٌ وَمَنْ يُصْغِي إِلَيْهِمْ وَيَسْمَعُ
مَكْرُرٌ فَقِهِ جَالِسٌ لِقَضَائِهِ وَمَنْ بَحَثُوا فِي الْفِقْهِ دَعَهُمْ لِيَنْفَعُوا
مُؤذِنٌ أَيْضًا مَعَ مُقِيمِ مُدْرَسٍ كَذَا الْأَجْنَبِيَّاتِ الْفَتِيَّاتِ أَمْنَعُ
وَلَعَابُ شِطْرَنْجٍ وَشِبْهِ بِخَلْقِهِمْ وَمَنْ هُوَ مَعَ أَهْلِ لَهُ يَتَمَتَّعُ

وَدَعُ كَافِرًا أَيْضًا وَكَاشَفَ عَوْرَةَ
وَدَعُ آكِلًا إِلَّا إِذَا كُنْتَ جَائِعًا
كَذَلِكَ أَسْتَاذٌ مَعْنِي مُطَيَّرٌ
«وَزِدْتُ عَلَى هَذَا فَقُلْتُ مُتَمَّمًا
«وَمَنْ عِنْدَ تَلْفِزِيُونِهِمْ سَيْنَمَائِهِمْ
مَصَوِّرُ ذِي رُوحٍ وَحَالِقُ لِحْيَةٍ
«وَشَارِبُ دُخَانٍ وَشَارِبُ شَيْشَةٍ
«وَشَارِبُ ذِي سُكَّرٍ وَلَا عِبُّ كُورَةَ
«وَبَائِعُ آلَاتِ لِلَّهِ وَمُطْرِبُ
«وَبَائِعُ مَا قَدْ سَبِقَ فِيهَا سَطْرُثُهُ
وَمَنْ هُوَ فِي حَالِ التَّعَوُّطِ أَشْنَعُ
وَتَعْلَمُ مِنْهُ أَنَّهُ لَيْسَ يَمْنَعُ
فَهَذَا حِتَامٌ وَالزِّيَادَةُ تَنْفَعُ
بِمَا هُوَ مِثْلُ أَوْ أَشَدُّ فَيَتَّبِعُ
وَمَنْ لِمُدْيَعِ الْمُنْكَرَاتِ تَسْمَعُوا
وَمَحْلُوقَهَا مَعَ ذِي الْحَنَافِسِ يَتَّبِعُ
مُتَوَلِّتُ رَاسِي وَالْمُجَاهِرُ أَفْطَعُ
وَمُصْلِحُ آلَاتِ لِلَّهِ فَيَمْنَعُ
وَمَنْ هُوَ فِي سَبِّ الْعَوَافِلِ يُقْدِعُ
مُسَاعِدُهُمْ أَوْ مِنْ لِدَاكَ يُشَجِّعُ

اللَّهُمَّ إِنَّ نَوَاصِيئَنَا بِيَدَيْكَ وَأُمُورُنَا تَرْجِعُ إِلَيْكَ وَأَحْوَالُنَا لَا تَخْفِي عَلَيْكَ،
وَأَنْتَ مَلْحُونُنَا وَمَلَاذُنَا، وَإِلَيْكَ نَرْفَعُ بَشْنَا وَحُزْنَنَا وَشِكَايَتَنَا، يَا مَنْ يَعْلَمُ سِرَّنَا
وَعَلَانِيَتَنَا نَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَنَا مِمَّنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ فَكَفَيْتَهُ وَاسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ وَهَبَ
لَنَا مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ وَجُدْ عَلَيْنَا بِإِحْسَانِكَ الْعَمِيمِ، يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ دَاعٍ
وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجِحٌ بِقَاضِي الْحَاجَاتِ، وَمُجِيبَ الدَّعَوَاتِ، هَبْ لَنَا مَا
سَأَلْنَاهُ، وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَّيْنَاهُ، يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي
صُدُورِ الصَّامِتِينَ أَدَقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحِلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصْلٌ»

وَأَمَّا رَدُّ السَّلَامِ، فَإِنْ كَانَ الْمُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَاحِدًا، تَعَيَّنَ عَلَيْهِ الرُّدُّ لِلسَّلَامِ،
وَإِنْ كَانُوا جَمَاعَةً رَدُّ السَّلَامِ فَرَضُ كِفَايَةِ عَلَيْهِمْ، فَإِنْ رَدَّ وَاحِدٌ مِنْهُمْ سَقَطَ

الْفَرَضُ عَنِ الْبَاقِينَ، وَإِنْ تَرَكَوهُ كُلُّهُمْ أَيْمَنُوا كُلُّهُمْ، وَإِنْ رَدَّ كُلُّهُمْ فَهُوَ النَّهْيَةُ فِي الْكَمَالِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾.

وَالسَّلَامُ تَحِيَّةٌ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَتْبَاعِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ وَتَحِيَّةٌ أَيْنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَضَيْفِهِ الْمُكْرَمِينَ، فِيمَا قَصَّهُ اللَّهُ عَلَيْنَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، بِقَوْلِهِ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامًا قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾.

وَمِنَ السُّنَنِ الْمَحْبُوبَةِ، الْبَدَاءَةُ بِالسَّلَامِ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ، مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ «وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»، فَاحْذَرِ عَافَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنْ أَلِ.

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يُسَلَّمَ عِنْدَ الْإِنْصِرَافِ مِنَ الْمَجْلِسِ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلْيُسَلِّمْ فَلْيَسِتِ الْأَوْلَى بِأَحَقِّ مِنَ الْآخِرَةِ».

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يُسَلَّمَ عَلَى الصَّبِيَّانِ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ «أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صَبِيَّانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ»، وَقَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَفْعَلُهُ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

شِعْرًا: سَابِقِ النَّاسِ بِالسَّلَامِ فِصِّي ذَا كَ إِذَا مَا اعْتَبَرْتَ خَمْسُ خِصَالٍ
كَاشِفُ الرَّيْبِ قَاطِعُ الْعَيْبِ مُحْيِي الْوَدِ سِتْرُ الْأَحْقَادِ وَبَابُ الْوِصَالِ

«مَوْعِظَةٌ»: إِخْوَانِي لَيْسَ الْأَسْفُ عَلَى دُنْيَا آخِرُهَا الْفَوْتُ وَالْخَرَابُ وَلَا عَلَى أَحْوَالِ نَهَائِثِهَا التَّحْوُلُ وَالْإِنْقِلَابُ، وَلَا عَلَى حُطَامِ حَلَالِهِ حِسَابٌ وَخَرَامُهُ عِقَابٌ، وَلَا عَلَى أَعْمَارٍ يَتَمَنَّى الْمَرْءُ طَوْلَهَا فَإِذَا طَالَتْ مُلَّتْ، وَلَا عَلَى أَمَاكِينِ كُلَّمَا امْتَلَأَتْ بِأَهْلِهَا وَازْدَهَرَتْ بِهِمْ أَذْبَرَتْ عَنْهُمْ وَخَلَّتْ مِنْهُمْ.

وَإِنَّمَا الْأَسْفُ الَّذِي لَا يُرْجَى لَهُ خَلْفٌ وَقَتٌ قُتِلَ عَلَى فِرَاشِ السَّهْوِ
وَالْعَفَلَاتِ ، وَعَلَى لَيَالٍ وَأَيَّامٍ تَمْضِي فِي اتِّبَاعِ الْمَلَذَّاتِ الْفَانِيَةِ وَالشَّهَوَاتِ وَعَلَى
صُحُفٍ تُطْوَى ثُمَّ لَا تَرْجِعُ فَيَسْتَدْرِكُ مَا فَاتَ وَعَلَى نُفُوسٍ .

يُنَادِيهَا لِسَانَ الشَّتَاتِ وَهِيَ لَا تُقْلِعُ عَمَّا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ الْهَفَوَاتِ . وَعَلَى
ذُئُوبٍ مُخَصَّيٍّ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا لَا تُقَابِلُ بِالْحَسَنَاتِ وَعَلَى قُلُوبٍ غَافِلَةٍ فِي
الْعَمَرَاتِ ، وَعَلَى أَعْوَامٍ سَرِيعٍ مُرُورُهَا كَلَمَعِ الْجَمَرَاتِ وَعَلَى أَلْسِنَةٍ لَا تَسْتَغْلُ
وَتَتَلَذُّ بِذِكْرِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ .

أَلَا تَرَوْنَ شَهْرَكُمْ كَيْفَ يُسْرِعُ فِيهِ الْبِدَارُ ثُمَّ يَعْقِبُهُ الْأَمْحَاقُ فَيَاخِيبُهُ مَنْ
ضَاعَتْ مِنْهُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ وَغُيِبَ فِي مَيْدَانِ السَّبَاقِ وَيَاخِيبُهُ مَنْ ضَيَّعَ عُمُرَهُ
بِالْقَبَائِحِ الْعِظَامِ وَيَاخِسَارَةَ مَنْ كَانَتْ تِجَارَتُهُ الذُّئُوبُ وَالْمَعَاصِي وَالْآثَامُ .

شِعْرًا: بُكَائِي عَلَى مَا قَدَمْضَى مِنْ شَيْبَتِي وَلَمْ أَحْتَفِظْ فِيهَا عُلُومَ الشَّرِيعَةِ
وَأَفْهَمُ مَا قَالَ الْإِلَهُ وَمَا أَتَى عَنْ الْمُصْطَفَى أَعْظَمَ بِهَا مِنْ مُصِيبَتِي

قال بعض العلماء:

الْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْخُذَ الْعُدَّةَ لِرَجَائِهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَتَى يَفْجُوهُ أَمْرٌ رِيهِ ،
وَلَا يَدْرِي مَتَى يُسْتَدْعَى ، وَإِنِّي رَأَيْتُ خَلْقًا كَثِيرًا غَرَّهْمُ الشَّبَابُ وَنَسُوا فَقَدَ
الْأَقْرَانِ ، وَاللَّهَاهُم طُولُ الْأَمَلِ . وَرُبَّمَا قَالَ الْعَالِمُ الْمُحِضُّ لِنَفْسِهِ : « أَشْتَغَلُ
بِالْعِلْمِ ثُمَّ أَعْمَلُ بِهِ » فَيَتَسَاهَلُ فِي الزُّهْدِ بِحُجَّةِ الرَّاحَةِ ، وَيُؤَخِّرُ الرَّجَاءَ لِتَحْقِيقِ
التَّوْبَةِ ، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ غَيْبَةِ أَوْ سَمَاعِهَا ، وَمِنْ كَسَبِ شُبُهَةِ يَأْمَلُ أَنْ يَمْحُوهَا
بِالْوَرَعِ ، وَيَنْسَى أَنَّ الْمَوْتَ قَدْ يَبْعَثُهُ .

فَالْعَاقِلُ مَنْ أُعْطِيَ كُلَّ لِحْظَةٍ حَقَّهَا مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ ، فَإِنَّ بَعَثَهُ الْمَوْتُ
رُئِيَ مُسْتَعِدًّا ، وَإِنْ نَالَ الْأَمَلُ إِزْدَادًا خَيْرًا .

قال عمر | بن عبد العزيز في حُطْبَةٍ لَهُ : « إِنْ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِدَارِ قَرَارٍ ، دَارٌ

كَتَبَ اللهُ عَلَى أَهْلِهَا مِنْهَا الظَّنَّ فَكَمْ عَامِرٌ مُؤْتَقٍ عَمَّا قَلِيلٍ يَحْرَبُ، وَكَمْ مُقِيمٍ
 مُعْتَبِطٍ عَمَّا قَلِيلٍ يَظْعَنُ، فَأَحْسِنُوا رَحْمَتَكُمْ اللهُ مِنْهَا الرَّحْلَةَ بِأَحْسَنَ مَا يَحْظُرُكُمْ
 مِنَ النُّقْلَةِ، وَتَزُودًا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى، إِنَّمَا الدُّنْيَا كَفْيٌ إِذْ دَعَا اللهُ بِقَدْرِهِ وَرَمَاهُ
 فَذَهَبَ، بَيْنَ ابْنِ آدَمَ فِي الدُّنْيَا يُنَافِسُ وَبِهَا قَرِيرٌ عَيْنٍ إِذْ دَعَا اللهُ بِقَدْرِهِ وَرَمَاهُ
 يَوْمَ حَتْفِهِ فَسَلَبَهُ آثَارُهُ وَدُنْيَاهُ وَصَيَّرَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ مَصَانِعَهُ وَمَعْنَاهُ إِنَّ الدُّنْيَا لَا
 تَسُرُّ بِقَدْرِ مَا تَضُرُّ إِنَّهَا تَسُرُّ قَلِيلًا وَتَجُرُّ حُزْنَ طَوِيلًا كَمَا قِيلَ: مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ
 سَأَتْهُ أَرْمَانٌ.

شِعْرًا: إِذَا كُنْتَ بِالدُّنْيَا بَصِيرًا فَإِنَّمَا
 إِذَا أَبَقْتَ الدُّنْيَا عَلَى الْمَرْءِ دِينَهُ
 آخِرُ يَرَى رَاحَةً فِي كَثْرَةِ الْمَالِ رَبُّهُ
 إِذَا قَلَّ مَالُ الْمَرْءِ قَلَّتْ هُمُومُهُ
 آخِرُ: وَمَا أَجْمَعُ الْأَمْوَالَ إِلَّا غَنِيمَةً
 آخِرُ: رَضِيْتُ مِنَ الدُّنْيَا بِقُوَّتِ يُفِيْمُنِي
 وَكَسْتُ أَرْوْمَ الْقُوَّتِ إِلَّا لِأَنَّهُ
 آخِرُ: يَا جَامِعًا مَانِعًا وَالْمَوْتُ يَتَّبَعُهُ
 الْمَالُ عِنْدَكَ مَحْزُونٌ لِوَارِثِهِ
 جَمَعْتَ مَالًا فَفَكَّرْ هَلْ جَمَعْتَ لَهُ
 لِلَّهِ دَرْ فَنِي يَعْذُو عَلَى ثِقَةٍ
 فَالْعَرَضُ مِنْهُ مَصُونٌ لَا يُدْتَسُّهُ
 إِنَّ الْقَنَاعَةَ مَنْ يَحْلُلُ بِسَاحَتِهَا
 آخِرُ: يَقُولُ الْفَتَى ثَمَرْتُ مَالِي وَإِنَّمَا
 يُحَاسِبُ فِيهِ نَفْسَهُ بِحَيَاتِهِ
 شِعْرًا: أَيَا لِلْمَنَايَا وَيَحَهَا مَا أَجَدَهَا

بَلَاغُكَ مِنْهَا مِثْلُ زَادِ الْمَسَافِرِ
 فَمَا فَاتَهُ مِنْهَا فَلَيْسَ بِضَائِرِ
 وَكَثْرَةُ مَالِ الْمَرْءِ لِلْمَرْءِ مُتَعِبٌ
 وَتَشَعُّبُهُ الْأَمْوَالِ حِينَ تَشَعَّبُ
 لِمَنْ عَاشَ بَعْدِي وَأَتَاهُمْ لِرَازِقِي
 فَلَا أَبْتَغِي مِنْ دُونِهِ أَبَدًا فَضْلًا
 يُعِينُ عَلَى عِلْمٍ أَرُدُّ بِهِ جَهْلًا
 مُقَدَّرًا أَيَّ نَابٍ فِيهِ يُعَلِّقُهُ
 مَا الْمَالُ مَالُكَ إِلَّا يَوْمَ تُنْفِقُهُ
 يَا جَامِعَ الْمَالِ أَيَّامًا تُفَرِّقُهُ
 إِنَّ الَّذِي قَسَمَ الْأَرْزَاقَ يَرْزُقُهُ
 وَالْوَجْهَ مِنْهُ جَدِيدٌ لَيْسَ يُحْلِقُهُ
 لَمْ يَلْقَى فِي ظِلِّهَا هَمًّا يُورِّقُهُ
 لِوَارِثِهِ مَا ثَمَرَ الْمَالُ كَاسِبُهُ
 وَيَتْرُكُهُ نَهْبًا لِمَنْ لَا يُحَاسِبُهُ
 كَأَنَّكَ يَوْمًا قَدْ تَوَرَدْتَ وَرَدَهَا

وَيَا لِلْمَنَايَا مَالَهَا مِنْ إِقَالَةٍ
أَلَا يَا أَخَانَا إِنَّ لِلْمَوْتِ طَلْعَةً
وَلِلْمَرِّ عِنْدَ الْمَوْتِ كَرْبٌ وَعُصَّةٌ
سَتُسَلِّمُكَ السَّاعَاتُ فِي بَعْضِ مَرَّهَا
وَتَحْتَ الثَّرَى مُنْبِي وَمِنْكَ وَدَائِعُ
مَدَدَتِ الْمُنَى طُولًا وَعَرَضًا وَإِنَّهَا
وَمَالَتْ بِكَ الدُّنْيَا إِلَى اللُّهُوِّ وَالصَّبَا
إِذَا مَا صَدَقَتِ النَّفْسَ أَكْثَرَتْ ذَمَّهَا
بِنَفْسِكَ قَبْلَ النَّاسِ فَاعْنِ فَإِنَّهَا
وَمَا كُلُّ مَا حُوِّلَتْ إِلَّا وَدِيعَةٌ
إِذَا أَذْكَرْتِكَ النَّفْسُ دُنْيَاً دُنْيَةً
أَلَسْتَ تَرَى الدُّنْيَا وَتَنْغِيصُ عَيْشَهَا
وَأَذْنَى بِنِي الدُّنْيَا إِلَى الْعَيِّ وَالْعَمَى
هُوَ النَّفْسِ فِي الدُّنْيَا إِلَى أَنْ تَغُولَهَا

اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِلزُّومِ الطَّرِيقِ الَّذِي يُقَرِّبُنَا إِلَيْكَ وَهَبْ لَنَا نُورًا نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ
وَيَسِّرْ لَنَا مَا يَسِّرْتَهُ لِأَهْلِ مَحَبَّتِكَ وَأَيِّقِظْنَا مِنْ غَفْلَاتِنَا وَالْهَمَمْنَا رُشْدَنَا وَاسْتُرْنَا فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَةِ عِبَادِكَ الْمُتَّقِينَ، يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاكَ دَاعٍ وَأَفْضَلَ
مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ يَا قَاضِي الْحَاجَاتِ، وَمُجِيبَ الدَّعَوَاتِ، هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ،
وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَّيْنَاهُ، يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي صُدُورِ
الصَّامِتِينَ أَذْقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
المُسْلِمِينَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فصل»

وَالْأَحَقُّ بِالْبَدَأَةِ بِالسَّلَامِ أَنْ يُسَلِّمَ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ
وَالرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ: «لِيُسَلِّمَ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ، وَالْمَارُّ عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى
الْكَثِيرِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ فِي رِوَايَةِ لِمُسْلِمٍ «وَالرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي».

وَقَدْ وَرَدَ فِي إِفْشَاءِ السَّلَامِ وَفَضْلِهِ أَحَادِيثٌ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ
وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ، قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ
السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ».

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُوا
أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَبَّبْتُمْ أَفْشَوْا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ».

وَرَوَى ابْنُ جِبَانَ فِي صَحِيحِهِ عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ أَفْشَوْا السَّلَامَ تَسَلَّمُوا، وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَسَنٌ صَحِيحٌ عَنْ أَبِي
يُوسُفَ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
«يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشَوْا السَّلَامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا
الْجَنَّةَ بِسَّلَامٍ».

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا إِذَا كُنَّا
مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَقَرَّقُ بَيْنَنَا شَجَرَةٌ فَإِذَا التَّقَيْنَا يُسَلِّمُ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ،
وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ، وَقَالَ لَا يُرَوَى إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ
أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعْجَزُ النَّاسِ، مَنْ عَجَزَ
فِي الدُّعَاءِ وَأَبْخَلَ النَّاسِ مَنْ بَخَلَ بِالسَّلَامِ».

وَرُوِيَ أَيْضًا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْقِلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَعَاجِمِهِ الثَّلَاثَةِ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَسْرَقَ النَّاسَ الَّذِي يَسْرِقُ صَلَاتَهُ» قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَسْرِقُ صَلَاتَهُ. قَالَ: «لَا يَتِمُّ رُكُوعُهَا وَلَا سُجُودُهَا وَأُبْخَلُ النَّاسَ مَنْ بَخَلَ بِالسَّلَامِ».

وَأُخْرِجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالْبَزَارُ وَإِسْنَادُ الْإِمَامِ أَحْمَدُ لَا بَأْسَ بِهِ عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ إِنَّ لِفُلَانٍ فِي حَائِطِي عِدْقًا، وَإِنَّهُ قَدْ آذَانِي وَشَقَّ عَلَيَّ مَكَانَ عِدْقِهِ فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ بَعْضِي عِدْقَكَ الَّذِي فِي حَائِطِ فُلَانٍ، قَالَ: لَا. قَالَ فَهَبْنِي لِي، قَالَ: لَا. قَالَ فَبَعْضِي بَعْضِي فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: لَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا رَأَيْتَ الَّذِي هُوَ أَبْخَلٌ مِنْكَ إِلَّا الَّذِي يَبْخَلُ فِي السَّلَامِ».

وَعَنْ أَبِي الْخَطَّابِ قَتَادَةَ قَالَ قُلْتُ لِأَنْسِي أَكَانَتْ الْمُصَافِحَةُ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ نَعَمْ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافِحَانِ إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَعَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجُلُ مِنَّا يَلْقَى أَخَاهُ أَوْ صَدِيقَهُ أَيْنَحْنِي لَهُ، قَالَ: لَا. قَالَ أَفِيَلْتَرِمُهُ وَيُقْبَلُهُ. قَالَ: لَا. قَالَ فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ وَيُصَافِحُهُ. قَالَ: نَعَمْ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ إِذَا فَهَمْتَ ذَلِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّ لِسَلَامٍ فَوَائِدُ عَدِيدَةٌ، مِنْهَا امْتِثَالُ سُنَّةِ الْمُصْطَفَى ﷺ، وَقَدْ قَالَ مَنْ كَانَ مِنْ أُمَّتِي فَلَيْسَتْ بِيَسْتِي.

وَمِنْهَا الْخُرُوجُ مِنَ الْحُرْمَةِ عَلَى الْقَوْلِ بِوَجُوبِ ابْتِدَائِهِ وَإِنْ كَانَ الْمُعْتَمِدُ عَلَيْهِ أَنَّهُ مُسْتَحَبٌّ.

وَمِنْهَا الْخُرُوجُ مِنَ الْبُخْلِ، وَقَدْ وَرَدَ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ جَنَّةَ عَدْنٍ بَخِيلٌ، وَقَالَ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ أَدْوِي دَاءٍ مِنَ الْبُحْلِ، وَالْبَحِيلُ بَغِيضٌ إِلَى اللَّهِ، بَغِيضٌ إِلَى النَّاسِ،
بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْبٌ إِلَى الشَّيْطَانِ، قَرِيبٌ إِلَى النَّيِّرَانِ.

وَمِنْهَا أَنَّ السَّلَامَ يَكُونُ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُدْخِلُ صَاحِبَهَا فِي الْجَنَّةِ كَمَا
مَرَّ فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَنَّهُ يُوجِبُ دُخُولَهَا، كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي
سَرْحٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ يَارَسُورَ اللَّهُ أَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ يُوجِبُ الْجَنَّةَ، قَالَ
طَيْبُ الْكَلَامِ، وَبَذَلُ السَّلَامِ، وَاطْعَامُ الطَّعَامِ، رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَابْنُ حِبَانَ فِي
حَصْحِيهِ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ.

وَمِنْهَا أَنْ بَذَلَهُ مِنْ مُوجِبَاتِ الْمَغْفِرَةِ فَقَدْ رَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي سَرْحٍ
بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ قَالَ قُلْتُ يَارَسُورَ اللَّهُ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَدْخُلُنِي الْجَنَّةَ قَالَ إِنْ مِنْ
مُوجِبَاتِ الْمَغْفِرَةِ بَذَلُ السَّلَامِ وَحُسْنُ الْكَلَامِ.

شِعْرًا: وَكُنْ بَشًّا كَرِيمًا ذَا انْبِسَاطٍ وَفِيْمَنْ يَرْتَجِيكَ جَمِيلَ رَأْيٍ
بَعِيدًا عَنِ سَمَاعِ الشَّرِّ سَمَحًا نَقِيَّ الْكَفِّ عَنْ عَيْبٍ وَثَائِي
مُعِينًا لِلْأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى أَمِينِ الْجَيْبِ عَنْ قُرْبٍ وَثَائِي
وَصَوْلًا غَيْرَ مُحْتَشِمٍ زَكِيًّا حَمِيدَ السَّعْيِ فِي إِنْجَازِ وَآيٍ
تَلَقَّ مَوَاعِظِي بِقَبُولِ صِدْقٍ تَفَرَّ بِالْأَمْنِ عِنْدَ حُلُولِ لَأْيٍ
أَخْرَجَ: أَطْعَمَ مَوْلَاكَ وَأَسْأَلُهُ رِضَاهُ وَطَبَّ نَفْسًا إِذَا حَكَمَ الْقَضَاءُ
وَكَنْ رَجُلًا عَلَى الطَّاعَاتِ جَلْدًا وَشِيْمَتِكَ السَّمَاحَةَ وَالسَّخَاءُ
يُعْطَى بِالذِّيَانَةِ كُلِّ عَيْبٍ وَكَمْ عَيْبٍ يُعْطِيهِ السَّخَاءُ
وَرِزْقَكَ لَيْسَ يَنْقُصُهُ التَّائِي وَلَيْسَ يَزِيدُ فِي الرِّزْقِ الْعَنَاءُ
إِذَا مَا كُنْتَ ذَا قَلْبٍ قَنُوعٍ فَأَنْتَ وَمُثْرِي فِيهَا سَوَاءُ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ وَأَسْكِنْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ الْقَرَارِ، اللَّهُمَّ وَفَقْنَا
بِحُسْنِ الْإِقْبَالِ عَلَيْكَ وَالْإِصْغَاءِ إِلَيْكَ وَوَفَّقْنَا لِلتَّعَاوُنِ فِي طَاعَتِكَ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى

خَدَمْتِكَ وَحُسْنَ الْآدَابِ فِي مُعَامَلَتِكَ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِكَ وَالرِّضَا بِقَضَائِكَ وَالصَّبْرَ
عَلَى بَلَائِكَ وَالشُّكْرَ لِنِعْمَائِكَ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصْلٌ»

وَمِنْ ذَلِكَ إِنَّ إِفْتَاءَ السَّلَامِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ يُوجِبُ الْمَحَبَّةَ وَالْإِلْفَةَ
وَالْعَطْفَ وَالْمَحَبَّةَ شَأْنَهَا عَظِيمٌ وَقَدْرُهَا جَسِيمٌ.

وَمِنْ فَوَائِدِ السَّلَامِ آدَاءُ حَقِّ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي
هَرِيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ
سِتٌّ»، قِيلَ وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «إِذَا لَقَيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ».. الْحَدِيثُ.
وَمِنْهَا أَوْلَوِيَّتُهُ بِاللَّهِ، لِمَا رَوَى أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ أَنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ مَنْ
بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ.

وَمِنْهَا حَوْزُ الْفَضِيلَةِ لِمَا أَخْرَجَ الْبَزَّازُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ عَنْ جَابِرِ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي،
وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْمَاشِيَانِ أُبَيْهَمَا بَدَأَ فَهُوَ أَفْضَلُ».

وَأَخْرَجَ الْبِرَّانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ وَأَحَدُ إِسْنَادِي الْكَبِيرِ مُخْتَجًّا بِهِمْ فِي
الصَّحِيحِ، عَنِ الْأَعْرَِّ الْأَعْرَِّ مُزِينَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَمَرَ
لِي بِجَرِيْبٍ مِنْ تَمْرٍ عِنْدَ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَمَطَّنَنِي بِهِ، فَكَلَّمْتُ فِيهِ رَسُولَ
الله ﷺ.

فَقَالَ أُعْدُ يَا أَبَا بَكْرٍ فَخُذْ لَهُ مِنْ تَمْرِهِ، فَوَعَدَنِي أَبُو بَكْرٍ الْمَسْجِدَ إِذَا
صَلَيْنَا الصُّبْحَ فَوَجَدْتُهُ حَيْثُ وَعَدَنِي، فَانْطَلَقْنَا فَكَلَّمَا رَأَى أَبَا بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ
بَعِيدٍ سَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَمَا تَرَى مَا يُصِيبُ الْقَوْمَ عَلَيْكَ

مِنَ الْفَضْلِ، لَا يَسْبِقُكَ إِلَى السَّلَامِ أَحَدٌ فَكَانَ إِذَا طَلَعَ الرَّجُلُ مِنْ بَعِيدٍ بَاكَرْتَاهُ
بِالسَّلَامِ، قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيْنَا.

وَمِنْهَا إِذْرَاكَ الْفَضِيلَةَ فِي إِفْتَاءِ السَّلَامِ، الَّذِي هُوَ اسْمُ اللَّهِ، وَفَضْلُ
الدَّرَجَةِ بِنَشْرِهَا، لَمَّا أَخْرَجَ الْبَزَارُ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ قَوِيٍّ وَالطَّبْرَانِيُّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ السَّلَامُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَضَعَهُ فِي
الْأَرْضِ فَأَفْشَاهُ، بَيْنَكُمْ، فَإِنَّ الرَّجُلَ الْمُسْلِمَ إِذَا مَرَّ بِقَوْمٍ فَسَلَّمَ فَارْدُّوا عَلَيْهِ كَانَ
لَهُ عَلَيْهِمْ فَضْلٌ دَرَجَةٌ بِنَدْوِهِ إِذَا هُمْ السَّلَامَ فَإِنْ لَمْ يَرِدُّوا عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ مَنْ هُوَ
خَيْرٌ مِنْهُمْ.

وَمِنْ فَوَائِدِ السَّلَامِ حُصُولُ الْحَسَنَاتِ الَّتِي صَحَّحَتْ بِهَا الرُّوَايَاتُ. فَأَخْرَجَ
أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَةُ وَالنَّسَائِيُّ وَالبَيْهَقِيُّ وَحَسَنَةُ أَيْضًا عَنْ عِمْرَانَ بْنِ
حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَارْدُّ
عَلَيْهِ، ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ عَشْرًا.

ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَارْدُّ فَجَلَسَ فَقَالَ عِشْرُونَ،
ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَارْدُّ فَجَلَسَ، فَقَالَ
ثَلَاثُونَ، وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ مُعَاذِ مَرْفُوعًا بِنَحْوِهِ، وَزَادَ ثُمَّ أَتَى آخَرَ فَقَالَ
السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ وَمَغْفِرَتُهُ، فَقَالَ أَرْبَعُونَ هَكَذَا تَكُونُ
الْفَضَائِلُ.

وَمِنْ فَوَائِدِ السَّلَامِ حُصُولُ السَّلَامَةِ، كَمَا فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ الْمُتَقَدِّمِ
وَيَحْتَمِلُ قُوَّةُ ﷺ أَفْشَاهُ السَّلَامَ تَسَلَّمُوا يَعْنِي فِي الدُّنْيَا مِنَ الْإِثْمِ، وَالبُخْلِ، أَوْ
مِنْ أَعَمٍّ مِنْ ذَلِكَ مِنْ تَكْبَاتِ الدُّنْيَا وَمِنْ أَهْوَالِ الْآخِرَةِ وَفَضْلُ اللَّهِ وَاسِعٌ.

وَمِنْهَا تَصْفِيَّتُهُ وَدَّ أَحْيِكَ الْمُسْلِمَ، فَقَدْ رَوَى الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ عَنْ شَيْبَةَ
الْحَجَبِيِّ عَنْ عَمِّهِ مَرْفُوعًا ثَلَاثَ يُصَفِّينَ لَكَ وَدَّ أَحْيِكَ، تُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقَيْتَهُ
وَتَوَسَّعَ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ، وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ.

ومنها حُصُولُ فَضِيلَةِ الْإِسْلَامِ، وَخَيْرَتِهِ، كَمَا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ الْمَتَقَدِّمِ وَأَيْضاً مِنْ فَوَائِدِهِ إِحْيَاءُ سُنَّةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ، قَالَ أَذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَيَّ أَوْلَيْكَ تَقَرَّرْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ فَاسْتَمِعْ مَا يُحْيِيُونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ، وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَزَادُوا وَرَحْمَةُ اللَّهِ.

وقال مُجَاهِدٌ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَأْخُذُ بِيَدَيْ فَيَخْرُجُ إِلَى السُّوقِ يَقُولُ إِنِّي لِأَخْرُجُ وَمَالِي حَاجَةٌ إِلَّا لِأَسَلِّمْ وَيُسَلِّمَ عَلَيَّ فَأَعْطِي وَاحِدَةً وَاحِدَةً وَأَخُذُ عَشْرًا، يَأْمُجَاهِدُ إِنْ السَّلَامَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، فَمَنْ أَكْثَرَ السَّلَامِ أَكْثَرَ ذَكَرَ اللَّهُ، وَمِنْهَا مُوَافَقَةُ تَحِيَّةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَإِنَّ تَحِيَّةَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيهَا سَلَامٌ، كَمَا قَالَ جَلَّ شَأْنُهُ ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾.

والسَّلَامُ كَمَا تَقَدَّمَ تَحِيَّةُ الْمُؤْمِنِينَ، وَشِعَارُهُمْ، فَلَا تَبْدَأُ أَهْلَ الْكِتَابِ أَوْ الذِّمَّةَ بِهِ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَا تَبْدَأُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ.

وَلَمَّا رَوَى أَبُو نَصْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّا غَادُونَ عَلَى يَهُودَ فَلَا تَبْدَأُوهُمْ بِالسَّلَامِ وَإِنْ سَلَّمُوا عَلَيْكُمْ فَقُولُوا وَعَلَيْكُمْ»، وَيَحْرُمُ بَدَاءُ نُهُمْ بِكَيْفٍ أَصْبَحَتْ أَوْ كَيْفَ أُمْسِيَتْ أَوْ كَيْفَ أَنْتَ أَوْ كَيْفَ حَالُكَ أَوْ كَمَا يَفْعَلُهُ ضِعَافُ الْعُقُولِ وَالِدِينِ بِقَوْلِهِمْ لَهُمْ صَبَّاحَ النُّورِ أَوْ مَسَاءَ الْخَيْرِ مَعَ رَفْعِ أَيْدِيهِمْ نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَاقِبَةَ أَوْ يَقُولُونَ لَهُمْ وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ أَهْلًا وَمَرْحَبًا.

وَلَوْ كَتَبَ إِلَى كَافِرٍ وَأَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ سَلَامًا كَتَبَ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى لِمَا رَوَى الْبُخَارِيُّ أَنَّهُ ﷺ قَالَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ إِلَى هِرْقَلِ عَظِيمِ الرُّومِ وَلَآنَ ذَلِكَ مَعْنَى جَامِعٌ وَإِنْ سَلَّمَ عَلَى مَنْ ظَنَّهُ مُسْلِمًا ثُمَّ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ ذِمِّيٌّ

اسْتَحَبَّ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَقُولَ لِلذَّمِيِّ رُدَّ عَلَيَّ سَلَامِي .

لِمَا رُوِيَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقِيلَ إِنَّهُ كَافِرٌ فَقَالَ رُدَّ عَلَيَّ مَا سَلَّمْتُ عَلَيْكَ فَرَدَّ عَلَيْهِ فَقَالَ أَكْثَرَ اللَّهُ مَالَكَ وَوَلَدَكَ ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ أَكْثَرَ لِلْجَزِيَّةِ . وَإِنْ سَلَّمَ أَحَدُ أَهْلِ الذَّمِّ لَزِمَ رَدُّهُ فَيُقَالُ وَعَلَيْكُمْ أَوْ يُقَالُ عَلَيْكُمْ بِلَا وَآوِ .

وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ الْيَهُودُ فَإِنَّمَا يَقُولُ أَحَدُهُم السَّامُ عَلَيْكَ ، فَقُلْ لَهُ وَعَلَيْكَ هَكَذَا بِالْوَاوِ وَفِي لَفْظِ عَلَيْكَ بِلَا وَآوِ وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْكِتَابِ فَقُولُوا وَعَلَيْكُمْ ، رَوَاهُ أَحْمَدُ وَفِي لَفْظِ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ فَقُولُوا عَلَيْكُمْ بِلَا وَآوِ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا السَّامُ عَلَيْكُمْ فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ عَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَهَلًا يَا عَائِشَةُ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ لَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ .. مَتَّفِقٌ عَلَيْهِ وَفِي لَفْظِ قَدْ قُلْتُ عَلَيْكُمْ لَمْ يَذْكُرْ مُسْلِمٌ الْوَاوِ وَعِنْدَ الشَّيْخِ تَقِي الدِّينِ يُرَدُّ مِثْلَ تَحِيَّتِهِ فَيَقُولُ وَعَلَيْكَ مِثْلَ تَحِيَّتِكَ .. انْتَهَى .

وَمِمَّا يَحْرُمُ وَيَجِبُ النَّهْيُ عَنْهُ مَا يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مِنَ السَّلَامِ عَلَيْهِمْ بِالْيَدِ بِالْإِشَارَةِ وَجَعَلَهَا جِذَاءَ الرَّأْسِ أَوْ وَضَعَهَا عَلَى صَدْرِهِ اخْتِرَامًا لِأَعْدَاءِ اللَّهِ وَإِشْعَارًا بِأَنَّهُ يُحِبُّهُمْ نَسَأَلَ اللَّهُ الْعَافِيَةَ ، قَالَ أَبُو دَاوُدَ سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ سَأَلَ أُبَيْدُ الدِّمِيِّ بِالسَّلَامِ إِذَا كَانَتْ لَهُ إِلَيْهِ حَاجَةٌ قَالَ لَا يُعْجِبُنِي .

قَالَ ﷺ لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا لَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ وَلَا بِالنَّصَارَى فَإِنَّ تَسْلِيمَ الْيَهُودِ الْإِشَارَةَ بِالْأَصَابِعِ وَتَسْلِيمَ النَّصَارَى الْإِشَارَةَ بِالْأَكْفِ . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ وَرُوِيَ لَا تُسَلِّمُوا تَسْلِيمَ الْيَهُودِ

وَالنَّصَارَى فَإِنَّ تَسْلِيمَهُمْ إِشَارَةٌ بِالْكَفُوفِ وَالْحَوَاجِبِ تَأْمُلُ يَا أُخِي سَلَامَ كَثِيرٍ
مِنَ النَّاسِ تَجِدُهُ بِالْكَفُوفِ وَالْحَوَاجِبِ فَقَطْ .

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَتَوْفَنَّا مُسْلِمِينَ وَالْحَقَّنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ يَا أَكْرَمَ
الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فصل»: وَيَجِبُ هَجْرُ مَنْ كَفَرَ أَوْ فَسَقَ بِنِدْعَةٍ، أَوْ دَعَا إِلَى بَدْعَةٍ مُضَلِّلَةٍ أَوْ
مُفْسِقَةٍ، وَهَؤُلَاءِ هُمْ أَهْلُ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ .

وَأَمَّا هَجْرُ مَنْ أَظْهَرَ الْمَعَاصِيَ وَأَعْلَنَهَا فَقِيلَ يُسْنُ وَقِيلَ يَجِبُ . قَالَ الْإِمَامُ
أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ مُقِيمٌ عَلَى مَعْصِيَةٍ وَهُوَ يَعْلَمُ بِذَلِكَ لَمْ يَأْتُمْ أَنْ جَفَاهُ
حَتَّى يَرْجِعَ، وَإِلَّا كَيْفَ يَتَبَيَّنُ لِلنَّاسِ مَا هُوَ عَلَيْهِ إِذَا لَمْ يَرِ مُنْكَرًا وَلَا جَفْوَةً مِنْ
صَدِيقٍ .

وَقَدْ هَجَرَ صلى الله عليه وسلم كَعْبًا وَصَاحِبِيهِ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِهِجْرِهِمْ خَمْسِينَ يَوْمًا وَهَجَرَ
صلى الله عليه وسلم زَوْجَاتِهِ شَهْرًا .

وَهَجَرَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ابْنَ أُخْتِهَا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
مُدَّةً وَهَجَرَ جَمَاعَةً مِنَ الصَّحَابَةِ، وَمَاتُوا مُتَهَاجِرِينَ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .
قَالَ أَبُو دَاوُدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا كَانَتْ الْهَجْرَةُ لِلَّهِ فَلَيْسَ مِنْ هَذَا يَعْنِي مِنْ
أَحَادِيثِ الْوَعِيدِ بِالْهَجْرَانِ بِشَيْءٍ .

فَإِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم هَجَرَ بَعْضَ نِسَائِهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
هَجَرَ ابْنًا لَهُ إِلَى أَنْ مَاتَ .

وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَجَرَ جَمَاعَةً، مِمَّنْ أَجَابُوا فِي الْمِحْنَةِ، مِثْلُ
يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ، وَعَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ، وَغَيْرِهِمَا، مَعَ فَخَامَةِ شَأْنِهِمْ .

وَكَمَّ إِمَامٍ هَجَرَ صَدِيقًا لَهُ كَانَ عَزِيزًا عَلَيْهِ لَوْلَا انْتِهَاكُهُ لِمَحَارِمِ اللَّهِ فَصَارَ
بِذَلِكَ كَالجَمَادِ، بَلْ أَدْنَى وَيَكْفِي مِنْ ذَلِكَ قِصَّةُ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ كَعْبٍ وَصَاحِبِيهِ،
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ.

«موعظة»

عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ تَغَيَّرَ أَكْثَرُ أَهْلِ هَذَا الزَّمَنِ فِي أَحْوَالِهِمُ الدِّينِيَّةِ تَغْيِيرًا يُدْهَشُ
ذَوِي الْعُقُولِ تَغْيِيرًا مَنْ أَمَعَنَ النَّظَرَ فِيهِمْ ظَنَّ أَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ فَرِيقِ الْمُؤْمِنِينَ.
هَذِهِ الصَّلَاةُ وَهِيَ عَمُودُ الْإِسْلَامِ آكَدُ أَرْكَانِهِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ، أَعْرَضُوا
عَنْهَا، وَلَمْ يُبَالُوا فِيهَا جَهَلُوا مَا هِيَ الصَّلَاةُ، وَأَيُّ قِيَمَةٍ قِيَمَتُهَا وَمَا مَنْزِلَتُهَا بَيْنَ
سَائِرِ الطَّاعَاتِ.

أَمَّا عَلِمُوا أَنَّهَا أَوَّلُ مَا يُنْظَرُ فِيهِ مِنْ عَمَلِ الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَانْ وَجِدَتْ
تَامَّةً صَالِحَةً قُبِلَتْ مِنْهُ، وَسَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ وَجِدَتْ نَاقِصَةً رُدَّتْ إِلَيْهِ وَسَائِرُ
عَمَلِهِ، ثُمَّ تَكُونُ كَالثُّوبِ الْحَلَقِ فَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُ صَاحِبِهَا.

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الصَّلَاةَ عِبَادَةٌ، وَمُنَاجَاةٌ، وَقُرْبَى، نِظَامُهَا الرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ،
مَعَ التَّدْلِيلِ، وَالْحُضُوعِ، وَأَقْوَالُهَا الْقِرَاءَةُ، وَالتَّسْبِيحُ، وَالِابْتِهَالُ إِلَى اللَّهِ،
وَتَحْرِيمُهَا التَّكْبِيرُ وَتَحْلِيلُهَا التَّسْلِيمُ وَرُوحُهَا الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ، وَسِرُّهَا اظْهَارُ
الْعُبُودِيَّةِ، وَالِاسْتِكَانَةِ، لِعَظَمَةِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا.

إِنَّهَا خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، خَمْسُ وَقَفَاتٍ يَقِفُهَا الْعَبْدُ أَمَامَ
سَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ، خَالِقِهِ، وَمُدَبِّرِ أَمْرِهِ، وَلَهَا عِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ خَمْسِينَ صَلَاةً.

شُرِعَتْ لَهَا الْجَمَاعَةُ، وَأَمْرُ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ لِأَجْلِهَا، وَشُرِعَ لَهَا الْآذَانُ،
لِيَنْتَبِهَ الْعَافِلُ، وَيَتَذَكَّرَ النَّاسِي، وَالْجَاهِلُ، إِعْلَامًا لَوْقَتِهَا لِيَجْتَمِعَ الْمُسْلِمُونَ
إِلَيْهَا، وَيُؤَدُّوْهَا فِي جَوْ يَسُودُهُ الْإِخَاءُ وَالْمَحَبَّةُ وَالْإِلْفَةُ.

وَهِيَ خَيْرُ الْعِبَادَاتِ، وَكَانَتْ قُرَّةَ عَيْنِ النَّبِيِّ ﷺ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»، وَكَانَ ﷺ يَقُولُ «أَرِحْنَا يَا بَلَاءُ بِالصَّلَاةِ».

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الصَّلَاةَ كَمَا عَلِمْتُمْ عِمَادَ الدِّينِ، وَنُورَ الْيَقِينِ وَمَصْدَرُ الْبِرِّ، وَمَبْعَثُ الْخَيْرِ الْعَمِيمِ، وَعِصْمَةٌ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَنَجَاةٌ مِنْ حَزْرِي الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ.

وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ «الصَّلَاةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ» وَذَكَرَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ «مَنْ حَافِظٌ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الصَّلَاةَ مِنْ أَجْلِ الشَّعَائِرِ الدِّينِيَّةِ وَأَعْظَمِ الْمَظَاهِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَمِنْ أَشْرَفِ الْعِبَادَاتِ وَهِيَ خَيْرٌ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ وَقَدْ كَانَ ﷺ يُصَلِّي حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ.

عِبَادَ اللَّهِ إِذَا فَهَمْتُمْ مَا سَبَقَ مِنْ عِظَمِ شَأْنِ الصَّلَاةِ فَمَا بَالُ قَوْمٍ يُهْمِلُونَهَا وَيَتَهَاوَنُونَ بِهَا وَيَتَكَاسِلُونَ عَنْهَا عِنْدَ حُلُولِ وَقْتِهَا وَمَا بَالُ أَقْوَامٍ يُوَدِّدُونَهَا عَلَى عَجَلٍ وَعَلَى غَيْرِ وَجْهِهَا وَيَنْقُرُونَهَا نَقْرَ الْغُرَابِ كَانْتَهُمْ مُكْرَهُونَ عَلَيْهَا وَيَنْسَوْنَ أَنَّهَا وَقْفَةٌ أَمَامَ بَدْيِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَمِنَ الْخَيْرِ أَنْ تَطُولَ هَذِهِ الْوَقْفَةُ. قَالَ ﷺ: «إِنَّ طَوْلَ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقِصْرَ خُطْبَتِهِ مِثْنَةٌ مَنْ فَهَمَهَا فَاطْيَلُوا الصَّلَاةَ وَأَقْصَرُوا الْخُطْبَةَ».

وَمِنَ الْمُؤَسِفِ أَنَّ أَكْثَرَ الْخُطْبَاءِ الْيَوْمَ عَمِلُوا بِخِلَافِ ذَلِكَ فَاطْيَلُوا الْخُطْبَةَ وَقْصَرُوا الصَّلَاةَ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يُؤَدِّي الصَّلَاةَ تَعُودًا لَا تَعْبَادًا وَهَذَا مَا جَعَلَهَا لَا تَنْهَاهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَلَا مُنْكَرٍ لِسَانَ حَالِهِمْ يَقُولُ يَا إِمَامُ ارْحِنَا مِنَ الصَّلَاةِ.

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِنِعْمِ عَظِيمَةٍ لَا تَعُدُّ وَلَا تُحْصَى جَعَلْنَا

مِن بَنِي آدَمَ وَجَعَلَ لَنَا سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً وَمَنْحَنَا النَّشَاطَ وَالْقُوَّةَ وَشَدَّ
أَسْرَتَنَا، وَوَهَبَنَا الصَّحَّةَ وَالْعَافِيَةَ وَالرِّزْقَ وَسَهَّلَ عَلَيْنَا الْحَرَكََةَ وَالسَّعْيَ .

هَذَا الْبَعْضُ الْيَسِيرُ مِنْ نِعَمِهِ كُلُّهُ كَرَمًا مِنْهُ وَتَفَضُّلاً وَلَمْ يَطْلُبْ مِنَّا إِلَّا
دَقَائِقَ مِنْ يَوْمٍ طَوِيلٍ نَشْكُرُهُ فِيهَا وَنَحْمَدُهُ وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَغْفِرَ عَنَّا وَيَرْزُقَنَا
وَيَرْحَمَنَا وَيَحْفَظَنَا وَأَوْلَادَنَا وَأَهْلَنَا وَهَدِيهِ لَا تَخْرُجَ عَنْ كَوْنِهَا لِخَيْرِنَا فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ .

فَمَا لَنَا لَا نَقُومُ بِهَذِهِ الدَّقَائِقِ بِجِدِّ وَاجْتِهَادٍ وَإِخْلَاصٍ وَرَغْبَةٍ وَنَشَاطٍ
وَنَسْعَى إِلَى مُنَاجَاةِ مَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا رَاغِبِينَ وَنُحَافِظُ عَلَى أَوْقَاتِ الصَّلَاةِ وَنُقِيمُهَا
عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ لَا شَكَّ أَنَّ الْعَبْدَ عِنْدَمَا يُحَاسِبُ نَفْسَهُ يَحْجَلُ وَيَسْتَحْجِي
جِدًّا وَيَتَذَكَّرُ أَنَّ الصَّلَاةَ الَّتِي هِيَ صِلَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَوْلَاهُ لَا تَأْخُذُ مِنْ يَوْمِهِ إِلَّا
دَقَائِقَ بَيْنَمَا لَهُ بَاقِي الْيَوْمِ كُلُّهُ .

اللَّهُمَّ أَرْزُقْنَا الْمَعْرِفَةَ عَلَى بَصِيرَةٍ بِكَ وَبِأَسْمَائِكَ وَصِفَاتِكَ وَوَفَّقْنَا لِمَا
تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَجَنِّبْنَا مَا تَكْرَهُهُ وَلَا تَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ
وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ يَا عَزِيزُ يَا غَفَّارُ وَاعْفِرْ
لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصَلِّ»

«فِيمَا وَرَدَ فِي الْأُخُوَّةِ وَالْأَلْفَةِ وَالصَّدَاقَةِ فِي اللَّهِ»

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ
وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ
أَحَبَّ عَبْدًا لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ» .. الْحَدِيثُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ
وَالنَّسَائِيُّ .

وفي رواية: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان وطعمه: ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما، وان يحب في الله ويُبغض في الله».. الحديث رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ان الله تعالى يقول يوم القيامة، أين المتحابون بجلالي، اليوم اظلمهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي» رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل معلق قلبه في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه» رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «ان رجلا زار أخاه في قرية أخرى، فأرصد الله على مדרجته ملكا فلما أتى عليه، قال أين تريد: قال أخا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها. قال: لا، غير أنني أحبه لله، قال: فإني رسول الله إليك ان الله قد أحبك كما أحبته فيه» رواه مسلم.

وعن أبي مسلم قال قلت لمعاذٍ والله إنني لأحُبك لغير ذنبا أرجو أن أصيبها منك ولا قرابة بيني وبينك، قال فلاي شيء. قلت لله. قال فجدب جبتني ثم قال: أبشِر إن كنت صادقا فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المتحابون في الله في ظل العرش يوم لا ظل الا ظله يعطوهم بمكانهم النبيون والشهداء»، قال ولقيت عبادة بن الصامت فحدثته بحديث معاذ.

شِعْرًا: وَكُلُّ مَحَبَّةٍ فِي اللَّهِ تَبَقَى
 وَكُلُّ مَحَبَّةٍ فِيمَا سِوَاهُ
 آخِر: إِذَا اعْتَدَرَ الصِّدِّيقُ إِلَيْكَ يَوْمًا
 فَصْنُهُ مِنْ عِتَابِكَ وَاعْفُ عَنْهُ
 آخِر: لَا تَهْجُرَنَّ أَحَاكَ إِنْ أَبْصَرْتَهُ
 فَالْعَصْنُ يَذْبُلُ ثُمَّ يُصْبِحُ مُورِقًا
 عَلَى الْحَايِنِ فِي سَعَةٍ وَضَيْقٍ
 فَكَالْحَلْفَاءِ فِي لَهَبِ الْحَرِيقِ
 مِنَ التَّقْصِيرِ عُذْرٌ فَتَى مُقِرًّا
 فَإِنَّ الْعَفْوَ شَيْمَةٌ كُلُّ حُرٍّ
 لَكَ جَافِيًا وَلِمَا تُحِبُّ مُجَافِيًا
 وَالْمَاءُ يَكْدُرُ ثُمَّ يُصْبِحُ صَافِيًا

فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «حَقَّتْ
 مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَنَاصِحِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ
 مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، هُمْ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، يُعْطِيهِمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ،
 وَالصِّدِّيقُونَ» رواه ابن حبان في صحيحه.

وعن عبادة بن الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْتُرُ
 عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: «حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي
 لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ
 فِيَّ» رواه أحمد بإسناد صحيح.

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ مِنْ عِبَادِ
 اللَّهِ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ يُعْطِيهِمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ» قِيلَ مَنْ هُمْ لَعَلَّنَا نُحِبُّهُمْ،
 قَالَ: «هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِنُورِ اللَّهِ، مِنْ غَيْرِ أَرْحَامٍ وَلَا أَنْسَابٍ، وَجُوهُهُمْ نُورٌ
 عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ»،
 ثُمَّ قَرَأَ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ رواه النسائي في
 صحيحه واللفظ له وهو أتم.

وعن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ
 لِأَنْسَاءٍ مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يُعْطِيهِمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ
 مِنَ اللَّهِ»، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَخَبِّرْنَا مَنْ هُمْ.

قَالَ: «هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ، وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا، فَوَاللَّهِ أَنَّ وُجُوهُهُمْ لَتُنُورُ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى نُورٍ، وَلَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ»، وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَعَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ أَنَّ أَصْحَابَهُ كَانُوا يَنْتَظِرُونَ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالُوا مَا أَبْطَأَكَ عَنَّا، أَيُّهَا الْأَمِيرُ، قَالَ: أَمَا إِنِّي سَوْفَ أُحَدِّثُكُمْ أَنَّ أَحَا لَكُمْ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَهُوَ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَارَبُّ حَدِّثْنِي بِأَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْكَ، قَالَ: وَلِمَ، قَالَ: لِأَحِبَّةٍ بِحُبِّكَ إِيَّاهُ.

قَالَ: «عَبْدٌ فِي أَقْصَى الْأَرْضِ أَوْ طَرْفِ الْأَرْضِ سَمِعَ بِهِ عَبْدٌ آخَرُ فِي أَقْصَى أَوْ طَرْفِ الْأَرْضِ لَا يَعْرِفُهُ فَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَكَأَنَّمَا أَصَابَتْهُ، وَإِنْ شَاكَتَهُ شَوْكَةٌ فَكَأَنَّمَا شَاكَتَهُ، لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِي فَذَلِكَ أَحَبُّ خَلْقِي إِلَيَّ».

قَالَ: يَارَبُّ خَلَقْتَ خَلْقًا تُدْخِلُهُمُ النَّارَ أَوْ تُعَذِّبُهُمْ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ «كُلُّهُمْ خَلْقِي»، ثُمَّ قَالَ ازْرَعْ زَرْعًا فَرَزَعَهُ، فَقَالَ اسْقِهِ فَسَقَاهُ، ثُمَّ قَالَ قُمْ عَلَيْهِ، فَقَامَ عَلَيْهِ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، فَحَصَدَهُ وَرَفَعَهُ.

فَقَالَ: مَا فَعَلَ زَرْعَكَ يَا مُوسَى، قَالَ فَرَعْتُ مِنْهُ، وَرَفَعْتُهُ، قَالَ مَا تَرَكْتَ مِنْهُ شَيْئًا، قَالَ مَا لَا خَيْرَ فِيهِ، أَوْ مَا لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ، قَالَ فَكَذَلِكَ أَنَا لَا أَعَذِّبُ إِلَّا مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ».

قَالَ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ إِلَّا أَنَّهُا تُنَجِّي مُحِبَّهُ مِنْ عَذَابِهِ، لَكَانَ يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ لَا يَتَعَوَّضَ عَنْهَا بِشَيْءٍ أَبَدًا، وَسُئِلَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَيْنَ تَجِدُ فِي الْقُرْآنِ أَنَّ الْحَبِيبَ لَا يُعَذَّبُ حَبِيبُهُ، فَقَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ الْآيَةَ.

اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِتَدْبِيرِ كِتَابِكَ وَإِطَالَةِ التَّأْمُلِ فِيهِ وَجَمْعِ الْفِكْرِ عَلَى مَعَانِي آيَاتِهِ ،
 اللَّهُمَّ ثَبَّتْ قَوَاعِدَ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِنَا وَشَيَّدْ فِيهَا بُنْيَانَهُ وَوَطِّدْ فِيهَا أَرْكَانَهُ وَالْهِمْنَا
 ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَأَغْفِرْ
 لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«موعظة» : عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ غَفَلَتِ الْأَلْسِنَةُ الْيَوْمَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، غَفَلَتْ تَسْرُ
 الْبَلِيسِ وَجُنُودَهُ ، وَلَمَّا غَفَلَتِ الْأَلْسِنَةُ غَفَلَتِ الْقُلُوبُ ، عَنْ مُرَاقَبَةِ اللَّهِ فِي السِّرِّ
 وَالْعَلَانِيَةِ ، وَلَمَّا غَفَلَتِ الْقُلُوبُ وَالْأَلْسِنَةُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، انْدَفَعَتِ الْجَوَارِحُ فِي
 مِيدَانِ الْمَعَاصِي ، انْدَفَاعًا لَا يُصَدِّقُ بِهِ إِلَّا مَنْ تَأَمَّلَ النَّاسَ فِي تَفَنُّهِمْ فِي الشَّرُورِ ،
 وَتَسَابُطِهِمْ إِلَيْهَا .

مِنْ تَقْلِيدِ لِلْأَجَانِبِ ، وَشُرْبِ لِدُخَانِ ، وَمُعَامَلَاتِ لَا تَجُوزُ ، وَنِفَاقِ ،
 وَغَشِّ ، وَنَهْشِ لِإِعْرَاضِ الْعَافِلِينَ ، وَخِدَاعِ ، وَمَكْرِ ، وَرِبَاٍ وَرِبَاٍ وَكِبْرِ وَحَسَدِ
 وَسَمَاعِ لِلْمَلَاهِي ، وَحُضُورِ لَهَا ، وَعَقُوقِ ، وَشَهَادَةِ زُورٍ وَرُشَاءِ ، وَمُدَاهَنَاتِ
 وَنَمِّ وَكَذِبِ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وَلَوْ تَحَرَّكَتِ الْأَلْسِنَةُ بِذِكْرِ اللَّهِ لَا اسْتَيْقَظَتِ الْقُلُوبُ مِنْ غَفَلَاتِهَا الْقَاتِلَاتِ ،
 وَلَوْ اسْتَيْقَظَتِ الْقُلُوبُ وَالتَّفَتَّتْ إِلَى ذِكْرِ عِلَامِ الْعُيُوبِ مَا رَأَيْتَ جَارِحَةً مِنْ
 الْجَوَارِحِ تَلْتَفَتْ لِشَيْءٍ مِنَ الْمَحْظُورَاتِ ، فَإِنَّ الْغَفْلَةَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ هِيَ أَصْلُ
 الشَّرُورِ وَالْيَقْظَةَ هِيَ أَصْلُ الْحَيْرِ وَالسَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَإِلَيْكَ تَمَازِجُ مِنْ كُنُوزِ ذِكْرِ اللَّهِ ، تَعَالَى أَوْلُهَا كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا
 اللَّهُ ، فَإِنِهَا تَرْجَحُ بِكُلِّ مَا سِوَاهَا ، حَتَّى عَلَى الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ ،
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، فَقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : «لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ
 اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ
 الشَّمْسُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ .

شِعْرًا: وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي الذِّكْرِ رَابِحٌ يَفُزُ يَوْمَ لَا ظِلَّ سِوَى ظِلِّ رَبِّهِ
آخِر: مَنْ لَمْ يَكُنْ وَقْتُهُ ذِكْرًا وَقُرْآنًا فَإِنَّ أَوْقَاتَهُ نَقْصٌ وَخُسْرَانٌ

وعن أم هانئ قالت مر بي رسول الله ﷺ ذات يوم، فقلت يا رسول
الله قد كبرت سني، وضعفت أو كما قالت فمُرني بعمل أعمله وأنا جالسة.

قال: سبِحِي الله مائة مرة، فإنها تعدل مائة رقة، تعتقينها من ولد
اسماعيل، واحمدي الله مائة تحميدة، فإنها تعدل لك مائة فرس مسرجة
مُلجمة تحمِلين عليها في سبيل الله، وكبري الله مائة تكبيرة فإنها تعدل لك
مائة بدنة متقبلة وهليلي الله مائة تهليلة.

قال أبو حنيفة أحسبه قال تملاً ما بين السماء والأرض ولا يُرفع يومئذ
لأحد عمل أفضل مما يُرفع لك إلا أن يأتي بمثل ما أتيت، رواه أحمد بإسناد
حسن واللفظ له والنسائي ولم يقل ولا يُرفع إلى آخره، ولا حول ولا قوة إلا
بالله، دواء من تسعة وتسعين داء، أيسرها اللهم كما في الحديث الذي رواه
الطبراني.

ولا حول ولا قوة إلا بالله كثر من كنوز الجنة، وقول أعوذ بكلمات الله
التامات من شر ما خلق حفظ لقائلها من العقر، ونحوها ومن قال رضيته
بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً فليبشر بان النبي ﷺ زعيم لمن قالها
إذا أصبح أن يدخل الجنة.

وقل إذا أصبحت اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك
وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر لِتُؤدِّي شكر يومك وقل
مثلها إذا أمسيت لِتُؤدِّي شكر ليلتك.

شِعْرًا: إذا ما المرء أخطأه ثلاث فبِعهُ ولو بكف من رماد
رضاً الرحمن مع صديق وزهد فحذها واحفظنها في الفؤاد

شِعْرًا: وَلَوْلَا ثَلَاثٌ هُنَّ مِنْ لَذَّةِ الْفِتَى وَرَبِّكَ لَمْ أَحْفَلْ مَتَى قَامَ عُوْدِي
 سِيَاحَةَ قَلْبِي فِي رِيَاضِ أَرِيضَةٍ مِنْ الْعِلْمِ مُجْتَازًا عَلَى كُلِّ مَوْرِدِ
 وَتَسْبِيحُنَا لِلَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ عَشِيًّا وَبِالْإِبْكَارِ فِي كُلِّ مَسْجِدِ
 وَتَرْتُلُ آيَاتِ الْكِتَابِ مُنَوَّرًا بِهَا جَوْفَ لَيْلٍ فِي قِيَامِ التَّهْجِدِ

اللَّهُمَّ يَا حَيَّ يَا قَيُّوْمُ يَا مَنْ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ مَكَّنْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا
 وَقَوِّهَا وَالْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَعِنَّا عَلَى الْقِيَامِ بِطَاعَتِكَ وَالْإِنْتِهَاءِ عَنْ
 مَعْصِيَتِكَ، اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ فَإِنَّا نَدْعُوكَ دُعَاءَ مَنْ
 كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ وَتَصَرَّ مَتَّ آمَالُهُ وَبَقِيَتْ آثَامُهُ وَانْسَبَلَتْ دَمْعَتُهُ وَانْقَطَعَتْ مُدَّتُهُ
 دُعَاءَ مَنْ لَا يَرْجُو لِذَنْبِهِ غَافِرًا غَيْرَكَ وَلَا لِمَا يُؤْمَلُهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ مُعْطِيًا سِوَاكَ
 يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصْلٌ»: وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
 قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا وَأَعْقِلُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادًا لَيْسُوا
 بِأَنْبِيَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ، يَعْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ، وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَنَازِلِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ
 اللَّهِ.»

فَجَثَى رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ، مِنْ قَاصِيَةِ النَّاسِ وَالْوَى بِيَدِهِ، إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،
 فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَعْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ
 وَالشُّهَدَاءُ، عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ انْعَتَهُمْ لَنَا، جَلَّهِمْ لَنَا، يَعْنِي صِفَهُمْ
 لَنَا، فَسَّرَ وَجْهَ النَّبِيِّ ﷺ بِسُؤَالِ الْأَعْرَابِيِّ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هُمُ نَاسٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ، وَتَوَازِعِ الْقَبَائِلِ، لَمْ
 تَصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ، مُتَقَارِبَةٌ تَحَابُّوا فِي اللَّهِ، وَتَصَافَوْا، يَضَعُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، فَيَجْلِسُونَ عَلَيْهَا، فَيَجْعَلُ وَجُوهَهُمْ وَثِيَابَهُمْ نُورًا يَفْرَعُ النَّاسُ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَفْرَعُونَ، وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»
 رواه أحمد وأبو يعلى بإسناد حسن والحاكم وقال صحيح الإسناد.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة لعمداً من ياقوتٍ عليها غرفٌ من زبرجدٍ لها أبوابٌ مفتحةٌ تُضيءُ كما يضيءُ الكوكبُ الدريُّ» قال: قلنا يارسول الله من يسكنها، قال: «المُتَحَابُونَ فِي اللَّهِ، وَالْمُتَبَاذِلُونَ فِي اللَّهِ، وَالْمُتَلَقُونَ فِي اللَّهِ» رواه البزار.

وعن بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا تُرَى ظَوَاهِرُهَا مِنْ بَوَاطِنِهَا، وَبَوَاطِنُهَا مِنْ ظَوَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُتَحَابِّينَ فِيهِ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيهِ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيهِ» رواه الطبراني في الأوسط.

وعن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَتَى السَّاعَةُ، قَالَ: وَمَا أَعَدَدْتَ لَهَا، قَالَ لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحَبَّيْتَ، قَالَ أَنَسُ فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرِحْنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحَبَّيْتَ، قَالَ أَنَسُ فَأَنَا أَحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ، وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَأَرْجُوا أَنَّ أَكُونَ مَعَهُمْ، بِحُبِّي إِيَّاهُمْ، رواه مسلم.

فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ بَشَارَةٌ عَظِيمَةٌ سَارَةٌ، لِمَنْ أَحَبَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَأَصْحَابَهُ، وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ وَاقْتَدَى بِهِمْ، وَلِهَذَا فَرِحَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِهَذَا النَّبَاءِ الْحَسَنِ، وَاعْتَبَطُوا لَهُ اغْتِبَاطًا، فَأَتَقًا وَإِنَّمَا سُرُّوا بِهِ وَفَرِحُوا لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَقْيِسُونَ أَنْفُسَهُمْ عَلَى شَخْصِ النَّبِيِّ ﷺ، فِي الْعِبَادَةِ، وَكَانَ ﷺ يَأْمُرُ بِالْقَصْدِ فِيهَا وَالرِّفْقِ بِأَنْفُسِهِمْ.

فَفِي حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ عَنِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَهُمْ، أَمَرَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا يَطِيقُونَ، وَيَقُولُونَ إنا لَسْنَا مِثْلَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَعْضَبُ حَتَّى يُعْرِفَ فِي وَجْهِهِ.

ثم يقول أما والله إني لأحشاكم لله، وأتقاكم له وكأنهم يقولون أنت

مَغْفُورٌ لَكَ ، فَلَا تَحْتَاجُ إِلَى كَثْرَةِ أَعْمَالٍ ، بِخِلَافِنَا فَرَدَّ عَلَيْهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ : «أَنَا أَوْلَاكُمْ بِذَلِكَ لِأَنِّي أَتَقَاكُمْ وَأَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ» .

مَنْ كَانَ كَذَلِكَ يَكْثُرُ أَعْمَالُهُ ، وَتَعْظُمُ عِبَادَتُهُ لِشِدَّةِ خَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ وَتَمَامِ مَعْرِفَتِهِ بِمَا يَلِيْقُ بِجَلَالِ اللَّهِ وَعَظَمَتِهِ ، وَلِأَنَّ نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْهِ أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ وَلِهَذَا سَرَّ الصَّحَابَةُ بِمَا قَالَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِهَذَا الرَّجُلِ السَّائِلِ .

وَقَالُوا فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرِحْنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ لِمَا وَفَّقَكَ اللَّهُ لَهُ مِنْ حُسْنِ النِّيَّةِ وَالْقَصْدِ مِنْ غَيْرِ إِجْهَادٍ فِي الْعَمَلِ ، وَزِيَادَةِ فِي الْعِبَادَةِ .

وَالْحَقُّ أَنَّهُ لَا يَتِمُّ وَلَا يَكْمُلُ إِيمَانُ الْإِنْسَانِ إِلَّا بِإِثَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالمَحَبَّةِ وَالتَّعَظِيمِ عَلَى سَائِرِ خَلْقِ اللَّهِ ، فَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ ، وَوَلَدِهِ ، وَفِي رِوَايَةِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ .

وَمِنْ عِلَامَاتِ مَحَبَّتِهِ إِثَارُ رِضَاهُ وَالْعَمَلُ بِشَرِيْعَتِهِ وَنَصْرُ سُنَّتِهِ ، وَالتَّأْسِي بِهٍ فِي شَمَائِلِهِ وَسِيْرَتِهِ الْكَرِيْمَةِ ، الْمُبَارَكَةِ أَمَا مَنْ ادَّعَى مَحَبَّتَهُ وَلَمْ يُؤَثِّرْ بِالْعَمَلِ شَرِيْعَتَهُ ، فِتْلِكَ دَعْوَى بَاطِلَةٌ ، وَتَبْجُحُ كَاذِبٌ ، لِأَنَّ صَاحِبَهَا لَمْ يُقِمِ حُجَّةً عَلَى صِحَّةِ دَعْوَاهُ ، وَأَحْقِيَّةِ مَا ادَّعَاهُ .

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِمَحَبَّتِكَ وَمَحَبَّةِ رُسُلِكَ وَأَوْلِيَائِكَ وَعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاعْفِرْ لَنَا ، اللَّهُمَّ اسئَلُكَ بِنَا سَبِيْلِ الْأَبْرَارِ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ، وَأَمُنْ عَلَيْنَا بِالْعَفْوِ وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فصل»

عن الوليد بن أبي مُغيث عن مُجاهدٍ، قال إذا التقى المسلمان فتصافحا غفر لهما، قال قلت لمُجاهدٍ بمُصافحةٍ لهما قال مُجاهدٌ أما سمعته يقول: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ فقال الوليد لمُجاهدٍ أنت أعلم مِنِّي .

وعن سلمان الفارسي أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا لَقِيَ أَحَاهُ الْمُسْلِمَ فَأَخَذَ بِيَدِهِ تَحَاتَّتْ عَنْهُمَا ذُنُوبُهُمَا كَمَا تَحَاتُّ الْوَرَقُ عَنِ الشَّجَرَةِ الْيَابِسَةِ فِي يَوْمٍ رِيحٍ عَاصِيفٍ وَإِلَّا غُفِرَ لَهُمَا ذُنُوبُهُمَا وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبِحَارِ» .

وقال أبو عمرو الأوزاعي حَدَّثَنِي عَبْدَةُ بْنُ لُبَابَةَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَلَقِيْتُهُ فَأَخَذَ بِيَدِي فَقَالَ إِذَا التَّقَا الْمُتَحَابَّانِ فِي اللَّهِ فَأَخَذَ أَحَدُهُمَا بِيَدِ صَاحِبِهِ وَضَحِكَ إِلَيْهِ تَحَاتَّتْ خَطَايَاهُمَا كَمَا تَحَاتُّ وَرَقُ الشَّجَرِ، قَالَ عَبْدَةُ فَقُلْتُ لَهُ هَذَا يَسِيرٌ فَقَالَ لَا تَقُلْ ذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، قَالَ عَبْدَةُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ أَفْقَهُ مِنِّي .

«مَوْعِظَةٌ مِنْ كَلَامِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ»

يَا مَنْ يُرْجَى الثَّوَابَ بِغَيْرِ عَمَلٍ، وَيُرْجَى التَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَلِ تَقُولُ فِي الدُّنْيَا قَوْلَ الزَّاهِدِينَ، وَتَعْمَلُ فِيهَا عَمَلَ الرَّاعِيَيْنِ، لَا بِقَلِيلٍ مِنْهَا تَقْنَعُ، وَلَا بِكَثِيرٍ مِنْهَا تَشْبَعُ، تَكْرَهُ الْمَوْتَ لِأَجْلِ ذُنُوبِكَ، وَتُفِيْمُ عَلَى مَا تَكْرَهُ الْمَوْتَ لَهُ مِنْ عُيُوبِكَ .

تَعْلِبُكَ نَفْسُكَ عَلَى مَا تَظُنُّ، وَلَا تَعْلِبُهَا عَلَى مَا تَسْتَيْفِنُ، مَا تَتَّقُ مِنَ الرِّزْقِ بِمَا ضَمِنَ لَكَ، وَلَا تَعْمَلُ مِنَ الْعَمَلِ مَا فُرِضَ عَلَيْكَ، وَتَسْتَكْثِرُ مِنْ مَعْصِيَةِ غَيْرِكَ مَا تَحْتَقِرُهُ مِنْ نَفْسِكَ .

أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ الدُّنْيَا كَالْحَيَّةِ لَيِّنُ مَسُّهَا وَالسُّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا يَهْوِي إِلَيْهَا

الصَّبِي الْجَاهِلُ وَيَحْذَرُهَا اللَّيِّبُ الْعَاقِلُ كَيْفَ تَقْرَعَيْنُ مِنْ عَرَفَهَا وَمَا أَبْعَدَ أَنْ يُفْطَمَ عَنْهَا مَنْ فَهَهَا، فَتَفَكَّرُوا إِخْوَانِي فِي أَهْلِ الصَّلَاحِ، وَالْفَسَادِ، وَمَيَّزُوا بَيْنَ أَهْلِ الْخُسْرَانِ وَأَهْلِ الْأَرْبَاحِ، فَيَا سَرَّعَانَ عُمَرُ يُفِينِيهِ الْمَسَاءُ وَالصَّبَاحُ.

«شِعْرٌ لِبَعْضِ الصَّالِحِينَ فِي مَدْحِ رَبِّ الْعِزَّةِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»

يَا فَاطِرَ الْخَلْقِ الْبَدِيعِ وَكَافِلًا
يَا مُسْبِعَ الْبِرِّ الْجَزِيلِ وَمُسْبِلَ السُّدِّ
يَا عَالِمَ السِّرِّ الْخَفِيِّ وَمُنْجِزَ الْكَلِّ
عَظَمْتَ صِفَاتِكَ يَا عَظِيمُ فَجَلَّ إِنَّ
الذُّنْبُ أَنْتَ لَهُ بِمَنْكَ غَافِرٌ
رَبُّ يُرَبِّي الْعَالَمِينَ بِبِرِّهِ
تَعْصِيهِ وَهُوَ يَسُوقُ نَحْوَكَ دَائِمًا
مُتَفَضِّلٌ أَبَدًا وَأَنْتَ لِجُودِهِ
وَإِذَا دَجَّى لَيْلُ الْخُطُوبِ وَأَظْلَمَتْ
وَأَيْسَتْ مِنْ وَجْهِ النَّجَاةِ فَمَالَهَا
يَأْتِيكَ مِنَ الطَّافِهِ الْفَرَجُ الَّذِي
يَأْمُوجِدُ الْأَشْيَاءَ مِنْ أَلْقَى إِلَى
وَمَنْ اسْتَرَاحَ بِغَيْرِ ذِكْرِكَ أَوْ رَجَا
عَمَلٌ أُرِيدَ بِهِ سِوَاكَ فَإِنَّهُ
وَإِذَا رَضِيَتْ فَكُلُّ شَيْءٍ هَيِّنٌ
أَنَا عَبْدٌ سُوءِ آبِقُ كُلِّ عَلِيٍّ
قَدْ أَثْقَلَتْ ظَهْرِي الذُّنُوبُ وَسَوَدَتْ
هَا قَدْ أَتَيْتُ وَحَسُنُ ظَنِّي شَافِعِي
فَاعْفِرْ لِعَبْدِكَ مَا مَضَى وَارْزُقْهُ تَوْ

رِزْقَ الْجَمِيعِ سَحَابُ جُودِكَ هَاطِلٌ
شِرِّ الْجَمِيلِ عَمِيمٌ طَوْلِكَ طَائِلٌ
وَعَدِ الْوَفِيِّ قَضَاءُ حُكْمِكَ عَادِلٌ
يُحْصِي الثَّنَاءَ عَلَيْكَ فِيهَا قَائِلٌ
وَلِتَوْبَةِ الْعَاصِي بِحِلْمِكَ قَابِلٌ
وَتَوَالَهُ أَبَدًا إِلَيْهِمْ وَاصِلٌ
مَا لَا تَكُونُ لِبَعْضِهِ تَسْتَاهِلٌ
بِقَبَائِحِ الْعِصْيَانِ مِنْكَ تُقَابِلٌ
سُئِلَ الْخَلَاصِ وَخَابَ فِيهَا الْآمِلُ
سَبَبٌ وَلَا يَدْنُو لَهَا مُتَنَاولٌ
لَمْ تَحْتَسِبْهُ وَأَنْتَ عَنْهُ غَافِلٌ
أَبْوَابَ غَيْرِكَ فَهُوَ غَيْرُ جَاهِلٌ
أَحَدًا سِوَاكَ فَذَلِكَ ظِلُّ زَائِلٌ
عَمَلٌ وَإِنْ زَعَمَ الْمُرَائِي بَاطِلٌ
وَإِذَا حَصَلَتْ فَكُلُّ شَيْءٍ حَاصِلٌ
مَوْلَاهُ أَوْزَارُ الْكِبَائِرِ حَامِلٌ
صُحْفِي الْعُيُوبِ وَسِتْرُ غَفْوِكَ شَامِلٌ
وَوَسَائِلِي نَدَمٌ وَدَمْعٌ سَائِلٌ
فَيَقَالَمَا تَرْضَى فَفَضْلُكَ كَامِلٌ

وَأَفْعَلُ بِهِ مَا أَنْتَ أَهْلُ جَمِيلِهِ وَالظَّنُّ كُلُّ الظَّنِّ أَنْتَ فَاعِلُ
 اللَّهُمَّ إِنَّا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَهَبْ لَنَا تَقْوَاكَ وَاهْدِنَا بِهِدَاكَ،
 وَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَحَدٍ سِوَاكَ، وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضَيْقٍ
 مَخْرَجًا، اللَّهُمَّ أَعِدْنَا بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَبِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، اللَّهُمَّ إِنَّا
 نَسْأَلُكَ التَّوْفِيقَ لِلْهُدَايَةِ وَالبُعْدَ عَنْ أَسْبَابِ الْجَهَالَةِ وَالبُغَايَةِ وَنَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ عَلَى
 الْإِسْلَامِ وَالسَّنَةَ، وَأَنْ لَا تَزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ مُضِلَّاتِ
 الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَنْصُرَ دِينَكَ، وَكِتَابَكَ وَرَسُولَكَ
 وَعِبَادَكَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْ تُظَهِّرَ دِينَكَ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

«فَصَلِّ»: قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

لَذَّةُ كُلِّ أَحَدٍ عَلَى حَسَبِ قَدْرِهِ وَهَمَّتِهِ وَشَرَفِ نَفْسِهِ، فَأَشْرَفُ النَّاسِ نَفْسًا
 وَأَعْلَاهُمْ هِمَّةً وَأَرْفَعُهُمْ قَدْرًا، مَنْ لَذَّتُهُ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَمَحَبَّتِهِ وَالشُّوقِ إِلَى لِقَائِهِ،
 وَالتَّوَدُّدِ إِلَيْهِ بِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، فَلَذَّتُهُ فِي إِقْبَالِهِ عَلَيْهِ وَعُكُوفِ هِمَّتِهِ عَلَيْهِ.

وَدُونَ ذَلِكَ مَرَاتِبٌ لَا يُحْصِيهَا إِلَّا اللَّهُ، حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مَنْ لَذَّتُهُ فِي أَحْسُ
 الْأَشْيَاءِ، مِنَ الْقَادُورَاتِ وَالفَوَاحِشِ، فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْكَلَامِ وَالْأَفْعَالِ
 وَالْأَشْغَالِ فَلَوْ عَرِضَ عَلَيْهِ مَا يَلْتَذُّ بِهِ الْأَوَّلُ لَمْ تَسْمَحْ نَفْسُهُ بِقَبُولِهِ وَلَا الْأَلْتِفَاتِ
 إِلَيْهِ، وَرُبَّمَا تَأَلَّمَتْ مِنْ ذَلِكَ كَمَا أَنَّ الْأَوَّلَ إِذَا عَرِضَ عَلَيْهِ مَا يَلْتَذُّ بِهِ هَذَا لَمْ
 تَسْمَحْ نَفْسُهُ بِهِ وَلَمْ تَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، وَنَفَرَتْ نَفْسُهُ مِنْهُ.

وَأَكْمَلُ النَّاسِ لَذَّةً مَنْ جُمِعَ لَهُ بَيْنَ لَذَّةِ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ وَلَذَّةِ الْبَدَنِ، فَهُوَ
 يَتَنَاوَلُ لَذَاتِهِ الْمُبَاحَةَ عَلَى وَجْهِ لَا يُنْقِصُ حَظَّهُ مِنَ الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَلَا يَقْطَعُ
 عَلَيْهِ لَذَّةَ الْمَعْرِفَةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْأَنْسِ بِرَبِّهِ، فَهَذَا مِمَّنْ قَالَ تَعَالَى فِيهِ: ﴿قُلْ مَنْ
 حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالبَطْيَاتِ مِنَ الرِّزْقِ، قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

وَأُبْحَسَهُمْ حَظًّا مِنَ اللَّذَّةِ ، مَنْ تَنَاوَلَهَا عَلَى وَجْهِ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ لَذَاتِ
الْآخِرَةِ فَيَكُونُ مِمَّنْ يُقَالُ لَهُمْ يَوْمَ اسْتِيفَاءِ اللَّذَاتِ ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي
حَيَاتِكُمْ وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ﴾ .

فَهَؤُلَاءِ تَمَتَّعُوا بِالطَّيِّبَاتِ ، وَأَوْلَئِكَ تَمَتَّعُوا وَافْتَرَقُوا فِي وَجْهِ التَّمَتُّعِ فَأَوْلَئِكَ
تَمَتَّعُوا بِهَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أُذِنَ فِيهِ فَجُمِعَ لَهُمْ بَيْنَ لَذَّةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وَهَؤُلَاءِ تَمَتَّعُوا بِهَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَيْهِ الْهَوَى وَالشَّهْوَةُ وَسَوَاءٌ
أُذِنَ لَهُمْ فِيهِ أَمْ لَا فَانْقَطَعَتْ عَنْهُمْ لَذَّةُ الدُّنْيَا وَفَاتَهُمْ لَذَّةُ الْآخِرَةِ فَلَا لَذَّةَ الدُّنْيَا
دَامَتْ وَلَا لَذَّةَ الْآخِرَةِ حَصَلَتْ لَهُمْ .

فَمَنْ أَحَبَّ اللَّذَّةَ وَدَوَامَهَا وَالْعَيْشَ الطَّيِّبَ فَلْيَجْعَلْ لَذَّةَ الدُّنْيَا مُوَصِّلَةً إِلَى
لَذَّةِ الْآخِرَةِ بَأَنْ يَسْتَعِينَ عَلَى فَرَاغِ قَلْبِهِ لِلَّهِ إِرَادَتِهِ وَعِبَادَتِهِ فَيَتَنَاوَلُهَا بِحُكْمِ
الِاسْتِعَانَةِ وَالْقُوَّةِ عَلَى طَلَبِهِ لَا بِحُكْمِ مُجَرَّدِ الشَّهْوَةِ وَالْهَوَى .

وَأَنْ كَانَ مِمَّنْ زُوِيََتْ عَنْهُ لَذَاتُ الدُّنْيَا فَلْيَجْعَلْ مَا نَقَصَ مِنْهَا زِيَادَةً فِي لَذَّةِ
الْآخِرَةِ . وَيُجِمُّ نَفْسَهُ هَهُنَا . بِالْتَّرِكِ لِيَسْتَوْفِيَهَا كَامِلَةً هُنَاكَ .

فَطَيِّبَاتُ الدُّنْيَا وَلَذَائِهَا نِعَمَ الْعَوْنِ لِمَنْ صَحَّ طَلَبُهُ لِلَّهِ وَالِدَارِ الْآخِرَةِ
وَكَانَتْ هِمَّتُهُ لِمَا هُنَاكَ ، وَبِئْسَ الْقَاطِعُ لِمَنْ كَانَتْ هِيَ مَقْصُودَهُ وَهِمَّتُهُ
وَحَوْلَهَا يُدْنِدُنُ وَفَوَاتِهَا فِي الدُّنْيَا نِعَمَ الْعَوْنِ لِطَالِبِ اللَّهِ وَالِدَارِ الْآخِرَةِ وَبِئْسَ
الْقَاطِعُ النَّازِعُ مِنَ اللَّهِ وَالِدَارِ الْآخِرَةِ فَمَنْ أَخَذَ مَنَافِعَ الدُّنْيَا عَلَى وَجْهِ لَا يَنْقُصُ
حَظَّهُ مِنَ الْآخِرَةِ ظَفِرَ بِهِمَا جَمِيعًا وَإِلَّا خَسِرَهُمَا جَمِيعًا .

وقال رحمه الله :

سبحان الله رب العالمين ، لو لم يكن في ترك الذنوب والمعاصي إلا
إقامة المروءة ، وصون العرض ، وحفظ الجاه ، وصيانة المال ، الذي جعله الله
قواماً لمصالح الدنيا والآخرة ، ومحبة الخلق وجواز القول بينهم .

وَصَلَّاحِ الْمَعَاشِ وَرَاحَةِ الْبَدَنِ وَقُوَّةِ الْقَلْبِ وَطَيْبِ النَّفْسِ وَنَعِيمِ الْقَلْبِ
وَأَشْرَاحِ الصَّدْرِ وَالْأَمْنِ مِنْ مَخَافِ الْفُسَاقِ وَالْفَجَّارِ، وَقَلَّةِ الْهَمِّ وَالْعَمِّ
وَالْحَزَنِ وَعِزِّ النَّفْسِ عَنْ احْتِمَالِ الذَّلِيلِ، وَصَوْنِ نُورِ الْقَلْبِ أَنْ تُطْفِئَهُ ظُلْمَةُ
الْمَعْصِيَةِ، وَحُصُولِ الْمَخْرَجِ لَهُ مِمَّا ضَاقَ عَلَى الْفُسَاقِ وَالْفَجَّارِ .

وَتَيْسِيرِ الرِّزْقِ عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، وَتَيْسِيرِ مَا عَسَرَ عَلَى أَرْبَابِ
الْفُسُوقِ وَالْمَعَاصِي، وَتَسْهِيلِ الطَّاعَاتِ عَلَيْهِ، وَتَيْسِيرِ الْعِلْمِ وَالنِّسَاءِ الْحَسَنِ فِي
النَّاسِ، وَكَثْرَةِ الدُّعَاءِ لَهُ، وَالْحَلَاوَةِ الَّتِي يَكْتَسِبُهَا وَجْهَهُ، وَالْمَهَابَةِ الَّتِي تُلْقَى
لَهُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ .

شِعْرًا: يَشْقَى رِجَالٌ وَيَشْقَى آخَرُونَ بِهِمْ وَيُسَعِدُ اللَّهُ أَقْوَامًا بِأَقْوَامٍ
وَلَيْسَ رِزْقُ الْفَتَى مِنْ حُسْنِ حَيْلَتِهِ لَكِنْ حُظُوظٌ مِنَ اللَّهِ لِأَقْوَامٍ
كَالصَّيْدِ يُحْرَمُهُ الرَّامِي الْمُجِيدُ وَقَدْ يُرْمَى فَيُرْزَقُهُ مَنْ لَيْسَ بِالرَّامِي

وَأَنْتَصَارُهُمْ لَهُ وَحَمِيَّتُهُمْ لَهُ إِذَا أُؤْذِيَ أَوْ ظَلِمَ وَذَبَّهِمْ عَنْ عَرَضِهِ إِذَا اعْتَابَهُ
مُعْتَابٌ وَسُرْعَةُ إِجَابَةِ دُعَائِهِ وَزَوَالُ الْوَحْشَةِ الَّتِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ وَقُرْبُ الْمَلَائِكَةِ
مِنْهُ . وَبُعْدُ شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ مِنْهُ، وَتَنَافُسُ النَّاسِ عَلَى خِدْمَتِهِ .

وَخِطْبَتُهُمْ لِمَوَدَّتِهِ وَصُحْبَتِهِ، وَعَدَمُ خَوْفِهِ مِنَ الْمَوْتِ، بَلْ يَفْرَحُ بِهِ
لِقُدُومِهِ عَلَى رَبِّهِ، وَلِقَائِهِ لَهُ وَمَصِيرِهِ إِلَيْهِ، وَصِغَرُ الدُّنْيَا فِي قَلْبِهِ وَكِبَرُ الْآخِرَةِ
عِنْدَهُ وَحِرْصُهُ عَلَى الْمُلْكِ الْكَبِيرِ وَالْفُوزِ الْعَظِيمِ فِيهَا . وَذَوْقُ حَلَاوَةِ الطَّاعَةِ
وَوِجْدُ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ وَدُعَاءُ حَمَلَةِ الْعَرْشِ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَهُ، وَفَرَحُ
الْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ بِهِ، وَدُعَاءُهُمْ لَهُ كُلِّ وَقْتٍ، وَالرِّيَازَةُ فِي عَقْلِهِ وَفَهْمِهِ وَإِيمَانِهِ
وَمَعْرِفَتِهِ وَحُصُولِ مَحَبَّةِ اللَّهِ لَهُ وَاقْبَالِهِ عَلَيْهِ وَفَرَحُهُ بِتَوْبَتِهِ .

فَهَذَا بَعْضُ آثَارِ تَرْكِ الْمَعَاصِي فِي الدُّنْيَا فَإِذَا مَاتَ تَلَقَّتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِالْبُشْرَى
مِنْ رَبِّهِ بِالْجَنَّةِ وَبِأَنَّهُ لَا خَوْفَ عَلَيْهِ وَلَا حَزْنَ وَيَنْتَقِلُ مِنْ سِجْنِ الدُّنْيَا وَضِيقِهَا
إِلَى رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ يَنْعَمُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَانَ النَّاسُ فِي الْحَرِّ وَالْعَرَقِ وَهُوَ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ فَإِذَا انْصَرَفُوا بَيَّنَّ يَدَيِ اللَّهِ أُخَذَ بِهِ ذَاتَ الْيَمِينِ مَعَ أَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ وَحِزْبِهِ الْمُفْلِحِينَ وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

« فَصَلِّ » : وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ : أَنَّ الرَّحْمَةَ صِفَةٌ تَقْتَضِي إِيْصَالَ الْمَنَافِعِ وَالْمَصَالِحِ إِلَى الْعَبْدِ ، وَإِنْ كَرِهَتْهَا نَفْسُهُ وَشَقَّتْ عَلَيْهَا ، فَهَذِهِ هِيَ الرَّحْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ . فَارْحَمْ النَّاسَ بِكَ مَنْ شَقَّ عَلَيْكَ فِي إِيْصَالِ مَصَالِحِكَ ، وَدَفَعْ الْمَضَارِّ عَنْكَ .

فَمِنْ رَحْمَةِ الْأَبِ بِوَلَدِهِ : أَنْ يُكْرِهَهُ عَلَى التَّأْدِيبِ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ ، وَيُشَقُّ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ بِالضَّرْبِ وَغَيْرِهِ ، وَيَمْنَعُهُ شَهْوَاتِهِ الَّتِي تَعُودُ بِضَرَرِهِ ، وَمَتَى أَهْمَلَ ذَلِكَ مِنْ وُلْدِهِ كَانَ لِقَلَّةِ رَحْمَتِهِ بِهِ ، وَإِنْ ظَنَّ أَنَّهُ يَرَحِمُهُ وَيُرْفَهُهُ وَيُرِيحُهُ ، فَهَذِهِ رَحْمَةٌ مَقْرُونَةٌ بِجَهْلٍ ، كَرَحْمَةِ الْأُمِّ .

ولهذا كان من تمام رحمة أرحم الراحمين تسليط أنواع البلاء على العبد ، فإنه أعلم بمصلحته ، فأبتلاؤه له وامتحانه ومنعه من أغراضه وشهواته : من رحمته به ولكن العبد لجهله وظلمه يتهم ربه بابتلاءه ، ولا يعلم إحسانه إليه بابتلاءه وامتحانه .

وَقَدْ جَاءَ فِي الْأَثَرِ : إِنَّ الْمُبْتَلَى إِذَا دُعِيَ لَهُ : اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي ، يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : كَيْفَ ارْحَمُهُ مِنْ شَيْءٍ بِهِ ارْحَمُهُ : وَفِي أَثَرٍ أُخَرَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدَهُ حَمَاهُ الدُّنْيَا وَطَيِّبَاتِهَا وَشَهْوَاتِهَا كَمَا يَحْمِي أَحَدَكُمْ مَرِيضَةً .

فهذا من تمام رحمته به ، لا من بخله عليه . كَيْفَ هُوَ الْجَوَادُ الْمَاجِدُ ، الَّذِي لَهُ الْجُودُ كُلُّهُ ، وَجُودُ الْخَلَائِقِ فِي جَنْبِ جُودِهِ أَقَلُّ مِنْ ذَرَّةٍ فِي جِبَالِ الدُّنْيَا وَرَمَالِهَا .

فَمِنْ رَحْمَتِهِ سُبْحَانَهُ بِعِبَادِهِ: إِبْتِلَاؤُهُمْ بِالْأَوْامِرِ وَالنَّوَاهِي رَحْمَةً وَحَمِيَّةً، لَا حَاجَةَ مِنْهُ إِلَيْهِمْ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ، فَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ وَلَا يَخْلَا مِنْهُ عَلَيْهِمْ بِمَا نَهَاهُمْ عَنْهُ، فَهُوَ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ.

وَمِنْ رَجْمَتِهِ: أَنْ نَعَّصَ عَلَيْهِمُ الدُّنْيَا وَكَدَّرَهَا لِقَلَّا يَسْكُنُوا إِلَيْهَا، وَلَا يَطْمَئِنُّوا إِلَيْهَا، وَيَرْغَبُوا فِي التَّعِيمِ الْمُقِيمِ فِي دَارِهِ وَجِوَارِهِ، فَسَاقَهُمْ إِلَى ذَلِكَ بِسَيَاطِ الْإِبْتِلَاءِ وَالِامْتِحَانِ، فَمَنَعَهُمْ لِيُعْطِيَهُمْ وَابْتِلَاهُمْ لِيُعَاقِبَهُمْ، وَأَمَاتَهُمْ لِيُجِيبَهُمْ.

وَمِنْ رَحْمَتِهِ بِهِمْ: أَنْ حَذَّرَهُمْ نَفْسَهُ، لِقَلَّا يَعْتَرُوا بِهِ، فَيَعَامِلُوهُ بِمَا لَا تَحْسُنُ مُعَامَلَتَهُ بِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾، قَالَ غَيْرٌ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: مِنْ رَأْفَتِهِ بِالْعِبَادِ حَذَّرَهُمْ مِنْ نَفْسِهِ، لِقَلَّا يَعْتَرُوا بِهِ.

اللَّهُمَّ قَابِلُ سَيِّئَاتِنَا بِأَحْسَانِكَ، وَاسْتُرْ حَاطِيئَتِنَا بِغُفْرَانِكَ وَأَذْهِبْ ظُلْمَةَ ظَلَمِنَا بِنُورِ رِضْوَانِكَ، وَأَفْهَرْ عَدُوَّنَا بِعِزِّ سُلْطَانِكَ، فَمَا تَعَوَّذْنَا مِنْكَ إِلَّا الْإِلَاحِيَّةَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

شِعْرًا: أَتَأَمَّلُ فِي الدُّنْيَا تُجِدُ وَتَعْمُرُ وَأَنْتَ غَدًا فِيهَا تَمُوتُ وَتَقْبَرُ
تُلْقِحُ آمَالًا وَتَرْجُو نِتَاجَهَا وَعُمْرُكَ مِمَّا قَدْ تَرَجَّيْتَهُ أَقْصَرُ
تَحُومُ عَلَى إِدْرَاكِ مَا قَدْ كُفَيْتُهُ وَتَقْبَلُ فِي الْأَمَالِ فِيهَا وَتُدْبِرُ
وَهَذَا صَبَاحُ الْيَوْمِ يَنْعَاكَ ضَوْؤُهُ وَكَيْفِيَّتُهُ تَنْعَاكَ إِنْ كُنْتَ تَشْعُرُ
وَرِزْقُكَ لَا يَعْدُوكَ إِلَّا مَا مُعْجَلٌ عَلَى حَالَةٍ يَوْمًا وَإِنَّمَا مُؤَخَّرُ
فَلَا تَأْمَنَ الدُّنْيَا وَإِنْ هِيَ أَقْبَلَتْ عَلَيْكَ فَمَا زَالَتْ تَخُونُ وَتَعْدُرُ
فَمَا تَمَّ فِيهَا الصَّفْوُ يَوْمًا لِأَهْلِهِ وَلَا الرِّثْقُ إِلَّا رَيْثَمًا يَتَغَيَّرُ

وَمَا لَاحَ نَجْمٌ لَّا وَلَا ذَرٌّ شَارِقٌ عَلَى الْحَلْقِ إِلَّا حَبْلُ عُمْرِكَ يَقْصُرُ
تَطَهَّرْ وَالْحَقُّ ذَنْبِكَ الْيَوْمَ تَوْبَةٌ لَعَلَّكَ مِنْهَا إِن تَطَهَّرْتَ تَطَهَّرْ
وَشَمَّرَ فَقَدْ أُبْدِيَ لَكَ الْمَوْتُ وَجْهَهُ وَلَيْسَ يَنَالُ الْفَوْزَ إِلَّا الْمُشَمَّرُ
فَهَدِنِي اللَّيَالِي مُؤَذِّنَاتِكَ بِالْبَلَى تَرْوُحٌ وَأَيَّامٌ كَذَلِكَ تُبَكِّرُ
وَأَخْلِصْ لِدِينِ اللَّهِ صَدْرًا وَنِيَّةً فَإِنَّ الَّذِي تُخْفِيهِ يَوْمًا سَيَظْهَرُ
تَذَكَّرْ وَفَكَّرْ بِالَّذِي أَنْتَ صَائِرٌ إِلَيْهِ غَدًا إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يُفَكِّرُ
فَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تَصِيرَ لِحُفْرَةٍ بِأَثَائِهَا تُطَوَى إِلَى يَوْمٍ تُنْشَرُ

اللَّهُمَّ اسئلكَ بِنَا سَبِيلَ عِبَادِكَ الْأَبْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُصْطَفِينَ
الْأَخْيَارِ وَامْنُنْ عَلَيْنَا بِالْعَفْوِ وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ وَاحْفَظْنَا مِنَ الْمَعَاصِي فِيمَا بَقِيَ مِنْ
الْأَعْمَارِ وَأَحْسِنْ بِكَرَمِكَ قَصْدَنَا، وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَةِ عِبَادِكَ الْمُتَّقِينَ وَالْحَقْنَا
بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

«فصل»

اعْلَمْ وَفَقْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُجِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ أَنْ الصَّبْرَ
مِنْ أَجْلِ صِفَاتِ النَّفْسِ وَأَعْلَاهَا قَدْرًا، وَهُوَ لَعَنَةٌ حَبَسُ النَّفْسِ عَنِ الْجَزَعِ أَيْ
مَنْعُهَا مِنَ الْأَسْتِسْلَامِ لِلْجَزَعِ كَيْ لَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ فِعْلٌ مَا لَا يَنْبَغِي فِعْلُهُ وَبِعِبَارَةٍ
أُخْرَى الصَّبْرُ ثَبَاتُ الْقُوَّةِ الْمُضَادَّةِ لِلشَّهْوَةِ فِي مُقَاوَمَتِهَا .

وَأَمَّا شَرْعًا فَهُوَ أَعْمٌ مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّهُ حَبَسُ النَّفْسِ عَنِ الْجَزَعِ، وَمَنْعُهَا عَنِ
مَحَارِمِ اللَّهِ، وَالزَّامِيهَا بِإِدَاءِ فَرَائِضِ اللَّهِ، يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ الصَّبْرُ فِي الْقُرْآنِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ صَبْرٌ عَلَى إِدَاءِ فَرَائِضِ اللَّهِ
وَصَبْرٌ عَنِ مَحَارِمِ اللَّهِ، وَصَبْرٌ عَلَى الْمُصِيبَةِ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى .

شِعْرًا: وَعَاقِبَةُ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ حَمِيدَةٌ وَأَفْضَلُ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ التَّدِينُ

ولا عَارَ إِنْ زَالَتْ عَنِ الْمَرْءِ نِعْمَةٌ وَلَكِنْ عَارًا أَنْ يَزُولَ التَّدِينُ
 آخِرُ: إِذَا قُدِّرَ عَلَيْكَ أُخْيٌّ أَمْرًا بِمَكْرُوهِ تَعَاظَمَ أَوْ بَلِيَّةٍ
 فَلَا تَعْجَلْ وَثِقْ بِاللَّهِ وَاصْبِرْ فَلِلرَّحْمَنِ الْطَافُ خَفِيَّةٌ
 وَإِيَّاكَ الْمَطَامِعَ وَالْأَمَانِي فَكَمْ أُمِّيَّةٌ جَلَبَتْ مِنْهُ

وقال ابن القيم الصبر حبس النفس عن التسخط بالمفقود وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعصية، فمدار الصبر على هذه الأركان الثلاثة فإذا قام بها العبد كما ينبغي انقلبت المحنة في حقه منحة، واستحالة البلية عطية، وصار المكروه محبوباً.

فإن الله سبحانه وتعالى لم يبتله ليهلكه، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته، فإن لله تعالى على العبد عبودية في الضراء كما له عليه عبودية في السراء، وله عبودية عليه فيما يكره كما له عليه عبودية فيما يحب، أهـ.

شِعْرًا: إِذَا اشْتَدَّ عُسْرٌ فَارْجُ يُسْرًا فَإِنَّهُ قَضَى اللَّهُ أَنْ الْعُسْرَ يَتَّبِعُهُ الْيُسْرُ

وعرف الصبر بعضهم بأنه باعث الدين، أمام باعث الهوى فأما باعث الدين فهو قدرة العقل على قهر الشهوة والغضب، لأنهما بطغيانهما يقودان المرء إلى ما لا يفره الدين، ولا يرضاه العقل، فإذا ثبت العقل أمام الشهوة والغضب وقام بوظيفته على الوجه المطلوب فلا يجعل لهما عليه سلطاناً.

ولا يسمح لهما بالطغيان، فينقاد لهما صاغراً بل يكون هو الأمر الناهي فيسلك بهما سبيل الاعتدال، بلا إفراط ولا تفريط، فإنه بذلك يستطيع بإذن الله أن يظفر بالصبر، عن ما حرم الله والصبر على طاعته، وأن يحبس نفسه عن الجزع عند المصيبة، فلا يستفزها الجزع إلى قول، أو عمل، ما لا يرضاه الله مهما كان لنفسه فيه لذة.

ومن ذلك الصبر على إيذاء الناس إيأه، فإنه إذا أغضبه أحد بقول أو

عَمَلٍ ، فَإِنَّ غَضَبَهُ لَا يَطغَى عَلَيْهِ ، فَيَحْمِلُهُ عَلَى تَعْدِي حُدُودِ اللَّهِ ، بَلْ يَكْفِيكَهُمْ
غَضَبُهُ حَتَّى يَجْرِي عَلَى سُنَنِ الدِّينِ مِنَ الْقِصَاصِ الْعَادِلِ ، أَوْ الْعَفْوِ إِنْ كَانَ فِيهِ
مَصْلَحَةٌ .

وَقِيلَ فِي تَعْرِيفِهِ هُوَ الثَّبَاتُ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَالتَّمَشِّي مَعَ
ارْتِشَادَاتِهِمَا ، لِأَنَّ مَنْ ثَبَّتَ عَلَيْهِمَا فَقَدْ صَبَرَ عَلَى الْمَصَائِبِ ، وَعَلَى آدَاءِ
الْعِبَادَاتِ ، وَعَلَى اجْتِنَابِ الْمُحْرَمَاتِ .

ثُمَّ إِنَّ الصَّبْرَ يُسَمَّى بِأَسْمَاءَ مُخْتَلِفَةٍ ، فَمَثَلًا الصَّبْرُ عَنِ شَهْوَةِ الْفَرْجِ
وَالْبَطْنِ أَوْ الْمَالِ الْحَرَامِ يُسَمَّى عِفَّةً وَوَرَعًا وَمَنْعُهَا عَنِ الْجَزَعِ وَالْفِرَارِ عِنْدَ لِقَاءِ
الْعَدُوِّ يُسَمَّى شَجَاعَةً ، وَيُقَابِلُهُ الْجُبْنُ ، وَمَنْعُهَا عَنِ التَّعَدِّي عَلَى الْغَيْرِ عِنْدَ ثَوْرَةِ
الْعُضْبِ يُسَمَّى حِلْمًا ، وَشَجَاعَةً ، وَيُقَابِلُهُ التَّدْمُرُ وَالطَّيْشُ .

وَعَنِ إِفْشَاءِ السَّرِّ يُسَمَّى كِتْمَانِ السَّرِّ ، وَعَنِ الْإِسْرَافِ فِي الْمَاكِلِ
وَالْمَشَارِبِ يُسَمَّى زُهْدًا ، وَعَنِ الْغُرُورِ بِالثَّرْوَةِ وَالْمَالِ يُسَمَّى ضَبْطَ النَّفْسِ ،
وَيُقَابِلُهُ الْبَطْرُ وَالْحُلَاصَةُ أَنَّ الصَّبْرَ فَضِيلَةٌ يَحْتَاجُهَا الْمُسْلِمُ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ .

فَيَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُوطِنَ نَفْسَهُ عَلَى اخْتِمَالِ الشَّدَائِدِ وَالْمَكَارِهِ دُونَ
ضَجَرٍ وَانْتِظَارِ النَّتَائِجِ مَهْمَا بَعُدَتْ فَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ ، وَعَلَيْهِ أَنْ يُوطِنَهَا
عَلَى مُوَاجَهَةِ الْأَعْبَاءِ مَهْمَا ثَقُلَتْ بِقَلْبٍ لَمْ تَعْلُقْ بِهِ رِيَّةً وَعَقْلٍ لَا تَطْيِشُ بِهِ
كُرْبَةً .

وَقَدْ أَكَّدَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا أَنَّ ابْتِلَاءَ النَّاسِ أَمْرٌ لَا مَحِيصَ عَنْهُ حَتَّى يَأْخُذُوا
الْأَهْبَةَ ، وَالْإِسْتِعْدَادَ لِلنَّوَارِزِ ، فَلَا تُذْهِلُهُمُ الْمُفَاجِئَةُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
﴿ وَلِتَبْلُؤُنَّكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُؤَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ ، وَقَالَ :
﴿ وَلِتَبْلُؤُنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ
وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ وَتَبْلُؤَكُمْ بِالسَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا
تَرْجِعُونَ ﴾ .

وقال تعالى إخباراً عما قاله سليمان عليه السلام ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ آلم أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ الآية .

شِعْرًا : اصْبِرْ عَلَى مِضْضِ الْأَدْلَاجِ فِي السَّحْرِ
 إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْأَيَّامِ تَجْرِبَةً
 وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرِ تَطَلُّبُهُ
 آخر : يَقُولُ لَكَ الْإِنْبَاتُ أَهْلُ التَّجَارِبِ
 وَنَصُّ - كِتَابِ - اللَّهِ - بِالصَّبْرِ - أَمْرٌ
 وَيَقُولُ الْآخَرُ :

وَالصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ مُرٌّ مَذَاقَتُهُ
 لَكِنْ عَوَاقِبُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ
 وَيَقُولُ الْآخَرُ :

بَنَى اللَّهُ لِلْأَخْيَارِ بَيْتًا سَمَاوُهُ
 وَأَدْخَلَهُمْ فِيهِ وَأَغْلَقَ بَابَهُ
 آخر : فَكَّرْتُ فِي الْجَنَّةِ الْعُلْيَا فَلَمْ أَرَهَا
 فِي الصَّالِحَاتِ بِإِخْلَاصِي لِخَالِقِنَا
 آخر : أَيَطْمَعُ فِي الْعُلْيَا مَنْ كَانَ مُشْرِكًا
 آخر : يُرِيدُ الْمَعَالِي عَاطِلٌ مِنْ أَدَاتِهَا
 آخر : وَلَوْ خَلَّالَ سَنِّهَا الشَّرْعُ مَا دَرَى
 آخر : دَبُّوا إِلَى الْمَجْدِ وَالسَّاعُونَ قَدْ بَلَّغُوا
 وَسَاوَرُوا الْمَجْدَ حَتَّى مَلَّ أَكْثَرُهُمْ
 لَا تَحْسِبِ الْمَجْدَ ثَمْرًا أَنْتَ آكِلُهُ
 آخر : مُسْتَشْعِرُ الصَّبْرِ مَقْرُونٌ بِهِ الْفَرَجُ
 هُمُومٌ وَاحْزَانٌ وَجُدْرَانُهُ الضَّرُّ
 وَقَالَ لَهُمْ مِفْتَاحُ بَابِكُمْ الصَّبْرُ
 تُنَالُ إِلَّا عَلَى جَسْرِ مِنَ التَّعَبِ
 أَجْهَدُ زَمَانِكَ إِنْ الْوَقْتَ مِنْ ذَهَبِ
 وَلَنْ يُبْلَغَ الْعُلْيَا إِلَّا الْمَوْحِدُ
 وَهَيْهَاتَ مِنْ مَقْصُوصَةِ طَيْرَانِهَا
 بُعَاهُ الْعُلَى مِنْ أَيْنَ تُؤْتِي الْمَكَارِمُ
 جُهْدَ النَّفْسِ وَشَدُّوا نَحْوَهُ الْأُزْرَا
 وَعَانَقَ الْمَجْدَ مَنْ وَافَى وَمَنْ صَبْرًا
 لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبْرًا
 يُبْلَى وَيَصْبِرُ وَالْأَشْيَاءُ تُنْتَهَجُ

حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ مَقْدُورَ غَايَتِهَا
يُقَدِّرُ اللَّهُ فَارْجُ اللَّهَ وَارْضُ بِهِ
آخِرُ: قُلِ اللَّهُ مِنْ يَطْلُبُ رِضَاهُ يَنْلُ أَجْرًا
وَيُرْخِصُ فِي إِذْرَاكِهِ كُلَّ مَا غَلَا
آخِرُ: فَلَا تَيْأَسْ إِذَا مَا سُدَّ بَابُ
وَلَا تَجَزَعْ إِذَا مَا اغْتَاصَ أَمْرٌ
آخِرُ: بِقَدْرِ الْجِدِّ تُكْتَسَبُ الْمَعَالِي
تُرُومُ الْعِزِّ ثُمَّ تَنَامُ عَنْهُ
آخِرُ: إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا
لَا تَيْأَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مَطَالِبُهُ
أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يُحْظَى بِحَاجَتِهِ

جَاءَتْكَ تَضْحُكَ عَنْ ظِلْمَائِهَا السُّرُجُ
فِي إِزَادَتِهِ الْعَمَاءُ تَنْفَرُجُ
وَيَسْتَسْهِلُ الْأَخْطَارَ وَالْمَرْكَبَ الْوَعْرَا
وَيُنْفِقُ فِي أَدْنَى رَغَائِبِهِ الْعُمْرَا
فَارْضُ اللَّهُ وَاسِعَةَ الْمَسَالِكِ
لَعَلَّ اللَّهَ يُحَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ
وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَا سَهَرَ اللَّيَالِي
يَعُوضُ الْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّالِي
فَالصَّبْرُ يَفْتَحُ مِنْهَا كُلَّ مَارْتَجَا
إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرْجَا
وَمُدَّ مِنَ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَا

اللَّهُمَّ انظِمْنا في سِلكِ حِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ، واجعلنا مِنْ عِبَادِكَ الْمُحْلِصِينَ
وَأَمِنَّا يَوْمَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ، واحشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصِّدِّيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، اللَّهُمَّ اعْطِنَا مِنَ الْخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُوهُ
وَأَصْرِفْ عَنَّا مِنَ السُّوءِ فَوْقَ مَا نَحْذَرُ فَإِنَّكَ تَمَحُّو مَا تَشَاءُ وَتَثْبِتُ وَعِنْدَكَ أُمُّ
الْكِتَابِ، اللَّهُمَّ واجعلنا مِمَّنْ يَأْخُذُ الْكِتَابَ بِالْيَمِينِ، واجعلنا يَوْمَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ
آمِنِينَ، وَأَوْصِلْنَا بِرَحْمَتِكَ وَكَرَمِكَ إِلَى جَنَاتِ النِّعَمِ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصَلِّ»: وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَدَى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا
وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا
الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُومِينَ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا

حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ أَلَا نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبًا ﴿١٠﴾ .
فَمَنْ ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِنَقْصٍ فِي مَالِهِ أَوْ مَنَعَهُ شَيْئًا مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا وَلَذَاتِهَا
الْفَانِيَةِ وَعَجَزَ عَنْ تَحْصِيلِهِ بِالْوَسَائِلِ الْمَشْرُوعَةِ أَوْ قَبِضَ لَهُ نَفْسًا أَبًا أَوْ أَخًا أَوْ مَاءً
أَوْ وَلَدًا أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ أَوْ خَافَ مِنْ عَدُوِّ فَإِنَّهُ لَا دَوَاءَ لَهُ إِلَّا الصَّبْرُ عَلَى
مَا أَصَابَهُ .

فَإِذَا صَبَرَ الْمُتَبَلِّغُ وَعَمِلَ بِقَوْلِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَقَدْ هَانَتْ عَلَيْهِ الْبَلْوَى
وَضَاعَ أَثَرُهَا فَاسْتَرَاحَ مِنْ عَذَابِهَا فِي الدُّنْيَا وَفَارَزَ بِالْآخِرَةِ بِالْجَزَاءِ الْحَسَنِ ،
فَالْفَقِيرُ الَّذِي لَا يَذْهَبُ بِلَبِّهِ مَتَاعُ الْحَيَاةِ وَزِينَتُهَا وَلَا يُحْزِنُهُ مَا لَا يَسْتَطِيعُ
الْوَصُولَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَتَاعِ الْفَانِي سَائِرٌ عَلَى ضَوْءِ ارشاداتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، مِثْلُ
قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَلَا تُمُدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى » .

وَقَوْلُهُ : ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ بَلْ مُطْمَئِنُّ إِلَى مَا قَدَّرَهُ اللَّهُ لَهُ فِي هَذِهِ
الْحَيَاةِ مِنْ تَعَبٍ وَنَصَبٍ وَيَرْضَى بِمَا قَسَمَ لَهُ فَلَا يَسْخَطُ ، وَلَا يَفْعَلُ مُحْرَمًا ،
فَإِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ فَرْجًا فِي حَيَاتِهِ الدُّنْيَا كَمَا قَالَ تَعَالَى :
﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ .

وَإِذَا اسْتَهْتَتْ نَفْسُهُ شَيْئًا وَعَدَّهَا بِالْخَيْرِ وَصَبَّرَهَا وَمَشَى أُمُورَهُ عَلَى قَدْرِ
حَالِهِ وَلَا يُكَلِّفُ نَفْسَهُ بِالذَّيْنِ وَالْقَرْضِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا
إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

إِذَا رُمْتَ إِنْ تَسْتَقْرِضَ الْمَالَ مُنْفِقًا عَلَى شَهَوَاتِ النَّفْسِ فِي زَمَنِ الْعُسْرِ
فَسَلِّ نَفْسَكَ الْإِنْفَاقَ مِنْ كَنْزِ صَبْرِهَا عَلَيْكَ وَإِنْضَارًا إِلَى زَمَنِ الْيُسْرِ
فَإِنْ فَعَلْتَ كُنْتَ الْعَنِيِّ وَإِنْ أَبْتَ فَكُلُّ مَنْوَعٍ بَعْدَهَا وَاسْعُ الْعُدْرِ
آخِرُ : أَفَادَتِي الْقِنَاعَةَ كُلَّ عِرِّ وَأَيُّ غِنْيِي أَعَزُّ مِنَ الْقِنَاعَةِ

فَصَبَّرَهَا لِنَفْسِكَ رَأْسَ مَالٍ
 تَحْزُرُ بَحِينَ تَعْنَى عَنِ بَخِيلٍ
 آخِر: عَزِيزُ النَّفْسِ مَنْ رُزِقَ الْقَنَاعَةَ
 وَقَدْ عَلِمُوا بِأَنِّي حِينَ شَدُّوا
 إِذَا مَا فَاقَةً قَرَنْتُ بِعَزِي
 نَفَضْتُ يَدَيَّ عَنِ طَمِعِي وَحِرْصِي
 آخِر: أَلَا إِنَّ رِزْقَ اللَّهِ لَيْسَ يَفُوتُ
 رَضِيْتُ بِقِسْمِ اللَّهِ حِظًّا لِأَنَّهُ
 سَأَقْنَعُ بِالْمَالِ الْقَلِيلِ لِأَنِّي
 آخِر: أَبَا مَالِكٍ لَا تَسْأَلِ النَّاسَ وَالتَّمَسْ
 وَلَوْ سَأَلَ النَّاسُ التُّرَابَ لِأَوْشَكُوا
 آخِر: لَا تَقُولَنَّ إِذَا مَا لَمْ تَرُدْ
 حَسَنٌ قَوْلُ نَعَمْ مِنْ بَعْدِ لَا
 إِنَّ لَا بَعْدَ نَعَمْ فَاحِشَةٌ
 وَإِذَا قُلْتَ نَعَمْ فَاصْبِرْ لَهَا
 قَنُوعُ النَّفْسِ يَعْقِبُهُ رَوَاحٌ
 وَلَيْسَ بَزَائِدٌ فِي الرِّزْقِ حِرْصٌ
 إِذَا الرَّحْمَنُ سَبَبَ رِزْقَ عَبْدٍ

أَمَّا الْفَقِيرُ الَّذِي يُزِينُ لَهُ الشَّيْطَانُ وَالْهَوَى وَالنَّفْسُ الْأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ مَا فِي
 أَيْدِي النَّاسِ، فَيُفْسِدُ عَلَيْهِ قَلْبَهُ بِالْوَسَاوِسِ الضَّارَّةِ، وَالْإِمَانِي الْكَاذِبَةِ، وَالْإِحْلَامِ
 الْبَاطِلَةِ، فَيَحْسُدُ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، مُبْعَدًا عَنِ الصَّبْرِ عَلَى الْحَالَةِ
 الْمُرْضِيَّةِ لَا يُبَالِي بِأَيِّ وَسِيلَةٍ يَتَمَسَّكُ بِهَا مِنَ الْوَسَائِلِ الْمُحَرَّمَةِ، فِي الْوُصُولِ
 إِلَى لَدَّةٍ مُحَرَّمَةٍ لَا تُعْنِي عَنْهُ شَيْئًا وَلَا تَسُدُّ فَقْرَهُ فَهُوَ مِنْ أَشْقَى خَلْقِ اللَّهِ لِأَنَّهُ

بِعَمَلِهِ هَذَا يَكُونُ قَدْ خَسِرَ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْحُسْرَانُ الْمَبِينُ .

وَكَذَلِكَ الْعَنِيُّ يَحْتَاجُ إِلَى الصَّبْرِ عَلَى غِنَاهُ لِأَنَّهُ مُكَلَّفٌ بِحُقُوقٍ وَوَاجِبَاتٍ لَا يَسْهُلُ عَلَى النَّفْسِ فِعْلُهَا مِنْ زَكَاةِ مَالٍ وَإِنْفَاقٍ عَلَى مَنْ يُؤْمِنُهُ وَآغَاثَةٍ مَلْهُوفٍ ... إلخ .

ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ إِظْهَارَ الْبَلْوَى سَوَاءٌ كَانَتْ مَرَضًا أَوْ فَقْرًا أَوْ غَيْرِهِمَا إِمَّا أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ تَعَالَى كَمَا قَالَ أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿أَنِّي مَسْنِي الضَّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ، وَكَمَا قَالَ يَعْقُوبُ ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ فَهَذَا لَا يُنَافِي الصَّبْرَ .

وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ لِعَبْرِ اللَّهِ فَإِنْ كَانَ لِحَاجَةٍ كَشَرَحِ الْعَلَّةِ لِلطَّيِّبِ أَوْ بَيَانِ الْمَظْلَمَةِ لِمَنْ يَقْدِرُ عَلَى رَفْعِهَا فَإِنَّهُ لَا يُنَافِي الصَّبْرَ أَيْضًا مَا دَامَ رَاضِيًا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ، فَلَا يَضْجُرُ وَلَا يَتَبَرَّمُ مِمَّا يَنْزِلُ بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ فَإِنْ اشْتَكَى لِعَبْرِ اللَّهِ مِنْ دُونَ فَائِدَةٍ تَبَرُّمًا وَتَضْجُرًا لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّابِرِينَ، وَلَمْ يَسْتَفِدْ مِنْ مُصِيبَتِهِ سِوَى عَذَابِ الدُّنْيَا .

شِعْرًا: ثَلَاثٌ يَمُورُ الصَّبْرُ عِنْدَ حُلُولِهَا وَيَذْهَلُ عَنْهَا عَقْلُ كُلِّ لَيْبٍ
خُرُوجِكَ قَهْرًا مِنْ بِلَادٍ تَحُبُّهَا وَفِرْقَةَ إِخْوَانٍ وَفَقْدَ حَبِيبٍ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمَنْ نَفْسِكَ﴾ ، وَقَوْلُهُ: ﴿أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِهَا قُلْتُمْ أَنِّي هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ .

وَكُلُّ مُصِيبَاتٍ أَتَيْتَنِي وَجَدْتَهَا سِوَى غَضَبِ الرَّحْمَنِ هَيْئَةَ الْحَطْبِ
فَالْمَرَاتِبُ ثَلَاثٌ أَحْسَنُهَا أَنْ تَشْكُوا اللَّهَ إِلَى خَلْقِهِ وَأَعْلَاهَا أَنْ تَشْكُوا نَفْسَكَ
إِلَيْهِ وَأَوْسَطُهَا أَنْ تَشْكُوا خَلْقَهُ إِلَيْهِ، انْتَهَى . قَالَ بَعْضُهُمْ:

وَيَمْنَعُنِي شُكْوَايَ لِلنَّاسِ أَنِّي عَلِيلٌ وَمَنْ أَشْكُو إِلَيْهِ عَلِيلٌ
وَيَمْنَعُنِي شُكْوَايَ لِلَّهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِمَا أَشْكُوهُ قَبْلَ أَقْوَلِ
آخِرٍ: لَا تَشْكُونَ إِلَى صَدِيقِي حَالَةً فَأَتَيْتُكَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ
فَلِرَحْمَةِ الْمَتَوَجِّعِينَ مَضَاضَةٌ فِي الْقَلْبِ مِثْلُ شِمَاتِهِ الْأَعْدَاءِ

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِالصَّبْرِ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا
بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾، وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾، وَقَالَ:
﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ وَأَنْتَى اللَّهُ عَلَى الصَّابِرِينَ فَقَالَ: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي
الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ، أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

وَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ فَقَالَ: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾،
وَهَذِهِ مَعِيَّةٌ خَاصَّةٌ تَقْتَضِي الْحِفْظَ وَالنَّصْرَ وَالتَّأْيِيدَ، وَأَخْبَرَ جَلَّ وَعَلَا أَنَّ الصَّبْرَ
خَيْرٌ لِأَصْحَابِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾، وَقَالَ: ﴿وَلَتُنَّ
صَبْرْتُمْ لَهَوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ وَإِجَابُ الْجَزَاءِ لَهُمْ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ، فَقَالَ:
﴿وَلَتُنَجِّزَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وَأَخْبَرَ جَلَّ وَعَلَا
أَنَّ جَزَاءَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ، فَقَالَ: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ
حِسَابٍ﴾.

شِعْرًا: إصْبِرْ أَوْ أَحْيِ إِذَا نَابَتْكَ نَائِبَةٌ وَلَا تَقُولَنَّ ذَرَعِي مِنْهَا قَدْ ضَاقَا
فَبِالنَّوْبِ مَعَ صَبْرٍ يَجِدُ شَرَفًا كَالْبَدْرِ يَزْدَادُ فِي الظُّلْمَاءِ إِشْرَاقًا

فَإِنْ كَانَ لِلتَّسْلِيِ أَوْ الْمَوَاسَاةِ فَلَا بَأْسَ.

شِعْرًا: وَأَبْثُتُ عَمْرًا بَعْضَ مَا فِي جَوَانِحِي وَلَا بَدُّ مِنْ شُكْوَى إِلَى ذِي حَفِيظَةٍ
وَجَرَعْتُهُ مِنْ مُرٍّ مَا أَتَجَرَّعُ يُوَاسِيكَ أَوْ يُسْلِيكَ أَوْ يَتَوَجَّعُ

وَيُسْأَلُ عَنْ ضَجْرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُصُوصًا إِذَا كَانَتْ شُكْوَاهُ مَصْحُوبَةً
بِبَعْضِ الْعِبَارَاتِ الَّتِي فِيهَا جَرَاءَةٌ عَلَى اللَّهِ، لِأَنَّهُ يَشْكُو الْإِلَهَ الْقَادِرَ عَلَى الْمِسْكِينِ

الضعيف العاجز، الذي لا يُعني عنه شيئاً، كما قيل:

«وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما تشكو الرحيم الذي لا يرحم»
فَتَجِدُ بَعْضَ النَّاسِ كَثِيرَ التَّشَكِّيِّ إِلَى النَّاسِ يَسْتَأْنِسُ بِالشُّكْوَى وَيَتَلَذُّ بِهَا
كَمَا قِيلَ:

تَلَذُّ لَهُ الشُّكْوَى وَإِنْ لَمْ يَجِدْ بِهَا صَلاَحاً كَمَا يَلْتَذُّ بِالْحَكِّ أَجْرَبُ
فَالجَاهِلُ يَشْكُو اللهَ إِلَى النَّاسِ وَهَذَا غَايَةُ الجَهْلِ بِالمَشْكُو وَالمَشْكُو إِلَيْهِ
فإنَّهُ لَوْ عَرَفَ رَبَّهُ لَمَا شَكَاهُ وَلَوْ عَرَفَ النَّاسَ لَمَا شَكَاهُ إِلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ مَسَاكِينُ
عَاجِزُونَ. وَرُبَّمَا كَانُوا مِنَ المُتَشَمِّتِينَ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ عَلَيْهِ وَيَفْرَحُونَ بِمَوْتِهِ.

وَلَا تَشْكُ إِلَى خَلْقٍ لِشِمَّتِهِ شُكْوَى الجَرِيحِ إِلَى الغُرَبَانِ وَالرَّحِمِ
آخِرُ: كَمْ عَائِدِ رَجُلًا وَلَيْسَ يَعُودُهُ إِلَّا لِيَنْظُرَ هَلْ يَرَاهُ يَمُوتُ

وَرَأَى بَعْضُ السَّلَفِ رَجُلًا يَشْكُو إِلَى رَجُلٍ فَاقْتَهُ وَضُرُورَتَهُ، فَقَالَ: يَا هَذَا
وَاللهَ مَا زِدْتَ عَلَى أَنْ شَكَوْتَ مَنْ يَرْحَمُكَ إِلَى مَنْ لَا يَرْحَمُكَ، وَالْعَارِفُ إِنَّمَا
يَشْكُو إِلَى اللهِ وَحْدَهُ.

وَأَعْرَفُ الْعَارِفِينَ مَنْ جَعَلَ شُكْوَاهُ إِلَى اللهِ مِنْ نَفْسِهِ، لَا مِنَ النَّاسِ فَهُوَ
يَشْكُو مِنْ مُوجِبَاتِ تَسْلِيطِ النَّاسِ عَلَيْهِ، فَهُوَ نَاطِرٌ إِلَى قَوْلِهِ، وَأَخْبَرَ جَلَّ وَعَلَا أَنَّهُ
مَا يُلْقَى الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَجَزَاءَهَا وَالمُحْظُوظَ عَلَيْهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ، فَقَالَ عَنِ
مَا قَالَهُ أَهْلُ العِلْمِ وَالإِيمَانِ ﴿وَيُلْكَمُ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً
وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾.

وَأَخْبَرَ جَلَّ وَعَلَا أَنَّهُ مَا يُلْقَى الخِصْلَةَ الطَّيِّبَةَ الَّتِي هِيَ دَفْعُ السَّيِّئَةِ
بِالحَسَنَةِ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا، فَقَالَ: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾، الآية.

وَالصَّبْرُ أَنْوَاعٌ صَبْرٌ عَلَى طَاعَةِ اللهِ، بِالمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا دَوَاماً وَبِرِعَايَتِهَا

إِخْلَاصاً وَمِنَ الصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ بِرِ الْوَالِدِينَ مَا دَامَا مَوْجُودَيْنِ وَعَدَمُ التَّضَجُّرِ
والتَّأْفِيفِ مِنْهُمَا وَاحْتِمَالِ الْأَذَى مِنَ الْقَرِيبِ وَالْجَارِ وَالصَّدِيقِ وَالزَّمِيلِ وَمِنْهُ صَبْرُ
الْأَسَاتِذَةِ عَلَى الطَّلَبَةِ وَاحْتِمَالِ التَّعَبِ فِي ذَلِكَ وَكَذَلِكَ الْأَطِبَّاءُ الْمُسْتَقِيمِينَ
الْمُخْلِصِينَ فِي مُعَالَجَةِ الْمَرْضَى .

وَصَبْرُ الْعَنِيِّ عَلَى اخْتِراجِ زَكَاتِهِ بِدَقَّةٍ وَصَبْرُ الْمَرِيضِ وَالْمَسَافِرِ عَلَى الصَّلَاةِ
وَالطَّهَارَةِ لَهَا وَصَبْرُ الْمُجَاهِدِ وَالْمَتَعَلِّمِ الصَّادِقِ فِي طَلَبِهِ لِلْعِلْمِ وَالْحَاجِّ وَالسَّاعِي
عَلَى الْأَرَامِلِ وَالْمَسَاكِينِ .

وَمِنْ مَشَقَّةِ السَّفَرِ وَعَنَاءِ الطَّلَبِ وَمُكَافَحَةِ الْأَعْدَاءِ وَالصَّبْرُ عَلَى الْأَمْرِ
بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَقَوْلِ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مُرّاً وَمُسَاعَدَةِ الضَّعِيفِ
وَالْعَاجِزِ وَالْعَدْلِ فِي الْحُكْمِ وَحِفْظِ الْأَمَانَةِ وَالْإِنْصَافِ مِنَ النَّفْسِ وَالْأَقْرَبِ
وَمُوَاصَلَةِ السَّعْيِ فِي مَا يُرْضِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَحُسْنِ الْخُلُقِ وَإِيْتِاسِ الْمُسْلِمِ
الْغَرِيبِ وَالصَّمْتِ عَنِ الْكَلَامِ إِلَّا فِيمَا يَعُودُ إِلَيْكَ نَفْعُهُ وَمِرَاقَبَةِ اللَّهِ فِيمَا يَقُولُهُ
وَيَفْعَلُهُ .

وَدَوَامِ الشُّكْرِ لِلَّهِ وَصَرَفِ نِعْمِهِ فِي طَاعَتِهِ، وَاحْتِرَامِ أَهْلِ الدِّينِ وَتَقْدِيرِهِمْ
وَالذَّبِّ عَنِ أَعْرَاضِهِمْ إِذَا انْتَهَكْتَ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْأَوْلَادِ وَالْأَهْلِ وَحَثِّهِمْ عَلَى
الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَسَائِرِ الطَّاعَاتِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
وَسَلَّمَ .

«فَصْلٌ»

التَّوَعُّ الثَّانِي : الصَّبْرُ عَنِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ خَوْفاً مِنَ اللَّهِ وَرَجَاءَ ثَوَابِهِ وَحَيَاءً مِنَ
الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يُسْتَعَانَ بِنِعْمِهِ عَلَى مَعْصِيَتِهِ فَالصَّبْرُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ لَازِمٌ
لِسَعَادَةِ الْإِنْسَانِ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ نَهَى عِبَادَهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
لِيَعِيشُوا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مُطْمَئِنِّينَ ، لَا يَتَأَلَّ أَحَدُهُمْ مِنْ عَرَضِ أَحْيِهِ بِالْقَوْلِ
وَالْفِعْلِ وَلَا يَعْتَدِي أَحَدُهُمْ عَلَى غَيْرِهِ، فِي مَالِهِ وَبَدَنِهِ، وَلَا تَعْرِهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا

وَزَيَّنْتُهَا، فَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، مِنْ أَجْلِ الْحُصُولِ عَلَى لَذَاتِهَا الْمُضْمَحَلَّةِ
الْفَانِيَّةِ، وَشَهَوَاتِهَا الْخَدَاعَةِ الْفَاسِدَةِ.

فَمَنْ يَصْبِرْ عَلَى ضَبْطِ لِسَانِهِ عَنِ الْكَلَامِ الْمُحَرَّمِ، فَلَا يَعْتَابُ وَلَا يَنْتَهِي
وَلَا يُتَافَقُ بِالْقَوْلِ، وَلَا يَكْذِبُ، وَلَا يُسَاعِدُ بِقَوْلِهِ ظَالِمًا، وَلَا يُجَادِلُ بِالْبَاطِلِ
وَلَا يَسْتَحِرُّ بِالْمُسْلِمِينَ، وَلَا يَخْلِفُ إِلَّا بِاللَّهِ صَادِقًا، وَلَا يَقْذِفُ مُسْلِمًا
وَلَا يُخَاصِمُ لِيَقْطَعَ حَقَّ مُسْلِمٍ وَلَا يَشْهَدُ بِالزُّورِ وَلَا يُؤْذِي مُسْلِمًا بِالْفُحْشِ
وَالْبِدَاءِ فَإِنَّهُ بِذَلِكَ يَتَّقِي آفَاتِ لِسَانِهِ الَّتِي تُفْضِي بِالْمَرْءِ إِلَى الْهَلَاكِ.

وَمَنْ يَصْبِرْ عَلَى حِفْظِ فَرْجِهِ فَلَا يَسْتَعْمِلُهُ إِلَّا فِيمَا أَحَلَّهُ اللَّهُ عَمَلًا بِقَوْلِهِ
تَعَالَى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَفْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ
فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾، فَإِنَّهُ بِذَلِكَ يَنْجُو مِنْ شَرِّ غَوَائِلِ الزَّانِ وَاللَّوَاطِ، وَكَانَ أَمِينًا
عَلَى سَلَامَةِ عِرْضِهِ، وَحِفْظِهِ مِنَ الضِّيَاعِ.

وَمَنْ صَبَرَ وَرَبَطَ عَقْلَهُ عِنْدَ غَضَبِهِ فَلَا يَبْطِشُ بِيَدِهِ وَلَا يَحْقُدُ بِقَلْبِهِ وَقَدْ
ضَبَطَ لِسَانَهُ فَقَدْ سَلِمَ مِنْ مَظَالِمِ خَلْقِ اللَّهِ، وَكَانَ مُسْلِمًا حَقًّا كَمَا قَالَ ﷺ:
«الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» قِصَّةُ يُوسُفَ مَعَ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ
وَهِيَ تَتَعَلَقُ فِي الصَّبْرِ.

وَمَمْلُوكًا وَالْمَمْلُوكُ أَيْضًا لَيْسَ وَازِعُهُ كَوَازِعِ الْحُرِّ وَالْمَرْأَةُ جَمِيلَةٌ، وَذَاتُ
مُنْصِبٍ وَهِيَ سَيِّدَتُهُ وَقَدْ غَابَ الرَّقِيبُ، وَهِيَ الدَّاعِيَةُ إِلَى نَفْسِهَا، وَالْحَرِيصَةُ
عَلَى ذَلِكَ أَشَدَّ الْحَرِصِ وَمَعَ تَوَعُّدْتُهُ بِالسَّجْنِ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ، وَالصَّغَارِ وَمَعَ هَذِهِ
الدَّوَاعِي كُلِّهَا صَبَرَ اخْتِيَارًا وَإِثَارًا لِمَا عِنْدَ اللَّهِ، وَأَيْنَ هَذَا مِنْ صَبْرِهِ فِي الْجُبِّ
عَلَى مَا لَيْسَ مِنْ كَسْبِهِ، وَكَانَ يَقُولُ الصَّبْرُ عَلَى أَدَاءِ الطَّاعَاتِ أَكْمَلُ مِنَ الصَّبْرِ
عَلَى اجْتِنَابِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَأَفْضَلُ فَإِنَّ مَصْلَحَةَ فِعْلِ الطَّاعَةِ أَحَبُّ إِلَى الشَّارِعِ
مِنْ مَصْلَحَةِ تَرْكِ الْمَعْصِيَةِ وَمُفْسَدَةُ عَدَمِ الطَّاعَةِ أَبْغَضُ إِلَيْهِ وَأَكْرَهُ مِنْ مَفْسَدَةِ
وُجُودِ الْمَعْصِيَةِ .. إِنَّتَهَى .

قال الإمام أحمد رحمه الله: ذكر الله سبحانه الصبر في القرآن في تسعين موضعاً: إنتهى. وهي أنواع: منها تعليق الإمامة في الدين به وباليقين، قال الله تعالى: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾، فبالصبر واليقين، تنال الإمامة في الدين. ومنها: ظفرهم بمعية الله سبحانه لهم، قال تعالى: ﴿إن الله مع الصابرين﴾.

قال أبو علي الدقاق: فاز الصابرون بعز الدارين لأنهم نالوا من الله معيته، ومنها: أنه جمع للصابرين ثلاثة أمور لم يجمعها لغيرهم وهي الصلاة منه عليهم، ورحمته لهم، وهدايته إياهم، قال تعالى: ﴿وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾.

وقال بعض السلف وقد عزي على مصيبة نالته فقال: ما لي لا أصبر وقد وعدني الله على الصبر ثلاث خصال، كل خصلة منها خير من الدنيا وما عليها، ومنها: أنه سبحانه أباح لهم أن يعاقبوا على ما عوقبوا به ثم أقسم قسماً مؤكداً غاية التأكيد أن صبرهم خير له فقال: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾.

فتأمل هذا التأكيد بالقسم المدلول عليه بالواو ثم باللام بعده ثم باللام التي في الجواب. ومنها: أنه سبحانه حكم بالخسران حكماً عاماً على كل من لم يؤمن ولم يكن من أهل الحق والصبر، وهذا يدل على أنه لا رابح سواهم فقال تعالى: ﴿والعصر، إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾.

ولهذا قال الشافعي: لو فكر الناس كلهم في هذه السورة لوسعتهم وذلك أن العبد كما له في تكميل قوته، قوة العلم وقوة العمل وهما الإيمان والعمل الصالح وكما هو محتاج إلى تكميل نفسه فهو محتاج إلى تكميل غيره وهو التواصي

بالحق والتواصي بالصبر وأخية ذلك وقاعدته وساقه الذين يقوم عليه إنما هو الصبر .

ومنها : أنه سبحانه خص أهل الميمنة بأنهم أهل الصبر والمرحمة الذين قامت بهم هاتان الخلفتان ووصوا بها غيرهم فقال تعالى : ﴿ ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة ﴾ .

وقال إن الإنسان لا يستغني عن الصبر في حال من الأحوال ، فإنه بين أمر يجب عليه امتثاله وتنفيذه ، ونهي يجب عليه اجتنابه وتركه ، وقد يجري عليه اتفاقاً ، ونعمة يجب شكر المنعم عليها ، وإذا كانت هذه الأحوال لا تفارقه ، فالصبر لازم إلى الممات .

شِعْرًا : كُلِّ الْمَصَائِبِ قَدْ تَمُرُّ عَلَيَّ الْفَتَى
آخِر : هَوْنٌ عَلَيْكَ فَكُلُّ الْأَمْرِ يَنْقَطِعُ
فَتَهُونُ غَيْرَ مُصِيبَةٍ فِي الدِّينِ
وَنَحْلٌ عَنكَ عِنَانَ الْهَمِّ يَنْدَفِعُ
فَكُلُّ هَمٍّ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ فَرَجٌ
وَكُلُّ أَمْرٍ إِذَا مَا ضَاقَ يَتَّسِعُ
إِنَّ الْبَلَاءَ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ
فَالْمَوْتُ يَقْطَعُهُ أَوْ سَوْفَ يَنْقَطِعُ

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَتَوْفَنَّا مُسْلِمِينَ وَالْحَقَّنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ يَا أَكْرَمَ
الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَصَلِّ » : وَكُلُّ مَا يَلْقَى الْعَبْدُ فِي هَذِهِ الدَّارِ لَا يَخْلُو مِنْ نَوْعَيْنِ : أَحَدُهُمَا :
يُوَافِقُ هَوَاهُ وَمُرَادَهُ ، وَالْآخَرُ مُخَالَفُهُ ، وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى الصَّبْرِ فِي كُلِّ مِنْهُمَا ، أَمَا
النَّوْعُ الْمُوَافِقُ لِعَرَضِيهِ : فَكَالصَّحَّةِ وَالسَّلَامَةِ وَالجَاهِ وَالْمَالِ وَأَنْوَاعِ الْمَلَاذِ الْمُبَاحَةِ ،
وَهُوَ أَحْوَجُ شَيْءٍ إِلَى الصَّبْرِ فِيهَا مِنْ وَجْهِهِ :

أحدهما : أن لا يركن إليها ولا يغتر بها ولا تحمله على البطر والأشر والفرح
المذموم الذي لا يجب الله أهله .

الثاني : أن لا ينهمك في نيلها ويبالغ في استقصائها فإنها تنقلب إلى أضرارها ،
فمن بالغ في الأكل والشرب والجماع إنقلب ذلك إلى ضده ، وحرّم الأكل
والشرب والجماع .

الثالث : أن يصبر على أداء حق الله فيها ولا يضيعه فيسلبها .

الرابع : أن يصبر عن صرفها في الحرام فلا يمكن نفسه من كل ما تريده منها ،
فإنها توقعه في الحرام ، فإن إحتراز كل الإحتراز أوقعته في المكروه ، ولا يصبر على
السراء إلا الصديقون ، وقال عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه : إبتلينا بالضراء
فصبرنا ، وإبتلينا بالسراء فلم نصبر .

ولذلك حذر الله عباده من فتنة المال والأزواج والأولاد فقال تعالى : ﴿ يا أيها
الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها
الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم ﴾ .

وليس المراد من هذه العدوّة ما يفهمه كثير من الناس ، أنها عداوة البغضاء
والمحادّة بل إنّما هي عداوة المحبة الصادقة للأبّاء عن الهجرة والجهاد وتعلم العلم
والصدقة وغير ذلك من أمور الدين وأعمال البر .

كما في جامع الترمذي ، من حديث إسرائيل حدثنا سماك عن عكرمة عن بن
عباس وسأله رجل عن هذه الآية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم
عدواً لكم فاحذروهم ﴾ قال : هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة فأرادوا أن يأتوا
النبي ﷺ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا رسول الله ﷺ .

فلما أتوا رسول الله ﷺ ورأوا الناس قد فقهوا في الدين هموا أن يعاقبوهم ،
فأنزل الله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم
فاحذروهم ﴾ الآية . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

وما أكثر ما فات العبد من الكمال والفلاح بسبب زوجته وولده . وفي

الحديث: الولد مبخلة مجبنة. وقال الإمام أحمد: حدثنا زيد بن الحباب قال حدثني زيد بن واقد قال حدثني عبدالله بن بريدة قال سمعت أبي يقول: كان رسول الله ﷺ يخطبنا فجاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ عن المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال: «صدق الله إنما أموالكم وأولادكم فتنة»، نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما. وهذا من كمال رحمته ﷺ ولطفه بالصغار وشفقته عليهم، وهو تعليم منه للأمة الرحمة والشفقة واللطف بالصغار.

وإنما كان الصبر على السراء شديد لأنه مقرون بالقدرة، والجائع عند غيبة الطعام، أقدر منه على الصبر عند حضوره، وكذلك الشبق عند غيبة المرأة، أصبر منه عند حضورها.

مشقة الصبر بحسب قوة الداعي إلى الفعل وسهولته على العبد، فإذا اجتمع في الفعل هذا الأمران كان الصبر عنه أشق شيء على الصابر، وإن فقدنا معاً سهل الصبر عنه، وإن وجد أحدهما وفقد الآخر سهل الصبر من وجه وصعب من وجه، فمن لاداعي له إلى القتل والسرقة وشرب المسكر وأنواع الفواحش ولا هو مسهل.

فصبره عنه من أيسر شيء وأسهله، ومن اشتد داعيه إلى ذلك وسهل عليه فعله فصبره عنه أشق شيء عليه، ولهذا كان صبر السلطان عن الظلم، وصبر الشاب عن الفاحشة، وصبر الغني عن تناول الذات والشهوات عند الله بمكان.

وفي المسند وغيره عن النبي ﷺ: عجب ربك من شاب ليست له صبوة ولذلك استحق السبعة المذكورون في الحديث الذين يظلمهم الله في ظل عرشه، لكمال صبره ومشقته، فإن صبر الإمام المتسلط على العدل في قسمه وحكمه

ورضاه وغضبه، وصبر الشاب على عبادة الله ومخالفة هواه .

وصبر الرجل على ملازمة المسجد، وصبر المتصدق على إخفاء الصدقة حتى عن بعضه، وصبر المدعو إلى الفاحشة مع كمال جمال الداعي ومنصبه، وصبر المتحايين في الله على ذلك في حال اجتماعهما وافتراقهما، وصبر الباكي من خشية الله على كتمان ذلك وإظهاره للناس من أشق الصبر .

شِعْرًا: أَمَا وَالَّذِي لَا يَمْلِكُ الْأَمْرَ غَيْرُهُ
لَئِنْ كَانَ كِتْمَانُ الْمَصَائِبِ مُؤَلَّمًا
وَبِي كُلِّ مَا يُيَكِّي الْعُيُونَ أَقْلُهُ
آخَرُ: وَقَدْ يَلْبَسُ الْمَرْءُ خَزَّ الشَّيَابِ
كَمَنْ يَكْتَسِي خَدَّهُ حُمْرَةَ
وَمَنْ هُوَ بِالسِّرِّ الْمُكْتَمِ أَعْلَمُ
لِإِعْلَانِهَا عِنْدِي أَشَدُّ وَأَعْظَمُ
وَإِنْ كُنْتُ مِنْهُ دَائِمًا أَتَبَسُّمُ
وَمَنْ دُونَهَا حَالَةٌ مُضْنِيَّةٌ
وَعِلَّتْهَا وَرَمٌ فِي الرَّيِّةِ

ولهذا كانت عقوبة الشيخ الزاني والملك الكذاب والفقير المحتال أشد العقوبات لسهولة الصبر عن هذه الأشياء المحرمات عليهم لضعف دواعيها في حقهم فكان تركهم الصبر عنها مع سهولته عليهم، دليلاً على تمردهم على الله وعتوهم عليه، ولهذا كان الصبر عن معاصي اللسان والفرج من أصعب أنواع الصبر لشدة الداعي إليهما وسهولتهما .

فإن معاصي اللسان، فاكهة الإنسان، كالنخلة والغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس تعريضاً وتصريحاً، وحكاية كلام الناس، والطعن على من ييغضه، ومدح من يحبه ونحو ذلك .

فتتفق قوة الداعي وتيسر حركة اللسان فيضعف الصبر، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لعاذ: «أمسك عليك لسانك» فقال: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به، فقال: «وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم» .

ولاسيما إذا صارت المعاصي اللسانية معتادة للعبد، فإنه يعز عليه الصبر

عنها، ولهذا تجد الرجل يقوم الليل ويصوم النهار، ويتورع من استناده إلى وسادة حرير لحظة واحدة، ويطلق لسانه في الغيبة والتميمة والتفكه في أعراض الخلق.

وربما خص أهل الصلاح والعلم بالله والدين والقول على الله ما لا يعلم، وكثير ممن تجده يتورع عن الدقائق من الحرام والقطرة من الخمر ومثل رأس الإبرة من النجاسة، ولا يبالي بارتكاب الفرج الحرام، والله أعلم وصلى الله على مُحَمَّد.

«فصل»: وقال رَحِمَهُ اللهُ: يَنْدَفِعُ شُرُّ الحاسِدِ عن المحسودِ بعشرة أسباب: أَحَدُهُمَا: التَّعَوُّذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ، والتحصنُ به واللَّجَأُ إِلَيْهِ، والله تعالى سَمِيعٌ لِاستِعاذَتِهِ، عليمٌ بما يَسْتَعِيدُ منه، والسَّمْعُ هنا المرادُ به، سَمْعُ الإجابة، لا السَّمْعُ العام، فهو مثلُ قوله: ﴿سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمَدَهُ﴾، وقول الخليل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن ربي لسَمِيعُ الدعاء» ومرة يقرنه بالعلم، ومرة بالصبر، لإقتضاء حال المستعيد ذلك.

فإنه يستعيد به من عدو يعلم أن الله يراه، ويعلم كيده وشره، فأخبر الله تعالى هذا المستعيد أنه سَمِيعٌ لِاستِعاذته، أي مجيب عليم بكيد عدوه، يراه ويبصره، لبيسط أمل المستعيد، ويقبل بقلبه على الدعاء.

السبب الثاني: تقوى الله، وحفظه عند أمره ونهيه، فمن أتقى الله تولى الله حفظه، ولم يكله إلى غيره، قال تعالى: ﴿وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً﴾، وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعبد الله بن عباس: «أحفظ الله يحفظك، واحفظ الله تجده تجاهك» فمن حفظ الله حفظه الله، ووجده أمامه أينما توجه، ومن كان الله حافظه وأمامه فممن يخاف ومن يحذر.

السبب الثالث: الصبر على عدوه، وأن لا يقاتله ولا يشكوه ولا يحدث

نفسه بأذاه أصلاً. فما نصر على حساده وعدوه بمثل الصبر عليه ولا يستطل تأخيره وبغيه. فإنه كلما بغى عليه كان بغيه جنداً وقوة للمبغى عليه المحسود يقاتل به الباغي نفسه، وهو لا يشعر، فبغيه سهام يرميها من نفسه إلى نفسه. ولو رأى المبغى عليه ذلك لسره بغيه عليه، ولكن لضعف بصيرته لا يرى إلا صورة البغي، دون آخره ومآله. وقد قال تعالى: ﴿ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله﴾ فإذا كان الله قد ضمن له النصر مع أنه قد استوفى حقه أولاً.

فكيف بمن لم يستوف شيئاً من حقه، بل بغى عليه وهو صابر، وما من الذنوب ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم. وقد سبقت سنة الله: «أنه لو بغى على جبل على جبل لجعل الباغي منهما دكا».

السبب الرابع: التوكل على الله، فمن يتوكل على الله فهو حسبه والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، وهو أقوى الأسباب في ذلك فإن الله حسبه، أي كافيه.

ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطعم فيه لعدوه، ولا يضره إلا أذى لا بُدَّ منه، كالحر والبرد والجوع والعطش. وإما أن يضره بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبداً. وفرق بين الأذى الذي هو في الظاهر إيذاء له وهو في الحقيقة إحسان إليه واضرار بنفسه، وبين الضرر الذي يتشفي به منه.

قال بعض السلف: جعل الله لكل عمل جزاء من جنسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده فقال: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ ولم يقل نؤته كذا وكذا من الأجر كما قال في الأعمال، بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه، فلو توكل العبد على الله حق توكله وكادته السموات والأرض ومن فيهن لجعل له ربه مخرجاً من ذلك، وكفاه ونصره.

السبب الخامس: فراغ القلب من الإشتغال به والفكر فيه، وأن يقصد أن يحويه من باله كلما خطر له، فلا يلتفت إليه، ولا يخافه ولا يميل قلبه بالفكر فيه، وهذا من أنفع الأدوية، وأقوى الأسباب المعينة على إندفاع شره، فإن هذا بمنزلة من يطلبه عدوه ليمسكه ويؤذيه.

فإذا لم يتعرض له ولا تماسك هو وإياه بل إنعزل عنه لم يقدر عليه. فإذا تماسكا وتعلق كل منهما بصاحبه حصل الشر، وهكذا الأرواح سواء. فإذا علق روحه وشبثها به وروح الحاسد الباغي متعلقة به يقظة ومناماً، لا يفتر عنه، وهو يتمنى أن تماسك الروحان ويتشبثا.

فإذا تعلقت روح كل منهما بالأخرى عدم القرار، ودام الشر، حتى يهلك أحدهما، فإذا جبد روحه منه وصانها عن الفكر فيه والتعلق به، وأن لا يخطره بباله. فإذا خطر بباله بادر إلى محو ذلك الخاطر، والاشتغال بما هو أنفع له وأولى به، وبقي الحاسد الباغي يأكل بعضه بعضاً.

فإن الحاسد كالنار، فإذا لم تجد ما تأكله أكل بعضها بعضاً، وهذا باب عظيم النفع لا يلقاه إلا أصحاب النفوس الشريفة والهمم العلية، وبين الكيس والفظن وبينه حتى يذوق حلاوته وطيبه ونعيمه كأنه يرى من أعظم عذاب القلب والروح اشتغاله بعدوه، وتعلق روحه به، ولا يرى شيئاً آلم لروحه من ذلك.

ولا يصدق بهذا إلا النفوس المطمئنة الوادعة اللينة، التي رضيت بوكالة الله لها، وسكنت إليه، واطمأنت به، وعلمت أن ضمانه حق، ووعدده صدق، وأنه لا أوفى بعهد من الله، ولا أصدق منه قبلاً، فعلمت أن نصره لها أقوى وأثبت وأدوم، وأعظم فائدة من نصرها هي لنفسها، أو نصر مخلوق مثلها لها، ولا يقوى على هذا السبب إلا بالسبب السادس.

وهو الإقبال على الله، والإخلاص له، وجعل محبته ورضاه والإجابة إليه في

محل خواطر نفسه، وأمانها تدب فيها ديب تلك الخواطر شيئاً فشيئاً، حتى يقهرها ويغمرها ويذهبها بالكلية.

فتبقى خواطره وهو اجسه وأمانيه كلها في محاب الرب، والتقرب إليه وتمليقه وترضيه، واستعطافه وذكره، كما يذكر المحب التام المحبة محبوبه المحسن إليه الذي قد إمتلأت جوانحه من حبه، فلا يستطيع قلبه إنصرافاً عن ذكره، ولا روحه إنصرافاً عن محبته.

فإذا صار كذلك فكيف يرضى لنفسه أن يجعل بيت أفكاره وقلبه معموراً بالفكر في حاسده والباغي عليه، والطريق إلى الانتقام منه، والتدبير عليه، هذا ما لا يتسع له إلا قلب خراب لم تسكن فيه محبة الله واجلاله وطلب مرضاته. بل إذا مسه طيف من ذلك واجتاز ببابه من خارجه، ناداه حرس قلبه: إياك وحمي الملك، إذ ذهب إلى بيوت الخانات التي كل من جاء حل فيها، ونزل بها، مالك وليت السلطان الذي أقام عليه اليك وأدار عليه الحرس، وأحاطه بالسور.

قال تعالى حكاية عن عدوه إبليس، أنه قال: ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾، فقال تعالى: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾، وقال: ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾، وقال في حق الصديق يوسف عليه السلام: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾.

فما أعظم سعادة من دخل هذا الحصن، وصار داخل اليك، لقد آوى إلى حصن لا خوف على من تحصن به ولا ضيعة على من آوى إليه، ولا مطمع للعدو في الدنو إليه منه. ﴿وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾، والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

«فَصْلٌ»: السبب السابع: تجريد التوبة إلى الله من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه، فإن الله تعالى يقول: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾، وقال لخير الخلق وهم أصحاب نبيه دونه ﷺ: ﴿أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم﴾.

فما سلط على العبد من يؤذيه إلا بذنب يعلمه أو لا يعلمه، وما لا يعلمه العبد من ذنوبه أضعاف ما يعلمه منها، وما ينساه مما عمله أضعاف ما يذكره، وفي الدعاء المشهور: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، واستغفرك مما لا أعلم.

فما يحتاج العبد إلى الإستغفار منه مما لا يعلمه أضعاف أضعاف ما يعلمه، فما سلط عليه مؤذ إلا بذنب ولقي بعض السلف رجل فأغلظ له ونال منه، فقال له: قف حتى أدخل البيت، ثم أخرج إليك، ودخل فسجد لله وتضرع إليه وتاب وأتاب إلى ربه.

ثم خرج إليه فقال له: ما صنعت فقال: تبت إلى الله من الذنب الذي سلطك به علي. فليس للعبد إذا بغى عليه وأوذي وتسلط عليه خصومه شيء أنفع له من التوبة النصوح.

وعلامة سعادته: أن يعكس فكره ونظره على نفسه وذنوبه وعيوبه، فيشتغل بها وباصلاحها وبالتوبة منها، فلا يبقى فيه فراغ لتدبر ما نزل به، بل يتولى هو التوبة واصلاح عيوبه، والله يتولى نصرته وحفظه والدفع عنه ولا بد.

فما أسعده من عبده، وما أبركها من نازلة نزلت به، وما أحسن أثرها عليه، ولكن التوفيق والرشد بيد الله، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع. فما كل أحد يوفق لهذا، لا معرفة به، ولا إرادة له، ولا قدرة عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.

«فَصِّلْ»: السبب الثامن: الصدقة والإحسان ما أمكنه، فإن لذلك تأثيراً عجيباً في دفع البلاء، ودفع العين، وشر الحاسد، وَلَوْ لم يكن في هذا إلا بتجارب الأمم قديماً وحديثاً لكفى به. فما تكاد العين والحسد والأذى يتسلط على محسن متصدق.

وإذا أصابه شيء من ذلك كان معاملته باللطف والمعونة والتأييد وكانت له فيه العافية الحميدة. فالمحسن المتصدق في خفارة إحسانه وصدقته، عليه من الله جنة واقية، وحصن حصين.

والجملة: فالشكر حارس النعمة من كل ما يكون سبباً لزوالها. ومن أقوى الأسباب: حسد الحاسد والعائن، فإنه لا يفترو ولا يني ولا يبرد قلبه حتى تزول النعمة عن المحسود فحينئذ يبرد أئينه، وتنطفئ ناره، لا أطفأها الله. فما حرس العبد نعمة الله عليه بمثل شكرها، ولا عرضها للزوال بمثل العمل فيها بمعاصي الله، وهو كفران النعمة، وهو باب إلى كفران المنعم.

فالمحسن المتصدق يستخدم جنداً وعسكراً يقاتلون عنه وهو نائم على فراشه، فمن لم يكن له جند ولا عسكر، وله عدو، فإنه يوشك أن يظفر به عدوه، وإن تأخرت مدة الظفر، والله المستعان.

السبب التاسع: وهو من أصعب الأسباب على النفس وشقها عليها، ولا يوفق لها إلا من عظم حظه من الله وهو إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه، فكلما ازداد أذى وشرّاً وبغياً وحسداً، ازدادت إليه إحساناً، وله نصيحة، وعليه شفقة.

وما أظنك تصدق بأن هذا يكون، فضلاً عن أن تتعاطاه، فاسمع الآن قوله عز وجل: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ

عظيم ، وإما ينزغتك من الشيطان نزع فاستعد بالله إنه هو السميع العليم ﴿﴾ .

قال : ﴿﴾ أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرأون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون ﴿﴾ وتأمل حال النبي ﷺ إذ ضربه قومه حتى أدموه ، فجعل يسلك الدم عنه ويقول : « اللهم أغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » ، كيف جمع في هذه الكلمات أربع مقامات من الإحسان ، قابل بها إساءتهم العظيمة إليه .

أحدها : عفوه عنهم ، الثاني : استغفاره لهم ، والثالث : اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون ، والرابع : استعطافه لهم بإضافتهم إليه « اغفر لقومي » ، كما يقول الرجل لمن يشفع عنده فيمن يتصل به ، هذا ولدي ، هذا غلامي ، هذا صاحبي ، فهبه لي . واسمع الآن ما الذي يسهل هذا على النفس ، ويطيبه إليها وينعمها به .

إعلم أن لك ذنوباً بينك وبين الله ، تخاف عواقبها ، وترجوه أن يعفو عنها ويغفرها لك ويهبها لك ، ومع هذا لا يقتصر على مجرد العفو والمسامحة ، حتى ينعم عليك ويكرمك ، ويجلب إليك من المنافع والإحسان فوق ما تؤمله .

فإذا كنت ترجو هذا من ربك ، وتحب أن يقابل به إساءتك فما أولاك وأجدرك أن تعامل به خلقه ، وتقابل به إساءتهم ليعاملك الله تلك المعاملة .

فإن الجزاء من حسن العمل فكما تعمل مع الناس في إساءتهم في حقك يفعل معك في ذنوبك وإساءتك جزاءً وفاقاً ، فانتقم بعد ذلك أو أعف ، وأحسن أو أترك ، فكما تدين تدان وكما تفعل معه يفعل معك .

فمن تصور هذا المعنى ، وشغل به فكره ، هان عليه الإحسان إلى من أساء إليه ، وهذا مع ما يحصل له بذلك من نصر الله ومعيته الخاصة ، كما قال النبي ﷺ والذي شكى إليه قرابته ، وأنه يحسن إليهم ، وهم يسيئون إليه فقال : « لا يزال معك من الله ظهير مادمت على ذلك » .

هذا مع ما يتعجله من ثناء الناس عليه ويصيرون كلهم معه على خصمه فإن كل من سمع إنه محسن إلى ذلك الغير، وهو مسمىء إليه وجد قلبه ودعاه وهتمته مع المحسن على المسمىء وذلك أمر فطري، فطر الله عليه عباده، فهو بذلك الإحسان قد استخدم عسكرياً لا يعرفهم ولا يعرفونه ولا يريدون منه أقطاعاً ولا خيراً.

هذا مع أنه لا بد له من عدوه وحاسده من إحدى حالتين: إما أن يملكه بإحسانه، فيستعبده وينقاد له ويذل له ويبقى الناس إليه، وإما أن يفتت كبده ويقطع دابره، وإن أقام على إساءته إليه، فإنه يذيقه بإحسانه أضعاف ما ينال منه بانتقامه.

ومن جرب هذا عرفه حق المعرفة، والله الموفق والمعين، بيده الخير كله، لا إله غيره، وهو المسؤول أن يستعملنا وإخواننا في ذلك بمنه وكرمه وفي الجملة ففي هذا المقام من الفوائد ما يزيد على مائة منفعة للعبد عاجلة وآجلة.

السبب العاشر: وهو الجامع لذلك كله، وعليه مدار هذه الأسباب وهو تجريد التوحيد، والترحل بالفكر في الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم، والعلم بأن هذه الآلات بمنزلة حركات الرياح وهي بيد محرکہا، وفاطرها وبارئها، ولا تضر ولا تنفع إلا بإذنه.

فهو الذي يحسن عبده بها، وهو الذي يصرفها عنه وحده لا أحد سواه، قال تعالى: ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو، وإن يردك بخير فلا راد لفضله﴾.

وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنه: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك.

فيرى أن إعماله فكره في أمر عدوه وخوفه منه واشتغاله به من نقص

توحيده، وإلا فلو جرد توحيده لكان له فيه شغل شاغل والله يتولى حفظه والدفع عنه، ولا بد وإن مزج له وإن كان مرة ومرة فالله له مرة ومرة.

كما قال بعض السلف: من أقبل على الله بكليته أقبل الله عليه جُمْلَةً وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ اللَّهِ بِكَلِيَّتِهِ أَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ جُمْلَةً وَمَنْ كَانَ مَرَّةً وَمَرَّةً فَاللَّهُ مَرَّةً وَمَرَّةً، فالتوحيد حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمين.

قال بعض السلف: من خاف الله خافه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء.

هذه عشرة أسباب يندفع بها شر الحاسد والعائن والساحر، وليس له أنفع من التوجه إلى الله وإقباله عليه، وتوكله عليه، وثقته به، وأن لا يخاف معه غيره، بل يكون خوفه منه وحده، ولا يرجو سواه، بل يرجوه وحده.

فلا يعلق قلبه بغيره، ولا يستغيث بسواه، ولا يرجو إلا إياه، ومتى علق قلبه بغيره ورجاه وخافه وكل إليه وخذل من جهته، فمن خاف شيئاً غير الله سلط عليه ومن رجا شيئاً سوى الله خذل من جهته وحرّم غيره، وهذه سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

شِعْرًا: وَإِذَا اعْتَمَدْتَ عَلَى الْإِلَهِ حَقِيقَةً نَمَّ فَالْمَحَاوِفُ كُلُّهِنَّ أَمَانُ

اللَّهُمَّ اهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَرْزُقْنَا الاستِقَامَةَ طَوْعًا أَمْرًا وَتَفَضَّلْ عَلَيْنَا بِعَافِيَتِكَ وَجَزِيلِ عَفْوِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

شِعْرًا: أَرَى الصَّبْرَ مَحْمُودًا وَعَنْهُ مَذَاهِبٌ فَكَيْفَ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ عَنْهُ مَذْهَبٌ
هُنَاكَ يَحِقُّ الصَّبْرُ وَالصَّبْرُ وَاجِبٌ وَمَا كَانَ مِنْهُ لِلضَّرُورَةِ أَوْجِبُ
هُوَ الْمَهْرَبُ الْمُنْجِي لِمَنْ أَحْدَقَتْ بِهِ مَكَارِهِ دَهْرٍ لَيْسَ مِنْهُمْ مَهْرَبُ

أَعْدُ خِلَالًا فَلِيهِ لَيْسَ لِعَاقِلٍ
 لَبُوسُ جَمَالٍ جُنَّةٌ مِنْ شِمَاتِهِ
 فَيَا عَجَبًا لِلشَّيْءِ هَذَا خِلَالُهُ
 آخِر: كُنْ حَلِيمًا إِذَا بُلِيتَ بَعِيضٍ
 فَاللَّيَالِي كَأَنَّهُنَّ حُبَالِي
 آخِر: اصْبِرْ فِي الصَّبْرِ خَيْرٌ لَوْ عَلِمْتَ بِهِ
 آخِر: إِنِّي رَأَيْتُ الصَّبْرَ خَيْرَ مَعْوَلٍ
 فَإِذَا نَبَا بِي مَنْزِلٌ جَاوَزْتُهُ
 وَإِذَا غَلَا شَيْءٌ عَلَيَّ تَرَكْتُهُ
 آخِر: صَبْرْتُ عَلَى بَعْضِ الْأَذَى خَوْفٌ كُلُّهُ
 وَجَرَعْتُهَا الْمَكْرُوهَةَ حَتَّى تَدْرَبْتُ
 فَيَارُبَّ عِزِّ جَرِّ لِلنَّفْسِ ذِلَّةً
 وَمَا الْعِزُّ إِلَّا خِيفَةُ اللَّهِ وَحَدُهُ
 وَمَا صِدْقٌ نَفْسِي إِلَّا فِي الصَّدْقِ حَاجَتِي
 وَأَهْجُرُ أَبْوَابَ الْمُلُوكِ فَإِنِّي
 إِذَا مَا مَدَدْتُ الْكَفَّ التَّمِسُ الْعِنَى
 إِذَا طَرَقْتَنِي الْحَادِثَاتُ بِنَكْبَةٍ
 وَمَا نَكْبَةٌ إِلَّا وَلِلَّهِ مِنَّةٌ

اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَطَايَانَا كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَتَقْنَا
 مِنَ الذُّنُوبِ وَالْحَطَايَا كَمَا يُنْقَى الثُّوبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا
 فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَهَبْ لَنَا تَقْوَاكَ وَاهْدِنَا بِهِدَاكَ وَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَحَدٍ سِوَاكَ وَاجْعَلْ
 لَنَا مِنْ كُلِّ هِمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجًا، اللَّهُمَّ ائْتِنَا بِمُعَافَاتِكَ مِنْ
 عُقُوبَتِكَ وَبِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَاحْفَظْ جَوَارِحَنَا مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِكَ وَاعْفِرْ لَنَا

وَلَوْلَا دِينُنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصَلِّ»

وَكَمَا وَرَدَ فِي مَدْحِ الصَّبْرِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ آيَاتٌ ، ذَكَرْنَا طَرَفًا مِنْهَا فَكَذَلِكَ
وَرَدَتْ أَحَادِيثُ تَذَكُرُ إِنْشَاءَ اللَّهِ طَرَفًا مِنْهَا مِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ صُهِيبِ بْنِ
سَيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنْ أَمَرَهُ
كُلُّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ،
وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» رواه مسلم .

وعن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « وَمَنْ
يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ » متفق عليه .

وعن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ :
«الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُنِ
مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ ،
وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُؤَبِّقُهَا»
رواه مسلم .

وعن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ ، قال :
« مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أذى وَلَا غَمٌّ
حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ » متفق عليه .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ
الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى
يُؤَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ، وقال النبي ﷺ : «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ وَإِنْ

الله إذا أحبَّ قومًا ابتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»
رواه الترمذي وقال حديث حسن.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ
بِالصَّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْعُضْبِ» متفق عليه. وعن أبي
هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ
وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ» رواه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح.

وعن مصعب بن سعد عن أبيه قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ
بَلَاءً، قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأُمَمُلُ فَالْأُمَّتُلُ يُتَلَى الرَّجُلُ حَسَبَ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ فِي
دِينِهِ صَلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةً ابْتَلَاهُ اللَّهُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا
يَبْرَحُ الْبَلَاءُ فِي الْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ» رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ
وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يزال البلاء
بالمؤمن والمؤمنة في جسده وفي ماله وفي ولده حتى يلقي الله وما عليه خطيئة»،
وقال أبو هريرة دخل أعرابي على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«أخذتك أم مُلِّيم» قال: وما أم مُلِّيم. قال: «حَرٌّ يَكُونُ بَيْنَ الْجِلْدِ وَاللَّحْمِ»
قال: ما وجدت هذا قط. قال: «فَهَلْ أَحْذَكَ الصَّدَاعُ» قال: وما الصداع.
قال: «عِرْقٌ يَضْرِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي رَأْسِهِ» قال: ما وجدت هذا قط فَلَمَّا وَلِيَّ
قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا» رواه أحمد.

وعن جابر قال أَسْتَأْذَنَتِ الْحُمَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَنْ هَذِهِ»
قَالَتْ: أُمُّ مَلْدَمٍ فَأَمَرَ بِهَا إِلَى أَهْلِ قُبَاءٍ فَلَقُوا مِنْهَا مَا يَعْلَمُ اللَّهُ فَاتَوْهُ فَشَكَوْهُ ذَلِكَ
إِلَيْهِ قَالَ: «مَا شِئْتُمْ إِنْ شِئْتُمْ أَنْ أَدْعُو اللَّهَ لَكُمْ فَيَكْشِفُهَا عَنْكُمْ وَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ
تَكُونَ لَكُمْ طُهُورًا» قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ يَفْعَلْ. قال: «نَعَمْ» قالوا: فَدَعَاهَا
يَا رَسُولَ اللَّهِ.

شِعْرًا: تَطْرُقُ أَهْلَ الْفَضْلِ دُونَ الْوَرَى مَصَائِبُ الدُّنْيَا وَأَفَاتُهَا
كَالطَّيْرِ لَا يُسَجِّنُ مِنْ بَيْنِهَا إِلَّا الَّتِي تُطْرِبُ أَصْوَاتُهَا

ولابن حبان في صحيحه من رواية العلاء بن المسيب عن أبيه عن سعد
قال: سئل رسول الله ﷺ أيُّ الناس أشدُّ بلاءً، قال: «الأنبياءُ ثمَّ الأمثلُ
فالأمثلُ يُبتلى الناسُ على حسبِ دينهم، فمن ثخنَ دينه اشتدَّ بلاؤه، ومن
ضعفَ دينه ضعفَ بلاؤه، وإنَّ الرَّجُلَ لَيُصِيبُهُ البلاءُ حتَّى يمشي في الناسِ
وما عليه خطيئةٌ».

وعن أبي سعيد أنه دخل على رسول الله ﷺ وهو موعوك عليه قتيمة
فوضع يده فوق القتيمة، فقال ما أشدَّ حُمَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قال: «إِنَّا كَذَلِكَ
يُشَدِّدُ عَلَيْنَا الْبَلَاءُ وَيُضَاعَفُ لَنَا الْأَجْرُ».

ثم قال يا رسول الله من أشدُّ الناسِ بلاءً، قال: «الأنبياءُ»، قال ثمَّ من،
قال: «العلماءُ»، قال ثمَّ من، قال: «الصالحون كان أحدهم يُبتلى بالقمل
حتَّى يَقْتُلَهُ وَيُبتلى أحدهم بالفقر حتَّى ما يجدُ إِلَّا العَبَاةَ يَلْبَسُهَا، وَلَا أَحَدَهُمْ
كَانَ أَشَدَّ فَرَحًا بِالْبَلَاءِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِالْعَطَاءِ» رواه ابن ماجه وابن أبي الدنيا
والحاكم واللفظ له وقال صحيح على شرط مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الرَّجُلَ
لَيَكُونُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ الْمَنْزِلَةُ فَمَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلٍ فَمَا يَزَالُ يَبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ حَتَّى يَبْلُغَهُ
إِيَّاهَا» رواه أبو يعلى وابن حبان في صحيحه من طريقة وغيرهما.

وعن محمد بن خالد عن أبيه عن جدِّه وكانت له صحبة من رسول الله
ﷺ قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنَّ العَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ
فَلَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلٍ ابْتَلَاهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ، أَوْ مَالِهِ، أَوْ فِي وَلَدِهِ، ثُمَّ صَبَرَ عَلَى ذَلِكَ
حَتَّى يَبْلُغَهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» رواه أحمد وأبو داود وأبو
يعلى والطبراني في الكبير والأوسط.

وَرُوِيَ فِيهِ أَيْضًا عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ اللَّهُ يُجْرِبُ أَحَدَكُمْ بِالْبَلَاءِ كَمَا يُجْرِبُ أَحَدَكُمْ ذَهَبَهُ بِالنَّارِ ، فَمِنْهُ مَا يَخْرُجُ كَالذَّهَبِ الْإِبْرِيذِ فَذَلِكَ الَّذِي حَمَاهُ اللَّهُ مِنَ الشُّبُهَاتِ وَمِنْهُ مَا يَخْرُجُ دُونَ ذَلِكَ فَذَلِكَ الَّذِي يَشْكُ بَعْضَ الشُّكِّ وَمِنْهُ مَا يَخْرُجُ كَالذَّهَبِ الْأَسْوَدِ فَذَلِكَ الَّذِي افْتَنَّ » ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« موعظة »

عَبَادَ اللَّهِ كُنَّا وَلِلَّهِ الْحَمْدُ قَدْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَرَسُولًا ، وَبِالْقُرْآنِ إِمَامًا ، وَبِالْكَعْبَةِ قِبْلَةً وَبِالْمُؤْمِنِينَ إِخْوَانًا وَتَبَرَأْنَا مِنْ كُلِّ دِينٍ يُخَالِفُ دِينَ الْإِسْلَامِ ، وَآمَنَّا بِكُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللَّهُ ، وَبِكُلِّ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ اللَّهُ ، وَبِمَلَائِكَةِ اللَّهِ وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ عَنْ اللَّهِ ، عَلَى ذَلِكَ نَحْيًا ، وَعَلَيْهِ نُمُوتُ ، وَعَلَيْهِ نُبْعَثُ إِثْنَاءَ اللَّهِ مِنَ الْآمِنِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ .

ثُمَّ اعْلَمُوا مَعَاشِرَ الْإِخْوَانِ إِنَّهُ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا لَزِمَهُ أَنْ يَرْضَى بِتَذْيِيرِهِ ، وَاخْتِيَارِهِ لَهُ ، وَيُمِرَّ قَضَائِهِ ، وَأَنْ يَفْنَجَ بِمَا قَسَمَ لَهُ مِنَ الرِّزْقِ ، وَأَنْ يُدَاوِمَ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَيُحَافِظَ عَلَى فَرَائِضِهِ ، وَيَجْتَنِبَ مَحَارِمَهُ ، وَيَكُونُ صَابِرًا عِنْدَ بَلَائِهِ ، مُوْطِنًا نَفْسَهُ عَلَى مَا يُصِيبُهُ مِنَ الشَّدَائِدِ ، بَعِيدًا كُلَّ الْبُعْدِ عَنِ نَارِ الْجَزَعِ ، الَّتِي تَتَّجِعُ فِي قَلْبِ كُلِّ امْرَأٍ يَجْهَلُ بَارِئَهُ وَمَوْلَاهُ .

فَإِنَّ رَأَيْتَ نَفْسَكَ أَهْيَا الْأَخِ تُرِيدُ أَنْ تَجَزَعَ عِنْدَ مُلِمَّةٍ ، فَقِفْ أَمَامَهَا مَوْقِفَ النَّاصِحِ الْقَدِيرِ ، أَفْهَمَهَا أَنَّهَا هِيَ السَّبَبُ فِيمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنَ بَلَاءٍ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ .

وَإِنْ لَمْ تُصَدِّقْ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ فَإِنَّهَا إِذَا سَمِعَتْ ذَلِكَ وَجَّهَتْ اللَّوْمَ

إلى نفسها على معاصيها، وهدأت منها الثورة الثقيلة .

وأفهمها أن ليس بينها ولا بين ربها عداوة، فإنه بعباده الرؤوف الرحيم،
وأفهمها أن البلاء قد تلزم العبد حتى يصبح مغفورة ذنوبه كلها، صغيرها،
والكبير، وأفهمها أن نتيجة ذلك أن صاحب البلاء يأتي يوم القيامة في أمن
مؤلاه الكريم .

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ
خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ » رواه البخاري، وفي حديث أنس رضي الله عنه قال : قال رسول
الله ﷺ : « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا » .

وقال ﷺ : « أَنْ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا
ابْتَلَاهُمْ » الحديث .

وفي حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « مَا يَزِلُّ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ
وَالْمُؤْمِنَةَ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ » رواه
الترمذي، وقال حديث حسن صحيح، أفهم نفسك كل ذلك فإنه يخفف
عنها آلام البلاء، وربما جعلها من المحبوبات .

وأفهمها أن الله وعد الصابرين أن يجزيهم أجرهم بغير حساب وأفهمها
أن الله حكيم في كل تصرفاته، وقل لها أن الجزع لا يرد ما نزل من البلاء
أبدا، بل ما دبره الحكيم العليم لا بد من وقوعه فلا فائدة في الجزع والحزن،
وقل إن عاقبة الجزع والتسخط النار، وعاقبة الصبر والرضا بما قضاه الله
الجنة، وقل إن شماتة الأعداء في الجزع، وغيظهم في الصبر، الذي يتأكد
لزومه على الرجال والنساء .

وتأكد واطمئن أنها إذا سمعت منك كل ذلك رضيت بإذن الله كل
الرضا، ولزمت الآداب، فتعيش كل حياتها تروح وتعتدي في جنة رضاها،

مَهْمَا بَرِحَتْ بِهَا الْبَلَايَا وَالْأَوْصَابُ ، وَبِذَلِكَ مَعَ تَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى تَجْمَعُ بَيْنَ
سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهَكَذَا تَكُونُ عَوَاقِبُ الصَّابِرِينَ الْأَبْطَالِ .

شِعْرًا : وَأَصْبَحْتُ فِيمَا كُنْتُ أَبْغِي مِنَ الْغِنَا إِلَى الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا الدُّنْيَا أَحْوَجًا
وَحَبَسْتُ نَفْسِي بَيْنَ بَيْتِي وَمَسْجِدِي وَقَدْ صِرْتُ مِثْلَ النَّسْرِ أَهْوَى التَّعْرُجَا
آخِر : مَا أَحْسَنَ الصَّبْرَ فِي الدُّنْيَا وَأَجْمَلَهُ عِنْدَ الْإِلَهِ وَأَنْجَاهُ مِنَ الْجَزَعِ
مَنْ شَدَّ بِالصَّبْرِ كَفَاءً عِنْدَ مُؤَلِمَةٍ أَلُوْتُ يَدَاهُ بِحَبْلِ غَيْرِ مُنْقَطِعِ

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا وَاشْرَحْ صُدُورَنَا وَيَسِّرْ أُمُورَنَا وَأَحْسِنْ مَنَقَلَبَنَا وَأَيِّدْنَا
بِرُوحِ مِنْكَ وَوَفِّقْنَا لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ وَتَبَيَّنَّا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ وَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَاسْتِرْ عُيُوبَنَا وَاكْشِفْ كُرُوبَنَا وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَأَلْفِ
فِي طَاعَتِكَ وَطَاعَةِ رَسُولِكَ بَيْنَ قُلُوبِنَا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

وَيَكْفِي فِي مَدْحِ الصَّبْرِ وَشَرَفِهِ وَعُلُوِّ مَكَانَتِهِ وَأَنَّهُ لَا يَنَالُهُ إِلَّا مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ ،
أَنَّ الصَّبْرَ طَرِيقَةُ الرُّسُلِ عَلَيْهِمْ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ
ﷺ وَصَفْوَةَ خَلْقِهِ : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا
وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ
لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

فَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ كُلَّ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ إِلَى أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَّمِ لَأَقَى أَدَى وَالْمَأْمُورِ
قَوْمِهِ وَتَكْذِيبًا ، وَقَالَ لِرَسُولِهِ ﷺ أَمْرًا وَمُسْلِيًّا ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَوْلَاؤُ الْعَزْمِ
مِنَ الرُّسُلِ ﴾ الْآيَةَ .

أَلَا وَإِنَّ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ فِي تَعْرِيبِ صَفْوَةِ خَلْقِهِ لِهَذِهِ الْمَكَارِهِ وَالْأَذْيَا ،

وفي أمرهم بالصبر عليها إلهاماً لخلقهم أن الدنيا دار بلاء واختبار، لا دار مقام
ولذة، واستقرار، وأنها محدودة الأجل، مقصود منها صالح العمل.

فانظر إلى آدم عليه السلام وما نزل به من الآلام والأحزان أخرجه الله
بفتنة إبليس من جنته، وأهبطه إلى الأرض ليعمرها هو وأبناؤه، وهي دار العناء
والفناء وذاق ثكل ولده هابيل باعتداء أخيه عليه قاييل.

وانظر أول رسول أرسل إلى أهل الأرض نوح عليه وعلى نبيينا أفضل
الصلاة والسلام وقد مكث يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً (٩٥٠)
وهم يهزؤون ويسخرون منه يدعوهم ليلاً ونهاراً سراً وجهاراً ولم يتوانا ولم
يضعروا ولم يمل بل واصل الجهود النبيلة الخالصة الكريمة بلا مصلحة له
ولا منفعة منهم.

ويحتمل في سبيل هذه الدعوة الاستكبار والإعراض، هذه المدة الطويلة
والمستجيبون لا يزيدون، والمعرضون في زيادة، ولما أيس من إيمانهم أمر أن
يصنع الفلك فكأنوا إذا مروا عليه ضحكوا منه وسخروا وقالوا كان بالأمس
نبياً واليوم تجاراً ولا يزيد من جوابه على أن يقول ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ
مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ
مُقِيمٌ﴾.

وزاد بلاءه أن أغرق ابنه وهو ينظر إليه ولا يستطيع له إنقاذاً إذ قد غلب
على الابن الشقاء فتأجى ربه نوح فقال له ربه «يا نوح إنه ليس من أهلك إنه
عمل غير صالح».

ثم انظر إلى شيخ المرسلين وجد المسلمين خليل الرحمن عليه السلام وما
تجرع من العُصص والآلام فقد جد في دعوة أبيه إلى التوحيد حتى هدده أبوه
بالرجم والتعذيب وقومه قالوا اقتلوه أو احرقوه ثم ما جرى عليه حين أمر
بذبح ابنه فأقدم على ذلك.

ثم انظر إلى موسى وما جرى عليه وما لاقى في أول أمره وآخيره مع فرعون لعنة الله وقومه ثم انظر إلى عيسى عليه السلام وما لقيه من قذف أمه وقذفه رضي الله عنهما واضطهاد بني إسرائيل قومه حتى ائتمروا على صلبه .

ثم انظر إلى لوط عليه السلام وما جرى له مع قومه المنحرفين الشاذين المستهترين بالنذر، قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ﴾ الآية، فصبر إلى أن نصره الله وأرسل على قومه حاصباً وجعل عاليها سافلها والله على كل شيء قدير وهو نعم المولى ونعم النصير .

شِعْرًا: ثَمَانِيَةٌ حَتَّمْ عَلَى سَائِرِ الْوَرَى
سُرُورٌ وَاجْتِمَاعٌ وَفَرْقَةٌ
آخِر: إِنَّ الْحَيَاةَ مَتَامٌ وَالْمَالُ بِنَا
وَنَحْنُ فِي سَفَرٍ نَمِضِي إِلَى حُفْرِ
وَالْمَوْتُ يَشْمَلُنَا وَالْحَشْرُ يَجْمَعُنَا
صُنْ بِالتَّعَفُّفِ عِزَّ النَّفْسِ مُجْتَهِدًا
وَاعْضُضْ عِيونَكَ عَنْ عَيْبِ الْأَنَامِ وَكُنْ
فَإِنَّ عَيْبَكَ تَبْدُو فِيكَ وَصَمْتُهُ
جَازِي الْمُسِيءِ بِإِحْسَانٍ لِتَمْلِكُهُ
وَمَنْ تَطَلَّبَ خِلًا غَيْرَ ذِي عَوْجٍ
وَقَدْ سَمِعْنَا حِكَايَاتِ الصُّدِّيقِ وَلَمْ
إِنَّ الْإِقَامَةَ فِي أَرْضٍ تُظَامُ بِهَا
وَلَا كَمَالَ بَدَارٍ لَا بَقَاءَ لَهَا
دَارٌ حَلَاوُثُهَا لِلجَاهِلِينَ بِهَا
أَبْغِي الْخَلَاصَ وَمَا أَخْلَصْتُ فِي عَمَلٍ
لَكِنَّ لِي أَمَلًا فِي اللَّهِ يُؤْنِسُنِي

فكُلْ إِمْرِيءَ لَا بَدَّهْ مِنْ ثَمَانِيَّةِ
وَعُسْرٌ وَيُسْرٌ ثُمَّ سَقْمٌ وَعَافِيَّةُ
إِلَى ائْتِيَاهِ وَآتِ مِثْلَ مُنْعَدِمِ
فَكُلْ إِنْ لَنَا قُرْبٌ مِنَ الْعَدَمِ
وَبِالتَّقَى الْفَخْرُ لَا بِالمَالِ وَالْحَشَمِ
فَالنَّفْسُ أَعْلَى مِنَ الدُّنْيَا لِذِي الْهِمَمِ
بِعَيْبِ نَفْسِكَ مَشْغُولًا عَنِ الْأُمَمِ
وَأَنْتَ مِنْ عَيْنِهِمْ خَالٍ مِنَ الْوَصَمِ
وَكَنْ كَعُودٍ يَقُوحُ الطَّيْبُ فِي الضَّرْمِ
يَكُنْ كَطَالِبِ مَاءٍ مِنْ لَطَى الْفَحْمِ
نَحْلُهُ إِلَّا خَيْالًا كَانَ فِي الْحُلْمِ
وَالْأَرْضُ وَاسِعَةٌ ذُلٌّ فَلَا تُقِيمِ
فِيآلِهَا قِسْمَةً مِنْ أَعْظَمِ الْقِسَمِ
وَمُرُّهَا لِذَوِي الْأَلْبَابِ وَالهِمَمِ
أَرْجُو النَّجَاةَ وَمَا نَاجَيْتُ فِي الظُّلْمِ
وَحُسْنُ ظَنِّ بِهِ ذَا الْجُودِ وَالْكَرَمِ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا، اللَّهُمَّ اِهْمِنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَرْزُقْنَا مَحَبَّةَ أَوْلِيَائِكَ وَبُغْضَ أَعْدَائِكَ وَهَجْرَانَهُمْ وَالْإِبْتِعَادَ عَنْهُمْ وَاعْفِرْ لَنَا، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ وَأَسْكِنْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ الْقَرَارِ، اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا بِحُسْنِ الْإِقْبَالِ عَلَيْكَ وَالْإِصْغَاءِ إِلَيْكَ وَوَفَّقْنَا لِلتَّعَاوُنِ فِي طَاعَتِكَ وَالْمُبَادَرَةَ إِلَى خِدْمَتِكَ وَحُسْنَ الْآدَابِ فِي مُعَامَلَتِكَ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِكَ وَالرِّضَا بِقَضَائِكَ وَالصَّبْرَ عَلَى بَلَائِكَ وَالشُّكْرَ لِنِعْمَائِكَ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

ثُمَّ انظُرْ إِلَى خَطِيبِ الْأَنْبِيَاءِ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا لَاقَى مِنْ قَوْمِهِ الْمَتَمَرِّدِينَ عَلَى الْحَقِّ وَالْعَدْلِ، الْمَفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ، قُطَّاعِ الطَّرِيقِ، وَالظَّالِمَةَ الَّذِينَ يَفْتِنُونَ النَّاسَ عَنْ دِينِهِمْ، وَيَصُدُّوهُمْ، الْمُقَاتِلِينَ لِمَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ بِالْقَسْوَةِ وَالْعَلْظَةِ، حَيْثُ يَقُولُونَ ﴿لَتُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ﴾ الْآيَةَ .

ثُمَّ انظُرْ إِلَى صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حِينَ دَعَا قَوْمَهُ، وَمَا قَابَلُوهُ بِهِ حِينَ جَاءَ بِالْبَيِّنَةِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِهِ، فَيَعْتَدُونَ عَلَيْهَا وَيَتَحَدَّوْنَهُ بِاسْتِعْجَالِ الْعَذَابِ .

ثُمَّ انظُرْ إِلَى هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَاتِّهَامِ قَوْمِهِ لَهُ بِالسَّفَاهَةِ وَالْكَذِبِ بِلَا تَرَوُّ مِنْهُمْ وَلَا تَدْبِيرٍ وَلَا دَلِيلٍ، وَأَخِيرًا يَتَحَدَّوْنَهُ بِالْعَذَابِ .

وَانظُرْ إِلَى يُوسُفَ، وَمَا لَقِيَ مِنْ قَوْمِهِ، حَتَّى ضَاقَ صَدْرُهُ بِتَكْذِيبِ قَوْمِهِ، فَأَنْذَرَهُمْ بِعَذَابٍ قَرِيبٍ، وَغَادَرَهُمْ مُغْضِبًا أَبَقًا فَقَادَهُ الْغَضَبُ إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، حَيْثُ رَكِبَ سَفِينَةً مَشْحُونَةً وَفِي وَسْطِ لُجَّةِ الْبَحْرِ نَاوَأَتْهَا الرِّيَّاحُ وَالْأَمْوَاجُ وَأَشْرَفَتْ عَلَى الْغَرَقِ، فَسَاهَمُوا عَلَى أَنْ مَنْ تَقَعَ الْقَرْعَةُ عَلَيْهِ يُلْقَى فِي

الْبَحْرِ لِتَخِفَ السَّفِينَةُ فَوَقَعَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى يُونُسَ نَبِيِّ اللَّهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَهُمْ
يُخَلُّونَ بِهِ أَنْ يُلْقَى مِنْ بَيْنِهِمْ .

فَتَجَرَّدَ مِنْ ثِيَابِهِ لِيُلْقِيَ نَفْسَهُ وَهُمْ يَأْبُونَ عَلَيْهِ ذَلِكَ ، وَأَمَرَ تَعَالَى حُوتًا مِنْ
الْبَحْرِ الْأَخْضَرِ أَنْ يَشُقَّ الْبِحَارَ وَأَنْ يَلْتَقِمَ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَلَا يَهْشِمَ لَهُ
لَحْمًا وَلَا يَكْسِرَ لَهُ عَظْمًا فَجَاءَ ذَلِكَ الْحُوتُ وَالْقَى يُونُسُ نَفْسَهُ فَالْتَقَمَهُ
الْحُوتُ وَذَهَبَ بِهِ .

وَلَمَّا اسْتَقَرَّ يُونُسُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ حَسِبَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ ، ثُمَّ حَرَكَ رَأْسَهُ
وَرِجْلَيْهِ ، وَأَطْرَفَهُ ، فَإِذَا هُوَ حَيٌّ فَقَامَ فَصَلَّى فِي بَطْنِ الْحُوتِ ، وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ
دُعَائِهِ يَا رَبِّ اتَّخَذْتُ لَكَ مَسْجِدًا فِي مَوْضِعٍ لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ ، فَهَذَا مِمَّا
لَقِيَهُ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ذَكَرَ ذَلِكَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ .

ثُمَّ إِلَى مَا لَقِيَهُ صَفْوَةُ الْخَلْقِ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ قَوْمِهِ ، مِنْ التَّكْذِيبِ
وَالْأَسْتِهْزَاءِ ، وَالْإِيذَاءِ فِي نَفْسِهِ ، وَفِي مَنْ يَتَّبِعُهُ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ ، حَتَّى اتَّمَرُوا
عَلَى قَتْلِهِ ، فَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ تَارِكًا وَطَنَهُ وَعَشِيرَتَهُ ، وَأَنْظَرَ مَا لَقِيَهُ فِي حُرُوبِهِمْ ،
وَقَدْ جَرَحُوهُ ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَّتَهُ حَتَّى سَالَ دَمُهُ .

إِذَا نَظَرْتَ إِلَى ذَلِكَ وَإِلَى غَيْرِهِ عَلِمْتَ أَنَّ الدُّنْيَا مَشْحُونَةٌ بِالْمَصَائِبِ
وَالْأَنْكَادِ ، وَأَنَّهَا دَارُ مَمَرٍ لَا دَارُ مَقَرٍّ ، وَلَوْ كَانَتْ دَارَ مَقَرٍّ وَاطْمِئْنَانٍ ، لَكَانَ
أَوْلَى بِذَلِكَ رَسُلُ اللَّهِ ، وَأَنْبِيَآؤُهُ ، وَأَصْفِيَآؤُهُ فَالْعَاقِلُ مَنْ يَحْرِصُ عَلَى عَقِيدَتِهِ
الدِّينِيَّةِ ، كَمَا يَحْرِصُ عَلَى رُوحِهِ فَيُحَصِّنُهَا مِنَ الزَّيْغِ وَالضَّلَالِ ، وَيَقُومُ بِمَا
فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَيَتَجَنَّبُ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ صَابِرًا عَلَى مَا قَدَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَاللَّهُ
أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

« فَضْلٌ »

اعْلَمْ وَفَقَّنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ ، أَنْ لِيَسْهِيلَ

المصائب والشدائد البدنية والمالية أسباب إذا قارنت حزماً وصادفت عزمًا
هان وفعتها، وقل تأثيرها على الدين والقلب والبدن، بإذن الله تعالى .

فأولاً الآيات والأحاديث المتقدمة التي فيها مدح الصابرين وبشارتهم
ووعدهم بالجزاء الحسن ومن ذلك أن يعلم أن مرارة الدنيا هي بعينها حلاوة
في الآخرة وحلاوة الدنيا هي بعينها مرارة في الآخرة، ولأن ينتقل من مرارة
منقطعة إلى حلاوة دائمة خير من عكس ذلك .

وقال عليه السلام : « حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ » ، وكذلك
قوله في الصحيح : « يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيَصْبُغُ فِي
النَّارِ صَبْغَةً ، ثُمَّ يُقَالُ يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا فَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ فَطُّ فَيَقُولُ
لَا وَاللَّهِ يَارَبُّ ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَصْبُغُ فِي
الْجَنَّةِ صَبْغَةً فَيُقَالُ لَهُ يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا فَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ فَطُّ
فَيَقُولُ لَا وَاللَّهِ يَارَبُّ » الحديث .

ومن ذلك استشعار النفس بما تعلمه من نزول الفناء وتقصي المسار ،
وأن لها آجالاً منصرمة ومُدداً منقضيةً ، إذ ليس للدنيا حال تدوم ولا لمخلوق
عليها بقاء كما قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ ، وقال : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ
وإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ .

شِعْرًا : بِنُو الْوَقْتِ مِنْ فَجَعَاتِهِ فِي تَمَزِقِ فَكُلُّهُمْ يَعْدُو بِشَلْوٍ مُقَدِّدِ
وَإِنِّي رَأَيْتُ الْوَقْتِ جَمًّا حُطُوبُهُ وَإِنْ لَمْ يَرُوعْ حَادِثٌ فَكَأَنَّ قَدِ

وَرَوَى ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه قَالَ : « مَا مَثَلِي وَمَثَلُ
الدُّنْيَا إِلَّا كَمَثَلِ رَاكِبٍ مَالَ إِلَى ظِلِّ شَجَرَةٍ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَ كَهَا » .

ومنها أن يتصور انحلال الشدائد وانكشاف الهوم وأن الله قدرها
فأوقات لا تنصرم قبلها ولا تستدِيم بعدها فلا تقصُر تلك الأوقات بجزع

وَلَا تَطُولُ بَصِيرٌ، وَأَنَّ كُلَّ يَوْمٍ يَمُرُّ بِهَا يَذْهَبُ مِنْهَا بِشَطْرٍ وَيَأْخُذُ مِنْهَا بِنَصِيبٍ
حَتَّى تَنْجَلِي وَتَنْفَرِحَ وَيَزُولَ مَا كَانَ مِنَ الْمَكَارِهِ وَالْخُطُوبِ .

وَقَدْ قَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا فِي كِتَابِهِ قِصَصًا تَتَضَمَّنُ وَفُوعَ الْفَرَجِ بَعْدَ الْكَرْبِ
وَالشَّدَّةِ كَمَا قَصَّ نَجَاةَ نُوحٍ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ مَعَ اغْرَاقِ
سَائِرِ أَهْلِ الْأَرْضِ .

وَكَمَا قَصَّ نَجَاةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ النَّارِ حِينَ الْفَأَهُ الْمُشْرِكُونَ فِي
النَّارِ، وَأَنَّهُ جَعَلَهَا عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، وَكَمَا قَصَّ قِصَّةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ
وَلَدِهِ الَّذِي أَمَرَ بِذَبْحِهِ، ثُمَّ فَدَاهُ اللَّهُ بِذَبْحِ عَظِيمٍ .

وَكَمَا قَصَّ قِصَّةَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ أُمِّهِ لَمَّا أَلْقَتْهُ فِي الْيَمِّ حَتَّى اتَّقَطَهُ
أَلُ فِرْعَوْنَ، وَقِصَّتَهُ مَعَ فِرْعَوْنَ لَمَّا نَجَّى اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُوسَى وَأَغْرَقَ عَدُوَّهُ
فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ .

وَكَمَا قَصَّ قِصَّةَ أَيُّوبَ وَيُونُسَ وَيَعْقُوبَ، وَيُوسُفَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَقِصَّةَ
قَوْمِ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا، وَكَمَا قَصَّ قِصَصَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَنَصْرِهِ عَلَى أَعْدَائِهِ
بِالنَّجَاةِ مِنْهُمْ فِي عِدَّةِ مَوَاطِنَ، مِثْلَ قِصَّتِهِ فِي الْعَارِ، وَقِصَّةِ يَوْمِ بَدْرٍ، وَيَوْمِ
أُحُدٍ، وَيَوْمِ حُنَيْنٍ .

وَكَمَا قَصَّ اللَّهُ قِصَّةَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا فِي حَدِيثِ الْأَفْكِ
وَبَرَّأَهَا مِمَّا رُمِيَتْ بِهِ، وَقِصَّةَ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ حُلِفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ
الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، وَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ أَنْفُسُهُمْ، وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا
إِلَيْهِ، ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا .

وَفِي السُّنَّةِ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى شَيْءٌ كَثِيرٌ مِثْلَ قِصَّةِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ دَخَلُوا الْعَارَ،
فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمُ الصَّخْرَةُ، فَدَعَا اللَّهُ بِأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ، فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ،
وَمِثْلَ قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَسَارَةَ مَعَ الْجَبَّارِ الَّذِي طَلَبَهَا مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَرَدَّ اللَّهُ كَيْدَ
الْفَاجِرِ .

وَإِذَا اشْتَدَّ الْكَرْبُ وَعَظُمَ الْحَطْبُ كَانَ الْفَرَجُ قَرِيبًا فِي الْعَالِبِ بِإِذْنِ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾.

وَأُخْبِرَ عَنِ يَعْقُوبَ أَنَّهُ لَمْ يُيَاسَ مِنْ لِقَاءِ يُوسُفَ وَقَالَ لِإِخْوَاتِهِ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ، وَقَالَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا، وَمِنْ لَطَائِفِ اقْتِرَانِ الْفَرَجِ بِاشْتِدَادِ الْكَرْبِ، أَنَّ الْكَرْبَ إِذَا اشْتَدَّ، وَعَظُمَ وَتَنَاهَى، وَجَدَ الْإِيَّاسُ مِنْ كَشْفِهِ مِنْ جِهَةِ الْمَخْلُوقِ، وَوَقَعَ التَّعَلُّقُ بِالْمَخَالِقِ.

كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَاسْتَدَلَّ عَلَيْهِ بِقَوْلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا عَرَضَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْهَوَاءِ، وَقَالَ أَلَيْكَ حَاجَةٌ، فَقَالَ أَمَا إِلَيْكَ فَلَا وَأَمَا إِلَى اللَّهِ فَبَلَىٰ وَالتَّوَكَّلُ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُطَلَّبُ بِهَا الْحَوَائِجُ.

فَإِنَّ اللَّهَ يَكْفِي مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، وَمِنْهَا أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْكَرْبُ فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ حِينَئِذٍ إِلَى مُجَاهَدَةِ الشَّيْطَانِ لِأَنَّهُ يَأْتِيهِ فَيُقْنِطُهُ وَيُسَخِطُهُ وَمِنْهَا أَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا اسْتَبَطَّ الْفَرَجَ وَأَيْسَ مِنْهُ وَلَا سِيَّمَا بَعْدَ كَثْرَةِ دُعَائِهِ وَتَضَرُّعِهِ وَلَمْ يَظْهَرْ لَهُ أَثَرُ الْجَابَةِ رَجَعَ عَلَى نَفْسِهِ بِاللَّائِمَةِ وَيَقُولُ لَهَا إِنَّمَا أُتِيتُ مِنْ قَبْلِكَ وَلَوْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ لَأُجِبْتَ وَهَذَا اللَّوْمُ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الطَّاعَاتِ .. أَهـ.

شِعْرًا: هَوْنٌ عَلَيْكَ فَكُلُّ الْأَمْرِ تَنْقَطِعُ وَحَلَّ عَنْكَ عِنَانٌ يَنْدَفِعُ
فَكُلِّ هَمٌّ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ فَرَجٌ وَكُلُّ أَمْرٍ إِذَا مَا ضَاقَ يَتَّسِعُ
إِنَّ الْبَلَاءَ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ فَاللَّهُ يَفْرِجُهُ وَسَوْفَ يَنْقَطِعُ
آخِرُ: إِذَا اسْتَمَلَّتْ عَلَى الْيَأْسِ الْقُلُوبُ وَضَاقَ بِمَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
وَأَوْطَأَتْ الْمَكَارِهِ وَأَطْمَأَّتْ وَأُرْسَتْ فِي أَمَاكِنِهَا الْحُطُوبُ

وَلَمْ تَرَ لَانْكِشَافِ الضُّرِّ وَجْهًا
 أَتَاكَ عَلَى قُنُوطٍ مِنْكَ غَوْتُ
 وَكُلُّ الْحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ
 آخِرُ: إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا مَا اللَّهُ يَسَّرَهَا
 وَكُلُّ مَا لَمْ يَقْدِرْهُ إِلَّاهُ فَمَا
 ثِقٌ بِالْإِلَهِ وَلَا تَرَكَنَّ إِلَى أَحَدٍ
 وَكَمْ لِلَّهِ مِنْ لُطْفٍ خَفِيٍّ
 وَكَمْ يُسِرُّ أُنَى مِنْ بَعْدِ عُسْرِ
 وَكَمْ هَمٌّ تُسَاءُ بِهِ صَبَاحًا
 إِذَا ضَاقَتْ بِكَ الْأَسْبَابُ يَوْمًا
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

« فَضْلٌ »

وَمِنْهَا أَنْ يَتَسَلَّى بِذَوِي الْغَيْرِ، وَيَتَسَلَّى بِأُولِي الْعِبَرِ، وَيَعْلَمَ أَنَّهُمُ الْأَكْثَرُونَ
 عَدَدًا وَالْأَسْرَعُونَ مَدَدًا فَيَسْتَجِدُّ مِنْ سَلْوَةِ الْأَسَى وَحُسْنِ الْعَزَاءِ إِلَى مَا يُخَفِّفُ
 حُزْنَهُ وَيَقْلِلُ هَلَعَهُ وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الصَّقُوفُ بِذَوِي الْغَيْرِ تَسْبَعُ قُلُوبُكُمْ
 أَيُّ الَّذِينَ تَنْتَقِلُ أَحْوَالُهُمْ إِذْ يَتَسَلَّى مُرْقِعُ الْخُفِّ بِالذِّي مُحَرَّقٌ خُفُّهُ وَيَتَسَلَّى
 مُحَرَّقُ الْخُفِّ بِالْحَاسِرِ الَّذِي لَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ وَيَتَسَلَّى الَّذِي لَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ
 بِالْأَعْرَجِ، وَالْأَعْرَجُ بِالْأَقْطَعِ، وَهَكَذَا كُلُّ يَتَسَلَّى بِمَنْ هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ فِي
 الْمَصِيبَةِ .

وَالدُّنْيَا إِذَا تَأَمَّلَهَا اللَّيْبُ وَجَدَهَا كُلَّهَا مَتَاعِبَ وَبَلَايَا وَمَصَائِبَ وَقَدْ
 أَحَاطَتْ بِالنَّاسِ مِنْ رُؤْسِهِمْ إِلَى أَقْدَامِهِمْ، فَتَرَى هَذَا مُصَابًا بِالْعِلَلِ وَالْأَسْقَامِ
 كُلَّمَا بَرِيَءٌ مِنْ عِلَّةٍ أَصَابَتْهُ عِلَّةٌ أُخْرَى، وَكُلَّمَا شَفَاهُ اللَّهُ مِنْ مَرَضٍ جَاءَهُ مَرَضٌ

آخِرُ، وَتَجِدُ هَذَا مُصَاباً بِعُقُوقِ الْأَبْنَاءِ لِأَنَّهُمْ خَرَجُوا عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ
وَسَلَكُوا طَرِيقَ الشَّيْطَانِ، وَتَجِدُ الْآخَرَ مُصَاباً بِسُوءِ خُلُقِ زَوْجَتِهِ فَهُوَ مَعَهَا
دَائِماً فِي شِقَاقٍ وَعَنَاءٍ وَنَشُورٍ وَلِجَاجٍ .

وَتَجِدُ مُصَاباً بِالْفَقْرِ الْمُدْقِعِ وَهَذَا تَجِدُهُ مُصَاباً بِالْعُقْمِ، وَهَذَا تَجِدُهُ مُصَاباً
بِكَسَادِ تِجَارَتِهِ، وَهَذَا مُصَاباً بِبَوَارِ زِرَاعَتِهِ، أَوْ صِنَاعَتِهِ، وَهَذَا مُصَاباً بِجِيرَانِ
سُوءٍ يُدْيَعُونَ مَا يَسُوءُ وَيَكْتُمُونَ الْخَيْرَ، وَتَجِدُهُ مَعَهُمْ دَائِماً فِي لِجَاجٍ، وَهَذَا
تَجِدُهُ مَعَ أَقْرَبَائِهِ فِي شِقَاقٍ وَقَطِيعَةٍ، وَشِكَاوَى وَتَرَدُّدٍ بَيْنَ الْمَحَاكِمِ
وَالْمَنَاطِقِ، وَهَذَا تَجِدُهُ مَعَ شُرَكَائِهِ أَوْ مَعَ أَرْحَامِهِ كَذَلِكَ فِي نَكْدٍ .

وَتَرَى هَذَا لَا حَظَّ لَهُ فِي الْحَيَاةِ يَجِدُ وَيَجْتَهُدُ وَلَا يَنَالُ مَنَاهُ وَيَشْفَى
وَيَتَعَبُ وَلَا يَحْصُلُ عَلَى مُبْتَغَاهُ وَهَذَا تَجِدُهُ مُسَلِّطِينَ عَلَيْهِ وَالِدِيهِ أَوْ أَحَدَهُمَا
وَهَذَا تَجِدُهُ مَظْلُوماً وَهَذَا مَسْجُوناً وَهَكَذَا إِلَى نِهَايَةِ سِلْسِلَةِ الْأَلَامِ الَّتِي لَا تَقِفُ
عِنْدَ حَدٍّ وَلَا يُحْصِيهَا عَدٌّ وَلَقَدْ صَدَقَ مَنْ قَالَ :

شِعْرًا: كُلُّ مَنْ لَاقَيْتُ يَشْكُو دَهْرَهُ لَيْتَ شِعْرِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِمَنْ
آخِر: أَلْحَ عَلَيَّ السُّقْمُ حَتَّى الْفِتْنَةُ وَمَلَّ طَبِيبِي جَانِبِي وَالْعَوَائِدُ
آخِر: تَعَوَّدْتُ مَسَّ الشَّرِّ حَتَّى الْفِتْنَةُ وَأَسْلَمَنِي طَوْلَ الْبَلَاءِ إِلَى الصَّبْرِ
وَوَسَّعَ صَدْرِي لِلْأَذَى كَثْرَةَ الْأَذَى وَكَانَ قَدِيمًا قَدْ يَضِيقُ بِهِ صَدْرِي
إِذَا أَنَا لَمْ أَقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ كُلاًمَا تَكَرَّهْتُهُ قَدْ طَالَ عُتْبِي عَلَى الدَّهْرِ
آخِر: رُوِّعْتُ بِالْبَيْنِ حَتَّى مَا أُرَاعُ لَهُ وَبِالْمَصَائِبِ فِي أَهْلِي وَجِيرَانِ
آخِر: تَعَزَّ بِحُسْنِ الصَّبْرِ عَنِ كُلِّ هَالِكٍ فَفِي الصَّبْرِ مَسَلَاةُ الْهُمُومِ اللَّوَازِمِ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَصْبِرْ عَزَاءً وَحِسْبَةً سَلَوْتَ كَمَا تَسْلُو قُلُوبُ الْبِهَائِمِ
آخِر: وَلَمَا رَأَيْتُ الْوَقْتَ يُؤْذِنُ صَرْفُهُ بَتَفْرِيقِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْحَبَائِبِ
رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي فَوَطَّنْتُهَا عَلَى رُكُوبِ جَمِيلِ الصَّبْرِ عِنْدَ النَّوَائِبِ
وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا عَلَى سُوءِ فِعْلِهَا فَأَيَّامُهُ مَحْفُوفَةٌ بِالْمَصَائِبِ

فَخَذُ خِلْسَةً مِنْ كُلِّ يَوْمٍ تَعِيشُهُ
 آخِر: وما خَيْرُ عَيْشٍ نِصْفُهُ سِنَةُ الْكَرَى
 مَعَ الْوَقْتِ يَمْضِي بُؤْسُهُ وَتَعِيمُهُ
 آخِر: طُبِعَتْ عَلَى كَدْرٍ وَأَنْتَ تَرُومُهَا
 وَمُكَلِّفُ الْأَيَّامِ ضِدٌّ طِبَاعِهَا
 وَإِذَا رَجَوْتَ الْمُسْتَحِيلَ فَإِنَّمَا
 آخِر: وما اسْتَعْرَبْتَ عَيْنِي فِرَاقًا رَأَيْتُهُ
 آخِر: وَهَبْنِي مَلَكَتُ الْأَرْضَ طَرَأَ وَنِلْتُ مَا
 أَلَسْتُ أُحْلِيهِ وَأُمْسِي مُسَلِّمًا
 آخِر: مَتَى تَسْتَرِدُّ فَضْلًا مِنَ الْعُمْرِ تَعْتَرِفْ
 يُسِرُّ بِعُمُرَانِ الدِّيَارِ مُظَلَّلٌ
 وَلَمْ أَرْضِ الدُّنْيَا أَوْ أَنْ مَجِيئِهَا
 آخِر: لَمْ يَبْقَ فِي الْعَيْشِ غَيْرُ الْبُؤْسِ وَالنَّكَدِ
 مَلَأَتْ يَادَهُرُ عَيْنِي مِنْ مَكَارِهِهَا

قال ابن الجوزي ولولا الدنيا دار ابتلاء لم تعتور فيها الأمراض والأكدار
 ولم يضيق العيش فيها على الأنبياء والأخيار فآدم يعانى المحن إلى أن خرج من
 الدنيا، ونوح بكى ثلاثمائة عام، وإبراهيم يكابد النار وذبح الولد، ويعقوب
 بكى حتى ذهب بصره، وموسى يقاسى فرعون ويلقى من قومه المحن.

وعيسى بن مريم لا مأوى له إلا البراري في العيش الضنك ومحمد ﷺ
 يُصابِرُ الْفَقْرَ وَقَتْلَ عَمِّهِ حَمْزَةَ، وَهُوَ مِنْ أَحَبِّ أَقْرَابِهِ إِلَيْهِ، وَتُفَوَّرَ قَوْمِهِ عَنْهُ،
 وَقَدْ قَالَ ﷺ: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»، فَإِذَا بَانَ بِأَنَّهَا دَارُ ابْتِلَاءٍ
 وَسِجْنٍ وَمَحْنٍ فَلَا يَنْبَغِي إِنْكَارُ وَقُوعِ الْمَصَائِبِ فِيهَا.

وقال رأيت جمهور الناس إذا طرقهم المرض أو غيره من المصائب

اشْتَعَلُوا تَارَةً بِالْجَزَعِ وَالشُّكُوى، وَتَارَةً بِالتَّداوِي، إِلَى أَنْ يَشْتَدَّ عَلَيْهِمْ
فِيشتعلهم اشتداده عن الالتفات إلى المصالح، من وصية، أو فعل خير أو
تأهب للموت.

فَكَمْ مِمَّنْ لَهُ ذُنُوبٌ لَا يَتُوبُ مِنْهَا أَوْ عِنْدَهُ وَدَائِعٌ لَا يُرَدِّهَا، أَوْ عَلَيْهِ دَيْنٌ
أَوْ زَكَاةٌ، أَوْ فِي ذِمَّتِهِ ظَلَامَةٌ لَا يَحْطُرُّ لَهُ تَدَارُكُهَا وَإِنَّمَا حَزَنُهُ عَلَى فِرَاقِ الدُّنْيَا
إِذَا لَا هَمَّ لَهُ سِوَاهَا وَرُبَّمَا أَفَاقَ وَأَوْصَى بِجَوْرِ.. إنتهى كلامه.

شِعْرًا: لَحَى اللهُ دُنْيَا لَا تَكُونُ مَطِيئَةً إِلَى دَارِكَ الأُخْرَى تُزَمُّ وَتَرْكَبُ
عَجِبْتُ لِمَنْ يَرْجُو الرِّضَا وَهُوَ مُهْمَلٌ وَتَسْوِيفُنَا مَعَ ذَلِكَ العِلْمِ أَعْجَبُ
وَمَا هَذِهِ الأَيَّامُ إِلَّا مَرَاحِلٌ وَأَجْدَرُ بِهَا تَقْضِي قَرِينًا وَتَنْضِبُ
إِذَا كَانَا الأَنْفَاسُ لِلْعُمْرِ كَالْحُطَّاءِ فَإِنَّ المَدَى أَدْنَى مَنَالًا وَأَقْرَبُ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنْ المَرءَ إِذَا طَرَفَهُ عَمَّا يَتَحَيَّفُ صَبْرَهُ وَيُضَيِّقُ صَدْرَهُ يَعُودُ

إِلَى عِلْمِهِ بِالدُّنْيَا كَيْفَ نُصِبَتْ عَلَى الثَّقَلَةِ وَجُنِبَتْ طُولُ المُهْلَةِ وَابْتَدَأَتْ لِلنَّفَازِ
وَشَفِعَ كَوْنُهَا لِلْحَرَابِ، وَأَنَّ الثَّوْبِي فِيهَا رَاحِلٌ، وَالأَيَّامُ فِيهَا مَرَاحِلٌ مَوْهُوبُهَا
مَسْلُوبٌ وَإِنْ أُرْخِيَ إِلَى مَهَلٍ، وَمَمْنُوحُهَا مَحْرُوبٌ وَإِنْ أُرْخِيَ إِلَى أَجَلٍ وَلَوْ
خُلِدَ مَنْ سَبَقَ لَمَا وَسِعَتِ الأَرْضُ وَلِذَلِكَ جُعِلَتِ الدُّنْيَا دَارَ قَلْعَةٍ وَمَحَلَّ نَجْعَةٍ.

شِعْرًا: كَمْ رَأَيْنَا مِنْ أَنَاسٍ هَلَكُوا وَبَكَى أَحْبَابَهُمْ ثُمَّ بُكُوا
تَرَكَوْا الدُّنْيَا لِمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ وَدَهُمْ لَوْ قَدَّمُوا مَا تَرَكَوْا
كَمْ رَأَيْنَا مِنْ مُلُوكٍ سَوَقَةَ وَرَأَيْنَا سَوَقَةَ قَدْ مَلَكُوا
هَذَا حُكْمٌ مِنْ حَكِيمٍ قَادِرٍ سَلَّمَ الأَمْرَ لِمَنْ أُجْرَى الفَلَكُ

لَا تَكُنْ مِمَّنْ يُقَلِّدُ مُلْحِدًا كَمْ جَهُولٌ بَاغْتِرَاضَاتٍ هَلَكُ
آخِرُ: أَطَّلَ جَفْوَةَ الدُّنْيَا وَدَعَّ عَنْكَ شَانَهَا فَمَا العَاقِلُ المَعْرُورُ فِيهَا بِعَاقِلِ
وَلَيْسَ الأَمَانِي لِلْبَقَاءِ وَإِنْ جَرَتْ بِهَا عَادَةٌ إِلَّا تَعَالِيلُ بَاطِلِ
يُسَارُ بِنَا نَحْوِ المُنُونِ وَإِنَّا لِنُسَعِفُ فِي الدُّنْيَا بِطَيِّ المَرَاحِلِ
وَمَا حُوُّ بِهَا المَجْتَنِي مِنَّا بِعَاقِلِ غَفَلْنَا عَنِ الأَيَّامِ أَطْوَلَ غَفَلَةٍ

آخر: بِرُوحِي أَنَسًا قَبْلَنَا قَدْ تَقَدَّمُوا
وَسَارَتْ بِهِمْ سِيرَ الْمِطِيِّ نُعُوشَهُمْ
وَأَمْسُوا عَلَى الْبَيْدَاءِ يَنْتَظِرُونَنَا
فَرِيدُونَ فِي أَجْدَانِهِمْ بِفِعَالِهِمْ
تَسَاوَوْا عِدَى تَحْتَ الثَّرَى وَأَحِبَّةً
سَلِ الدَّهْرَ هَلْ أَغْفَى مِنَ الْمَوْتِ شَائِبًا

آخر: إِذَا مَا مَضَى الْقَرْنُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِمْ
وَإِنْ أَمْرًا قَدْ سَارَ خَمْسِينَ حَجَّةً
آخر: وَإِذَا حَمَلْتَ إِلَى الْقُبُورِ جَنَازَةً
آخر: قَفْ بِالْمَقَابِرِ وَادْكُرْ إِنْ وَقَفْتَ بِهَا
فَفِيهِمْ لَكَ يَامَعْرُورُ مَوْعِظَةٌ
كَانُوا مُلُوكًا ثَوَارِيهِمْ قُصُورُهُمْ

وَنَادُوا بِنَا لَوْ أَنَّنَا نَسْمَعُ النَّدَا
وَبَعْضُ أَيْنِ الْقَادِمِينَ لَهُمْ حُدَا
إِلَى سَفَرٍ يَقْضِي بَأْنَ تَنْزُودَا
وَكَمْ مِنْهُمْ مَنْ سَاقَ جُنْدًا مُجَنَّدَا
فَلَا فَرَقَ مَا بَيْنَ الْأَحِبَّةِ وَالْعِدَى
غَدَاةً أَدَارَ الْكَأْسَ أَمْ رَدَّ أَمْرَدًا
وُخَلِّفَتْ فِي قَرْنٍ فَأَنْتَ غَرِيبُ
إِلَى مَنْهَلٍ مِنْ وَرْدِهِ لَقَرِيبُ
فَاعْلَمْ بِأَنَّكَ بَعْدَهَا مَحْمُولُ
لِلَّهِ دُرُكٌ مَادَا تَسْتُرُ الْحُفْرُ
وَفِيهِمْ لَكَ يَامَعْرُورُ مُعْتَبَرُ
دَهْرًا فَوَارْتُهُمْ مِنْ بَعْدِهَا الْحُفْرُ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيَقْظَنَا مِنْ نَوْمِ الْعَقْلَةِ وَتَبْهِنَا
لَاغِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهْلَةِ وَوَفَّقَنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَذُنُوبِنَا وَلَا تَوَاخِذْنَا
بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْتَنَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعْلُمُهَا
مَنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فصل»

وَمِمَّا يُسَلِّي وَيُسَهِّلُ الْمَصَائِبَ أَنْ يَعْلَمَ الْعَبْدُ أَنَّهُ لَوْلَا مَا قَدَّرَهُ الْحَكِيمُ
الْعَلِيمُ عَلَى عِبَادِهِ مِنْ مِحَنِ الدُّنْيَا وَمَصَائِبِهَا لِأَصَابِ الْإِنْسَانِ مِنْ أَدْوَاءِ الْكِبَرِ
وَالْعُجْبِ وَالْفِرْعَنَةِ وَقَسْوَةِ الْقَلْبِ مَا هُوَ سَبَبٌ هَلَاكِهِ عَاجِلًا وَآجِلًا، فَمِنْ
رَحْمَةِ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ أَنْ يَتَفَقَّهُهُ فِي الْأَحْيَانِ بِأَنْوَاعٍ مِنْ أَدْوِيَةِ الْمَصَائِبِ تَكُونُ

حُمِيَّةً لَهُ مِنْ هَذِهِ الْأَدْوَاءِ، وَتَكُونُ حِفْظًا لِصِحَّةِ عِبُودِيَّتِهِ، فَسُبْحَانَ مَنْ يَرْحَمُ
بِبَلَائِهِ وَيَتْلِي بِنِعْمَائِهِ كَمَا قِيلَ:

شِعْرًا: «قَدْ يُنْعِمُ اللَّهُ بِاللَّلْوَى وَإِنْ عَظُمَتْ
آخِر: أَرَى بَصْرِي قَدْ رَابِنِي بَعْدَ حِدَّةٍ
وَلَنْ يَلْبِثَ الْعَصْرُ إِنْ يَوْمًا وَلَيْلَةً
آخِر: يَا سَائِلِي عَنْ حَالَتِي
قَدْ صِرْتُ بَعْدَ قُوَّةٍ
أَمْشِي عَلَى ثَلَاثَةِ
آخِر: قَدْ أَمْشِي عَلَى ثِنْتَيْنِ مُعْتَدِلًا
آخِر: إِذَا اشْتَدَّتِ الْبَلْوَى تُخَفَّفُ بِالرِّضَا
وَكَمْ نِعْمَةٍ مَقْرُونَةٍ بِبِلِيَّةٍ

وَيَتْلِي اللَّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنَّعَمِ»
وَحَسِيكَ دَاءً أَنْ تَصِحَّ وَتَسَلَّمَ
إِذَا طَلَبَا أَنْ يُدْرِكََا مَا تَمَمَّا
خُذْ شَرَحَهَا مَلْخَصًا
تَقْصُ أَصْلَادَ الْخَصَا
أَجُودُ مَا فِيهَا الْعَصَا
فَصِرْتُ أَمْشِي عَلَى أُخْرَى مِنَ الشَّجَرِ
عَنْ اللَّهِ قَدْ فَازَ الرَّضِيُّ الْمُرَاقِبُ
عَلَى النَّاسِ تَخْفَى وَالْبَلَايَا مَوَاهِبُ

فَلَوْلَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يُدَاوِي عِبَادَهُ بِأَدْوِيَةِ الْمِحْنِ وَالْإِتْيَالِ لَطُغُوا وَبَعُوا وَعَتُوا
وَتَجَبَّرُوا فِي الْأَرْضِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي
الْأَرْضِ﴾، فَإِنَّ مِنْ شِيَمِ النَّفُوسِ إِذَا حَصَلَ لَهَا صِحَّةٌ وَفَرَاغٌ وَأَمْرٌ وَنَهْيٌ وَكَلِمَةٌ
نَافِذَةٌ مِنْ غَيْرِ زَاجِرٍ شَرْعِيٍّ يَزْجُرُهَا تَمَرَّدَتْ وَظَلَمَتْ وَسَعَتْ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا
كَمَا قِيلَ:

«وَالظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ النَّفُوسِ فَإِنْ تَجَدَّدَ ذَا عِفَّةٍ فَلِعَلَّةٍ لَا يَظْلِمُ»

وَمِمَّا يُسَلِّي وَيُسَهِّلُ الْمَصَائِبَ وَيَكُونُ سَبَبًا لِلصَّبْرِ عَلَى الْمُصِيبَةِ أَنْ يَعْلَمَ
الْإِنْسَانُ أَنَّ الْجَزَعَ لَا يُرْدُ الْمُصِيبَةَ، بَلْ يُضَاعِفُهَا، فَتَزِيدُ الْمُصِيبَةُ وَأَنَّ الْجَزَعَ
يُشْمِتُ الْعُدُوَّ وَيَسْوُ الصِّدِّيقَ، وَيُنْهِكُ الْجِسْمَ، وَيَسُرُّ شَيْطَانَهُ وَيُضْعِفُ
النَّفْسَ، وَقَدْ يُحْبِطُ الْعَمَلَ، وَإِذَا صَبَرَ وَاحْتَسَبَ أُخْرَى الشَّيْطَانِ وَأَرْضَى
الرَّبِّ، وَسَرَّ الصِّدِّيقَ، وَسَاءَ الْعُدُوَّ، وَهَذَا مِنَ الثَّبَاتِ فِي الْأَمْرِ الدِّينِيِّ.

وَمِمَّا يُسَلِّي وَيُسَهِّلُ الْمَصَائِبَ أَنْ يُوطِنَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ أَنْ كُلَّ مُصِيبَةٍ تَأْتِيهِ

هِيَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَأَنَّهَا بِقَضَائِهِ وَقَدْرِهِ وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يُقَدِّرْهَا عَلَيْهِ لِيُهْلِكُهَا بِهَا وَلَا لِيُعَذِّبَهَا وَإِنَّمَا ابْتِلَاءُهُ لِيَمْتَحِنَ صَبْرَهُ وَرِضَاهُ وَشُكْرَؤُهُ إِلَيْهِ وَابْتِهَالُهُ وَدُعَاؤُهُ .

شِعْرًا: وَكُلُّ مُصِيبَاتٍ أَتَتْني فَإِنَّهَا سِوَى غَضَبِ الرَّحْمَنِ هَيْبَةُ الْخَطْبِ فَإِنْ وَفَّقَ لِلرِّضَاءِ وَالشُّكْرِ فَقَدْ أَفْلَحَ ، وَإِنْ تَسَخَّطَ وَلَمْ يَرْضَ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ ، قَالَ أَبُو الْفَرَجِ بْنِ الْجَوْزِيِّ عِلَاجُ الْمَصَائِبِ بِسَبْعَةِ أَشْيَاءَ: الْأَوَّلُ أَنْ يَعْلَمَ بِأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ ابْتِلَاءٍ وَكَرْبٍ لَا يُرْجَى مِنْهُ رَاحَةٌ فِي الدُّنْيَا مَهْمَا طَالَ الْعُمُرُ وَمَهْمَا اجْتَمَعَ لِلإِنْسَانِ فِيهَا مِنْ أَسْبَابِ الْغِنَى وَالثَّرْوَةِ وَسَوَاءٌ فِي ذَلِكَ الصَّعَالِيكَ وَالْمَمَالِيكَ وَالْمُلُوكِ فَلَقَدْ أَوْدَعَ اللَّهُ فِي كُلِّ نَفْسٍ مَا شَغَلَهَا .

وَلَوْ أَنَّ الإِنْسَانَ عَرَفَ قَدْرَ الدُّنْيَا وَمَا طُبِعَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْكَدْرِ وَالْأَنْكَادِ وَالْمَصَائِبِ وَالْأَحْزَانِ وَعَرَفَ أَنَّ مَا فِيهَا مَحْضُ خِدَاعٍ وَسَرَابٍ ، بِقِيَعَةٍ يَحْسِبُهُ الظُّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَاسْتَعَانَ بِمَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنْ نُورِ الدِّينِ وَقَصَرَ أَمَلُهُ لَمَا آثَرَتْ فِيهِ الْمَصَائِبُ بِإِذْنِ اللَّهِ لِأَنَّ قُوَّةَ الإِيمَانِ بِاللَّهِ وَقَضَائِهِ وَقَدْرِهِ يُثْمِرَانِ الْهُدَى وَالظُّمَانِيَّةَ وَالرِّضَى بِمَا قَسَمَ وَقَدَرَ .

الثاني أن يعلم أن المصيبة ثابتة .

الثالث أن يقدر وجود ما هو أكثر من تلك المصيبة .

الرابع النظر في حال من ابتلي بمثل هذا البلاء فإن التأسى راحة عظيمة يُخَفِّفُ الْحُزْنَ أَوْ يَزِيلُهُ بِالْكُلِّيَّةِ .

قَالَتِ الْحَنَسَاءُ:

وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي
وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَحْيِي وَلَكِنْ أَعَزِّي النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأْسِي
آخِرُ: حَاسِبْ زَمَانِكَ فِي حَالِي تَصَرَّفِهِ تَجِدُهُ أَعْطَاكَ أضعَافَ الَّذِي سَلَبَا
نَفْسِي الَّتِي تَمْلِكُ الْأَشْيَاءَ ذَاهِبَةً فَكَيْفَ أَبْكِي عَلَى شَيْءٍ إِذَا ذَهَبَا

آخر: لا تَعْتَبِ الدَّهْرَ فِي خَطْبِ رَمَاكَ بِهِ إِذَا اسْتَرَدَّ فَقِدْمًا طَالَ مَا وَهَبَا
 ورأسُ مالِكَ وهي الرُّوحُ إن سَلِمَتْ لَا تَأْسَفَنَّ لِشَيْءٍ بَعْدَهَا ذَهَبَا
 آخر: وَلَوْلَا الْأَسَى مَا عَشْتُ فِي النَّاسِ سَاعَةً وَلَكِنْ مَتَى نَادَيْتُ جَاوِبِي مِثْلِي

الخامسُ مِمَّا يُهَوِّنُ الْمَصَائِبَ وَيُخَفِّفُهَا وَيَبْعَثُ الْإِنْسَانَ عَلَى حَمْدِ اللَّهِ
 وشكره وَيَنْفِي هُمُومَ الدُّنْيَا وَعُمُومَهَا النَّظْرُ وَالتَّفَكُّرُ وَالاعْتِبَارُ فَيَمُنُّ هُمْ أَكْبَرُ
 مُصِيبَةٍ مِنْكَ وَانظُرْ حَالَتَكَ بَعْدَ زِيَارَتِكَ لِلْمَقْبَرَةِ، وَنَظْرِكَ فِي مَنْ قَبِرَ وَمَنْ سَيُقْبَرُ
 وَحَالَتَكَ بَعْدَ مَا تَمُرُّ بِالسَّجْنِ وَتَرَى الْمُعَذِّبِينَ فِيهِ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ كَمَا قَالَ
 بَعْضُهُمْ وَاصِفًا لِلْسَّجْنِ بِعَدَادٍ:

مَحَلٌّ بِهِ تَهْفُو الْقُلُوبُ مِنَ الْأَسَى فَإِنْ زُرْتَهُ فَاذْبُطْ عَلَى الْقَلْبِ بِالْيَدِ
 وَانظُرْ حَالَتَكَ إِذَا دَخَلْتَ الْمُسْتَشْفِيَّاتِ وَرَأَيْتَ الْبَاكِينَ وَالَّذِي يَبْكُ وَالَّذِي
 تَحْتَ الْعَمَلِيَّةِ لِقَطْعِ عَضْوٍ أَوْ نَحْوِهِ، وَسَائِرِ أَنْوَاعِ الْبَلَايَا تَجِدُكَ إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ
 وَفَّقَهُ اللَّهُ مُكْتَبِرًا لِحَمْدِ اللَّهِ وَشَكَرِهِ حَيْثُ عَافَاكَ مِمَّا تَرَى وَتَسْمَعُ.

وَكَمَّ مِنْ إِنْسَانٍ أَتَى لِعِلَاجٍ بَسِيْمَطٍ فَلَمَّا رَأَى مَا فِي الْأَسْعَافِ، وَمَنْ
 تَحْتَ الْعَمَلِيَّاتِ وَمَنْ يَبْكُ وَمَنْ يُجْرُ لِيُعَسَّلَ وَمَنْ قَدَّمَ مَاتَ، وَمَنْ يُعْمَلُ لِكُسُورِهِ
 الْجُبْنُ، حَرَجَ يَحْمَدُ اللَّهَ وَرَأَى أَنَّهُ مَا فِيهِ شَيْءٌ يُوجِبُ الْعِلَاجَ.

السادسُ رَجَاءَ الْخَلْفِ إِنْ كَانَ مَنْ مَضَى يَصِحُّ عَنْهُ الْخَلْفُ كَالْوَلَدِ
 وَالزَّوْجَةِ فَيَلُ لِلْقَمَانِ مَاتَتْ زَوْجَتُكَ قَالَ تَجَدَّدَ فِرَاشِي وَقَالَ الشَّاعِرُ:

هَلْ وَصَلُ عَزَّةً إِلَّا وَصَلُ غَانِيَةً فِي وَصَلِ غَانِيَةٍ مِنْ وَصَلِهَا خَلْفُ
 آخر: قَدْ تَرَكْتُ الْكُرْهَ أَحْيَانًا فَيَفْرِجُهُ رَبُّ نَرْجِيهِ فِي الضَّرَاءِ وَسَرَّائِي

السَّابِعُ طَلَبُ الْأَجْرِ بِالصَّبْرِ فِي فَضَائِلِهِ وَثَوَابِ الصَّابِرِينَ وَسُرُورُهُمْ فِي
 صَبْرِهِمْ فَإِنَّ تَرَقَّى إِلَى مَقَامِ الرِّضَا فَهُوَ الْعَايَةُ أَنْتَهَى كَلَامَهُ بِتَصْرِفٍ.

وَمِمَّا يُسَلِّي وَيُسَهِّلُ الْمَصَائِبَ وَيَجْلِبُ الصَّبْرَ بِإِذْنِ اللَّهِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ تَشْدِيدَ

الْبَلَاءِ يَخُصُّ الْأَخْيَارَ، وَلِهَذَا لَمَّا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً، قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ يُبْتَلَى النَّاسُ عَلَى قَدْرِ دِينِهِمْ فَمَنْ تَخَنَ دِينَهُ اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَمَنْ ضَعَفَ دِينَهُ ضَعَفَ بَلَاؤُهُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُصِيبُهُ الْبَلَاءُ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ» رواه ابن حبان، ومنها أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ مَمْلُوكٌ لِلَّهِ وَلَيْسَ لِلْمَمْلُوكِ فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ، ومنها أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ هَذَا الْوَاقِعَ وَقَعَ بِرِضَى السَّيِّدِ، فَيَرْضَى بِمَا رَضِيَ بِهِ سَيِّدُهُ وَمَوْلَاهُ وَهُوَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا رَضِينَا بِهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا.

قال بعضهم:

اصْبِرْ لِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَتَجَلَّدِ
فَإِذَا ذَكَرْتَ مُصِيبَةً تَسْلُو بِهَا
آخِرُ: لَا تَيَأَسَنَّ إِذَا مَا الْأَمْرُ ضِيقَتْ بِهِ
مَا بَيْنَ رَقْدَةٍ عَيْنٍ وَانْتِبَاهَتِهَا
وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَرْءَ غَيْرَ مُخَلَّدٍ
فَاذْكُرْ مُصَابِكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
ذُرْعًا وَنَمْ مُسْتَرِيحًا خَالِي الْبَالِ
يُقَلِّبُ الدَّهْرُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ

وَمِنْ فَوَائِدِ الْمَصَائِبِ وَالصَّبْرِ عَلَى مَا أَجْرَاهُ اللَّهُ عَلَى الْإِنْسَانِ مِمَّا يَكْرَهُهُ مَا يَعْتَاظُهُ مِنَ الْأَرْتِيَاضِ بِنَوَائِبِ عَصْرِهِ وَيَسْتَفِيدُهُ مِنْ اسْتِحْكَامِ الرَّأْيِ وَالْعَقْلِ بِالتَّجَارِبِ بِبَلَاءِ دَهْرِهِ فَيَقْوَى عَقْلُهُ وَيَحْصِفُ رَأْيُهُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَكْمُلُ بِأَدْنَى شِدَّتِهِ وَرَخَائِهِ وَيَتَعَطَّ بِحَالَتِي عَفْوِهِ وَبَلَائِهِ.

شِعْرًا: إِنِّي أَقُولُ لِنَفْسِي وَهِيَ ضَيْقَةٌ
صَبْرًا عَلَى شِدَّةِ آلامٍ إِنَّ لَهَا
عُقْبَى وَمَا الصَّبْرُ إِلَّا عِنْدَ ذِي الْحَسَبِ
فِيهَا لِمِثْلِكَ رَاحَاتٌ مِنَ التَّعَبِ
سَيَفْتَحُ اللَّهُ عَنْ قُرْبٍ بِنَافِعَةٍ

وَأَقْلُ مَا يُؤْتَاهُ الْمُؤْمِنُ فِي الْمَصَائِبِ الصَّبْرُ الَّذِي يُخَفِّفُ وَفَعَهَا عَلَى النَّفْسِ
وَكَثْرُهُ رَحْمَةُ اللَّهِ الَّتِي بِهَا تَتَحَوَّلُ النِّقْمَةُ إِلَى نِعْمَةٍ بِمَا يَسْتَفِيدُ مِنْهُ الْاِخْتِبَارُ
وَالْتَمَحِيصُ وَكَمَالُ الْعِبْرَةِ وَالتَّهْدِيْبُ.

وَقَدْ يَبْتَلِي اللَّهُ الْمُؤْمِنَ وَيَمْتَحِنَ صَبْرَهُ فَتَعْطِيهِ قُوَّةُ إِيمَانِهِ مِنَ الرَّجَاءِ بِهِ مَا
تُخَالِطُ حَلَاوَتُهُ مَرَارَةَ الْمُصِيبَةِ حَتَّى تَعْلِبَهَا وَقَدْ يَأْتِسُ بِالْمُصِيبَةِ لِعِظَمِ رَجَائِهِ
وَصَبْرِهِ وَذَا وَإِنْ كَانَ نَادِرًا فَهُوَ وَاقِعٌ حَاصِلٌ .

قال بعضهم :

تَعَوَّدْتُ مَسَّ الضَّرِّ حَتَّى أَلْفَيْتُهُ وَمَلَّ طَبِيبِي جَانِبِي وَالْعَوَائِدُ
آخِرُ : وَوَسَّعَ صَدْرِي لِلأَذَى كَثْرَةَ الأَذَى وَكَانَ قَدِيمًا قَدْ يَضِيقُ بِهِ صَدْرِي
وَمِنْهَا أَنْ يَخْتَبِرَ أُمُورَ زَمَانِهِ وَيَتَنَبَّهَ عَلَى إِصْلَاحِ شَأْنِهِ فَلَا يَغْتَرَّ بِرَحَاءِ
وَلَا يَطْمَعُ فِي اسْتِوَاءِ وَلَا يُؤْمَلُ بَقَاءِ الدُّنْيَا عَلَى حَالِهِ ، فَإِنَّ مَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا وَخَبَرَ
أَحْوَالَهَا هَانَ عَلَيْهِ بُؤْسُهَا وَنَعِيمُهَا ، وَلَوْلَا مَا قَدَّرَهُ اللَّهُ مِنَ الحَوَادِثِ وَالنَّوَابِغِ لَمْ
يُعْرِفْ صَبْرَ الكِرَامِ وَلَا جَزَعُ اللَّعَامِ .

فَإِذَا ظَفَرَ المُصَابُ بِأَحَدِ هَذِهِ الأَسْبَابِ تَحَفَّفَتْ بِأَذَنِ اللَّهِ عَنْهُ أَحْرَانُهُ ،
وَتَسَهَّلَتْ عَلَيْهِ أَشْجَانُهُ فَصَارَ سَرِيعَ النِّسْيَانِ لِلْمَصَائِبِ ، قَلِيلَ الجَزَعِ حَسَنَ
الصَّبْرِ وَالتَّجْمُلِ عِنْدَ المَصَائِبِ .

شعرا في ذم الدنيا :

سَلَامٌ عَلَى دَارِ العُرُورِ فَإِنَّهَا مَعْصَةٌ لَدَاتُهَا بِالْفَجَائِعِ
فَإِنْ جَمَعَتْ بَيْنَ المُجِيبِينَ سَاعَةً فَعَمَّا قَلِيلٍ أُرْدَفَتْ بِالمَوَانِعِ
آخِرُ : وَمَا المَوْتُ إِلَّا رِحْلَةٌ غَيْرَ أَنَّهَا
آخِرُ : رَأَيْتُ بَيْتِي الدُّنْيَا كَوَفْدَيْنِ كَلَّمَا
وَكُلُّ يَحُثِّ السَّيْرِ عَنْهَا وَنَحْوَهَا
آخِرُ : وَكُلُّ أَبِي وَابْنٍ وَإِنْ مُتَّعَا مَعَا
آخِرُ : فَلَا تَجَزَّ عَنْ اللَّبِيبِ كُلِّ جَمَاعَةٍ
مُنْعَصَةٌ لَدَاتُهَا بِالْفَجَائِعِ
فَعَمَّا قَلِيلٍ أُرْدَفَتْ بِالمَوَانِعِ
مِنَ المَنْزِلِ الفَانِي إِلَى المَنْزِلِ البَاقِي
تَرَحَّلَ وَفَدَّ حَطَّ فِي إِثْرِهِ وَفَدَّ
فَيَمْضِي بِذَا نَعَشٍ وَيَأْتِي بِذَا مَهْدٍ
مُقِيمَيْنِ مَفْقُودٍ لَوْقَتٍ وَفَاقِدٍ
وَرَبُّكَ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا التَّفَرُّقُ

وَخُذْ بِالْعَزِي كُلِّ مَا أَنْتَ لَابِسُ جَدِيداً عَلَى الْأَيَّامِ يَبْلِي وَيَخْلُقُ
فَصَبِرُ الْفَتَى عَمَّا تَوَلَّى فَفَاتَهُ مِنْ الْأَمْرِ أَوْلَى بِالسَّدَادِ وَأَوْفَى
وَإِنَّكَ بِالْإِشْفَاقِ لَا تَدْفَعُ الرَّدَى وَلَا الْخَيْرَ مَجْلُوبٌ فَمَا لَكَ تُشْفِقُ
كَأَنَّ لَمْ يَرُعْكَ الدَّهْرُ أَوْ أَنْتَ آمِنٌ لِأَحْدَانِهِ فِيمَا يُعَادِي وَيَطْرُقُ

إِخْوَانِي أَيْنَ الْأُمَمُ الْمَاضِيَّةِ، أَيْنَ الْقُرُونُ الْخَالِيَّةِ أَيْنَ مَنْ نُصِيتَ عَلَى
مَفَارِقِهِمُ التَّيْجَانُ، أَيْنَ الَّذِينَ قَهَرُوا الْأَبْطَالَ وَالشُّجْعَانَ، أَيْنَ الَّذِينَ دَانَتْ لَهُمُ
الْمَشَارِقُ وَالْمَعَارِبُ، أَيْنَ الَّذِينَ تَمَتَّعُوا بِاللذَاتِ مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ، أَيْنَ
الَّذِينَ اغْتَرُّوا بِالْأَجْنَادِ وَالسُّلْطَانَ.

أَيْنَ أَصْحَابُ السَّطْوَةِ وَالْأَعْوَانِ، أَيْنَ أَصْحَابُ الْأَسْرِ وَالْوَلَايَاتِ، أَيْنَ
الَّذِينَ خَفَقَتْ عَلَى رُؤْسِهِمُ الْأَلْوِيَّةُ وَالرَّيَّاتِ، أَيْنَ الَّذِينَ قَادُوا الْعَسَاكِرَ، أَيْنَ
الَّذِينَ عَمَرُوا الْقُصُورَ الشَّامِحَاتِ وَالْفُلُلَ الْفَسِيحَاتِ، أَيْنَ الَّذِينَ غَرَسُوا النَخِيلَ
وَالْأَشْجَارَ الْمُنْمِرَاتِ.

أَيْنَ الَّذِينَ مَلَأُوا مَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ فَخْرًا وَعِزًّا، أَيْنَ الَّذِينَ فَرَشُوا الْقُصُورَ
حِزًّا وَقِزًّا، أَفْنَاهُمْ وَاللَّهِ مُفْنِي الْأُمَمِ، وَأَبَادُهُمْ مُبِيدُ الرَّمَمِ، وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ سَعَةِ
الْمَسَاكِينِ، وَالْقُصُورِ، وَأَسْكَنَهُمْ فِي ضَيْقِ اللَّحُودِ وَالْقُبُورِ تَحْتَ الْجَنَادِلِ
وَالصُّحُورِ.

قَدْ خَلَتْ مِنْ كَثْرَتِهِمْ أَمَا كُنْتُمْ وَلَمْ يَنْفَعَهُمْ مَا جَمَعُوا مِنَ الْحُطَامِ، وَلَا
أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا مِنْ حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ أَسْلَمَهُمُ الْأَجِبَّةُ وَالْأَوْلِيَاءُ، وَهَجَرَهُمُ
الْإِخْوَانُ وَالْأَصْفِيَاءُ وَنَسِيَهُمُ الْأَقْرِبَاءُ وَالْبَعْدَاءُ.

شِعْرًا: مَنْ ذَا الَّذِي قَدْ نَالَ رَاحَةَ فِكْرِهِ فِي عُسْرِهِ مِنْ عُسْرِهِ أَوْ يُسْرِهِ
يَلْقَى الْعَيْبِي لِحْفَظِهِ مَا قَدْ حَوَى أَضْعَافَ مَا يَلْقَى الْفَقِيرُ لِفَقْرِهِ
فَيَظَلُّ هَذَا سَاخِطاً فِي قَلْبِهِ وَيَظَلُّ هَذَا تَاعِباً فِي كُثْرِهِ
عَمَّ الْبَلَاءُ لِكُلِّ شَمَلٍ فُرْقَةٌ يُرْمَى بِهَا فِي يَوْمِهِ أَوْ شَهْرِهِ

وَالْحِجْنُ مِثْلُ الْإِنْسِ يَجْرِي فِيهِمُوا
 فَإِذَا الْمَرِيدُ أَتَى لِيَحْطِفَ حَظْفَةً
 وَنَبِيُّ صِدْقٍ لَا يَزَالُ مُكَذِّباً
 وَمُحَقِّقٌ فِي دِينِهِ لَمْ يَخُلْ مِنْ
 وَالْعَالِمُ الْمُفْتِي يَظُلُّ مُنَازِعاً
 وَالْوَيْلُ إِنْ زَلَّ اللِّسَانُ فَلَا يَرَى
 وَأَخُو الدِّيَانَةِ دَهْرُهُ مُتَّعِصٌ
 أَوْ مَا تَرَى الْمَلِكَ الْعَزِيزَ بِجُنْدِهِ
 فَيْسُرُهُ خَبْرٌ وَفِي أَعْقَابِهِ
 وَأَخُو التَّجَارَةِ حَائِرٌ مُتَّفَكِّرٌ
 وَأَبُو الْعِيَالِ أَبُو الْهُمُومِ وَحَسْرَةُ الرَّ
 وَتَرَى الْقَرِينِ مُضْمِراً لِقَرِينِهِ
 وَلَرَبُّ طَالِبٍ رَاحَةٍ فِي نَوْمِهِ
 وَالطِّفْلُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَخْرُجُ إِلَى
 وَلَقَدْ حَسَدْتُ الطَّيْرَ فِي أَوْكَارِهَا
 وَالْوَحْشُ بِأُتَيْهِ الرَّدَى فِي بَرِّهِ
 وَلَرَبَّمَا تَأْتِي السَّبَاعُ لِمَيْتٍ
 كَيْفَ الْبِنَادُ أَحْيَى الْحَيَاةَ بَعِيشِهِ
 تَاللهُ لَوْ عَاشَ الْفَتَى فِي أَهْلِهِ
 مُتَلَذِّداً مَعَهُمْ بِكُلِّ لَذِيذَةٍ
 لَا يَغْتَرِبُهُ النَّقْصُ فِي أَحْوَالِهِ
 مَا كَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ مِمَّا يَفِي
 كَيْفَ التَّحْلُصُ يَا أَحْيَى مِمَّا تَرَى

حُكْمُ الْقَضَاءِ بِحُلُوهِ وَبِمُرِّهِ
 جَاءَ الشَّهَابُ بِحَرْقِهِ وَبِرَجْرِهِ
 يُرْمَى بِبَاطِلِ قَوْلِهِمْ وَبِسِحْرِهِ
 ضِدُّ يُوَاجِهُهُ بِتُهْمَةٍ كُفْرِهِ
 بِالْمُشْكَلَاتِ لَدَى مَجَالِسِ ذِكْرِهِ
 أَحَدًا يُسَاعِدُ فِي إِقَامَةِ عُذْرِهِ
 يَبْغِي التَّحْلُصَ مِنْ مَخَافِ قَبْرِهِ
 رَهْنُ الْهُمُومِ عَلَى جَلَالَةِ قَدْرِهِ
 هُمْ تَضَيِّقُ بِهِ جَوَانِبُ قَصْرِهِ
 مِمَّا يُلَاقِي مِنْ خَسَارَةِ سِعْرِهِ
 جُلُ الْعَقِيمِ كَمِينَةٌ فِي صَدْرِهِ
 حَسِداً وَحِقْداً فِي غِنَاهِ وَفَقْرِهِ
 جَاءَتْهُ أَحْلَامٌ فَهَامَ بِأَمْرِهِ
 غُصَصِ الْفِطَامِ تَرُوعُهُ فِي صِغَرِهِ
 فَوَجَدْتُ مِنْهَا مَا يُصَادُ بِوَكْرِهِ
 وَالْحُوتُ يَأْتِي حَتْفُهُ فِي بَحْرِهِ
 فَاسْتَحْرَجْتُهُ مِنْ قَرَارِهِ قَبْرِهِ
 مَا زَالَ وَهُوَ مُرَوِّعٌ فِي أَمْرِهِ
 أَلْفًا مِنَ الْأَعْوَامِ مَالِكِ أَمْرِهِ
 مُتَنَعِّماً بِالْعَيْشِ مُدَّةَ عُمْرِهِ
 كَلَّا وَلَا تَجْرِي الْهُمُومُ بِفِكْرِهِ
 بِنُزُولِ أَوَّلِ لَيْلَةٍ فِي قَبْرِهِ
 صَبْرًا عَلَى حُلُوِّ الْقَضَاءِ وَمُرِّهِ

اللَّهُمَّ أَنْظُمْنَا فِي سِلْكِ حِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ، واجعلنا من عبادِكَ الْمُخْلِصِينَ
وَأَمِنَّا يَوْمَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ، واحشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصُّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصَلِّ» في هديه ﷺ في علاج حر المصيبة وحزنها

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ؛ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا
إِلَيْهِ رَاغِبُونَ. أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ، وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُهْتَدُونَ﴾.

وفي المسند عنه ﷺ، أنه قال: «ما من أحدٍ تصيبه مصيبةٌ فيقول: إنا لله
وإنا إليه راجعون، اللهم: أجرني في مصيبتِي، وأخلف لي خيراً منها، إلا آجره
الله في مصيبتِهِ، وأخلف له خيراً منها».

وهذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب، وأنفعه له في عاجلته وآجلته. فإنها
تتضمن أصليين عظيمين - إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبتِهِ -
(أحدهما): أن العبد وأهله وماله ملك لله عز وجل حقيقةً.

وقد جعله عند العبد عاريةً، فإذا أخذه منه، فهو كالمعير يأخذ متاعه من
المستعير، وأيضاً فإنه محفوف بعدمين: عدمٍ قبله، وعدمٍ بعده، وملكُ العبد له
مُتعة مُعارة في زمن يسير. وأيضاً فإنه ليس هو الذي أوجده من عدمه، حتى
يكون ملكه حقيقةً؛ ولا هو الذي يحفظه من الآفات بعد وجوده، ولا يُبقى
عليه وجوده.

فليس له فيه تأثير ولا ملكٌ حقيقي. وأيضاً فإنه متصرفُ العبد المأمور
المنهَى، لا تصرفُ الملاك. ولهذا لا يباح له من التصرفات فيه، إلا ما وافق أمرَ
مالكه الحقيقي.

وقال ابن سيرين: «ما كان ضحكك قط، إلا كان من بعده بكاءً».

وقالت هند بنت النعمان: «لقد رأيتنا ونحن من أعزّ الناس وأشدّهم ملكاً، ثم لم تغب الشمس حتى رأيتنا ونحن أقلّ الناس، وإنه حقّ على الله أن لا يملاً داراً خيرةً، إلا ملاًها عبرةً».

وسألها رجل أن تحدّثه عن أمرها، فقالت: «أصبحنا ذات صباح وما في العرب أحدٌ إلا يرجونا، ثم أمسينا وما في العرب أحدٌ إلا يرحمنا».

وبكت أختها حُرقة بنت النعمان يوماً - وهي في عزها - فقيل لها: ما يبكيك؟ لعل أحد آذاك؟ قالت: «لا؛ ولكن رأيت غضارة في أهلي، وقلّما امتلأت دار سروراً، إلا امتلأت حزناً».

قال إسحق بن طلحة: «دخلت عليها يوماً، فقلت لها: كيف رأيت عبرات الملوك؟ فقالت: ما نحن فيه اليوم خيرٌ مما كنا فيه بالأمس؛ إنا نجد في الكتب أنه ليس من أهل بيت يعيشون في خيرة، إلا سيعقبون بعدها عبرةً؛ وإن الدهر لم يظهر لقوم بيوم يحبونه، إلا بطن لهم بيوم يكرهونه»، ثم قالت:

فَبَيْنَا نَسُوسُ النَّاسَ: وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سُوْقَةٌ نَنْصَفُ
فَأُفُّ لِدُنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا تَقَلُّبُ تَارَاتِ بِنَا، وَتَصَرَّفُ

ومن علاجها: أن يعلم أن الجزع لا يردّها، بل يضاعفها، وهو في الحقيقة من تزايد المرض.

ومن علاجها: أن يعلم أن فوت ثواب الصبر والتسليم - وهو من الصلاة والرحمة والهداية التي ضمنها الله على الصبر والاسترجاع - أعظم من المصيبة في الحقيقة.

ومن علاجها: أن يعلم أن الجزع يُشمت عدوه، ويُسيء صديقه،

ويُغضب ربه، ويسر شيطانه، ويحبط أجره، ويضعف نفسه. وإذا صبر واحتسب: أقصى شيطانه، ورد خاسئاً، وأرضى ربه، وسر صديقه، وساء عدوه، وحمل عن إخوانه، وعزّاهم هو قبل أن يُعزوه. فهذا هو الثبات والكمال الأعظم؛ لا لطم الخدود، وشق الجيوب والدعاء بالويل والثبور، والسخط على المقدور.

ومن علاجها: أن يعلم أن ما يعقبه الصبر والاحتساب - من اللذة والمسرّة - أضعاف ما كان يحصل له ببقاء ما أصيب به، لو بقي عليه. ويكفيه من ذلك بيتُ الحمد الذي يُبنى له في الجنة، على حمده لربه واسترجاعه. فليُنظر أيّ المصيبتين أعظم: مصيبة العاجلة؟ أو مصيبة فوات بيت الحمد في جنة الخلد؟

وفي الترمذي مرفوعاً: «يودُّ ناس يومَ القيامة أن جلودهم كانت تُقرضُ بالمقاريض في الدنيا، لما يرون من ثواب أهل البلاء».

وقال بعض السلف: «لولا مصائبُ الدنيا، لوردنا القيامة مفاليس».

شِعْرًا: وَعَوَّضْتَ أَجْرًا مِنْ فَقِيدٍ فَلَا يَكُنْ فَقِيدُكَ لَا يَأْتِي وَأَجْرُكَ يَذْهَبُ
ومن علاجها: أن يُروِّح قلبه بروح رجاء الخلف من الله، فإنه من كل شيء عوض، إلا الله فما منه عوض. كما قيل:

شِعْرًا: لَعَمْرِي مَا الرَّزِيَّةُ فَقْدُ قَصْرِ فَسِيحِ مُيَّةٍ لِلسَّاكِنَيْنَا
وَلَكِنَّ الرَّزِيَّةَ فَقْدُ دِينٍ يَكُونُ بِفَقْدِهِ مِنْ كَافِرَيْنَا
آخر: مِنْ كُلِّ - شَيْءٍ إِذَا ضَيَّعْتَهُ - عَوَاضٌ وَمَا مِنَ اللَّهِ - إِنْ ضَيَّعْتَهُ - عَوَاضٌ

ومن علاجها: أن يعلم أن حظه من المصيبة ما تحدّثه له؛ فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط. فحظك منها ما أحدثته لك، فاختر إما خير الحظوظ، أو شرّها. فإن أحدثت له سخطاً وكفراً: كتب في ديوان

الهالكين، وإن أحدثت له جزءاً وتفريطاً في ترك واجب، أو في فعل محرم: كُتِبَ في ديوان الهالكين، وإن أحدثت له شكاية وعدم صبرٍ: كُتِبَ في ديوان المغبونين .

وإن أحدثت له اعتراضاً على الله، وقدحاً في حِكْمَتِهِ: فقد قرع باب الزندقة أو ولجّه، وإن أحدثت له صبراً وثباتاً لله: كُتِبَ في (ديوان الصابرين). وإن أحدثت له الرضا: كُتِبَ في (ديوان الراضين). وإن أحدثت له الحمد والشكر: كُتِبَ في (ديوان الشاكرين)، وكان تحت لواء الحمد مع الحمّادين، وإن أحدثت له محبةً واشتياقاً إلى لقاء ربه: كتب في (ديوان المحبين المخلصين) .

وفي مسند الإمام أحمد والترمذيّ - من حديث محمود بن كبيد يرفعه - :
«إن الله إذا أحبَّ قوماً ابتلاهم؛ فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السَّخَطُ»؛ زاد أحمد «ومن جزع فله الجرعُ» .

ومن علاجها: أن يعلم أنه وإن بلغ في الجزع غايته، فأخِرُ أمره إلى صبر الاضطرار . وهو غير محود ولا مُثاب .

قال بعض الحكماء: «العاقل يفعل في أول يوم من المصيبة، ما يفعله الجاهل بعد أيام، ومن لم يصبر صبر الكرام، سلا سلو البهائم» . وفي الصحيح مرفوعاً: «الصبر عند الصدمة الأولى» . وقال الأشعث بن قيس: «إنك إن صبرت إيماناً واحتساباً؛ وإلا سلوت سلو البهائم» .

ومن علاجها: أن يعلم أن أنفع الأدوية له موافقة ربه وإلهاه فيما أحبه ورضيه له، وأن خاصية المحبة وسرّها موافقة المحبوب، فمن ادعى محبة محبوب، ثم سخط ما يُحبه وأحب ما يسخطه: فقد شهد على نفسه بكذبه، وتمتّت إلى محبوبه .

وقال أبو الدرداء: «إن الله إذا قضى قضاءً، أَحَبَّ أن يُرَضَى به»، وكان عمران ابن الحصين، يقول في علته: «أحبه إليَّ: أحبه إليه»، وكذلك قال أبو العالية.

وهذا دواء وعلاج لا يعمل إلا مع المحبين، ولا يمكن كل أحد أن يتعالج به..

ومن علاجها: أن يوازن بين أعظم اللذتين والتمتعين وأدومهما: لذة تمتعه بما أصيب به، ولذة تمتعه بثواب الله له فإن ظهر له الرجحان، فآثر الراجح: فليحمد الله على توفيقه، وإن آثر المرجوح من كل وجه: فليعلم أن مصيبته في عقله وقلبه ودينه، وأعظم من مصيبته التي أصيب بها في دنياه.

شِعْرًا: وَإِذَا تَصَبَّكَ مُصِيبَةٌ فَاصْبِرْ لَهَا عَظُمَتْ مُصِيبَةٌ مُبْتَلَى لَا يَصْبِرُ

ومن علاجها: أن يعلم أن الذي ابتلاه بها: أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين؛ وأنه سبحانه لم يرسل إليه البلاء ليهلكه، ولا ليعذبه به، ولا ليجتأحه، وإنما افتقده به: ليمتحن صبره ورضاه عنه وإيمانه، وليسمع تضرعه وابتهاله، وليراه طريحاً ببابه، لائذاً بجنابه، مكسور القلب بين يديه، رافعاً قصص الشكوى إليه.

قال الشيخ عبدالقادر: «يا بني: إن المصيبة ما جاءت لتهلكك، وإنما جاءت لتمتحن صبرك وإيمانك؛ يا بني: القدر سبع، والسبع لا يأكل الميتة».

والمقصود: أن المصيبة كيرُ العبد الذي يُسبكُ به حاصله، فإما أن يخرج ذهباً أحمر، وإما أن يخرج حَبْتاً كله. كما قيل:

سَبَّكَاهُ: وَنَحْسِيهِ لُجَيْنًا؛ فَأَبْدَى الْكَبِيرُ عَن حَبْتِ الْحَدِيدِ

فإن لم ينفعه هذا الكيرُ في الدنيا: فبين يديه الكيرُ الأعظم. فإذا علم العبد أن إدخاله كيرَ الدنيا ومسبكها خيرٌ له من ذلك الكير والمسبك، وأنه لا بد من أحد الكيرين فليعلم قدرَ نعمة الله عليه في الكير العاجل.

فلولا أنَّه سبحانه يداوي عباده بأدوية الحن والابتلاء، لَطَغُوا وبعوا وعتوا، والله سبحانه إذا أراد بعبد خيراً: سقاه دواءً - من الإبتلاء والامتحان - على قدر حاله، يستفرغ به من الأدوية المهلكة؛ حتى إذا هدَّبه وصفَّاه: أهله لأشرف مراتب الدنيا - وهي عبوديته - وأرفع ثواب الآخرة، وهو رؤيته وقربه.

ومن علاجها: أن يعلم أن مرارة الدنيا هي بعينها حلاوة الآخرة، يقبلها الله سبحانه كذلك؛ وحلاوة الدنيا بعينها مرارة الآخرة. ولأنَّ ينتقل من مرارة منقطعة، إلى حلاوة دائمة - خيرٌ له من عكس ذلك.

فإن خفى عليك هذا فانظر إلى قول الصادق المصدوق: «حُفَّتِ الجِنَّةُ بالمَكَارِهِ، وحُفَّتِ النارُ بالشَّهَوَاتِ».

وفي هذا المقام تفاوتت عقولُ الخلائق، وظهرت حقائق الرجال فأكثرهم آثر الحلاوة المنقطعة، على الحلاوة الدائمة التي لاتزول، ولم يحتمل مرارة ساعةٍ بحلاوة الأبد، ولا ذُلَّ ساعةٍ لعزِّ الأبد، ولا محنة ساعةٍ لعافية الأبد. فإن الحاضر عنده شهادة، والمنتظر غيبٌ، والإيمان ضعيفٌ، وسلطان الشهوة حاكم. فتولَّد مع ذلك إثارة العاجلة، ورفض الآخرة.

وهذا حال النظر الواقع على ظواهر الأمور وأوائلها ومبادئها، وأما النظر الثاقب الذي يحرق حُجُب العاجلة، ويُجاوزه إلى العواقب والغايات، فله شأنٌ آخر.

فادع نفسك إلى ما أعد الله لأولياته وأهل طاعته: من النعيم المقيم، والسعادة الأبدية، والفوز الأكبر، وما أعدَّ لأهل البطالة والإضاعة: من الخزي والعقاب، والحسرات الدائمة، ثم اختر أيَّ القسمين أليق بك. و (كُلِّ يَعْْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ)، وكل أحد يصبو إلى ما يناسبه وما هو الأولى به. ولا تستطل هذا العلاج: فشدة الحاجة إليه - من الطبيب العليل - دعت إلى بسطه. وبالله التوفيق.

شِعْرًا: تُعَلَّلُ بِالذَّوَاءِ إِذَا مَرَضْنَا
 وَنَحْتَارُ الطَّيِّبَ وَهَلْ طَيِّبٌ
 آخِرٌ: إِصْبِرْ عَلَى حُلُوِّ الْقَضَاءِ وَمُرِّهِ
 فَالصَّدْرُ مَنْ يَلْقَى الخُطُوبَ بِصَدْرِهِ
 الحُرُّ سَيْفٌ وَالذُّنُوبُ لِصَفْوِهِ
 لَيْسَ الحَوَادِثُ غَيْرَ أَعْمَالِ امْرِئٍ
 فَإِذَا أُصِيبَتْ بِمَا أُصِيبَتْ فَلَا تُقَلُّ
 وَابْتُ فَكَمْ أَمْرٌ أَمْضَكَ عُسْرُهُ
 وَلَكُمْ عَلَى نَاسٍ أَتَى فَرَجُ الفَتَى
 فَاضْرَعْ إِلَى اللَّهِ الكَرِيمِ وَلَا تَسْلُ
 وَاعْجَبْ لِتَنظِمِي وَالهُمُومُ شَوَاعِلُ
 لَا تَحْشَ مِنْ عَمٍّ كَعَيْمٍ عَارِضٍ
 إِنْ تُنْسِ عَنْ عَبَّاسٍ حَالِكَ رَاوِيًا
 وَلَقَدْ تَمُرُّ الحَادِثَاتُ عَلَى الفَتَى
 هَوْنٌ عَلَيْكَ فُرْبٌ أَمْرٍ هَائِلٍ
 وَرُبَّ لَيْلٍ بِالهُمُومِ كَدَمَلٍ
 ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ وَأَسْكِنْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ الْقَرَارِ، اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا
 بِحُسْنِ الْإِقْبَالِ عَلَيْكَ وَالْإِصْغَاءِ إِلَيْكَ وَوَفَّقْنَا لِلتَّعَاوُنِ فِي طَاعَتِكَ، اللَّهُمَّ يَا مَنْ
 خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ وَبِقَدْرَتِهِ النَّبِيِّ لَا يُعْجِزُهَا شَيْءٌ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ
 رَمِيمٌ نَسْأَلُكَ أَنْ تَهْدِنَا إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ صِرَاطِ الدِّينِ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ
 النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَأَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ
 الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فصل في الخوف»

اعْلَمْ وَفَقَّنَا وَإِيَّاكَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنَّ الْخَوْفَ عِبَارَةٌ عَنْ تَأَلُّمِ الْقَلْبِ
وَاخْتِرَاقِهِ بِسَبَبِ تَوَقُّعِ مَكْرُوهِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَقِيلَ الْخَوْفُ قُوَّةُ الْعِلْمِ بِمَجَارِي
الْأَحْكَامِ وَقِيلَ هَرَبُ الْقَلْبِ مِنْ حُلُولِ الْمَكْرُوهِ عِنْدَ اسْتَشْعَارِهِ .

فَالْخَوْفُ لِعَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْحَشْيَةُ لِلْعُلَمَاءِ الْعَارِفِينَ وَالْهَيْبَةُ لِلْمُحْسِنِينَ
وَالْإِجْلَالُ لِلْمُقَرَّبِينَ، وَعَلَى قَدْرِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ وَمَعْرِفَةِ الْعَبْدِ بِنَفْسِهِ يَكُونُ الْخَوْفُ
وَالْحَشْيَةُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً» وَفِي
رِوَايَةٍ «خَوْفًا» .

وَإِذَا كَمَلْتَ الْمَعْرِفَةَ أَثَرَتْ الْخَوْفَ فَفَاضَ أَثَرُهُ عَلَى الْقَلْبِ، ثُمَّ ظَهَرَ عَلَى
الْجَوَارِحِ، وَالصِّفَاتِ التَّحْوِيلِ وَالْإِصْفِرَارِ وَالْبُكَاءِ وَالْعُشْيِ، وَقَدْ يُفْضِي إِلَى
الْمَوْتِ .

وَأَمَّا ظُهُورُ أَثَرِهِ عَلَى الْجَوَارِحِ فَبَكَفُّهَا عَنِ الْمَعَاصِي، وَالزَّمَامُهَا الطَّاعَاتِ
تَلَافِيًا، وَاسْتِدْرَاكًا لِمَا فَرَطَ، وَاسْتِعْدَادًا لِلْمُسْتَقْبَلِ .

وَمِنْ ثَمَرَاتِ الْخَوْفِ أَنَّهُ يَقْمَعُ الشَّهَوَاتِ، وَيُكَدِّرُ اللَّذَاتِ، فَتَصِيرُ
الْمَعَاصِي الْمَحْبُوبَةَ عِنْدَهُ مَكْرُوهَةً، كَمَا يَصِيرُ الْعَسَلُ وَاللَّبَنُ مَكْرُوهًا إِذَا عَلِمَ
أَنَّ فِيهِ سُمًّا، فَتَحْتَرِقُ الشَّهَوَاتُ بِالْخَوْفِ، وَتَتَأَدَّبُ الْجَوَارِحُ، وَيَذُلُّ الْقَلْبُ،
وَيَسْتَكِينُ وَيُفَارِقُهُ الْكِبْرُ وَالْحَسَدُ وَالْحِقْدُ، وَيَصِيرُ مُسْتَوْعِبًا هَمًّا لِحَوْفِهِ وَالنَّظَرَ
فِي خَطَرِ عَاقِبَتِهِ .

فَلَا يَتَفَرَّغُ لِغَيْرِهِ، وَلَا يَكُونُ لَهُ شُغْلٌ إِلَّا الْمُرَاقَبَةُ، وَالْمُحَاسَبَةُ
وَالْمُجَاهِدَةُ، وَالْبُخْلُ فِي الْأَنْفَاسِ، وَاللَّحَطَاتِ، أَنْ يَصْرِفَهَا فِيمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ،
وَمُوَآخَذَةُ النَّفْسِ فِي الْخَطَرَاتِ، وَالْحَطَوَاتِ، وَالْكَلِمَاتِ، وَقُوَّةُ الْخَوْفِ

بِحَسَبِ قُوَّةِ الْمَعْرِفَةِ بِجَلَالِ اللَّهِ تَعَالَى، وَصِفَاتِهِ وَبِعُيُوبِ النَّفْسِ، وَمَا بَيْنَ يَدَيْهَا مِنَ الْإِخْطَارِ وَالْأَهْوَالِ .

وَمُقَدِّمَاتِ الْخَوْفِ، أَرْبَعٌ: الْأُولَى ذِكْرُ الذُّنُوبِ الْكَثِيرَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي سَلَفَتْ فِيهَا مَضَى وَكَثْرَةُ ذِكْرِ الْخُصُومِ الَّذِينَ مَضَوْا وَأَنْتَ مُرْتَهَنٌ لَمْ يَتَّيَّنْ لَكَ الْخَلَاصُ حَتَّى الْآنَ، وَالثَّانِيَّةُ ذِكْرُ شِدَّةِ الْعُقُوبَةِ، وَالثَّلَاثَةُ ذِكْرُ قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَيْكَ مَتَى شَاءَ وَكَيْفَ شَاءَ، وَالرَّابِعَةُ ذِكْرُ ضَعْفِكَ عَنْ اِحْتِمَالِ الْعُقُوبَةِ .

شِعْرًا: حَقِيقٌ بِالتَّوَاضِعِ مَنْ يَمُوتُ وَيَكْفِي الْمَرْءَ مِنْ ذُنْيَاهُ قُوْتُ
فَمَا لِلْمَرْءِ يُصْبِحُ ذَا هُمُومٍ وَحِرْصٍ لَيْسَ يُدْرِكُهُ التُّعُوثُ
فِيَا هَذَا سَتَرَحَلُ عَنْ قَرِيبٍ إِلَى قَوْمٍ كَلَامُهُمُ السُّكُوثُ
آخِرُ: النَّفْسُ تَبْكِي عَلَى الدُّنْيَا وَقَدْ عَلِمَتْ أَنَّ السَّلَامَةَ مِنْهَا تَرَكُ مَا فِيهَا
لَا دَارَ لِلْمَرْءِ بَعْدَ الْمَوْتِ يَسْكُنُهَا إِلَّا الَّتِي كَانَ قَبْلَ الْمَوْتِ بَانِيهَا
فَإِنْ بَنَاهَا بِخَيْرٍ طَابَ مَسْكَنُهُ وَإِنْ بَنَاهَا بِشَرٍّ خَابَ بَانِيهَا
آخِرُ: وَمَا مَنْ يَخَافُ الْمَوْتَ وَالنَّارَ آمِنٌ وَلَكِنْ حَزِينٌ مُوجِعُ الْقَلْبِ خَائِفٌ
إِذَا عَنَّ ذِكْرُ الْمَوْتِ أَوْجَعَ قَلْبَهُ وَهَيَّجَ أَحْزَانًا ذُنُوبٌ سَوَالِفُ

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الْخَوْفَ يَحُثُّ عَلَى الْعِلْمِ، وَالْعَمَلِ، قَالَ أَبُو حَفْصِ الْخَوْفِ
سَوْطُ اللَّهِ، يُقَوْمُ بِهِ الشَّارِدِينَ عَنْ بَابِهِ، وَقَالَ الْخَوْفُ سِرَاجٌ فِي الْقَلْبِ، بِهِ
يُنْصَرُّ مَا فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَكُلُّ أَحَدٍ إِذَا خِفْتَهُ هَرَبَتْ مِنْهُ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
فَإِنَّكَ إِذَا خِفْتَهُ هَرَبْتَ إِلَيْهِ فَالْخَائِفُ هَارِبٌ مِنْ رَبِّهِ إِلَى رَبِّهِ .

وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ: مَا فَارَقَ الْخَوْفُ قَلْبًا إِلَّا خَرَبَ، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ
سُفْيَانَ إِذَا سَكَنَ الْخَوْفُ الْقُلُوبَ أَحْرَقَ مَوَاضِعَ الشَّهَوَاتِ مِنْهَا وَطَرَدَ الدُّنْيَا
عَنْهَا، قَالَ فِي مُحْتَصَرٍ مِنْهَا الْقَاصِدِينَ وَالْخَوْفُ لَهُ إِفْرَاطٌ وَلَهُ اِعْتِدَالٌ، وَلَهُ
قُصُورٌ وَالْمَحْمُودُ مِنْ ذَلِكَ الْاِعْتِدَالُ .

وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ السَّوْطِ لِلْبَهِيمَةِ، فَإِنَّ الْأَصْلَحَ لِلْبَهِيمَةِ أَنْ لَا تَحْلُوَ عَنْ سَوْطٍ،
وَلَيْسَ الْمَبَالِغَةُ فِي الضَّرْبِ مَحْمُودَةً، وَلَا الْمَتَقَاصِرُ عَنِ الْخَوْفِ أَيْضًا مَحْمُودًا،
وَهُوَ كَالَّذِي يَخْطُرُ بِالْبَالِ عِنْدَ سَمَاعِ آيَةٍ، أَوْ سَبَبِ هَائِلِ فَيُورِثُ الْبُكَاءَ، فَإِذَا
غَابَ ذَلِكَ السَّبَبُ عَنِ الْحِسِّ رَجَعَ الْقَلْبُ إِلَى الْعَفْلَةِ، فَهُوَ خَوْفٌ قَاصِرٌ قَلِيلٌ
الْجَدْوَى ضَعِيفُ النَّفْعِ، وَهُوَ كَالْقَضِيبِ الضَّعِيفِ، الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ ذَابَةٌ قَوِيَّةٌ
فَلَا يُؤْلِمُهَا أَلْمًا مُبْرِحًا، فَلَا يَسُوقُهَا إِلَى الْمَقْصِدِ وَلَا يَصْلُحُ لِرِياضَتِهَا.

وَهَذَا هُوَ الْعَالِبُ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ إِلَّا الْعَارِفِينَ وَالْعُلَمَاءِ أَعْنِي الْعُلَمَاءَ
بِاللَّهِ وَبِآيَاتِهِ وَقَدْ عَزَّ وَجُودُهُمْ، وَأَمَّا الْمُرْتَسِمُونَ بِرُسُومِ الْعِلْمِ فَإِنَّهُمْ أَبْعَدُ النَّاسِ
عَنِ الْخَوْفِ، وَهَلِ الْعُلَمَاءُ حَقِيقَةٌ يَأْخُذُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا بِقَدْرِ الْبَلَاغِ.

وَأَمَّا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ وَهُوَ الْخَوْفُ الْمُنْفِرُ فَهُوَ كَالَّذِي يَقْوَى وَيُجَاوِزُ حَدَّ
الْاعْتِدَالِ، حَتَّى يَخْرُجَ إِلَى الْيَأْسِ وَالْقُنُوطِ، فَهُوَ أَيْضًا مَذْمُومٌ لِأَنَّهُ يَمْنَعُ مِنَ
الْعَمَلِ، وَقَدْ يَخْرُجُ إِلَى الْمَرَضِ وَالْوَلَهِ وَالْمَوْتِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مَحْمُودًا.

وَكَلُّ مَا يُرَادُ لِأَمْرٍ فَالْمَحْمُودُ مِنْهُ مَا يُفْضِي إِلَى الْمُرَادِ الْمَقْصُودِ مِنْهُ، وَمَا
يَقْصُرُ عَنْهُ أَوْ يُجَاوِزُهُ فَهُوَ مَذْمُومٌ وَفَائِدَةُ الْخَوْفِ الْحَذَرُ وَالْوَرَعُ وَالْتَّقْوَى
وَالْمَجَاهِدَةُ وَالْفِكْرُ وَالذِّكْرُ وَالتَّعَبُّدُ وَسَائِرِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُوصِلُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى
وَكَلُّ ذَلِكَ يَسْتَدْعِي الْحَيَاةَ مَعَ صِحَّةِ الْبَدَنِ وَسَلَامَةِ الْعَقْلِ فَإِذَا قَدَحَ فِي ذَلِكَ
شَيْءٌ كَانَ مَذْمُومًا وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

« فَضْلٌ »

وَقَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْقَدْرُ الْوَاجِبُ مِنَ الْخَوْفِ مَا حَمَلَ عَلَى
أَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَاجْتِنَابِ الْمَحَارِمِ فَإِنْ زَادَ عَلَى ذَلِكَ بَحِثُ صَارَ بَاعِثًا لِلنَّفُوسِ
عَلَى التَّشْمِيرِ فِي نَوَافِلِ الطَّاعَاتِ، وَالْإِنْكَفَافِ عَنِ دَقَائِقِ الْمَكْرُوهَاتِ، وَالتَّبَسُّطِ
فِي فُضُولِ الْمُبَاحَاتِ، كَانَ ذَلِكَ فَضْلًا مَحْمُودًا.

شِعْرًا: خَفِيَ اللَّهُ وَارْجُوهُ لِكُلِّ عَظِيمَةٍ وَلَا تُطْعِ النَّفْسَ اللَّجُوجَ فَتَنْدَمَا
وَكُنْ بَيْنَ هَاتَيْنِ مِنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَا وَأُبَشِّرْ بِعَفْوِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مُسْلِمًا
فَإِنْ تَزَايَدَ عَلَى ذَلِكَ بَانَ أَوْرَثَ مَرَضًا أَوْ مَوْتًا أَوْ هَمًّا لَازِمًا بِحَيْثُ يَقْطَعُ
عَنِ السَّعْيِ فِي اكْتِسَابِ الْفَضَائِلِ الْمَطْلُوبَةِ الْمَحْبُوبَةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ
مَحْمُودًا.

وَلِهَذَا كَانَ السَّلْفُ يَخَافُونَ عَلَى عَطَاءِ السُّلَمِيِّ مِنْ شِدَّةِ خَوْفِهِ الَّذِي أَنْسَاهُ
الْقُرْآنَ وَصَارَ صَاحِبَ فِرَاشٍ، وَهَذَا لِأَنَّ خَوْفَ الْعِقَابِ لَيْسَ مَقْصُودًا لِذَاتِهِ،
إِنَّمَا هُوَ سَوْطٌ يُسَاقُ بِهِ الْمُتَوَانِي عَنِ الطَّاعَةِ إِلَيْهَا وَمِنْ هُنَا كَانَتْ النَّارُ مِنْ جُمْلَةِ
نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ خَافُوهُ وَاتَّقَوْهُ.

وَلِهَذَا الْمَعْنَى عَدَّهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ جُمْلَةِ آيَاتِهِ عَلَى الثَّقَلَيْنِ فِي سُورَةِ
الرَّحْمَانِ، وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: «خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ رَحْمَةً يُخَوِّفُ بِهَا عِبَادَهُ
لِيَنْتَهُوا» أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ.

وَالْمَقْصُودُ الْأَصْلِيُّ هُوَ طَاعَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَفِعْلُ مَرَاضِيهِ وَمَحْبُوبَاتِهِ وَتَرْكُ
مَنَاهِيهِ وَمَكْرُوهَاتِهِ، وَلَا تُنْكَرُ أَنَّ خَشْيَةَ اللَّهِ وَهَيْبَتَهُ وَعَظَمَتَهُ فِي الصُّدُورِ
وَاجْتِلَالَهُ مَقْصُودٌ أَيْضًا، وَلَكِنَّ الْقَدْرَ النَّافِعَ مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ عَوْنًا عَلَى التَّقَرُّبِ
إِلَى اللَّهِ، بِفِعْلِ مَا يُحِبُّهُ وَتَرْكِ مَا يَكْرَهُهُ.

وَمَتَى صَارَ الْخَوْفُ مَانِعًا مِنْ ذَلِكَ وَقَاطِعًا عَنْهُ فَقَدْ انْعَكَسَ الْمَقْصُودُ
مِنْهُ، وَلَكِنْ إِذَا حَصَلَ ذَلِكَ عَنْ غَلَبَةِ كَانَ صَاحِبُهُ مَعْدُورًا، وَقَدْ كَانَ فِي
السَّلْفِ مَنْ حَصَلَ لَهُ مِنَ خَوْفِ النَّارِ أَهْوَالٌ شَتَّى لِغَلَبَةِ حَالِ شَهَادَةِ قُلُوبِهِمْ
لِلنَّارِ، فَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يُلَازِمُهُ الْقَلْقُ وَالْبُكَاءُ وَرُبَّمَا اضْطَرَبَ أَوْ غُشِيَ عَلَيْهِ إِذَا
سَمِعَ ذِكْرَ النَّارِ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ
الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾.

شِعْرًا: لَوْ يَعْلَمُ الرَّاقِدُ مَا فَاتَهُ
لَقَلَّلَ النَّوْمَ عَلَى فُرْشِهِ
وَأَرْسَلَ الدَّمْعَةَ مَمْزُوجَةً
ضَيَّعَ فِيهِ الْحِظَّ مِنْ قُرْبِهِ
آخِر: فَبَادِرُ إِلَى الْخَيْرَاتِ قَبْلَ فَوَاتِهَا
سَتَبْكِي نُفُوسٌ فِي الْقِيَامَةِ حَسْرَةً
فَلَا تَعْتَرِزُ بِالْعِزِّ وَالْمَالِ وَالْمُنَى
آخِر: تَزَوَّدْ مِنَ الدُّنْيَا بِسَاعَتِكَ الَّتِي
فَلَا يَوْمُكَ الْمَاضِي عَلَيْكَ بِعَائِدٍ

«فصل»: وَمِمَّا وَرَدَ فِي الْحَوْفِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ مَا يَلِي: قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾، وَقَالَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ
الْقَرْىَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ
الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ. وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ
مَعْدُودٍ. يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ. فَأَمَّا الَّذِينَ
شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ زَفِيرٌ وَشَهِيْقٌ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ
أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيْهُمُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ
صُنْعًا﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ
الذُّكْرَى﴾، وَقَالَ: ﴿فَإِذَا جَاءَتْ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا
سَعَى. وَبُرُزَّتْ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾ الْآيَاتِ، وَقَالَ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ
عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾.

وَقَالَ: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾، وَقَالَ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ
مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾،

وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ .

وَقَالَ: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾ الآيات، وَقَالَ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ، وَقَالَ: ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ ، وَقَالَ: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ .

وَقَالَ: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَثُورًا﴾ ، وَقَالَ: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ يَعْمَلُ سُوءً يُجْزَىٰ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ .

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ لَكَانَتْ كَافِيَةً لِلتَّخْوِيفِ، إِذْ شَرَطَ لِلْمُبَالِغَةِ فِي مَعْفَرَتِهِ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ، يَعْجِزُ الْعَبْدُ عَنِ الْوَاحِدِ مِنْهَا إِنْ لَمْ يُعِنَهُ اللَّهُ فَأَوْلَىٰ التَّوْبَةُ، وَالثَّانِي الْإِيمَانُ، وَالثَّلَاثُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَالرَّابِعُ سُلُوكُ سَبِيلِ الْمُهْتَدِينَ .

شِعْرًا: يَانَاظِرًا يَرْتَوِ بِعَيْنِي رَاقِدٍ
مَتَّيْتُ نَفْسَكَ ضِلَّةً وَأَبْحَثَهَا
تَصِلُ الذُّنُوبَ إِلَى الذُّنُوبِ وَتُرْتَجِي
وَنَسِيتُ أَنَّ اللَّهَ أَخْرَجَ آدَمًا
وَمُشَاهِدٌ لِلأَمْرِ غَيْرَ مُشَاهِدٍ
طَرَقَ الرَّجَاءُ وَهَنَّ غَيْرَ قَوَاصِدٍ
سُكِنَى الْجَنَانِ بِهَا وَفَوَزَ الْعَابِدِ
مِنْهَا إِلَى الذُّنُوبِ بِذَنْبٍ وَاحِدٍ
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنْ

الْمُفْلِحِينَ ﴿١٠٠﴾، وَقَالَ: ﴿وَأَنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جثيًا﴾، وَقَالَ: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾ الآية، وَمِنْ الْمُخَوِّفَاتِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ ثُمَّ ذَكَرَ أَرْبَعَةَ شُرُوطٍ بِهَا يَقَعُ الْخَلَاصُ مِنَ الْخُسْرَانِ .

وَهَذِهِ الْآيَاتُ وَنَحْوُهَا هِيَ الَّتِي أَقْضَتْ مَضَاجِعَ السَّلَفِ، فَلَمْ يَهْتُوا بِنَوْمٍ وَلَمْ يَسْتَلِدُوا طَعَامًا وَأَنْحَلَتْ أَجْسَامُهُمْ، وَأَضْرَتْ بَعِيُونِهِمْ مِنْ كَثْرَةِ الْبُكَاءِ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ .

شِعْرًا: إِذَا مَا اللَّيْلُ أَظْلَمَ كَابَدُوهُ	فَيَسْفِرُ عَنْهُمْ وَأَوْهُمُوا وَهُمُوا رُكُوعٌ
أَطَارَ الْخَوْفُ نَوْمَهُمْ أَفْقَامُوا	وَأَهْلُ الْأَمْنِ فِي الدُّنْيَا هُجُوعٌ
لَهُمْ تَحْتَ الظَّلَامِ وَهُمْ سُجُودٌ	أَيُّنُ مِنْهُ تَنْفَرُجُ الضُّلُوعُ
وَأُخْرَسُ فِي النَّهَارِ لِطَوْلِ صَمْتِ	عَلَيْهِمْ مِنْ سَكِينَتِهِمْ خُشُوعٌ
أَهْلِ الْخُصُوصِ مِنَ الصُّومِ صَوْمُهُمْ	صَوْنُ اللِّسَانِ عَنِ الْبُهْتَانِ وَالْكَذِبِ
وَالْعَارِفُونَ وَأَهْلُ الْأَنْسِ صَوْمُهُمْ	صَوْنُ الْقُلُوبِ عَنِ الْأَغْيَارِ وَالْحُجْبِ
آخِرُ: لَوْ يَعْلَمُ الرَّاقِدُونَ إِذْ رَقَدُوا	مَا فَاتَهُمْ وَيَحَهُمْ وَمَا فَتَدُوا
مَا طَعَمَتْ فِي الظَّلَامِ أَعْيُنُهُمْ	غُمْضًا وَلَا فِي النَّهَارِ مَا قَعَدُوا
وَلَا تَشَى عَزْمُهُمْ إِذْ عَزَمُوا	أَهْلٌ وَلَا صَاحِبٌ وَلَا وَلَدٌ
وَلَوْ دَرَوْا وَيْلَهُمْ نَدَامَتُهُمْ	عَلَى زَمَانٍ ضِيَاعَهُ قَصَدُوا
إِلَّا إِنْصَدَعَتْ حَسْرَةً قُلُوبُهُمْ	وَحَائَهُمْ عَنِ ذَاكُمُ الْجُلْدِ
آخِرُ: يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى مَا لِي أَجُودُ بِهِ	عَلَى الْمُقْلِينَ مِنَ أَهْلِ الدِّيَانَاتِ
إِنْ اعْتَذَارِي إِلَى مَنْ جَاءَ يَسْأَلُنِي	مَا لَيْسَ يُمَكِّنُنِي إِحْدَى الْمُصِيبَاتِ
آخِرُ: اجْعَلْ شِعَارَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ التَّقَى	قَدْ فَازَ مَنْ جَعَلَ التَّقَى إِشْعَارَهُ

وَاسْأَلْكَ طَرِيقَ الْحَقِّ مُصْطَجِباً بِهِ إِخْلَاصَ قَلْبِكَ حَارِساً إِسْرَارَهُ
وَإِذَا أَرَدْتَ الْقُرْبَ مِنْ خَيْرِ الْوَرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَاتَّبِعْ آثَارَهُ

وَالآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ فِي بَابِ الْخَوْفِ كَثِيرَةٌ جِدًّا مِنْهَا مَا وَرَدَ عَنْ ابْنِ
مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ «إِنَّ
أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةٌ ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ
ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَوْمُرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بِكُتُبِ
رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ» .

«فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ
بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ
أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ
الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «يُؤْتَى يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ
زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرَوْنَهَا» رواه مُسْلِمٌ وَعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ
بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ
عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَجُلٌ يُوضَعُ فِي أَحْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ مَا
يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدَّ مِنْهُ عَذَابًا وَأَنَّهُ لَاهُوئُهُمْ عَذَابًا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

شِعْرًا: أَمَا سَمِعْتَ بِأَكْبَادٍ لَهُمْ صَعَدَتْ
أَمَا سَمِعْتَ بِضَيْقٍ فِي مَكَانِهِمْ
أَمَا سَمِعْتَ بِحَيَاتٍ تَدْبُ بِهَا
فِي الْإِلَهِيِّ بِأَحْكَامٍ وَمَا سَبَقَتْ
أَدْعُوكَ أَنْ تَحْمِي الْعَبْدَ الضَّعِيفَ فَمَا
وَالشَّمْسُ مَا لِي عَلَيْهَا قَطُّ مِنْ جَلْدٍ
خَوْفًا مِنَ النَّارِ فَانْحَطَّتْ إِلَى النَّارِ
وَلَا فِرَارَ لَهُمْ مِنْ صَالِي النَّارِ
إِلَيْهِمْ خُلِقَتْ مِنْ مَارِجِ النَّارِ
بِهِ قَدِيمًا مِنَ الْجِنَاتِ وَالنَّارِ
لِلْعَبْدِ مِنْ جَسَدٍ يَقْوَى عَلَى النَّارِ
فَكَيْفَ يَصْبِرُ ذُو ضَعْفٍ عَلَى النَّارِ

« مَوْعِظَةٌ »

عِبَادَ اللَّهِ سَيَجِيءُ يَوْمٌ يَتَغَيَّرُ فِيهِ هَذَا الْعَالَمُ يَنْفَطِرُ فِيهِ السَّمَاءُ وَيَنْتَثِرُ فِيهِ
الْكَوْكِبُ وَتُطْوَى السَّمَاءُ كَطَيِّ الصَّحِيفَةِ يُزِيلُهَا اللَّهُ وَيَطْوِيهَا جَلًّا وَعَلَا وَتُبَدَّلُ
الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَيَنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ أَحْيَاءٍ كَمَا كَانُوا
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حُفَاةً عُرَاةً غُرُلًا.

وَحِينَئِذٍ يُحْشَرُ الْكَافِرُ أَعْمَى لَا يَرَى أَصَمًّا لَا يَسْمَعُ أُخْرَسَ لَا يَتَكَلَّمُ
يَمْشِي عَلَى وَجْهِهِ لِيَعْلَمَ مَنْ أَوْلَى أَنَّهُ أَهْلٌ لِلْإِهَاتَةِ وَيَكُونُ أَسْوَدَ الْوَجْهِ أُرْزَقَ
الْعَيْنِينَ فِي مُنْتَهَى الْعَطَشِ فِي يَوْمٍ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
الشَّمْسِ إِلَّا مِقْدَارُ مِيلٍ إِذْ ذَاكَ يَقِفُ ذَاهِلَ الْعَقْلِ شَاخِصَ الْبَصَرِ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِ
طَرْفُهُ وَفُؤَادُهُ هَوَاءٌ وَيُعْطَى كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ فَيَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يُعْطَهُ.

ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِ إِلَى النَّارِ وَيُسَلَّكُ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرَعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا وَبَعْدَ دُخُولِهَا
لَا يَخْرُجُ أَبَدًا وَلَا يَزِيدُهُ إِلَّا عَذَابًا إِذَا اسْتَعَاثَ مِنَ الْعَطَشِ يُعَاثُ بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ
يَشْوِي الْوُجُوهَ وَيَذِيبُ الْأَمْعَاءَ وَالْجُلُودَ تُحِيطُ بِهِ جَهَنَّمُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَكَلَّمَا
نَضِجَ جِلْدُهُ بَدَّلَ غَيْرَهُ.

وَلَهُ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ، كُلُّ هَذَا الْعَذَابِ يُعَانِيهِ وَلَا يَمُوتُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ
مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى:
﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا ﴾ وَسَوَاءٌ صَبَرَ أَوْ لَمْ يَصْبِرْ هُوَ خَالِدٌ فِي هَذَا الْعَذَابِ
خُلُودًا لَا نِهَآيَةَ لَهُ هَذَا أَقْصَى عَذَابٍ يُتَصَوَّرُ لِأَنَّهُ جَزَاءُ أَقْصَى جَرِيمَةٍ هِيَ الْكُفْرُ
بِاللَّهِ هَذَا عَذَابٌ مُجَرَّدٌ تَصُورِهِ يُطِيشُ الْعُقُولَ وَيُذْهِلُ التُّفُوسَ وَيُفْتِتُ الْأَكْبَادَ
فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ وَأَسْأَلِ اللَّهَ التَّيِّبَتِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَحُسْنِ الْاِعْتِقَادِ.

شِعْرًا: إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يَغْفُلُ سَاعَةً وَلَا أَنَّ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغِيبُ

لَهُونًا لَعَمْرُ اللَّهِ حَتَّى تَتَابَعَتْ
فِيأَلَيْتَ أَنْ اللَّهَ يَغْفِرُ مَا مَضَى
أَقُولُ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيَّ مَذَاهِبِي
لِطُولِ جِنَايَاتِي وَعُظْمِ خَطِيئَتِي
وَيُذَكِّرُنِي عَفْوُ الْكَرِيمِ عَنِ الْوَرَى
آخر: الْحَمْدُ لِلَّهِ ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ
يَا ذَا الدُّنْيَى هُوَ فِي لَهْوٍ وَفِي لَعِبٍ
مَاذَا تُعَايِنُ هَذِي الْعَيْنُ مِنْ عَجَبٍ
فَأَخْضَعُ فِي قَوْلِي وَأَرْغَبُ سَائِلًا
ذُنُوبٌ عَلَى آثَارِهِنَّ ذُنُوبٌ
وَيَأْذَنَ فِي تَوْبَاتِنَا فَتُوبٌ
وَحَلَّ بِقَلْبِي لِلْهُمُومِ نُذُوبٌ
هَلَكْتُ وَمَا لِي فِي الْمَتَابِ نَصِيبٌ
فَأَحْيَا وَأَرْجُو عَفْوَهُ وَأُنِيبُ
كَمْ ذَاعَنَ الْمَوْتِ مِنْ سَاهٍ وَمِنْ لَاهٍ
طُوبَى لِعَبْدٍ حَقِيبِ الْقَلْبِ أَوَاهٍ
عِنْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى اللَّهِ
عَسَى كَاشِفُ الْبَلَوَى عَلَيَّ يَتُوبُ

اللَّهُمَّ انظُرْنَا فِي سِلْكِ حَزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ ، واجعلنا من عبادك الْمُخْلِصِينَ
وَأَمَّا يَوْمَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ ، وَاحْشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، اللَّهُمَّ
اهْدِنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئِ
الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ لَا يَصْرِفُ عَنَّا سِئَرَهَا إِلَّا أَنْتَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَضْلٌ »

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « يَغْرَقُ لِنَاسٍ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرْقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ
آذَانَهُمْ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَعَنْهُ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً فَقَالَ :
« هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا » قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : « هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ
مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ أَنْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا فَسَمِعْتُمْ وَجِبَتَهَا »
رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً غُرْلًا» قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، قَالَ: ﴿يَا عَائِشَةُ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَهْمَهُمْ ذَلِكَ﴾، وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ الْخَائِفِينَ مِنْهُ وَآتَى عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾.

شِعْرًا: مَا قِيَمَةُ اللَّيْلِ لَمْ تَذْكُرْ بِظُلْمَتِهِ بِوَحْشَةِ الْقَبْرِ يَا مَنْ كَانَ يُعْتَبِرُ
اسْتَعْفِرِ اللَّهَ يَا مَنْ قَدْ ظَفِرَتْ بِهَا فِي هَجَعَةِ النَّاسِ إِذْ يَعُشَا هُمُ السُّحْرُ
إِذْ يَنْزِلُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِلَى دُنْيَا السَّمَاءِ لِكَيْ يَدْعُوهُ الْبَشَرُ

وَفِي الْمُسْنَدِ وَالتِّرْمِذِيِّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ أَهُوَ الَّذِي يَزْنِي وَيَشْرِبُ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُ، قَالَ: «لَا يَا بِنْتَةَ الصِّدِّيقِ وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ وَيَخَافُ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُ، قَالَ الْحَسَنُ عَمِلُوا وَاللَّهُ بِالطَّاعَاتِ وَاجْتَهَدُوا فِيهَا وَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ الْمُؤْمِنَ جَمَعَ إِحْسَانًا وَخَشْيَةً وَالْمَنَافِقَ جَمَعَ إِسَاءَةً وَأَمْنًا».

وَمِمَّا وَرَدَ فِي فَضَائِلِ الْخَوْفِ مَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّتَا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ».

وَمِمَّا وَرَدَ فِي فَضِيلَةِ الْخَوْفِ مَا فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا أَقْشَعَرَ جِلْدُ الْعَبْدِ مِنْ مَخَافَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَحَاتَّ ذُنُوبُهُ كَمَا يَتَحَاتُّ

عَنْ الشَّجَرَةِ الْيَابِسَةِ وَرَقُهَا»، وَقَالَ ﷺ: «لَا يَلِجُ النَّارَ أَحَدٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي مَنْحَرِي مُسْلِمٍ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَرَوَى ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الشُّعْبِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِيمَا يَرُويهِ عَنْ رَبِّهِ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى «وَعَزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفِينَ، وَلَا أَجْمَعُ لَهُ أَمْنِينَ إِنْ أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أُخَفَّتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنْ خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» .

وَمَقَامَاتُ الْخَوْفِ تَحْتَلِفُ فَمِنْهُمْ مَنْ يَغْلِبُ عَلَى قَلْبِهِ خَوْفُ الْمَوْتِ قَبْلَ التَّوْبَةِ وَالْخُرُوجِ مِنَ الْمَظَالِمِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَغْلِبُ عَلَيْهِ خَوْفُ الاسْتِدْرَاجِ بِالنَّعْمِ أَوْ خَوْفُ الْمَيْلِ عَنِ الاسْتِقَامَةِ عَلَى مَا يُرْضِي اللَّهَ، وَقَسَمَ يَغْلِبُ عَلَيْهِ خَوْفُ خَاتِمَةِ السُّوءِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ، وَأَعْلَى مِنْ هَذَا خَوْفُ السَّابِقَةِ لِأَنَّ الْخَاتِمَةَ فَرُغَ السَّابِقَةِ، وَقَدْ قَالَ هَوْلَاءِ فِي الْجَنَّةِ وَلَا أَبَالِي وَهَوْلَاءِ فِي النَّارِ وَلَا أَبَالِي .

وَمِنْ أَقْسَامِ الْخَائِفِينَ مَنْ يَخَافُ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، وَشِدَّتِهِ لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ قَدْ عَاقَبَ مَنْ يُعَانِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَخَافُ عَذَابَ الْقَبْرِ، وَسُؤَالَ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَخَافُ هَيْبَةَ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْخَوْفُ مِنْ مُنَاقَشَةِ الْحِسَابِ، وَالْعُبُورِ عَلَى الصِّرَاطِ وَالْخَوْفُ مِنَ النَّارِ وَأَنْكَالِهَا وَأَهْوَالِهَا أَوْ حِرْمَانِ الْجَنَّةِ أَوْ الْحِجَابِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ خَوْفُ الْعَارِفِينَ .

وَمَا قَبْلَ ذَلِكَ هُوَ خَوْفُ الزَّاهِدِينَ وَالْعَابِدِينَ، وَخَوْفُ عُمُومِ الْخَلْقِ يَحْصُلُ بِأَصْلِ الْإِيمَانِ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَكَوْنِهِمَا دَارِي جَزَاءٍ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ وَضَعْفُ هَذَا الْخَوْفِ بِسَبَبِ الْعَفْلَةِ وَالرُّكُوفِ إِلَى الدُّنْيَا، وَالْإِنْتِهَاكِ فِيهَا، وَضَعْفُ الْإِيمَانِ، وَتَرْوُلُ تِلْكَ الْعَفْلَةِ بِالتَّذَكُّرِ وَالْوَعِظِ وَالْإِرْشَادِ وَمُلَازِمَةِ الْفِكْرِ

فِي أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَشَدَائِدِهَا، وَالْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ وَالنَّظَرِ إِلَى الْخَائِفِينَ
وَمُجَالَسَتِهِمْ وَمُشَاهَدَةِ أَحْوَالِهِمْ فَإِنَّ فَاتَتْ الْمُشَاهَدَةَ فَالنَّظَرَ فِي سِيرَةِ الصَّالِحِينَ
الَّذِينَ غَلَبَ عَلَيْهِمُ الْخَوْفُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ
قُلُوبُهُمْ﴾ .

وَقَالَ: ﴿اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعُرُ مِنْهُ
جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾، وَقَالَ:
﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ وَأَخْبَرَ عَمَّا يَقُولُونَهُ
بَعْدَ دُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ .

شِعْرًا: يَا نَفْسُ كُفِّي فَطُولَ الْعُمُرِ فِي قِصَرِ
يَا نَفْسُ قَضَيْتُ عُمْرِي فِي الذُّنُوبِ وَقَدْ
يَا نَفْسُ غَرَّكَ مِنْ دُنْيَاكَ زُخْرُفُهَا
يَا نَفْسُ بِالْعَتِّ بِالْعِصْيَانِ غَاوِيَةٌ
آخِر: يَا مَنْ يُجِيبُ دُعَا الْمُضْطَرِّ فِي الظُّلْمِ
قَدْ تَأَمَّ وَفَدَكَ حَوْلَ الْبَيْتِ وَانْتَبَهُوا
هَبْ لِي بِجُودِكَ فَضَلَ الْعَفْوِ عَن جُرْمِي
إِنْ كَانَ عَفْوُكَ لَا يُدْرِكُهُ ذُو سَرَفٍ
وَمَا أَرَى فِيكَ لِلتَّوْبِخِ مِنْ أَثَرٍ
دَنَا الْمَاتُ وَلَمْ أَقْضِ مِنَ الْوَطْرِ
وَلَمْ تَكُونِي بِهِوْلِ الْمَوْتِ تَعْتَبِرِي
وَلَمْ تُبَالِي بِتَحْذِيرِ وَمُزْدَجِرِ
يَا كَاشِفَ الضَّرِّ وَالْبَلْوَى مَعَ السَّقَمِ
وَأَنْتَ عَيْنُكَ يَا قَيْسُومُ لَمْ تَنَمِ
يَا مَنْ إِلَيْهِ أَشَارَ الْخَلْقُ فِي الْحَرَمِ
فَمَنْ يَجُودُ عَلَى الْعَاصِيْنَ بِالكَرَمِ

اللَّهُمَّ قَوِّ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ سَلَمًا لِأَوْلِيَائِكَ حَرَبًا لِأَعْدَائِكَ، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا
كِتَابَكَ وَارْزُقْنَا الْعَمَلَ بِمَا أُوَدِّعْتَهُ فِيهِ وَاجْعَلْهُ لِقُلُوبِنَا ضِيَاءً وَلَاسْقَامِنَا دَوَاءً
وَلَأَبْصَارِنَا جَلَاءً وَلِذُنُوبِنَا مُمَحِّصًا وَعَنْ النَّارِ مُخَلِّصًا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصْلٌ»

وَعَلَى الْعَاقِلِ النَّاصِحِ لِنَفْسِهِ أَنْ يَحْذَرَ مِنْ مُجَالَسَةِ الظُّلْمَةِ الْأَطْغْيَاءِ وَالْجَهْلَةِ
مِمَّنْ غَلَبَ عَلَيْهِمُ الْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ حَتَّى كَانَتْهُمْ حُوسِبُوا وَفُرِغَ مِنْهُمْ، فَلَمْ
يَخْشَوْا بَطْشَ اللَّهِ، وَسَطَوْتُهُ وَلَا نَارَ الْعَذَابِ وَلَا بُعْدَ الْحِجَابِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى
﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ
فُرْطًا﴾ فَبِهَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ كَانَ أَشَدَّ النَّاسِ خَوْفًا
فَفِي الصَّحِيحِ «أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشِيَّةً» .

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنِ أُمِّ الْعَلَاءِ أَمْرَاءَ مِنَ الْإِنصَارِ أَنَّهُمْ اقْتَسَمُوا
الْمُهَاجِرِينَ أَوَّلَ مَا قَدِمُوا عَلَيْهِمْ بِالْقُرْعَةِ، قَالَتْ فَطَارَ لَنَا - أَيْ وَقَعَ - فِي سَهْمِنَا
عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ مِنْ أَفْضَلِ الْمُهَاجِرِينَ وَأَكَابِرِهِمْ، وَمُتَعَبِّدِيهِمْ وَمِمَّنْ شَهِدَ
بَدْرًا .

فَاشْتَكَى فَمَرَّضْنَاهُ حَتَّى إِذَا تُوفِّي وَجَعَلْنَاهُ فِي ثِيَابِهِ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ فَقُلْتُ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أبا السَّائِبِ، فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ
تَعَالَى، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّ اللَّهَ أَكْرَمَهُ فَقُلْتُ لَا أُدْرِي بِأَبِي
أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمَّا عُثْمَانُ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ، وَاللَّهُ إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ
الْخَيْرَ، أَيْ فَلَا يُنْكَأَرُ عَلَيْهَا مِنْ حَيْثُ جَزَمَهَا بِتِلْكَ الشَّهَادَةِ مِنْ غَيْرِ مُسْتَنْدٍ
قَطْعِيٍّ، فَكَانَ اللَّائِقُ بِهَا أَنْ تَأْتِيَ بِهَا فِي صِغَةِ الرَّجَاءِ لَا الْجَزْمِ كَمَا فَعَلَ ﷺ .

قُلْتُ وَكَثِيرًا مَا أَسْمَعُ وَأَرَى فِي الْكُتُبِ قَوْلَ بَعْضِ النَّاسِ «الْمَرْحُومُ» أَوْ
«الْمَغْفُورُ لَهُ» وَلَا أُدْرِي مَا هُوَ مُسْتَنْدُهُمْ بِإِيرَادِهَا بِصِغَةِ الْجَزْمِ وَالْأَوْلَى أَنْ
يُقَالَ الْمَرْجُوعُ لَهُ الرَّحْمَةُ وَالْغُفْرَانُ . أهد .

ثُمَّ قَالَ ﷺ مَا أَدْرِي، وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ مَا يَفْعَلُ بِنِي قَالَتْ فَوَاللَّهِ لَا أُرْكِي أَحَدًا بَعْدَهُ، أَيُّ عَلَى جِهَةِ الْجَزْمِ وَأَمَّا عَلَى جِهَةِ الرَّجَاءِ وَحُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ فَجَائِزٌ، قَالَتْ وَأَحْزَنْتَنِي ذَلِكَ فَنِمْتُ فَرَأَيْتُ لِعُثْمَانَ عَيْنًا تَجْرِي فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ «ذَلِكَ عَمَلُهُ».

وَلَمَّا تُوفِّيَ عُثْمَانُ هَذَا قَبَلَ النَّبِيُّ ﷺ خَدَّهُ، وَبَكَى حَتَّى سَأَلَتْ دُمُوعُهُ الْكَرِيمَةَ عَلَى خَدِّ عُثْمَانَ، وَبَكَى الْقَوْمُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «أَذْهَبَ عَنْهَا أَيُّ الدُّنْيَا أَبَا السَّائِبِ لَقَدْ خَرَجَتْ عَنْهَا وَلَمْ تَلْبَسْ بِشَيْءٍ» وَسَمَّاهُ ﷺ السَّلْفَ الصَّالِحَ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قُبِرَ بِالْبَقِيعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَتَأَمَّلْ زَجْرَهُ ﷺ عَنِ الْجَزْمِ بِالشَّهَادَةِ عَلَى عُثْمَانَ هَذَا مَعَ كَوْنِهِ شَهِدًا بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرِ فَقَالَ «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»، وَكَوْنِهِ قَبْلَهُ وَبَكَى وَوَصَفَهُ لَهُ بِأَعْظَمِ الْأَوْصَافِ وَهُوَ أَنَّهُ لَمْ يَتَلَبَّسْ مِنَ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ وَبِأَنَّهُ السَّلْفُ الصَّالِحُ، تَعَلَّمَ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ وَإِنْ عَمِلَ مِنَ الطَّاعَاتِ مَا عَمِلَ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَيْزِ الْخَوْفِ وَالْحَشْيَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

شِعْرًا: يَا رَبِّ هِيَءْ لَنَا أَمْرًا رَشَدًا وَاجْعَلْ مَعُونَتَكَ الْعُظْمَى لَنَا سَنَدًا
وَلَا تَكِلْنَا إِلَى تَدْيِيرِ أَنْفُسِنَا فَالْعَبْدُ يَعْجِزُ عَنِ اصْطِلَاحِ مَا فَسَدَا
أَنْتَ الْعَلِيمُ وَقَدْ وَجَّهْتُ يَا أَمْلِي إِلَى رَجَائِكَ وَجْهًا سَائِلًا أَبَدًا
وَلِلرَّجَاءِ ثَوَابٌ أَنْتَ تَعْلَمُهُ فَاجْعَلْ ثَوَابِي دَوَامَ السِّتْرِ لِي أَبَدًا

وَرَوَى شَدَادُ بْنُ أُوَاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي»

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَقَدْ سَلَّمَ مِنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَقَدْ عَلَنَتْهُ كِتَابَةٌ وَهُوَ يُقَلِّبُ يَدَهُ، لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَلَمْ أَرِ شَيْئًا يُشْبِهُهُمُ الْيَوْمَ،

لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْتًا صُفْرًا غُفْرًا، بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ أَمْثَالُ رُكْبِ الْعِزْرِ، قَدْ
بَاثُوا لِلَّهِ سَجْدًا، وَقِيَامًا يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ يُرَاحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وَأَقْدَامِهِمْ.

فَإِذَا أَصْبَحُوا ذَكَرُوا اللَّهَ، فَمَا دُؤَا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ فِي يَوْمِ الرِّيحِ وَهَمَّتْ
أَعْيُنُهُمْ بِالْمُؤْمِعِ حَتَّى تَبُلَّ ثِيَابَهُمْ، وَاللَّهُ كَأَنِّي بِالْقَوْمِ غَافِلِينَ.

ثُمَّ قَامَ فَمَا رُؤْيِي بَعْدَ ذَلِكَ ضَاحِكًا حَتَّى مَاتَ رَحْمَةً اللَّهُ عَلَيْهِ.

شِعْرًا: لِلَّهِ دَرَجَاتٌ رِجَالٌ وَاصْلُوا السَّهْرَا
فَهُمْ نُجُومُ الْهُدَى وَاللَّيْلُ يَعْرِفُهُمْ
كُلُّ عَدَا وَقْتُهُ بِالذِّكْرِ مُشْتَغَلًا
يُمْسِي وَيُصْبِحُ فِي وَجْدٍ وَفِي قَلْبِي
يَقُولُ يَا سَيِّدِي قَدْ جِئْتُ مُعْتَرِفًا
حَمَلْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا لَا أَطِيقُ لَهُ
عَصِيَّتَهُ وَهُوَ يُرْجِي سِتْرَهُ كَرَمًا
وَطَالَمَا كَانَ لِي فِي كُلِّ نَائِبَةٍ
وَلِإِنِّي نَائِبٌ مِمَّا جَنَيْتُ وَقَدْ
لَعَلَّ تَقَبَّلَ عُذْرِي ثُمَّ تَجَبَّرَنِي
وَقَدْ أَتَيْتُ بِذَلِّ رَاجِيًا كَرَمًا
ثُمَّ الصَّلَاةَ عَلَى الْخِتَارِ سَيِّدِنَا
وَاسْتَعْدَبُوا الْوَجْدَ وَالتَّبْرِيحَ وَالْفِكْرَا
إِذَا نَظَرْتَهُمْوَا هُمْ سَادَةٌ بُرْرَا
عَمَّا سِوَاهُ وَلِلذَاتِ قَدْ هَجَرَا
مِمَّا جَنَاهُ مِنَ الْعِصْيَانِ مُنْذَرَا
بِالذَّنْبِ فَأَغْفِرْهُ لِي يَا خَيْرَ مَنْ غَفَرَا
وَلَمْ أُطِغِ سَيِّدِي فِي كُلِّ مَا أَمَرَا
يَا طَالَمَا قَدْ عَفَا عَنِّي وَقَدْ سَتَرَا
إِذَا اسْتَعْنْتُ بِهِ مِنْ كُرْبَةٍ نَصَرَا
وَافَيْتُ بِأَبْكَ يَا مَوْلَايَ مُعْتَذِرَا
يَوْمَ الْحِسَابِ إِذَا قُدِّمْتُ مُنْكَسِرَا
إِلَيْكَ يَا سَيِّدِي قَدْ جِئْتُ مُفْتَقِرَا
عِدَادَ مَا غَابَ مِنْ نَجْمٍ وَمَا ظَهَرَ

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِضِرَّارِ بْنِ حَمَزَةَ الصُّدَائِي، صِفْ عَلِيًّا، قَالَ أَلَا تُعْفِينِي،
قَالَ بَلْ صِفْهُ، قَالَ أَلَا تُعْفِينِي، قَالَ لَا أُعْفِيكَ، قَالَ أَمَا إِنَّهُ لَا بُدَّ، فَإِنَّهُ كَانَ
بَعِيدَ الْمَدَى، وَاسِعَ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ، لَا تُدْرِكُ غَايَتُهُ فِيهِمَا شَدِيدُ الْقُوَى فِي
ذَاتِ اللَّهِ، وَنَصْرَةَ دِينِهِ، يَقُولُ فَضْلًا، وَيُحْكُمُ عَدْلًا، يَنْفَجِرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِبِهِ،
وَتَنْطِقُ الْحِكْمَةُ مِنْ نَوَاحِيهِ، يَسْتَوْحِشُ مِنَ الدُّنْيَا، وَزَهْرَتَهَا، وَيَسْتَأْنِسُ بِاللَّيْلِ
وُظْلَمَتِهِ.

كَانَ وَاللَّهِ غَزِيرَ الدَّمْعَةِ، طَوِيلَ الْفِكْرِ، يُقَلِّبُ كَفَّهُ، تَأْسُفًا وَحَزَنًا، إِذْ هَذَا
فِعْلُ الْمُتَأْسِفِ الْحَزِينِ، وَيُخَاطَبُ نَفْسَهُ، بِالْمُزْعِجَاتِ، وَالْمَقْلِقَاتِ، يُعْجِبُهُ
مِنَ اللَّبَاسِ مَا حَشَنَ، وَمِنَ الطَّعَامِ مَا حَضَرَ.

كَانَ وَاللَّهِ كَأَحَدِنَا، إِذَا سَأَلْتَاهُ، وَيَأْتِينَا إِذَا دَعَوْنَاهُ، وَنَحْنُ وَاللَّهِ مَعَ تَقَرُّبِهِ
لَنَا وَتَقَرُّبِهِ مِنَّا لَا نُكَلِّمُهُ هَيْبَةً لَهُ، فَإِنْ تَبَسَّمَ فَعَنْ مِثْلِ اللُّؤْلُؤِ الْمَنْطُومِ، يُعْظَمُ أَهْلُ
الدِّينِ وَيُحِبُّ الْمَسَاكِينَ، وَلَا يَطْمَعُ الْقَوِيُّ فِي بَاطِلِهِ وَلَا يَيْئَسُ الضَّعِيفُ مِنْ
عَدْلِهِ.

وَاشْهَدُ اللَّهَ لَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ مَوَاقِفِهِ، وَقَدْ أَرَحَى اللَّيْلُ سُتُورَهُ، وَغَارَتْ
نُجُومُهُ، وَقَدْ تَمَثَّلَ فِي مِحْرَابِهِ، قَابِصًا عَلَى لِحْيَتِهِ، يَتَمَلَّمُ تَمَلُّمَ اللَّدِيعِ،
وَيَبْكِي بُكَاءَ الْحَزِينِ، وَكَأَنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ يَا رَبَّنَا يَا رَبَّنَا يَضْرَعُ إِلَيْهِ.

ثُمَّ يَقُولُ يَا دُنْيَا يَا نِيَا إِلَيَّ تَعَرَّضْتِ أَمْ تَشَوَّقْتِي هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ غُرِّي
غَيْرِي، وَقَدْ بَشْتِكِ ثَلَاثًا لَا رَجْعَةَ لِي فِيكَ فَعُمْرُكَ قَصِيرٌ، وَعَيْشُكَ حَقِيرٌ،
وَخَطْرُكَ كَبِيرٌ، آهٍ مِنْ قَلَّةِ الزَّادِ، وَبُعْدِ السَّفَرِ، وَوَحْشَةِ الطَّرِيقِ، فَذَرَفَتْ عَيْنُ
مُعَاوِيَةَ عَلَى لِحْيَتِهِ، فَمَا مَلَكَهَا وَهُوَ يُنْشِفُهَا بِكُمِّهِ، وَقَدْ اخْتَنَقَ الْقَوْمُ بِالْبُكَاءِ.

قَالَ مُعَاوِيَةُ رَحِمَ اللَّهُ أَبَا الْحَسَنِ كَانَ وَاللَّهِ كَذَلِكَ، فَكَيْفَ حَزَنَكَ عَلَيْهِ
يَاضِرَارُ قَالَ حُزْنٌ مَنْ وَاحِدُهَا فِي حَجْرِهَا فَلَا تَرَقَا عَبْرَتُهَا وَلَا يَسْكُنُ حُزْنُهَا.

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ وَدِدْتُ لَوْ أَنِّي شَجَرَةٌ تُغْضَدُ وَكَذَا قَالَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ
أَحَدُ الْعَشْرَةِ.

وَقَالَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ وَدِدْتُ أَنْ أَكُونَ رَمَادًا تَنْسِفُهُ الرِّيَّاحُ.

وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ إِذَا تَوَضَّأَ اصْفَرَ لَوْنَهُ، فَيَقُولُ لَهُ أَهْلُهُ مَا هَذَا الَّذِي
يَعْتَادُكَ عِنْدَ الْوُضُوءِ، فَيَقُولُ أَتَدْرُونَ بَيْنَ يَدَيَّ مَنْ أُرِيدُ أَنْ أَقُومَ، وَسُئِلَ
ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ الْخَائِفِينَ، فَقَالَ قُلُوبُهُمْ، بِالْحَوْفِ قَرِحَةٌ،
وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِيَةٌ، يَقُولُونَ كَيْفَ تَفْرَحُ وَالْمَوْتُ مِنْ وَرَائِنَا، وَالْقَبْرُ أَمَامَنَا وَالْقِيَامَةُ

موعِدُنَا، وَعَلَى جَهَنَّمَ طَرِيقُنَا وَبَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ مَوْقِفُنَا، وَهَذَا مِنْهُ بَيَانٌ عَنِ
الْحَائِفِينَ بِحَسَبِ حَالِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

شِعْرًا: وَمَا مَنْ يَخَافُ الْبَعْثَ وَالنَّارَ آمِنٌ وَلَكِنْ حَزِينٌ مُوجِعُ الْقَلْبِ خَائِفٌ
إِذَا مَرَّ ذِكْرَ الْمَوْتِ أَوْجَعَ قَلْبُهُ وَهَيَّجَ أَحْزَانًا ذُنُوبٌ سَوَالِفٌ

وَمَرَّ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ بِشَابٍ وَهُوَ مُسْتَعْرِقٌ فِي ضِحْكِهِ جَالِسٌ
مَعَ قَوْمٍ، فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ يَا فَتَى هَلْ مَرَرْتَ بِالصَّرَاطِ، قَالَ لَا، فَقَالَ فَهَلْ
تَدْرِي إِلَى الْجَنَّةِ تَصِيرُ أَمْ إِلَى النَّارِ، قَالَ لَا، قَالَ فَمَا هَذَا الضَّحِكُ، قَالَ فَمَا
رُؤْيِي ذَلِكَ الْفَتَى بَعْدَهَا ضَاحِكًا.

وَرُوي عَنِ مَيْسَرَةَ ابْنِ أَبِي مَيْسَرَةَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ يَقُولُ
يَا لَيْتَنِي لَمْ تَلِدْنِي أُمِّي، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ حِينَ سَمِعَتْهُ يَا مَيْسَرَةَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْسَنَ
إِلَيْكَ، هَذَاكَ لِلْإِسْلَامِ، قَالَ أَجَلٌ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَدْ بَيَّنَّ لَنَا أَنَا وَارِدُونَ عَلَى النَّارِ،
وَلَمْ يُبَيِّنْ لَنَا أَنَا صَادِرُونَ عَنْهَا أَيَّ لَا جَزَمَ عِنْدَهُ أَنَّهُ مِنَ الْمُتَقِينَ النَّاجِينَ فَلِذَا
اشْتَدَّ خَوْفُهُ مِنْهَا.

وَكَانَ عَطَاءُ السُّلَمِيِّ مِنَ الْحَائِفِينَ، وَقِيلَ لَهُ فِي مَرَضِهِ أَلَا تَشْتَهِي شَيْئًا،
فَقَالَ إِنَّ خَوْفَ جَهَنَّمَ لَمْ يَدْعُ فِي قَلْبِي مَوْضِعًا لِلشَّهْوَةِ.

وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ لِمَاذَا إِذَا وَعَظَ بَعْضُ النَّاسِ خَوْفَ وَأَبْكَى، وَبَعْضُهُمْ
يَتَكَلَّمُ وَيَبْكِي وَيُخَوِّفُ وَلَا يَبْكُونَ، فَقَالَ لَيْسَتْ النَّائِحَةُ الشُّكْلَى كَالنَّائِحَةِ
الْمُسْتَأْجِرَةِ.

وَحَكَى أَنَّ قَوْمًا وَقَفُوا بِعَابِدٍ وَهُوَ يَبْكِي فَقَالُوا مَا الَّذِي يُبْكِيكَ يَرْحَمُكَ
اللَّهُ قَالَ قَرَحَةٌ يَجِدُهَا الْحَائِفُونَ فِي قُلُوبِهِمْ قَالُوا وَمَا هِيَ، قَالَ رَوْعَةُ النَّدَاءِ
بِالْعَرَضِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وقال مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَسْكُنُ رَوْعَهُ، حَتَّى يَتْرَكَ جَسَرَ جَهَنَّمَ وَرَاءَهُ، هَذِهِ نَمَازِجٌ مِنْ مَخَاوِفِ السَّلَفِ، وَنَحْنُ أَجْدَرُ بِالْخَوْفِ مِنْهُمْ، لَكِنْ لَيْسَ بِكَثْرَةِ الذُّنُوبِ بَلْ بِصَفَاءِ الْقُلُوبِ وَكَمَالِ الْمَعْرِفَةِ.

وَالْأَفْلَيْسَ أَمُنَّا وَعَدَمُ حُشُوعِنَا لِقَلَّةِ ذُنُوبِنَا، وَكَثْرَةِ طَاعَاتِنَا، بَلْ قَادَتْنَا شَهَوَاتُنَا وَعَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَإِنَهُمَا كُنَّا فِي الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَصَدَّتْنَا عَنْ مُلَاحَظَةِ أَحْوَالِنَا غَفْلَتُنَا وَقَسَوْتُنَا فَلَا يَقْرُبُ الرَّحِيلَ نَتَبَّهُ، وَلَا بِكَثْرَةِ الذُّنُوبِ تَتَحَرَّكُ، وَلَا بِمُشَاهَدَةِ أَحْوَالِ الْخَائِفِينَ تَحَوُّفَنَا وَلَا بِخَطَرِ الْخَاتِمَةِ انْتَرَعَجْنَا، فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يَتَذَكَّرَنَا بِلُطْفِهِ وَإِحْسَانِهِ وَأَنْ يَجُودَ عَلَيْنَا بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

شِعْرًا: فَوَحِّقْ مِنْ سَمَكِ السَّمَاءِ بِقُدْرَةِ الْأَرْضِ صَيَّرَ لِلْعِبَادِ مِهَادًا
إِنْ الْمَطَرُ عَلَى الذُّنُوبِ لِهَالِكٌ صَدَّقْتَ قَوْلِي أَوْ أَرَدْتَ عِنَادًا

شِعْرًا: أَجَلُ ذُنُوبِي عِنْدَ عَفْوِكَ سَيِّدِي حَقِيرٌ وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبِي عَظَائِمًا
وَمَا زِلْتُ غَفَّارًا وَمَا زِلْتُ رَاحِمًا وَمَا زِلْتُ سَتَّارًا عَلَيَّ الْجَرَائِمَا
لَعْنُ كُنْتُ قَدْ تَابَعْتُ جَهْلِي فِي الْهَوَى وَقَضَيْتُ أَوْطَارَ الْبَطَالَةِ هَائِمًا
فَهَا أَنَا قَدْ أَقْرَزْتُ يَا رَبُّ بِالذِّي جَنَيْتُ وَقَدْ أَصْبَحْتُ حَيْرَانَ نَادِمًا

آخِرُ: أَتَذْهَلُ بَعْدَ إِذْذَارِ الْمَنَائِيَا وَقَبْلَ النَّزْعِ أَنْبَضْتَ الْحَنَائِيَا؟

رُويْدَكَ لَا يَعْزُكَ كَيْدُ دُنْيَا هِيَ الْمِرْنَانُ مُصْمِيَةُ الرَّمَائِيَا
أَتَرْجُو الْخُلْدَ فِي دَارِ التَّفَانِيَا وَأَمَّنَ السَّرْبِ فِي حُطْطِ الْبَلَايَا؟
وَتُعَلِّقُ دُونَ رَبِّبِ الدَّهْرِ بَابًا كَأَنَّكَ آمِنٌ قَرَعَ الرَّزَايَا
وَأَنَّ الْمَوْتَ لَا زَمَةَ قِرَاهُ لُزُومَ الْعَهْدِ أَعْنَاقَ لِبْرَايَا
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْهُ غَارُ لَهُ الْمِرْبَاعُ مِنَّا وَالصَّفَايَا

اللَّهُمَّ وَقَفْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ، اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْخِزْيِ وَالْبَوَارِ وَأَدْخِلْنَا
بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَعَامِلِنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ وَأَغْفِرْ لَنَا

وَلَوْلَا دِينُنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فائدة جليلة من كلام ابن القيم وشيخ الإسلام رحمهما الله »

قوله تعالى: « كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا
وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا
تَعْلَمُونَ » ، وقوله عز وجل: « وَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ
اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا » .

فالآية الأولى في الجهاد الذي هو كمال القوة الغضبية، والثانية في النكاح
الذي هو كمال القوة الشهوانية فالعبد يكره مواجهة عدوه بقوته الغضبية
خشية على نفسه منه، وهذا المكروه خير له في معاشه ومعاده، ويجب
الموادعة والمشاركة وهذا المحبوب شر له في معاشه ومعاده .

وكذا يكره المرأة لوصف من أوصافها وله في إمساكها خير كثير لا
يعرفه ويحب المرأة لوصف من أوصافها وله في أمساكها شر كثير لا يعرفه
فالإنسان كما وصفه به خالفه ظلوم جهول، قلت ولقد أجاد القائل:

شِعْرًا: إِذَا كَانَ غَيْرُ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عُدَّةً أَتَتْهُ الرِّزَايَا مِنْ وُجُوهِ الْمَكَاسِبِ
وَقَدْ جَرَّتِ الْحَنْفَاءُ حَتْفَ حُدَيْفَةٍ وَكَانَ يَرَاهَا عُدَّةً لِلشَّدَائِدِ
آخِر: إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللَّهِ لِلْفَتَى فَأَكْثَرَ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ إِجْتِهَادُهُ

فلا ينبغي أن يجعل المعيار على ما يضره وينفعه ميله وحبه ونفرته
وبغضه، بل المعيار على ذلك ما اختاره الله له بأمره ونهيه، فانفع الأشياء له
على الإطلاق طاعة ربه بظاهره وباطنه .

وأضر الأشياء عليه على الإطلاق معصيته بظاهره وباطنه فإذا قام بطاعته

وَعُبودِيَّتِهِ مُخْلِصاً لَهُ، فَكُلُّ مَا يَجْرِي عَلَيْهِ مِمَّا يَكْرَهُهُ يَكُونُ خَيْرًا لَهُ وَإِذَا تَخَلَّى عَنْ طَاعَتِهِ وَعُبودِيَّتِهِ فَكُلُّ مَا هُوَ فِيهِ مَحْبُوبٌ هُوَ شَرٌّ لَهُ.

فَمَنْ صَحَّتْ لَهُ مَعْرِفَةُ رَبِّهِ وَالْفِقْهُ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ عِلْمٌ يَقِينًا أَنْ الْمَكْرُوهَاتِ الَّتِي تُصِيبُهُ وَالْمَحَنَ الَّتِي تَنْزِلُ بِهِ فِيهَا ضُرُوبٌ مِنَ الْمَصَالِحِ وَالْمَنَافِعِ الَّتِي لَا يُحْصِيهَا عِلْمُهُ وَلَا فِكْرُهُ بَلْ مَصْلَحَةُ الْعَبْدِ فِيمَا يَكْرَهُ أَعْظَمُ مِنْهَا فِيمَا يُحِبُّ.

فَعَامَّةُ مَصَالِحِ النَّفُوسِ فِي مَكْرُوهَاتِهَا، كَمَا أَنَّ عَامَّةَ مَضَارِّهَا وَأَسْبَابَ هَلَكَتِهَا فِي مَحْبُوبَاتِهَا، انْظُرْ إِلَى غَارِسِ جَنَّةٍ مِنَ الْجَنَّاتِ خَبِيرٍ بِالْفَلَاحَةِ غَرَسَ جَنَّةً وَتَعَاهَدَهَا بِالسَّقْيِ وَالْإِصْلَاحِ حَتَّى أَثْمَرَتْ أَشْجَارُهَا فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا يُفْصَلُ أَوْصَالَهَا وَيَقْطَعُ أَغْصَانَهَا لِعِلْمِهِ أَنَّهَا لَوْ خُلِيَتْ عَلَى حَالِهَا لَمْ تَطْبُ ثَمَرُهَا، فَيَطْعُمُهَا مِنْ شَجَرَةٍ طَيِّبَةِ الثَّمَرَةِ.

حَتَّى إِذَا التَّحَمَّتْ بِهَا وَاتَّحَدَتْ وَأَعْطَتْ ثَمَرَتَهَا، أَقْبَلَ يَقْلُمُهَا وَيَقْطَعُ أَغْصَانَهَا الضَّعِيفَةَ الَّتِي تُذْهِبُ قُوَّتَهَا وَيُذِيقُهَا أَلْمَ الْقَطْعِ وَالْحَدِيدِ لِمَصْلَحَتِهَا وَكَمَالِهَا، لِتَصْلَحَ ثَمَرُهَا أَنْ تَكُونَ بِحَضْرَةِ الْمُلُوكِ، ثُمَّ لَا يَدْعُهَا وَدَوَاعِي طَبْعِهَا مِنَ الشَّرْبِ كُلِّ وَقْتٍ، بَلْ يُعْطِشُهَا وَقْتًا وَيَسْقِيهَا وَقْتًا، وَلَا يَتْرُكُ عَلَيْهَا دَائِمًا وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ أَنْضُرَ لَوَرَقِهَا وَأَسْرَعَ لِنَبَاتِهَا.

ثُمَّ يَعُدُّ إِلَى تِلْكَ الزَّيْنَةِ الَّتِي تَحُولُ بَيْنَ ثَمَرَتِهَا وَبَيْنَ كَمَالِ نَضْجِهَا وَاسْتَوَائِهَا، كَمَا فِي شَجَرِ الْعِنَبِ وَنَحْوِهِ، فَهُوَ يَقْطَعُ أَغْصَانَهَا، بِالْحَدِيدِ، وَيُلْقِي عَنْهَا كَثِيرًا مِنْ زِينَتِهَا وَذَلِكَ عَيْنُ مَصْلَحَتِهَا فَلَوْ أَنَّهَا ذَاتَ تَمْيِيزٍ وَإِذْرَاكِ كَالْحَيَوَانَ لَتَوَهَّمَتْ أَنْ ذَلِكَ إِفْسَادٌ لَهَا وَاضْطِرَارٌ بِهَا، وَإِنَّمَا هُوَ عَيْنُ مَصْلَحَتِهَا.

وَكَذَلِكَ الْأَبُّ الشَّفِيقُ عَلَى وَلَدِهِ الْعَالِمُ بِمَصْلَحَتِهِ، إِذَا رَأَى مَصْلَحَتَهُ فِي أَنْ يُمْسِكَ عَنْهُ الْعَطَاءَ لَمْ يُعْطِهِ وَلَمْ يُوسِعْ عَلَيْهِ، لِعِلْمِهِ أَنَّ ذَلِكَ أَكْبَرُ الْأَسْبَابِ إِلَى فَسَادِهِ وَهَلَاكِهِ.

وَكَذَلِكَ يَمْنَعُهُ كَثِيرًا مِنْ شَهَوَاتِهِ حُمِيَّةٌ لَهُ وَمَصْلِحَةٌ لَا بُحْلًا عَلَيْهِ،
فَأَحْكُمُ الْحَاكِمِينَ وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَأَعْلَمُ الْعَالَمِينَ الَّذِي هُوَ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ
مِنْهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ، إِذَا أَنْزَلَ بِهِمْ مَا يَكْرَهُونَ كَانَ خَيْرًا لَهُمْ
مِنْ أَنْ لَا يُنْزِلَهُ بِهِمْ، نَظَرًا مِنْهُ لَهُمْ وَاحْسَانًا إِلَيْهِمْ وَلُطْفًا بِهِمْ.

وَلَوْ مَكَّنُوهُ مِنَ الْأَخْتِيَارِ لِأَنْفُسِهِمْ لَعَجَزُوا عَنِ الْقِيَامِ بِمَصَالِحِهِمْ عِلْمًا
وَارَادَةً وَعَمَلًا، لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ تَوَلَّى تَدْبِيرَ أُمُورِهِمْ بِمُوجِبِ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ
وَرَحْمَتِهِ أَحَبُّوهُ أَمْ كَرِهُوا، فَعَرَفَ ذَلِكَ الْمُوقِنُونَ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ فَلَمْ يَتَّهَمُوهُ
فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِهِ وَخَفِيَ ذَلِكَ عَلَى الْجُهَالِ بِهِ وَبِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، فَنَازَعُوهُ
تَدْبِيرَهُ وَقَدْ حَوَا فِي حِكْمَتِهِ، وَلَمْ يَنْفَادُوا لِحُكْمِهِ، وَعَارَضُوا حُكْمَهُ بِعُقُولِهِمْ
الْفَاسِدَةِ وَآرَائِهِمُ الْبَاطِلَةَ وَسِيَاسَاتِهِمُ الْجَائِرَةَ فَلَا لِرَبِّهِمْ عَرَفُوا وَلَا لِمَصَالِحِهِمْ
حَصَلُوا، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ.

وقال الشيخ تقي الدين من تمام نعمة الله على عباده المؤمنين أن ينزل
بهم من الضر والشدة ما يلجئهم إلى توحيده فيدعونه مخلصين له الدين
ويرجونه ولا يرجون أحدا سواه فتتعلق قلوبهم به لا بغيره فيحصل لهم من
التوكل عليه والإجابة وحلاوة الإيمان وذوق طعمه.

والبراءة من الشرك ما هو أعظم نعمة عليهم من زوال المرض والخوف أو
الجذب والضرر وما يحصل لأهل التوحيد المخلصين لله فأعظم من أن يعبر
عنه مقال ولكل مؤمن من ذلك نصيب بقدر إيمانه ولهذا قيل يا ابن آدم لقد
بورك لك في حاجة أكثرت فيها من قرع باب سيدك.

وَطَوْرًا تَكُونُ الْمَصَائِبُ إِنْتِقَامًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِمُخَالَفَةِ الْعَبْدِ أَمْرَ رَبِّهِ
كَمَعْصِيَةِ آدَمَ مِنْ أَكْلِ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَاها اللَّهُ عَنِ الْأَكْلِ مِنْهَا فَأَكَلَهُ مِنَ الشَّجَرَةِ
مَعْصِيَةً جَزَاءَ عِصْيَانِهِ كَمَا أَنَّهَا تَكُونُ لِمَحْوِ الذُّنُوبِ وَتَطْهِيرِ الْقُلُوبِ مِنَ
رِجْسِ الْمَعَاصِي.

وَقَدْ جَاءَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَا يُصِيبُ
الْمُؤْمِنَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَذَىٍّ وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشُّوْكَةِ
يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا مِنْ حَطَايَاهُ » أ.هـ .

والحكمة والله أعلم في ذَلِكَ أَنَّهَا مُرِيَّةٌ لِلنُّفُوسِ وَتُمْرُّهَا عَلَى اخْتِمَالِ
الشَّدَائِدِ وَالصَّبْرِ الْجَمِيلِ عَلَى الْإِنْتَاءَاتِ وَالرَّزَاةِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَكَارِهِ فَتَبْلُغُ
بِصَاحِبِهَا إِلَى أَعْلَى دَرَجَاتِ الْكَمَالِ وَتُبْلُغُ الْغَايَاتِ لِذَلِكَ تَجِدُ الرَّجَالَ الْأَمْجَادَ
الَّذِينَ هُمْ أَشَدُّ مَعَانَةً لِلشَّدَائِدِ فِي حَيَاتِهِمْ وَصَبَرُوا عَلَى الْمَصَائِبِ وَالْآلَامِ الَّتِي
تَنَالُهُمْ عِنْدَ قِيَامِهِمْ بِالِدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ذَكَرَهُمْ بَاقٍ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ وَأَجْرُهُمْ عِنْدَ
اللَّهِ تَامٌ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَارْزُقْنَا الْقِيَامَ بِطَاعَتِكَ وَجَنِّبْنَا مَا
يُسْخِطُكَ وَأَصْلِحْ نِيَّاتِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا وَأَعِدَّنَا مِنْ شَرِّ نَفُوسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا وَأَعِدَّنَا
مِنْ عَدُوِّكَ وَاجْعَلْ هَوَانًا تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُكَ ﷺ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فَصَلِّ » : وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَتَّبِعِي مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ لِيُبَلِّغَهُ مَا قُدِّرَ لَهُ مِنْ
الْمَنْزِلَةِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ
خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ
آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ .

وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ مُطْمَئِنَّةٌ لِقُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ، الَّذِينَ تُصِيبُهُمُ الْمَصَائِبُ
فِي الدُّنْيَا مِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
« مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْحَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ تَفِيئُهَا الرِّيحُ مَرَّةً وَتَعْدِلُهَا أُخْرَى حَتَّى
تَهَيِّجَ وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الْأُرْزَةِ الْمُجْدَّبَةِ عَلَى أَصْلِهَا لَا يَفِيئُهَا شَيْءٌ يَكُونُ
انْجَعَافُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِيبْ مِنْهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُؤَافِيَهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وَعَنْ جَابِرِ مَرْفُوعًا «يُودُّ نَاسٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ جُلُودَهُمْ كَانَتْ تُقْرَضُ بِالْمَقَارِيضِ فِي الدُّنْيَا لِمَا يَرُونَ مِنْ ثَوَابِ أَهْلِ الْبَلَاءِ».

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً، قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ، زِيدَ فِي بَلَائِهِ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَةٌ خُفِّفَ عَنْهُ وَمَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ وَلاَ يَسَ عَلَيْهِ حَظِيئَةٌ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ «يُبْتَلَى الْمُؤْمِنُ أَوْ الْمُؤْمِنَةُ فِي جَسَدِهِ وَفِي مَالِهِ وَفِي وَلَدِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ حَظِيئَةٌ» صَحَّحَهُمَا التِّرْمِذِيُّ وَرَوَى الثَّانِي مَالِكٌ وَأَحْمَدُ.

وَوَرَدَ مَرْفُوعًا «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَصَابَهُ سَقَمٌ ثُمَّ أَعْفَاهُ اللَّهُ مِنْهُ كَانَ كَفَّارَةً لِمَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِهِ وَمَوْعِظَةً لَهُ فِيمَا يَسْتَقْبِلُ وَإِنَّ الْمُنَافِقَ إِذَا مَرَضَ ثُمَّ أُعْفِيَ كَانَ كَالْبَعِيرِ عَقَلَهُ أَهْلُهُ ثُمَّ أُرْسِلُوهُ فَلَمْ يَدْرِ لِمَ عَقَلُوهُ وَلِمَ أُرْسِلُوهُ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ إبليسَ لَعَنَهُ اللَّهُ فَدَّ يَعْرِضُ لِلْمَرِيضِ وَالْمُحْتَضِرِ فَيُؤْذِيهِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ وَقَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَرَقِ وَالْحَرَقِ وَالْهَدْمِ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَحَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ» أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ.

وفي حديث آخر أن إبليس لا يكون في حالٍ أشدَّ منه على ابنِ آدم عند الموت يقول لِأَعْوَانِهِ دُونَكُمْوهُ فَإِنَّهُ إِنْ فَاتَكُمْ الْيَوْمَ لَمْ تَلْحَقُوهُ .

وَقَدْ يَسْتَوِي عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَئِذٍ فَيُضِلُّهُ فِي اعْتِقَادِهِ وَرُبَّمَا حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ وَرَبَّمَا مَنَعَهُ مِنَ الْخُرُوجِ مِنْ مَظْلَمَةٍ أَوْ أَيَّسَهُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ .

وَيَقُولُ لَهُ قَدْ أَقْبَلْتُ إِلَيْكَ سَكَرَاتُ الْمَوْتِ الَّتِي لَا تَطْلِقُهَا الْجِبَالُ وَتَنْزَعُ الْمَوْتَ شَدِيدٍ وَرَبَّمَا خَوْفَهُ وَأَقْلَقَهُ وَأَوْقَعَهُ فِي الْوَسَاوِسِ وَالْإِعْتِرَاضِ عَلَى الْقَدْرِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ .

فينبغي للمؤمن أن يعلم أن هذا الساعة ساعة خروج الروح حين يحمي الوطيس فيتجلد ويتصبر ويستعين بالله الحي القيوم على هذا العدو المرصد ليرجع هذا العدو خائباً .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُنْضِي شَيْطَانُهُ كَمَا يُنْضِي أَحَدُكُمْ بَعِيرَهُ فِي السَّفَرِ » .

ويعلم أن الجزع لا يفيد شيئاً وعن عمر بن عبدالعزيز رحمه الله أنه قال ما أحب أن تُهَوَّنَ عَلَيَّ سَكَرَاتُ الْمَوْتِ إِنَّهُ آخِرُ مَا يَكْفُرُ بِهِ عَنِ الْمُسْلِمِ .

وعن إبراهيم قال كانوا يستحبون للمريض أن يحمده الله عند الموت ، وعن ابن عباس أنه قال آخِرُ شِدَّةٍ يَلْقَاهَا الْمُؤْمِنُ الْمَوْتُ .

وأعلم أن المرض يذهب الخطايا وكلما اشتد المرض كان أذهب لها ، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَمَسَسْتُهُ فَقُلْتُ يَارَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تُوعَكُ وَعَكَأَ شَدِيداً ، فَقَالَ : « أَجَلٌ لِي أَوْعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ » ، قُلْتُ ذَلِكَ بَأَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ . قَالَ : « أَجَلٌ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى مِنْ مَرَضٍ فَمَا سِوَاهُ إِلَّا حَطَّ اللَّهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحَطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَاهَا » رواه البخاري ومسلم .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما من مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا عَنْهُ حَتَّى الشُّوْكَةُ يَشَاكُهَا» رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي جَسَدِهِ وَفِي مَالِهِ وَفِي وَلَدِهِ».

وعن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ «عَجِبْتُ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ فَشَكَرَ كَانَ خَيْرًا وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ فَصَبَرَ كَانَ خَيْرًا لَهُ» أخرجه مسلم.

وعن أبي سعيد الخدري قال: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَيْهِ فَوَجَدْتُ حَرَّهُ بَيْنَ يَدَيَّ (فَوْقَ اللَّحَافِ) فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَشَدَّهَا عَلَيْكَ، قَالَ: «إِنَّا كَذَلِكَ يُضَعَّفُ لَنَا الْبَلَاءُ وَيُضَعَّفُ لَنَا الْأَجْرُ».

قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً، قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ» قُلْتُ ثُمَّ مَنْ، قَالَ: «الصَّالِحُونَ إِنْ كَانَ لِيُتَلَى بِالْفَقْرِ حَتَّى مَا يَجِدُ إِلَّا الْعِبَاءَةَ يُحَوِّئُهَا وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَفْرَحُ بِالْبَلَاءِ كَمَا يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِالرِّخَاءِ» رواه ابن ماجه.

وعن عبدالله بن أحمد قال حدثني أبي قال حدثنا وكيع عن أبي حيان عن أبيه قال دَخَلُوا عَلَى سُؤَيْدِ بْنِ شُعْبَةَ الْيَرْبُوعِيِّ وَقَدْ صَارَ عَلَى فَرَّاشِهِ كَأَنَّ فَرَّخًا وَامْرَأَتُهُ تُنَادِيهِ مَا نُطْعِمُكَ مَا نَسْقِيكَ، فَأَجَابَهَا بِصَوْتٍ خَفِيٍّ دَبَّرَتِ الْحَرَاقِفُ وَطَالَتِ الضَّجْجَةُ وَمَا أَحْبُّ أَنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تَقْصِنِي مِنْهُ قَلَامَةً ظَفُرًا، وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَا رَأَيْتُ الْوَجَعَ عَلَى أَحَدٍ أَشَدَّ مِنْهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وكان جماعة من السلف يجعلون مكان الأنين والتأوه من شدة المرض ذِكْرًا لله سبحانه والاستغفار والتعبد وذلك لأن الأنين ونحوه نوع شكوى فَمَتَى أَمَكْنَ التَّصْبِرَ عَنْهُ فَيَنْبَغِي أَنْ يَصْبِرَ.

شِعْرًا: وَمَا هِيَ إِلَّا سَاعَةٌ ثُمَّ تَنْقُضِي وَيَذْهَبُ هَذَا كُلُّهُ وَيَزُولُ
فَإِنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْمَرَضُ عَذْرًا، وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ لِابْنِهِ أَقْرَأْ عَلَيَّ حَدِيثَ
طَاوُوسٍ أَنَّهُ كَرِهَ الْأَيْنَ فِي الْمَرَضِ فَقَرَأَ عَلَيْهِ فَمَا أَنْ حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ .
وَلَمَّا احْتَضَرَ صَفْوَانَ بْنَ سُلَيْمٍ وَحَضَرَهُ أَخُوهُ فَجَعَلَ يَتَقَلَّبُ قَالُوا كَانَ لَهُ
حَاجَةٌ . قَالَ : نَعَمْ .

فَقَالَتْ ابْنَتُهُ : مَا لَهُ مِنْ حَاجَةٍ إِلَّا أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ تَقُومُوا عَنْهُ فَيَقُومُ فَيَصَلِّيَ ،
وَمَا ذَاكَ فِيهِ .

فَقَامَ الْقَوْمُ عَنْهُ وَقَامَ إِلَى مَسْجِدِهِ يُصَلِّي فَصَاحَتْ ابْنَتُهُ بِهِمْ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ
فَحَمَلُوهُ فَمَاتَ .

وَدَخَلُوا عَلَى أَحَدِ السَّلَفِ وَهُوَ يَعْانِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ فَجَعَلَ يَكْبُرُ وَيُهَلِّلُ
وَيَذْكُرُ اللَّهَ عِزَّ وَجَلَّ وَجَعَلَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ أَرْسَالًا يَسْلَمُونَ عَلَيْهِ فَيُرَدُّ
عَلَيْهِمْ وَيَخْرُجُونَ .

فَلَمَّا كَثُرُوا عَلَيْهِ أَقْبَلَ عَلَى وَلَدِهِ فَقَالَ يَا بُنَيَّ أَعْفِنِي رُدِّ السَّلَامَ عَلَى هَؤُلَاءِ
لَا يَشْغَلُونِي عَنْ رَبِّي عِزَّ وَجَلَّ .

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَرِيرِيُّ حَضَرْتُ عِنْدَ الْجُنَيْدِ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِسَاعَتَيْنِ فَلَمْ يَزَلْ
تَالِيًا وَسَاجِدًا فَقُلْتُ لَهُ يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَدْ بَلَغَ بِكَ مَا أَرَى مِنَ الْجُهْدِ ، فَقَالَ يَا أَبَا
مُحَمَّدٍ أَحْوَجُ مَا كُنْتُ إِلَيْهِ هَذِهِ السَّاعَةَ فَلَمْ يَزَلْ تَالِيًا وَسَاجِدًا حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا
وَخَرَجَ مِنْهَا عَارِيًا كَمَا دَخَلَهَا عَارِيًا .

وَهَكَذَا كُلُّ بَنِي آدَمَ يَدْخُلُ الْإِنْسَانَ مُجَرَّدًا مِنَ اللَّبَاسِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا عَارِيًا
إِلَّا مِنَ كَفَنِهِ كَمَا قِيلَ

شِعْرًا: نِصِيبُكَ مِمَّا تَجْمَعُ الدَّهْرَ كُلُّهُ رِذَاءًا أَنْ تُلَوِيَ فِيهِمَا وَحَنُوطُ

آخر: فما تَزَوَّدَ مِمَّا كَانَ يَجْمَعُهُ سِوَى حُنُوطِ غَدَاةِ الْبَيْنِ فِي حِرْقٍ
وَعَيْرَ تَفْحَةٍ أَعْوَادٍ تُشَبُّ لَهُ وَقَلَّ ذَلِكَ مِنْ زَادٍ لِمُنْطَلِقِ
أَوْجَدَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا لِيَتَعَلَّمَ وَيَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَيَتَمَتَّعَ بِخَيْرَاتِ الدُّنْيَا
مُسْتَعِينًا فِيهَا عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِ حَتَّى إِذَا انْقَضَى أَجَلُهُ أُخْرِجَهُ اللَّهُ لِذَارِ الْجَزَاءِ
وَالْمُحَاسَبَةِ عَلَى عَمَلِهِ.

فَإِنْ أَحْسَنَ التَّصَرُّفَ وَأَطَاعَ رَبَّهُ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ لِيَسْعَدَ فِيهَا لِلْأَبَدِ، وَإِنْ أَسَاءَ
التَّصَرُّفَ وَعَصَى رَبَّهُ أَدْخَلَهُ نَارَ جَهَنَّمَ يَتَعَذَّبُ فِيهَا لِلْأَبَدِ.

وكل ما في الدنيا من أُمَّتَةٍ وَلَدَائِدَ قَلِيلَةٍ وَضَعِيلَةٍ وَمَحْدُودَةٍ بِالنِّسْبَةِ لِلذَّائِدِ
الجنة بل موضع السوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها.

قال الله جل وعلا وتقدس: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ
جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

والمكث في الدنيا قليل فهو سنوات تمر كالبرق الخاطف لا يشعر الإنسان
إلا وَقَدْ انْتَهَتْ كَأَنَّهَا سَاعَةٌ مِنْ نَهَارِ حَيَاتِهِ كُلِّهَا.

قال الله جل وعلا: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ
يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ رَأَى دَارَ قَرَارٍ، وَقَالَ لَا دَارَ لِي سِوَاهَا
وَاعْتَنَى بِهَا وَبِرَّخَارِفِهَا وَعَرَّهٗ إِبْلِيسُ لَعْنَهُ اللَّهُ وَزَيْنَهَا لَهُ فَانْعَمَسَ فِيهَا، وَعَمِلَ لَهَا
لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ وَتَعَبَ فِيهَا مُسْتَمْتَعًا بِخَيْرَاتِهَا الْفَانِيَةِ وَمُلَاقٍ بَلَاءَهَا وَأَنْكَادَهَا
وَأَكْدَارَهَا، وَبَعْدَ قَلِيلٍ هَجَمَ عَلَيْهِ هَادِمُ اللَّذَاتِ وَأَيَّقَظُهُ مِنْ غَفْلَتِهِ بَعْدَ فَوَاتِ
الْأَوَانِ فَندِمَ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ النَّدَمَ وَعَرَفَ بَعْدَ الْفَوْتِ أَنَّ الدُّنْيَا دَارٌ مِّنْ لَا دَارَ لَهُ
وَلَهَا يَجْمَعُ مِنْ لَا عَقْلَ لَهُ.

«فَصَلِّ»: وَقِسْمٌ مِنَ النَّاسِ وَقَفَّهُمُ اللَّهُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ فَاسْعَدَهُمْ
بِالْإِسْلَامِ وَوَقَّفَهُمْ لِلْعَمَلِ بِمَا يُرْضِيهِ.

قَالَ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ وهؤلاء تَمَشَّوْا مع الكتاب والسنة أَصْلَحُوا دُنْيَاهُمْ وَجَدُّوا وَاجْتَهَدُوا وَعَمِلُوا لِلْآخِرَةِ.

فَالدُّنْيَا نِعْمَ الْمَطِيئَةُ لِلْمُؤْمِنِ يَسْتَعْمِلُهَا لِلْخَيْرِ وَيَنْجُو عَلَيْهَا مِنَ الشَّرِّ فَاتَّخَذَهَا مَطِيئَةً فَعَمَّرَهَا كَمَا أَمَرَهُ خَالِقُهُ وَأَخَذَ مِنْهَا مَا يَلْزِمُهُ بِاعْتِدَالٍ وَتَوَازُنٍ وَلَمْ يُعْلِقْ قَلْبَهُ بِهَا.

فَأَطَاعَ رَبَّهُ وَاسْتَعَدَّ لِآخِرَتِهِ فَلَمَّا أَتَاهِ الْمَوْتُ وَجَدَهُ عَلَى أْتَمِّ الْإِسْتِعْدَادِ. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ رَأَى الدُّنْيَا تَافِهَةً وَأَيَّامَهَا قَلِيلَةً وَعِلْمَ مَا فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَعِيمٍ مُقِيمٍ وَعَيْشٍ سَلِيمٍ وَعِلْمَ أَنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ مَلِكٌ (لِللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) ﴿الَّذِي لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

فَأَحْبَبَ رَبَّهُ وَاشْتَغَلَ بِعِبَادَتِهِ وَبِالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِالْعِلْمِ وَفَعَلَ الْخَيْرَ وَتَرَكَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَزَهَدَ فِيهَا.

وَهَذَا الْقِسْمُ نَادِرٌ كَنْدَرَةُ الْمَاسِ وَالْجَوْهَرُ الشَّمِينُ فَسَعِدُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ وَصَرَفَ الْوَقْتَ فِيمَا يَرْضِيهِ. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ جَهَلَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ فَعَاشَ فِيهَا عَيْشَ الْبِهَائِمِ يَعْمَلُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ.

وَيَأْكُلُ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ فَلَمْ يَسْتَفِدْ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَسْتَعِدْ لِلْآخِرَةِ وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْأَكْثَرِيَّةُ السَّاحِقَةُ. وَأَسْوَأُ النَّاسِ مَنْ شَغَلَ عَمْرَهُ فِي خِدْمَةِ مَخْلُوقٍ وَضِيعَ وَقْتَهُ فِي الْقَيْلِ وَالْقَالِ وَالْجُلُوسِ عِنْدَ الْمَلَاهِي وَالْمُنْكَرَاتِ.

وَرَوَى أَنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةٌ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَبْدٌ أَذْهَبَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ.

شِعْرًا: وَأَسْوَأُ النَّاسِ تَدْبِيرًا لِعَافِيَةٍ مَنَ أَنْفَقَ الْعُمْرَ فِيمَا لَيْسَ يَنْفَعُهُ
أَمَّا الْإِعْتِدَالُ وَالتَّوَسُّطُ بَيْنَ الْإِسْتِمْتَاعِ بِالدُّنْيَا بِإِسْرَافٍ وَلَا إِضَاعَةٍ وَقْتِ

وَلَا يَتَعَلَّقُ قَلْبُهُ بِهَا وَيَكُونُ مُسْتَعِدًّا لِلْآخِرَةِ فَهَذَا سِمَةُ الْعُقَلَاءِ وَالسُّعْدَاءِ الَّذِينَ يُحْسِنُونَ تَصْرِيفَ أَوْقَاتِهِمْ وَأَعْمَارِهِمْ .

وَلْيَعْلَمَ الْمُؤْمِنُ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ يَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُ كَمَا يَحْمِي الْمَرِيضَ أَهْلُهُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ يَخَافُونَ عَلَيْهِ .

وَعَلَى الْإِنْسَانِ الْعَاقِلِ أَنْ يَفْهَمَ الدُّنْيَا عَلَى حَقِيقَتِهَا فَيَنْظُرَ أَوَّلًا كَيْفَ وُلِدَ يَجِدُ أَنَّهُ وُلِدَ عَارِيًّا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى مِنَ الثِّيَابِ ثُمَّ رَزَقَهُ اللَّهُ الْكِسْوَةَ مِنَ الْمَلَابِيسِ وَالْمَتَاعِ وَالسُّكْنِ وَالْمَالِ عَلَى أَنَّهَا عَارِيَّةٌ مُرْجَعَةٌ .

فَإِذَا فَقَدَ مِنْهَا شَيْئًا فَلَا يَحْزَنُ لِأَنَّ مِنْ أَعَارِهِ شَيْئًا اسْتَرَدَّهُ وَسَوْفَ يُؤْخَذُ مِنْهُ كُلُّ مَا أُعْطِيَ وَيُخْرَجُ مِنَ الدُّنْيَا تَارِكًا كُلَّ شَيْءٍ .

شِعْرًا: وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدَائِعٌ وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ
آخِر: تَجَرَّدَ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ إِتْمَا خَرَجْتَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنْتَ مُجَرَّدُ
آخِر: فَمَا تَزَوَّدَ مِمَّا كَانَ تَجْمَعُهُ سِوَى حَنُوطِ غَدَاةِ الْبَيْتِ فِي خِرْقِ
وغيرَ نَفْحَةِ أَعْوَادٍ تُشَبُّ لَهُ وَقَلَّ ذَلِكَ مِنْ زَادٍ لِمُنْطَلَقِ

« حِكْمٌ وَمَوَاعِظٌ وَأَدَابٌ »

قَالَ بَعْضُهُمْ يُوصِي ابْنَهُ يَا بُنَيَّ لَا تَدْخُلْ فِي الدُّنْيَا دُخُولًا يَضُرُّ بِآخِرَتِكَ وَلَا تَتْرُكُهَا تَرْكًا تَكُونُ بِهِ كَلًّا عَلَى النَّاسِ .

وَقَالَ أَتْرُكُ الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ تَتْرُكَكَ ، وَاسْتَرَضَ رَبَّكَ قَبْلَ لِقَائِهِ ، وَاعْمُرْ بَيْتَكَ الَّذِي سَوْفَ تَسْكُنُهُ قَبْلَ انْتِقَالِكَ إِلَيْهِ .

قَالَ أَحَدُ الصَّالِحِينَ لِمَنْ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ كَيْفَ يَتْرُكُ الدُّنْيَا مَنْ تَأْمُرُونَهُ بِتَرْكِ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَهُمْ إِنْ الْقَوْهَا أَخَذْتُمُوهَا أَنْتُمْ .

وَقَالَ آخِرَ الْوَقْتِ آلَةُ الرِّزْقِ إِنْ اسْتُعْمِلَ ، وَآفَةُ الرِّزْقِ إِذَا أَهْمِلَ .

لَا تَسْتَعْرِبُ وَقُوعَ الْأَكْدَارِ ، مَا دُمْتَ فِي هَذِهِ الدَّارِ ، فَإِنهَا مَا أَبْرَزَتْ إِلَّا مَا هُوَ مُسْتَحَقٌّ وَصَفِيهَا وَوَاجِبٌ نَعْتَهَا فَاخْذِرْهَا .

شِعْرًا: طُبِعَتْ عَلَى كَدْرِ وَأَنْتَ تَرُومُهَا صَفْوًا مِنَ الْأَقْدَارِ وَالْأَكْدَارِ
مَرَّ بَعْضُهُمْ عَلَى مَزْبَلَةٍ بِجَانِبِ مَقْبَرَةٍ ، فَقَالَ هَذِهِ كَثْرَةُ الرِّجَالِ ، وَهَذِهِ كَثْرَةُ
الْأَمْوَالِ . خَلَقَ اللَّهُ جِلَّ وَعَلَا الدُّنْيَا لِتَكُونَ فِي خِدْمَتِكَ ، فَتَحَوَّلَتْ إِلَى خِدْمَتِهَا ،
وَأَرَادَكَ مَلِكًا لَهَا وَأَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ مَمْلُوكًا لَهَا .

شِعْرًا: أَنْتَ الْأَمِيرُ عَلَى الدُّنْيَا بِرُهِدِكَ فِي حُطَامِهَا وَطَرِيقُ الْحَقِّ مَسْلُوكُ
وَأَنْتَ عَبْدٌ لَهَا مَا دُمْتَ تَعْشِقُهَا إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يَهْوَاهُ مَمْلُوكٌ

الدُّنْيَا مَحْبُوبَةٌ لِلْإِنْسَانِ وَلَكِنْ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ لَا نَأْخُذَ مِنْهَا شَيْئًا كَرِهَهُ اللَّهُ
وَلَا نَمْنَعَنَّ مِنْهَا شَيْئًا أَحَبَّهُ اللَّهُ وَبِذَا لَا يَضُرُّنَا حُبُّنَا لَهَا .

الدُّنْيَا بَحْرٌ وَالْآخِرَةُ سَاحِلٌ وَالْمَرْكَبُ التَّقْوَى وَالنَّاسُ سُفْرٌ .
الذَّنْبُ يَضُرُّ فَاعِلُهُ وَقَدْ يَضُرُّ غَيْرَهُ إِنْ عَيَّرَهُ ابْتُلِيَ ، وَإِنْ اغْتَابَهُ أَثِمَ ، وَإِنْ
رَضِيَ بِهِ شَارَكَهُ ، قِيلَ إِنْ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ يَا رَبِّ مَنْ أَشْرَفَ النَّاسِ ،
فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَشْرَفَ النَّاسِ مَنْ إِذَا خَلَا عِلْمَ أَنِّي ثَانِيهِ فَأَجَلَّ قَدْرِي عَنْ أَنْ
يُظْهِرَنِي عَلَى مَعَاصِيهِ .

هَجْرَانِ الْمَعَاصِي أَفْضَلُ الْهَجْرَةِ وَالْحِفَاظَةُ عَلَى الْفَرَائِضِ أَفْضَلُ الْجِهَادِ
وَلَا يَأْتِي أَحَدٌ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ ذِكْرِهِ . قَالَ اللَّهُ جِلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ :
﴿ وَلِذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرَ ﴾ لَا تَسْتَبْطِئْ إِجَابَةَ الدُّعَاءِ وَقَدْ سَدَدْتَ طُرُقَهَا بِالْمَعَاصِي .

التَّمَادِي بِالْمَعَاصِي يُوجِبُ الْإِصْرَارَ عَلَيْهَا وَالْإِصْرَارُ يُوجِبُ الْعَفْلَةَ عَنِ اللَّهِ
وَمَنْ غَفَلَ عَنِ اللَّهِ تَجَرَّأَ عَلَيْهِ فَهَلَكَ .

أَخْسَرُ النَّاسِ صَفْقَةً مَنْ بَاعَ الْجَنَّةَ بِمَا فِيهَا بِشَهْوَةِ سَاعَةٍ ، سُئِلَ بَعْضُهُمْ
هَلْ مِنْ عِلَامَةٍ لِمَنْ قَبِلَهُ اللَّهُ ، فَقَالَ اللَّهُ أَعْلَمُ وَلَكِنْ هُنَا قِرَائِنٌ وَدَلَائِلُ

ومرجحات منها إنك إذا رأيت الله جلَّ وعَلَا قَدْ عَصَمَكَ مِنَ الْمَعَاصِي وَكَرَّهَهَا إِلَيْكَ وَوَفَّقَكَ لِمَا يُجِبُهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الطَّاعَاتِ الَّتِي أَمَرَكَ بِهَا تَرَجَّحَ عِنْدَكَ الْقَبُولُ لَا تَتَهَاوَنَ بِالذَّنْبِ الصَّغِيرِ وَانظُرْ إِلَى مَنْ عَصَيْتَ رَبًّا عَظِيمًا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَمِيعًا قَبِضْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

شِعْرًا: أَفْقٌ مِنْ غَفَلَةِ الْأُمَالِ تَسَلَّمَ وَخَالَفَ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ وَقُمْ لِلَّهِ أَوْبًا مُطِيعًا وَنَفْسِكَ وَالْهَوَى نَمَّ الرَّقِيعَا فَنِعْمَ الْعَبْدُ أَنْتَ بغيرِ شَكِّ إِذَا أَصْبَحْتَ لِلدَّاعِي سَمِيعًا بَصِيرًا بِالْعَوَاقِبِ فِي أُمُورٍ بِهَا أَحْسَنْتَ مَا عِشْتَ الصَّنِيعَا تَمَسَّكَ بِالشَّرِيعَةِ وَاحْتَرَمَهَا تَنَلُّ مِنْ فَضْلِهَا الشَّرَفَ الرَّفِيعَا

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

« فَضْلٌ »

إِذْ عَلِمَ وَفَقِنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ أَنَّ آفَةَ الْكِبَرِ عَظِيمَةٌ وَفِيهِ يَهْلِكُ الْحَوَاصُّ وَقَلَمَّا يَنْفَكُ عَنْهُ الْعِبَادُ وَالزُّهَادُ وَالْعُلَمَاءُ وَكَيْفَ لَا تَعْظَمُ آفَتُهُ وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ وَإِنَّمَا صَارَ حِجَابًا دُونَ الْجَنَّةِ لِأَنَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ أَحْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّ صَاحِبَهُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُحِبَّ لِلْمُؤْمِنِينَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ فَلَا يَقْدِرُ عَلَى التَّوَاضُعِ وَلَا عَلَى تَرْكِ الْحِقْدِ وَالْحَسَدِ وَالْعُضْبِ وَلَا عَلَى كَظْمِ الْعَيْظِ وَقَبُولِ النُّصْحِ وَلَا يَسْلَمُ مِنَ الْأُزْدِرَاءِ وَالِاخْتِقَارِ لِلنَّاسِ وَاعْتِيَابِهِمْ فَمَا مِنْ خُلُقٍ شَيْءٍ ذَمِيمٍ إِلَّا وَهُوَ مُتَّصِفٌ بِهِ وَمُضْطَرٌّ إِلَيْهِ وَقَدْ شَرَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْكِبَرَ فَقَالَ الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْعُجْبَ يَدْعُو إِلَى الْكِبَرِ تَتَوَلَّدُ الْآفَاتُ الْكَثِيرَةُ وَهَذَا مَعَ الْخَلْقِ فَأَمَّا مَعَ الْخَالِقِ فَإِنَّ الْعُجْبَ بِالطَّاعَاتِ نَتِيجَةٌ إِسْتِعْظَامُهَا فَكَأَنَّهُ يَمُنُّ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِفِعْلِهَا وَيَنْسَى فَضْلَ اللَّهِ وَنِعْمَتَهُ عَلَيْهِ بِتَوْفِيقِهِ لَهَا وَيَعْمَى عَنْ آفَاتِهَا الْمُفْسِدَةِ لَهَا .

نَظَرَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ إِلَى وَالٍ ظَلَمَ اسْتِقْبَالَ النَّاسِ بِالتَّبَجُّيلِ وَالتَّعْظِيمِ فَقَالَ لِمَنْ
حَوْلَهُ انظروا إلى مَنْ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ بَيْنَ سُرُورِ الدُّنْيَا وَخِزْيِ الآخِرَةِ .

وقال آخر إنما هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا بِحَبْسِهِمُ الْحَقَّ حَتَّى يَشْتَرِيَ مِنْهُمْ
وَيَبْسُطِهِمُ الظُّلْمَ حَتَّى يَفْتَدِيَ مِنْهُمْ .

كان عُمر بن عبدالعزيز يجعل كل يوم من ماله درهماً في طعام المسلمين
الفقراء ويأكل معهم .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ألا وإني نَزَّلْتُ نَفْسِي مِنْ مَالِ اللَّهِ
بِمَنْزِلَةِ كَافِلِ الْيَتِيمِ إِنْ اسْتَعْنَيْتُ اسْتَعْفَفْتُ وَإِنْ افْتَقَرْتُ أَكَلْتُ بِالْمَعْرُوفِ .

ودخل بعضهم على سلمان الفارسي رضي الله عنه وهو والٍ على المدائن
فوجدَهُ يَعْمَلُ الخُوصَ بِيَدِهِ يُسَوِّي مِنْهُ قُفْفاً لِيَبَّيْعَهَا وَيَتَّقَوْتُ بِهَا .

فقال له تعمل هذا وأنت أميرٌ على المدائنِ وَيَجْرِي عَلَيْكَ الرِّزْقُ .
فقال سلمان رضي الله عنه إني اشتري بدرهم خوصاً (سَعَفُ النخْلِ)
فأعمله قُفْفاً فأبيعه بثلاث .

أَنْفَقْتُ دَرهماً عَلَيَّ وَعَلَى عِيَالِي وَأَتَصَدَّقُ بِدِرْهِمٍ وَأَعِينُ دِرهماً فِيهِ وَاللَّهُ إِنْ
أَحَبُّ أَنْ أَكَلِ مِنْ عَمَلِ يَدِي .

ورآه بعض الناس في الطريق وظنه من جملة الحمَامِيلِ الفقراء فقال إِحْمِلْ
لِي هَذَا فَحَمَلَ لَهُ أَمْتَعَتَهُ وَمَشَى مَعَهُ فِي السُّوقِ ، وَكُلَّمَا صَادَفَ إِنْسَاناً سَلَّمَ عَلَيْهِ
وقال السلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَالْمَقَاضِي عَلَى رَأْسِهِ فَاسْتَعْرَبَ الرَّجُلَ ذَلِكَ
وَخَجَلَ مِنْهُ وَقَالَ لِسَلْمَانَ مِنَ الْأَمِيرِ ، قَالَ أَنَا فَأَخَذَ يَعْتَذِرُ وَيَطْلُبُهُ السَّمَاخَ
وَيَقُولُ أُعْطِنِي مَتَاعِي جَزَاكَ اللَّهُ خَيْراً .

قال لا بُدَّ مِنْ حَمَلِهِ أَنَا خَادِمٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَأَبِي إِلَّا أَنْ يُوصَلَ الْأَمْتَعَةَ إِلَى
بَيْتِ صَاحِبِهَا .

قِيلَ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ جَزَاكَ اللَّهُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا فَقَالَ بَلْ جَزَى الْمُسْلِمِينَ عَنِّي خَيْرًا.

وَأَتَى إِلَيْهِ مَظْلُومٌ مِنَ الْيَمَنِ فَكَتَبَ لِعَامِلِهِ بِالْيَمَنِ أَنْ يَأْخُذَ لَهُ حَقَّهُ وَيُنْصِفَهُ مِمَّنْ ظَلَمَهُ، ثُمَّ قَالَ لِلْمَظْلُومِ كَمْ تَفَقَّتَكَ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى هُنَا وَهَلْ بَلِي مِنْ أَثْوَابِكَ شَيْءٌ ثُمَّ دَفَعَهَا إِلَيْهِ.

وَأَتَى إِلَيْهِ فَقِيرٌ وَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اشْتَدَّتْ بِي الْحَاجَةُ وَبَلَغَتْ بِي الْفَاقَةُ وَاللَّهُ سَأَلْتُكَ عَنْ مَقَامِي هَذَا بَيْنَ يَدَيْكَ، فَبَكَى عُمَرُ حَتَّى بَلَ الْقَضِيبَ الَّذِي يَتَكَبَّرُ عَلَيْهِ فَقَالَ كَمْ عِيَالُكَ قَالَ خَمْسَةٌ أَنَا وَامْرَأَتِي وَثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ. فَقَالَ عُمَرُ فَرَضْنَا لَكُمْ عَشْرَةَ دَنَانِيرٍ فِي الشَّهْرِ وَنَأْمُرُكَ بِخَمْسِمِائَةِ دِرْهَمٍ مِائَتِينَ مِنْ مَالِي وَثَلَاثُمِائَةٍ مِنْ مَالِ اللَّهِ حَتَّى تَتَبَلَّغَ بِهَا حَتَّى يَخْرُجَ عَطَاؤُكَ.

وَقَدَّمُ لَهُ هَدِيَّةً وَقَالُوا لَهُ أَقْبَلُهَا فَإِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ، فَقَالَ كَانَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ هَدِيَّةٌ وَهِيَ الْآنَ لَنَا رِشْوَةٌ وَرَفَضَهَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

«فَصَلِّ» : بَعْدَ الصُّلْحِ بَيْنَ أَبِي عُبَيْدَةَ وَالرُّومِ قَدَّمَ قَائِدَ رُومَانِي طَعَامًا فَاجِرًا لِأَبِي عُبَيْدَةَ فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَتُطْعَمُونَ الْجَنْدَ مِثْلَ هَذَا. قَالَ : لَا . فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ لَا حَاجَةَ لَنَا فِيمَا يَنْتَصِرُ عَلَيْنَا بِمَسِّ أَبِي عُبَيْدَةَ وَقَدْ صَحِبَهُ جُنْدٌ مِنْ بِلَادِهِمْ لِيُهْرَقُوا دِمَاءَهُمْ أَوْ لَمْ يُهْرَقُوا فَاسْتَأْثَرَ بِنَفْسِهِ عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ لَا نَأْكُلُ إِلَّا مِمَّا يَأْكُلُونَ.

رَكِبَ الْوَزِيرُ عَلِيُّ بْنُ عِيْسَى الظَّالِمُ فِي مَوْكِبٍ عَظِيمٍ فَقَالَ النَّاسُ مَنْ هَذَا مَنْ هَذَا فَقَالَتْ امْرَأَةٌ لِمَ تَقُولُونَ مَنْ هَذَا. هَذَا عَبْدُ غَرَّةِ الشَّيْطَانِ فَسَقَطَ مِنْ عَيْنِ اللَّهِ تَعَالَى فَابْتَلَاهُ اللَّهُ بِمَا تَرَوْنَ فَرَجَعَ الْوَزِيرُ إِلَى مَكَّةَ تَائِبًا مُجَاوِرًا.

كَتَبَ وَالِ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِنْ قَوْمًا اخْتَلَسُوا مَالَ الدَّوْلَةِ فَأَذِنَ لِي فِي

عِقَابِهِمْ فَكَتَبَ عُمرُ إِلَيْهِ لَا تَظُنُّ أَنَّ رِضَائِي عَلَيْكَ وَمَشُورَتِي تَنْجِيكَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، لِذَا مِنْ أَقَرِّ مِنْهُمْ فَجَازَهُ بِمَا يَسْتَحِقُّ وَمَنْ أَنْكَرَ فَاسْتَحْلَفَهُ وَخَلَّ سَبِيلَهُ فَلَعَمْرِي لَأَنْ يَلْقُوا اللَّهَ بِخِيَانَتِهِمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ بِدِمَائِهِمْ.

وقال بعضهم إنما أهلك من كان قبلنا بحبسهم الحق حتى يشتري منهم وييسطهم الظلم حتى يفتدى منهم.

«موعظة»

عِيَاذَ اللَّهِ سُرُورَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَعْبرُونَ القَنَاطِرَ وَيَأْمُنُونَ العَوَائِرَ فَذَلِكَ يَوْمٌ عِيدِهِمْ وَمَادَامُوا فِي دَارِ العُرُورِ فَلَا غِبْطَةَ وَلَا سُرُورَ.

وَأَيُّ سُرُورٍ لِمَنْ المَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَاصِيَتِهِ وَالدُّنُوبُ رَاسِحَةٌ فِي آيَتِهِ وَالنَّفْسُ تَقُودُهُ إِلَى هَوَاهَا وَالدُّنْيَا تَتَزَيَّنُّ فِي عَيْنِهِ بِمُشْتَهَاهَا.

وَالشَّيْطَانُ مُسْتَبْطِنٌ فَقَارَ ظَهْرَهُ لَا يَفْتُرُ عَنِ الوَسْوَسةِ فِي صَدْرِهِ وَنَفْسِهِ وَمَالِهِ بَعْرُضِهِ لِلْحَوَادِثِ وَلَا يَدْرِي فِي كُلِّ نَفْسٍ مَا عَلَيْهِ حَادِثٌ.

قَالَ بَعْضُهُمْ:

إِنِّي بُلِيْتُ بِأَرْبَعٍ مَا سَلَطُوا إِلَّا لِأَجْلِ شِقَاوَتِي وَعَنَايِي
إِبْلِيسَ وَالدُّنْيَا وَنَفْسِي وَالهوى كَيْفَ الخَلَاصُ وَكُلُّهُمْ أَعْدَائِي

وَمِنْ وَرَائِهِ المُغِيرِ وَمَسْأَلَةُ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ وَيَتَوَسَّدُ التُّرابَ إِلَى يَوْمِ النُّشُورِ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾ يَوْمٌ لَا يُبْلَغُ وَصْفُ أهْوَالِهِ وَلَا شَرْحُ أهْوَالِهِ مَا لَا يَسَعُ المُؤْمِنُ بِهِ أَنْ يَسْتَقِرَّ لَهُ قَرَارٌ وَلَا يَخْلُدُ إِلَى هَذِهِ الدَّارِ وَلَا يَكُونُ لَهُ هَمٌّ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا إِلَّا التَّقَرُّبُ بِأَنْوَاعِ القُرْبِ وَاجْتِنَابُ الفَوَاحِشِ وَالرَيْبِ وَإِقَامَةُ الدِّينِ الَّذِي فِي إِقَامَتِهِ النُّجَاةُ وَفِي تَضْيِيعِهِ العَطَبُ العَظِيمُ.

شِعْرًا: يَوْمُ القِيَامَةِ لَوْ عَلِمْتَ بِهِوْلِهِ لَفَرَرْتَ مِنْ أَهْلِ وَمِنْ أَوْطَانِ

يَوْمٌ تَشَقَّقَتِ السَّمَاءُ لِهَوْلِهِ وَتَشْيِبُ مِنْهُ مَفَارِقُ الْوِلْدَانِ
يَوْمٌ عَبُوسٌ قَمَطِرِيْرٌ شُرُهُ فِي الْخَلْقِ مُنْتَشِرٌ عَظِيمُ الشَّانِ
يَوْمٌ يَجِيءُ الْمُتَّقُونَ لِرَبِّهِمْ وَفَدَاً عَلَى نُجُبٍ مِنَ الْعِقَبَاتِ
وَيَجِيءُ فِيهِ الْمَجْرُمُونَ إِلَى لَطْفِي يَتَلَمَّظُونَ تَلَمَّظَ الْعَطَشَانِ
وَالجَنَّةُ الْعُلْيَا وَنَارُ جَهَنَّمَ دَارَانِ لِلْخَصْمَيْنِ دَائِمَتَانِ

« فوائده »

تَعَرَّفَ إِلَى اللَّهِ بِمَا تَعَرَّفَ بِهِ إِلَيْكَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ وَتَعَرَّفَ مَا فَرَضَ عَلَيْكَ
مَعْرِفَتُهُ مِنْ أَحْكَامِ شَرْعِهِ .

ثانياً : طاعته في فعل الواجبات وترك المحرمات .

ثالثاً : أَنْ تَشْتَأَقَ إِلَى مَا شَوَّقَ إِلَيْهِ وَتَخَافَ مَا خَوَّفَ مِنْهُ لِأَنَّ الْعَالِمَ بِأَسْمَاءِ
اللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَأَحْكَامِهِ مِنْ أَعْلَمِ الْعَالَمِينَ .

والعامل بطاعته فيما أمره ونهاه من أعمال العالمين .

إن لم تقدر على الجد في العمل فقف على باب الطلب وتعرض لنفحة من
نفحات الرب ففي لحظة أفلح السحرة .

إِذَا رُزِقْتَ يَقْظَةً فَصُنِّهَا فِي بَيْتِ عَزْلَةٍ فَإِنَّ أَيْدِيَ الْمُعَاشِرَةِ نَهَابَةٌ وَاحْذَرِ
مُعَاشِرَةَ الْبَطَّالِينَ فَإِنَّ الطَّبْعَ لِيَصُّ وَلَا تُصَادِقَنَّ فَاسِقًا وَلَا تَتَّقِ إِلَيْهِ فَإِنَّ مِنْ خَانَ
أَوَّلَ مُنْعِمٍ عَلَيْهِ لَا يَفِي لَكَ أَبَدًا .

تَزَيَّنَتِ الْجَنَّةُ لِلْخُطَّابِ فَجِدُوا وَاجْتَهِدُوا فِي تَحْصِيلِ الْمَهْوَرِ .

تَعَرَّفَ رَبُّ الْعِزَّةِ لِلْمُحِبِّينَ فَعَمَلُوا لِلِقَاءِ وَأَنْتَ مَشْغُولٌ بِالْحَيْفِ .

مَا يُسَاوِي رُبْعَ دِينَارٍ خَجَلٍ الْفُضِيحَةِ فَكَيْفَ بِالْمِ الْقَطْعِ .

لَيْسَ لِلْعَابِدِينَ مُسْتَرَاجٌ إِلَّا تَحْتَ شَجَرَةِ طُوًى .

ولا لِلْمُحِبِّينَ قَرَارٌ إِلَّا يَوْمَ الْمَزِيدِ فَمَثَلُ لِقَابِكَ الْإِسْتِرَاحَةَ تَحْتَ شَجَرَةٍ
طَوْبَى يَهُنُّ عَلَيْكَ النَّصَبَ وَالتَّعَبَ .

وَاسْتَحْضِرْ يَوْمَ الْمَزِيدِ يَهُنُّ عَلَيْكَ مَا تَتَحَمَّلُ مِنْ أَجْلِهِ .
مَتَى رَأَيْتَ الْعَقْلَ يُؤَثِّرُ الْفَانِي عَلَى الْبَاقِي فَأَعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ مُسِّخٌ .
وَمَتَى رَأَيْتَ الْقَلْبَ قَدْ تَرَحَّلَ عَنْهُ حُبُّ اللَّهِ وَالِاسْتِعْدَادَ لِلِقَائِهِ وَحُلَّ فِيهِ
حُبُّ الْمَخْلُوقِ وَالرِّضَا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالطَّمَأْنِينَةَ بِهَا فَأَعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ نُحْسِفَ بِهِ .
وَمَتَى أَقْحَطْتَ الْعَيْنُ مِنَ الْبُكَاءِ مِنَ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَأَعْلَمْ أَنَّ قُحْطَهَا مِنَ
قَسْوَةِ الْقَلْبِ .

وَمَتَى رَأَيْتَ نَفْسَكَ تَهَرَّبُ مِنَ الْأَنْسِ بِاللَّهِ إِلَى الْأَنْسِ بِالْمَخْلُوقِ وَمِنَ الْخَلْوَةِ
مَعَ اللَّهِ إِلَى الْخَلْوَةِ مَعَ الْمَخْلُوقِ فَأَعْلَمْ أَنَّهَا لَا تَصْلُحُ لِلَّهِ .
مَنْ رَكِبَ ظَهَرَ التَّفْرِيطِ وَالتَّوَانِي وَالكَسَلِ نَزَلَ بَدَارِ الْعُسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ .
مَنْ أَدْلَجَ فِي غِيَابِ اللَّيْلِ عَلَى نَجَائِبِ الصَّبْرِ صَبَّحَ مَنْزِلَ السَّرُورِ .
وَمَنْ نَامَ عَلَى فِرَاشِ الْكَسَلِ أَصْبَحَ مُلْقًا بِوَادِي الْأَسْفِ .

« فائدة نفيسة » : ينبغي لطالب العلم أن يتأملها ويأخذ لمستقبله فكرة ،
قال بعض العلماء لم أزل برهة من عمري أنظر اختلاف الأمة والتمس المنهاج
الواضح والسبيل القاصد وأطلب من العلم والعمل واستبدل على طريق الآخرة
بإرشاد العلماء .

وَعَقَلْتُ كَثِيرًا مِنْ كَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِتَأْوِيلِ الْفُقَهَاءِ وَتَدَبَّرْتُ أَحْوَالَ الْأُمَّةِ
وَنَظَرْتُ فِي مَذَاهِبِهَا وَأَقَاوِيلِهَا فَعَقَلْتُ مِنْ ذَلِكَ مَا قُدِّرَ لِي .

وَرَأَيْتُ إِخْتِلَافَهُمْ بَحْرًا عَمِيقًا غَرِقَ فِيهِ نَاسٌ كَثِيرٌ وَسَلِمَ مِنْهُ عِصَابَةٌ
قَلِيلَةٌ ، وَرَأَيْتُ كُلَّ صِنْفٍ مِنْهُمْ يَزْعُمُ أَنَّ النِّجَاةَ لِمَنْ تَبِعَهُمْ وَأَنَّ الْمَهَالِكَ لِمَنْ
خَالَفَهُمْ . ثُمَّ رَأَيْتُ النَّاسَ أَصْنَافًا فَمِنْهُمْ الْعَالِمُ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ لِقَاؤُهُ عَسِيرٌ وَوُجُودُهُ
عَزِيزٌ . وَهُوَ مَنْ يُعِدُّ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا لِثَوَابِ الْآخِرَةِ وَالْقُرْبِ مِنَ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ .

ومنهم الجَاهِلُ فالبُعْدُ منه غَنِيْمَةٌ .
ومنهم الْمُتَشَبِّهُ بِالْعُلَمَاءِ مَشْغُوفٌ بِدُنْيَاهُ مُؤَثَّرٌ لَهَا .
ومنهم حَامِلٌ عِلْمٍ مَنَسُوبٌ إِلَى الدِّينِ مُلْتَمِسٌ بِعِلْمِهِ التَّعْظِيمَ وَالْعُلُوَّ ، يَنَالُ
بِالدِّينِ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا .

ومنهم حَامِلٌ عِلْمٍ لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَ مَا حَمَلَ .
ومنهم الْمُتَشَبِّهُ بِالنَّسَاكِ مُتَحَرِّجٌ لِلْخَيْرِ لَا غِنَاءَ عِنْدَهُ وَلَا نَفَادَ لِعِلْمِهِ وَلَا مُعْتَمَدًا
عَلَى رَأْيِهِ .

ومنهم الْمَنَسُوبُ إِلَى الْعَقْلِ وَالذَّهَائِ مَفْقُودُ الْوَرَعِ وَالتَّقَى .
ومنهم شَيْطَانُ الْإِنْسِ مِنَ الْآخِرَةِ يَصُدُّونَ وَعَلَى الدُّنْيَا يَتَكَابَّرُونَ وَإِلَى
جَمْعِهَا يُهْرَعُونَ وَفِي الْإِسْتِكْنَارِ مِنْهَا يَرْغَبُونَ .
فَهُمْ فِي الدُّنْيَا أَحْيَاءُ وَفِي الْعَرْفِ مَوْتَى .

فَتَفَقَّدْتُ فِي الْأَصْنَافِ نَفْسِي وَضِيقْتُ بِذَلِكَ ذَرْعًا فَقَصَدْتُ إِلَى هُدَى
المُهْتَدِينَ بِطَلَبِ السَّدَادِ وَالْهُدَى وَاسْتَرَشَدْتُ الْعِلْمَ وَأَعَمَلْتُ الْفِكْرَ وَأَطَلْتُ
النَّظْرَ .

فَتَبَيَّنَ لِي مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ أَنَّ
اتِّبَاعَ الْهَوَى يُعْمِي عَنِ الرَّشْدِ وَيُضِلُّ عَنِ الْحَقِّ وَيُطِيلُ الْمَكْثَ فِي الْعَمَى .
فَبَدَأْتُ أَوَّلًا بِإِسْقَاطِ الْهَوَى عَلَى قَلْبِي وَوَقَفْتُ عِنْدَ اخْتِلَافِ الْأُمَّةِ مُرْتَادًا
لِطَلَبِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ .

حَذَرًا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُرْدِيَةِ وَالْفِرْقَةِ الْهَالِكَةِ مُتَحَرِّزًا مِنَ الْاِقْتِحَامِ قَبْلَ الْبَيَانِ
وَالْتِمَسُّ سَبِيلَ النِّجَاةِ لِنَفْسِي .

ثُمَّ وَجَدْتُ بِاجْتِمَاعِ الْأُمَّةِ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمُنَزَّلِ أَنَّ سَبِيلَ النِّجَاةِ فِي
التَّمَسُّكِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ ، وَالْوَرَعِ فِي حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ وَجَمِيعِ حُدُودِهِ .
وَإِخْلَاصِ اللَّهِ تَعَالَى بِطَاعَتِهِ .

والتَّاسِي بِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَطَلَبْتُ مَعْرِفَةَ الْفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ فِي
الْآثَارِ فَرَأَيْتُ إِجْتِمَاعًا وَاجْتِلَافًا وَوَجَدْتُ جَمِيعَهُمْ مُجْتَمِعِينَ عَلَى أَنَّ عِلْمَ
الْفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ وَأَمْرَهُ الْفُقَهَاءِ عِنْدَ اللَّهِ الْعَامِلِينَ بِرِضْوَانِهِ،
الْوَرَعِينَ عَنِ مَحَارِمِهِ الْمُتَأَسِّينَ بِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤَثِّرِينَ الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا
أُولَئِكَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِأَمْرِ اللَّهِ وَسُنَنِ الْمُرْسَلِينَ .

فَالْتَمَسْتُ مِنْ بَيْنِ الْأُمَّةِ هَذَا الصَّنْفَ الْمُجْتَمِعَ عَلَيْهِمُ وَالْمُوصُوفِينَ
بِآثَارِهِمْ وَاقْتَبَسْتُ مِنْ عِلْمِهِمْ فَرَأَيْتُهُمْ أَقَلَّ مِنَ الْقَلِيلِ، وَرَأَيْتُ عِلْمَهُمْ مُنْدَرِسًا
كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «بَدَأَ الْإِسْلَامَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ» فَطُوبَى
لِلْغُرَبَاءِ وَهُمْ الْمُتَفَرِّدُونَ بِدِينِهِمْ .

فَعَظُمَتْ مُصِيبَتِي لِفَقْدِ الْأَوْلِيَاءِ الْأَتْقِيَاءِ الْأَبْرَارِ وَخَشِيتُ بَعْتَةَ الْمَوْتِ أَنْ
يَفْجَأَنِي عَلَى اضْطِرَابٍ مِنْ عُمْرِي لِاخْتِلَافِ الْأُمَّةِ، فَانْكَمَشْتُ فِي طَالِبِ عِلْمٍ
لَمْ أَجِدْ لِي مِنْ مَعْرِفَتِهِ بَدَأًا وَلَمْ أَقْصِرْ فِي الْإِحْتِيَاظِ .

فَقَبِضَ لِي الرَّعُوفُ بِعِبَادِهِ قَوْمًا وَجَدْتُ فِيهِمْ دَلَائِلَ التَّقْوَى وَأَعْلَامَ الْوَرَعِ
وَإِثَارَ الْآخِرَةِ عَلَى الدُّنْيَا . وَوَجَدْتُ إِرْشَادَهُمْ وَوَصَايَاهُمْ مُوَافِقَةً لِأَفَاعِيلِ أُمَّةِ
الْهُدَى .

وَوَجَدْتُهُمْ مُجْتَمِعِينَ عَلَى نُصْحِ الْأُمَّةِ لَا يُرْجُونَ أَبَدًا فِي مَعْصِيَتِهِ
وَلَا يَقْنَطُونَ أَبَدًا مِنْ رَحْمَتِهِ .

يَرْضَوْنَ أَبَدًا بِالصَّبْرِ عَلَى الْبِئْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالرِّضَا وَالشُّكْرِ عَلَى النِّعْمَاءِ
يُحِبُّونَ اللَّهَ إِلَى الْعَبْدِ بِذِكْرِهِمْ أَيْدِيَهُ وَإِحْسَانِهِ وَيُحْتُونَ الْعِبَادَةَ عَلَى الْإِنَابَةِ إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى عُلَمَاءُ بِعَظَمَتِهِ تَعَالَى عُلَمَاءُ بِعَظِيمِ قَدْرَتِهِ وَعُلَمَاءُ بِكِتَابِهِ وَسُنَّتِهِ فَفُهِمُوا فِي
دِينِهِ عُلَمَاءُ بِمَا يُحِبُّ وَيَكْرَهُ وَرَعِينِ عَنِ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ تَارِكِينَ لِلتَّعَمُّقِ
وَالْإِعْلَاءِ مُبْغِضِينَ لِلْجِدَالِ وَالْمِرَاءِ مُتَوَرِّعِينَ عَنِ الْاِغْتِيَابِ وَالظُّلْمِ مُخَالِفِينَ
لِأَهْوَائِهِمْ مُحَاسِبِينَ لِأَنْفُسِهِمْ مَالِكِينَ لِحَوَارِجِهِمْ وَرَعِينِ فِي مَطَاعِمِهِمْ

وملابسهم وجميع أحوالهم مجانين للشبهات تاركين للشهوات مجترئين بالبلغة من الأقوات متقللين من المباح مشفقين من الحساب وجلين من المعاد علماء بأمر الآخرة وأقاول القيامة راجين من الكريم المنان جزيل الثواب وخائفين من أليم العقاب وذلك أورثهم الخوف الدائم والهَمّ المُقيم فشغلوا عن سرور الدنيا ونعيمها فتبين لي فضلهم وانضح لي نصحهم وأيقنت أنهم العاملون بطريق الآخرة والمتأسون بالمرسلين والمصاييح لمن استضاء بهم والهادون لمن استرشد.. أ.هـ.

قُلْتُ فَمِثْلِ هَؤُلَاءِ إِنْ وُجِدُوا فَلْيَقْتَدِ الْمُقْتَدُونَ .

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

«فصل»: قال ابن القيم رحمه الله لا يكون العبد متحققاً ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إلا بأصلين عظيمين أحدهما الإخلاص للمعبود والثاني المتابعة للرسول ﷺ .

والناس منقسمون بحسب هذين الأصلين إلى أربعة أقسام أحدها أهل الإخلاص للمعبود والمتابعة للرسول ﷺ وهم أهل إِيَّاكَ نَعْبُدُ حَقِيقَةً . فأعمالهم كلها لله ، وأقوالهم لله ، وحبهم لله ، وبغضهم لله . فمعاملتهم ظاهراً وباطناً لوجه الله وحده لا يريدون بذلك من الناس جزاءً ولا شكوراً .

ولا ابتغاء الجاه عندهم ولا طلب المحمّدة والمنزلة في قلوبهم ولا هرباً من ذمهم ، بل قد عدوا أنفسهم من أصحاب القبور لا يملكون لهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياةً ولا نشوراً .

فالعمل لأجل الناس وابتغاء الجاه والمنزلة عندهم ورجائهم للضر والنفع منهم لا يكون من عارف بهم البتة ، بل من جاهل بشأنهم وجاهل بربه فمن عَرَفَ الناس أنزلهم منازلهم ، ومن عَرَفَ الله أخلص له أعماله وأقواله وعطاءه

مَنَعَهُ وَحُبَّهُ وَيُغْصَهُ، وَلَا يَعْمَلُ أَحَدٌ الْخَلْقَ دُونَ اللَّهِ إِلَّا لجهلهِ بِاللَّهِ وَجَهْلِهِ
بِالْخَلْقِ، وَإِلَّا فَإِذَا عَرَفَ اللَّهُ وَعَرَفَ النَّاسَ آثَرَ مُعَامَلَةِ اللَّهِ عَلَى مُعَامَلَتِهِمْ ..

القسم الثاني من لا إخلاصَ لَهُ وَلَا مُتَابَعَةَ فَلَيْسَ عَمَلُهُ مُوَافِقًا لِلشَّرْعِ،
وَلَيْسَ هُوَ خَالِصًا لِلْمَعْبُودِ كَأَعْمَالِ الْمُتَرَيِّبِينَ لِلنَّاسِ الْمُرَاتِينَ لَهُمْ بِمَا لَمْ يَشْرَعُهُ
اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَهُوَ لَأَشْرَارِ الْخَلْقِ وَأُمَقْتُهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَهُمْ أُوفِرَ نَصِيبٌ
مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ
يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا مِنْ
الْبِدْعَةِ، وَالضَّلَالَةِ، وَالشَّرْكِ، وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَالْإِخْلَاصِ.

وهذا القسم يكثرُ فَيَمَنُ انْحَرَفَ مِنَ الْمُتَسَيِّبِينَ إِلَى الْعِلْمِ وَالْفَقْرِ وَالْعِبَادَةِ
عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، فَإِنَّهُمْ يَرْتَكِبُونَ الْبِدْعَ وَالضَّلَالَاتِ وَالرِّيَاءَ وَالسُّمْعَةَ
وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوهُ مِنَ الْإِتِّبَاعِ وَالْإِخْلَاصِ وَالْعِلْمِ فَهُمْ أَهْلُ
الْعُضْبِ وَالضَّلَالِ.

القسمُ الثالثُ مَنْ هُوَ مُخْلِصٌ فِي أَعْمَالِهِ لَكِنَّهَا عَلَى غَيْرِ مُتَابَعَةِ الْأَمْرِ
كَجُهَالِ الْعِبَادِ وَالْمُتَسَيِّبِينَ إِلَى طَرِيقِ الْفَقْرِ وَالزُّهْدِ، وَكَلَّ مَنْ عَبْدَ اللَّهِ بِغَيْرِ أَمْرِهِ
وَاعْتَقَدَ عِبَادَتَهُ هَذِهِ قُرْبَةً إِلَى اللَّهِ فَهَذَا حَالُهُ، كَمَنْ يَظُنُّ أَنَّ سَمَاعَ الْمَكَاءِ
وَالتَّصَدِيقَةَ قُرْبَةً وَأَنَّ الْخُلُوةَ الَّتِي يَتْرُكُ فِيهَا الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ قُرْبَةً، وَأَنَّ مُوَاصَلَةَ
صَوْمِ النَّهَارِ بِاللَّيْلِ قُرْبَةً وَأَنَّ صِيَامَ يَوْمِ فِطْرِ النَّاسِ كُلِّهِمْ قُرْبَةً وَأَمْثَالَ ذَلِكَ.

القسمُ الرابعُ مَنْ أَعْمَلَهُ عَلَى مُتَابَعَةِ الْأَمْرِ لَكِنَّهَا لِغَيْرِ اللَّهِ كَطَاعَةَ الْمُرَاتِينَ
وَكَالرَّجُلِ يُقَاتِلُ رِيَاءً وَحَمِيَّةً وَشِجَاعَةً وَيُحُجُّ لِيُقَالَ، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ،
فَهُوَ لَأَشْرَارِ أَعْمَالِهِمْ ظَاهِرُهَا أَعْمَالٌ صَالِحَةٌ مَأْمُورٌ بِهَا لَكِنَّهَا غَيْرُ صَالِحَةٍ فَلَا تُقْبَلُ،
قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا أَمَرُوا إِلَّا لِيُعْبَدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ فَكُلُّ أَحَدٍ
لَمْ يُؤْمَرْ إِلَّا بِعِبَادَةِ اللَّهِ بِمَا أَمَرَ .. لِإِنْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَالْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَيَسِّرْنَا
لِلْيُسْرَى وَجَنِّبْنَا الْعُسْرَى وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصُلِّ» : قال بعضهم أعزُّ الأشياءِ في الدُّنيا الإِخْلَاصُ فَبَلَّ لِمَا صَارَ أَعَزَّ ،
قَالَ لِأَنَّهُ لَيْسَ لِلنَّفْسِ فِيهِ نَصِيبٌ ، وَقَالَ آخَرُ أَعَزُّ شَيْءٌ فِي الدُّنْيَا الإِخْلَاصُ وَكَمْ
أَجْتَهَدُ فِي إِسْقَاطِ الرِّبَا عَنِ قَلْبِي فَكَأَنَّهُ يَنْبُتُ فِيهِ عَلَى لَوْنٍ آخَرَ .

فالإِخْلَاصُ فِي غَايَةِ الصُّعُوبَةِ فَلِذَلِكَ نَجِدُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَشْرَحُ أَعْمَالَهُ
لِلنَّاسِ يَذْكُرُ صَدَقَاتِهِ وَصِيَامَهُ التَّطَوُّعَ وَكَمْ حَجَّ مِنْ سَنَةٍ وَكَمْ عُمَرَةً اعْتَمَرَ
وَهُوَ مَاسئِلُ وَأَنَّهُ يُحِبُّ اللَّيْلَ بِالصَّلَاةِ وَالتِّلَاوَةِ .

وَيَذْكُرُ الَّذِينَ يُسَاعِدُهُمْ بِجَاهِهِ وَمَالِهِ يُرِيدُ بِذَلِكَ الْمَنْزِلَةَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ
وَأَنَّهُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ وَهَذَا غَلَطٌ وَضُرٌّ عَلَيْكَ فَمَا دُمْتَ تَعْمَلُ لِلَّهِ فَمَا الدَّاعِي إِلَى
ذِكْرِهِ لِمَنْ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً
وَلَا نُشُورًا ، فَالرِّبَا تَعَبٌ وَنَصَبٌ وَلُغُوبٌ وَحُسْرَانٌ وَذَلٌّ فِي الدُّنْيَا وَخِزْيٌ
وَفَضِيحَةٌ وَعَذَابٌ وَنَدَامَةٌ فِي الْآخِرَةِ .

فَالْعَاقِلُ يَعْمَلُ الْعَمَلَ خَالِصًا لِلَّهِ لَا لِأَجْلِ الْخَلْقِ وَلَا لِأَجْلِ النَّفْسِ وَإِلَّا
دَخَلَ عَلَيْهِ مُطَالِبُهُ الْعِوَضِ أَوْ تَشَوُّقٌ إِلَى حَظٍّ مِنْ حُظُوظِ الدُّنْيَا .

وَالْمُهْمُّ أَنْ يَحْرِصَ عَلَى إِخْفَاءِ أَعْمَالِهِ لِأَنَّ الْجَزَاءَ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ السِّرَّ
وَأَخْفَى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، إِلَّا إِنْ تَرَجَّحَتْ مَصْلِحَةُ الإِظْهَارِ عَلَى الإِخْفَاءِ كَأَنْ يُقْتَدَى بِهِ
فِي الصَّدَقَةِ أَوْ الزَّكَاةِ لِإِزَالَةِ التُّهْمَةِ عَنْهُ بَعْدَ إِخْرَاجِهَا . قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا
وَتَقَدَّسَ : ﴿ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعْمًا هِيَ وَإِنْ تُخْفَوْهَا وَتُؤْتَوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ
خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ .

عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ فَارَقَ الدُّنْيَا عَلَى

الإخلاص لله وحده لا شريك له وأقام الصلاة وآتى الزكاة فارقها والله عنه راضٍ» رواه ابن ماجه والحاكم، وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم.
وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال حين بعث إلى اليمن يارسول الله
أوصيني قال: «أخلص دينك يكفيك العمل القليل» رواه الحاكم وقال صحيح
الإسناد.

وعن ثوبان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «طوبى
للمخلصين أولئك مصابيح الهدى تنجلي عنهم كل فتنة ظلماء».

شِعْرًا: لِكُلِّ شَيْءٍ زِينَةٌ فِي الْوَرَى وَزِينَةُ الْمَرْءِ ثَقِيٌّ مَعَ أَدَبٍ
قَدْ يَشْرَفُ الْمَرْءُ بِإِخْلَاصِهِ صِدْقًا وَإِنْ كَانَ وَضِيعَ النَّسَبِ
آخِرُ: وَذَكَرَ بِالتَّقَى نَفْرًا غَفُولًا فَلَوْلَا السَّقِيُّ مَا نَمَتِ الزُّرُوعُ
لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَجْدَ وَالْفَخْرَ وَالْعُلَا وَنَيْلَ الْأَمَانِي وَاحْتِسَابَ الْفَضَائِلِ
لِمَنْ يُخْلِصُ الْأَعْمَالَ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَيُكْثِرُ مِنْ ذِكْرِهِ لَهْ فِي الْمَنَازِلِ
وَفِي الْمَسَاجِدِ وَالْأَسْوَاقِ يَذْكُرُهُ وَيُشْغَلُهُمْ فِي ذِكْرِهِ فِي الْمَحَافِلِ

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نضر
الله أمرأاً سمع منا حديثاً فبلغه غيره فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب
حامل فقه ليس بفقيه، ثلاث لا يغفل عليهم قلب مسلم إخلاص العمل لله
ومناصحة ولاة الأمر ولزوم الجماعة فإن دعوتهم تحيط من ورأيهم، ومن كانت
الدنيا نيته فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأتيه من الدنيا إلا ما كتب
له، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي
راغمة» رواه ابن حبان ورواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

وعن الضحاك بن قيس قال قال رسول الله ﷺ «إن الله تبارك وتعالى
يقول أنا خير شريك فمن أشرك معي شريكاً فهو لشريكى، يأيها الناس

أَخْلَصُوا أَعْمَالَكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَقْبَلُ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا مَا خَلَصَ لَهُ»
أخرج البزار بإسناد لا بأس به .

وورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغي به وجهه » رواه أبو داود والنسائي .

وعتن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما ابتغي به وجهه » أخرجه الطبراني بإسناد لا بأس به .

سئل الفضيل بن عياض ما أخلص العمل وما أصوبه ، قال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة .

شِعْرًا: هُمُ الْأَبْيَاءِ إِخْلَاصٌ لِحَالِقِهِمْ
وَهُمْ غَيْرُهُمْ فِي الصُّحُفِ يَقْرُؤُهَا
أَعْظَمُ بِهَا مِنْ نَدَامَاتٍ إِذَا اكْشَفَتْ
آخِرُ: لِعَمْرِي إِنَّ الْمَجْدَ وَالْفَخْرَ وَالْعَلَا
لِمَنْ يُخْلِصُ الْأَعْمَالَ لِلَّهِ وَخَدَهُ
آخِرُ: مَوَاهِبُ ذِي الْجَلَالِ عَلَيْكَ تَتْرَى
يَزِيدُكَ مِنْهُ فَضْلًا كُلَّ يَوْمٍ
تَعْرُكَ أَمْ دَفَرٍ بِالْأَمَانِي
أَلَا فَانْهَضْ إِلَى الْوَهَابِ وَاشْكُرْ
فِيمَا أَمَرُهُمْ بِهِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
أَوْ حَوْلَ مِذْيَاعِهِ يَا خَبِيَّةَ الْأَمَلِ
يَوْمَ الْجَزَاءِ لِأَهْلِ اللَّهِو وَالزَّلِيلِ
وَتَيْلَ الْأَمَانِي وَارْتِفَاعِ الْمَنَازِلِ
وَيُكْثِرُ مِنْ ذِكْرِ لَهُ فِي الْمَحَافِلِ
بِإِحْسَانٍ وَأَنْتَ بِهَا كُنُودُ
وَأَنْتَ بِضِدِّهِ أَبَدًا تَزِيدُ
عَنِ الْعُقْبَى لِتَعْفُلَ يَا بَعِيدُ
لَهُ نِعْمًا غِزَارًا لَا تَبِيدُ

اللَّهُمَّ الْحَقِّقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الْأَبْرَارَ ، وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ
حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

«فَصَلِّ»: قال ابن الجوز تَبَاعَدَ عن أهل السُّوءِ وِبَاعِدَ أَوْلَادَكَ عَنْهُمْ لَا يِعَادُونَكَ بِأَفْعَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَطِبَاعِهِمْ وَلَا يَزَالُ يَفْسُو قَلْبَكَ حَتَّى يَسْتَأْنِسُ بِهِمْ فَهُنَاكَ الْهَلَاكُ، وَالسُّوءُ يَتَفَاوَتُ فَمِنْ أَهْلِهِ أَهْلُ الْفَوَاحِشِ وَمِنْهُمْ أَهْلُ اللَّهْوِ وَمِنْهُمْ أَهْلُ الْغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَمِنْهُمْ أَهْلُ الْمَلَاهِيِ وَآلَاتِ الطَّرْبِ.

فإنهم يَسْبُونُ أَهْلَ الْعُقُولِ عُقُولَهُمْ حَتَّى يَنْحَلُّوا عَنْ دِينِهِمْ وَمُرُوءَتِهِمْ فَيَعْسُرُ عَلَيْهِمُ الْخِلَاصُ لِمَا يَجِدُونَهُ مِنْ لَذَّةِ النَّعْمَاتِ وَالْأَصْوَاتِ، حَتَّى يَكُونَ عَادَةً وَطَبْعًا فَرَبَّمَا يَجْلِسُ الرَّجُلُ إِلَيْهِمْ وَهُوَ كَارَةٌ لِسَمَاعِ لَعْوِهِمْ مُسْتَوْحِشٌ مِنْ نَفْسِهِ ثُمَّ لَا يَزَالُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يَرَاهُ حَسَنًا.

من كيد الشيطان أن يورد ابن آدم الموارد التي يخيل إليه أن فيها منفعة ثم يصدره المصادر التي فيها عَطْبُهُ وَيَتَخَلَّى عَنْهُ وَيُسْلِمُهُ لِلْهَلَاكِ وَيَقِفُ يَتَشَمَّتُ بِهِ وَيَضْحَكُ مِنْهُ، فَيَأْمُرُهُ بِالسَّرْقَةِ وَالْقَتْلِ وَاللُّوَاطِ وَالزَّوْنِ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ وَيَفْضَحُهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَمِثْلِ الشَّيْطَانِ إِذَا قَالَ لِلْإِنْسَانِ أَكْفِرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْيَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

ثم أعلم أن إبليسَ لَعَنَهُ اللَّهُ طَّلَاعَ رَصَادٍ وَمَا هُوَ بِشَيْءٍ مِنْ فُخُوحِهِ بِأَوْثَقٍ لِصَيْدِهِ مِنَ النِّسَاءِ خُصُوصًا الْمُسْتِنَاةِ الْعَجَائِزِ الْمَاهِرَاتِ بِالْحَيْلِ وَالْمَكْرِ وَالْحَدِيدَةِ، قَالَ بَعْضُهُمْ:

عَجُوزُ النَّحْسِ إِبْلِيسُ يَرَاهَا تَعَلَّمَهُ الْحَدِيدَةَ فِي السُّكُوتِ
تَقُوذُ مِنَ السِّيَاسَةِ أَلْفَ بَعْلِ إِذَا انْفَرَدَتْ بِحَيْطِ الْعَنْكَبُوتِ
والله أعلم وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم.

«فَصَلِّ»: ذكر ابن القيم رحمه الله الأسباب التي يُعتَصَمُ بها من الشيطان الأول الإستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، قال تعالى: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعد بالله إنه هو السميع العليم﴾، والمراد بالسمع هنا سَمَعَ الإجابة لا السمع العام.

الثاني قراءة المعوذتين فإنَّ لهما تأثيراً عَجِيباً في الإستعاذة بالله من شر الشيطان ودفعه، ولهذا قال النبي ﷺ: «ما تَعَوَّذَ الْمُتَعَوِّذُونَ بِمَثَلِهِمَا» وكان ﷺ يَتَعَوَّذُ بِهِمَا كُلَّ لَيْلَةٍ عِنْدَ النَّوْمِ، وَأَمَرَ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ أَنْ يَتَعَوَّذُ بِهِمَا دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ وَذَكَرَ ﷺ أَنَّ مَنْ قَرَأَهُمَا مَعَ سُورَةِ الْإِحْلَاصِ ثَلَاثًا حِينَ يُمْسِي وَثَلَاثًا حِينَ يُصْبِحُ كَفَتَاهُ مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

الثالث قراءة آية الكرسي.

الرابع قراءة سورة البقرة ففي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن البيت الذي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ لَا يَدْخُلُهُ الشَّيْطَانُ».

الخامس خاتمة سورة البقرة فَقَدْ ثَبَّتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ».

السادس أول سورة حم المؤمن إلى قوله ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ ففي الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَمَّ الْمُؤْمِنِ إِلَى قَوْلِهِ ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾، وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ حِينَ يَصْبِحُ حَفِظَ بِهِمَا حَتَّى يُمْسِيَ، وَمَنْ قَرَأَهُمَا حِينَ يُمْسِي حَفِظَ بِهِمَا حَتَّى يَصْبِحَ».

السابع لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة.

ففي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: ﴿مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمِ مِائَةِ مَرَّةٍ،

كانت عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكان حرًّا له من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحدًا بأفضل منه إلا رجل عمل أكثر من ذلك .

الثامن وهو أنفع الحروز من الشيطان كثرة ذكر الله عزَّ وجلَّ وهذا بعينه هو الذي دلت عليه سورة الناس، فإنه وصف الشيطان فيها بأنه الخناس الذي إذا ذكر العبد ربه انحنس فإذا غفل عن ذكر الله التقم القلب وألقى إليه الوسوس، فما أحرز العبد نفسه من الشيطان بمثل ذكر الله عزَّ وجلَّ .

الحرز التاسع الوضوء والصلاة وهذا من أعظم ما يحترز العبد به ولا سيما عند الغضب والشهوة فإنها نار تصلى في قلب ابن آدم، كما روى الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا وإن الغضب جمرَةٌ في قلب ابن آدم فما أطفأ العبد جمرَةَ الغضب والشهوة بمثل الوضوء والصلاة»، فإن الصلاة إذا وقعت بخشوعها والإقبال على الله فيها أذهبت أثر ذلك جملَةً وهذا أمر تجربته تُعني عن إقامة الدليل عليه .

الحرز العاشر إمساك فضول الكلام فإنها تفتح أبواباً من الشر كلها مدخل للشيطان فإمساك فضول الكلام يسد عنك تلك الأبواب .

والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

«فوائد ونصائح ومواعظ وحكم وآداب ووصايا»

من أخلاق المؤمن حسن الحديث، وحسن الاستماع إذا حدث، وحسن البشر إذا لقي، ووفاء الوعد إذا وعد ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه .

سوء الخلق سبب النكد في الحياة والشُرور والآثام، فعلى العاقل اللبيب أن يعرف الأخلاق السيئة ليجنبها، وهي كثيرة ولا يحلوا أحدٌ منها فتفقد نفسك وأزل ما فيها .

فَمِنْ ذَلِكَ الْمَكْرُ، وَالْحَدِيدَةُ وَالْحَيَانَةُ وَالغِشُّ، وَالكَذْبُ، وَالغِيْبَةُ،
وَالنِّيمَةُ، وَالسَّعَايَةُ، وَالظُّلْمُ وَالرِّيَاءُ وَالْعُقُوقُ، وَالْقَطِيعَةُ، وَالْكِبْرُ، وَالْعُجْبُ،
وَالرَّهْوُ، وَالْأَنْفَةُ مِنَ الْمَسْكَنَةِ.

وَالنَّفَاقُ، وَالْحِيَانَةُ، وَالغَدْرُ، وَالْحَسَدُ، وَالغِلُّ، وَالْحِقْدُ، وَالشَّمَاتَةُ،
وَالْبَغْضَاءُ، وَسُوءُ الظَّنِّ، وَالتَّجَسُّسُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

وَإِضْمَارُ السُّوءِ، وَالتَّرْبُصُ بِالدَّوَائِرِ وَمُسَاعَدَةُ الْهَوَى، وَمُخَالَفَةُ الْحَقِّ
وَالرِّضَى بِالْهَوَى وَالْحُبُّ وَالبُغْضُ بِالْهَوَى، وَالْجَفَاءُ.

وَالْقَسْوَةُ، وَقَلَّةُ الرَّحْمَةِ، وَالْجِرْصُ، وَالشَّرُّ وَالطَّمَعُ وَالطَّيْرَةُ، وَالطُّغْيَانُ
بِالْمَالِ، وَالْفَرَحُ بِإِقْبَالِ الدُّنْيَا، وَاسْتِقْلَالُ الرِّزْقِ، وَاحْتِقَارُ النِّعَمِ، وَالْإِحْتِقَارُ
بِمَصَائِبِ الدِّينِ، وَاسْتِعْظَامُ الدُّنْيَا، وَالْحُزْنُ عَلَى مَافَاتِ مِنْهَا.

وَالِاسْتِهَانَةُ بِعِلْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ فِعْلِكَ لِلذَّنْبِ وَالِاسْتِهَانَةُ بِسَمَاعِهِ مَا
يَصْدُرُ مِنْكَ مِنَ الْمَعَاصِي قَوْلًا وَفِعْلًا، وَقَلَّةُ الْحَيَاءِ مِنْ إِطْلَاعِ اللَّهِ عَلَيْكَ وَمِنْ
إِطْلَاعِ مَنْ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدًا، وَأَنْتَ لَوْ أَطَّلَعَ عَلَيْكَ مَخْلُوقٌ
ضَعِيفٌ وَأَنْتَ تَعْمَلُ مَعْصِيَةَ اللَّهِ لِاتْرَعَجْتَ.

فَتَنَّبَهُ لِذَلِكَ وَرَاقِبِ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ وَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ.

شِعْرًا: وَهُوَ الْحَلِيمُ فَلَا يُعَاجِلُ عَبْدَهُ
لَكِنَّهُ يُلْقِي عَلَيْهِ سِتْرَهُ
وَهُوَ الْعَفُوُّ فَعَفُوهُ وَسِعَ الْوَرَى
وَهُوَ الصَّبُورُ عَلَى أَذَى أَعْدَائِهِ
قَالُوا لَهُ وَلَدٌ وَلَيْسَ يُعِيدُنَا
هَذَا وَذَلِكَ بِسَمْعِهِ وَبِعِلْمِهِ
لَكِنْ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ وَهُمْ
بَعْقُوبَةٌ لِيُتُوبَ مِنْ عِصْيَانِ
فَهُوَ السَّتِيرُ وَصَاحِبُ الْغُفْرَانِ
لَوْلَاهُ غَارَ الْأَرْضِ بِالسُّكَّانِ
شَتْمُوهُ بَلْ نَسَبُوهُ لِلْبُهْتَانِ
شَتْمًا وَتَكْذِيبًا مِنَ الْإِنْسَانِ
لَوْ شَاءَ عَاجَلَهُمْ بِكُلِّ هَوَانِ
يُؤْذُونَهُ بِالشِّرْكِ وَالْكَفْرَانِ

«فَصَلِّ»: قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِخْوَانِي إِذَا تَقَرَّبَ النَّاسُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنْوَاعِ الْبِرِّ الظَّاهِرَةِ مِثْلَ الْجِهَادِ وَالْحَجِّ وَالصَّوْمِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَتَأْفِسُوهُمْ فِيهَا وَاجْعَلُوا أَعْظَمَ الرَّغْبَةِ فِي طَاعَةِ الْقُلُوبِ الَّتِي لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا الْإِنْسُ وَلَا الْمَلَائِكَةُ وَلَا الْجِنُّ، وَلَا يَعْلَمُهَا إِلَّا عَلَّامُ الْغُيُوبِ، فَإِنَّ الْقَلِيلَ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ كَثِيرٌ لِسَلَامَتِهِ مِنَ الرِّيَاءِ وَجَمِيعِ الْمُكَدِّرَاتِ.

أَلَا فَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِطَاعَةِ الْقُلُوبِ فَإِنَّ فِيهَا الْمَعْرِفَةَ بِعَظَمَةِ اللَّهِ وَكِبَرِيَّاتِهِ وَجَلَالِهِ وَقُدْرَتِهِ وَعَظِيمِ قَدْرِهِ سُبْحَانَهُ، وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِمَحَابِبِهِ، وَبُغْضِ مَكَارِهِهِ، وَالرِّضَا وَالغَضَبِ لَهُ وَفِيهِ، وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِشِدَّةِ الْحُبِّ لَهُ، وَالْحُبِّ فِيهِ وَبُغْضِ مِنْ أَجْلِهِ، وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِالْمَعْرِفَةِ بِأَيَادِيهِ الْحَسَنَةِ وَنِعْمِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَأَفْعَالِهِ الْجَمِيلَةِ، وَمِنَبِهِ الْمُتَوَاتِرَةِ عَلَى تَوَاتُرِ الْإِسَاءَةِ مِنَّا، وَهُوَ جَلُّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ يَعُودُ بِأَنْوَاعِ النِّعَمِ عَلَيْنَا.

أَلَا فَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالْخَوْفِ مِنْ زَوَالِ النِّعَمِ، وَشِدَّةِ الْحَيَاءِ مِنَ التَّنْصِيرِ فِي الشُّكْرِ، وَتَقَرَّبُوا بِالْوَجَلِ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْإِشْفَاقِ عَلَى إِيمَانِكُمْ، وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِشِدَّةِ الْخَوْفِ مِنْهُ، وَحَقِيقَةِ الرَّجَاءِ فِيهِ، وَالسُّرُورِ بِذِكْرِهِ، وَمُنَاجَاتِهِ، وَالشُّوقِ إِلَيْهِ، وَالرَّغْبَةِ فِي جِوَارِهِ، وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِصِدْقِ الْيَقِينِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالثَّقَّةِ بِهِ وَالتَّطْمَأْنِينَةِ إِلَيْهِ وَالأُنْسِ بِهِ وَالانْقِطَاعِ إِلَيْهِ.

وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالْوَفَاءِ وَلِيْنِ الْجَانِبِ وَالجَنَاحِ وَالتَّوَاضُّعِ وَالتَّخْشُوعِ وَالتَّخَضُّوعِ، وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالْحِلْمِ وَالأَحْتِمَالِ وَكَظْمِ الْعَيْظِ وَتَجَرُّعِ الْمَرَارَةِ، وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِسَلَامَةِ الصَّدْرِ وَإِرَادَةِ الْخَيْرِ لِلأُمَّةِ وَكَرَاهَةِ الشَّرِّ لَهُمْ، وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالتَّشَفُّقَةِ وَالتَّحَوُّطِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالجُودِ وَالكَرَمِ وَالتَّفَضُّلِ وَالإِحْسَانِ وَصِدْقِ الوَفَاءِ.

وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالقَنَاعَةِ وَالعَفَافِ وَالكَفَافِ وَالرِّضَى وَبِالبُلْغَةِ وَاليَأْسِ مِنْ نَائِلِ

الناس، وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ لِكِتَابِهِ وَتَفَهَّمِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ وَالْإِخْلَاصِ، وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِمُجَاهِدَةِ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ وَمُخَالَفَةِ الْهَوَى وَالنَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ وَالتَّفَقُّدِ لِأَحْوَالِكُمْ وَالتَّقْوَى فِي كُلِّ أُمُورِكُمْ وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِأَدَاءِ الْأَمَانَاتِ، وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْمُسِيءِ وَالْإِيثَارِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَإِنْ كَانَ بِكُمْ خِصَاصَةٌ، وَارْغَبُوا فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ .

شِعْرُهُ: وَيَسْأَلُنِي عَنْ حِرْفَتِي قُلْتُ حِرْفَتِي صِيَانَةُ أَوْقَاتِي بِطَاعَةِ خَالِقِي فَقَالَ لَقَدْ أَحْسَنْتَ تَصْرِيْفَ مُدَّةِ لِعُمْرِكَ فَالزَّمَهَا تَفَزُّ بِالسَّعَادَةِ وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِالتَّوَّاضُعِ وَالتَّبَعَادِ عَنِ التَّرَفُّعِ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِالْفَرَجِ بِمَصَائِبِ الدُّنْيَا، وَالرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ، وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِالتَّوَّاضُعِ وَالتَّبَعَادِ عَنِ التَّرَفُّعِ وَالتَّوَّاضُعِ وَالتَّبَعَادِ عَنِ التَّرَفُّعِ وَالتَّوَّاضُعِ وَالتَّبَعَادِ عَنِ التَّرَفُّعِ .

شِعْرًا: دَعِ التَّعْلِيلَ وَالتَّسْوِيفَ وَاقْبَلِ عَلَى مَوْلَاكَ تَعْنَمَ نَيْلَ حَظِّ أَدَمَ بِالْحَزْمِ إِقْبَلًا عَلَيْهِ عَسَى تَحْظَى بِتَوْفِيقِي وَحِفْظِ وَنَقَّ الْقَلْبَ مِنْ شُبُهَاتِ زَيْغِ وَرَدَّ حَوْضَ الشَّرِيعَةِ مَعَ صَفَاءِ وَرَقِّ النَّفْسِ بِالْعِرْفَانِ تَزْكُو عَلَى مَوْلَاكَ تَعْنَمَ نَيْلَ حَظِّ عَسَى تَحْظَى بِتَوْفِيقِي وَحِفْظِ تَرَاهُ مَعْنَوِيًّا ثُمَّ لَفْظِي وَجَانِبَ كُلِّ ذِي حَسَدٍ وَغَيْظِ وَرَقِّ النَّفْسِ بِالْعِرْفَانِ تَزْكُو وَتَظْفَرُ بِالْمُنَى مِنْ كُلِّ وَعْظِ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

«فَضْلٌ»

مِنْ أَنْفَعِ الْحَيَاءِ أَنْ تَسْتَجِي مِنْ اللَّهِ أَنْ تَسْأَلَهُ مَا تُحِبُّ وَتَأْتِي مَا يَكْرَهُ . قَالَ بَعْضُهُمْ رُبَّمَا أَصَلَّى لِلَّهِ رَكَعَتَيْنِ فَانصَرَفَ وَأَنَا مِنَ الْخَجَلِ بِمَنْزِلَةٍ مَنْ يَنْصَرِفُ عَنِ السَّرِقَةِ حَيَاءً مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ أَوْفَهَا حَقَّهَا .

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «الدنيا كلها غموم فما كان منها من سرور فهو ربح»، وقال الجنيد رضي الله عنه لست استبشع ما يرد علي لأني قد أصلت أصلاً وهو أن الدنيا دار هم وغم وبلاء وفتنة وإن العالم كله شر .

ومن حُكْمِهِ أَنْ يَتَلَقَّانِي بِكُلِّ مَا أَكْرَهُ فَإِنْ تَلَقَّانِي بِمَا أَحِبُّ فَهُوَ فَضْلٌ وَإِلَّا
فَالْأَصْلُ هُوَ الْأَوَّلُ .

وقال بعضهم يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ تُحِبُّونَ الرُّوحَ وَالرُّوحَ لِلَّهِ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ
وَالْمَالَ لِلْوَرَثَةِ وَتَطْلُبُونَ اثْنَيْنِ وَلَا تَجِدُونَهُمَا الرَّاحَةَ وَالْفَرَجَ وَهُمَا فِي الْجَنَّةِ ،
فَالْوَاجِبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ لَا يُوطِنَ نَفْسَهُ عَلَى الرَّاحَةِ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَرْكَنَ فِيهَا إِلَى
مَا يَقْتَضِي فَرَحًا وَأُنْسًا وَأَنْ يَعْمَلَ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنْهُ أَبُو هُرَيْرَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ» .

فَتَوَطِّئُ الْعَبْدُ نَفْسَهُ عَلَى الْمِحَنِ يُهَوَّنُ عَلَيْهِ مَا يَلْقَاهُ وَيَجِدُ السُّلُونَ عِنْدَ
مَا يَهْوَاهُ .

شِعْرًا: يُمَثَّلُ ذُو اللَّبِّ فِي لُبِّهِ شِدَائِدُهُ قَبْلَ أَنْ تُنْزِلَا
فَإِنْ نَزَلَتْ بَعْتَةٌ لَمْ تُرْعَهُ لِمَا كَانَ فِي نَفْسِهِ مَثَلًا
رَأَى الْأَمْرَ يُفْضِي إِلَى آخِرٍ فَصَيَّرَ آخِرَهُ أَوَّلًا
وَذُو الْجَهْلِ يَأْمَنُ أَيَّامَهُ وَيَنْسَى مَصَارِعَ مَنْ قَدْ حَلَا
فَإِنْ دَهَمَتْهُ صُرُوفُ الزَّمَانِ بَعْضِ مَصَائِبِهِ أَعْوَلًا
وَلَوْ قَدَّمَ الْحَزْمَ فِي نَفْسِهِ لَعَلَّمَهُ الصَّبْرَ عِنْدَ الْبَلَا

فَعَلَى الْإِنْسَانِ الْعَاقِلِ أَنْ يَتَلَقَّى مَا يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَصَائِبِ وَالْهُمُومِ وَالْعُمُومِ
وَالْإِنْكَادِ بِالصَّبْرِ وَالرِّضَا وَالْإِسْتِسْلَامِ عِنْدَ جَرَيَانِ الْقَضَاءِ .

فَعَنْ قَرِيبٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى يَنْجَلِي الْأَمْرُ وَيَسْتَوْجِبُ مِنَ اللَّهِ جَلًّا وَعَلَا
جَزِيلَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ ، وَقَالَ أَحَدُ الزُّهَادِ جُوعٌ قَلِيلٌ ، وَعُرْيٌ
قَلِيلٌ وَذَلٌّ قَلِيلٌ ، وَصَبْرٌ قَلِيلٌ وَقَدْ انْقَضَتْ عَنْكَ أَيَّامُ الدُّنْيَا ، وَقَالَ آخِرُ الصَّبْرِ
جَمَاعُ كُلِّ فَضِيلَةٍ وَمَلَائِكُ كُلِّ فَائِدَةٍ جَزِيلَةٍ وَمَكْرَمَةٌ نَبِيلَةٌ .

قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ

بِمَا صَبَرُوا ﴿١﴾ ، وقال جل وعلا وتقدس ﴿٢﴾ وجعلناهم أئمةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا ﴿٣﴾ ، وقال جل وعلا وتقدس ﴿٤﴾ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴿٥﴾ .

مَنْ أَنْزَلَ حَوَائِجَهُ بِاللَّهِ تَعَالَى وَالتَّجَاؤَ إِلَيْهِ وَتَوَكَّلَ فِي أَمْرِهِ كُلِّهِ عَلَيْهِ كَفَاهُ كُلَّ مُؤْتَةٍ ، وَقَرَّبَ عَلَيْهِ كُلَّ بَعِيدٍ ، وَيَسَّرَ عَلَيْهِ كُلَّ عَسِيرٍ ، وَمَنْ سَكَنَ إِلَى عِلْمِ نَفْسِهِ وَعَقْلِهِ ، وَاعْتَمَدَ عَلَى قُوَّتِهِ وَحَوْلِهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ وَخُذِلَ وَحُرِمَ التَّوْفِيقَ فَلَمْ تَنْجَحْ مَطَالِبُهُ وَلَمْ تَتَيَسَّرَ مَآرِبُهُ .

شِعْرًا: أَقَرَّ عَلَى حُكْمِ الرَّدَى الْمُتَحَمِّطُ
عَلَيْكَ سَبِيلُ الْخَيْرِ وَأَنْظُرْ إِلَى الَّذِي
وَإِيَّاكَ وَالتَّفْرِيطَ فِي الْبِرِّ وَالتُّقَى
وَاحَاوُلْ مِنَ الدُّنْيَا الدُّنْيَةَ مَخْلَصًا
لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرَ مَا عَزَّ قَاسِطٌ
تَبْرًا غَالٍ مِنْ مَسَاعِيهِ مُسْرِفٌ
سَيَخْفِضُ الطَّمَّاحُ إِثْمًا وَعِزَّةً
آخِرًا: سَهَوْنَا عَنْ مُسَاوَرَةِ الْمَنَايَا
وَعَرَّثْنَا مُسَاعَدَةَ الْأَمَانِي
وَكَمْ نَادَتْ فَاسْمَعَتِ اللَّيَالِي
مُجَاهِرَةً بِنُكْرِ دُونَ عُرْفِ
يَطُولُ تَعَجُّبِي مَنَا حَلَلْنَا
وَلَمْ أَرْ مِثْلَنَا سَفْرًا تَبَارَوْا

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا تَوْفِيقًا يَقِينًا عَنْ مَعَاصِيكَ وَأَرَشِدْنَا إِلَى السَّعْيِ فِيمَا يُرْضِيكَ
وَأَجِرْنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ خِزْيِكَ وَعَذَابِكَ وَهَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِأَوْلِيَائِكَ وَأَحْبَابِكَ
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصَلِّ»: فَإِذْ - قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: لِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عِنْدَ الْمَوْتِ تَأْتِي عَظِيمٌ فِي تَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ وَاحْبَابِهَا لِأَنَّهَا شَهَادَةٌ مِنْ عَبْدٍ مُوقِنٍ بِهَا عَارِفٍ بِمَضْمُونِهَا قَدْ مَاتَتْ مِنْهُ الشَّهَوَاتِ وَلَآئِذَا نَفْسُهُ الْمُتَمَرِّدَةُ وَانْقَادَتْ بَعْدَ إِبَائِهَا، وَأَقْبَلَتْ بَعْدَ أُعْرَضِهَا، وَذَلَّتْ بَعْدَ عِزِّهَا وَخَرَجَ مِنْهَا حِرْصُهَا عَلَى الدُّنْيَا وَفُضُولُهَا وَاسْتَحْدَثَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهَا وَفَاطَرِهَا وَمَوْلَاهَا الْحَقُّ أَذَلَّ مَا كَانَتْ لَهُ وَأَرْجَى مَا كَانَتْ لِعَفْوِهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَتَجَرَّدَ مِنْهَا التَّوْحِيدُ بِانْقِطَاعِ أَسْبَابِ الشَّرِكِ وَتَحَقُّقِ بُطْلَانِهِ.

فَزَالَتْ مِنْهَا تِلْكَ الْمُنَازَعَاتِ الَّتِي كَانَتْ مَشْغُولَةً بِهَا، وَاجْتَمَعَ هُمُهَا عَلَى مَنْ أَيْقَنْتَ بِالْقُدُومِ عَلَيْهِ وَالْمَصِيرِ إِلَيْهِ، فَوَجَّهَ الْعَبْدُ وَجْهَهُ بِكُلِّيَّتِهِ إِلَيْهِ، وَأَقْبَلَ بِقَلْبِهِ وَرُوحِهِ وَهَمَّهُ عَلَيْهِ، فَاسْتَسَلَّمَ لِلَّهِ وَخَدَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَاسْتَوَى سِرُّهُ وَعَلَانِيَتُهُ.

فَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ، وَقَدْ تَخَلَّصَ مِنَ التَّعَلُّقِ بغيرِهِ وَالْإِتْنَفَاتِ إِلَى مَا سِوَاهُ، قَدْ خَرَجَتْ الدُّنْيَا كُلَّهَا مِنْ قَلْبِهِ وَشَارَفَ الْقُدُومَ عَلَى رَبِّهِ، وَحَمَدَتْ نيرانَ شَهَوَاتِهِ، وَامْتَلَأَ قَلْبُهُ مِنَ الْآخِرَةِ، فَصَارَتْ تُصَبُّ عَيْنِيهِ، وَصَارَتْ الدُّنْيَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ.

فَكَانَتْ تِلْكَ الشَّهَادَةُ الْخَالِصَةُ خَاتِمَةَ عَمَلِهِ فَطَهَّرَتْهُ مِنْ ذُنُوبِهِ وَأَدْخَلَتْهُ عَلَى رَبِّهِ لِأَنَّهُ لَقِيَ رَبَّهُ بِشَهَادَةٍ صَادِقَةٍ خَالِصَةٍ وَافَقَ ظَاهِرُهَا بَاطِنُهَا وَسِرُّهَا عَلَانِيَتُهَا فَلَوْ حَصَلَتْ لَهُ الشَّهَادَةُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ فِي أَيَّامِ الصَّحَّةِ لَاسْتَوْحَشَ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَهْلَيْهَا وَفَرَّ إِلَى اللَّهِ مِنَ النَّاسِ وَأَنْسَ بِهِ دُونَ مَنْ سِوَاهُ، لَكِنَّهُ شَهِدَ بِهَا بِقَلْبٍ مَشْحُونٍ بِالشَّهَوَاتِ وَحُبِّ الْحَيَاةِ وَأَنْسَ بِهَا وَنَفْسٍ مَمْلُوءَةٍ بِطَلَبِ الْحُظُوظِ وَالْإِتْنَفَاتِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ فَلَوْ تَجَرَّدَتْ كَتَجَرَّدِهَا عِنْدَ الْمَوْتِ لَكَانَ لَهَا نَبَأٌ آخَرُ وَعَيْشٌ آخَرُ سِوَى عَيْشِهَا الْبِهَيْمِيِّ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

شِعْرًا: إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا
فَلْفُرُوضٍ لَا تُهْمِلْ
شِعْرًا: أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرَأَ يَحْبِسُ مَالَهُ
كَأَنَّ الْحُمَاةَ الْمُشْفِقِينَ عَلَيْكَ قَدْ
وَمَا هُوَ إِلَّا النَّعْشُ لَوْ قَدْ أَتَوْ بِهِ
وَمَا هُوَ إِلَّا حَادِثٌ بَعْدَ حَادِثٍ
وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ يَأْتِي لَوَقْتِهِ
أَلَا وَإِذَا وُدَّعَتْ تُودِيعَ هَالِكٍ
أَلَا وَكَمَا شِيعَتْ يَوْمًا جَنَائِزًا
رَأَيْتَكَ فِي الدُّنْيَا عَلَى ثِقَةٍ بِهَا
وَصَفَتْ النَّقَى وَصَفًا كَأَنَّكَ ذُو ثِقَى
وَلَمْ تُعْنَ بِالْأَمْرِ الَّذِي هُوَ وَاقِعٌ
وَأِنَّكَ لِلْمَنْقُوصِ فِي كُلِّ حَالَةٍ
وَمَا زِلْتُ أَرْمِي كُلَّ يَوْمٍ بِعَبْرَةٍ
فَمَا بَالُ عَيْنِي لَا تَجُودُ بِمَائِهَا
تَبَارَكَ مَنْ لَا يَمْلِكُ الْمُلْكَ غَيْرُهُ
وَأَيُّ أَمْرٍ فِي غَايَةِ لَيْسَ نَفْسُهُ
وَبَعْضُ بَنِي الدُّنْيَا لِبَعْضٍ ذَرِيعَةٌ
يُجِبُّ السَّعِيدُ الْعَدْلَ عِنْدَ احْتِجَاجِهِ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى نَهْجِ الْإِسْتِقَامَةِ وَأَعِزَّنَا مِنْ مُوجِبَاتِ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَخَفِّفْ عَنَّا ثِقْلَ الْأَوْزَارِ، وَارْزُقْهَا عَيْشَةَ الْأَبْرَارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« مَوْعِظَةٌ »

عِبَادَ اللَّهِ كُلَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ حَيَاتِنَا مَهْمَا امْتَدَّتْ وَصَفَتْ لِلزَّوَالِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ
وَاحِدٍ مِنَّا يَعْلَمُ أَنَّهُ أَتَى لِلدُّنْيَا لِلاخْتِبَارِ بِمَا كُفَلْنَا بِهِ مِنَ الْعِبَادَاتِ وَالْمَعَامَلَاتِ،
وَسَيُصْبِحُ الْوَاحِدُ مِنَّا عَمَّا قَرِيبٍ فِي حُفْرَةٍ وَحِيداً لَيْسَ مَعَهُ أَوْلَادٌ وَلَا أَمْوَالٌ،
وَحِينَئِذٍ تَكُونُ أَيُّهَا الْأَخُ كَأَنَّكَ مَا رَأَيْتَ الدُّنْيَا وَلَا هِيَ رَأَتْكَ لِحِظَّةٍ مِنْ
اللَّحِظَاتِ .

وَيَا لَيْتَكَ إِذَا زَالَتْ الْحَيَاةُ تَزُولُ دُونَ أَنْ يَتَرْتَّبَ عَلَيْهَا آثَارٌ لَوْ كَانَ ذَلِكَ
لأَحَبَّ بَعْضُنَا الْمَوْتَ، لِأَنَّهُ يَكُونُ بَشِيرًا بَانْتِهَاءِ الْأَمْرَاضِ وَالْمَصَائِبِ وَالْآلَامِ،
لَكِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ يَعْقُبُ ذَلِكَ الْمَوْتَ أَهْوَالٌ، وَأُمُورٌ مُزْعِجَاتٌ، ثَلَاثِي جَزَاءَ مَا
كَانَ مِنْكَ قَبْلَ الْمَوْتِ فِي الْاِخْتِبَارِ .

فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَحْسَنْتَ، رَأَيْتَ قَبْرَكَ رَوْضَةً نَعِيمٍ، وَإِنْ كُنْتَ مُسِيئًا رَأَيْتَهُ
نِيرَانًا مُحْرِقَاتٍ .

عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ كُنَّا فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَمَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمْ يُلْحَدْ، وَوُضِعَتِ الْجَنَازَةُ، وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،
فَقَالَ: «إِنَّ الْمَوْتِمَانَ إِذَا احْتَضَرَ، أَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، وَأَطْيَبِ
رِيحًا، فَجَلَسَ عِنْدَهُ، لِقَبْضِ رُوحِهِ، وَأَتَاهُ مَلَكَانِ بِحَنُوطٍ مِنَ الْجَنَّةِ وَكَانَا مِنْهُ
عَلَى بَعِيدٍ فَاسْتَخْرَجَ مَلَكُ الْمَوْتِ رُوحَهُ مِنْ جَسَدِهِ رَشْحًا .

فَإِذَا صَارَتْ إِلَى مَلَكِ الْمَوْتِ ابْتَدَرَهَا الْمَلَكَانِ فَأَخَذَاهَا مِنْهُ فَحَنَطَاهَا
بِحَنُوطٍ مِنَ الْجَنَّةِ وَكَفَّنَاهَا بِكَفْنٍ مِنَ الْجَنَّةِ ثُمَّ عَرَجَا بِهَا إِلَى الْجَنَّةِ، فَتُفْتَحُ لَهُ
أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُسَبِّحُ الْمَلَائِكَةُ بِهَا وَيَقُولُونَ لِمَنْ هَذِهِ الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ الَّتِي
فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ .

وَيُسَمَّى بِأَحْسَنِ الْأَسْمَاءِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، فَيُقَالُ هَذِهِ رُوحُ

فَلَا نِ فَإِذَا صَعَدَا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ شَبَّعَهَا مُقَرَّبُوا كُلَّ سَمَاءٍ، حَتَّى تُوَضَعَ بَيْنَ يَدَيْ
اللَّهِ عِنْدَ الْعَرْشِ، فَيُخْرَجُ عَمَلُهَا مِنْ عِلِّيِّينَ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُقَرَّبِينَ اشْهَدُوا
أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَصَاحِبِ هَذَا الْعَمَلِ، وَيُحْتَمُّ كِتَابُهُ فَيُرَدُّ فِي عِلِّيِّينَ .

فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رُدُّوا رُوحَ عَبْدِي إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي وَعَدْتُهُمْ أَنِّي
أُرُدُّهُمْ فِيهَا .

ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً
أُخْرَى ﴾ فَإِذَا وُضِعَ الْمُؤْمِنُ فِي لَحْدِهِ تَقُولُ لَهُ الْأَرْضُ إِنْ كُنْتَ لَحَبِيبًا إِلَيَّ وَأَنْتَ
عَلَى ظَهْرِي، فَكَيْفَ إِذْ صِرْتَ الْيَوْمَ فِي بَطْنِي سَأْرِيكَ مَا أَصْنَعُ بِكَ، فَيَمْسُحُ لَهُ
فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا وُضِعَ الْكَافِرُ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ فَيَجْلِسَانِهِ
فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ، فَيَقُولُ لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ لَهُ لَا دَرَيْتَ، فَيَضْرِبَانِهِ ضَرْبَةً
فَيَصِيرُ رَمَادًا، ثُمَّ يُعَادُ فَيَجْلِسُ فَيَقَالُ لَهُ مَا قَوْلُكَ فِي هَذَا الرَّجُلِ، فَيَقُولُ أَيُّ
رَجُلٍ فَيَقُولَانِ مُحَمَّدٌ ﷺ فَيَقُولُ قَالَ النَّاسُ إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَضْرِبَانِهِ
ضَرْبَةً فَيَصِيرُ رَمَادًا .

وَيَأْتِيَتِ الْأُمْرُ بِنْتَيْهِ، وَيَقِفُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ، فَتَبْقَى فِي قَبْرِكَ عَلَى الدَّوَامِ،
فَإِنَّهُ أَحْفُفٌ مِمَّا بَعْدَهُ، فَتَكُونُ آلَمَكَ فِيهِ أَحْفُفٌ إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ
وَالْآثَامِ، وَلَكِنْ تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْبَرَ بِهِ اللَّهُ سَيَقَعُ، وَهُوَ الْقِيَامُ مِنَ الْقُبُورِ، قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وَحِينَئِذٍ تَسْوِقُكَ نَتِيجَةُ اخْتِبَارِكَ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى السَّعِيرِ، مَنْ كَانَ
مَكْذَبًا بِهَذَا وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ فَلَا كَلَامَ لَنَا مَعَهُ، لِأَنَّ مَالَهُ إِلَى جَهَنَّمَ وَبَسَسَ الْمِهَادِ
لِأَنَّهُ مِنَ الْكَافِرِينَ، وَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا بِذَلِكَ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَهُوَ الَّذِي
تُمَيِّدُ فِيهِ الْمَوَاعِظُ وَضَرْبِ الْأَمْثَالِ وَيُقَالُ لِمَاذَا تَرَكَ مُتَّصِفًا بِمَا يُخَالِفُ قَوْلَكَ .

شِعْرًا: فَأَكْثُرُ مَنْ تَلَقَى يَسْرُكَ قَوْلُهُ وَلَكِنْ قَلِيلٌ مَنْ يَسْرُكَ فِعْلُهُ
اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْعَفْلَةِ وَتَبَهَّنَا
لِإِعْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهَلَّةِ وَوَقِّفْنَا لِمَصَالِحِنَا وَأَعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا
انْطَلَقْتَ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْتَنَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعَلَّمَهَا
مِنَّا، وَأَمُنْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا عَنَّا كُلَّ ذَنْبٍ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وَحَتَّامٌ لَا تَصْحُو وَقَدْ قَرَّبَ الْمَدَى وَحَتَّامٌ لَا يَنْجَابُ عَنْ قَلْبِكَ السُّكْرُ
بَلَى سَوْفَ تَصْحُو حِينَ يَنْكَشِفُ الْعَطَا وَتَذَكُرُ قَوْلِي حِينَ لَا يَنْفَعُ الذِّكْرُ
آخِر: وَمُنْتَظِرٍ لِلْمَوْتِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ يَشِيدُ وَيَنْبِي دَائِمًا وَيُحْصِنُ
لَهُ حِينَ تَبْلُوهُ حَقِيقَةُ مُوقِنٍ وَأَفْعَالُهُ أَفْعَالُ مَنْ لَيْسَ يُوقِنُ

«فصلٌ يحتوي على الإنكار على المنحرفين»

تَرَكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ فِي مَا يُعْضِبُ مَوْلَاكَ فَلِسَائِكَ فِي مَيْدَانِ الْفَحْشِ،
وَمُنْكَرِ الْقَوْلِ جَوَادٍ عَظِيمٍ وَعَيْنِكَ فِي أَوْدِيَةِ النَّظَرَاتِ الْحَائِبَةِ دَائِمًا تَجُولُ
وَتَهِيمُ، وَفَرَجِكَ لَا يَتَهَيَّبُ أَنْ يَتَجَاوَزَ أَرْضَهُ الطَّيِّبَةَ إِلَى الْأَرْضِ الْوَيْبَةِ الْحَبِيبَةِ
وَأَمَّا بَطْنُكَ فَلَا يَعْفُ عَنْ أَحَبِّ الْمَأْكُولَاتِ، وَأَمَّا أُذُنُكَ فَمُصْغِيَةٌ وَسَامِعَةٌ إِلَى
مَا لَا يَحِلُّ مِنَ الْكَلَامِ .

وَأَمَّا رِجْلُكَ فَسَاعِيَةٌ إِلَى الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ، وَأَمَّا يَدُكَ فَبَاطِشَةٌ بِالضَّعِيفِ
دُونَ تَوْقِعٍ، فَيَا مَسْكِينُ إِنَّ الْمَعَاصِي عُدُوٌّ مُبِينٌ، يَعْلَمُ ذَلِكَ كُلُّ مُؤْمِنٍ عَاقِلٌ
فَضَلَّ عَنْ الْمُؤْمِنِ يُلْقِي نَفْسَهُ فِيهَا، فَانْعِظْ وَتَنَّبَّهُ أَيُّهَا الْأَخُ وَبَرِّهْنِ عَلَى أُنْكَ
تُمِيزُ بَيْنَ النَّافِعِ وَالضَّارِّ .

شِعْرًا: إِنَّ فِي الْمَوْتِ وَالْمَعَادِ لَشُغْلًا وَادِّكَارَ الْيَدِي النَّهْيِ وَبَلَاغًا

فَاغْتَبِمُ خَصَلْتَيْنِ قَبْلَ الْمَنَائِيَا صِحَّةَ الْجِسْمِ يَا أَحْيَى وَالْفَرَاعَا
 آخِرُ: فَبَادِرُ مَتَاباً قَبْلَ يُغْلَقُ بَابُهُ وَتُطْوَى عَلَى الْأَعْمَالِ صُحُفُ التَّرْوُدِ
 وَمَثَلُ وُرُودِ الْقَبْرِ مَهْمَا رَأَيْتُهُ لِنَفْسِكَ نَفَاعاً فَقَدَّمَهُ تَسَعَّدِ

آخِرُ:

يَاطَالِبَا رَاحَةً مِنْ دَهْرِهِ عَبَثاً أَقْصِرْ فَمَا الْوَقْتُ إِلَّا بِالْهُمُومِ مُلِي
 كَمْ مَنْظَرٍ رَائِقٍ أَفْنَتْ جَمَالَتَهُ يَدُ الْمُنُونِ وَأَعْيَتْهُ عَنِ الْحِيَلِ
 وَكَمْ هُمَامٍ وَكَمْ قَرَمٍ وَكَمْ مَلِكٍ تَحْتَ التَّرَابِ وَكَمْ شَهْمٍ وَكَمْ بَطَلٍ
 وَكَمْ إِمَامٍ إِلَيْهِ تَنْتَهِي دُؤْلٌ قَدْ صَارَ بِالْمَوْتِ مَعْرُولاً عَنِ الدُّوَلِ
 وَكَمْ عَزِيزٍ أَذَلَّتْهُ الْمُنُونُ وَمَا أَنْ صَدَّهَا عَنْهُ مِنْ مَالٍ وَلَا حَوَلِ
 يَاعَارِفَا دَهْرُهُ يَكْفِيكَ مَعْرِفَةً وَإِنْ جَهَلْتَ تَصَارِيفَ الزَّمَانِ سَلِ
 هَلْ فِي زَمَانِكَ أَوْ مَا قَبْلَهُ سَمِعْتَ أَذْنَاكَ أَنْ ابْنَ أَتْنَى غَيْرُ مُنْتَقِلِ
 وَهَلْ رَأَيْتَ أَنَا سَاءً قَدْ عَلُوا وَغَلُوا فِي الْفَضْلِ زَادُوا بِمَا نَالُوا عَنِ الْأَجْلِ
 أَوْ هَلْ نَسِيتَ «لِدُوا لِلْمَوْتِ» أَوْ عَمِيتَ عَيْنَاكَ عَنِ وَاضِعِ نَعْشَا وَمُحْتَمِلِ
 وَهَلْ رَعَى الْمَوْتُ ذَا عِزٍّ لِعِزَّتِهِ أَوْ هَلْ خَلَا أَحَدٌ دَهْرًا بِلا خَلِيلِ
 الْمَوْتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ دَاخِلُهُ لَكِنَّ ذَا الْفَضْلِ مَحْمُولٌ عَلَى عَجَلِ
 وَلَيْسَ فَقْدُ إِمَامٍ عَالِمٍ عَالِمٍ كَفَقْدِ مَنْ لَيْسَ ذَا عِلْمٍ وَلَا عَمَلِ
 وَلَيْسَ مَوْتُ الذِّي مَاتَتْ لَهُ أُمَّمٌ كَمَوْتُ شَخْصٍ مِنَ الْأَوْغَادِ وَالسَّفَلِ

اللَّهُمَّ بِيَّتْ وَقْوِي إِيْمَانَنَا بِكَ وَمَلَئِكَتِكَ وَكُتُبِكَ وَرُسُلِكَ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
 وَالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، اللَّهُمَّ الْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لَامِتِئَالَ أَمْرِكَ وَاغْفِرْ
 لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصَلِّ فِي الرَّجَاءِ»

الرَّجَاءُ فَيْلٌ فِي تَعْرِيفِهِ هُوَ ارْتِيَاخٌ لِانْتِظَارِ مَا هُوَ مَحْبُوبٌ عِنْدَ الْإِنْسَانِ

وَلَكِنَّ ذَلِكَ الْمَتَوَقَّعَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ سَبَبٍ حَاصِلٍ، فَإِنْ لَمْ يَكُنِ السَّبَبُ مَعْلُومًا
الْوُجُودِ وَلَا مَعْلُومَ الْإِنْتِقَاءِ سُمِّيَ تَمَنِّيًّا لِأَنَّهُ انْتِظَارٌ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ وَلَا يُطْلَقُ اسْمُ
الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ إِلَّا عَلَى مَا يُتَرَدَّدُ فِيهِ.

فَأَمَّا مَا لَا يُتَرَدَّدُ فِيهِ وَيُقْطَعُ بِهِ فَلَا إِذَا، لَا يُقَالُ أَرْجُو طُلُوعَ الشَّمْسِ
وَلَكِنْ يُقَالُ أَرْجُو نَزُولَ الْمَطَرِ، وَأَخَافُ انْقِطَاعَهُ وَضِدُّ الرَّجَاءِ الْيَأْسُ وَهُوَ
تَذَكُّرُ قُوَّةِ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَقَطْعُ الْقَلْبِ عَنْ ذَلِكَ، وَالْيَأْسُ مَعْصِيَةٌ، قَالَ تَعَالَى
إِنْخَبَارًا عَمَّا قَالَهُ يَعْقُوبُ ﴿وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا
الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.

شِعْرًا: لَا تَرْجُ عَيْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ واقطع عرى الآمال من خلقه
لَا تَطْلُبِ الْفَضْلَ مِنْ غَيْرِهِ واضنن بماء الوجه واستبقه
فَالرِّزْقُ مَقْسُومٌ وَمَا لِمَرِيءٍ يكون طول الدهر في رقه
آخِر: التمس الأرزاق عند الذي ما دونه إن سئل من حاجب
وَمَنْ إِذَا قَالَ جَرَى قَوْلُهُ بغير توقيح من الكاتب

وَمُقَدِّمَاتُ الرَّجَاءِ أَرْبَعٌ، الْأُولَى: ذَكَرُ سَوَابِقِ فَضْلِ اللَّهِ إِلَى الْعَبْدِ،
وَالثَّانِيَّةُ: ذَكَرُ مَا وَعَدَ اللَّهُ مِنْ جَزِيلِ ثَوَابِهِ وَعَظِيمِ كَرَمِهِ وَجُودِهِ دُونَ اسْتِحْقَاقِهِ
أَوْ سُؤَالِ، الثَّلَاثَةُ: ذَكَرُ كَثْرَةَ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكَ فِي أَمْرِ دِينِكَ وَبَدَنِكَ وَدُنْيَاكَ فِي
الْحَالِ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَمْدَادِ وَالْأَلْطَافِ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ أَوْ سُؤَالِ، وَالرَّابِعَةُ:
ذَكَرُ سَعَةَ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَسَبَقَهَا غَضَبُهُ وَأَنَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْعَنِي الْكَرِيمُ
الرَّؤُوفُ بَعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقُوَّةُ الرَّجَاءِ عَلَى حَسَبِ قُوَّةِ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ وَأَسْمَائِهِ
وَصِفَاتِهِ وَغَلَبَةِ رَحْمَتِهِ غَضَبَهُ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فَالرَّجَاءُ ضَرْوَرِيٌّ لِلْمُرِيدِ السَّالِكِ وَالْعَارِفِ لَوْ
فَارَقَهُ لِحِظَّةٍ لَتَلَفَ أَوْ كَادَ فَإِنَّهُ دَائِرٌ بَيْنَ ذَنْبٍ يَرْجُو غُفْرَانَهُ وَعَيْبٍ يَرْجُو
إِصْلَاحَهُ وَعَمَلٍ صَالِحٍ يَرْجُو قَبُولَهُ وَاسْتِقَامَةً يَرْجُو حُصُولَهَا وَدَوَامَهَا.

وَقُرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَنْزِلَةٍ عِنْدَهُ يَرْجُو وَصَوْلَةً إِلَيْهَا وَالرَّجَاءُ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي
يَنَالُ بِهَا الْعَبْدُ مَا يَرْجُوهُ مِنْ رَبِّهِ بَلْ هُوَ مِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ .. أهد .

وَقَالَ فِي مُخْتَصَرٍ مِنْهَا جِ النَّاصِدِينَ: وَقَدْ عَلِمَ أَرْبَابُ الْقُلُوبِ أَنَّ الدُّنْيَا
مَزْرَعَةٌ الْآخِرَةِ وَالْقَلْبُ كَالْأَرْضِ وَالْإِيمَانُ كَالْبَذْرِ فِيهَا وَالطَّاعَاتُ جَارِيَةٌ مَجْرَى
تَنْفِيَةِ الْأَرْضِ وَتَطْهِيرِهَا، وَمَجْرَى حَفْرِ الْأَنْهَارِ وَسِيَاقَةِ الْمَاءِ إِلَيْهَا .

وَأَنَّ الْقَلْبَ الْمُسْتَعْرِقَ بِالدُّنْيَا كَالْأَرْضِ السَّيِّحَةَ الَّتِي لَا يَنْمُو فِيهَا الْبَذْرُ
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُوَ يَوْمُ الْحَصَادِ، وَلَا يَخْصُدُ أَحَدٌ إِلَّا مَا زَرَعَ وَلَا يَنْمُو زَرْعٌ إِلَّا
مَنْ بَذَرَ الْإِيمَانَ، وَقَالَ أَنْ يَنْفَعَ إِيْمَانٌ مَعَ خُبْثِ الْقَلْبِ وَسُوءِ أَخْلَاقِهِ، كَمَا
لَا يَنْمُو الْبَذْرُ فِي الْأَرْضِ السَّيِّحَةِ .

فَيَنْبَغِي أَنْ يُقَاسَ رَجَاءُ الْعَبْدِ الْمَغْفِرَةَ بِرَجَاءِ صَاحِبِ الزَّرْعِ، فَكُلُّ مَنْ طَلَبَ
أَرْضًا طَيِّبَةً وَالْقَى فِيهَا بُرًّا جَيِّدًا غَيْرَ مُسَوِّسٍ وَعَعْفِيٍّ، ثُمَّ سَاقَ إِلَيْهَا الْمَاءَ فِي
أَوْقَاتِ الْحَاجَةِ وَتَقَى الْأَرْضَ مِنَ الشُّوكِ وَالْحَشْيِشِ وَمَا يُفْسِدُ الزَّرْعَ .

ثُمَّ جَلَسَ يَنْتَظِرُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى دَفَعَ الصَّوَاعِقِ وَالْآفَاتِ الْمُفْسِدَةِ إِلَى
أَنْ يَتِمَّ الزَّرْعُ وَيَبْلُغَ غَايَتَهُ، فَهَذَا يُسَمَّى انْتِظَارَهُ رَجَاءً، فَأَمَّا إِنْ بَذَرَ فِي أَرْضٍ
سَيِّحَةٍ صَلْبَةٍ مُرْتَفِعَةٍ لَا يَصِلُ إِلَيْهَا الْمَاءُ وَلَمْ يَتَعَاهَدَهَا أَصْلًا ثُمَّ انْتَظَرَ الْحَصَادَ
فَهَذَا يُسَمَّى انْتِظَارَهُ حُمْقًا وَعُزُورًا لَا رَجَاءً .

وَإِنْ بَثَّ الْبَذْرَ فِي أَرْضٍ طَيِّبَةٍ، وَلَكِنْ لَا مَاءَ لَهَا وَأَخَذَ يَنْتَظِرُ مِيَاهَ الْأَمْطَارِ
سُمِّيَ انْتِظَارَهُ تَمَنِّيًّا لَا رَجَاءً، فَإِنَّ اسْمَ الرَّجَاءِ إِنَّمَا يَصْدُقُ عَلَى انْتِظَارِ
مَحْبُوبٍ، تَمَهَّدَتْ أَسْبَابُهُ الدَّاخِلَةُ تَحْتَ اخْتِيَارِ الْعَبْدِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَا لَيْسَ إِلَى
اخْتِيَارِهِ، وَهُوَ فَضْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِصَرْفِ الْمَوَانِعِ الْمُفْسِدَاتِ .

فَالْعَبْدُ إِذَا بَثَّ بَذْرَ الْإِيمَانِ وَسَقَاهُ مَاءَ الطَّاعَاتِ، وَطَهَّرَ الْقُلُوبَ مِنَ شُوكِ
الْأَخْلَاقِ الرَّدِيئَةِ وَانْتَظَرَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى ثَبَاتَهُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْمَوْتِ، وَحَسَنَ

الْحَاتِمَةَ الْمُفْضِيَةَ إِلَى الْمَغْفِرَةِ كَانَ انْتِظَارُهُ لِذَلِكَ رَجَاءً مَحْمُوداً بَاعِثاً عَلَى
الْمُؤَاطَبَةِ عَلَى الطَّاعَاتِ وَالْقِيَامِ بِمُقْتَضَى الْإِيمَانِ إِلَى الْمَوْتِ .

شِعْرًا: تَرَى الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا، فَتَصْبُو وَمَا يَحْلُو مِنْ الشَّهَوَاتِ قَلْبُ
فُصُولِ الْعَيْشِ أَكْثَرُهَا هُمُومٌ وَأَكْثَرُ مَا يَضُرُّكَ مَا تُحِبُّ
فَلَا يَغْرُوكَ زُخْرُفُ مَا تَرَاهُ، وَعَيْشٌ لَيْسَ الْأَعْطَافِ رَطْبُ

وَإِنْ قَطَعَ بَدَرَ الْإِيمَانِ عَنِ تَعَهُدِهِ بِمَاءِ الطَّاعَاتِ أَوْ تَرَكَ الْقَلْبَ مَشْحُونًا
بِرِذَائِلِ الْأَخْلَاقِ وَأَنْهَمَكَ فِي طَلَبِ لَذَاتِ الدُّنْيَا، ثُمَّ انْتَهَرَ الْمَغْفِرَةَ كَانَ ذَلِكَ
حُكْمًا وَعُرُورًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ
يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا، وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ
يَأْخُذُوهُ ﴾، وَذَمَّ الْقَائِلَ: ﴿ وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾ .

شِعْرًا: أَفِي السَّبْحَاتِ يَامَعْبُودُ تَبْنِي وَمَا أَبْقَى السَّبَّاحُ عَلَى الْأَسَاسِ
ذُنُوبُكَ جَمَّةٌ تَتْرَى عِظَامًا وَدَمْعَكَ جَامِدٌ وَالْقَلْبُ قَاسِي
وَأَيَّامًا عَصَيْتَ اللَّهَ فِيهَا وَقَدْ حُفِظْتَ عَلَيْكَ وَأَنْتَ نَاسِي
فَكَيْفَ تُطِيقُ يَوْمَ الدِّينِ حَمَلًا لِأَوْزَارِ الْكِبَائِرِ كَالرُّوَاسِي
هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي لَا وُدَّ فِيهِ وَلَا نَسَبَ وَلَا أَحَدَ مُوَاسِي

اللَّهُمَّ يَا عَالَمَ الْخَفِيَّاتِ، وَيَارْفِيعَ الدَّرَجَاتِ، يَا غَافِرَ الذَّنْبِ وَقَابِلَ التَّوْبِ
شَدِيدَ الْعِقَابِ، ذِي الطُّولِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ، نَسْأَلُكَ أَنْ تُذَيِّقَنَا بَرْدَ
عَفْوِكَ، وَحِلَاوَةَ رَحْمَتِكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

«مَوْعِظَةٌ»: عِبَادَ اللَّهِ يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ
الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الصَّلَاةَ عِمَادُ الدِّينِ وَأَعْظَمُ
أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ، وَهِيَ قُرَّةُ عَيْنِ الْمُؤْمِنِ وَطَمَائِينُهُ قَلْبِهِ تَبْدُو

وَاضِحَةً فِي وَقُوفِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ، وَخُشُوعِهِ وَانكِسَارِهِ، عِنْدَمَا يَتَّجِهَ إِلَيْهِ فِي عِبَادَتِهِ، وَيَقِفُ خَاضِعاً ذَلِيلًا بَيْنَ يَدَيْ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ.

عِبَادَ اللَّهِ مَنْ حَافِظَ عَلَى الصَّلَاةِ فَهُوَ السَّعِيدُ الرَّابِحُ، وَمَنْ أَضَاعَهَا فَهُوَ الشَّقِيُّ الْخَاسِرُ، وَإِنَّ اللَّيْبَ الْعَاقِلَ مَنْ إِذَا حَضَرَ لِلصَّلَاةِ أَقْبَلَ بِقَلْبِهِ وَقَالِبَهُ، وَطَرَحَ الدُّنْيَا وَشُؤْنَهَا وَمُتَعَلِّقَاتِهَا جَانِباً وَتَدَبَّرَ مَا يَتْلُوهُ إِنْ كَانَ وَحْدَهُ أَوْ إِمَاماً. وَأَنْصَتَ وَأَحْضَرَ قَلْبَهُ إِنْ كَانَ مَأْمُوماً وَتَفَهَّمَ مَا يَسْمَعُ وَابْتَهَلَ وَتَضَرَّعَ إِلَى مَوْلَاهُ.

«مَوْعِظَةٌ»: عِبَادَ اللَّهِ إِنْ الْخُشُوعَ فِي الصَّلَاةِ هُوَ رُوحُهَا، وَالْمَحْوَرُ الَّذِي تَدُورُ عَلَيْهِ سَائِرُ أَفْعَالِهَا، وَالْخُشُوعُ فِيهَا مَعَ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ آيَةُ الْإِيمَانِ وَسَبَبُ الْفَلَاحِ وَأَمَانٌ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ. أَلَا وَأَنَّ الصَّلَاةَ بِلَا خُشُوعٍ كَجَسَدٍ بِلَا رُوحٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «لَيْسَ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ إِلَّا مَا عَقَلْتَ مِنْهَا».

وَفِي الْمُسْنَدِ مَرْفُوعاً إِنَّ الْعَبْدَ لِيُصَلِّي الصَّلَاةَ وَلَمْ يُكْتَبْ لَهُ إِلَّا نِصْفُهَا أَوْ ثُلُثُهَا أَوْ رُبْعُهَا، حَتَّى بَلَغَ عَشْرَهَا، وَقَدْ عَلَّقَ اللَّهُ فَلَاحَ الْمَصَلِّينَ بِالْخُشُوعِ فِي صَلَاتِهِمْ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَخْشَعْ فَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْفَلَاحِ وَلَوْ اعْتَدَّ لَهُ بِهَا ثَوَاباً لَكَانَ مِنَ الْمَفْلِحِينَ هَكَذَا قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ.

قَالُوا وَأَمَّا الْاِعْتِدَادُ بِهَا فِي أَحْكَامِ الدُّنْيَا وَسُقُوطِ الْقَضَاءِ فَإِنَّ غَلَبَ الْخُشُوعُ وَتَعَقُّلُهَا اعْتَدَّ بِهَا أَجْمَاعاً، وَكَانَتْ السُّنَنُ وَالْاِذْكَارُ عَقِبَهَا جَوَابِرَ وَمُكَمَّلَاتٍ لِنَقْصِهَا، وَإِنْ غَلَبَ عَلَيْهِ عَدَمُ الْخُشُوعِ فِيهَا وَعَدِمَ تَعَقُّلُهَا.

فَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي وُجُوبِ اِعَادَتِهَا وَاحْتِجَاجِهَا بِأَنَّهَا صَلَاةٌ لَا يَثَابُ عَلَيْهَا، وَلَمْ يُضْمَنَّ لَهُ فِيهَا الْفَلَاحُ فَلَمْ تَبْرَأْ ذِمَّتُهُ مِنْهَا، وَيَسْقُطُ الْقَضَاءُ عَنْهُ كَصَلَاةِ الْمَرَاتِي قَالُوا وَلِأَنَّ الْخُشُوعَ وَالْعَقْلَ رُوحَ الصَّلَاةِ، وَمَقْصُودُهَا وَتَبُّهَا،

فَكَيْفَ يُعْتَدُّ بِصَلَاةٍ فُقِدَتْ رُوحَهَا، وَبُئِيَ صُورَتُهَا وَظَاهِرُهَا .

قَالُوا وَلَوْ تَرَكَ الْعَبْدُ وَاجِباً مِنْ وَاجِبَاتِهَا عَمداً لِأَبْطَلَهَا تَرْكُهُ وَغَايَتُهُ أَنْ يَكُونَ بَعْضاً مِنْ أَعْضَائِهَا بِمَنْزِلَةِ فَوَاتِ عَضْوٍ مِنْ أَعْضَائِ الْعَبْدِ الْمُعْتَقِ فِي الْكُفَّارَةِ، فَكَيْفَ إِذَا عُدِمَتْ رُوحُهَا وَمَقْصُودُهَا، وَصَارَتْ بِمَنْزِلَةِ الْعَبْدِ الْمَيِّتِ فَإِذَا لَمْ يُعْتَدَّ بِالْعَبْدِ الْمَقْطُوعِ الْيَدِ يُعْتَقَهُ تَقَرُّباً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي كُفَّارَةٍ وَاجِبَةٍ فَكَيْفَ يُعْتَدُّ بِالْعَبْدِ الْمَيِّتِ .

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ الصَّلَاةُ كَجَارِيَةٍ تُهْدَى إِلَى مَلِكٍ مِنَ الْمُلُوكِ فَمَا الظَّنُّ بِمَنْ يُهْدَى إِلَيْهِ جَارِيَةٌ سَلَاءٌ أَوْ عَوْرَاءٌ أَوْ عَمِيَاءٌ أَوْ مَقْطُوعَةٌ الْيَدِ أَوْ الرَّجُلِ أَوْ مَرِيضَةٌ أَوْ دَمِيمَةٌ أَوْ قَبِيحَةٌ حَتَّى يُهْدَى إِلَيْهِ جَارِيَةٌ مَيِّتَةٌ بِلَا رُوحٍ وَجَارِيَةٌ قَبِيحَةٌ فَكَيْفَ بِالصَّلَاةِ الَّتِي يُهْدِيهَا الْعَبْدُ وَيَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى رَبِّهِ تَعَالَى وَاللَّهُ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّباً وَلَيْسَ مِنَ الْعَمَلِ الطَّيِّبِ صَلَاةٌ لَا رُوحَ فِيهَا كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْعَتِقِ الطَّيِّبِ عِتْقُ عَبْدٍ بِلَا رُوحٍ .

قَالُوا وَتَعْطِيلُ الْقَلْبِ عَنْ عُبودِيَّةِ الْحُضُورِ وَالْحُشُوعِ تَعْطِيلٌ لِمَلِكِ الْأَعْضَاءِ عَنْ عُبودِيَّتِهِ وَعَزْلٌ لَهُ عَنْهَا فَمَاذَا تُغْنِي طَاعَةُ الرَّعِيَّةِ وَعُبودِيَّتُهَا وَقَدْ عَزَلَ مَلِكُهَا وَتَعْطَلَّ .

قَالُوا وَالْأَعْضَاءُ تَابِعَةٌ لِلْقَلْبِ تَصْلِحُ بِصَلَاحِهِ وَتَفْسُدُ بِفَسَادِهِ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ قَائِماً بِعُبودِيَّتِهِ فَالْأَعْضَاءُ أَوْلَى أَنْ لَا يُعْتَدَّ بِعُبودِيَّتِهَا وَإِذَا فَسَدَتْ عُبودِيَّتُهُ بِالْعَفْلَةِ وَالْوَسْوَاسِ فَأَتَى تَصِحُّ عُبودِيَّةُ رَعِيَّتِهِ وَجُنْدِهِ وَمَادُّهُمْ مِنْهُ وَعَنْ أَمْرِهِ يَصْدُرُونَ وَبِهِ يَأْتِمِرُونَ .

قَالُوا وَلَآنَ عُبودِيَّةٌ مَنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الْعَفْلَةُ وَالسَّهْوُ فِي الْعَالِبِ لَا تَكُونُ مُصَاحِبَةً لِلْإِحْلَاصِ فَإِنَّ الْإِحْلَاصَ قَصْدُ الْمَعْبُودِ وَحَدُهُ بِالْتَّعْبُدِ وَالْعَافِلُ لَا قَصْدَ لَهُ فَلَا عُبودِيَّةَ لَهُ .

قَالُوا وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، وَلَيْسَ السَّهْوُ عَنْهَا تَرْكُهَا وَإِلَّا لَمْ يَكُونُوا مُصَلِّينَ وَإِنَّمَا السَّهْوُ عَنْ وَاجِبِهَا إِذَا عَنِ الْحُضُورِ أَوْ الْخُشُوعِ.

وَالصَّوَابُ أَنَّهُ يَعْمُ النَّوَعَيْنِ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَثَبَّتْ لَهُمْ صَلَاةً وَوَصَفَهَا بِالسَّهْوِ عَنْهَا، فَهُوَ السَّهْوُ عَنِ وَقْتِهَا الْوَاجِبِ أَوْ عَنِ اخْتِلَاصِهَا وَحُضُورِهَا الْوَاجِبِ، وَلِذَلِكَ وَصَفَهُم بِالرِّيَاءِ، وَلَوْ كَانَ السَّهْوُ سَهْوً تَرَكَ لَمَا كَانَ هُنَاكَ رِيَاءً أَهً.

وَبِالنَّالِيِّ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا مَرَّنَ نَفْسَهُ وَقَلْبَهُ عَلَى التَّفَهُّمِ وَالتَّذَبُّرِ وَالْخُشُوعِ وَالْحُضُوعِ فِي الصَّلَاةِ انْعَرَسَتْ فِي قَلْبِهِ خَشْيَةُ اللَّهِ وَمَحَبَّتُهُ وَالرَّغْبَةُ فِيمَا لَدَيْهِ، وَحَضْرَتُهُ هَيْبَةً خَالِقِهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ وَفِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِ.

فَإِذَا سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ أَمْرًا أَوْ زَيْنَ الشَّيْطَانِ سُوءًا تَبَرَّأَ مِنْهُمَا قَائِلًا إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَكُنْ فِي صَلَاتِكَ خَاشِعًا خَاضِعًا مُخْتَبِتًا.

فَإِذَا قُلْتَ اللَّهُ أَكْبَرُ فَاسْتَحْضِرْ عَظَمَةَ اللَّهِ وَأَنَّهُ لَا شَيْءَ أَكْبَرَ مِنْهُ وَلَا شَيْءَ أَعْظَمَ مِنْهُ وَأَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِأَنْ يُعْظَمَ وَيُجَلَّ وَيُقَدَّرَ وَأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُسَاوِيهِ أَوْ يُدَانِيهِ فِي عَظَمَتِهِ.

وَإِذَا قُلْتَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَاسْتَحْضِرْ أَنَّهُ الْمُسْتَحِقُّ لِلتَّنَائِدِ وَأَنَّهُ الْمُرَبِّي لِجَمِيعِ الْخَلْقِ التَّرْبِيَّةَ الْعَامَّةَ وَالْمُرَبِّي لِخَوَاصِّ خَلْقِهِ التَّرْبِيَّةَ الْخَاصَّةَ، وَهِيَ تَرْبِيَّةُ الْقُلُوبِ عَلَى الْعَقَائِدِ النَّافِعَةِ، وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ.

وَإِذَا قُلْتَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ اسْتَحْضِرْتَ لِرَحْمَتِهِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ رَاجِعًا مِنْهُ أَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ كَتَبَهَا لَهُمْ فَإِذَا قُلْتَ مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ مَجِدِّتُهُ وَاسْتَحْضِرْتَ لِقُوفِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ.

فَإِذَا قُلْتَ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اسْتَحْضِرْتَ أَنَّكَ تَخُصُّهُ وَحَدَّهُ بِالْعِبَادَةِ

والاستِغَاةِ، المَعْنَى نَعْبُدُكَ وَلَا نَعْبُدُ غَيْرَكَ وَنَسْتَعِينُ بِكَ وَلَا نَسْتَعِينُ بِغَيْرِكَ .
فَإِذَا قُلْتَ قُلْتَّ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ اسْتَحْضَرْتَ أُنْثَى تَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ وَتَسْأَلُهُ
أَنْ يَدُلَّكَ وَيُرْشِدَكَ وَيُوفِّقَكَ إِلَى سُلُوكِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَأَنْ يُبَيِّنَكَ عَلَيْهِ فَهَذَا
الدُّعَاءُ مِنْ أَجْمَعِ الْأَدْعِيَةِ وَأَنْفَعِهَا لِلْعَبْدِ وَلِهَذَا وَجَبَ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَدْعُوَ بِهِ فِي
كُلِّ رَكْعَةٍ مِنْ صَلَاتِهِ لِضُرُورَتِهِ إِلَى ذَلِكَ وَهَذَا الصِّرَاطُ هُوَ صِرَاطُ الْمُتَمَعِّمِ
عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ .

وَالصُّدِّيْقَيْنِ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسَنَ أَوْلِيَائِكَ رَفِيقًا، وَافْعَلْ فِي بَاقِي
صَلَاتِكَ كَمَا فَعَلْتَ فِي أَوَّلِهَا مِنَ التَّدْبِيرِ وَالتَّفَهُّمِ مُحْضِرًا قَلْبَكَ لِمَعَانِي مَا تَقُولُهُ
وَمَا تَسْمَعُهُ حَتَّى تُكْتَبَ لَكَ كَامِلَةً .

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مَنْ حَافِظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ فِي أَوْقَاتِهَا وَوَاطَبَ عَلَى الْجُمُعَةِ
وَالجَمَاعَاتِ وَأَدَّاهَا تَأْدِيَةً تَامَةً بِخُشُوعٍ وَخُضُوعٍ، اسْتَنَارَ قَلْبُهُ وَقَوِيَتْ الصَّلَةُ
بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، وَتَهَدَّبَتْ نَفْسُهُ وَحَسُنَتْ مَعَ اللَّهِ وَالنَّاسِ مُعَامَلَتُهُ، وَحِيلَ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ الْمُحَرَّمَاتِ وَكَانَ عَلَى الْبُؤْسَاءِ عَطُوفًا وَبِالضُّعْفَاءِ رَحِيمًا، وَأَفْلَحَ فِي دِينِهِ
وَدُنْيَاهُ وَكَانَ مِنَ الْمَحْبُوبِينَ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ خَلْقِهِ .

عِبَادَ اللَّهِ النَّفْسُ أَمْرَةٌ بِالسُّوءِ، وَالشَّيْطَانُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالسَّيْفِ
الْقَاطِعِ وَالدَّوَاءِ النَّافِعِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ وَقَايَةً لِلْإِنْسَانِ مِنْ شَرِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ،
إِنَّمَا هُوَ الصَّلَاةُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَلَذِكْرِ اللَّهِ الْكَبِيرِ﴾ .

عِبَادَ اللَّهِ احْذَرُوا أَنْ تَسْتَهَيِّنُوا بِالصَّلَاةِ وَأَنْ لَا تَهْتَمُّوا لَهَا، فَإِنَّ هَذِهِ صِفَةُ
الَّذِينَ خَلَّتْ صَلَاتُهُمْ مِنَ التَّدْلِيلِ وَالخُشُوعِ كَمَا تَرَوْنَهُمْ يُسْرِعُونَ فِي أَدَائِهَا
وَهُمْ عَنْهَا غَافِلُونَ لَا يَعْرِفُونَ لَهَا مَعْنَى وَلَا يَعْقِلُونَ لَهَا سِرًّا وَلَمْ تَشْعُرْ قُلُوبُهُمْ
بِحَلَاوَتِهَا وَلَا بِلَذَّةِ الْمَنَاجَاتِ قَدْ مَلَكَتْهُمُ الْوَسَاوِسُ، وَامْتَلَأَتْ قُلُوبُهُمْ بِشَوَاعِلِ

الدُّنْيَا وَلَدَاتِهَا، وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ .

قَالَ تَعَالَى ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ عَمِيَتْ بَصَائِرُهُمْ، وَتَحَجَّرَتْ ضَمَائِرُهُمْ، فَأَضَاعُوا الصَّلَاةَ
وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ، وَأَهْمَلُوا أَوْامِرَ بَدِيْعِ السَّمَوَاتِ وَغَفَلُوا عَنْ وَاجِبِ شُكْرِهِ
وَلَمْ يَخَافُوا سَطْوَةَ جَبْرُوتِهِ وَبَطْشِيهِ، وَلَا سُوءَ الْحِسَابِ، وَلَا نَارَ الْعَذَابِ
﴿تَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾، ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ
الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ .

فِيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ وَحَافِظُوا عَلَى صَلَاتِكُمْ وَقُومُوا لِلَّهِ
خَاضِعِينَ خَاشِعِينَ لِتَفُوزُوا بِرِضْوَانِهِ وَتَكُونُوا مِنَ الْمَفْلِحِينَ .

شِعْرًا: لِلَّهِ دُرُّ السَّادَةِ الْعَبَّادِ
الْوَاهِيهِمْ تُنْبِيْكَ عَنْ أَحْوَالِهِمْ
كَتَمُوا الضَّنْيَ حِفْظًا لَهُمْ وَتَحَمَّلُوا
هَجَرُوا الْمَرَاقِدَ فِي الظَّلَامِ لِرَبِّهِمْ
لَا يَفْتَرُونَ إِذَا الدُّجَى وَافَاهُمُوا
وَرَأَوْا عِلَامَاتِ الرَّجِيلِ فَبَادَرُوا
فَإِذَا اسْتَمَالَ قُلُوبَهُمْ دَاعِي الْهَوَى
نَظَرُوا إِلَى الدُّنْيَا تَعْرُ بِأَهْلِهَا
فَتَجَنَّبُوهَا عِفَّةً وَتَزَهُدًا
وَمَضَوْا عَلَى مِنْهَاجِ صَحْبِ نَبِيِّهِمْ

فِي كُلِّ كَهْفٍ قَدْ ثَوَّوْا أَوْ وَادِي
وَدُمُوعُهُمْ عَنْ حُرْقَةِ الْأَكْبَادِ
سُتِمَ الْهَوَى وَمَشَقَّةَ الْأَجْسَادِ
وَاسْتَبَدَّلُوا سَهْرًا بِطَيْبِ رُقَادِ
مِنْ كَثْرَةِ الْأَذْكَارِ وَالْأُورَادِ
تَحْصِيلَ مَا التَّمَسُّوْا مِنَ الْأَزْوَادِ
ذَكَرُوا الْبَلَى فِي ظُلْمَةِ الْأَلْحَادِ
بِوَصَالِهَا وَتَكَرَّرُ بِالْإِبْعَادِ
وَتَزُوْدُوا مِنْ صَالِحِ الْأَزْوَادِ
فَنَجَّوْا غَدًا مِنْ هَوْلِ يَوْمِ مَعَادِ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

«فَصَلِّ» : رَوَى شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
«الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا
وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي» .

وَمِمَّا وَرَدَ فِي الْحَثِّ عَلَى الرَّجَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية .

وَقَالَ ﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ، وَقَالَ ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ، وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ ، وَقَالَ ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ .

شِعْرًا : إِذَا شَدَّ زَنْدِي حُسْنُ ظَنِّي بِمَنْ عَلَيَّ عَلَى خَلْقِهِ فَهُوَ الَّذِي كُنْتُ أَطْلُبُ
آخِرًا : وَإِنِّي لَأَتِي الذُّنْبَ أَعْرِفُ قَدْرَهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَعْفُو وَيَغْفِرُ
لَمَنْ عَظَّمَ النَّاسُ الذُّنُوبَ فَإِنَّهَا وَإِنْ عَظَّمْتَ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ تَصَغُرُ

وَقَالَ ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرؤُفٌ رَّحِيمٌ﴾ ، وَقَالَ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ ، وَقَالَ ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ .

وَقَالَ ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ ، وَقَالَ ﴿وَلَا يَأْتَلُ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلَا يَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وَوَجْهَ الدَّلَالَةِ مِنْهَا حَيْثُ أَوْصَى اللَّهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْقَازِفِ .

وَمِنْ جَانِبِ الرَّجَاءِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ السَّحَرَةِ الْمُبَارِزِينَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ رَأَوْا آيَةَ مُوسَى فَعَرَفُوا الْحَقَّ وَوَقَعُوا سُجَّدًا ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ أَصْبَحُوا سَحَرَةً وَأَمْسُوا شُهَدَاءَ بَرَّةً ، فَهَذَا حَالٌ مَن عَرَفَ اللَّهَ وَوَحَّدَهُ بَعْدَ كُلِّ ذَلِكَ السُّحْرِ وَالْكَفْرِ وَالضَّلَالِ وَالْفَسَادِ فَكَيْفَ حَالٌ مَن أَفْنَى عُمُرَهُ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ .

وَكَذَا قِصَّةُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ إِذْ آمَنُوا بِاللَّهِ كَيْفَ لَطَفَ بِهِمْ، وَأَكْرَمَهُمْ
وَأَلْبَسَهُمُ الْمَهَابَةَ حَتَّىٰ إِنَّ بَرَكَتَهُمْ شَمَلَتْ كَلْبَهُمْ فَأَصَابَهُ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ النَّوْمِ
عَلَىٰ تِلْكَ الْحَالَةِ وَصَارَ لَهُ ذِكْرٌ وَشَأْنٌ وَخَبْرٌ يُتْلَىٰ وَهَذِهِ فَائِدَةٌ صُحْبَةِ الْإِخْيَارِ
فَمَا ظَنُّكَ بِالْمُؤْمِنِ الَّذِي عَبَدَ اللَّهَ وَوَحَّدَهُ وَلَهَجَ بِذِكْرِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ،
وَعَادَىٰ فِيهِ وَوَالَىٰ فِيهِ سِنِينَ عَدِيدَةً وَبُودِهِ لَوْ عُمِّرَ زِيَادَةً تَابَعَ فِيهَا خِدْمَةَ سَيِّدِهِ
وَمَوْلَاهُ جَلٌّ وَعَلَا .

وَمِنْ جَانِبِ الرَّجَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿إِنَّ الدِّينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ
لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ﴾ .

شِعْرًا :

تَفِيضُ عِيُونِي بِالذُّمُوعِ السَّوَاكِبِ	وَمَالِي لَا أَبْكِي عَلَىٰ خَيْرٍ ذَاهِبِ
عَلَىٰ الْعُمْرِ إِذْ وَلَىٰ وَحَانَ انْقِضَاؤُهُ	بِأَمَالٍ مَعْرُورٍ وَأَعْمَالٍ نَاكِبِ
عَلَىٰ غُرْرِ الْأَيَّامِ لَمَّا تَصَرَّمَتْ	وَأَصْبَحْتُ مِنْهَا رَهْنَ شَوْمِ الْمَكَاسِبِ
عَلَىٰ زَهْرَاتِ الْعَيْشِ لَمَّا تَسَاقَطَتْ	بِرِيحِ الْأُمَانِي وَالظُّنُونِ الْكَوَاذِبِ
عَلَىٰ أَشْرَفِ الْأَوْقَاتِ لَمَّا غُبَّتْهَا	بِأَسْوَاقِ عَبْنٍ يَبْنُ لَاهٍ وَلَا عِبِ
عَلَىٰ أَنْفَسِ السَّاعَاتِ لَمَّا أَضَعَّتْهَا	وَقَضَيْتُهَا فِي غَفْلَةٍ وَمَعَاظِبِ
عَلَىٰ صَرْفِي الْأَيَّامِ فِي غَيْرِ طَائِلِ	وَلَا نَافِعٍ مِنْ فِعْلِ فَضْلِ وَوَاجِبِ
عَلَىٰ مَا تَوَلَّىٰ مِنْ زَمَانٍ قَضَيْتُهُ	وَرَجَّيْتُهُ فِي غَيْرِ حَقٍّ وَصَائِبِ
عَلَىٰ فُرْصٍ كَانَتْ لَوْ أَنِّي انْتَهَزْتُهَا	لَقَدْ نَلْتُ فِيهَا مِنْ شَرِيفِ الْمَطَالِبِ
وَأَحْيَانَ آتَاءٍ مِنَ الدَّهْرِ قَدْ مَضَتْ	ضِيَاعًا وَكَانَتْ مُوسِمًا لِلرَّغَائِبِ
عَلَىٰ صُحُفٍ مَشْحُونَةٍ بِمَائِثِمِ	وَجُرْمٍ وَأَوْزَارٍ وَكَمٍّ مِنْ مَثَالِبِ
عَلَىٰ كَمْ ذُنُوبٍ كَمْ عِيُوبٍ وَزَلَّةٍ	وَسَيِّئَةٍ مَحْشِيَّةٍ فِي الْعَوَاقِبِ
عَلَىٰ شَهَوَاتٍ كَانَتْ النَّفْسُ أَقْدَمَتْ	عَلَيْهَا بِطَبْعٍ مُسْتَحْتٌ وَغَالِبِ
عَلَىٰ أَنِّي آثَرْتُ دُنْيَا دُنْيَةً	مُنْعَصَةً مَشْحُونَةً بِالْمَعَائِبِ

عَلَى عَمَلٍ لِلْعِلْمِ غَيْرِ مُوَافِقٍ
 عَلَى فِعْلِ طَاعَاتٍ بِسَهْوٍ وَغَفْلَةٍ
 أَصْلِي الصَّلَاةِ الْخُمْسِ وَالْقَلْبِ جَائِلٍ
 عَلَى أَنْبِيِّ أَتْلُو الْقُرْآنَ كِتَابَهُ
 عَلَى طُولِ آمَالٍ كَثِيرٍ غُرُورَهَا
 عَلَى أَنْبِيِّ قَدْ أَذْكَرُ اللَّهَ خَالِقِي
 عَلَى أَنْبِيِّ لَا أَذْكَرُ الْقَبْرَ وَالْبِلَى
 عَلَى أَنْبِيِّ عَنْ يَوْمِ بَعْثِي وَمَحْشَرِي
 مَوَاقِفُ مِنْ أَهْوَالِهَا وَخُطُوبِهَا
 تَعَاَفَلْتُ حَتَّى صَبْرْتُ مِنْ فَرْطِ غَفْلَتِي
 عَلَى النَّارِ أَنِّي مَا هَجَرْتُ سَبِيلَهَا
 عَلَى السَّعْيِ لِلْجَنَّاتِ دَارِ النِّعَمِ وَالْ
 مِنْ الْعِزِّ وَالْمُلْكِ الْمُحَلَّدِ وَالْبَقَا
 وَأَكْبُرُ مِنْ هَذَا رِضَا الرَّبِّ عَنْهُمْ
 فَأَهَا عَلَى عَيْشِ الْأَحْبَةِ نَاعِمًا
 وَأَهَا عَلَيْنَا فِي غُرُورٍ وَغَفْلَةٍ
 وَأَهَا عَلَى مَا فَاتَ مِنْ هَدْيِ سَادَةِ
 عَلَى مَا لَهُمْ مِنْ هِمَّةٍ وَعَزِيمَةٍ
 عَلَى مَا لَهُمْ مِنْ عِفَّةٍ وَفُتُوَّةٍ
 عَلَى مَا لَهُمْ مِنْ صَوْمٍ كُلِّ هَجِيرَةٍ
 عَلَى الصَّبْرِ وَالشُّكْرِ الَّذِينَ تَحَقَّقَا
 عَلَى مَا صَفَا مِنْ قُرْبِهِمْ وَشُهُودِهِمْ
 وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ جَلَّالَهُ

وَمَا فَضْلُ عِلْمٍ دُونَ فِعْلِ مُنَاسِبٍ
 وَمِنْ غَيْرِ إِحْضَارٍ وَقَلْبٍ مُرَاقِبٍ
 بِأَوْدِيَةِ الْأَفْكَارِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
 تَعَالَى بِقَلْبٍ ذَاهِلٍ غَيْرِ رَاهِبٍ
 وَنِسْيَانٍ مَوْتٍ وَهُوَ أَقْرَبُ غَائِبٍ
 بِغَيْرِ حُضُورٍ لِأَزِمٍ وَمُصَاحِبٍ
 كَثِيرًا وَسَفْرًا ذَاهِبًا غَيْرَ آيِبٍ
 وَعَرْضِيٍّ وَمِيزَانِيٍّ وَتِلْكَ الْمَصَاعِبِ
 يَشِيبُ مِنَ الْوِلْدَانِ شَعْرُ الذَّوَائِبِ
 كَأَنِّي لَا أَذْرِي بَيْتَكَ الْمَرَاهِبِ
 وَلَا خِفْتُ مِنْ حَيَاتِهَا وَالْعَقَارِبِ
 كَرَامَةِ وَالرُّلْفَى وَنَيْلِ الْمَارِبِ
 وَمَا تَشْتَهِيهِ النَّفْسُ مِنْ كُلِّ طَالِبِ
 وَرُؤْيُتُهُمْ إِيَّاهُ مِنْ غَيْرِ حَاجِبِ
 هَنِئْنَا مُصَفَى مِنْ جَمِيعِ الشَّوَائِبِ
 عَنْ الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَقُرْبِ الْحَبَائِبِ
 وَمِنْ سِيرَةِ مَحْمُودَةٍ وَمَذَاهِبِ
 وَجِدِّ وَتَشْمِيرِ لَيْلِ الْمَرَاتِبِ
 وَزُهْدِ وَتَجْرِيدِ وَقَطْعِ الْجَوَادِبِ
 وَمِنْ خُلُوعِ بِاللَّهِ تَحْتَ الْعِيَاهِبِ
 وَصِدْقِ وَإِحْلَاصِ وَكَمٍّ مِنْ مَنَاقِبِ
 وَمَا طَابَ مِنْ أَذْوَاقِهِمْ وَالْمَشَارِبِ
 وَقُدْرَتُهُ فِي شَرْقِهَا وَالْمَعَارِبِ

إِلَيْهِ مَا بِي وَهُوَ حَسْبِي وَمَلَجْتِي وَأَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ فِيمَا بَقِيَ لِمَا
وَأَنْ يَتَعَشَّنَا بِعَفْوٍ وَرَحْمَةٍ وَأَنْ يَتَوَلَّنَا بِلُطْفٍ وَرَأْفَةٍ
وَأَنْ يَتَوَفَّنَا عَلَى خَيْرِ مِلَّةٍ مُقِيمِينَ لِلْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ الَّتِي
مُحَمَّدٌ الْهَادِي الْبَشِيرُ نَبِينَا عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ
وَلِيٍّ أَمَلٌ فِي عَظْفِهِ غَيْرُ خَائِبٍ يُحِبُّ وَيَرْضَى فَهُوَ أَسْنَى الْمَطَالِبِ
وَفَضْلٍ وَاحْسَانٍ وَسْتَرٍ الْمَعَائِبِ وَحِفْظٍ يَقِينًا شَرَّ كُلِّ الْمَعَاظِبِ
عَلَى مِلَّةِ الْإِسْلَامِ خَيْرِ الْمَوَاهِبِ أَتَانَا بِهَا عَالِي الدَّرَى وَالْمَرَاتِبِ
وَسَيِّدَنَا بَحْرَ الْهُدَى وَالْمَنَاقِبِ وَآلٍ وَأَصْحَابٍ لَهُ كَالْكَوَاكِبِ

«مَوْعِظَةٌ»: عِبَادَ اللَّهِ لَا شَيْءَ أَفْسَدَ لِلْقَلْبِ مِنَ التَّلَعُّقِ بِالدُّنْيَا وَالرُّكُونِ
إِلَيْهَا فَإِنَّ مَتَاعَهَا قَلِيلٌ وَلَا تَطْمَعُوا بِالْإِقَامَةِ فِيهَا فَإِنَّ الْبَقَاءَ فِيهَا مُسْتَحِيلٌ كَيْفَ لَا
وَالْمُنَادِي يُنَادِي كُلَّ يَوْمٍ يَا عِبَادَ اللَّهِ الرَّحِيلَ، هُوَ الْمَوْتُ مَا مِنْهُ فَوْتُ وَلَا تَعْجِيلُ
وَلَا يَقْبَلُ الْفِدَاءَ فَاسْتَعِدُّوا لَهُ فَإِنَّهُ سَيَأْتِيكُمْ عَنْ قَرِيبٍ .

عِبَادَ اللَّهِ لَا شَيْءَ أَفْسَدَ لِلْقَلْبِ مِنَ التَّلَعُّقِ بِالدُّنْيَا وَالرُّكُونِ إِلَيْهَا وَإِثَارِهَا
عَلَى الْآخِرَةِ فَإِنَّ هَذَا الْفَسَادُ يَقْعُدُ بِالْمُسْلِمِ عَنِ التَّطَلُّعِ إِلَى الْآخِرَةِ وَالْعَمَلِ لَهَا
وَاتْعَابِ الْجَسَدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ وَهَيْهَاتَ لِقَلْبٍ فَاسِدٍ مَرِيضٍ أَنْ
يَقْوَى عَلَى مَهَامِّ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، إِنَّ الدُّنْيَا فِيهَا قَابِلِيَّةُ الْإِعْرَاءِ لِلتَّلَعُّقِ بِهَا وَحُبِّهَا .

وَلِهَذَا وَصَفَهَا النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ حَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ
مُسْتَحْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النَّسَاءَ» وَقَدْ حَدَّثَنَا
رَبُّنَا مِنَ الْوُقُوعِ فِي شِبَاكِهَا وَالتَّلَعُّقِ بِهَا فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ
وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَكُم بِاللَّهِ الْعُرُورُ﴾ .

وَوَجْهُ الْإِعْتِرَارِ بِالدُّنْيَا أَنَّ فِيهَا مَبَاهِجٌ وَمَنَاظِرٌ وَمَلذَّاتٌ لِلْأَنْفُسِ وَالْأَعْيُنِ
وَالْأَسْمَاعِ تَهْوَاهَا نَفْسُهُ بِطَبِيعَتِهَا وَتُؤَثِّرُهَا عَلَى مَا سِوَاهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿بَلْ

تُؤْتِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٠﴾ ، وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿١١﴾ كَلَّا بَلْ
تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذُرُونَ الْآخِرَةَ ﴿١٢﴾ .

فَإِذَا تُرِكَتِ النَّفْسُ وَشَأْنُهَا زَادَ تَعَلُّقُهَا بِالدُّنْيَا وَزَادَ التِّصَاقُهَا بِهَا حَتَّى
تُصْبِحَ هِيَ كُلُّ غَايَتِهَا وَمُنْتَهَى أَمَلِهَا وَمَبْلَغُ عِلْمِهَا ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا
﴿١٣﴾ فَأَعْرَضَ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يَرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ
الْعِلْمِ ﴿١٤﴾ .

وَإِذَا مَا وَصَلَتْ النَّفْسُ إِلَى هَذَا الْحَدِّ فَقَدَتْ حَاسَةَ الْقَبُولِ وَالْإِعْتِبَارِ وَعِنْدَ
ذَلِكَ لَا يُجِدُنِي مَعَهَا وَعَظٌّ وَلَا تَذَكِيرٌ مَهْمَا بَالَعَتْ فِيهِ .

فَمَا هُوَ الْعِلَاجُ لِمَنْ وَصَلَ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ الْعِلَاجُ بِإِذْنِ اللَّهِ هُوَ تَحْلِيصُ
الْقَلْبِ مِنْ أَسْرَارِهَا وَتَعَلُّقِهِ بِهَا وَذَلِكَ بَأَنْ يَجْعَلَ زَوَالَ الدُّنْيَا نُصَبَ عَيْنِيهِ
وَيَتَيَقَّنَ لِقَاءَ الْآخِرَةِ وَبِقَاءِهَا وَمَا فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ .

وَيَتَدَبَّرُ الْآيَاتِ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿١٥﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا
نَشَاءُ لِمَنْ يُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ
وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٦﴾ .

وَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿١٧﴾ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى ﴿١٨﴾ ، وَقَوْلِهِ
﴿١٩﴾ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٢٠﴾ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿٢١﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ
حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي
الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٢﴾ .

وَقَوْلِهِ ﴿٢٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا
وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَئِكَ مَا وَاهُمُ النَّارُ ﴿٢٤﴾ الْآيَةُ ، وَيَتَدَبَّرُ الْإِحَادِيثَ
مِثْلَ قَوْلِهِ ﷺ لِابْنِ عُمَرَ « كُنْ فِي الدُّنْيَا غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ » الْحَدِيثُ ،
وَقَوْلُهُ « مَا لِي وَلِلدُّنْيَا » وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالْإِحَادِيثِ الَّتِي مَرَّتْ سَابِقًا
حَوْلَ أَمْثَلَةِ الدُّنْيَا .

وَيُقَارِنُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ فَإِنْ كَانَ ذَا عَقْلٍ رَاجِحَ آثَرَ الْآخِرَةِ عَلَى الدُّنْيَا وَأَيْضًا
لَا بُدَّ مِنْ قَطْعِ التَّسْوِيفِ وَطُولِ الْأَمَلِ حَتَّى يُحَسَّ أَنَّ فِي غُرْبَةٍ وَأَنَّهُ مُسَافِرٌ عَنْ
هَذِهِ الدَّارِ وَأَنَّهُ سَيَرْحَلُ عَنْهَا فِي آيَةٍ سَاعَةٍ رَغَمَ أَنْفِهِ شَاءَ أُمِّ أَبِي .

شِعْرًا: وَكُلُّ حَيٍّ وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ يَوْمًا عَلَى آلِهِ حَدْبَاءَ مَحْمُولٍ
آخِر: وَكُلُّ حَيٍّ وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ يَوْمًا لَهُ مِنْ دَوَاعِي الْمَوْتِ تَثْوِيبُ

وَإِنْ وَسَّوسَ لَهُ الشَّيْطَانُ وَالْقَى فِي رَوْعِهِ أَنَّكَ شَابٌّ قَوِيٌّ مَوْفُورَ الصَّحَّةِ
مَشْدُودٌ أَسْرُكٌ وَفِي إِمْكَانِكَ الرَّجُوعُ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْإِقْبَالُ إِلَى الْآخِرَةِ فَلْيَطْرُدْ
وَسَاوِسَهُ بِاسْتِحْضَارِ الَّذِينَ رَحَلُوا شَبَابًا وَكُهُولًا وَهُمْ الْآنَ تَحْتَ الثَّرَى .

شِعْرًا: يُعَمَّرُ وَاحِدٌ فَيَعُورُ أَلْفًا وَيُنْسَى مَنْ يَمُوتُ مِنَ الشَّبَابِ
آخِر: لَا تَعْتَزِرْ بِشَبَابٍ نَاعِمٍ حَضِيلٍ فَكَمْ تَقْدَمَ قَبْلَ الشَّيْبِ شَبَابٌ

وَيَخْرُجُ إِلَى الْمَقَابِرِ وَيَتَفَكَّرُ فَيَمْنُ جَمَعُوا الْأَمْوَالَ وَقَتَلُوا أَوْقَاتَهُمْ فِي طَلَبِهَا
وَاتَعَبُوا أَبْدَانَهُمْ وَأَنَّهُمْ سَيَحَاسِبُونَ عَلَيْهَا، وَيُفَكَّرُ فَيَمْنُ تَعُودُ عَلَيْهِمْ بَعْدَهُ رُبَّمَا
أَنَّهُمْ لَا يَذْكُرُونَهُ بِخَيْرٍ وَيَتَمَنُونَ مَوْتَهُ فَلِمَ آذًا يُحْرِقُ نَفْسَهُ فِي جَمْعِهَا لَهُمْ .

شِعْرًا: وَقَدْ يُورِثُ الْمَالَ الْبَعِيدَ مُظَلَّلٌ
آخِر: فَمَا تَزُودَ مِمَّا كَانَ يَجْمَعُهُ

وَعَيْرَ نَفْحَةِ أَعْوَادٍ تُشْبُّ لَهُ
آخِر: شَقِيتُ بِمَا جَمَعْتُ فَلَيْتَ شِعْرِي

أَعَايِنُ حَسْرَةً؛ أَهْلِي وَمَالِي
أَعِدُّ الزَّادَ مِنْ تَقْوَى فَإِنِّي

تَبَدَّلَ صَاحِبِي فِي اللَّحْدِ مِنِّي
فَلَوْ أَبْصَرْتَنِي مِنْ بَعْدِ عَشْرِ

وَحِيدًا مُفْرَدًا يَارَبُّ [لَطْنًا]
بَعْدِكَ حِينَ مَا يُتْرَكُ وَحِيدًا

فَإِذَا قَصَرَ أَمَلُهُ فِي الْحَيَاةِ اتَّبَعَتْ إِلَى التَّجَهُّزِ لِلْآخِرَةِ بِعَمَلِ الطَّاعَاتِ إِذْ لَا يَدْرِي مَتَى يُنَادَى عَلَيْهِ بِالرَّحِيلِ فَإِذَا تَحَلَّصَ مِنَ التَّلَاقِ بِالدُّنْيَا وَأَفْرَغَ مَا فِي قَلْبِهِ مِنْ سُومِهَا وَأَقْبَلَ عَلَى الْآخِرَةِ أَحْسَنَ بَعْرِيَّةٍ شَدِيدَةٍ فِي الدُّنْيَا وَلَكِنْ مَعَ خِفَةِ فِي رُوحِهِ وَإِقْبَالِ شَدِيدٍ عَلَى مَرَاضِي اللَّهِ وَعَلَى رَأْسِهَا الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ وَهَدَايَةُ الْحَيَارَى مِنْ عِبَادِ اللَّهِ .

لَا يَعُوقُهُ عَنْ ذَلِكَ عَائِقٌ مِنْ تَعَبٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا سَفَرٍ وَلَا سَهَرٍ وَلَا بَدَلٍ وَلَا تَضْحِيحَةٍ لِأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ الزَّادِ الْمُؤَكَّدِ نَفْعُهُ وَفَائِدَتُهُ فِي سَفَرِهِ الطَّوِيلِ الْبَعِيدِ إِلَى الْآخِرَةِ بَلْ إِنَّهُ سَيَعْتَبُ تَعَبَهُ رَاحَةً وَالْمَهْ لَذَّةٌ وَفِي بَدَلِهِ رِبْحًا وَفِي تَضْحِيحَتِهِ عِوَضًا مَضْمُونًا .

وَفِي وَصِيَّةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِابْنِهِ الْحَسَنِ أَحْيَى قَلْبِكَ بِالْمَوْعِظَةِ وَأَمْتَهُ بِالزَّهَادَةِ وَقُوَّهُ بِالْيَقِينِ وَنَوَّرَهُ بِالْحِكْمَةِ وَذَلَّلَهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَقَرَّرَهُ بِالْفَنَاءِ وَبَصَّرَهُ بِفَجَائِعِ الدُّنْيَا وَحَذَّرَهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفَحَشِ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ وَاعْرِضْ عَلَيْهِ أَحْبَابَ الْمَاضِيْنَ وَذَكَرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْأَوْلِيْنَ وَسِرِّ فِي دِيَارِهِمْ وَأَثَارِهِمْ وَانظُرْ فِيمَا فَعَلُوا وَعَمَّا انْتَقَلُوا وَأَيْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدْ انْتَقَلُوا عَنِ الْأَحْبَةِ وَحَلُّوا فِي دَارِ غُرْبَةٍ وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ فَاصْلِحْ مَثْوَاكَ وَلَا تَبِعْ آخِرَتِكَ بِدُنْيَاكَ إِلَى أَنْ قَالَ - يَا بُنَيَّ ، أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَذَكَرْ مَا تَهْجِمُ عَلَيْهِ وَتُفْضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيكَ وَقَدْ أَخَذَتْ وَشَدَدَتْ لَهُ أَرْكَ وَلا يَأْتِيكَ بَعْتَةٌ فَيَبْهَرُكَ وَإِيَّاكَ أَنْ تَعْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا وَتَكَالِبُهُمْ عَلَيْهَا فَقَدْ نَبَأَكَ اللَّهُ عَنْهَا وَنَعَتَتْ لَكَ نَفْسَهَا وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيئِهَا فَإِنَّ أَهْلَهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ يُهْرُ بَعْضُهَا بَعْضًا أَي يَنْبُحُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَيَأْكُلُ عَزِيْزُهَا ذَلِيْلَهَا وَيَقْهَرُ كَبِيْرُهَا صَغِيْرَهَا نَعَمٌ مُعَقَّلَةٌ وَأُخْرَى مُهْمَلَةٌ قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا وَرَكِبَتْ مَجْهُولَهَا سُرُوْحٌ عَاهَةٌ لَيْسَ رَاعٍ يُقِيْمُهَا وَلا مُقِيْمٌ يَسِيْسُهَا سَلَكَتْ بِهِم الدُّنْيَا طَرِيْقَ الْعَمَى وَأَخَذَتْ

بَأَبْصَارِهِمْ عَنِ مَنَارِ الْهُدَى فَتَاهُوا فِي خَيْرَاتِهَا وَغَرِقُوا فِي نِعْمَتِهَا وَاتَّخَذَوْهَا رَبًّا
فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا، وَاعْلَمَ أَنَّ مَنْ كَانَ مَطِيئَتُهُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ
فَأَيْتَهُ يَسَارٌ بِهِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفًا وَيَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيمًا .

شِعْرًا:

يَا جَامِعَ الْمَالِ إِنَّ الْعَمَرَ مُنْصَرِمٌ
وَيَا عَزِيزًا يَخِيطُ الْعُجْبُ نَاطِرُهُ
قَالُوا تَرَقَى فُلَانُ الْيَوْمَ مَنزِلَةً
كَمْ وَائْتِي بِاللَّيَالِي مَدَّ رَاحَتَهُ
وَبَاسِطِ يَدِهِ حُكْمًا وَمَقْدِرَةً
كَمْ غَيَّرَ الدَّهْرُ مِنْ دَارٍ وَسَاكِنِهَا
زَالَ الَّذِي كَانَ لِلْعَلِيَاءِ بِهِ سَنَدٌ
تَبَارَكَ اللَّهُ كَمْ تَلَقَى مَصَائِدَهَا
تَجْرِي النُّجُومُ بِتَقْرِيْبِ الْجِمَامِ لَنَا
لَا بُدَّ أَنْ يَغْمِسَ الْمِقْدَارُ مُدْيَتَهُ
عَجِبْتُ مِنْ آمِلِ طَوْلِ الْبَقَاءِ وَقَدْ
يَجْرُ خَيْطُ الدُّجَى وَالْفَجْرِ أَنْفُسَنَا
هَذِي عَجَائِبُ تُثْنِي النَّفْسَ حَائِرَةً
مَا لِي أُسْرَ يَوْمٍ نَلْتُ لَذَّتَهُ
لَأُتْرَكَنَّ فَرِيدًا فِي التَّرَابِ غَدًا
مَا نَافِعِي سَعَةً فِي الْعَيْشِ أَوْ حَرَجٌ

اللَّهُمَّ قِنَعْنَا مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ وَسَهِّلْ عَلَيْنَا كُلَّ أَمْرٍ عَسِيرٍ وَوَفِّقْنَا لِمَا تُحِبُّهُ
وَتَرْضَاهُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَسْكِنْنَا دَارَ كَرَامَتِكَ يَا مَنْ هُوَ مُلْجَأُنَا
وَمَلَاذُنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا وَمِنْ كُلِّ شَيْئٍ مَخْرَجًا،

اللَّهُمَّ أَحْيِي قُلُوباً أَمَاتَهَا الْبُعْدُ عَنْ بَابِكَ، وَلَا تُعَذِّبْنَا بِإِلِيمِ عِقَابِكَ يَا أَكْرَمَ مَنْ
 سَمَحَ بِالتَّوَالِ وَجَادَ بِالْإِفْضَالِ، اللَّهُمَّ أَيَقْظِنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِلَطْفِكَ وَاحْسَانِكَ،
 وَتَجَاوَزَ عَنْ جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فصل»

وَمِمَّا وَرَدَ فِي فَضِيلَةِ الرَّجَاءِ مِنَ الْأَحَادِيثِ مَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي
 سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ رَجُلًا قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا،
 ثُمَّ تَلَمَّ وَسَأَلَ عَابِدًا مِنْ عِبَادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ هَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ لَا فَتَقْتَلُهُ وَأَكْمَلَ
 بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَالِمًا مِنْ عُلَمَائِهِمْ هَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ
 التَّوْبَةِ .

ثُمَّ أَمَرَهُ بِالذَّهَابِ إِلَى قَرْيَةٍ يَعْبُدُ اللَّهُ فِيهَا فَقَصَدَهَا فَأَتَاهُ الْمَوْتُ فِي اثْنَاءِ
 الطَّرِيقِ فَاحْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ، وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَأَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
 أَنْ يَقْيِسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيِّهِمَا كَانَ أَقْرَبَ فَهُوَ مِنْهَا فَوَجَدُوهُ أَقْرَبَ إِلَى
 الْأَرْضِ الَّتِي هَاجَرَ إِلَيْهَا بِشِيرٍ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ، وَذَكَرَ أَنَّهُ نَأَى بِصَدْرِهِ
 عِنْدَ الْمَوْتِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمَرَ الْبَلَدَةَ الْخَيْرَةَ أَنْ تَقْتَرِبَ وَأَمَرَ تِلْكَ الْبَلَدَ
 أَنْ تَتْبَاعَدَ، هَذَا مَعْنَى الْحَدِيثِ .

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ
 شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ
 عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ،
 وَالنَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَفِي رِوَايَةٍ
 لِمُسْلِمٍ « مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ
 النَّارَ » .

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
« مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ، أَوْ أُزِيدُ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ
مِثْلُهَا أَوْ أُغْفِرُ ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا
تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا ، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً ، وَمَنْ لَقِينِي بِقَرَابِ الْأَرْضِ
خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ أَعْرَبِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُوجِبَاتَانِ ، قَالَ : « مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ،
وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَفِي حَدِيثٍ مُعَاذٍ « مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ » .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ لَا يَلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍ فَيُحَجَّبُ عَنِ الْجَنَّةِ »
رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَفِي حَدِيثِ عَتَبَانَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ
قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَتَّبِعِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ » مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَبْيِ فَإِذَا
أَمْرًا مِنَ السَّبْيِ تَسَعَى إِذْ وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَحَدُهُ فَالزَّقَتْهُ بِيَطْنِهَا
فَأَرْضَعَتْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَتَرُونَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ »
قُلْنَا لَا وَاللَّهِ ، فَقَالَ : « لِلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلِدَهَا » مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « قَالَ اللَّهُ
يَا ابْنَ آدَمَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي ، غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أَبَائِي ،
يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ ، يَا ابْنَ آدَمَ

إِنَّكَ لَوْ أُتَيْتَ بِقُرَابِ الْأَرْضِ حَطَايَا، ثُمَّ لَفَيْتَنِي لِأُشْرِكُ بِكَ شَيْئًا، لَا تَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَعَنْهُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أُطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الْآخِرَةِ وَيُعْطِيهِ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ» .

وَفِي رِوَايَةٍ «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطِي بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزِي بِهَا فِي الْآخِرَةِ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتٍ مَا عَمِلَ لِلَّهِ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْرَى بِهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَنتُمْ فِي أَهْلِ الشَّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَحْمَرِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جِنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَذْهَبَ فَمَنْ لَقِيَتْ وَرَاءَ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَنْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَنْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

شِعْرًا: تَتَّبَعِ مَرَاضِي اللَّهِ وَاذْعُ وَالْحِفَا لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تُجَابَ فَتَسْعَدَا
وَحَافِظُ عَلَى فِعْلِ الْفُرُوضِ بِوَقْتِهَا وَلَا تَتَوَانَى عِنْدَمَا تَسْمَعُ النَّدَا

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « يُدْنَى
 الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنْفَهُ فَيَقْرُرُهُ بِذُنُوبِهِ فَيَقُولُ أَتَعْرِفُ
 ذَنْبَ كَذَا أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا فَيَقُولُ رَبِّي أَعْرِفُ ، قَالَ فَإِنِّي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي
 الدُّنْيَا وَأَنَا أَعْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى صَحِيفَةً حَسَنَاتِهِ » مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَيَنْبَغِي لِمَنْ قَرَّبَتْ مُفَارَقَتُهُ الدُّنْيَا أَنْ يَكُونَ عَلَى بَالِهِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ آيَاتِ الرَّجَاءِ
 وَأَحَادِيثِ الرَّجَاءِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

شِعْرًا: نَادَتْ بَوْشَكَ رَحِيمِكَ الْأَيَّامُ
 وَمَضَى أَمَامَكَ مَنْ رَأَيْتِ وَأَنْتِ لِدِ
 مَا لِي أَرَاكَ كَأَنَّ عَيْنَكَ لَا تَرَى
 تَأْتِي الخُطُوبُ وَأَنْتِ مُنْتَبِهَةٌ لَهَا
 قَدْ وَدَعْتِكَ مِنَ الصَّبَا نَزْوَاتُهُ
 وَأَرْضَ المَشِيبِ مِنَ الشَّبَابِ خَلِيفَةً
 وَكِلَاهُمَا حُجَجٌ عَلَيْكَ قَوِيَّةٌ
 وَلَقَدْ غَنَيْتِ مِنَ الشَّبَابِ بَغِطَةً
 أَهْلًا وَسَهْلًا بِالمَشِيبِ مُؤَدِّبًا
 مَا زُخِرْفُ الدُّنْيَا وَزُبُرُجُ أَهْلِهَا
 وَلَرُبَّ ذِي فُرْشٍ مُمَهَّدَةٍ لَهُ
 وَلَكُمْ رَأَيْتُ مَحَلَّةً أَقْوَتْ وَكَمْ
 وَالمَوْتُ يَعْمَلُ وَالعُيُونُ قَرِيرَةٌ
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هُوَ دَائِمٌ
 وَالحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لِجَلَالِهِ
 وَالحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هُوَ لَمْ يَزَلْ
 سُبْحَانَهُ مَلِكٌ تَعَالَى جَدُّهُ

أَفَلَسْتَ تَسْمَعُ أَمْ بِكَ اسْتِصْنَامُ
 بَاقِينَ حَتَّى يَلْحَقُوكَ إِمَامُ
 عِبْرًا تُمْرُ كَأَنَّهُنَّ سِهَامُ
 فَإِذَا مَضَتْ فَكَأَنَّهَا أَحْلَامُ
 فَاجْهَدْ فَمَا لَكَ بَعْدَهُنَّ مَقَامُ
 فَكِلَاهُمَا لَكَ خِلْفَةٌ وَنِظَامُ
 وَكِلَاهُمَا نِعْمٌ عَلَيْكَ جِسَامُ
 وَلَقَدْ كَسَاكَ وَقَارُهُ الإِسْلَامُ
 وَعَلَى الشَّبَابِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامُ
 إِلا غُرُورٌ كُلُّهُ وَحُطَامُ
 أَمْسَى عَلَيْهِ مِنَ الثَّرَابِ رُكَامُ
 جَدْتُ رَأَيْتُ تَلُوحُ فِيهِ عِظَامُ
 تَلْهُو وَتَعَبْتُ بِالمُنَى وَتَنَامُ
 أَبَدًا وَليسَ لِمَا سِوَاهُ دَوَامُ
 وَلِحَلْمِهِ تَتَصَاغَرُ الأَحْلَامُ
 لَا تَسْتَقِلُّ بِعِلْمِهِ الأَوْهَامُ
 وَلِوَجْهِهِ الإِجْلَالُ وَالإِكْرَامُ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ وَأَسْكِنْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ الْقَرَارِ، اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا
بِحُسْنِ الْإِقْبَالِ عَلَيْكَ وَالْإِصْغَارِ إِلَيْكَ وَوَفَّقْنَا لِلتَّعَاوُنِ فِي طَاعَتِكَ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى
خِدْمَتِكَ وَحُسْنِ الْآدَابِ فِي مُعَامَلَتِكَ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِكَ وَالرُّضَا بِقَضَائِكَ وَالصَّبْرِ
عَلَى بَلَائِكَ وَالشُّكْرِ لِنِعْمَائِكَ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فصل»: إِذَا فَهِمْتَ مَا تَقَدَّمَ، فَاعْلَمْ أَنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ لَا بُدَّ أَنْ يَجْمَعَ
بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ، وَهَذَا الطَّرِيقُ هُوَ طَرِيقُ الْإِعْتِدَالِ، لِأَنَّهُ إِنْ غَلَبَ عَلَيْكَ
الرَّجَاءُ حَتَّى فَقَدْتَ الْخَوْفَ الْبَتَّةَ وَقَعْتَ فِي طَرِيقِ الْأَمْنِ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ، وَلَا يَأْمَنُ
مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ.

وَأَنْ غَلَبَ عَلَيْكَ الْخَوْفُ حَتَّى فَقَدْتَ رَجَاءَ اللَّهِ وَقَعْتَ فِي طَرِيقِ الْيَأْسِ،
وَلَا يَبْتَئِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ، وَلَا يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا
الضَّالُّونَ، وَإِنْ جَمَعْتَ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ فَهُوَ طَرِيقُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَأَصْفِيَاءِهِ.

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: وَجُمْلَةُ الْأَمْرِ أَنَّكَ إِذَا تَذَكَّرْتَ سَعَةَ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى
الَّتِي سَبَقَتْ غَضَبَهُ وَوَسَّعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ثُمَّ أَنْ كُنْتَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَرْحُومَةِ
الْكَرِيمَةِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ غَايَةَ فَضْلِهِ الْعَظِيمِ وَكَمَالَ جُودِهِ الْكَرِيمِ وَجَعَلَ عُنْوَانَ
كِتَابِهِ إِلَيْكَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ثُمَّ كَثْرَةَ أَيَادِيهِ إِلَيْكَ وَنِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ظَاهِرَةً
وَبَاطِنَةً مِنْ غَيْرِ شَفِيعٍ أَوْ قَدَمِ سَابِقَةٍ لَكَ.

شِعْرًا: يَا رَبِّ إِنَّ ذُنُوبِي قَدْ أَحْطَتْ بِهَا
أَنَا الْمَوْحُدُ لِكِنِّي الْمُقِرُّ بِهَا
آخِرُ: أَيَا رَبِّ قَدْ أَحْسَنْتَ عَوْدًا وَبَدَأَةً
فَمَنْ كَانَ ذَا عُدْرٍ لَدَيْكَ وَحُجَّةٍ
عِلْمًا وَبِي وَبِإِعْلَانِي وَإِسْرَارِي
فَهَبْ ذُنُوبِي لِتَوْجِيحِي وَإِقْرَارِي
إِلَيَّ فَلَمْ يَنْهَضْ بِإِحْسَانِكَ الشُّكْرُ
فَعُذْرِي إِقْرَارِي بِأَنْ لَيْسَ لِي عُدْرٌ

وَتَذَكَّرْتَ مِنْ جَانِبِ آخِرِ كَمَالِ جَلَالِهِ تَوْعَظَمَتِهِ وَعِظَمِ سُلْطَانِهِ وَهَيْبَتِهِ

ثُمَّ شِدَّةَ غَضَبِهِ الَّذِي لَا تَقُومُ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، ثُمَّ غَايَةَ غَفْلَتِكَ وَكَثْرَةَ
ذُنُوبِكَ وَجَفْوَتِكَ مَعَ دِقَّةِ أَمْرِهِ، وَخَطَرَ مُعَامَلَتِهِ فِي إِحَاطَةِ عِلْمِهِ وَبَصَرِهِ
بِالْغُيُوبِ وَالْغُيُوبِ، ثُمَّ حُسْنَ وَعَدِهِ وَثَوَابِهِ الَّذِي لَا يُلُغُ كُنْهَهُ الْأَوْهَامُ وَشِدَّةَ
وَعَيْدِهِ وَالْيَمِّ عِقَابِهِ الَّذِي لَا يَحْتَمِلُ ذِكْرَهُ الْقُلُوبُ.

تَارَةً تَنْظُرُ إِلَى عَذَابِهِ وَتَارَةً تَنْظُرُ إِلَى رَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَتَارَةً تَنْظُرُ إِلَى نَفْسِكَ
فِي جَفْوَاتِهَا وَجِنَايَاتِهَا فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ أَدَّى بِكَ جَمِيعَ ذَلِكَ إِلَى الْخَوْفِ
وَالرَّجَاءِ وَكُنْتَ قَدْ سَلَكَتَ سَبِيلَ الشَّارِعِ الْقَصْدِ وَعَدَلْتَ مِنَ الْجَانِبَيْنِ
الْمُهْلِكَيْنِ، الْأَمْنُ وَالْيَأْسُ وَلَا تَبْتِهِ فِيهِمَا مَعَ التَّائِهَيْنِ، وَلَا تَهْلِكْ مَعَ الْهَالِكِينَ
وَشَرِبْتَ الشَّرَابَ الْمَمْزُوجَ الْعَدْلَ فَلَا تَهْلِكْ بِرُودَةِ الرَّجَاءِ الصَّرْفِ، وَلَا
بِحَرَارَةِ الْخَوْفِ الصَّرْفِ.

وَكَأَنِّي بِكَ قَدْ وَصَلْتُ إِلَى الْمَقْصُودِ غَانِمًا وَشَفِيتَ مِنَ الْعِلْتَيْنِ سَالِمًا
وَوَجَدْتَ النَّفْسَ قَدْ اتَّبَعَتْ لِلطَّاعَةِ وَدَانَتْ فِي الْخِدْمَةِ لَيْلًا وَنَهَارًا مِنْ غَيْرِ فِتْرَةٍ
وَلَا غَفْلَةٍ، وَاجْتَنَبْتَ الْمَعَاصِي وَالْمَحَازِي وَهَجَرْتَهَا وَصِرْتَ حَيْثُ عَزِمْتَ مِنْ
الْأَصْفِيَاءِ الْخَوَاصِّ الْعَابِدِينَ، الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ «إِنَّهُمْ كَانُوا
يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونََنَا رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ».

وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يُمَدِّكَ وَإِيَانًا بِحُسْنِ تَوْفِيقِهِ وَتَسْدِيدِهِ إِنَّهُ أَرْحَمُ
الرَّاحِمِينَ وَأَجْوَدُ الْأَجْوَدِينَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ التَّوْبَةَ وَدَوَامَهَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَأَسْبَابِهَا، اللَّهُمَّ
أَفِضْ عَلَيْنَا مِنْ بَحْرِ كَرَمِكَ وَعَوْنِكَ حَتَّى نَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى السَّلَامَةِ مِنْ وَبَالِهَا
وَأَرْأَفَ بِنَا رَأْفَةَ الْحَبِيبِ بِحَبِيبِهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَنُزُولِهَا، وَارْحَمْنَا مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا
وَعُغْمُومِهَا بِالرُّوحِ وَالرِّيْحَانِ إِلَى الْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا، وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ فِي
جَنَّاتِ النَّعِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ

وَالصَّالِحِينَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصَلِّ» : قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ الْقَلْبُ فِي سَيْرِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَنْزِلَةِ الطَّائِرِ ، فَاَلْمَحَبَّةُ رَأْسُهُ وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ جَنَاحَاهُ فَامْتَنَى سَلَمَ الرَّأْسِ وَالْجَنَاحَانِ فَالطَّائِرُ جَيْدُ الطَّيْرَانِ وَمَتَى قُطِعَ الرَّأْسُ مَاتَ الطَّائِرُ وَمَتَى فَقَدَ الْجَنَاحَانِ فَهُوَ عُرْضَةٌ لِكُلِّ صَائِدٍ وَكَاسِرٍ .

وَقِيلَ أَكْمَلُ الْأَحْوَالِ الْاِعْتِدَالُ .. أَه . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ أَوْلِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

وَقِيلَ إِنْ كَانَ الْعَالِبُ عَلَى الْقَلْبِ الْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ فَالْخَوْفُ أَفْضَلُ وَكَذَا إِنْ كَانَ الْعَالِبُ عَلَى الْعَبْدِ الْمَعْصِيَةِ ، وَإِنْ كَانَ الْعَالِبُ عَلَيْهِ الْيَأْسُ وَالْقُنُوطُ فَالرَّجَاءُ أَفْضَلُ .

وَالَّذِي تَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ النَّفْسُ سُلُوكِ الْاِعْتِدَالِ إِلَّا عِنْدَ فِرَاقِ الدُّنْيَا فَيَعْلَبُ جَانِبَ الرَّجَاءِ .

لَمَّا وَرَدَ عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ ﴿لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحَسِّنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ﴾ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : ﴿قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ ذَكَرَنِي﴾ الْحَدِيثُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَقَدْ رُئِيَ بَعْضُهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِ فَسُئِلَ عَنْ حَالِهِ فَانْشَدَ :

شِعْرًا : نُقِلَتْ إِلَى رِمْسِ الْقُبُورِ وَضِيْقِهَا وَخَوْفِي ذُنُوبِي أَنَّهَا بِي تَعْتُرُ

فَصَادَفْتُ رَحْمَانًا رَوْفًا وَأَنْعَمًا
وَمَنْ كَانَ حُسْنُ الظَّنِّ فِي حَالِ مَوْتِهِ
آخِر: رَجَوْتُكَ يَا رَحْمَنُ إِنَّكَ خَيْرُ مَنْ
فَرَحَمْتُكَ العُظْمَى الَّتِي لَيْسَ بَابُهَا
آخِر: يَا مَنْ إِلَيْهِ جَمِيعُ الخَلْقِ يَبْتَهِلُوا
يَا مَنْ نَأَى فَرَأَى مَا فِي القُلُوبِ وَمَا
يَا مَنْ دَنَا فَنَأَى عَنَّا أَنْ يُحِيطَ بِهِ أَلْ
أَنْتَ المَلَأْدُ إِذَا مَا أَرَمْتُ شَمِلْتُ
أَنْتَ المُنَادَى بِهِ فِي كُلِّ حَادِيَةٍ
أَنْتَ العِيَاثُ لِمَنْ سُدَّتْ مَذَاهِبُهُ
إِنَّا قَصَدْنَاكَ وَالْأَمَالَ وَاقِعَةً
فَإِنْ غَفَرْتَ فَعَنْ طَوِيلٍ وَعَنْ كَرِيمٍ

وَأُخْرَجَ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَالبَيْهَقِيُّ عَنِ حَيَّانِ أَبِي
النَّضْرِ قَالَ خَرَجْتُ عَائِدًا لِيَزِيدَ بْنِ الأَسْوَدِ، فَلَقِيْتُ وَائِلَةَ بِنَ الأَسْقَعِ وَهُوَ يُرِيدُ
عِيَادَتَهُ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ فَلَمَّا رَأَى وَائِلَةَ بَسَطَ يَدَهُ وَجَعَلَ يُشِيرُ إِلَيْهِ، فَأَقْبَلَ وَائِلَةَ
حَتَّى جَلَسَ فَأَخَذَ يَزِيدُ بِكَفِّي وَائِلَةَ فَجَعَلَهُمَا عَلَى وَجْهِهِ، فَقَالَ لَهُ وَائِلَةُ كَيْفَ
ظَنُّكَ بِاللَّهِ قَالَ ظَنِّي بِاللَّهِ حَسَنٌ. قَالَ فَأَبَشِرْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
يَقُولُ: «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي لِي، إِنْ ظَنَّ خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ
شَرًّا فَلَهُ».

وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ وَالدِّيُّ لَأِلهِ غَيْرُهُ
لَا يُحَسِّنُ عَبْدٌ بِاللَّهِ الظَّنَّ إِلَّا أَعْطَاهُ ظَنَّهُ، وَذَلِكَ بِأَنَّ الحَيْرَ فِي يَدِهِ.

وَرَوَى البَيْهَقِيُّ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا «أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ
بِعَبْدٍ إِلَى النَّارِ فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى شَفَتِهَا التَّفَتَّ فَقَالَ أَمَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ إِنْ كَانَ ظَنِّي

بِكَ لِحَسَنٍ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رُدُّوهُ أَنَا عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّ عَبْدِي بِي .
 وَلَمَّا حَضَرَتْ الْإِمَامَ أَحْمَدَ الْوَفَاةُ قَالَ لَوْلِدِهِ عَبْدِ اللَّهِ أَذْكَرُ لِي أَحَادِيثَ
 الرَّجَاءِ، وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ يُؤَبِّحُ نَفْسَهُ :

شِعْرًا: أَرَانِي إِذَا حَدَّثْتُ نَفْسِي بِتَوْبَةٍ
 تَقَضَّتْ حَيَاتِي فِي اشْتِعَالٍ وَغَفْلَةٍ
 طُرِدْتُ وَغَيْرِي بِالصَّلَاحِ مُقَرَّبٌ
 وَكَيْفَ وَزَلَّاتُ الْمُسِيءِ كَثِيرَةٌ
 إِلَى اللَّهِ أَشْكُو قَلْبَ سُوءٍ قَدْ اِخْتَوَى
 وَلِي حَزَنٌ يَزْدَادُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ
 فَإِنْ يَغْفِرُ الْمَوْلَى الَّذِي قَدْ أَتَيْتُهُ
 «عَلَامَةٌ مَا يُؤَلِّي مِنَ الْفَضْلِ إِنْ أَنَا
 وَأَقْبَلْتُ فِي تَصْلِيحِ أَخْرَائِي مُدْلِجًا
 تَعَرَّضَ لِي مِنْ دُونِ ذَلِكَ عَائِقُ
 وَأَعْمَالِ سُوءٍ كُلِّهَا لَا تُوَافِقُ
 وَدُونِ بُلُوغِي مَسَلِّكَ مُتَضَائِقُ
 أَقْرَبُ عَبْدٌ عَنِ مَوَالِيهِ آبِقُ
 عَلَيْهِ الْهَوَى وَاسْتَأْصَلْتُهُ الْعَلَائِقُ
 وَدَمْعُ جُفُونِي لِلْبُكَاءِ يُسَابِقُ
 فَذَلِكَ الرَّجَا وَالظَّنُّ حِينًا يُوَافِقُ
 هَجَرْتُ الدُّنَا أَوْ قُلْتُ إِنَّكَ طَالِقُ
 أَحَاسِبُ نَفْسِي كُلَّ مَا ذَرَّ شَارِقُ»

«فصل»

قال ابن القيم رحمه الله ولا ريب أن حسن الظن بالله إنما يكون مع
 الإحسان فإن المحسن حسن الظن بربه أنه يجازيه على إحسانه ولا يخلف
 وعده ويقبل توبته وأما المسيء المصير على الكبائر والظلم والمخالفات فإن
 المعاصي والظلم والحرام تمنعه من حسن الظن بربه وهذا موجود في الشاهد
 فإن العبد الآبق المسيء الخارج عن طاعة سيده لا يحسن الظن به، ولا
 يجمع وخشة الإساءة إحسان الظن أبدًا، فإن المسيء مستوحش بقدر
 إساءته، وأحسن الناس ظنًا بربه أطوعهم له، كما قال الحسن البصري: إن
 المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل، وإن الفاجر أساء الظن بربه فأساء
 العمل.

وَكَيفَ يَكُونُ مُحْسِنُ الظَّنِّ بِرَبِّهِ مَنْ هُوَ شَارِدٌ عَنْهُ، حَالَ مُرْتَحِلٍ فِي مَسَاحِطِهِ وَمَا يُعْضِبُهُ، مُتَعَرِّضٌ لِلْعَنْتَةِ، قَدْ هَانَ حَقُّهُ وَأَمْرُهُ عَلَيْهِ فَأَضَاعَهُ، وَهَانَ نَهْيُهُ عَلَيْهِ فَارْتَكَبَهُ وَأَصْرَّ عَلَيْهِ وَكَيفَ يُحَسِّنُ الظَّنَّ بِرَبِّهِ مَنْ بَارَزَهُ بِالْمُحَارَبَةِ، وَعَادَى أَوْلِيَاءَهُ، وَوَالَى أَعْدَاءَهُ، وَجَحَدَ صِفَاتٍ لَهُ وَأَسَاءَ الظَّنِّ بِمَا وَصَفَ نَفْسَهُ وَوَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ وَظَنَّ بِجَهْلِهِ أَنَّ ظَاهِرَ ذَلِكَ ضَلَالٌ وَكُفْرٌ.

وَكَيفَ يُحَسِّنُ الظَّنَّ بِمَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ وَلَا يَأْمُرُ وَلَا يَنْهَى وَلَا يَرْضَى وَلَا يَغْضِبُ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّ مَنْ شَكَّ فِي تَعَلُّقِ سَمْعِهِ بِبَعْضِ الْجُزْئِيَّاتِ، وَهُوَ السِّرُّ مِنَ الْقَوْلِ «٤١: ٢٣» ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

فَهُؤُلَاءِ لِمَا ظَنُّوا أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا يَعْمَلُونَ كَانَ هَذَا إِسَاءَةً لِظَنِّهِمْ بِرَبِّهِمْ، فَأَرَادَاهُمْ ذَلِكَ الظَّنُّ. وَهَذَا شَأْنٌ كُلٌّ مِنْ جَحَدِ صِفَاتِ كَمَالِهِ وَتُعُوتِ جَلَالِهِ، وَوَصَفَهُ بِمَا لَا يَلِيْقُ بِهِ، إِذَا ظَنَّ هَذَا أَنَّهُ يُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ كَانَ هَذَا غُرُورًا وَخِدَاعًا مِنْ نَفْسِهِ، وَتَسْوِيلًا مِنَ الشَّيْطَانِ، لَا إِحْسَانَ ظَنَّ بِرَبِّهِ.

فَتَأَمَّلْ هَذَا الْمَوْضِعَ، وَتَأَمَّلْ شِدَّةَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، وَكَيفَ يَجْتَمِعُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ تَيْفَنُهُ بِأَنَّهُ مُلَاقٍ لِلَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ كَلَامَهُ وَيَرَى مَكَانَهُ، وَيَعْلَمُ سِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِنْ أَمْرِهِ، وَأَنَّهُ مَوْقُوفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ كُلِّ مَا عَمِلَ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَسَاحِطِهِ مُضَيِّعٌ لِأَوْامِرِهِ، مُعْطَلٌ لِحُقُوقِهِ، وَهُوَ مَعَ هَذَا يُحَسِّنُ الظَّنَّ بِهِ.

وَهَلْ هَذَا إِلَّا مِنْ خُدَعِ التُّفُوسِ وَغُرُورِ الْأَمَانِيِّ، وَقَدْ قَالَ أَبُو سَهْلٍ ابْنُ حُنَيْفٍ «دَخَلْتُ أَنَا وَغُرُورَةُ بِنْتُ الزُّبَيْرِ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ: لَوْ رَأَيْتُمَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضٍ لَهُ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ سِتَّةُ دَنَانِيرَ، أَوْ سَبْعَةُ دَنَانِيرَ، فَأَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أُفْرِقَهَا، فَشَعَلَنِي وَجَعُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى عَافَاهُ

اللهُ ثُمَّ سَأَلَنِي عَنْهَا فَقَالَ مَا فَعَلْتِ أَكُنْتِ فَرَقْتِ السِّتَةَ الدَّنَائِيرَ ، فَقُلْتُ : لَا وَاللَّهِ ، لَقَدْ كَانَ شَعْلَنِي وَجَعُكَ ، قَالَتْ : فَدَعَا بِهَا فَوَضَعَهَا فِي كَفِّهِ ، فَقَالَ : مَا ظَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ لَوْ لَقِيَ اللَّهَ وَهَذِهِ عِنْدَهُ ، ، فِي لَفْظٍ : « مَا ظَنَّ مُحَمَّدٌ بِرَبِّهِ لَوْ لَقِيَ اللَّهَ وَهَذِهِ عِنْدَهُ » .

فِي اللَّهِ مَا ظَنَّ أَصْحَابِ الْكِبَائِرِ وَالظَّلْمَةِ بِاللَّهِ إِذَا لَقُوهُ وَمَظَالِمِ الْعِبَادِ عِنْدَهُمْ ، فَإِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ قَوْلُهُمْ : حَسَنًا ظَنُونَنَا بِكَ إِنَّكَ لَمْ تُعَذِّبْ ظَالِمًا وَلَا فَاسِقًا ، فَلْيَصْنَعْ الْعَبْدُ مَا شَاءَ ، وَلْيَرْتَكِبْ كُلَّ مَا نَهَاهُ اللَّهُ عَنْهُ ، وَلْيُحَسِّنْ ظَنَّهُ بِاللَّهِ ، فَإِنَّ النَّارَ لَا تَمَسُّهُ ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ ، مَا يَبْلُغُ الْعُرُورُ بِالْعَبْدِ ، وَقَدْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِقَوْمِهِ « ٣٧ : ٨٦ » ﴿ أَفَكَا آيَهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أَيَّ مَا ظَنُّكُمْ بِهِ أَنْ يَفْعَلَ بِكُمْ إِذَا لَقَيْتُمُوهُ وَقَدْ عَبَدْتُمْ غَيْرَهُ .

وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذَا الْمَوْضِعَ حَقَّ التَّأَمُّلِ عَلِمَ أَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ هُوَ حُسْنُ الْعَمَلِ نَفْسُهُ ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِتْمَا يَحْمِلُهُ عَلَى حُسْنِ الْعَمَلِ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ أَنْ يُجَازِيَهُ عَلَى أَعْمَالِهِ وَيُثَبِّتَهُ عَلَيْهَا وَيَتَقَبَّلَهَا مِنْهُ ، فَالَّذِي حَمَلَهُ عَلَى حُسْنِ الْعَمَلِ حُسْنُ الظَّنِّ ، فَكُلَّمَا حَسَّنَ ظَنَّهُ بِرَبِّهِ حَسَّنَ عَمَلَهُ .

وَإِلَّا فَحُسْنُ الظَّنِّ مَعَ اتِّبَاعِ الْهَوَى عَجْزٌ ، كَمَا فِي التِّرْمِذِيِّ وَالْمُسْنَدِ مِنْ حَدِيثِ شَدَّادِ ابْنِ أَوْسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « الْكَيْسُ مِنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْعَاجِزُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي » .

وَبِالْجُمْلَةِ فَحُسْنُ الظَّنِّ إِتْمَا يَكُونُ مَعَ انْعِقَادِ أَسْبَابِ النَّجَاةِ وَأَمَّا مَعَ انْعِقَادِ أَسْبَابِ الْهَلَاكِ فَلَا يَتَأْتِي إِحْسَانُ الظَّنِّ .

فَإِنْ قِيلَ : بَلْ يَتَأْتِي ذَلِكَ ، وَيَكُونُ مُسْتَنَّدُ حُسْنِ الظَّنِّ عَلَى سَعَةِ مَغْفِرَةِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَعَفْوِهِ ، وَجُودِهِ ، وَأَنَّ رَحْمَتَهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ ، وَأَنَّهُ لَا تَنْفَعُهُ الْعُقُوبَةُ ، وَلَا يَضُرُّهُ الْعَفْوُ .

قِيلَ: الْأَمْرُ هَكَذَا، وَاللَّهُ فَوْقَ ذَلِكَ وَأَجَلٌ وَأَكْرَمٌ وَأَجْوَدٌ وَأَرْحَمٌ، وَلَكِنْ
 إِنَّمَا يَضَعُ ذَلِكَ فِي مَحَلِّهِ اللَّائِقِ بِهِ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ مَوْصُوفٌ بِالْحِكْمَةِ وَالْعِزَّةِ
 وَالْإِنْتِقَامِ وَشِدَّةِ الْبَطْشِ، وَعَقُوبَةُ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ، فَلَوْ كَانَ مُعَوَّلٌ حُسْنِ
 الظَّنِّ عَلَى مُجَرَّدِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ لاشْتَرَكَ فِي ذَلِكَ الْبُرِّ وَالْفَاجِرُ، وَالْمُؤْمِنُ
 وَالْكَافِرُ، وَوَلِيُّهُ وَعَدُوُّهُ.

فَمَا يَنْفَعُ الْمُجْرِمَ أَسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ وَقَدْ بَاءَ بِسَخَطِهِ وَغَضَبِهِ وَتَعَرَّضَ
 لِلْعَنَتِ، وَوَقَعَ فِي مَحَارِمِهِ وَأَنْتَهَكَ حُرْمَاتِهِ، بَلْ حُسْنُ الظَّنِّ يَنْفَعُ مَنْ تَابَ وَنَدِمَ
 وَأَقْلَعَ، وَبَدَّلَ السَّيِّئَةَ بِالْحَسَنَةِ، وَاسْتَقْبَلَ بِقِيَّةِ عُمَرِهِ بِالْخَيْرِ وَالطَّاعَةِ، ثُمَّ أَحْسَنَ
 الظَّنَّ بَعْدَهَا فَهَذَا هُوَ حُسْنُ ظَنٍّ، وَالْأَوَّلُ غُرُورٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانَ.

يُفْرَقُ بَيْنَ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ وَبَيْنَ الْغُرُورِ بِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى « ٢ : ٢١٨ »
 ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ
 اللَّهِ ﴾ فَجَعَلَ هَؤُلَاءِ أَهْلَ الرَّجَاءِ، لَا الْبَطَّالِينَ وَالْفَاسِقِينَ، وَقَالَ تَعَالَى
 « ١٦ : ١١٩ » ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا
 وَصَبَرُوا، إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ بَعْدَ هَذِهِ
 الْأَشْيَاءِ غَفُورٌ رَحِيمٌ لِمَنْ فَعَلَهَا، فَالْعَالِمُ يَضَعُ الرَّجَاءَ مَوَاضِعَهُ، وَالْجَاهِلُ الْمُعْتَرِ
 يَضَعُهُ فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهِ.

اللَّهُمَّ أَحِينَا فِي الدُّنْيَا مُؤْمِنِينَ طَائِعِينَ وَتَوْفِنَا مُسْلِمِينَ تَائِبِينَ وَأَغْفِرْ لَنَا
 وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصَلِّ فِي تِمَازِجٍ مِنْ أَخْلَاقِ السَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ»

مِنْ ذَلِكَ تَوْصِيَةٌ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَقُبُولُهُمْ لَهَا وَشُكْرُهُمْ لِلْوَاعِظِ لَهُمْ، وَمِنْ
 وَصِيَّةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِابْنِهِ الْحَسَنِ قَالَ فِيهَا:

أَيُّ بُنَيَّ .. إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنًا، وَرَأَيْتُنِي أَرْدَادًا وَهِنًا، بَادَرْتُ
بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ، وَأُورِدْتُ خِصَالًا مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يُعَجَلَ لِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أُفْضَى
إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي، وَأَنْ أَنْقِصَ فِي رَأْيِي كَمَا نَقِصْتُ فِي جِسْمِي، أَوْ يَسْبِقُنِي
إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى وَفِتَنِ الدُّنْيَا، فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ .

وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدِيثِ كَالْأَرْضِ الْحَالِيَةِ مَا أَلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبْلَتُهُ،
فَبَادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَتَسَمَّوْا قَلْبَكَ، وَيَشْتَعِلَ لُبُّكَ، لِتَسْتَقْبَلَ بِجَدِّ رَأْيِكَ مِنْ
الْأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُعِيثَهُ وَتَجَرِبَتَهُ، فَتَكُونَ قَدْ كُفَيْتَ مَوْوَنَةَ
الطَّلَبِ، وَعُوفِيَتْ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِبَةِ، فَأَتَاكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ، وَاسْتَبَانَ
لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ .

أَيُّ بُنَيَّ .. إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمْرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي، فَقَدْ نَظَرْتُ فِي
أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ، بَلْ
كَأَنَّي بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوْلِيهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ
صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدْرِهِ، وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ .

فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ وَتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ، وَصَرَفْتُ
عَنْكَ مَجْهُولَهُ، وَرَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي الْوَالِدَ الشَّفِيقُ،
وَأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَبِكَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ وَأَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمْرِ وَمُقْتَبِلُ الدَّهْرِ، ذُو
نَبَّةٍ سَلِيمَةٍ وَنَفْسٍ صَافِيَةٍ .

وَأَنْ أَبْتَدِيكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللَّهِ وَتَأْوِيلِهِ، وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ،
وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، لَا أَجَاوِزُ ذَلِكَ بِكَ إِلَى غَيْرِهِ، ثُمَّ أَشْفَقْتُ أَنْ يَلْتَبَسَ عَلَيْكَ مَا
اِخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَآرَائِهِمْ مِثْلُ الَّذِي التَّبَسَ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ أَحْكَامُ
ذَلِكَ عَلَى مَا كَرِهَتْ مِنْ تَنْبِيهِكَ بِهِ الْهَلَكَةَ، وَرَجَوْتُ أَنْ يَوْفِقَكَ اللَّهُ فِيهِ
لِرُشْدِكَ، وَأَنْ يَهْدِيكَ لِقَصْدِكَ، فَعَهَدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِي هَذِهِ .

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ، إِنَّ أَحَبَّ مَا آخَذَ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى اللَّهِ
وَالِاقْتِصَارِ عَلَى مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالْأَخْذَ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ مِنْ
آبَائِكَ، وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدْعُوا أَنْ نَنْظُرُوا لِأَنْفُسِهِمْ كَمَا
أَنْتَ نَاطِرٌ.

وَفَكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ، ثُمَّ رَدَّاهُمْ آخِرُ ذَلِكَ إِلَى الْأَخْذِ بِمَا عَرَفُوا،
وَالإِمْسَاكَ عَمَّا لَمْ يُكَلِّفُوا، فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ ذَلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا
عَلِمُوا، فَلْيَكُنْ طَلِبُكَ ذَلِكَ بِتَفَهُيمٍ وَتَعْلَمٍ، لَا يَتَوَرَّطُ الشُّبُهَاتِ وَعَلْوُ
الْخُصُومَاتِ.

وَأَبْدًا قَبْلَ نَظَرِكَ فِي ذَلِكَ بِالِاسْتِعَانَةِ بِإِلْهَيْكَ، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي تَوْفِيقِكَ،
وَتَرْكِ كُلِّ شَائِبَةٍ أَوْ لَجَنَةٍ فِي شُبُهَةٍ، أَوْ أَسْلَمْتِكَ إِلَى ضَلَالَةٍ، فَإِذَا أُيْقِنْتَ أَنْ قَدْ
صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعَ، وَتَمَّ رَأْيُكَ فَاجْتَمَعَ، وَكَانَ هَمُّكَ فِي ذَلِكَ هَمًّا وَاحِدًا،
فَانْظُرْ فِيمَا فَسَّرْتَ لَكَ.

وَأَنْ لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ، وَفَرَاغَ نَظَرِكَ وَفِكْرِكَ، فَاعْلَمْ
أَنَّكَ إِثْمًا تَخْبِطُ الْعَشْوَاءَ وَتَتَوَرَّطُ الظُّلْمَاءَ، وَلَيْسَ طَالِبُ الدِّينِ مَنْ خَبَطَ أَوْ
خَلَطَ، وَالِإِمْسَاكَ عَنِ ذَلِكَ أَمْثَلُ.

فَتَفَهَّمْ يَا بُنَيَّ وَصِيَّتِي، وَاعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ الْحَيَاةِ، وَأَنَّ
الْحَالِقَ هُوَ الْمُمِيتُ، وَأَنَّ الْمُفْنِي هُوَ الْمَعِيدُ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَعَافِي، وَأَنَّ الدُّنْيَا
لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقَرَّ إِلَّا عَلَى مَا جَعَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ النِّعْمَاءِ وَالِإِبْتِلَاءِ، وَالْجَزَاءِ فِي
الْمَعَادِ أَوْ مَا شَاءَ مِمَّا لَا نَعْلَمُ.

فَإِنَّ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلَى جَهَالَتِكَ بِهِ، فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَا
خُلِقْتَ جَاهِلًا ثُمَّ عَلِمْتَ، وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الْأَمْرِ، وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ،
وَيَضِلُّ فِيهِ بَصْرُكَ، ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَاعْتَصِمِ بِالَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ
وَسَوَّاكَ، وَلْيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدُكَ، وَإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ، وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ.

وَاعْلَمَ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَدًا لَمْ يَنْبِئْ عَنْ اللَّهِ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ الرَّسُولُ ﷺ فَارْضَ
بِهِ رَائِدًا، وَإِلَى النَّجَاةِ قَائِدًا، فَإِنِّي لَمْ أَلِكْ نَصِيحَةً وَأَنْتَ لَنْ تَبْلُغَ فِي النَّظَرِ
لِنَفْسِكَ - وَإِنْ اجْتَهَدْتَ - مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ .

وَاعْلَمَ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ
وَسُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أَعْمَالَهُ وَصِفَاتَهُ، وَلَكِنَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ،
لَا يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ، وَلَا يَزُولُ أَبَدًا، وَلَمْ يَزَلْ أَوَّلَ قَبْلِ الْأَشْيَاءِ بِلَا أَوْلِيَّةٍ،
وَآخِرَ بَعْدَ الْأَشْيَاءِ بِلَا نِهَائِيَّةٍ، عَظُمَ عَنْ أَنْ تُثْبِتَ رُبُوبِيَّتَهُ بِأَحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ،
فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صِعَرَ خَطَرِهِ، وَقِلَّةِ
مَقْدَرَتِهِ، وَكَثْرَةِ عَجْزِهِ، وَعَظِيمِ حَاجَتِهِ إِلَى رَبِّهِ، فِي طَلَبِ طَاعَتِهِ، وَالرَّهْبَةِ مِنْ
عُقُوبَتِهِ، وَالشَّفَقَةِ مِنْ سَخَطِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْكَ إِلَّا بِحَسَنِ، وَلَمْ يَنْهَكَ إِلَّا عَنِ
قَبِيحٍ .

يَا بُنَيَّ .. إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَحَالِهَا وَزَوَالِهَا وَانْتِقَالِهَا، وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ
الْآخِرَةِ وَمَا أُعَدُّ لِأَهْلِهَا فِيهَا، وَضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا الْأَمْثَالَ لِتَعْتَبِرَ بِهَا وَتَحْذُو
عَلَيْهَا .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الشُّكِّ بَعْدَ الْيَقِينِ، وَمِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَمِنَ
شِدَائِدِ يَوْمِ الدِّينِ، وَنَسْأَلُكَ رِضَاكَ وَالْجَنَّةَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ سَخَطِكَ وَالنَّارِ،
اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا إِذَا عَرِقَ الْجَبِينُ وَاشْتَدَّ الْكَرْبُ وَالْأَيْنُنُ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصَلِّ»: إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفَرُوا نَبَاهِمُ مَنْزِلَ جَدِيدٍ
فَأَمُّوا مَنْزِلًا خَصِيبًا وَجَنَابًا مُرِيحًا فَاحْتَمَلُوا وَعَثَاءَ الطَّرِيقِ وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ،
وَحُشُونَةَ السَّفَرِ، وَجُشُونَةَ الْمَطْعَمِ، لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ، وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ، فَلَيْسَ

يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِّنْ ذَلِكَ أَلْمًا، وَلَا يَرُونَ فِي نَفَقَةٍ مَعْرَمًا، وَلَا شَيْءَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ
مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ، وَأَذْنَاهُمْ مِنْ مَحَلِّهِمْ .

وَمَثَلُ مَنْ أُعْتِرَ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ، فَنَبَّأَهُمْ إِلَى مَنْزِلٍ
جَدِيدٍ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ وَلَا أَفْظَعَ عِنْدَهُمْ مِنْ مُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ إِلَى
مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ .

يَا بُنَيَّ .. اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأُحِبُّ لِغَيْرِكَ مَا
تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَآكْرَهُ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلَا تَظْلِمُ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ،
وَاحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُ مِنْ غَيْرِكَ،
وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ وَإِنْ قُلَّ
مَا تَعْلَمُ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ وَآفَةُ الْأَلْبَابِ، فَاسْعَ فِي كَذْحِكَ وَلَا
تَكُنْ حَازِنًا لِغَيْرِكَ، وَإِذَا هُدَيْتَ لِقَصْدِكَ، فَكُنْ أَحْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ .

وَاعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقًا ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَأَنَّهُ لَا غِنَى لَكَ
فِيهِ عَنِ حُسْنِ الْارْتِيَادِ، قَدَّرَ بِلَاغِكَ مِنَ الرَّادِ مَعَ خِيفَةِ الظَّهْرِ، فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَى
ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ فَيَكُونُ ثِقْلُ ذَلِكَ وَبَالًا عَلَيْكَ .

وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيُؤَافِيكَ
بِهِ غَدًا حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَاعْتَنِمَهُ وَحَمَلُهُ إِيَّاهُ، وَأَكْثِرْ مِنْ تَرْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ
عَلَيْهِ، فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلَا تَجِدُهُ، وَاعْتَنِمِ مَنْ اسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ، لِيَجْعَلَ
قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ .

وَاعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةٌ كَوُودًا، الْمُخْفُفُ فِيهَا أَحْسَنُ حَالًا مِنَ الْمُثْقِلِ،
وَالْمُبْطِئُ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالًا مِنَ الْمُسْرِعِ، وَأَنَّ مَهَبْطَكَ بِهَا لَا مَحَالَهَ عَلَى جَنَّةٍ أَوْ
عَلَى نَارٍ، فَارْتُدْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نَزْوِلِكَ، وَوَطِّئْ الْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ، فَلَيْسَ بَعْدَ
الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ، وَلَا إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ، وَتَكْفَلُ لَكَ بِالْإِجَابَةِ، وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيكَ وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُهُ عَنْكَ، وَلَمْ يُلْجِئِكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَمْنَعَكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَلَمْ يَعَاجِلْكَ بِالنَّقْمَةِ، وَلَمْ يُعَيِّرْكَ بِالْإِنَابَةِ وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِيحَةُ بِكَ أَوْلَى، وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الْإِنَابَةِ، وَلَمْ يَنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ، وَلَمْ يُؤَيِّسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ.

بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً، وَحَسَبَ سَيِّئَتِكَ وَاحِدَةً، وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْرًا، وَفَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ، فَإِذَا نَادَيْتُهُ سَمِعَ نِدَاءَكَ، وَإِذَا نَاجَيْتُهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ، فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ، وَأَبْثَثْتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ، وَشَكَوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ، وَاسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ، وَاسْتَعْنَيْتَهُ عَلَى أُمُورِكَ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ، وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ، وَسَعَةِ الْأَرْزَاقِ.

ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَذِنَ لَكَ مِنْ مَسْأَلَتِهِ، فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِاللُّدْعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ، وَاسْتَمْطَرْتَ شَائِبَ رَحْمَتِهِ فَلَا يُقْنِطُنْكَ إِبْطَاءُ أَجَابَتِهِ، فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النَّبِيَّةِ، وَرُبَّمَا أُخْرَتْ عَنْكَ الْإِجَابَةُ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ السَّائِلِ، وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الْآمِلِ.

وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تُؤْتَاهُ وَأُوْتَيْتَ خَيْرًا مِنْهُ عَاجِلًا أَوْ آجِلًا، أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلَكَ دِينُكَ لَوْ أُوتِيْتَهُ، فَلْتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فِيَمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ، وَيُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ. فَالْمَالُ لَا يَبْقَى لَكَ وَلَا تَبْقَى لَهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلْآخِرَةِ لَا لِلدُّنْيَا، وَلِلْفَنَاءِ لَا لِلْبَقَاءِ، وَلِلْمَوْتِ لَا لِلْحَيَاةِ، وَأَنَّكَ فِي مَنْزِلِ قَلْعَةٍ وَدَارِ بُلْعَةٍ، وَطَرِيقِي إِلَى الْآخِرَةِ.

وَأَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِي لَا يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ، وَلَا بُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ، فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ أَنْ يُدْرِكَكَ وَأَنْتَ عَلَى حَالٍ سَيِّئَةٍ قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ، فَيَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ .

يَا بَنِيَّ، أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ، وَتُفْضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَأْتِيكَ وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْهُ حِذْرَكَ، وَشَدَّدَتْ لَهُ أَرْكَ، وَلَا يَأْتِيكَ بَعْتَةً فَيَهْرَكَ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَعْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ اخْتِلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا، وَتَكَالِيهِمْ عَلَيْهَا .

فَقَدْ تَبَّأكَ اللَّهُ عَنْهَا وَنَعَتَتْ لَكَ نَفْسَهَا، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا، فَإِنَّ أَهْلَهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ، وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ، يَهْرُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَيَأْكُلُ عَزِيْزُهَا ذَلِيلَهَا، وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا .

نَعَمْ مُعَقَّلَةٌ، وَأُخْرَى مُهْمَلَةٌ، قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا، وَرَكِبَتْ مَجْهُولَهَا، سَرُوحٌ عَاهَةٌ بَوَادٍ وَعَثٍ . لَيْسَ لَهَا رَاعٍ يُقِيمُهَا، وَلَا مُقِيمٌ يَسِيمُهَا، سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمَى، وَأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ الْهُدَى، فَتَاهُوا فِي خَيْرَتِهَا، وَغَرِقُوا فِي نَعْمَتِهَا، وَاتَّخَذُوهَا رَبًّا، فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا، وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا .

رُويَدًا يُسْفِرُ الظَّلَامَ، كَأَنَّ قَدَّ وَرَدَتْ الْأَطْعَانَ، يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيئَتُهُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفًا، وَيَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيمًا وَادِعًا .

وَاعْلَمْ يَقِينًا أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمْلَكَ، وَلَنْ تَعُدُّوْا أَجَلَكَ، وَأَنَّكَ فِي سَبِيلٍ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، فَخَفِضْ فِي الطَّلَبِ، وَأَجْمِلْ فِي الْمُكْتَسَبِ فَإِنَّهُ رَبُّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرْبٍ، فَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ، وَلَا كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ، وَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ، وَإِنْ سَأَقْتِكَ إِلَى الرَّاغَائِبِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْدُلُ

مِنْ نَفْسِكَ عَوْضاً، وَلَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرّاً، وَمَا خَيْرٌ، لَا يُنَالُ إِلَّا بِشَرٍّ، وَيُسْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِعُسْرٍ.

وَأَيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ، فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ الْهَلَكَةِ، وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ ذُو نِعْمَةٍ فافْعَلْ، فَإِنَّكَ مُدْرِكُ قَسَمِكَ، وَآخِذُ سَهْمِكَ، وَإِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَعْظَمُ وَأَكْرَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ وَإِنْ كَانَ كُلُّ مَنْهٍ.

كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِأَخْبَارِ مَنْ مَضَى
فَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي فَتِلْكَ دِيَارُهُمْ
وَهَلْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ حَيًّا بِمَنْزِلِ
وَأَهْلِ الشَّرَى نَحْوَ الْمَقَابِرِ شَرَّعٌ
عَلَى ذَلِكَ مَرُّوا أَجْمَعُونَ وَهَكَذَا
فَلَا تَحْسَبَنَّ الْوَفَرَ مَالاً جَمَعْتَهُ
وَلَيْسَ الَّذِي يَبْقَى الَّذِي أَنْتَ جَامِعٌ
قَضَى جَامِعُوا الْأَمْوَالَ لَمْ يَنْزَوِدُوا
بَلَى سَوْفَ تَصْنُحُو جِينَ يَنْكَشِفُ الْعَطَا
وَمَا بَيْنَ مِيلَادِ الْفَتَى وَوَفَاتِهِ
لَأَنَّ الَّذِي يَأْتِي كَمِثْلِ الَّذِي مَضَى
فَصَبْرًا عَلَى الْأَوْقَاتِ حَتَّى تَحُوزَهَا

وَلَمْ تَرَ فِي الْبَاقِينَ مَا يَصْنَعُ الدَّهْرُ
عَلَيْهَا مَجَالُ الرِّيحِ بَعْدَكَ وَالْقَطْرُ
عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِالْفَنَاءِ لَهُ قَبْرُ
وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا إِلَى رَبِّهِمْ نَشْرُ
يَمُرُّونَ حَتَّى يَسْتَرِدُّهُمْ الْحَشْرُ
وَلَكِنْ مَا قَدَّمْتَ مِنْ صَالِحٍ وَفَرُ
وَلَكِنْ مَا أَوْلَيْتَ مِنْهُ هُوَ الدُّخْرُ
سِوَى الْفَقْرِ يَا بُؤْسًا لِمَنْ زَادَهُ الْفَقْرُ
وَتَذَكَّرُ قَوْلِي جِينَ لَا يَنْفَعُ الذُّكْرُ
إِذَا نَصَحَ الْأَقْوَامُ أَنْفُسَهُمْ عُمْرُ
وَمَا هُوَ إِلَّا وَقْتُكَ الضَّيِّقُ النَّزْرُ
فَعَمَّا قَلِيلٍ بَعْدَهَا يَنْفَعُ الصَّبْرُ

اللَّهُمَّ إِلَيْكَ بَدَعَانَا تَوَجَّهْنَا وَبِفَنَائِكَ أَنْحْنَا وَإِيَّاكَ أَمَلْنَا وَلِمَا عِنْدَكَ مِنَ الْكَرَمِ وَالْجُودِ وَالْإِحْسَانِ طَلَبْنَا وَمِنْ عَذَابِكَ أَشْفَقْنَا وَلِغُفْرَانِكَ تَعَرَّضْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

« وَصِيَّةُ أَبِي حَازِمٍ الْأَعْرَجِ لِلزُّهْرِيِّ »

عَافَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ أَبَا بَكْرٍ مِنَ الْفِتَنِ، وَرَحِمَكَ مِنَ النَّارِ، فَقَدْ أَصْبَحْتَ
بِحَالٍ يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَكَ بِهَا أَنْ يَرْحَمَكَ مِنْهَا، أَصْبَحْتَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ
أَثَقَلَتْكَ نِعْمَ اللَّهِ عَلَيْكَ، بِمَا أَصَحَّ مِنْ بَدَنِكَ، وَأَطَالَ مِنْ عُمُرِكَ، وَعَلِمْتَ
حُجَجَ اللَّهِ تَعَالَى مِمَّا حَمَلَكَ مِنْ كِتَابِهِ، وَفَقَّهَكَ فِيهِ مِنْ دِينِهِ، وَفَهَّمَكَ مِنْ سُنَّةِ
نَبِيِّكَ ﷺ، فَرَمَى بِكَ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا عَلَيْكَ وَكُلِّ حُجَّةٍ يَحْتَجُّ بِهَا
عَلَيْكَ. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ، وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي
لَشَدِيدٌ﴾.

انظُرْ.. أَيَّ رَجُلٍ تَكُونُ إِذَا وَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَسَأَلَكَ عَنْ
نِعْمِهِ عَلَيْكَ كَيْفَ رَعَيْتَهَا، وَعَنْ حُجَجِهِ عَلَيْكَ كَيْفَ قَضَيْتَهَا، وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ
رَاضِيًا مِنْكَ بِالْتَّعْرِيرِ، وَلَا قَابِلًا مِنْكَ التَّقْصِيرِ، هِيَئَاتَ لَيْسَ كَذَلِكَ.

أَخَذَ عَلَى الْعُلَمَاءِ فِي كِتَابِهِ إِذْ قَالَ: ﴿لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ
وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾.. الآية.

إِنَّكَ تَقُولُ إِنَّكَ جَدَلٌ، مَا هَرُّ عَالِمٌ، قَدْ جَادَلْتَ النَّاسَ فَجَادَلْتَهُمْ،
وَخَاصَمْتَهُمْ فَخَاصَمْتَهُمْ، إِذْ لَوْلَا مِنْكَ بِفَهْمِكَ، وَاقْتِدَارًا مِنْكَ بِرَأْيِكَ، فَأَيَّنَ
تَذَهَبُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.. الآية.

إِعْلَمْ أَنَّ أَدْنَى مَا ارْتَكَبْتَ، وَأَعْظَمَ مَا احْتَقَيْتَ، أَنْ آتَسْتَ الظَّالِمَ، وَسَهَّلْتَ
لَهُ طَرِيقَ الْعِيِّ بِدُنُوكَ حِينَ أُذِنْتَ، وَاجَابَتِكَ حِينَ دُعِيتَ، فَمَا أَخْلَقَكَ أَنْ تَبُوءَ
بِاثْمِكَ غَدًا مَعَ الْجَمْعَةِ، وَأَنْ تُسْأَلَ عَمَّا أُرَدَتْ بِاغْضَائِكَ عَنْ ظُلْمِ الظَّالِمَةِ.

إِنَّكَ أَخَذْتَ مَا لَيْسَ لِمَنْ أُعْطَاكَ، وَدَنَوْتَ مِمَّنْ لَا يُرْدُ عَلَى أَحَدٍ حَقًّا،
وَلَا تَرَكَ بَاطِلًا حِينَ أُذِنَاكَ، وَأَجَبْتَ مَنْ أَرَادَ التَّدْلِيْسَ بِدُعَائِهِ إِيَّاكَ حِينَ دَعَاكَ.

جَعَلُوكَ قُطْبًا تُدَوِّرُ رَحَى بَاطِلِهِمْ عَلَيْكَ، وَجَسْرًا يَعْبُرُونَ بِكَ إِلَى بَلَائِهِمْ،

وَسَلَّمًا إِلَى ضَلَالَتِهِمْ، وَدَاعِيًا إِلَى غِيْبِهِمْ، سَالِكًا سَبِيلَهُمْ، يُدْخِلُونَ بَكَ الشُّكَّ عَلَى الْعُلَمَاءِ، وَيَقْتَادُونَ بَكَ قُلُوبَ الْجُهَّالِ إِلَيْهِمْ، فَلَمْ تَبْلُغْ أَحْصُ وَزَرَائِهِمْ، وَلَا أَقْوَى أَعْوَانِهِمْ لَهُمْ إِلَّا دُونَ مَا بَلَغْتَ مِنْ إِصْلَاحِ فَسَادِهِمْ، وَأَخْتِلَافِ الْحَاصَةِ وَالْعَامَّةِ إِلَيْهِمْ، فَمَا أُيَسِّرَ مَا عَمَّرُوا لَكَ فِي جَنْبِ مَا خَرَّبُوا عَلَيْكَ، وَمَا أَقَلَّ مَا أَعْطَوْكَ فِي كَثِيرٍ مَا أَخَذُوا مِنْكَ، فَانظُرْ لِنَفْسِكَ فَإِنَّهُ لَا يَنْظُرُ لَهَا غَيْرُكَ، وَحَاسِبِنَهَا حِسَابَ رَجُلٍ مَسْئُولٍ .

وَانظُرْ كَيْفَ شَكَرَكَ لِمَنْ غَذَاكَ بِنِعْمِهِ صَغِيرًا وَكَبِيرًا، وَانظُرْ كَيْفَ إِعْظَامُكَ أَمْرٌ مَنْ جَعَلَكَ بَدِينِهِ فِي النَّاسِ بَخِيلًا، وَكَيْفَ صِيَانَتُكَ لِكِسْوَةِ مَنْ جَعَلَكَ لِكِسْوَتِهِ سَيِّرًا، وَكَيْفَ قُرْبُكَ وَبُعْدُكَ مِمَّنْ أَمَرَكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُ قَرِيبًا . مَا لَكَ لَا تَنْتَبِهَ مِنْ نَفْسِكَ، وَتَسْتَقِيلَ مِنْ عَثْرَتِكَ، فَتَقُولَ : وَاللَّهِ مَا قُمْتُ لِلَّهِ مَقَامًا وَاحِدًا أَحَبِّي لَهُ فِيهِ دِينًا، وَلَا أُمِيتُ لَهُ فِيهِ بَاطِلًا، إِنَّمَا شَكَرَكَ لِمَنْ اسْتَحْمَلَكَ كِتَابَهُ، وَاسْتَوْدَعَكَ عِلْمَهُ .

مَا يُؤْمِنُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى .. ﴾ الْآيَةَ .

إِنَّكَ لَسْتَ فِي دَارِ مُقَامٍ، قَدْ آذَنْتَ بِالرَّحِيلِ، مَا بَقَاءُ الْمَرْءِ بَعْدَ أَقْرَانِهِ، طُوبَى لِمَنْ كَانَ مَعَ الدُّنْيَا عَلَى وَجَلٍ، وَيَا بُؤْسَ مَنْ يَمُوتُ وَتَبَقِيَ ذُنُوبُهُ مِنْ بَعْدِهِ .

إِنَّكَ لَمْ تُؤْمَرْ بِالنَّظَرِ لِوَارِثِكَ عَلَى نَفْسِكَ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَهْلًا أَنْ تُرْدِفَهُ عَلَى ظَهْرِكَ . ذَهَبَتْ اللَّذَّةُ وَبَقِيَتِ التَّبَعَةُ، مَا أَشَقَى مَنْ سَعَدَ بِكَسْبِهِ غَيْرُهُ، إِحْذَرْ فَقَدْ أُتِيَتْ، وَتَخَلَّصَ فَقَدْ أَذْهِتَ إِنَّكَ تُعَامِلُ مَنْ لَا يَجْهَلُ، وَالَّذِي يَحْفَظُ عَلَيْكَ لَا يَعْفَلُ .

تَجَهَّزْ، فَقَدْ دَنَا مِنْكَ سَفَرٌ، وَدَاوِ دَيْنَكَ فَقَدْ دَخَلَهُ سَقَمٌ شَدِيدٌ، وَلَا

تَحْسَبَنَّ أَنِّي آرَدْتُ تَوْبِيحَكَ أَوْ تَعْيِيرَكَ وَتَعْنِيفَكَ، وَلَكِنِّي آرَدْتُ أَنْ تَنْبِشَ مَا فَاتَ مِنْ رَأْيِكَ، وَتَرُدَّ عَلَيْكَ مَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ حِلْمِكَ، وَذَكَرْتُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الدُّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

أَغْفَلْتُ ذِكْرَ مَنْ مَضَى مِنْ أَسْلَافِكَ وَأَقْرَانِكَ، وَبَقِيتَ بَعْدَهُمْ كَقَرْنٍ أَعْضَبٍ، فَانظُرْ هَلْ ابْتَلَوْا بِمِثْلِ مَا ابْتَلَيْتَ بِهِ، أَوْ دَخَلُوا فِي مِثْلِ مَا دَخَلْتَ فِيهِ، وَهَلْ تَرَاهُ إِدْخَرَ لَكَ خَيْرًا مِنْغَوْهُ أَوْ عَلَّمَكَ عِلْمًا جَهْلُوهُ، بَلْ جَهَلْتَ مَا ابْتَلَيْتَ بِهِ مِنْ حَالِكَ فِي صُدُورِ الْعَامَّةِ، وَكَلَّفَهُمْ بِكَ أَنْ صَارُوا يَقْتَدُونَ بِرَأْيِكَ وَيَعْمَلُونَ بِأَمْرِكَ، إِنْ أَحَلَلْتَ أَحَلُّوا، وَإِنْ حَرَّمْتَ حَرَّمُوا، وَلَيْسَ ذَلِكَ عِنْدَكَ، وَلَكِنْ إِكْبَابُهُمْ عَلَيْكَ، وَرَغْبَتُهُمْ فِيمَا فِي يَدَيْكَ، ذَهَابُ عَمَلِهِمْ، وَغَلْبَةُ الْجَهْلِ عَلَيْكَ وَعَالِيهِمْ، وَطَلَبُ حُبِّ الرِّيَاسَةِ وَطَلَبُ الدُّنْيَا مِنْكَ وَمِنْهُمْ.

أَمَا تَرَى مَا أَنْتَ فِيهِ مِنَ الْجَهْلِ وَالْعِزَّةِ، وَمَا النَّاسُ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْفِتْنَةِ، وَابْتَلَيْتَهُمْ بِالشُّغْلِ عَنِ مَكَاسِبِهِمْ وَفَتْنَتِهِمْ، بِمَا رَأَوْا مِنْ أَثَرِ الْعِلْمِ عَلَيْكَ، وَتَأَقَّتْ أَنْفُسُهُمْ إِلَى أَنْ يُدْرِكُوا بِالْعِلْمِ مَا أَدْرَكْتَ، وَيَبْلُغُوا مِنْهُ مِثْلَ الَّذِي بَلَغْتَ، فَوْقَعُوا بِكَ فِي بَحْرٍ لَا يُدْرِكُ قَعْرَهُ، وَفِي بَلَاءٍ لَا يُقَدَّرُ قَدْرُهُ، فَاللَّهُ لَنَا وَلَكَ وَلَهُمُ الْمُسْتَعَانَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْجَاءَ جَاهَانِ: جَاءَ يُجْرِيهِ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى يَدَيْ أَوْلِيَائِهِ لَأَوْلِيَائِهِ، الْخَامِلِ ذِكْرَهُمْ، الْخَافِيَةِ شُحُوصُهُمْ، وَلَقَدْ جَاءَ نَعْتُهُمْ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَخْفِيَاءَ الْأَتْقِيَاءَ الْأَبْرِيَاءَ الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا، وَإِذَا شَهِدُوا لَمْ يُعْرَفُوا، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى، يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ سَوْدَاءَ مُظْلَمَةً».

فَهُؤُلَاءِ أَوْلِيَائِ اللَّهِ الَّذِينَ قَالَ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وَجَاهُ يُجْرِيهِ اللهُ تَعَالَى عَلَى يَدَيْ اَعْدَائِهِ لِأَوْلِيَائِهِ، وَمِقَّةٌ يَقْدِفُهَا اللهُ فِي قُلُوبِهِمْ لَهُمْ، فَيَعْظُمُهُمُ النَّاسُ بِتَعْظِيمِ أَوْلِيَاكَ لَهُمْ وَيَرْغَبُ النَّاسُ فِيْمَا فِي أَيْدِيهِمْ لِرَغْبَةِ أَوْلِيَاكَ فِيهِ إِلَيْهِمْ ﴿أَوْلِيَاكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمْ الْخَاسِرُونَ﴾ .

وَمَا أَخُوْفِي أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَنْظُرُ لِمَنْ عَاشَ مَسْتُوْرًا عَلَيْهِ فِي دِيْنِهِ، مَقْتُوْرًا عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ، مَعْرُوْلَةً عَنْهُ الْبَلَايَا، مَصْرُوْفَةً عَنْهُ الْفِتْنُ فِي عُنُقُوَانِ شَبَابِهِ وَظُهُوْرٍ جَلِيْدِهِ، وَكَمَالِ شَهُوْتِهِ .

فَعَنِي بِذَلِكَ دَهْرُهُ، حَتَّى إِذَا كَبِرَ سِنُّهُ، وَرَقَّ عَظْمُهُ، وَضَعُفَتْ قُوَّتُهُ، وَانْقَطَعَتْ شَهُوْتُهُ وَكَذَّبَتْهُ، فَتَحَتَّ عَلَيْهِ الدُّنْيَا شَرًّا فَتُوْجَ فَلَزِمَتْهُ تَبِعَتْهَا وَعَلِقَتْهُ فَتَشَّتْهَا، وَأَعَشَّتْ عَيْنِيهِ زَهْرَتُهَا، وَصَفَّتْ لِغَيْرِهِ مَنْفَعَتُهَا .

فَسُبْحَانَ اللهِ مَا أَبَيَّنَ هَذَا الْعَبْنُ، وَأَخْسَرَ هَذَا الْأَمْرَ، فَهَلَّا إِذَا عَرَضَتْ لَكَ فِتْنَتُهَا ذَكَرْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ إِلَى سَعْدٍ .. حِينَ خَافَ عَلَيْهِ مِثْلَ الَّذِي وَقَعَتْ فِيهِ عِنْدَمَا فَتَحَ اللهُ عَلَى سَعْدٍ .

أَمَّا بَعْدُ، فَأَعْرِضْ عَن زَهْرَةِ مَا أَنْتَ فِيهِ حَتَّى تَلْقَى الْمَاضِيْنَ الَّذِيْنَ دُفِنُوا فِي أَسْمَائِهِمْ، لِأَصِيْقَةِ بَطُوْنِهِمْ بِظُهُوْرِهِمْ، لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ، لَمْ تَفْتِنُهُمُ الدُّنْيَا وَلَمْ يُفْتِنُوْا بِهَا، رَغِبُوا فَطَلَبُوا فَمَا لَبِثُوا أَنْ لَحِقُوا .

فَإِذَا كَانَتْ الدُّنْيَا تَبْلُغُ مِنْ مِثْلِكَ هَذَا فِي كِبَرِ سِنِّكَ، وَرُسُوْخِ عِلْمِكَ، وَحُضُوْرِ أَجْلِكَ، فَمَنْ يَلُوْمُ الْحَدِثَ فِي سِنِّهِ، وَالْجَاهِلَ فِي عِلْمِهِ، وَالْمَافُوْنَ فِي رَأْيِهِ الْمَدْحُوْلَ فِي عَقْلِهِ «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»، عَلَى مَنْ الْمَعْوَلُ، وَعِنْدَ مَنْ الْمُسْتَعْتَبُ .

نَحْتَسِبُ عِنْدَ اللهِ مُصِيْبَتَنَا .. وَمَا تَرَى مِنْكَ، وَنَحْمَدُ اللهُ الَّذِي عَافَانَا مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ ..

شِعْرًا: يَمْشُونَ نَحْوَ بُيُوتِ اللَّهِ إِذَا سَمِعُوا
أَرْوَاحَهُمْ حَشَعَتْ لِلَّهِ فِي أَدَبٍ
نَجْوَاهُمْ رَبَّنَا جِئْنَاكَ طَائِعَةً
إِذَا سَجَى اللَّيْلُ قَامُوهُ وَأَعْيُنُهُمْ
هُمُ الرِّجَالُ فَلَا يُلْهِبُهُمْ لَعِبٌ
آخر: لَا فِي النَّهَارِ وَلَا فِي اللَّيْلِ لِي فَرَحٌ
لَأَنِّي طَوَّلَ لَيْلِي هَائِمٌ دَرَفٌ
آخر: لَعَمْرِي لَقَدْ تَوَدِدْتُ لَوْ كُنْتُ تَسْمَعُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ النَّاسَ فِي غَفْلَاتِهِمْ
أَلَمْ تَرَ لَذَاتِ الْجَدِيدِ إِلَى الْبَلِي
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَوْتَ يَهْتَرُ سَيْفُهُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْوَقْتَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
أَيَا بَانِي الدُّنْيَا لِعَيْرِكَ تَبْتَنِي
اللَّهُ أَكْبَرُ فِي شَوْقٍ وَفِي جَدَلٍ
قُلُوبُهُمْ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ فِي وَجَلٍ
نُفُوسُنَا وَعَصِينَا خَادِعَ الْأَمَلِ
مِنْ حَشِيَّةِ اللَّهِ مِثْلَ الْجَائِدِ الْهَطَلِ
عَنِ الصَّلَاةِ وَلَا أَكْذُوبَةَ الْكَسَلِ
فَمَا أَبَالِي أَطَالَ اللَّيْلُ أَمْ قَصْرًا
وَبالنَّهَارِ أَقَاسِي الْهَمَّ وَالْفِكْرَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَوْتَ مَا لَيْسَ يُدْفَعُ
وَأَنَّ الْمَنَائِيا بَيْنَهُمْ تَتَقَعَقَعُ
أَلَمْ تَرَ أَسْبَابَ الْأُمُورِ تَقْطَعُ
وَأَنَّ رِمَاحَ الْمَوْتِ نَحْوَكِ شَرَّعُ
لَهُ عَارِضٌ فِيهِ الْمَيِّتَةُ تَلْمَعُ
وَيَا جَامِعَ الدُّنْيَا لِعَيْرِكَ تَجْمَعُ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

وَقَالَ رَجُلٌ لِمُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ أَوْصِنِي فَقَالَ لَا تَحْسُدُ أَحَدًا، فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ
مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَكَيْفَ تَحْسُدُهُ عَلَى دُنْيَا فَإِنَّهُ مَصِيرُهُ بَعْدَهَا إِلَى النَّارِ وَأَنْ كَانَ مِنْ
أَهْلِ الْجَنَّةِ فَاتَّبِعْهُ فِي أَعْمَالِهَا وَاعْبِطْهُ عَلَيْهَا فَإِنَّ ذَلِكَ أَوْلَى مِنْ حَسَدِكَ لَهُ عَلَى
الدُّنْيَا.

وَقَالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَوْصِنِي فَقَالَ لَا تُذْنِبْ فُتَلْقَى نَفْسَكَ فِي النَّارِ
مَعَ أَتِكَ لَوْ رَأَيْتَ أَحَدًا يُلْقَى بُرْعُوثًا فِي النَّارِ لِأَنَّكَ تَرْت عَلَيْهِ، وَأَنْتَ تُلْقَى
نَفْسَكَ فِي النَّارِ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّاتٍ، وَلَا تُنْكِرْ عَلَيْهَا، وَمِنْ ذَلِكَ حُسْنُ أَدَبِهِمْ مَعَ
الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ وَمَعَ الْبَعِيدِ فَضْلًا عَنِ الْقَرِيبِ.

وَالْأَصْلُ فِي الْأَدَبِ شُهُودُ النَّفْسِ فِي النَّفْسِ وَالْكَمَالِ فِي الْعَيْرِ عَكْسُ مَنْ

كَانَ قَلِيلَ أَدَبٍ مُتَكَبِّرٍ ، وَكَانَ مِيمُونُ بْنُ مِهْرَانَ إِذَا دُعِيَ إِلَى وَليمةٍ جَلَسَ مَعَ الصَّبِيَّانِ وَالْمَسَاكِينِ مِنَ الرِّجَالِ وَتَرَكَ الإِغْنِيَاءَ ، وَكَانَ بَكْرُ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ المُرَنِّي يَقُولُ إِذَا رَأَيْتَ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْكَ فَعِظْمُهُ وَقُلْ أَنَّهُ سَبَقَنِي إِلَى الإِسْلَامِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَإِذَا رَأَيْتَ مَنْ هُوَ أَصْعَرُ مِنْكَ فَعِظْمُهُ وَقُلْ فِي نَفْسِكَ إِنِّي سَبَقْتُهُ إِلَى الذُّنُوبِ ، وَإِذَا أَكْرَمَكَ النَّاسُ فَقُلْ هَذَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيَّ لَا أُسْتَحِقُّهُ وَإِذَا أَهَانُوكَ فَقُلْ هَذَا بِذَنْبٍ أَحَدْتُهُ .

وَمِنْ أَخْلَاقِهِمُ إِتْخَالُغُ قُلُوبِهِمْ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرَ أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ الوَفَاةُ سَلْمَانَ الفَارِسِيَّ بَكَى ، وَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ عَاهَدَ أَلْبِنَا وَقَالَ : « لِيَكُنْ بُلْعَةُ أَحَدِكُمْ مِنَ الدُّنْيَا كَرَادِ الرَّايِبِ » ، وَهَذَا أَنَا قَدْ جَمَعْتُ هَذِهِ الأُمْتِعَةَ وَأَشَارَ إِلَيْهَا وَهِيَ أَجَانَةٌ وَجَفْنَةٌ وَمِطْهَرَةٌ فَلَمَّا مَاتَ فَوُؤِمَا بِخَمْسَةِ عَشَرَ دِرْهَمًا .

شِعْرًا : مَا ضَرَّ مَنْ كَانَتْ الفِرْدَوْسُ مَسْكَنَهُ
تَرَاهُ يَمْشِي كَثِيْبًا خَائِفًا وَجَلًّا
وَمِمَّا يُنْسَبُ إِلَى الشَّافِعِيِّ :

عِنْدِي لَكُنْتُ إِذَا مِنْ أَسْعَدِ البَشَرِ
وَخِدْمَةِ العِلْمِ حَتَّى يَنْتَهِي عُمْرِي
وَالنُّومُ تَحْتَ رِوَاقِ الهَمِّ وَالقَلْقِ
إِنِّي التَّمَسْتُ العِنْيَ مِنْ كَفِّ مُحْتَلِقِ
لَيْسَ العِنْيَ كَثْرَةُ الأَمْوَالِ وَالوَرِقِ
فَإِنَّ ذَلِكَ نَقْصُ مِنْكَ فِي الدِّينِ
فَإِنَّمَا الأَمْرُ بَيْنَ الكَافِ وَالثُّونِ
وَضُرُورَةَ قَدْ غَطَّيْتُ بِتَجْمُلِ
قَدْ حَامَرْتُهُ لَوْعَةً مَا تَنْجَلِي
يَا لَهْفَ قَلْبِي عَلَى شَيْعِينَ لَوْ جُمِعَا
كَفَافِ عَيْشٍ يَقِينِي شَرَّ مَسْأَلَةٍ
آخِرُ : قَطَعَ اللَّيَالِي مَعَ الأَيَّامِ فِي خَلْقِ
أُخْرَى وَأَعْدَرُ لِي مِنْ أَنْ يُقَالَ غَدًا
قَالُوا قَبِعْتَ بِذَا قُلْتَ القُنُوعُ غِنَى
آخِرُ : لَا تَضْرَعَنَّ لِمُخْلُوقٍ عَلَى طَمَعِ
وَاسْتَرْزَقِ اللَّهَ مِمَّا فِي خَزَائِنِهِ
آخِرُ : كَمْ فَاقَةَ مَسْتُوْرَةَ بِمُرُوءَةٍ
وَمِنْ ابْتِسَامِ تَحْتَهُ قَلْبٌ شَجِي

آخر: إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا نَالَتُهُ مَحْمَصَةً
 يَطْوِي الضُّلُوعَ عَلَى مَثَلِ اللَّظِي حُرْقًا
 آخر: نَهَارٌ مُشْرِقٌ وَظِلَامٌ لَيْلٍ
 هُمَا هَدَمًا دَعَائِمَ عُمَرِ نُوجٍ
 فَيَا بَكْرَ بْنَ حَمَادٍ تَعَجَّبْ
 تَبَيْتُ عَلَى فِرَاشِكَ مُطْمَئِنًّا
 فَيَا سُبْحَانَ مَنْ أَرَسَى الرَّوَاسِي
 آخر: مَنْ رَاقَبَ الْمَوْتَ لَمْ تَكْثُرْ أَمَانِيهِ
 آخر: رَبِّ بَاتَ يُمْنِّي نَفْسَهُ
 آخر: إِذَا أُمْسِيَتْ فَابْتَدِرِ الصَّبَاحَا
 وَتُبْ مِمَّا جَنَيْتَ فَكَمْ أَنَا
 آخر: وَلَا تُرْجِ فِعْلَ الصَّالِحَاتِ إِلَى غَدٍ

احتضر بعضُ العباد فقال ما تأسفي على دار الهموم والأحزان والأنكاد
 والخطايا والذنوب، وإنما تأسفي على ليلة نمتها ويوم أفطرته وساعة غفلت فيها
 عن ذكر الله، وقال إبراهيم بن أدهم فرغ قلبك من ذكر الدنيا يُفرغ عليك
 الرضاء إفراغا، حَظَبَ الحجاج فقال إن الله أمرنا نطلب الآخرة وكفانا مؤنة
 الدنيا فليته كفانا مؤونة الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا فقال الحسن البصري ضالة
 المؤمن عند فاسق فليأخذها.

وقال أنس رضي الله عنه إن الله جعل الدنيا دار بلوى والآخرة دار عُقْبَى
 فجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سبباً وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً
 فيأخذ ليعطي ويبتلي ليجزي.

وقال بعضهم إن إِمْرًا ذَهَبَتْ سَاعَةٌ مِنْ عَمْرِهِ فِي غَيْرِ مَا خَلَقَ لَهُ لِحَرِيٍّ أَنْ
 يَطُولَ عَلَيْهَا حُزْنُهُ.

وقال آخر: ما ابتلى أحد بشيء أشد من الغفلة والقسوة إنما كره المؤمن الموت لانقطاع الأعمال الصالحة وخوف الذنوب، ومن شغله طلب الدنيا عن الآخرة ذل إما في الدنيا وإما في الآخرة وإما بهما جميعاً.

من نظر في سيرة السلف عرف تقصيره وتخلفه عن درجات الكمال، تعرف نفسك في ثلاثة مواضع: إذا عملت فانظر نظر الله إليك وإذا تكلمت فاذا سمع الله إليك وإذا سكت فاذا علم الله فيك، تهاون بالدنيا حتى لا يعظم بعينك أهلها ومن يملكها.

قال بعض العلماء كان الرجل في أهل العلم يزداد بعلمه بعضاً للدنيا وتركها لها واليوم يزداد الرجل بعلمه حبا للدنيا وطلباً لها وكان الرجل ينفق ماله على علمه واليوم يكسب الرجل بعلمه مالاً وكان يرى على طالب العلم زيادة في باطنه وظاهره واليوم يرى على كثير من أهل العلم فساد في الظاهر والباطن.

شِعْرًا: يا عامر الدنيا على شيبته
ما عُذِرَ مَنْ يَعْمُرُ بُنْيَانَهُ
فِيكَ أَعَاجِيبُ لِمَنْ يَعْجَبُ
وَعُمْرُهُ مُسْتَهْدَمٌ يَخْرَبُ
آخِرُ: عَجِبْتُ لِتَعْرِيسِي نَوَى النَّحْلِ بَعْدَمَا
وَأَدْرَكْتُ مِلَأَ الْأَرْضِ نَاسًا فَأَصْبَحُوا
كَأَهْلِ دِيَارِ أَدْجُوا فَتَحَمَّلُوا
وَأُخْرَى تُقْضِي حَاجَهَا ثُمَّ تَرْحَلُ
وما الناس إلا رُفْقَةٌ قَدْ تَحَمَّلَتْ

وَلَمَّا حَضَرَتْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيَّ الْوَفَاةُ بَكَى فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: إِنِّي
أُنْتَظِرُ رَسُولًا يَأْتِينِي مِنْ رَبِّي لَا أُدْرِي هَلْ يُبَشِّرُنِي بِالْجَنَّةِ أَوْ بِالنَّارِ، وَلَمَّا
حَضَرَتْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْوَفَاةُ، قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَذْنَبْتُ فَإِنْ غَفَرْتَ لِي فَقَدْ
مَنَنْتَ وَإِنْ عَذَّبْتَنِي فَقَدْ عَدَلْتَ، وَمَا ظَلَمْتُ لَكِنْ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ
مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ثُمَّ قَضَى نَحْبَهُ.

وَكَانَ يَتَمَثَّلُ بِهَذِهِ الْأَيَّاتِ:

تَرَاهُ مَكِينًا وَهُوَ لِلَّهِوِ مَاقِتٌ بِهِ عَن حَدِيثِ الْقَوْمِ مَا هُوَ شَاغِلُهُ
وَأَزَعَجَهُ عِلْمٌ عَنِ الْجَهْلِ كُلِّهِ وَمَا عَالِمٌ شَيْئًا كَمَنْ هُوَ جَاهِلُهُ
عَبُوسٌ عَنِ الْجَهَالِ حِينَ يَرَاهُمُوا فَلَيْسَ لَهُ مِنْهُمْ حَدِيثٌ يُهَازِرُ لَهُ
تَذَكَّرَ مَا يَلْقَى مِنَ الْعَيْشِ آجِلًا فَاشْغَلُهُ عَنِ عَاجِلِ الْعَيْشِ آجِلُهُ

وَلَمَّا حَضَرَتْ عَامِرَ بْنَ قَيْسِ الْوَفَاةُ بَكَى وَقَالَ إِنِّي لَمْ أَبْكُ جَزَعًا مِنْ
الْمَوْتِ وَلَا حِرْصًا عَلَى الدُّنْيَا، وَلَكِنْ عَلَى عَدَمِ قَضَاءِ وَطَرِيٍّ مِنْ طَاعَةِ رَبِّي
وَقِيَامِ اللَّيْلِ فِي أَيَّامِ الشِّتَاءِ.

وَكَانُوا يَبْكُونَ إِذَا فَاتَتْهُمْ تَكْبِيرَةُ الْأَحْرَامِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَكَانَ الْمُحَدِّثُ
الثِّقَةَ بِشَرِّ بْنِ الْحَسَنِ يُقَالُ لَهُ الصَّفِيُّ لِأَنَّهُ كَانَ يَلْزَمُ الصَّفَّ الْأَوَّلَ فِي مَسْجِدِ
الْبَصْرَةِ خَمْسِينَ سَنَةً.

مِثْلُهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَيْمُونِ الْمَرْوَزِيِّ أَحَدُ الدُّعَاةِ الْمُحَدِّثِينَ الثِّقَاتِ مِنَ
أَصْحَابِ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ وَكَانَتْ مِهْنَتُهُ الصِّيَاغَةَ وَطَرَّقَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ
قَالُوا كَانَ فَقِيهًا فَاضِلًا مِنَ الْأُمَرَاءِ بِالْمَعْرُوفِ وَقَالَ ابْنُ مَعِينٍ كَانَ إِذَا رَفَعَ
الْمِطْرَقَةَ فَسَمِعَ الْبِنَاءَ لَمْ يُرِدْهَا.

وَقِيلَ لِكَثِيرِ بْنِ عُبَيْدِ الْحِمُصِيِّ عَنِ سَبَبِ عَدَمِ سَهْوِهِ فِي الصَّلَاةِ وَقَدْ أَمَّ
أَهْلَ حِمَاصٍ سِتِّينَ سَنَةً كَامِلَةً فَقَالَ مَا دَخَلْتُ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ قَطُّ وَفِي نَفْسِي
غَيْرُ اللَّهِ.

وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ حَمْرَةَ الْمَقْدِسِيِّ وَهُوَ مِنْ ذُرِّيَةِ بْنِ قُدَامَةَ صَاحِبِ كِتَابِ الْمَغْنِيِّ
«لَمْ أَصَلِّ الْفَرِيضَةَ قَطُّ مُنْفَرِدًا إِلَّا مَرَّتَيْنِ، وَكَأَنِّي لَمْ أَصَلِّهَا قَطُّ مَعَ أَنَّهُ قَارِبُ
التِّسْعِينَ».

وَذَكَرَ عَنِ الْأَعْمَشِ أَنَّهُ قَالَ لَمْ تُفْتَنِي صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ مَا يَقْرُبُ مِنْ أَرْبَعِينَ
سَنَةً إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً حِينَ مَاتَتْ وَالِدَتُهُ اشْتَغَلَ بِتَجْهِيزِهَا.

وذكر عن بعضهم أنه لم تفته تكبيرة الاحرام أربعين سنةً وكان بعضهم
يُصِيْبُهُ مَرَضٌ إِذَا فَاتَتْهُ صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ .

ونحن بالعكس ربّما يُصِيْبُنَا مَرَضٌ أَوْ جُنُونٌ إِذَا فَاتَنَا شَيْءٌ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا
والسبب الوحيد أن الدنيا ما تَهُمُّهُمْ وأما الآخرة فهي نَصَبَ أَعْيُنِهِمْ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
يَسْتَعِدُّونَ لَهَا وَالدُّنْيَا جَعَلُوهَا مَطِيَّةً إِلَى الآخِرَةِ .

نسأل الله الحي القيوم العلي العظيم القوي العزيز أن يُوقِظَ قُلُوبَنَا مِنْ هَذِهِ
الرَّقْدَةِ اللّهِمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ .

شِعْرًا: أَفَلَسْتَ تَدْرِي أَنَّ يَوْمَكَ قَدْ دَنَا
فَعَلَامَ تَضْحَكُ وَالْمَنِيَّةُ قَدْ دَنَتْ
آخر: الْوَقْتُ سَاوَمَنِي عُمْرِي فَقُلْتُ لَهُ
ثم اشتراه تُفَارِيقًا بِلَا تَمَنٍّ
آخر: وَمَا فَرَشْتُهُمْ إِلَّا أَيَّامُنُ أُرْزِهِمْ
وَمَا لَيْلُهُمْ فِيهِنَّ إِلَّا تَحْوُفٌ
وَالْوَأْتُهُمْ صُفْرٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ
نَوَاحِلٌ قَدْ أُرْزَى بِهَا الْجُهْدُ وَالسُّرَى
وَيَبْكُونَ أَحْيَانًا كَأَنَّ عَجِيجَهُمْ
وَمَجْلِسُ ذِكْرٍ فِيهِمْ قَدْ شَهِدْتُهُ
آخر: وَمَا النَّاسُ إِلَّا رَاحِلُونَ وَبَيْنَهُمْ
بِعِزَّةِ بَاسٍ وَاطِّلاعِ بَصِيرَةٍ
حُظُوظٌ كَمَالٍ أَظْهَرَتْ مِنْ عَجَائِبِ
وَمَا يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ يَحْتَصُّ نَفْسَهُ
وَقَدْ يُفْسِدُ الْحُرَّ الْكَرِيمَ جَلِيسُهُ
وَلَيْسَ بِحَيٍّ سَالِكٌ فِي خَسَائِسِ
أولست تدري أن عمرك ينفد
وعلام ترقد والثرى لك مرقد
لا بعث عمري بالدنيا وما فيها
ثبت يدا صفة قد خاب شاربيها
وما وسدهم إلا ملاء وأذرع
وما نومهم إلا عشاشر مروغ
عليها جساماً ما به الورس مشبع
إلى الله في الظلماء والناس هجع
إذا نوم الناس الحنين المرجع
وأعينهم من رهبة الله تدمع
رجال ثوت آثارهم كالمعاليم
وهزة نفس واتساع مراحيم
بمراة شخص ما اختفى في العوالم
ألا إنما التخصيص قسمة راحيم
وتضعف بالإيهام قوة حازم
وليس بميت هالك في مكارم

إِذَا لَجَّ لُؤْمٌ مِنْ سَفِيهِ لِرَاشِدٍ تَوَهَّم رَشْدًا فِي سَفَاهِهِ لَأَيْمٍ
 عَجِبْتُ مِنَ الْإِنْسَانِ يَعْجَبُ وَهُوَ فِي تَقَائِصِ أَحْوَالٍ قَسِيمِ السَّوَائِمِ
 يَرَى جَوْهَرَ النَّفْسِ الطَّلِيْقِ فَيَزِدْهُيْ وَيَذْهَلُ عَنْ أَعْرَاضِ جِسْمِ لَوَائِمِ
 دُبُونُ اضْطِرَارٍ تُقْتَضِي كُلَّ سَاعَةٍ فَتُقْتَرَضُ الْأَعْمَارُ بَيْنَ الْمَعَارِمِ
 وَكُلُّ فَمَعْرُورٍ بِحُبِّ حَيَاتِهِ وَيُغْرِيهِ بِالْأَدْنَى خَفَاءُ الْخَوَاتِمِ
 وَجَمَاعُ مَالٍ لَا انْتِفَاعَ لَهُ بِهِ كَمَا مَصَّ مَشْرُوطًا زَجَاجَ الْمَحَاجِمِ
 وَمَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا تَيَقَّنَ أَنَّهَا مَطِيَّةٌ يَقْطَازِنُ وَطَيْفَةٌ حَالِمِ
 فَلِلَّهِ سَاعٌ فِي مَنَاهِجِ طَاعَةٍ لِإِيْلَافِ عَدْلِ أَوْ لِإِثْلَافِ ظَالِمِ

وَلَمَّا حَضَرَتْ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ الْوَفَاةُ قَالَ لِغُلَامِهِ اجْعَلْ رَأْسِي عَلَى
 الْأَرْضِ فَبَكَى غُلَامُهُ قَالَ مَا يُبْكِيكَ قَالَ ذَكَرْتُ مَا كُنْتُ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ وَأَنَّ
 هُوَ ذَا تَمُوتُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ فَقَالَ إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ أَمُوتَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ .

ثُمَّ قَالَ لِقِنِّي يَا أَخِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا الْحَالُ تَعَيَّرَ ، وَلَا تُعِدُّ عَلَيَّ إِلَّا إِنْ
 تَكَلَّمْتُ بَعْدَ بِكَلَامٍ ، وَدَخَلَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ عَلَى رَجُلٍ وَهُوَ فِي سِيَاقِ الْمَوْتِ
 يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَقَالَ إِنْ أَمْرًا هَذَا آخِرُهُ لِحَقِيقٍ أَنْ يُزْهَدَ فِي أَوْلِهِ وَلَمَّا حَضَرَتْ أَبَا
 ذَرٍّ الْوَفَاةُ قَالَ : يَا مَوْتُ اخْنُقْ وَعَجِّلْ فَإِنِّي أَحِبُّ لِقَاءَ اللَّهِ .

وَدَخَلَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى رَجُلٍ مُحْتَضِرٍ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَوَجَدَهُ
 يَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ فَقَالَ لَهُ أَصَبْتَ يَا أَخِي أَنَّ اللَّهَ إِذَا قَضَى أَمْرًا أَحَبَّ مِنْ عَبْدِهِ
 أَنْ يَحْمَدَهُ عَلَيْهِ وَدَخَلَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عَلَى وَلَدٍ يَجُودُ بِنَفْسِهِ وَأَبَوَاهُ بَيْنَكِيَانِ
 عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُمَا لَا تَبْكِيَا فَإِنِّي قَادِمٌ عَلَى مَنْ هُوَ أَرْحَمُ بِي مِنْكُمَا .

وَلَمَّا حَضَرَتْ أَبَا هُرَيْرَةَ الْوَفَاةُ بَكَى ، قَالُوا مَا يُبْكِيكَ قَالَ بَعْدَ السَّفَرِ وَقَلَّةُ
 الرَّادِ وَضَعْفُ الْيَقِينِ وَخَوْفُ الْوُقُوعِ مِنَ الصَّرَاطِ فِي النَّارِ ، وَرُوي أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لَيْلَةٍ صَبَّاحُهَا إِلَى النَّارِ .

شِعْرًا: لَعَمْرِي مَا الرَّزِيَّةُ فَقَدْ قَصِرَ فسيح مُنِيَّةٍ لِلسَّاكِنِينَ
وَلَكِنَّ الرَّزِيَّةَ فَقَدْ دِينَ يَكُونُ بِفَقْدِهِ مِنْ كَافِرِينَ

ثُمَّ قَالَ مَرَحَبًا بِالمَوْتِ زَائِرٌ مُغِيبٌ وَحَبِيبٌ جَاءَ عَلَى فَاقَةٍ، اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ
أَخَافُكَ وَأَنَا اليَوْمَ أَرْجُوكَ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ إِنِّي لَمْ أَكُنْ أَحِبُّ الدُّنْيَا وَطُولَ البَقَاءِ
فِيهَا لِكَرْيِ الأَنْهَارِ وَلَا لِعَرْسِ الأشْجَارِ وَلَكِنْ لِطُولِ ظَمَأِ الهَوَاجِرِ وَقِيَامِ لَيْلِ الشِّتَاءِ
وَمُكَابَدَةِ السَّاعَاتِ وَمُرَاحِمَةِ العُلَمَاءِ بِالرُّكْبِ عِنْدَ حِلْقِ الذِّكْرِ.

وَلَمَّا حَضَرَتْ أبا الدَّرْدَاءِ الوَفَاةُ وَجَعَلَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ وَيَقُولُ أَلَا رَجُلٌ
يَعْمَلُ لِمِثْلِ مَصْرَعِي هَذَا أَلَا رَجُلٌ يَعْمَلُ لِمِثْلِ يَوْمِي هَذَا أَلَا رَجُلٌ يَعْمَلُ لِمِثْلِ
سَاعَتِي هَذِهِ ثُمَّ قَبِضَ رَحِمَهُ اللهُ.

فَيَأْتِيهَا الغَافِلُ المُهْمِلُ وَكُلُّنَا كَذَلِكَ انْتَبِهْ وَاغْتَنِمْ أَوْقَاتِ الصَّحَّةِ وَالسَّلَامَةِ
وَأَمَلًا أَوْقَاتِكَ بِالبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ قَبْلَ أَنْ يُفَاجِئَكَ هَازِمُ اللَّذَاتِ وَيُحَالَ بَيْنَكَ
وَبَيْنَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ وَتَنْدَمَ وَلَاتِ سَاعَةِ مَنْدَمٍ.

شِعْرًا: تَعَنَّمْ سُكُونََ الحَادِثَاتِ فَإِنَّهَا وَإِنْ سَكَنْتَ عَمَّا قَلِيلٌ تَحَرَكَ
وَبَادِرْ بِأَيَّامِ السَّلَامَةِ إِنَّهَا رِهَانٌ وَهَلْ لِلرَّهْنِ عِنْدَكَ مَتْرُكٌ
آخِرٌ: نَهَارُكَ بَطَّالٌ وَلَيْلُكَ نَائِمٌ وَعَيْشُكَ يَا مَسْكِينُ عَيْشَ البِهَائِمِ
آخِرٌ: وَعَظَّتْكَ أَجْدَاثٌ وَهَنَّ صُمُوتٌ وَسُكَّانُهَا تَحْتَ التُّرَابِ خُفُوتٌ
أَيَا جَامِعِ الدُّنْيَا لِعَيْرِ بَلَاغِهِ لِمَنْ تَجْمَعُ الدُّنْيَا وَأَثَّتْ تَمُوتُ

وَرَوَى المَرْزُوبِيُّ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى الشَّافِعِيِّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَقُلْتُ لَهُ
كَيْفَ أَصْبَحْتَ فَقَالَ أَصْبَحْتُ مِنَ الدُّنْيَا رَاحِلًا وَالاِخْوَانَ مُفَارِقًا وَلِسُوءِ عَمَلِي
مُلاَقِيًا وَلِكَاسِ المِنِيَّةِ شَارِبًا وَعَلَى اللهِ وَارِدًا فَلَا أَدْرِي أَرُوحِي تَصِيرُ إِلَى الجَنَّةِ
فَأَهْنُوهَا أَوْ إِلَى النَّارِ فَأَعَزِّيهِهَا ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

وَلَمَّا قَسَى قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي جَعَلْتُ الرَّجَا مِنِّي لِعَفْوِكَ سَلْمًا

تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرِئَتْهُ
وَمَا زِلْتُ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ
آخِر: أَجَاعَتْهُمْ الدُّنْيَا فَخَافُوا وَلَمْ يَزَلْ
أَخُو طِيٍّ دَاوُدُ مِنْهُمْ وَمِسْعَرٌ
وَفِي ابْنِ سَعِيدٍ قُدُوةُ الْبِرِّ وَالنُّهَى
وَحَسْبُكَ مِنْهُمْ بِالْفُضَيْلِ مَعَ ابْنِهِ
أَوْلِيكَ أَصْحَابِي وَأَهْلُ مَوَدَّتِي
فَمَا ضَرَّ ذَا التَّقْوَى نِصَالُ أَسِنَّةٍ
وَمَا زَالَتِ التَّقْوَى ثُرَيْكَ عَلَى الْفَتَى

آخِر: عَلَيْكَ بِتَّقْوَى اللَّهِ وَاقْنَعْ بِرِزْقِهِ
وَلَا تُلْهِكَ الدُّنْيَا وَلَا طَمَعُ بِهَا
فَصَبْرًا عَلَى مَا نَابَ مِنْ تَبْعَاتِهَا
أَعَاذِلُ مَا يُعْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى
آخِر: ائْتِعْ جُفُونَكَ طُولَ اللَّيْلِ رَقَدْتَهَا
وَاسْتَشْعِرِ الْبِرَّ وَالتَّقْوَى وَدُمَّ بِهِمَا
آخِر: فَحُضْ عَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَاسْمُ إِلَى الْعَلَا
فَلَا خَيْرَ فِي مَنْ لَا يَخَافُ إِلَهَهُ
آخِر: وَرَبِّكَ لَوْ أَبْصَرْتَ يَوْمًا تَتَابَعَتْ
لَأَبْصَرْتَ قَوْمًا جَانَبُوا التَّوَمَ وَارْتَدَّوْا
وَصَامُوا نَهَارًا دَائِمًا ثُمَّ أَفْطَرُوا
أَوْلِيكَ قَوْمٌ حَسَنَ اللَّهِ فِعْلُهُمْ
آخِر: صَفُّوْا فَلَاحُ غُرُوبِ أَنْ تَصْفُوْا مَشَارِبَهُمْ
يُرْوِي عَلِيلُ الصَّبَا صَحِيحٌ هَوَى
هُمُ الرِّجَالُ فَإِنْ تَسَلَّكَ طَرِيقَهُمْ

بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا
تَجُودُ وَتَعْفُو مِنْهُ وَتَكْرُمًا
كَذَلِكَ ذُو التَّقْوَى عَنِ الْعَيْشِ مُلْجَمًا
وَمِنْهُمْ وَهَيْبٌ وَالْعَرِيبُ بْنُ أَدْهَمًا
وَفِي الْوَارِثِ الْفَارُوقُ صِدْقًا مُقَدَّمًا
وَيُوسُفُ إِنْ لَمْ يَأَلْ أَنْ يَتَسَلَّمَ
فَصَلَّى عَلَيْهِمْ ذُو الْجَلَالِ وَسَلَّمًا
وَمَا زَالَ ذُو التَّقْوَى أَعَزَّ وَأَكْرَمًا
إِذَا مَحَّضَ التَّقْوَى مِنَ الْعِزِّ مِيسَمًا
فَخَيْرُ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ هُوَ قَانِعٌ
فَقَدْ تُهْلِكُ الْمَعْرُورَ فِيهَا الْمَطَامِعُ
فَمَا يَسْتَوِي عَبْدٌ صَبُورٌ وَجَارِعٌ
إِذَا حَشْرَجَتْ فِي النَّفْسِ مِنَ الْأَضَالِعُ
وَامْنَعْ حَشَاكَ لَدَيْدِ الرَّيِّ وَالشَّبَّاعَا
حَتَّى تَنَالَ بَيْنَ الْفُوزِ وَالرَّفْعَا
لِتَحْظِيَ بِعِزٍّ فِي حَيَاتِكَ دَائِمٌ
وَلَا هِمَّةٍ تَصْبُو لِنَيْلِ الْمَائِمِ
عَزَائِهِمْ حَتَّى لَقَدْ بَلَّغُوا الْجَهْدَا
بَارِدِيَةِ الشَّهَادِ وَاسْتَقْرَبُوا الْبُعْدَا
عَلَى بُلْغِ الْأَقْوَاتِ وَاسْتَعْمَلُوا الْكَدَا
وَأُورَثَهُمْ مِنْ حُسْنِ فِعْلِهِمُ الْخُلْدَا
وَفِي الْمُصَافَتِ لِلْأَحْبَابِ أَسْرَارُ
مِنَ الشَّدَا فَهَوَ نَقَالٌ وَمِعْطَارُ
نَلَتْ الْمُنَى لَيْسَ بَعْدَ الْعَيْنِ آثَارُ

سَلَّهْمُ وَسَلَّ عَنْهُمْ مَنْ كَانَ يَعْرِفُهُمْ
 أَنْعَمَ إِذَا كُنْتَ تَهْوَاهُمْ بِقُرْبِهِمْ
 وَاحْلُلْ بِسَاحَتِهِمْ تَسْعُدْ بِجَيْرَتِهِمْ
 آخِر: اعتزل ذكر الغواني والعزل
 وَدَعِ الذِّكْرَى لِأَيَّامِ الصَّبَا
 إِنَّ أَهْنَ عَيْشَةَ قَضَيْتَهَا
 وَاتْرُكِ الْغَادَةَ لَا تَحْفَلْ بِهَا
 وَافْتَكِرْ فِي مُتَمَيِّ حُسْنِ الَّذِي
 وَاهْجُرِ الْخَمْرَةَ إِنْ كُنْتَ فَتَى
 وَاتَّقِ اللَّهَ فَتَقْوَى اللَّهِ مَا
 لَيْسَ مَنْ يَقْطَعُ طُرُقًا بَطَلًا
 صَدَقَ الشَّرْعَ وَلَا تَرَكْنَ إِلَى
 حَارَتِ الْأَفْكَارِ فِي قُدْرَةِ مَنْ
 أَيْنَ تُمْرُودُ وَكِنَعَانُ وَمَنْ
 أَيْنَ عَادَ أَيْنَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ
 أَيْنَ مَنْ سَادُوا وَشَادُوا وَبَنُوا
 أَيْنَ أَرْبَابُ الْحِجَبِيِّ أَهْلُ النَّهْيِ
 سُبُعِي اللَّهِ كَلَّا مِنْهُمْ
 يَا بُنَيَّ اسْمَعْ وَصَايَا جَمَعَتْ
 أَطْلُبِ الْعِلْمَ وَلَا تَكْسَلْ فَمَا
 وَاحْتَفِلْ لِلْفِقْهِ فِي الدِّينِ وَلَا
 وَاهْجُرِ النَّوْمَ وَحَصَلْهُ فَمَنْ
 لَا تَقْلُ قَدْ ذَهَبَتْ أَرْبَابُهُ
 فِي زَيْدِي الْعِلْمِ إِرْغَامُ الْعِدَى

فَعِنْدَهُمْ لِمُقِيمِي الدِّينِ أَقْدَارُ
 وَاصْحَبْهُمْوَإِنْ نَأَتْ يَوْمًا بِكَ الدَّارُ
 يَحْمُوا النَّزِيلَ وَلَا يُؤْذِي لَهُمْ جَارُ
 وَقِلِ الْفَصْلَ وَجَانِبُ مِنْ هَزَلُ
 فَلْأَيَّامِ الصَّبَا نَجْمُ أَفْلُ
 ذَهَبَتْ لَدَاتُهَا وَالْإِنَّمُ حَلُّ
 تُمَسُّ فِي عِزِّ رَفِيعٍ وَتُجَلُّ
 أَنْتَ تَهْوَاهُ تَجِدُ أَمْرًا جَلُّ
 كَيْفَ يَسْعَى فِي جُنُونٍ مِنْ عَقْلُ
 بَاشَرْتُ قَلْبَ امْرِئٍ إِلَّا وَصَلُ
 إِنَّمَا مَنْ يَتَّقِي اللَّهَ بَطَلُ
 رَجُلٍ يَرْصُدُ فِي اللَّيْلِ زُحَلُ
 قَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا عِزُّ وَجَلُّ
 مَلِكِ الْأَرْضِ وَوَلِيِّ وَعَزَلُ
 رَفَعَ الْأَهْرَامَ مَنْ يَسْمَعُ يَخْلُ
 هَلَكَ الْكَلُّ فَلَمْ تُغْنِ الْقُلُ
 أَيْنَ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْقَوْمُ الْأَوَّلُ
 وَسَيَجْزِي فَاعِلًا مَا قَدْ فَعَلُ
 حِكْمًا نُحْصَتْ بِهَا خَيْرُ الْمَلَلِ
 أَبْعَدِ الْخَيْرِ عَلَى أَهْلِ الْكَسَلِ
 تَشْتَغِلْ عَنْهُ بِمَالٍ وَخَوَلُ
 يَعْرِفِ الْمَطْلُوبَ يَحْقِرُ مَا بَدَلُ
 كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرْبِ وَصَلُ
 وَجَمَالَ الْعِلْمِ إِصْلَاحُ الْعَمَلِ

جَمَلِ الْمُنْطِقِ بِالتَّحْوِ فَمَنْ
أَنْظَمِ الشَّعْرَ وَلَازِمَ مَذْهَبِي
فَهُوَ عُنْوَانٌ عَلَى الْفَضْلِ وَمَا
مَاتَ أَهْلُ الْجُودِ لَمْ يَبْقَ سِوَى
أَنَا لَا أَخْتَارُ تَقْيِيلَ يَدِ
إِنْ جَزَيْتَنِي عَنْ مَدِيحِي صِرْتُ فِي
مُلْكِ كَسْرَى عَنْهُ تُعْنِي كِسْرَةَ
أَعَذِبُ الْأَلْفَاظِ قَوْلِي لَكَ: خُذْ
لَيْسَ مَا يَحْوِي الْفَتَى مِنْ عَزْمِهِ
أَطْرَحَ الدُّنْيَا فَمِنْ عَادَاتِهَا
عَيْشَةُ الرَّاعِبِ فِي تَحْصِيلِهَا
كَمْ جَهُولٍ وَهُوَ مُثَرِّ مُكْثَرٌ
كَمْ شَجَاعٍ لَمْ يَنْلِ مِنْهَا الْمُنَى
فَأَثَرُ الْحَيْلَةِ فِيهَا وَاتَّيَدُ
أَيُّ كَفٍّ لَمْ تَنْلِ مِمَّا تُفْئِدُ
لَا تُقَلِّ أَصْلِي وَفِصْلِي أَبَدًا
قَدْ يَسْوَدُ الْمَرْءُ مِنْ غَيْرِ أَبِي
وَكَذَا الْوَرْدُ مِنَ الشُّوكِ وَمَا
مَعَ أَتَيْ أَحْمَدُ اللَّهُ عَلَى
قِيَمَةِ الْإِنْسَانِ مَا يُحْسِنُهُ
أَكْتُمُ الْأَمْرَيْنِ فَقْرًا وَغِنَى
وَادْرِغْ جَدًّا وَكَدًّا وَاجْتَنِبْ
يَنْ تَبْذِيرٍ وَبُخْلِ رَثْبَةَ

حُرِّمَ الْإِعْرَابَ بِالتُّنْقِ بِالْحَبْلِ
فِي أَطْرَاحِ الرَّفْدِ لَا تَبْغِ التَّحْلُ
أَحْسَنَ الشَّعْرَ إِذَا لَمْ يُتَسَدَّلْ
مُقَرَّفٌ أَوْ مَنْ عَلَى الْأَصْلِ اتَّكَلْ
قَطَّعُهَا أَجْمَلُ مِنْ تِلْكَ الْقُبْلِ
رَقَّهَا أَوْ لَا، فَيَكْفِينِي الْحَجَلُ
وَعَنِ الْبَحْرِ اكْتِفَاءً بِالْوَشَلِ
وَأَمْرُ اللَّفْظِ تُطْقِي بِلَعَلِّ
لَا وَلَا مَا فَاتَ يَوْمًا بِالْكَسَلِ
تَخْفِضُ الْعَالِي وَتُعْلِي مِنْ سَفَلِ
عَيْشَةُ الرَّاهِدِ فِيهَا أَوْ أَقَلِّ
وَعَلِيمٌ مَاتَ مِنْهَا بِالْعَلَلِ
وَجَبَانٍ نَالَ غَايَاتِ الْأَمَلِ
إِنَّمَا الْحَيْلَةُ فِي ثَرْكِ الْحَيْلِ
فَرَمَاهَا اللَّهُ مِنْهُ بِالشَّلَلِ
إِنَّمَا أَصْلُ الْفَتَى مَا قَدْ حَصَلَ
وَبِحُسْنِ السَّبْكِ قَدْ يُنْفَى الزَّعَلِ
يَطْلَعُ النَّرْجَسُ إِلَّا مِنْ بَصَلِ
نَسَبِي إِذْ بَأَيْ بَكْرٍ أَنْصَلِ
أَكْثَرَ الْإِنْسَانِ مِنْهُ أَوْ أَقَلِّ
وَكَسَبِ الْفِلْسِ وَحَاسِبِ مَنْ مَطَّلِ
صُحْبَةَ الْحَمَقِيِّ وَأَرْبَابِ الدُّوَلِ
وَكَيْلًا هَذَيْنِ إِنْ زَادَ قَتْلُ

لا تَحُضُّ فِي حَقِّ سَادَاتٍ مَضُوءًا
 وَتَغَافَلُ عَنِ أُمُورٍ إِنَّهُ
 لَيْسَ يَخْلُو الْمَرْءُ مِنْ ضِدِّهِ وَلَوْ
 مِثْلَ عَنِ النَّمَامِ وَأَزْجُرَهُ فَمَا
 دَارَ جَارَ السُّوءِ بِالصَّبْرِ فَإِنْ
 جَانِبَ السُّلْطَانَ وَاحْتَذَرَ بَطْشَهُ
 لَا تَلِي الْحُكْمَ وَإِنْ هُمْ سَأَلُوا
 إِنْ نَصَبَ النَّاسِ أَعْدَاءَ لِمَنْ
 فَهُوَ كَالْحَبْسِ عَنْ لَدَاتِهِ
 إِنْ لِلنَّقْصِ وَالِاسْتِثْقَالِ فِي
 لَا تَوَازِي لَذَّةَ الْحُكْمِ بِمَا
 فَالْوَلَايَاتُ وَإِنْ طَابَتْ لِمَنْ
 نَصَبَ الْمَنْصِبِ أَوْهَى جَلْدِي
 قَصَّرَ الْأَمَالَ فِي الدُّنْيَا تَقْزُرُ
 إِنْ مَنْ يَطْلُبُهُ الْمَوْتُ عَلَى
 غَيْبٍ وَزُرَّ غَيْبًا تَزِدُّ حُبًّا فَمَنْ
 حُذِّ بِنَصْلِ السَّيْفِ وَاتْرَكَ غِمْدَهُ
 لَا يَضُرُّ الْفَضْلَ إِقْلَالُ كَمَا
 حُبُّكَ الْأَوْطَانَ عَجَزٌ ظَاهِرٌ
 فَمُكَّتِ الْمَاءُ يِقْضَى آسِنًا
 أَيُّهَا الْعَائِبُ قَوْلِي عَيْثًا
 عَدُّ عَنْ اسْمِهِمْ قَوْلِي وَاسْتَرُ
 لَا يُغَرِّكَ لَيْسَ مِنْ فَتَى
 أَنَا مِثْلُ الْمَاءِ سَهْلٌ سَائِعٌ

إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَهْلِ لِلزَّلِيلِ
 لَمْ يَقْزُرْ بِالْحَمْدِ إِلَّا مَنْ غَفَلَ
 حَاوَلَ الْعُزْلَةَ فِي رَأْسِ جَبَلٍ
 بَلَّغَ الْمَكْرُوهَةَ إِلَّا مَنْ نَقَلَ
 لَمْ تَجِدْ صَبْرًا فَمَا أَحْلَى التَّقْلُ
 لَا تُعَانِدُ مَنْ إِذَا قَالَ فَعَلُ
 رَغْبَةً فِيكَ وَخَالِفَ مَنْ عَدَلُ
 وَلِي الْأَحْكَامَ هَذَا إِنْ عَدَلُ
 وَكَلَّا كَفَيْهِ فِي الْحَشْرِ تُعَلُّ
 لَفْظَةَ الْقَاضِي لَوْعَظًا وَمَثَلُ
 ذَاقَهُ الشَّخْصُ إِذَا الشَّخْصُ انْعَزَلُ
 ذَاقَهَا فَالْسُّمِّ فِي ذَاكَ الْعَسَلُ
 وَعَنَائِي مِنْ مُدَارَاةِ السَّقْلِ
 فَدَلِيلُ الْعَقْلِ تَقْصِيرُ الْأَمَلِ
 غِرَّةٌ مِنْهُ جَدِيرٌ بِالْوَجَلِ
 أَكْثَرَ التَّرْدَادِ أَقْصَاهُ الْمَلَلُ
 وَاعْتَبِرْ فَضْلَ الْفَتَى دُونَ الْحُلِّ
 لَا يَضُرُّ الشَّمْسَ إِطْبَاقُ الطَّفَلِ
 فَاعْتَرَبْ تَلَقَّ عَنِ الْأَهْلِ بَدَلُ
 وَسُرَى الْبَدْرِ بِهِ الْبَدْرُ اكْتَمَلُ
 إِنْ طَيْبَ الْوَرْدِ مُؤَذِّ لِلْعَجَلِ
 لَا يُصَيِّبُكَ سَهْمٌ مِنْ تُعَلُّ
 إِنْ لِلْحَيَاتِ لَيْنًا يُعْتَزَلُ
 وَمَتَى سُخِّنَ آذَى وَقَتْلُ

أنا كالحَيَزورِ صَعَبٌ كَسْرُهُ وَهُوَ لَدُنْ كَيْفَ مَا شَتَّتْ أَنْفَتُلُ
 غَيْرَ أَتَى فِي زَمَانٍ مَنْ يَكُنْ فِيهِ ذَا مَالٍ هُوَ الْمَوْلَى الْأَجَلُ
 وَاجِبٌ عِنْدَ الْوَرَى إِكْرَامُهُ وَقَلِيلُ الْمَالِ فِيهِمْ يُسْتَقَلُّ
 كُلُّ أَهْلِ الْعَصْرِ غَمْرٌ وَأَنَا مِنْهُمْ فَاتْرِكْ تَفَاصِيلَ الْجَمَلُ
 وَصَلَاةٌ وَسَلَامًا أَبَدًا لِلنَّبِيِّ الْمُصْطَفَى خَيْرِ الدُّوَلُ
 وَعَلَى الْآلِ الْكِرَامِ السُّعْدَا وَعَلَى الْأَصْحَابِ وَالْقَوْمِ الْأَوَّلُ
 مَا تَوَى الرَّكْبُ بِعُشَاقٍ إِلَى أَيْمَنِ الْحَيِّ وَمَا غَنَى رَمَلُ

«مَوْعِظَةٌ»

اخْوَانِي: إِنَّ اللَّيْلَ كَمَا عَلِمْتُمْ فِيهِ فَضْلٌ عَظِيمٌ وَثَوَابٌ جَزِيلٌ لِمَنْ وَفَّقَهُ
 اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا، وَهُوَ مِنْ أَثْقَلِ شَيْءٍ عَلَى النَّفْسِ وَلَا سِيَّمَا بَعْدَ أَنْ يَرُقُدَ الْإِنْسَانُ،
 وَإِنَّمَا يَكُونُ خَفِيفًا بِالْإِعْتِيَادِ، وَتَوْطِينِ النَّفْسِ وَتَمْرِينِهَا عَلَيْهِ وَالْمَدَاوِمَةَ وَالصَّبْرَ
 عَلَى الْمَشَقَّةِ وَالْمُجَاهَدَةِ فِي الْإِبْتِدَاءِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَنْشَرِحُ وَيَنْفَتِحُ بَابُ الْأُنْسِ
 بِاللَّهِ وَتَلَدُّ لَهُ الْمَنَاجَاةُ وَالخَلْوَةُ، وَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَشْبَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ،
 فَضْلًا عَنْ أَنْ يَسْتَنْقِلَهُ أَوْ يَكْسَلَ عَنْهُ كَمَا وَقَعَ لِكَثِيرٍ مِنَ السَّلَفِ. قَالَ بَعْضُهُمْ:
 أَهْلُ اللَّيْلِ فِي لَيْلِهِمْ أَلَدُّ مِنْ أَهْلِ الْهَوَى فِي لَهْوِهِمْ وَيَا بَعْدَهَا بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ،
 فَسُبْحَانَ مَنْ وَفَّقَ أَقْوَامًا فَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالنَّوَافِلِ، وَأَبْعَدَ بِحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ آخَرِينَ
 فَهُمْ عَنْ مَا يَنْفَعُهُمْ فِي حَاضِرِهِمْ وَمَالِهِمْ غَافِلُونَ.

شِعْرًا: وَلَا خَيْرَ فِي مَنْ لَا يُؤْطِنُ نَفْسَهُ عَلَى طَاعَةِ الْمَوْلَى بِمَا فِي كِتَابِهِ
 اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَالْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِلْقِيَامِ
 بِأَمْرِكَ وَاعْزِدْنَا مِنْ عَدُونِنَا وَعَدُوِّكَ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
 مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصَلِّ»

إعلم يَا أَخِي أَنَّهُ يَتَّبِعِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يُكْثِرَ مِنْ سُؤَالِ اللَّهِ وَيَتَحَرَّى أَوْقَاتَ الإِجَابَةِ لَعَلَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يَسْتَجِيبَ لَهُ ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ ﴾ ، وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَهُوَ أَوْفَى الْوَاعِدِينَ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ وَأَنْ يَفْتَحَ الدُّعَاءَ بِالثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ وَالصَّلَاةَ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ .

شِعْرًا: وَأَقَوْمٌ خَلَقَ اللَّهُ لِلَّهِ بِالَّذِي يُحِبُّ وَيَرْضَاهُ النَّبِيُّ الْمُبَجَّلُ
فَتَى جَمَعَتْ فِيهِ الْمَكَارِمُ شَمَلَهَا
عِنَايَتُهُ بِالذِّينِ تَشْهَدُ أَنَّهُ
لَهُ مِنْهُ عُظْمَى عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ
دَعَانَا إِلَى الإِسْلَامِ بَعْدَ انْدِرَاسِهِ
وَأَصْلَحَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بِيَمِينِهِ
يُعَاقِبُ تَأْدِيبًا وَيَعْفُو تَطَوُّلًا
وَلَا يُتْبِعُ الْمَعْرُوفَ مَنَّا وَلَا أَدَى
رَعَاهُ الَّذِي اسْتَرْعَاهُ أَمْرَ عِبَادِهِ

اللَّهُمَّ اجْعَلِ الإِيمَانَ هَادِمًا لِلْسَيِّئَاتِ ، كَمَا جَعَلْتَ الْكُفْرَ عَادِمًا لِلْحَسَنَاتِ
وَوَفَّقْنَا لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ فَكَفَيْتَهُ ، وَاسْتَهْدَاكَ
فَهَدَيْتَهُ وَدَعَاكَ فَأَجَبْتَهُ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

«فصل»

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَنْ يَنْفَعَ حَذْرٌ مِنْ قَدْرِ؛ وَلَكِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزَلْ، فَعَلَيْكُمْ بِالدُّعَاءِ عِبَادَ اللَّهِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ عَنْ مُعَاذِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَيِّيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يُرَدَّهُمَا صَفْرًا خَائِبَتَيْنِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَالْحَاكِمُ عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو بِدُعَاءٍ إِلَّا اسْتَجِيبَ لَهُ؛ فَأَمَّا أَنْ يُعَجَّلَ لَهُ فِي الدُّنْيَا، وَأَمَّا أَنْ يُؤَخَّرَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا أَنْ يُكْفَرَ عَنْهُ مِنْ ذُنُوبِهِ بِقَدْرِ مَا دَعَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمٍ، أَوْ يَسْتَعْجِلُ يَقُولُ: دَعَوْتُ رَبِّي فَمَا اسْتَجَابَ لِي». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرْبِ فَلْيَكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَلَقَدْ عَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ كَيْفَ تَدْعُو فَقَالَ ﷺ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَالشَّنَاءِ عَلَيْهِ ثُمَّ لِيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ لِيَدْعُ بِمَا شَاءَ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ حَبَّانَ وَالْحَاكِمُ وَابْنُ أَبِي عَرِينَةَ عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيُؤْمِنْ عَلَى دُعَائِهِ نَفْسِهِ». رَوَاهُ ابْنُ عَدِيٍّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَجْتَمِعُ مَلَأٌ فَيَدْعُوا بَعْضُهُمْ وَيُؤْمِنُ بَعْضُهُمْ إِلَّا أَجَابَهُمُ اللَّهُ». رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ حَبِيبِ بْنِ سَلَمَةَ الْفِهْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سَلُوا اللَّهَ بِبَطُونِ أَكْفَكُمْ وَلَا تَسْأَلُوهُ بظُهورِهَا فَإِذَا فَرَعْتُمْ فَاْمَسَحُوا بِهَا وَجُوهَكُمْ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤْمِنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَى خَدَمِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ لَا تُوَافِقُ مِنَ اللَّهِ سَاعَةً نِيلَ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجَابُ لَكُمْ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَيُسْتَجَابُ الدُّعَاءُ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاطِنَ: عِنْدَ التَّقَاءِ الصُّفُوفِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَعِنْدَ نُزُولِ الْعَيْثِ، وَعِنْدَ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَعِنْدَ رُؤْيَةِ الْكَعْبَةِ». رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ إِلَى اللَّهِ حَاجَةٌ فَلْيَدْعُ بِهَا ذُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَفْرُوضَةٍ». رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الْعَمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَعَزَّيْ لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دُعَاءُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ مُسْتَجَابٌ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْعَيْبِ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بِهِ، كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ: آمِينَ وَلَكَ مِثْلُ

ذَلِكَ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَابْنُ مَاجَهَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سَلُوا اللَّهَ حَوَائِجَكُمْ حَتَّى الْمَلْحَ». رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ
بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزْنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مُرْسَلًا.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ
يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي
فَأُعْطِيهِ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَوَادٍ
وَالْتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ
الْآخِرِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ». رَوَاهُ
الْتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَالحَاكِمُ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْسَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَدْعُو اللَّهُ بِالْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُوقِفَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ،
فَيَقُولُ: عَبْدِي، إِنِّي أَمَرْتُكَ أَنْ تَدْعُونِي وَوَعَدْتُكَ أَنْ أَسْتَجِيبَ لَكَ؛ فَهَلْ
كُنْتَ تَدْعُونِي؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَمَا إِنَّكَ لَمْ تَدْعُنِي بِدَعْوَةٍ إِلَّا
اسْتَجِيبَ لَكَ؛ أَلَيْسَ دَعَوْتَنِي يَوْمَ كَذَا وَكَذَا لِعَمٍّ نَزَلَ بِكَ أَنْ أُفْرَجَ عَنْكَ
فَفَرَّجْتُ عَنْكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: إِنِّي عَجَّلْتُهَا لَكَ فِي الدُّنْيَا.
وَدَعَوْتَنِي يَوْمَ كَذَا وَكَذَا لِعَمٍّ نَزَلَ بِكَ أَنْ أُفْرَجَ عَنْكَ فَلَمْ تَرَفْرَجًا؟ قَالَ: نَعَمْ
يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: إِنِّي ادَّخَرْتُ لَكَ فِيهَا فِي الْجَنَّةِ كَذَا وَكَذَا. وَدَعَوْتَنِي فِي حَاجَةٍ
أَقْضِيهَا لَكَ فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا فَقَضَيْتُهَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: إِنِّي
عَجَّلْتُهَا لَكَ فِي الدُّنْيَا. وَدَعَوْتَنِي يَوْمَ كَذَا وَكَذَا فِي حَاجَةٍ أَقْضِيهَا لَكَ فَلَمْ تَرَفْرَجًا
فَقَضَاءَهَا. فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: ادَّخَرْتُهَا لَكَ فِي الْجَنَّةِ كَذَا وَكَذَا».

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَلَا يَدْعُ اللَّهُ دَعْوَةَ دَعَا بِهَا عَبْدُهُ الْمُؤْمِنُ إِلَّا بَيْنَ
لَهُ؛ إِمَّا أَنْ يَكُونَ عَجَلَ لَهُ فِي الدُّنْيَا؛ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ ادَّخَرَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ. قَالَ:

فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ: يَا لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ عَجَلَ لَهُ شَيْئًا مِنْ دُعَائِهِ . رواه الحاكم عن جابر رضي الله عنه .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا. وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، ثُمَّ ذَكَرَ: الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ». رواه أحمد ومسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه فمن أراد أن تُجاب دَعْوَتُهُ فَلْيُطِبْ مَطْعَمَهُ.

«فصل»

فَيَا أَيُّهَا الْعَافِلُ الْمُهْمِلُ الْمُفْرِطُ وَكُلْنَا كَذَلِكَ انْتَبِهْ وَتَصَوَّرْ صَرَعَةَ الْمَوْتِ لِنَفْسِكَ وَتَصَوَّرْ نَزْعَهُ لِرُوحِكَ وَتَصَوَّرْ كُرْبَهُ وَسَكَرَاتِهِ وَغُصَصَهُ وَغَمَّهُ وَقَلِّقَهُ .

وَتَصَوَّرْ بُدُوَ الْمَلِكِ لِيَجْذِبَ رُوحَكَ مِنْ قَدَمَيْكَ ثُمَّ الْاسْتِمْرَارِ لِيَجْذِبَ الرُّوحَ مِنْ جَمِيعِ بَدَنِكَ فَتَنْشِطُ مِنْ أَسْفَلِكَ مُتَّصَاعِدَةً إِلَى أَعْلَاكَ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مِنْكَ الْكَرْبُ وَالْوَجَعُ وَالْأَلَمُ مُنْتَهَاهُ وَعَمَّتِ الْأَلَامُ جَمِيعَ بَدَنِكَ وَقَلْبِكَ وَجَلَّ مَحْزُونٌ مُنْتَظِرٌ إِمَّا الْبُشْرَى مِنَ اللَّهِ بِالرِّضَا وَإِمَّا بِالْغَضَبِ .

فَبَيْنَمَا أَنْتَ فِي كَرْبِكَ وَغَمِّكَ وَشِدَّةِ حُزْنِكَ لَا رَتْقًا بَكَ إِحْدَى الْبُشْرَيْنِ إِذْ سَمِعْتَ صَوْتَهُ إِمَّا بِمَا يَسُرُّكَ وَإِمَّا بِمَا يَغْمُكَ فَيَلْزِمُ حِينَئِذٍ غَايَةَ الْهَمِّ وَالْحُزْنِ أَوْ الْفَرَحِ وَالْأَنْسِ وَالسُّرُورِ قَلْبِكَ حِينَ انْقَضَتْ مِنَ الدُّنْيَا مَدَّتْكَ وَانْقَطَعَ مِنْهَا أَثْرُكَ وَحُمِلَتْ إِلَى دَارٍ مِنْ سَلَفِ مِنَ الْأُمَمِ قَبْلَكَ .

وَتَصَوَّرْ نَفْسَكَ حِينَ اسْتَطَارَ قَلْبُكَ فَرَحًا وَسُرُورًا أَوْ مُلِيًا رُغْبًا وَحُزْنًا وَعَبْرَةً وَبِزِيَارَةِ الْقَبْرِ وَهَوْلِ مَطْلَعِهِ وَرُوعَةِ الْمَلِكِينَ مِنْكَ وَنَكِيرِ وَسْوَالِهِمَا لَكَ فِي

القبر عن ثلاثة أسئلة ما فيها تخيير ، الأول من رَبُّكَ والثاني ما ديتك والثالث من نبيك .

فتصور أصواتهما عند نداءهما لك لتجلس لسؤالهما لك فيه فتصور
جلستك في ضيق قبرك وقد سقط كفك عن حقوك والقطن من عينيك .
ثم تصور شحوصك ببصرك إليهما وتأملك لصورتيهما فإن رأيتهما
بأحسن صورة أيقن قلبك بالفوز والنجاة والسرور وإن رأيتهما بأقبح صورة
أيقنت بالعطب والهلاك .

شِعْرًا: وَلِلْمَرْءِ يَوْمٌ يَنْقُضِي فِيهِ عُمُرُهُ
وَيَلْقَى نَكِيرًا فِي السُّؤَالِ وَمُنْكَرًا
آخَرُ: تَفَكَّرْ فِي مَشِيئِكَ وَالْمَأْبِ
إِذَا وَافَيْتَ قَبْرًا أَنْتَ فِيهِ
وَفِي أَوْصَالِ جِسْمِكَ حِينَ تَبْقَى
فَلَوْلَا الْقَبْرِ صَبَارٌ عَلَيْكَ سِتْرًا
خُلِقْتَ مِنَ التُّرَابِ فَصُرْتَ حَيًّا
فَطَلَّقْتَ هَذِهِ الدُّنْيَا ثَلَاثًا
نَصَحْتُكَ فَاسْتَمِعْ قَوْلِي وَنُصْحِي
خُلِقْنَا لِلْمَمَاتِ وَلَوْ تَرَكْنَا
يُنَادِي فِي صَبِيحَةِ كُلِّ يَوْمٍ
مَوْتٌ وَقَبْرٌ ضَيِّقٌ فِيهِ يُوَلَّجُ
يَسُومَانِ بِالتَّنْكِيلِ مَنْ يَتَجَلَّجُ
وَدَفْنِكَ بَعْدَ عِزِّكَ فِي التُّرَابِ
تُقِيمُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْحِسَابِ
مُقَطَّعَةً مُمَرَّقَةً الْإِهَابِ
لَأَتَيْتَ الْأَبَاطِحُ وَالرُّوَابِي
وَعُلِّمْتَ الْفَصِيحِ مِنَ الْخِطَابِ
وَبَادِرُ قَبْلَ مَوْتِكَ بِالْمَتَابِ
فِمِثْلِكَ قَدْ يُدَلُّ عَلَى الصَّوَابِ
لَضَاقَ بِنَا الْفَسِيحُ مِنَ الرِّحَابِ
لِدَوَا لِلْمَوْتِ وَابْنُو لِلْخِرَابِ

ثم تصور كيف يكون شعورك إن ثبتك الله جل وعلا ونظرت إلى ما أعد الله لك وقولهما لك هذا منزلك ومصيرك فتصور فرحك وسرورك بما نعاينه من النعيم وبهجة الملك وإيقانك بالسلامة مما يسوؤك .

وإن كانت الأخرى فتصور ضد ذلك من إنتهارك ومعاينتك جهنم

وقولهما لك هذا منزلك ومصيرك فيآلها من حسرة ويالها من ندامة ويالها من
عثرة لا تُقال .

ثم بعد ذلك الفناء والبلاء حتى تنقطع الأوصال وتفتت العظام ويئلى
جسدك ويستمر حزنك فياحسرة روجك وغمومها وهمومها، حتى إذا
تكاملت عدة الأموات وقد بقي الجبار الأعلى مفرداً بعظمته وجلاله وكبريائه
ثم لم يفجأك إلا نداء المنادي للخلائق للعرض على الله جل وعلا .

قال تعالى: ﴿واستمع يوم يُنادى المنادي من مكان قريب يوم يسمعون
الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج﴾ يأمر الله ملكاً يُنادي على صخرة بيت
المقدس أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور
المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء .

فتصوّر وقوع الصوت في سمعك ودُعائك إلى العرض على مالك الملك
فيطير فؤادك ويشيب رأسك للنداء لأنها صيحة واحدة للعرض على الرب جل
وعلا، قال تعالى: ﴿فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة﴾ .

فبينما أنت في فزع من الصوت إذ سمعت بانشقاق الأرض فخرجت مُعبراً
من غبار قبرك قائماً على قدميك شاخِصاً ببصرِكَ نحو النداء، قال تعالى:
﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً﴾، وقال: ﴿حُشْعاً أَبْصَارَهُمْ يُخْرَجُونَ مِنْ
الْأَجْدَاثِ﴾ .

فتصور تعريك ومدلتك وانفرادك بخوفك وأحزانك وهمومك وغمومك
في زحمة الخلائق خاشعة أبصارهم وأصواتهم ترهقهم الذلة، قال تعالى:
﴿وَحُشِعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً﴾، وقال تعالى: ﴿حُشْعاً
أَبْصَارَهُمْ يُخْرَجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ مَهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِي﴾ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْآخِرَةِ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةَ

وفي الآخرة حسنة وقفنا عذاب النارِ وأغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين .
 اللَّهُمَّ خَفِّفْ عَنَّا الْأَوْزَارَ وَأَرْزُقْنَا عَيْشَةَ الْأَثَرِ واصرف عَنَّا شرَّ الأشرارِ وأعق
 رقابنا ورقاب آباءنا من النارِ يا عزيزُ يا غفارُ يا كريمُ ويا ستارُ ويا حلِيمُ
 ويا جبارُ وأغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين
 وصلى الله على محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين .

«فصل»: ثم تصور إقبال الوحوش من البرازي منكسة رؤوسها لهول
 يوم القيامة فبعد توحشها وانفراجها من الخلائق ذلت ليوم النشور، قال تعالى
 ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ .

وتصور تكوير الشمس وتناثر النجوم وانشقاق السماء من فوق الخلائق
 مع كثافة سمكها فياهول صوت ذلك الانشقاق .

والملائكة على حافات ما يتفطر من السماء، قال تعالى: ﴿وانشقت
 السماء فهي يومئذ واهية والملك على أرجائها﴾، وقال تعالى: ﴿إذا انشقت
 السماء فكانت وردة كالدهان﴾، وقال تعالى: ﴿إذا السماء انشقت﴾ .

قيل تذبذب كما تذبذب الفضة في السبك وتتلون كما تتلون الأصباغ التي
 يدهن بها فتارة حمراء وتارة صفراء وزرقاء وخضراء وذلك من شدة الأمر
 وهول يوم القيامة، وقال تعالى: ﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾ قيل كالفضة
 المذابة أو الرصاص المذاب، وقال تعالى: ﴿يوماً يجعل الولدان شيباً﴾ .

فتصور وقوفك مفرداً عرياناً حافياً وقد أدنيت الشمس من رؤوس
 الخلائق ولا ظل لأحد إلا ظل عرش رب العالمين، فبينما أنت على تلك الحال
 المزعجة اشتد الكرب والوهج من حر الشمس ثم ازدحمت الأمم وتدافعت
 وتضايقت واختلفت الأقدام وانقطعت الأعناق من شدة العطش والخوف
 العظيم .

وانضَافَ إلى حَرِّ الشَّمْسِ كثرةَ الأنفاسِ وازدحامَ الأجسامِ والعطشُ
تضاعَفَ ولا نومَ ولا راحةَ وفاضَ عَرَقُهُم على الأرضِ حتى اسْتَنقَعَتْ ثُمَّ ارتفعَ
على الأبدانِ على قَدَرِ مَرَاتِبِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ عندَ ربهم بالسعادةِ والشقاوةِ .

ثم تصور مجيء جهنم تقاد ولها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون
ألف ملك يجرونها، قال تعالى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ
وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ .

فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا لركبته يقول يارب نفسي
نفسى فتصور ذلك الموقف المهيل المفزع الذي قد ملأ القلوب رُعباً وخوفاً
وقلقاً وذُعراً ياله من موقف ومنظر مزعج .

وأنت لا محالة أحدهم فتوهم نفسك لكربك وقد علاك العرق والفرع
والرعب الشديد والناس معك منتظرون لفصل القضاء إلى دار السعادة أو إلى
دار الشقاء، قال تعالى: ﴿وَتُنذِرُ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فِرْقٍ فِي الْجَنَّةِ وَفِرْقٍ
فِي السَّعِيرِ﴾ .

فتصور أصوات الخلائق وهم ينادون بأجمعهم منفرد كل واحد بنفسه
ينادي نَفْسِي نَفْسِي، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تِجَادِلُ عَنْ
نَفْسِهَا﴾ ، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ الآية .

فتصور نفسك وحالتك عندما يَتَبَرَّأَ مِنْكَ الْوَالِدُ وَالْوَالِدَةُ وَالْأَخُ وَالصَّاحِبُ
لما في ذلك اليوم من المزعجات والقلقل والأهوال التي ملأت القلوب من
الخوف والفرع والرعب والدعير .

ولولا عظم هول ذلك اليوم ما كان من الكرم وال مرواة والحفاظ أن تفر من
أُمَّكَ وَأَبِيكَ وَأَخِيكَ وَبَنِيكَ ولكن عظم الخطر وشدة الكرب والهول اضطرك
إلى ذلك فلا تلام على فرارك منهم ولا لوم عليهم إذا فروا منك، قال الله تعالى:

﴿ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سُكَّارِي وما هم بسُكَّارِي ولكن عذاب الله شديد ﴾ .

فبينما أنت في تلك الحالة مملوء رُعباً قد بلغتِ القلوب الحناجرَ من شدة الأهوال والمزعجات والخوف العظيم إذا ارتفع عنق من النار يلتقط من أمر بأخذه فينطوي عليهم ويلقيهم في النار فتبتلهم ثم تصور الميزان وعظمتته وقد نضب لوزن الأعمال وتصور الكتب المتطيرة في الأيمان والشمائل وقلبك واجف مملوءاً خوفاً متوقع أين يقع كتابك في يمينك أو في شمالك أو من وراء ظهرك .

اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهِجَ الْمُفْلِحِينَ وَالْبِسْنَا خِلَعَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ ، وَخَصَّنَا مِنْكَ بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ ، وَوَفَّقْنَا لِقَوْلِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ وَخَلَصْنَا مِنَ الْبَاطِلِ وَابْتِدَاعِهِ ، وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّدًا وَلَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدًا وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشًا رَعْدًا وَلَا تُشْمِتْ بِنَا عَدُوًّا وَلَا حَاسِدًا ، وَارزُقْنَا عِلْمًا نَافِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا ، وَفَهْمًا ذَكِيًّا وَطَبْعًا صَفِيًّا وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فصل» : فالأتقياء يُعطون كتبهم بأيمانهم والأشقياء بالشمال أو من وراء الظهر ، قال تعالى : ﴿ فأما من أوتى كتابه يمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً ﴾ ، وقال : ﴿ وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعوا ثبوراً ويصلى سعيراً ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ فأما من أوتى كتابه يمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابه ﴾ الآيات ، وقال : ﴿ وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابه ولم أدر ما حسابه ﴾ الآيات .

فِيآلَهَا مِنْ مَوَاقِفٍ وَيآلَهَا مِنْ أَهْوَالٍ وَيآلَهَا مِنْ حُطُوبٍ مُجَرَّدُ تَصَوُّرُهَا
يُبْكِي الْمُؤْمِنَ بِهَا حَقًّا .

عن الحسن أن رسول الله ﷺ كان رأسه في حجر عائشة فنَعَسَ
فَتَذَكَّرَتْ الآخِرَةَ فَبَكَتْ فَسَالَتْ دُمُوعُهَا عَلَى خَدِّ النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَيْقِظَ بِدُمُوعِهَا
فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ « مَا يُبْكِيكَ » ، فقالت يا رسول الله ذَكَرْتُ الآخِرَةَ هَلْ
تَذَكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

قال : « والذي نفسي بيده في ثلاثة مَوَاطِنَ فَإِنَّ أَحَدًا لَا يَذْكُرُ إِلَّا نَفْسَهُ : إذا
وضعت الموازين ووزنت الأعمال حتى ينظر ابن آدم أيخف ميزانه أم يثقل
وعند الصحف حتى ينظر أيمينه أم بشماله وعند الصراط » .

وعن أنس بن مالك قال : يُؤْتِي بَابَ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُوقَفَ بَيْنَ
كَفْتَيْ الْمِيزَانِ وَيُوكَلُ بِهِ مَلَكٌ فَإِنْ ثَقُلَ مِيزَانُهُ نَادَى الْمَلَكُ بِصَوْتٍ يُسْمَعُ الْخَلَائِقَ
سَعِدَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ سَعَادَةً لَا يَشْتَقِي بَعْدَهَا أَبَدًا .

وإن حَفَّ مِيزَانُهُ نَادَى بِصَوْتٍ يُسْمَعُ الْخَلَائِقَ شَقِيَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ شَقَاوَةً
لَا يَسْعَدُ بَعْدَهَا أَبَدًا .

وَتَصَوَّرَ بَيْنَمَا أَنْتَ وَاقِفٌ مَعَ الْخَلَائِقِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَلَّ
وَعَلَا وَتَقَدَّسَ إِذْ نُوْدِيَ بِاسْمِكَ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ مِنَ الْأُولِينَ وَالْآخِرِينَ أَيْ
فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ هَلَمْ إِلَى الْعَرَضِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

فَقَمَّتْ أَنْتَ لَا يَقُومُ غَيْرُكَ لَمَّا لَزِمَ قَلْبِكَ مِنَ الْعِلْمِ مِنْ أَنْكَ الْمَطْلُوبِ فَقَمَّتْ
تَرْتَعِدُ فَرَائِصُكَ وَتَضْطَرِبُ رِجْلَاكَ وَجَمِيعُ جَوَارِحِكَ وَقَلْبِكَ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ
وَالذَّهْوَلِ فِي أَشَدِّ الْخَفَقَانِ مَرْتَفِعًا إِلَى الْحَنْجَرَةِ .

قال الله جل وعلا وتقدس : ﴿ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى
الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ ﴾ .

فَتَصَوَّرْ خَوْفَكَ وَذُلَّكَ وَضَعْفَكَ وَانْهِيَارَ أَعْصَابِكَ وَقُوَاكَ مُتَغَيِّرًا لَوْنُكَ
مَرَعُوبًا مَذْعُورًا مُرْتَكِضًا مُزْعَجًا قَدْ حَلَّ بِكَ الْعَمُّ وَالْهَمُّ وَالْاضْطِرَابُ وَالْقَلْقُ
وَالذُّهُولُ لِمَا أَصَابَكَ وَرَأَيْتَ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرُوبِ وَالْمُخْزِنَاتِ مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ .
قال الله جل وعلا وتقدس: ﴿وترى الناس سُكَّارِي وَمَا هُمْ بِسُكَّارِي
وَلَكِنْ عَذَابُ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ ، فيا له من يوم ، قال جل وعلا وتقدس: ﴿فكيف
تتقون إن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يجعل الولدان شَيْبًا﴾ والآية بعدها .

وَتَصَوَّرْ وَقُوفَكَ بَيْنَ يَدَيْ بَدِيحِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي الْأَرْضُ جَمِيعًا
قَبِضْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ الْقَوِي الْعَزِيزُ وَقَلْبُكَ خَائِفٌ
مَمْلُوءٌ مِنَ الرُّعْبِ مَخْزُونٌ وَجَلُّ وَطَرْفِكَ خَائِفٌ خَافِي خَاشِعٌ ذَلِيلٌ .

وَجَوَارِحُكَ مَرْتَعِدَةٌ بِيَدِكَ صَحِيفَةٌ مُخْصَصًا فِيهَا الدَّقِيقُ وَالْجَلِيلُ لَا تُغَادِرُ
صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً فَقَرَأْتَهَا بِلِسَانِ كَلِيلٍ وَقَلْبٌ مُنْكَسِرٌ وَدَاخِلُكَ مِنَ الْحَجَلِ
وَالْحُجْنِ وَالْحَيَاءِ مِنَ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ إِلَيْكَ مُحْسِنًا وَعَلَيْكَ سَاتِرًا .

فَبَأْيِ لِسَانٍ تُجِيبُهُ حِينَ يَسْأَلُكَ عَنْ قَبِيحِ فِعْلِكَ وَعَظِيمِ جُرْمِكَ وَبَأْيِ قَدَمٍ
تَقِفُ غَدًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَبَأْيِ طَرْفٍ تَنْظُرُ إِلَيْهِ وَبَأْيِ قَلْبٍ تَحْتَمِلُ كَلَامَهُ الْعَظِيمِ
الْجَلِيلِ وَمُسَاءَلَتُهُ وَتَوَيْحُهُ .

وَتَصَوَّرْ نَفْسَكَ بِصَغْرِ جِسْمِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ
كَخَرْدَلَةٍ فِي كَفِّهِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِي شَدِيدِ الْمَحَالِ الَّذِي مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ
بِنَاصِيئِهَا وَقُلُوبِ الْعِبَادِ بَيْنَ أَصْبَعَيْهِ مِنْ أَصَابِعِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْقَوِي الْعَزِيزُ .

وتصور نفسك بهذه الهيئة والأحوال مُحَدَّقَةً بِكَ مِنْ جَوَانِبِكَ وَمِنْ خَلْفِكَ
فَكَمْ مِنْ كَبِيرَةٍ قَدْ نَسِيَتْهَا أَثْبَتَهَا عَلَيْكَ الْمَلِكُ وَكَمْ مِنْ بَلِيَّةٍ أَحَدَّثَهَا فَذَكَرَتْهَا
وَكَمْ مِنْ سَرِيرَةٍ قَدْ كُنْتَ كَتَمْتَهَا قَدْ ظَهَرَتْ وَبَدَتْ .

وكم من عملٍ قد كنتَ تظنُّ أنه قد خلصَ لكَ وسلمَ فإذا هو بالرياءِ قد حَبِطَ بعدَ ما كانَ أملكَ فيه عَظيماً فيا حَسْرَةً قَلْبِكَ وتأسفك على ما فرطتَ في طاعةِ رَبِّكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿وأنذرهم يومَ الحسرةِ إذ قُضِيَ الأمرُ وهم في غَفْلَةٍ وهم لا يؤمنون﴾.

حتى إذا كُرِّرَ عليك السؤالُ بذكرِ البلايا ونُشِرَتْ مَخْبَأَتُكَ التي طالما أخفيتَها وسترتها عن مخلوقٍ مثلكَ لا يملكُ لِنَفْسِهِ ولا لغيره ضراً ولا نفعاً وقد ظَهَرَتْ قَلَّةُ هَيِّبَتِكَ لِلَّهِ وَقَلَّةُ حَيَاتِكَ مِنْهُ وَظَهَرَتْ مُبَارَزَتُكَ لَهُ بِفَعْلٍ مَا نَهَكَ عَنْهُ.

فما ضُنُّكَ بِسُؤَالِ مَنْ قَدْ امْتَلَأَ سَمْعُكَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ وَكِبْرِيائِهِ وَسَائِرِ صِفَاتِ كَمَالِهِ وَكَيْفَ بِكَ إِنْ ذَكَرَكَ مُخَالَفَتَكَ لَهُ وَرُكُوبَكَ مَعَاصِيهِ وَقَلَّةَ اهْتِمَامِكَ بِنَهْيِهِ وَنَظَرِهِ إِلَيْكَ وَقَلَّةَ اكْتِرَائِكَ فِي الدُّنْيَا بِطَاعَتِهِ.

وماذا تقولُ إِنْ قَالَ لَكَ يَا عَبْدِي مَا أَجَلَلْتَنِي أَمَا اسْتَحْيَيْتَ مِنِّي أَمَا رَاقَبْتَنِي اسْتَحْفَفْتَ بِنَظَرِي إِلَيْكَ أَلَمْ أَحْسِنِ إِلَيْكَ أَلَمْ أَنْعِمْ عَلَيْكَ مَا عَرَفْتَ مِنِّي.

شَبَابُكَ فِيمَا أَبْلَيْتَهُ وَعُمُرُكَ فِيمَا أَفْنَيْتَهُ وَمَالُكَ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبْتَهُ وَفِيمَ أَنْفَقْتَهُ وَعِلْمُكَ مَاذَا عَمِلْتَ فِيهِ.

وورد عن النبي ﷺ أنه قال: «لَيَقْفَنَ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ يَحْجِبُهُ وَلَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجَمَانٌ يَتَرَجَمُ عَنْهُ فَيَقُولُ أَلَمْ أَنْعَمْ، أَلَمْ آتِكَ مَا لَأَ فَيَقُولُ بَلَى. فَيَقُولُ أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولاً فَيَقُولُ بَلَى. ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ فَلْيَتَّقِ أَحَدُكُمْ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةِ طَيِّبَةٍ» رواه البخاري.

فَأَعْظَمُ بِهِ مَوْقِفاً وَأَعْظَمُ بِهِ مِنْ سَائِلٍ لَا تَحْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةً وَأَعْظَمُ بِمَا يُدَاخِلُكَ مِنَ الْحَجَلِ وَالغَمِّ وَالْحُزَنِ وَالْأَسْفِ الشَّدِيدِ عَلَى مَا فَرَطْتَ فِي طَاعَتِهِ

وعلى ركوبك مَعْصِيَتَهُ وعلى أوقات ضاعت عند الملاهي والمنكرات ، قال الله تعالى عن حال المجرمين المفرطين : ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون﴾ ، وقال تعالى : ﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد﴾ الآية .

وكيف تَثَبُّتُ رِجْلَاكَ عند الوقوف بين يديه وكيف يقدر على الكلام لِسَانُكَ عندما يسألك الحي القيوم إلا أن يثبتك جل وعلا ويقدرك على ذلك فإذا تَبَالَعَ فِيكَ الجُهدُ من الغم والحزن والحياء والخجل بدا لك منه أحد أمرين إمَّا الغضب أو الرضا عنك .

فإما أن يقول يا عبدي أنا سترتها عليك في الدنيا وأنا اغفرها لك اليوم فقد غفرتُ لَكَ كَبِيرَ جُرْمِكَ وكَثِيرَ سَيِّئَاتِكَ وَتَقَبَّلْتُ مِنْكَ يَسِيرَ إِحْسَانِكَ فَيَسْتَسْطِيرُ قَلْبُكَ بِالْبَهْجَةِ والفرح والسرور فيُشْرِقُ وَيَسْتَنِيرُ لِذَلِكَ وَجْهُكَ .
فتصوِّرُ نَفْسَكَ حِينَ مَا يَقَالُ لَكَ وَتَهْدَأُ نَفْسُكَ وَيَطْمَئِنُّ قَلْبُكَ وَيُنوِّرُ وَجْهَكَ بَعْدَ كَأَبْتِهِ وَتَكَسِفُهُ مِنَ الْحَيَاءِ مِنَ السُّؤَالِ .

وَتَصَوِّرُ رِضَاهُ عَنكَ حِينَمَا تَسْمَعُهُ مِنْهُ فَتَارَ فِي قَلْبِكَ فَامْتَلَأْ سُرُوراً وَكِدْتَ أَنْ تَمُوتَ مِنَ الْفَرَحِ فَأَيُّ سُرُورٍ أَعْظَمُ مِنَ السُّرُورِ وَالْفَرَحِ بِرِضَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا مَا قَطَعَ قُلُوبَنَا عَنْ ذِكْرِكَ وَاعْفُ عَن تَقْصِيرِنَا فِي طَاعَتِكَ وَشُكْرِكَ وَأَدْمِ لَنَا لُزُومَ الطَّرِيقِ إِلَيْكَ وَهَبْ لَنَا نُوراً نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَاسْأَلُكَ بِنَا سَبِيلِ أَهْلِ مَرْضَاتِكَ واقطع عَنَّا كُلَّ مَا يُبْعِدُنَا عَن سَبِيلِكَ وَيَسِّرْ لَنَا مَا يَسِّرْتَهُ لِأَهْلِ مَحَبَّتِكَ وَأَيِّقِظْنَا مِنْ غَفْلَاتِنَا وَأَلْهِمْنَا رُشْدَنَا وَحَقِّقْ بِكَرَمِكَ قَصْدَنَا وَاسْتُرْنَا فِي دُنْيَانَا وَآخِرَتِنَا وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَةِ الْمُتَّقِينَ وَالْحَقِيقَاتِ بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ،
اللَّهُمَّ عَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَلَا تَجْعَلْ عَلْمَنَا وَبَالاً عَلَيْنَا ، اللَّهُمَّ قَوِي مَعْرِفَتْنَا بِكَ وَبِأَسْمَائِكَ وَصِفَاتِكَ وَنُورِ بَصَائِرِنَا وَمَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا

وَقَوَاتِنَا يَا رَبِّ الْعَالَمِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصْلٌ»

وَتَصَوَّرَ نَفْسَكَ وَقَدْ بَدَأَ لَكَ مِنْهُ الرِّضَا وَالرَّحْمَةُ وَالْمَغْفِرَةُ فَتَكَادُ رُوحَكَ أَنْ
تَطِيرَ مِنْ بَدَنِكَ فَرِحًا فَكَيْفَ لَوْ سَمِعْتَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الرِّضَا عَنْكَ وَالْمَغْفِرَةَ
لَكَ فَأَمِنْ خَوْفَكَ وَسَكَنَ حَذْرَكَ وَتَحَقَّقْ أَمْلَكَ وَرَجَاؤَكَ بِخُلُودِ الْأَبَدِ وَأَيَقُنْتَ
بِفُوزِكَ وَنَعِيمِكَ أَبَدًا لَا يَفْنَى وَلَا يَبِيدُ وَطَارَ قَلْبُكَ فَرِحًا وَأَبْيَضَ وَجْهُكَ وَأَشْرَقَ
وَأَنَارَ .

ثُمَّ حَرَجْتَ إِلَى الْخَلَائِقِ مُسْتَتِيرًا الْوَجْهَ قَدْ حَلَّ بِكَ أَكْمَلُ الْجَمَالِ وَالْحُسْنِ
كِتَابُكَ بِيَمِينِكَ وَقَدْ شَخَّصْتَ أَبْصَارَ الْخَلَائِقِ إِلَيْكَ غِنَظَةً لَكَ وَتَأْسُفًا عَلَى أَنْ
يَنَالُوا مِنَ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ مِثْلَ مَا نِلْتَ .

وَتَصَوَّرَ نَفْسَكَ إِنْ لَمْ يَعْفُ عَنْكَ رَبُّكَ وَأَيَقُنْتَ بِالْهَلَاكِ وَذَهَبَ بِكَ إِلَى
جَهَنَّمَ مُسَوِّدًا الْوَجْهَ تَتَخَطَّى الْخَلَائِقَ بِسَوَادٍ وَجْهَكَ وَكِتَابُكَ فِي شِمَالِكَ أَوْ مِنْ
وَرَاءِ ظَهْرِكَ تُنَادِي بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ وَالْمَلِكُ آخِذٌ بِعَضُدِكَ ينادي هَذَا فَلَانُ بْنُ
فُلَانٍ قَدْ شَقِيَ شَقَاءً لَا يَسْعُدُ بَعْدَهُ أَبَدًا .

وَتَصَوَّرَ الصِّرَاطَ وَهُوَ الْجَسْرُ الْمَنْصُوبُ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ قُدَّامَكَ وَتَصَوَّرَ
مَا يَحِلُّ بِكَ مِنَ الْوَجَلِ وَالْخَوْفِ الشَّدِيدِ حِينَ رَفَعْتَ طَرْفَكَ فَنَظَرْتَ إِلَيْهِ بِدِقَّتِهِ
وَدُخُوضِهِ وَجَهَنَّمَ تَضَطَّرِبُ وَتَتَغَيَّضُ وَتَخْفِقُ بِأَمْوَاجِهَا مِنْ تَحْتِهِ .

فِيَالَهُ مِنْ مَنظَرٍ مَا أَفْظَعُهُ وَأَهْوَلُهُ وَسَمَاعِكَ شَهِيْقَهَا وَتَغْيِضَهَا وَقِصْفِ
أَمْوَاجِهَا وَجَلْبَةِ ثَوْرَانِهَا مِنْ أَسْفَلِهَا وَقَدْ اضْطَّرَرْتَ عَلَى الْمَشْيِ عَلَيْهِ وَقَدْ مَرَّتْ
عَلَيْكَ صِفَتُهُ .

ثم قيل لك وأنت تنظر إلى الجسر بفظاظته وفظاعته وقيل للخلق معك
اركبوا الجسر الذي هو الصراط فتصوّر حالتك وخفقان قلبك ورجفان
جسمك مما عانيت من المزعجات والكروب والشدائد والأهوال وعظائم
الأمر وقلة المأكل والمشرب والراحة .

ولما قيل اركب طار عقلك رغباً وخوفاً ثم إذا رفعت رجلك وأنت
تتنفض لتركب الجسر فوقع قدمك على جدته ودقته فازداد فرعك وازداد
رجفان قلبك ورفعت رجلك الأخرى وأنت مضطرب تمزوج من شدة
الخوف العظيم وقد اثقلت الأوزار وأنت حاملاً على ظهرك وأنت تنظر إلى
الناس يتهافون من بين يديك ومن ورائك .

فتصوّر مرورك عليه بضعفك وثقلك وأوزارك وقلة حيلتك وأنت
مدهش مما تحتك وأمامك ممن يئنون ويزلون وقد تنكست هاماتهم
وأرتفعت أرجلهم وآخرون يختطفون بالكلايب وتسمع العويل والبكاء
والأصوات المزعجات المناديات بالويل والشبور .

فيا له من منظرٍ فظيعٍ ومر تقى ما أصعبه ومجاز ما أضيقه ومكان ما أهوله
وموقف ما أشقه وكأني بك مملوءاً من الدغر والرغب والقلق ملتفتاً يميناً
وشمالاً إلى من حولك من الخلق وهم يتهافون قدامك في جهنم وأنت تحشى
أن تتبعهم إلى قعر جهنم .

فتصور هذا بعقلك ما دمت في قيد الحياة قبل أن يحال بينك وبينه
فلا يفيدك التفكير لعلك أن تتلافى تفریطك وتحاسب نفسك قبل أن يموت
الآوان فتبوء بالفشل والحياة والحرام .

وتصوّر حالتك إن بوأت بالخسران وزلت رجلك عن الصراط ووقعت
فيما كنت تحاذر وتخاف وطار عقلك ثم زلت رجلك الأخرى فنكست على
هامتك وعلت رجلاك فلم تشعر إلا والكلوب قد دخل في جلدك ولحمك .

فَجَذِبَتْ بِهِ وَبَادَرَتْ إِلَيْكَ النَّارُ ثَائِرَةً غَضْبَانَةً لِعُضْبٍ مَوْلَاهَا وَقَدْ غَلَبَ
عَلَى قَلْبِكَ النَّدْمُ وَالنَّاسِفُ عَلَى أَوْقَاتٍ ضَيَّعْتَهَا فِيمَا يُسْخِطُ اللَّهَ .

وَتَصَوَّرْ سَمَاعَكَ لِنِدَاءِ النَّارِ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ هَلْ امْتَلَأْتَ ﴾ وَسَمِعْتَ
إِجَابَتَهَا ﴿ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ وَهِيَ تَلْتَهَبُ فِي بَدَنِكَ لَهَا قَصِيفٌ فِي جَسَدِكَ ثُمَّ لَمْ
تَلْبَثْ أَنْ تَفْطَرَّ جِسْمُكَ وَتَسَاقَطَ لِحْمُكَ وَبَقِيَتْ عِظَامُكَ .

مُحْتَرِقٍ تَطْلُبُ مِنْهُمْ مَاءً أَوْ نَحْوَهُ فَأَجَابُوكَ بِالرَّدِّ وَالْحَيِيَّةِ فَتَقَطَعَ قَلْبُكَ
حَسْرَةً وَأَسْفَاءً .

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ
أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾
فِيَا حَيِيَّةَ مَنْ هَذَا حَالُهُ وَهَذَا مَالُهُ .

لَقَدْ تَقَطَّعَ قَلْبُكَ حُزْنًا إِذْ حَيَّيُوا أَمْلَكَ فِيهِمْ وَبِمَا رَأَيْتَ مِنْ غَضَبِهِمْ عَلَيْكَ
لِعُضْبِ رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ فَفَزَعَتْ إِلَى اللَّهِ بِالنَّدَاءِ بِطَلْبِ الْخُرُوجِ مِنْهَا فَبَعْدَ مُدَّةٍ اللَّهُ
أَعْلَمَ بِهَا جَاءَ الْجَوَابُ ﴿ إِحْسُوا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ ﴾ .

فَلَمَّا سَمِعْتَ النِّدَاءَ بِالتَّخْسِيعِ لَكَ وَالْأَمْثَالِ بَقِيَ نَفْسُكَ مِنْ شِدَّةِ الضِّيْقِ
وَالْأَلَمِ وَالْحَسْرَةِ مُتَرَدِّدًا فِي جَوْفِكَ لَا مَخْرَجَ لَهُ فَضَاقَتْ نَفْسُكَ ضَيْقًا شَدِيدًا
لَا يَعْلَمُ مَدَاهُ إِلَّا اللَّهُ .

وَبَقِيَتْ قَلْبًا تَزْفُرُ وَلَا تُطِيقُ ثُمَّ أَنَّكَ زِيَادَةُ حَسْرَةٍ وَنِدَامَةٍ حَيْثُ أُطِيقُ
أَبْوَابُ النَّارِ عَلَيْكَ وَعَلَى أَعْدَائِهِ فِيهَا فَانْقَطَعَ الْأَمَلُ كُليًّا .

فِيَا يَا سَكَ وَيَا أَيَّاسَ سُكَّانِ جَهَنَّمَ حِينَ سَمِعُوا وَقَعَ أَبْوَابُهَا تَطْبِقُ عَلَيْهِمْ ، قَالَ
اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ : ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤَصَّدَةٌ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾ .

فَعَلِمُوا عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ لَا فَرَجَ أَبَدًا وَلَا مَخْرَجَ وَلَا مَحِيصَ لَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ
خَلُودًا فَلَا مَوْتَ وَعَذَابٌ لَا زَوَالَ لَهُ عَنْ أَبْدَانِهِمْ وَدَوَامٌ حَرَقَ قُلُوبَهُمْ .

أَحْزَانٌ لَا تَنْقُضِي وَهُمُومٌ وَغَمُومٌ لَا تَنْفُذُ وَسُقْمٌ لَا يَبْرَأُ وَقِيُودٌ لَا تُحَلُّ
وَأَغْلَالٌ لَا تُنْفَكُ، قال تعالى: ﴿إِذَا الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي
الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ .

وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قَطَعَ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ
رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا
أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ .

ثُمَّ أَطَّلَعَتِ النَّارُ عَلَى مَا فِي جَوْفِكَ فَأَكَلَتْ مَا فِيهِ وَأَنْتَ تُنَادِي وَتَسْتَعِيثُ
فَلَا تُرْحَمُ حَتَّى إِذَا طَالَ فِيهَا مُكْنُكَ وَاشْتَدَّ بِكَ الْعَطْشُ .

فَذَكَرَتِ الشَّرَابَ فِي الدُّنْيَا فَرَعَتَ إِلَى الْجَحِيمِ فَتَنَاولَتْ الْآنَاءَ مِنْ يَدِ الْخَازِنِ
الْمُوَكَّلِ بِعَذَابِكَ فَلَمَّا تَنَاوَلْتَهُ تَمَزَّعَتْ كُفُوكَ مِنْ تَحْتِهِ وَاحْتَرَقَتْ مِنْ حَرَارَتِهِ ثُمَّ
قَرَبْتَهُ إِلَى فَمِكَ وَالْأَلْمُ بِالْعِ مِنْكَ كُلُّ مَبْلُغٍ فَشَوَى وَجْهَكَ وَتَسَاقَطَ لَحْمُهُ .

ثُمَّ تَجَرَّعْتَهُ فَسَلَخَ حَلْقُوكَ ثُمَّ وَصَلَ إِلَى جَوْفِكَ فَقَطَّعَ أَمْعَاءَكَ، قال الله جل
وعلا: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾، وقال جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ:
﴿وَيَسْقَى مِنَ الْمَاءِ صَدِيدًا يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ
وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ .

ثم ذكرت شراب الدنيا وبرده وشدته وشدته فبادرت إلى الحميم لئلا يبرد به كبذك
كما تعودت في الدنيا فسقيت فقطع أمعاءك والحميم شراب كالنحاس المذاب
يقطع الأحشاء والأمعاء ثم بادرت إلى النار رجاء أن تكون أهون منه ثم اشتد
عليك حريق النار فرجعت إلى الحميم، قال تعالى: ﴿يطوفون بينها وبين حميم
آن﴾، وقال في الآية الأخرى: ﴿إِذَا الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ
فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ .

فقدّر نفسك مع الضائعين والخاسرين لعلك أن تلحق بالأبرار

والمُقرَّبِينَ وَتَصَوَّرَ حَالَتَكَ لَمَّا اشْتَدَّ بِكَ الكَرْبُ والعَطشُ وبلَّغَ منك كُلَّ مَبْلَغٍ
وذكرت الجنانَ وما فيها مِنَ النِّعَمِ المقيمِ والعَيْشِ السَّليمِ .

وَهَاجَتْ الأَحْزَانُ وَهَاجَتْ غُصَّةٌ فِي فؤادِكَ إِلَى حَلْقِكَ أَسفَاً عَلَى ما فَاتَ
مِن رِضَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحُزناً عَلَى نعيمِ الجَنَّةِ .

ثم ذكرت شرايها وبرد مائها وذكرت أن فيها بعض القرابة من أبٍ أو أمٍ
أو ابنٍ أو أخٍ أو غيرهم من القرابة أو الأصدقاء في الدنيا فناديتهم بِقَلْبٍ مَحْزُونٍ
لا يَرِحُ بُكَائِهِمْ ولا يَجاب دِعاؤُهُمْ ولا يَعاثون عند تضرعهم ولا تقبل توبتهم
ولا تُقال عَثْرَتُهُمْ غَضِبُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ فلا يَرْضَى عنهم أبداً فَمَثَلُ نَفْسِكَ
بِهَذَا الوَصْفِ إِنْ لَمْ يَعْفُ عَنْكَ رَبُّكَ لَعَلَّكَ أَنْ تَسْتَيْقِظَ فَتَسْتَدْرِكَ .

فلو رأيت المُعذِّبِينَ وقد أَكَلَتِ النَّارُ لِحومَهُمْ وَمَحَتِ مَحاسِنَ وُجُوهِهِمْ
واندَرسَ نَحْطِيطُهُمْ فَبَقِيَتِ العِظامُ مُحترَقةً مُسودَّةً وقد قَلِقُوا مِن شِدَّةِ تَكرارِ
العَذابِ الأليمِ ، قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ عَذابِي هُوَ العَذابُ الأليمُ ﴾ .

وَهُمْ يُنادُونَ بالويل والثبور ويصرخون بالبكاء والعيويل ، قالَ اللَّهُ جَلَّ
وَعَلَا وَتَقَدَّسَ : ﴿ وَهُمْ يَصْطَرخونَ فيها رَبِّنا أخرجنا نَعمَلُ صالحاً غيرِ الَّذي كُنا
نَعمَلُ ﴾ ، وقال : ﴿ وَإِذا ألقوا منها مَكاناً ضيقاً مَقرنين دَعاوا هَناكَ ثُبوراً
لا تَدعوا اليَومَ ثُبوراً واحداً وادعوا ثُبوراً كثيراً ﴾ .

فلو رأيتهم لَذابَ قَلْبِكَ فزِعاً ورُعباً مِن سَوءِ حَلِقِهِمْ ولحَرَجَتِ رُوحَكَ
مِن بَتنِ رَائحَتِهِمْ فكيف لو نَظَرَتِ نَفسَكَ وَأنتَ فيهِمْ وقد زالَ مِن قَلْبِكَ الأملُ
والرَجاءُ ولزَمَكَ القُنوطُ والإياسُ فَمَثَلُ نَفسِكَ لَعَلَّكَ أَنْ تَتَأَثَّرَ فَتَسْتَعِدَّ لِلقاءِ اللَّهِ .

وَنَظَرَتِ إلى النارِ وهي تَشْتَعِلُ في أَجزاءِ بَدَنِكَ فتدخلُ أذُنَيْكَ وَعَينَيْكَ
ولا تقدر على إبعادها عنكَ لِمِلازِمَتِها لَكَ ، قالَ اللَّهُ تعالى : ﴿ إن عذابها كان
غراماً إنا ساءت مستقراً ومقاماً ﴾ فهناك يَغلبُ على قَلْبِكَ التأسُّفُ والحسراتُ

والندامة، قال جل وعلا وتقدس: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ الآية.

فَنصَوْرٌ تِلْكَ الْأَهْوَالِ وَالْعَظَائِمِ بِعَقْلِ فَارِغٍ وَعَزِيمَةٍ صَادِقَةٍ وَرَاجِعِ نَفْسِكَ
مَا دُمْتَ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ وَتُتْبِ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَنْ مَا يَكْرَهُ مَوْلَاكَ وَتَضَرَّعُ
إِلَيْهِ وَابْنِكَ مِنْ خَشْيَتِهِ لَعَلَّهُ يَرْحَمَكَ وَيُقِيلُ عَثْرَتَكَ فَإِنَّ الْخَطَرَ عَظِيمٌ وَالْبَدَنُ
ضَعِيفٌ وَالْمَوْتُ مِنْكَ قَرِيبٌ، انتهى بتصريف من كلام المحاسبي رحمه الله.

شِعْرًا: مَثَلٌ وَقُوفَكَ يَوْمَ الْحَشْرِ عَرِيَانَا
النَّارُ تَزْفُرُ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ حَنَنِ
إِقْرَأْ كِتَابَكَ يَا عَبْدِي عَلَى مَهَلٍ
لَمَّا قَرَأْتَ كِتَابًا لَا يُعَادِرُ لِي
قَالَ الْجَلِيلُ لِحُدُوءِهِ يَا مَلَأْمِكْتِي
يَارَبِّ لَا تُحْزِنَا يَوْمَ الْحِسَابِ وَلَا
مُسْتَعْظِفًا قَلِقَ الْأَحْشَاءِ حَيْرَانَا
عَلَى الْعَصَاةِ وَتَلَقَى الرَّبَّ غَضَبَانَا
وَأَنْظُرُ إِلَيْهِ تَرَى هَلْ كَانَ مَا كَانَا
حَرْفًا وَمَا كَانَ فِي سِرِّ وَأَعْلَانَا
مُرُوا بَعْدِي إِلَى النَّيِّرَانِ عَطْشَانَا
تَجْعَلْ لِنَارِكَ فِينَا الْيَوْمَ سُلْطَانَا

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ وَنَبِّهْنَا
لَاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهْلَةِ وَوَقْفْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَلَا تَوَاجِدْنَا بِمَا
انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَاكْتَنَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعْلَمُهَا
مِنَا، وَامْنُنْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا عَنَّا كُلَّ ذَنْبٍ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«مَوْعِظَةٌ»: لِلَّهِ دَرُّ أَقْوَامٍ تَرَكُوا الدُّنْيَا فَأَصَابُوا، وَسَمِعُوا مُنَادِيَّ اللَّهِ
فَاجَابُوا، وَحَضَرُوا مَشَاهِدَ التَّقَى فَمَا غَابُوا، وَاعْتَدَرُوا مَعَ التَّحْقِيقِ ثُمَّ تَابُوا
وَأَنَابُوا، وَقَصَدُوا بَابَ مَوْلَاهُمْ فَمَا رُدُّوا وَلَا خَابُوا.

قال عمرو بن ذرٍ لَمَّا رَأَى الْعَابِدُونَ اللَّيْلَ قَدْ هَجَمَ عَلَيْهِمْ، وَنَظَرُوا إِلَى
أَهْلِ الْغَفْلَةِ قَدْ سَكَنُوا إِلَى فُرْشِهِمْ وَرَجَعُوا إِلَى مَلَاذِهِمْ.

قاموا إلى الله سبحانه وتعالى فرحين مُستبشرين بما قد وهب الله لهم من
السَّهْرِ وطُولِ التَّهَجُّدِ .

فأستقبلوا الليلَ بأبدانهم، وبأشروا ظلمته بصفاح وجوههم، فأنقضى
عنهم الليلُ، وما انقضت لذتهم من التلاوة، ولا ملت أبدانهم من طول
العِبَادَةِ، فأصبحَ الفريقانِ وقد ولى الليلُ برينجٍ وغبنٍ .

فاعملوا في هذا الليلِ وسواده، فإن المغبونَ من غبنِ الدنيا والآخرة، وكم
من قائمٍ لله تعالى في هذا الليلِ قد اغتبطَ بقيامه في ظلمة حُفرتَه .

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ شِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا وَتَسْمَعُ كَلَامَنَا وَتَرَى مَكَانَنَا لَا يَخْفَى
عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَحْنُ الْبُؤْسَاءُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ الْمُسْتَغِيثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ بِكَ
نَسْأَلُكَ أَنْ تُقَيِّضَ لِدِينِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيُزِيلُ مَا حَدَثَ مِنَ الْبِدْعِ وَالْمُنْكَرَاتِ
وَيُقِيمُ عِلْمَ الْجِهَادِ وَيَقْمَعَ أَهْلَ الرِّبِيعِ وَالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تُغْفِرَ لَنَا
وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ .

«فَصَلِّ» : ويقابل دارَ الأشقياءِ التي تقدمت قريباً دارُ أخرى دارِ قرارٍ
ونعيمٍ وسرورٍ وحُبورٍ وأمنٍ وصِحَّةٍ وحيَاةٍ أبديةٍ فيها ماتشتبهه الأنفسُ وتلذُّ
الأعينُ ممَّا لا عينَ رأتْ ولا أذنٌ سمعتْ ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ .

دارٌ جعلها الكريمُ جل وعلا دارَ ضيافةٍ، يُكرم فيها عباده الأختيار الذين
وقَّعهم لخدمته والعملِ بطاعته .

ولا تظن هذه الضيافة محدودة، ولا أن الكرامة فيها تنتهي بل كل ما تحبه
وتتمناه أمامك إن كنت من أهل العفو والتجاوز فتوهم إن تفضل الله عليك
بالعفو والتجاوز (أي تصور ممرِّك على الصراط) .

وئورك يسعى بين يديك وعن يمينك، وكتابك بيمينك مبين الوجه .

قال الله جل وعلا: ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾، وقد أيقنت
برضاه عنك وأنت على الصراط مع زمرة العابدين ووفود المتقين.

والملائكة تُنادي: سَلِّمْ سَلِّمْ، والوجلُّ مع ذلك لا يفارق قلبك ولا قلوب
المؤمنين، تُنادي ويُنادون: ﴿ربنا أئِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ﴾، فتدبر حين رأوا المنافقين طَفِيءَ نُورُهُمْ، وهاجَّ الوجَلُّ في قلوبهم،
فَدَعَوْا بِتَمَامِ النُّورِ والمغفرة.

فَتَوَهُمُ أَي تَصَوَّرَ وَتَحَيَّلَ وَتَمَثَّلَ نَفْسَكَ، وَأَنْتَ تَمُرُّ خَفِيفًا مَعَ الْوَجَلِّ
وَتَصَوَّرُ مَمْرَكَ عَلَى قَدَرٍ خِفَّةٍ أَوْ زَارِكٍ وَثِقَلِهَا وَقَدْ انْتَهَيْتَ إِلَى آخِرِهِ.

فَعَلَبَ عَلَى قَلْبِكَ النِّجَاةَ، وَقَدْ عَايَنْتَ نَعِيمَ الْجَنَانِ وَأَنْتَ عَلَى الصِّرَاطِ،
فَحَنَّ قَلْبُكَ عَلَى جَوَارِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاشْتَأَقَ إِلَى رِضَا اللَّهِ، حَتَّى إِذَا صِرْتَ إِلَى
آخِرِهِ خَطَوْتَ بِأَحَدِ رَجْلَيْكَ إِلَى الْعَرِصَةِ (أَي عَرِصَةِ الْقِيَامَةِ) الَّتِي بَيْنَ آخِرِ
الْجِسْرِ وَبَيْنَ بَابِ الْجَنَّةِ، فَوَضَعْتَهَا عَلَى الْعَرِصَةِ الَّتِي بَعْدَ الصِّرَاطِ، وَبَقِيَتْ الْقَدَمُ
الْأُخْرَى، عَلَى الصِّرَاطِ، وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ قَدْ اعْتَلَيَا فِي قَلْبِكَ وَغَلَبَا عَلَيْكَ.

ثُمَّ ثَبَّتَ بِالْأُخْرَى، فَجُزَّتِ الصِّرَاطُ كُلُّهُ وَاسْتَقَرَّتْ قَدَمَاكَ عَلَى تِلْكَ
الْعَرِصَةِ، وَزَلَّتْ عَنِ الْجِسْرِ بِيَدِنِكَ، وَخَلَّفْتَهُ وَرَاءَ ظَهْرِكَ، وَجَهْتُمْ تَضَطُّرِبُ
مِنْ تَحْتِ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا، وَتَثَّبَ عَلَى مَنْ زَلَّ عَنْهُ مُعْتَاطَةً تَزْفُرُ عَلَيْهِ وَتَشْهَقُ إِلَيْهِ.

ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى الْجِسْرِ فَنَظَرَتْ إِلَيْهِ بِاضْطِرَابِهِ، وَنَظَرَتْ إِلَى الْخَلَائِقِ مِنْ
فَوْقِهِ، وَإِلَى جَهَنَّمَ مِنْ تَحْتِهِ تَثَّبُ وَتَزْفُرُ عَلَى الَّذِينَ زُلْزِلُوا عَنِ الطَّرِيقِ، لَهَا فِي
رُؤُوسِهِمْ وَأَنْحَائِهِمْ قَصِيفٌ، فَطَارَ قَلْبُكَ فَرَحًا إِذْ نَجَوْتَ بِضَعْفِكَ مِنَ النَّارِ
وَخَلَّفْتَ النَّارَ وَجَسْرَهَا مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِكَ، مُتَوَجِّهًا إِلَى جَوَارِ رَبِّكَ.

ثُمَّ خَطَوْتَ أَمِنًا إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ أَمْتَلًا قَلْبُكَ سُورًا وَفَرَحًا، فَلَا تَزَالُ فِي
مَمْرِكَ بِالْفَرَحِ وَالسُّرُورِ حَتَّى تُوَافِيَ أَبْوَابَهَا، فَإِذَا وَافَيْتَ بَابَهَا اسْتَقْبَلَكَ بِحُسْنِهِ،

فَنظَرَتْ إِلَى حُسْنِهِ وَتُورِهِ وَحُسْنِ صُورَةِ الْجَنَّةِ وَجُدْرَانِهَا، وَقَلْبِكَ مُسْتَطِيرٌ فَرَحٌ
مَسْرُورٌ مُتَعَلِّقٌ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ حِينَ وَافَيْتِ بَابَهَا أَنْتِ وَأَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ .

فَتَوَهَّمُ أَي تَحَيَّلُ وَتَصَوَّرُ نَفْسَكَ فِي ذَلِكَ الْمَوْكِبِ، وَهُمْ أَهْلُ كِرَامَةِ اللَّهِ
وَرِضْوَانِهِ، مُبَيَّضَةٌ وَجُوهُهُمْ، مُشْرِقَةٌ بِرِضَا اللَّهِ، مَسْرُورُونَ فَرِحُونَ
مُسْتَبْشِرُونَ، وَقَدْ وَافَيْتِ بَابَ الْجَنَّةِ بِغُبَارِ قَبْرِكَ، وَحَرَّ الْمَقَامِ وَوَهَجَ مَا مَرَّ بِكَ .

فَنظَرَتْ إِلَى الْعَيْنِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ وَإِلَى حُسْنِ مَائِهَا، فَانْعَمَسَتْ فِيهَا
مَسْرُورًا، لَمَّا وَجَدَتْ مِنْ بَرْدِ مَائِهَا وَطِيبِهِ، فَوَجَدَتْ لَهُ بَرْدًا وَطِيبًا فَذَهَبَ
عَنْكَ بِحُزْنِ الْمَقَامِ، وَطَهَّرَكَ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ وَغُبَارٍ، وَأَنْتِ مَسْرُورٌ لَمَّا وَجَدْتَ
مِنْ طِيبِ مَائِهَا لَمَّا بَاشَرْتَهُ، وَقَدْ أَفَلَّتْ مِنْ وَهَجِ الصِّرَاطِ وَحَرِّهِ، لِأَنَّهُ قَدْ يُوَأَفِي
بَابَهَا مَنْ أَحْرَقَتْ النَّارُ بَعْضَ جَسَدِهِ بِلَفْحِهَا وَقَدْ بَلَغَتْ مِنْهُ .

فَمَا ظَنُّكَ وَقَدْ انْفَلَتَ مِنْ حَرِّ الْمَقَامِ وَوَهَجِ أَنْفَاسِ الْخَلَائِقِ، وَمِنْ شِدَّةِ
تَوَهُّجِ حَرِّ الصِّرَاطِ فَوَافَيْتِ بَابَ الْجَنَّةِ بِذَلِكَ، فَلَمَّا نَظَرْتَ إِلَى الْعَيْنِ قَدَفْتَ
بِنَفْسِكَ فِيهَا، فَتَوَهَّمُ (أَي تَصَوَّرُ وَتَحَيَّلُ) فَرِحَةَ فُؤَادِكَ لَمَّا بَاشَرَ بَرْدَ مَائِهَا
بِدُنُوكَ بَعْدَ حَرِّ الصِّرَاطِ، وَوَهَجِ الْقِيَامَةِ، وَأَنْتِ فَرِحَ لِمَعْرِفَتِكَ أَنَّكَ إِذَا تَعَتَّسَلُ
لِتَتَطَهَّرَ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ وَالْخُلُودِ فِيهَا .

فَأَنْتِ تَعْتَسِلُ مِنْهَا ذَائِبًا، وَلَوْ أَنَّكَ مُتَغَيَّرٌ حُسْنًا، وَجَسَدُكَ يَزْدَادُ نَضْرَةً
وَبَهْجَةً وَنَعِيمًا، ثُمَّ تَخْرُجُ مِنْهَا فِي أَحْسَنِ الصُّورِ وَأَتَمِّ النُّورِ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا، اللَّهُمَّ الْهَمْمَنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَرْزُقْنَا
مَحَبَّةَ أَوْلِيَائِكَ وَبُغْضَ أَعْدَائِكَ وَهَجْرَانَهُمْ وَالْإِبْتِعَادَ عَنْهُمْ وَاعْفِرْ لَنَا، اللَّهُمَّ أَنْتَ
تَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا وَتَسْمَعُ كَلَامَنَا وَتَرَى مَكَانَنَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا
نَحْنُ الْبُؤْسَاءُ إِلَيْكَ الْمَسْتَغِيثُونَ الْمَسْتَجِيرُونَ بِكَ نَسْأَلُكَ أَنْ تُقَيِّضَ لِيَدِينِكَ مَنْ
يَنْصُرُهُ وَيُزِيلُ مَا حَدَثَ مِنَ الْبِدْعِ وَالْمُنْكَرَاتِ وَتُقِيمَ عَلَمَ الْجِهَادِ وَتَقْمَعَ أَهْلَ

الرَّيْبِ وَالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ وَنَسَأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

«فَصَلِّ» : فَتَوَهَّم (أَي تَصَوَّرْ وَتَحَيَّلْ) فَرَحَ قَلْبِكَ حِينَ خَرَجْتَ مِنْهَا
فَنظَرْتَ إِلَى كَمَالِ جَمَالِكَ ، وَنَضَارَةِ وَجْهِكَ وَحُسْنِهِ ، وَأَنْتَ عَالِمٌ مُوقِنٌ بِأَنَّكَ
تَنْتَظِفُ لِلدُّخُولِ إِلَى جِوَارِ رَبِّكَ ، ثُمَّ تَقْصُدُ إِلَى الْعَيْنِ الْأُخْرَى ، فَتَتَنَاوَلُ مِنْ
بَعْضِ آيَاتِهَا ، فَتَوَهَّمْ نَظْرَكَ إِلَى حُسْنِ الْإِنَاءِ ، وَإِلَى حُسْنِ الشَّرَابِ ، وَأَنْتَ
مَسْرُورٌ بِمَعْرِفَتِكَ أَنَّكَ إِنَّمَا تَشْرَبُ هَذَا الشَّرَابَ لِتُطَهِّرَ جَوْفَكَ مِنْ كُلِّ غِلٍّ ،
وَجَسَدِكَ نَاعِمٌ أَبَدًا .

حتى إذا وضعت الإناء على فيك ثم شربته، وجدت طعم شراب لم تذق
مثله، ولم تعود شربه، فيسلس من فيك إلى جوفك، فطار قلبك سروراً لما
وجدت من لذته، ثم نقي جوفك من كل آفة، فوجدت لذة طهارة صدرك
من كل طبع كان فيه يئازعه إلى الغموم والهموم والحرص والشدة والغضب
والغل، فيا برد طهارة صدرك، وباروح ذلك على فؤادك .

حتى إذا استكملت طهارة القلب والبدن، واستكملت أحباء الله ذلك
معك، والله مطلع يراك ويراهم، أمر مولاك الجواد المتحيز خزان الجنة من
الملائكة، الذين لم يزالوا مطيعين خائفين منه مشفقين وجلين من عقابه إعظاماً
له وإجلالاً، وهيبته له، وحذراً من نقمه، وأمرهم أن يفتحوا باب جنته
لأوليائه، فأنحدرُوا من دارها، وبأدروا من ساحاتها، وأتوا باب الجنة فمدوا
أيديهم ليفتحوا أبوابها .

وأيقنت بذلك، فطار قلبك سروراً، وامتلاأت فرحاً، وسمعت حسن
صرير أبوابها، فعلاك السرور، وغلب على فؤادك، فيا سرور قلوب المفتوح لهم
باب جنة رب العالمين .

فلما فَتَحَ لهم بَابَهَا، هاجَ نَسِيمُ طِيبِ الْجَنَانِ، وَطِيبُ جَرَى مَائِهَا، فَفَنَحَ وَجْهَكَ، وَجَمِيعَ بَدَنِكَ، وَثَارَتْ أَرَائِيحُ الْجَنَةِ الْعَبَقَةِ الطَّيِّبَةِ، وَهَاجَ رِيحُ مَسْكِيهَا الأَذْفَرِ، وَزَعْفَرَانِهَا المُونِيعِ، وَكَافُورِهَا الأَصْفَرِ، وَعَنْبِرِهَا الأَشْهَبِ، وَأَرِيَاخُ طِيبِ ثَمَارِهَا وَأَشْجَارِهَا، وَمَا فِيهَا مِنْ نَسِيمِهَا.

فَتَدَاخَلَتْ تِلْكَ الأَرَائِيحُ فِي مَشَامِكُ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى دِمَاغِكَ، وَصَارَ طِيبُهَا فِي قَلْبِكَ، وَفَاضَ مِنْ جَمِيعِ جَوَارِحِكَ، وَنَظَرْتَ بِعَيْنِكَ إِلَى حُسْنِ قُصُورِهَا، وَتَأَسَّيسِ بُيُنَانِهَا مِنْ طَرَائِقِ الجَنْدَلِ الأَخْضَرِ مِنَ الزُّمُرِدِ، وَاليَاقُوتِ الأَحْمَرِ، وَالدَّرِ الأَبْيَضِ، قَدْ سَطَعَ مِنْهُ نُورُهُ وَبَهَاؤُهُ وَصَفَاؤُهُ.

فَقَدْ أَكَمَلَهُ اللهُ فِي الصَّفَاءِ وَالنُّورِ، وَمَا زَجَّهُ نُورُ مَا فِي الْجَنَانِ، وَنَظَرْتَ إِلَى حُجُبِ اللهِ، وَفَرِحَ فُؤَادُكَ لِمَعْرِفَتِكَ أَنَّكَ إِذَا دَخَلْتَهَا فَإِنَّ لَكَ فِيهَا الزِّيَادَاتِ، وَالنَّظْرُ إِلَى وَجْهِ رَبِّكَ، فَاجْتَمَعَ طِيبُ أَرَائِيحِ الْجَنَةِ وَحَسُنُ بَهْجَةِ مَنْظَرِهَا، وَطِيبُ نَسِيمِهَا، وَبَرَدُ جَوْهَا.

فَتَصَوَّرَ نَفْسَكَ إِنْ تَفَضَّلَ اللهُ عَلَيْكَ بِهَذِهِ الهَيْئَةِ، فَلَوْ مُتَّ فَرِحًا لَكَانَ ذَلِكَ يَحِقُّ لَكَ، حَتَّى إِذَا فَتَحُوا بَابَهَا، أَقْبَلُوا عَلَيْكَ ضَاحِكِينَ فِي وَجْهِكَ وَوُجُوهِ أَوْلِيَاءِ اللهِ مَعَكَ، وَنَادَوْكَ ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ فَتَوَهَّمْ حَسَنَ نِعْمَاتِهِمْ، وَطِيبَ كَلَامِهِمْ، وَحَسَنَ تَسْلِيمِهِمْ، فِي كَمَالِ صُورِهِمْ، وَشِدَّةِ نُورِهِمْ.

ثُمَّ أَتَبِعُوا السَّلَامَ بِقَوْلِهِمْ: ﴿طِيبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾، فَاتَّبَعُوا عَلَيْهِمُ بِالطِّيبِ وَالتَّهْذِيبِ مِنْ كُلِّ دَنْسٍ، وَدَرَنِ وَغِلٍّ وَغِشٍّ، وَكُلِّ آفَةٍ فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا، ثُمَّ أَذْنُوا لَهُمْ عَلَى اللهِ بِالدُّخُولِ فِي جِوَارِهِ، ثُمَّ أَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ بَاقُونَ فِيهَا أَبَدًا، فَقَالُوا: ﴿طِيبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾، فَلَمَّا سَمِعَتِ الأَذُنُ وَأَوْلِيَاءُ اللهِ مَعَكَ، بَادَرْتُمُ البَابَ بِالدُّخُولِ، فَكَضَّتِ الأبْوَابُ مِنَ الرَّحَامِ.

فَتَصَوَّرْ نَفْسَكَ إِنْ عَفَا اللهُ عَنْكَ فِي تِلْكَ الرَّحْمَةِ مُبَادِرًا مَعَ مُبَادِرِينَ،

مَسْرُوراً مَعَ مَسْرُورِينَ، بِأَبْدَانٍ قَدْ طَهَّرَتْ، وَوُجُوهِ قَدْ أَشْرَقَتْ وَأَنَارَتْ فَهِيَ
كَالْبَدْرِ، قَدْ سَطَعَ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ كَشُعَاعِ الشَّمْسِ .

فَلَمَّا جَاوَزَتْ بَابَهَا، وَضَعَتْ قَدَمَيْكَ عَلَى ثُرْبَتَيْهَا، وَهِيَ مِسْكٌ أَذْفَرٌ،
وَوَبَتْ الزَّعْفَرَانَ الْمَوْنِعَ، وَالْمِسْكَ مَصْبُوبٌ عَلَى أَرْضٍ مِنْ فِضِيَّةٍ، وَالزَّعْفَرَانُ نَابِتٌ
حَوْلَهَا، فَلِذَلِكَ أَوَّلُ حَطْوَةٍ حَطَوْتَهَا فِي أَرْضِ الْبَقَاءِ بِالْأَمْنِ مِنَ الْعَذَابِ
وَالْمَوْتِ، فَأَنْتَ تَتَخَطَّى فِي ثُرَابِ الْمِسْكِ، وَرِيَاضِ الزَّعْفَرَانِ، وَعَيْنَاكَ تَرْمُقَانِ
حُسْنَ بَهْجَةِ الدَّرِّ، مِنْ حُسْنِ أَشْجَارِهَا، وَزِينَةِ تَصْوِيرِهَا .

فَبَيْنَمَا أَنْتَ تَتَخَطَّى فِي عَرَصَاتِ الْجَنَانِ، فِي رِيَاضِ الزَّعْفَرَانِ، وَكُتُبَانِ
الْمِسْكِ، إِذْ نُودِيَ فِي أَزْوَاجِكَ وَوُلْدَانِكَ وَخُدَّامِكَ وَغُلَّامَانِكَ وَقَهَّارِمَتِكَ، أَنْ
فَلَانًا قَدْ أَقْبَلَ، فَأَجَابُوا، وَاسْتَبَشَرُوا لِقُدُومِكَ، كَمَا يُبَشِّرُ أَهْلُ الْغَائِبِ فِي الدُّنْيَا
بِقُدُومِهِ .

ثَنَاءٌ عَلَى اللَّهِ وَتَضَرُّعٌ إِلَيْهِ جَلَّ جَلَالُهُ

إِلَيْكَ لَدَى الْإِعْسَارِ وَالْيُسْرِ أَفْرَعُ	إِلَهِي وَخَلَّاقِي وَحِرْزِي وَمَوْلِي
فَمَنْ ذَا الَّذِي أَرْجُو وَمَنْ أَتَشْفَعُ	إِلَهِي لَئِنْ أَبْعَدْتَنِي أَوْ طَرَدْتَنِي
فَعَفُوكَ عَنْ ذَنْبِي أَجَلٌ وَأَوْسَعُ	إِلَهِي لَئِنْ جَلَّتْ وَجَمَّتْ حَطِيئَتِي
فَهَا أَنَا فِي رَوْضِ النَّدَامَةِ أُرْتَعُ	إِلَهِي لَئِنْ أُعْطِيتُ نَفْسِي سُؤْلَهَا
فُوَادِي فَإِنِّي خَائِفٌ مُتَضَرِّعُ	إِلَهِي فَلَا تَقْطَعْ رَجَائِي وَلَا تُرْغِ
إِذَا كَانَ لِي فِي الْقَبْرِ مَثْوَى وَمَضْجَعُ	إِلَهِي فَانْسِنِي بِتَلْقِينِ حُجَّتِي
بُنُونٌ وَلَا مَالَ هُنَالِكَ يَشْفَعُ	إِلَهِي إِذْقَنِي بَرْدَ عَفْوِكَ يَوْمَ لَا
وَصُحْبَةَ أَحْيَارِ هُنَالِكَ خُضَعُ	وَلَا تَحْرِمْنِي مِنْ شَفَاعَةِ أَحْمَدِ
وَتَاجَاكَ أَقْوَامٌ بِبَاكَ حُشَعُ	وَصَلِّ عَلَيْهِ مَا دَعَاكَ مُوَحَّدُ

«فصل»

فبينما أنت تنظرُ إلى قصورك، إذ سمعتَ جَلَبَتَهُمْ وَتَبَشِيشَهُمْ، فاستطرتَ لذلك فرحاً، فبينما أنت فرحٌ مُسرورٌ بغيظتهم لِقُدومِكَ لَمَّا سَمِعْتَ إِجْلَابَهُمْ فرحاً بك، إذ ابتدرت القهارمةُ إليك وقامت الولدان صُفُوفاً لِقُدومِكَ، فبينما أتت القهارمةُ مُقبلةً إليك، إذ استخفَّ أزواجك لِلْعَجَلَةِ، فبعثتَ كُلَّ واحدةٍ منهن بعضَ خُدَّامِها لينظرَ إليك مُقبلاً، ويُسرِعَ بالرجوعِ إليها يُخبرُها بِقُدومِكَ، لِتطمئنَّ إليه فرحاً، وتُسكنَ إلى ذلك سروراً، فنظرَ إليك الخدمُ قبل أن تلقاك قهارمُتك .

ثم بادَرَ رَسُولُ كُلِّ واحدةٍ مِنْهُنَّ إليها فلما أخبرها بِقُدومِكَ، قالت كُلُّ واحدةٍ لرسولها: أئتِ رأيتُهُ، مِن شِدَّةِ فرحها بذلك، ثم أرسلت كُلَّ واحدةٍ مِنْهُنَّ رَسُولاً آخر، فلما جاءتِ البَشَارَاتُ بِقُدومِكَ إليهن، لم يتمالكنَ فرحاً، فأرذنَ الخُروجَ إليك مُبادراتٍ إلى لِقائِكَ لولا أن الله كَتَبَ القَصْرَ لهنَّ في الخيامِ إلى قُدومِكَ، كما قال مَلِيكُك: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الخِيَامِ﴾ .

فوضعن أيديهن على عَضَائِدِ أبوابهن، وأذرعهن برؤوسهن، ينظرن متى تبدو لهن صَفْحَةٌ وَجْهَكَ؛ فَيَسْكُنُ طُولَ حَيْنِهِنَّ، وشدةُ شوقهن إليك، وينظرون إلى قرير أعينهن، ومعدن راحتهن، وأنسهن إلى ولي ربهن وحبیب مَولاهُن .

فتوهم ما عاينت، حين فتحت أبواب قُصورك، ورُفِعَت سُتُورُهُ، مِن حُسنِ بَهجةِ مَقاصيرِهِ، وزينةِ أشجارِهِ، وحُسنِ رياضِهِ، وتَلَأُلُو صَحْنِهِ، وتُورِ سَاحَاتِهِ .

فبينما أنت تنظرُ إلى ذلك، إذ بادرتِ البُشرى مِن خُدَّامِكَ يُنادُونَ أَزْوَاجَكَ هَذَا فُلَانُ بِنُ فُلَانٍ قَدْ دَخَلَ مِنْ بَابِ قَصرِهِ، فلما سَمِعْنَ نِدَاءَ البُشْرَاءِ بِقُدومِكَ ودُخُولِكَ، تَوَثَّنَ مِنَ الفَرشِ على الأَسرةِ في الحِجَالِ .

وَعَيْنُكَ نَاطِرَةٌ إِلَيْهِنَّ فِي جَوْفِ الْخِيَامِ وَالْقِيَابِ، فَظَرَّتْ إِلَى وَثُوبِهِنَّ
مُسْتَعْجِلَاتٍ، قَدْ اسْتَحْفَهْنَ الْفَرْحُ، وَالشَوْقُ إِلَى رُؤْيَتِكَ .

فَتَخَيَّلَ تِلْكَ الْأَبْدَانَ الرَّخِيمَةَ الرَّعْبُوبَةَ الْحَرِيدَةَ النَّاعِمَةَ، يَتَوَثَّنُ بِالنَّهَادِي
وَالْتَّبِخُثُرِ .

فَتَصَوَّرَ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ، حِينَ وَثَبَتْ فِي حُسْنِ حُلِيِّهَا وَحَلِيَّتِهَا بِصَبَاحَةِ
وَجْهِهَا، وَتَنَنِّي بَدَنِهَا بِنِعْمَتِهِ .

فَتَوَهَّمِ انْحِدَارَهَا مُسْرِعَةً بِكَمَالِ بَدَنِهَا، نَازِلَةً عَنْ سَرِيرِهَا إِلَى صَحْنِ
قُبَّتِهَا، وَقَرَارِ خَيْمَتِهَا، فَوَثَّنَ حَتَّى أَتَيْنَ أَبْوَابَ خِيَامِهِنَّ وَقِيَابِهِنَّ .

ثُمَّ أَخَذَانَ بِأَيْدِيَهُنَّ عَضَائِدَ أَبْوَابِ خِيَامِهِنَّ لِلْقَصْرِ، الَّذِي ضَرَبَ عَلَيْهِنَّ إِلَى
قُدُومِكَ، فَقُمْنَ آخِذَاتٍ بَعْضَائِدِ أَبْوَابِهِنَّ .

ثُمَّ خَرَجْنَ بِرُؤُوسِهِنَّ وَوُجُوهِهِنَّ، يَنْحَدِرْنَ مِنْ أَبْوَابِ قِيَابِهِنَّ، مُتَطَلِّعَاتٍ،
يَنْظُرْنَ إِلَيْكَ، مُقْبِلَاتٍ قَدْ مُلِئْنَ مِنْكَ فَرَحًا وَسُرُورًا .

وَتَحَيَّلَ نَفْسَكَ بِسُرُورِ قَلْبِكَ وَفَرَحِهِ، وَقَدْ رَمَقْتَهُنَّ عَلَى حُسْنِ وَجُوهِهِنَّ،
وَوَغْنَجِ أَعْيُنِهِنَّ .

فَلَمَّا قَابَلَتْ وَجُوهَهُنَّ حَارَ طَرْفُكَ، وَهَاجَ قَلْبُكَ بِالسُّرُورِ، فَبَقِيَتْ
كَالْمِبْهُوتِ الذَّاهِلِ مِنْ عَظِيمِ مَا هَاجَ فِي قَلْبِكَ مِنْ سُرُورِ مَا رَأَتْ عَيْنَاكَ،
وَسَكَنْتَ إِلَيْهِ نَفْسُكَ .

فَبَيْنَمَا أَنْتَ تَرْفُلُ إِلَيْهِنَّ، إِذْ دَنَوْتَ مِنْ أَبْوَابِ الْخِيَامِ، فَأَسْرَعْنَ مُبَادِرَاتٍ قَدْ
اسْتَحْفَهْنَ الْعِشْقَ، مُسْرِعَاتٍ يَتَشَنَّنَ مِنْ نَعِيمِ الْأَبْدَانِ، وَيَتَهَادَيْنَ مِنْ كَمَالِ
الْأَجْسَامِ .

ثُمَّ نَادَيْتُ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ: يَا حَبِيبِي مَا أَبْطَأَكَ عَلَيْنَا؟ فَأَجَبَتْهَا بِأَنْ قُلْتَ:

يَا حَبِيبَةَ مَا زَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُوقِفُنِي عَلَى ذَنْبِ كَذَا وَكَذَا حَتَّى خَشِيتُ أَنْ لَا
أَصَلَ إِلَيْكَ، فَمَشَيْتَ نَحْوَكَ فِي السُّنْدُسِ وَالْحَرِيرِ، يُثْرِنَ الْمِسْكَ، وَشَوْقًا
وَعِشْقًا لَكَ .

فَأُولَ مَنْ تَقَدَّمَتْ مِنْهُنَّ مَدَّتْ إِلَيْكَ بَنَانَهَا وَمَعْصَمَهَا وَخَاتَمَهَا وَضَمَّتْكَ
إِلَى نَحْرِهَا فَانْتَشَيْتَ عَلَيْهَا بِكَفِّكَ وَسَاعَدِكَ حَتَّى وَضَعْتَهُ عَلَى قَلَائِدِهَا مِنْ حَلْقِهَا،
ثُمَّ ضَمَمْتُمُهَا إِلَيْكَ وَضَمَّتْكَ إِلَيْهَا .

فتوهم نعيم بدنِها لما ضَمَّتْكَ إليها كَادَ أَنْ يُدَاخِلَ بِدَنْكَ بِدَنَهَا مِنْ لِينِهِ
وَنَعِيمِهِ .

فتوهم ما بَاشَرَ صَدْرَكَ مِنْ حُسْنِ نُهُودِهَا، وَلَذَّةِ مُعَانِقَتِهَا، ثُمَّ شَمَمْتَ
طِيبَ عَوَارِضِهَا، فَذَهَبَ قَلْبُكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهَا حَتَّى غَرَّقَ فِي السُّرُورِ،
وَأَمْتَلَأَ فَرَحًا، لَمَّا وَصَلَ إِلَى رُوحِكَ مِنْ طِيبِ مَسِيْسِهَا، وَلَذَّةِ رَوَائِحِ عَوَارِضِهَا .

فلما اسْتَمَكَّنْتَ خَفَةَ السُّرُورِ مِنْ قَلْبِكَ، وَعَمَّتْ لَذَّةُ الْفَرَحِ جَمِيعَ بَدَنِكَ،
وَمَوْعِدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُرُورِكَ، فَنَادَيْتَ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَكَ الْوَعْدَ،
وَأَنْجَزَ لَكَ الْمَوْعِدَ، ثُمَّ ذَكَرْتَ طَلَبَكَ إِلَى رَبِّكَ إِيَّاهُنَّ بِالذُّؤُوبِ وَالشَّمِيرِ .

فَأَيْنَ أَنْتَ فِي عَاقِبَةِ ذَلِكَ الْعَمَلِ الَّذِي اسْتَقْبَلْتَهُ وَأَنْتَ تَلْتَمِهُنَّ وَتَشْمُ
عَوَارِضَهُنَّ ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ حَيَاةً طَيِّبَةً، وَنَفْسًا تَقِيَّةً، وَعَيْشَةً نَقِيَّةً، وَمِيتَةً سَوِيَّةً،
وَمَرَادًا غَيْرَ مُخْزِيٍّ وَلَا فَاضِحٍ . اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَالنَّجَاحِ
وَالْفَلَاحِ، وَمِنَ الْمُؤَيَّدِينَ بِنَصْرِكَ وَتَأْيِيدِكَ وَرِضَاكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ . اللَّهُمَّ مَالِكَ
الْمَلِكِ تُوْتِي الْمَلِكِ مِنْ تَشَاءٍ وَتَنْزِعِ الْمَلِكِ مِنْ تَشَاءٍ وَتُعِزِّمْ مِنْ تَشَاءٍ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ
بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . يَا وَدُودُ يَا ذَا الْعَرْشِ الْجَمِيدِ يَا مُبْدِيءُ يَا مُعِيدُ
يَا فَعَّالُ لَمَّا تُرِيدُ نَسْأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي مَلَأَ أَرْكَانَ عَرْشِكَ وَبِقُدْرَتِكَ الَّتِي

قدرت بها على جميع خلقك وبرحمتك التي وسعت كل شيء لا إله إلا أنت أن تغفر ذنوبنا وسيئاتنا وأن تبدلها لنا بحسنات إنك جواد كريم رؤوف رحيم .
اللَّهُمَّ افتح لدعائنا باب القبول والإجابة واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين
برحمتك يا أرحم الراحمين .

«فصل» : فتوهم صعودها على السرير بعظيم بدنها ونعيمه ، حتى استوت عليه جالسة ، ثم ارتقيت على السرير ، فاستويت عليه معها ، فقابلتك وأنت مقابلهما ، فياحسَنَ منظرِكَ إليها جالسة في حالها وحليها بصباحة وجهها ونعيم جسمها ! الأساور في معاصمها ، والخواتم في أكفها ، والخلائيل في أسواقها ، والقلائد في عنقها ، والأكالييل من الدر والياقوت على قصتها وجبينها ، والتاج من فوق ذلك على رأسها ، والذوائب من تحت التاج ، قد حل من مناكبها ، وبلغ أردافها ، ترى وجهك في نحرها ، وهي تنظر إلى وجهها في نحر .

وقد تدلت الأشجار بثمارها من جوانب حجلتك ، واطردت الأنهار حول قصرك ، واستعلى الجداول على خيمتك بالخمر والعسل واللبن والسلسيل .

وقد كمل حُسنك وحُسْنُها ، وأنت لايسُ الحَرِيرِ والسُنْدُسِ ، وأساورِ الذهب واللؤلؤ على كل مفصل من مفاصلك ، وتاجُ الدرِّ والياقوتِ مُنتَصِفِ فوق رأسك ، وأكالييلِ الدرِّ مُفَصَّصَةً بالنور على جبينك .

وقد أضاءت الجنة وجميعُ قُصورِكَ من إشراقِ بَدَنِكَ ونُورِ وَجْهِكَ ، وأنت تُعَايِنُ مِنْ صَفَاءِ قُصورِكَ جميعَ أزواجِكَ وحُدَمِكَ وجميعَ أبنيةِ مَقاصِيرِكَ .

وقد تدلَّت عليك ثمارُ أشجارِكَ ، واطَّردتْ أنهارُكَ مِنَ الحَمِيرِ واللَّبَنِ مِنْ تَحْتِكَ ، والماءُ والعسلُ مِنْ فَوْقِكَ ، وأنت جالسٌ معَ زَوْجَتِكَ على أريكَتِكَ ، وقد فُتِحَتْ مَصَارِيعُ أبوابِكَ ، وأرْخِيتْ عَلَيْكَ حِجَالُ حَيْمَتِكَ ، وَخَفَّفَ الخُدَامُ والولدَانُ بِقُبَّتِكَ ، وَسَمِعَتْ رِجْلُهُمْ بالتَّقْدِيسِ لِرَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ .

وَأَنْتَ وَزَوْجُكَ بِأَكْمَلِ الْهَيْئَةِ وَأَتَمِّ النِّعْمَةِ، وَقَدْ حَارَ فِيهَا طَرْفُكَ تَنْظُرَ إِلَيْهَا
مُتَعَجِباً مِنْ جَمَالِهَا وَكَمَالِهَا، طَرَبْتُ قَلْبُكَ بِمَبْلَاحَتِهَا، وَأَنْسَ قَلْبُكَ بِهَا مِنْ
حُسْنِهَا، فَهِيَ مُنَادِمَةٌ لَكَ عَلَى أَرْيُكَنِكَ، تُتَازَعُكَ وَتُعَاطِيكَ الْخَمْرَ وَالسُّلْسِيلَ
وَالتَّسْنِيمَ فِي كَأْسَاتِ الدُّرِّ وَأَكَاوِيبِ قَوَارِيرِ الْفِضَّةِ .

فتوهم الكأس من الياقوت والدُر في بَنَانِهَا، وَقَدْ قَرَّبَتْ إِلَيْكَ ضَاحِكَةً بِحُسْنِ
ثَعْرِهَا، فَسَطَعَ نُورُ بَنَانِهَا فِي الشَّرَابِ، مَعَ نُورِ وَجْهِهَا وَنَحْرِهَا، وَنُورِ الْجِنَانِ،
وَنُورِ وَجْهِكَ وَأَنْتَ مُقَابِلُهَا، وَاجْتَمَعَ فِي الْكَأْسِ الَّذِي فِي بَنَانِهَا نُورُ الْكَأْسِ، وَنُورُ
الشَّرَابِ، وَنُورُ وَجْهِهَا، وَنُورُ نَحْرِهَا، وَنُورُ ثَعْرِهَا، إِنْتَهَى بِتَصْرِفِ .

وقال ابن القيم :

فَاسْمَعُ صِفَاتِ عَرَائِسِ الْجَنَّاتِ ثُمَّ
حُورٌ حَسَانٌ قَدْ كَمَلْنَ خَلَائِقًا
حَتَّى يَحَارُ الطَّرْفُ فِي الْحُسْنِ الَّذِي
وَيَقُولُ لَمَّا أَنْ يُشَاهَدَ حُسْنَهَا
وَالطَّرْفُ يَشْرَبُ مِنْ كُؤُوسِ جَمَالِهَا
كَمَلَتْ خَلَائِقُهَا وَأَكْمَلَ حُسْنَهَا
وَالشَّمْسُ تَجْرِي فِي مَحَاسِنِ وَجْهِهَا
فَتَرَاهُ يَعْجَبُ وَهُوَ مُوضِعُ ذَلِكَ مِنْ
فَيَقُولُ سُبْحَانَ الَّذِي ذَا صُنْعِهِ
وَكَلاهُمَا مِرَاةً صَاحِبِهِ إِذَا
فَتَرَى مَحَاسِنَ وَجْهِهِ فِي وَجْهِهَا
حُمُرَ الْخُدُودِ تُعُورُهُنَّ لِآلِيءٍ
وَالْبَدْرُ يَبْدُو حِينَ يَنْسُمُ ثَعْرَهَا
وَلَقَدْ رَوَيْنَا أَنْ بَرَقَا سَاطِعًا

مَ اخْتَرْتَنَفْسِكَ يَا أَخَا الْعِرْفَانِ
وَمَحَاسِنًا مِنْ أَجْمَلِ النَّسْوَانِ
قَدْ أَلَيْسَتْ فَالطَّرْفُ كَالْحَيْرَانِ
سُبْحَانَ مُعْطِي الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ
فَتَرَاهُ مِثْلَ الشَّارِبِ النَّشْوَانِ
كَالْبَدْرِ لَيْلِ السَّيِّ بَعْدَ ثَمَانِ
وَاللَّيْلُ تَحْتَ ذَوَائِبِ الْأَغْصَانِ
لَيْلٍ وَشَمْسٍ كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ
سُبْحَانَ مُتَقِنِ صُنْعَةِ الْإِنْسَانِ
مَا شَاءَ يُنْصِرِ وَجْهَهُ يَرِيَانِ
وَيَرَى مَحَاسِنَهَا بِهِ بَعَيْنَانِ
سُودُ الْعُيُونِ فَوَاتِرُ الْأَجْفَانِ
فَيُضِيءُ سَقْفُ الْقَصْرِ بِالْجُدْرَانِ
يَبْدُو فَيَسْأَلُ عَنْهُ مَنْ بِجِنَانِ

فَيَقَالُ هَذَا ضَوْءٌ تُعْرِ ضَا حِكِ
لِلَّهِ لَائِمٌ ذَلِكَ التُّعْرِ الَّذِي
رِيَانَةُ الْأَعْطَافِ مِنْ مَاءِ الشَّبَا
لَمَا جَرَى مَاءُ الشَّبَابِ بَعْضِنَهَا
فَالْوَرْدُ وَالتَّفَاحُ وَالرُّمَانُ فِي
وَالْقَدُّ مِنْهَا كَالْقَضِيبِ اللَّذَنِ فِي

إلى أن قال رحمه الله :

وَإِذَا بَدَتْ فِي حُلَّةٍ مِنْ لُبْسِهَا
تَهْتَرُ كَالْعُصْنِ الرَّطِيبِ وَحَمْلُهُ
وَتَبَحُّرَتْ فِي مَشْيِهَا وَيَحُوقُ ذَا
وَوَصَائِفٌ مِنْ خَلْفِهَا وَأَمَامِهَا
كَالْبَدْرِ لَيْلَةَ تَمِّهِ قَدْ حُفَّ فِي
فِلْسَانُهُ وَفُوَادُهُ وَالطَّرْفُ فِي
فَالْقَلْبُ قَبْلَ زِفَافِهَا فِي عُرْسِهِ
حَتَّى إِذَا مَا وَاجَهْتُهُ تَقَابَلَا
فَسَلِ الْمُتَمِّمَ أَيْنَ خَلَفَ صَبْرَهُ
وَسَلِ الْمُتَمِّمَ كَيْفَ حَالَتُهُ وَقَدْ
مِنْ مَنْطِقِي رَقَّتْ حَوَاشِيهِ وَوَجَّ
وَسَلِ الْمُتَمِّمَ كَيْفَ عَيْشَتُهُ إِذَا
يَتَسَاقَطَانِ لِأَلْمَا مَنُشُورَةً
وَسَلِ الْمُتَمِّمَ كَيْفَ مَجْلِسُهُ مَعَ الْ
وَتَدْوَرُ كَاسَاتُ الرَّحِيقِ عَلَيْنِهَا
يَتَنَازَعَانِ الْكَأْسَ هَذَا مَرَّةً

فِي الْجِنَةِ الْعُلْيَا كَمَا تَرِيَانِ
فِي لَتْمِهِ إِذْرَاكُ كُلِّ أَمَانِ
بِ فَعُصْنِهَا بِالْمَاءِ ذُو جَرِيَانِ
حَمَلَ الثَّمَارَ كَثِيرَةَ الْأَلْوَانِ
عُصْنِ تَعَالَى غَارِسُ الْبُسْتَانِ
حُسْنِ الْقَوَامِ كَأَوْسَطِ الْقُضْبَانِ

وَتَمَايَلَتْ كَتَمَائِلِ النَّشْوَانِ
وَرْدٌ وَتَفَاحٌ عَلَى رُمَانِ
كَلِمِثْلِهَا فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
وَعَلَى شَمَائِلِهَا وَعَنْ أَيْمَانِ
غَسَقِ الدُّجَى بِكَوَاكِبِ الْمِيزَانِ
دَهَشٍ وَإِعْجَابٍ وَفِي سُبْحَانِ
وَالْعُرْسُ إِثْرَ الْعُرْسِ مُتَّصِلَانِ
أَرَأَيْتَ إِذْ يَتَقَابَلُ الْقَمَرَانِ
فِي أَيِّ وَادٍ أَمْ بِأَيِّ مَكَانِ
مُلِئَتْ لَهُ الْأَذُنَانِ وَالْعَيْنَانِ
هَ كَمْ بِهِ لِلشَّمْسِ مِنْ جَرِيَانِ
وَهُمَا عَلَى فُرْشَيْهِمَا خَلْوَانِ
مِنْ بَيْنِ مَنْظُومٍ كَنْظَمِ جُمَانِ
مَحْبُوبٍ فِي رَوْحٍ وَفِي رِيحَانِ
بَأَكْفِ أَقْمَارٍ مِنَ الْوَلْدَانِ
وَالْحُودُ أَحْرَى ثُمَّ يَتَكَلَّمَانِ

فِيضُمُّهَا وَتَضُمُّهُ أَرَأَيْتَ مَعَهُ
 غَابَ الرَّقِيبُ وَغَابَ كُلُّ مُنْكَدٍ
 أَتْرَاهُمَا ضَجْرَيْنِ مِنْ ذَا الْعَيْشِ لَا
 وَيَزِيدُ كُلُّ مِنْهُمَا حُبًّا لِيَصَا
 وَوَصَالُهُ يَكْسُوهُ حُبًّا بَعْدَهُ
 فَالْوَصْلُ مَحْفُوفٌ بِحُبِّ سَابِقِ
 فَرَقٌ لَطِيفٌ بَيْنَ ذَلِكَ وَيَبِينُ ذَا
 وَمَزِيدُهُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ حَاصِلٌ
 يَاغَافِلًا عَمَّا خُلِقْتَ لَهُ اتَّبِعْهُ
 سَارَ الرِّفَاقُ وَخَلْفُوكَ مَعَ الْأُولَى
 وَرَأَيْتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرَى مُتَخَلِّفًا
 لَكِنْ أَتَيْتَ بِخَطَّتِي عَجَزٍ وَجَهْ
 مَتَّتِكَ نَفْسُكَ بِالْحُقُوقِ مَعَ الْقُعُودِ
 وَلَسَوْفَ تَعْلَمُ حِينَ يَنْكَشِفُ الْغَطَا

وقال ابن القيم رحمه الله:

فِيآسَاهِيًّا فِي غَمْرَةِ الْجَهْلِ وَالْهَوَى
 أَفْقٌ قَدْ دَنَى الْوَقْتُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ
 وَبِالسَّنَةِ الْعَرَاءِ كُنْ مُتَمَسِّكًا
 تَمَسِّكْ بِهَا مَسِّكَ الْبَحِيلِ بِمَالِهِ
 وَدَعْ عَنكَ مَا قَدْ أَحْدَثَ النَّاسُ بَعْدَهَا
 وَهِيَءُ جَوَابًا عِنْدَمَا تَسْمَعُ النَّدَا
 بِهِ رُسُلِي لَمَّا أَتَوْكُمُ فَمَنْ يَكُنْ
 وَخُذْ مِنْ تَقَى الرَّحْمَنِ أَعْظَمَ جُنَّةً

شُوقَيْنِ بَعْدَ الْبُعْدِ يَلْتَقِيَانِ
 وَهُمَا بَنُوبُ الْوَصْلِ مُشْتَمِلَانِ
 وَحَيَاةِ رَبِّكَ مَا هُمَا ضَجْرَانِ
 حِبِّهِ جَدِيدًا سَائِرَ الْأَزْمَانِ
 مُتَسَلِّسِلًا لَا يَنْتَهِي بِزَمَانِ
 وَبِلَاحِقِ وَكِلَاهُمَا صِنُوانِ
 يَدْرِيبُهُ ذُو شُعْلِ بِهَذَا الشَّانِ
 سُبْحَانَ ذِي الْمَلَكُوتِ وَالسُّلْطَانِ
 جَدِّ الرَّحِيلِ وَلَسْتَ بِالْيَقْظَانِ
 قَنَعُوا بِذَا الْحِظِّ الْحَسِينِ الْفَانِ
 فَتَبَعُهُمْ فَرَضِيَتْ بِالْحِرْمَانِ
 لِ بَعْدَ ذَا وَصَحِبْتَ كُلَّ أَمَانِ
 دِ عَنِ الْمَسِيرِ وَرَاحَةِ الْأَبْدَانِ
 مَاذَا صَنَعْتَ وَكُنْتَ ذَا إِمْكَانِ

صَرِيحَ الْأَمَانِيِّ عَنِ قَرِيبٍ سَتَنَدُمُ
 سِوَى جَنَّةٍ أَوْ حَرِّ نَارٍ تَضُرُّمُ
 هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى الَّتِي لَيْسَ تُفْصَمُ
 وَعَضَّ عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ تَسْلَمُ
 فَمَرَّتْ هَاتِيكَ الْحَوَادِثُ أَوْحَمُ
 مِنَ اللَّهِ يَوْمَ الْعَرْضِ مَاذَا أَجَبْتُمُ
 أَجَابَ سِوَاهُمْ سَوْفَ يُحْزَى وَيَنْدَمُ
 لِيَوْمٍ بِهِ تَبْدُو عِيَانًا جَهَنَّمَ

وَيُنصَبُ ذَاكَ الْجَسْرُ مِنْ فَوْقَ مَتْنِهَا
وَيَأْتِي إِلَيْهِ الْعَالَمِينَ لِيُوعِدَهُ
وَيَأْخُذَ لِلْمَظْلُومِ رَبُّكَ حَقَّهُ
وَيُنشِرُ دِيُونََ الْحِسَابِ وَتُوضَعُ الِ
فَلَا مُجْرِمٌ يَخْشَى ظِلَامَةَ ذَرَّةٍ
وَيَشْهَدُ أَعْضَاءُ الْمُسِيءِ بِمَا جَنَى
فَيَأْتِيَتِ شِعْرِي كَيْفَ حَالِكُ عِنْدَمَا
أَتَاخُذُ بِالْيُمْنَى كِتَابَكَ أَمْ تَكُنْ
وَتَقْرَأُ فِيهَا كُلَّ شَيْءٍ عَمِلْتَهُ
تَقُولُ كِتَابِي فَأَقْرَأُهُ فَإِنَّهُ
وَإِنْ تَكُنْ الْأُخْرَى فَإِنَّكَ قَائِلٌ
فَبَادِرْ إِذَا مَا دَامَ فِي الْعُمُرِ فُسْحَةٌ
وَجَدَّ وَسَارِعْ وَاعْتَنِمْ زَمَنَ الصَّبَا
وَسِرْ مُسْرِعًا فَالْمَوْتُ تَخْلُفُكَ مُسْرِعًا

اللَّهُمَّ الْهَمْنَا الْقِيَامَ بِحَقِّكَ، وَبَارِكْ لَنَا فِي الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ، وَلَا تَقْضِ حَنَا
بَيْنَ خَلْقِكَ، يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجِحٌ، يَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ
وَمُجِيبَ الدَّعَوَاتِ هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَّيْنَاهُ وَأَمْلَنَاهُ يَا مَنْ
يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ضَمَائِرِ الصَّامِتِينَ، أَدِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ،
وَخَلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

« خَاتِمَةٌ، وَصِيَّةٌ، نَصِيحَةٌ »

إِعْلَمْ وَفَقَّنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُجِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ أَنْ مِمَّا
يَجِبُ الْاِعْتِنَاءُ بِهِ حِفْظًا وَعَمَلًا كَلَامَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَكَلَامَ رَسُولِهِ ﷺ .

وَأَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَحُثَّ أَوْلَادَهُ عَلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ وَمَا تَيَسَّرَ مِنْ أَحَادِيثِ النَّبِيِّ ﷺ الْمُنْفَقِ عَلَى صِحَّتِهَا عَنْهُ كَالْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمَ .
وَمِنَ الْفَقْهِ مَخْتَصَرِ الْمُقْنَعِ لِيَتَيَسَّرَ لَهُ اسْتِخْرَاجُ الْمَسَائِلِ وَيَجْعَلَ لِأَوْلَادِهِ مَا يَحْتُومُهُمْ عَلَى ذَلِكَ .

فَمَثَلًا يَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ عَلَى صَدْرِهِ حِفْظًا صَحِيحًا عَشْرَةَ آلَافٍ أَوْ أَزِيدَ أَوْ أَقَلَّ حَسَبَ حَالِهِ فِي الْغِنَى .

وَمِنَ الْأَحَادِيثِ عُقُودَ اللَّوْلُوِّ وَالْمَرْجَانِ فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْإِمَامَانِ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ ، يَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ ذَلِكَ سِتَّةَ آلَافٍ .

فَإِنْ عَجَزُوا عَنْ حِفْظِهَا فَالْعُمْدَةُ فِي الْحَدِيثِ يَجْعَلُ لِمَنْ حَفِظَهَا ثَلَاثَةَ آلَافٍ ، أَوْ الْأَرْبَعِينَ النَّوَاوِيَّةَ وَيَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُهَا أَلْفًا .

وَيَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ مُخْتَصَرَ الْمُقْنَعِ فِي الْفَقْهِ الْفَيْنِ مِنَ الرِّيَالَاتِ فَالْغَيْبُ سَبَبٌ لِحِفْظِ الْمَسَائِلِ وَسَبَبٌ لِسُرْعَةِ اسْتِخْرَاجِ مَا أُرِيدَ مِنْ ذَلِكَ وَمَا أَشْكَلَ مَعْنَاهُ أَوْ يُدْخِلُهُمْ فِي مَدَارِسِ تَحْفِيزِ الْقُرْآنِ فَمَدَارِسُ تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ هِيَ مَدَارِسُ التَّعْلِيمِ الْعَالِيِ الْمُتَمَازِ الْبَاقِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَوْ يُدْخِلُهُمْ فِي حَلَقَاتِ تَحْفِيزِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْمَسَاجِدِ .

وَلَمْ أَرَى لِلْخَلَائِقِ مِنْ مَرْبٍ كَعَلِمِ الشَّرْعِ يُؤَخِّدُ عَنْ ثِقَاتِ بَيْتِ اللَّهِ مَدْرَسَةَ الْأَوْلِيَاءِ لِمَنْ يَهْوَى الْعُلُومَ الرَّاقِيَاتِ

فَمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ لِذَلِكَ وَعَمِلَ أَوْلَادُهُ بِذَلِكَ كَانَ سَبَبًا لِحُصُولِ الْأَجْرِ مِنَ اللَّهِ وَسَبَبًا لِبَرِّهِمْ بِهِ وَدُعَائِهِمْ لَهُ إِذْ ذَكَرُوا ذَلِكَ مِنْهُ وَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ سَبَبًا مُبَارَكًا يَعْمَلُ بِهِ أَوْلَادُهُ مَعَ أَوْلَادِهِمْ فَيَزِيدُ الْأَجْرَ لَهُ وَلَهُمْ نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوفِّقَ الْجَمِيعَ لِحُسْنِ النِّيَّةِ إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

تَمَّ هَذَا الْجُزْءُ الثَّانِي بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ وَنَسْأَلُ اللَّهَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ الْعَلِيِّ

العَظِيمَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ الْوَاحِدَ الْوَاحِدَ الْفَرْدَ الصَّمَدَ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ أَنْ يُعَزَّزَ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْ يَحْذَلَ الْكُفْرَةَ
وَالْمُشْرِكِينَ وَأَعْوَانَهُمْ وَأَنْ يُصْلِحَ مِنْ فِي صَلَاحِهِ صِلَاحٌ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ
وَيُهْلِكَ مَنْ فِي هَلَاقِهِ عِزٌّ وَصِلَاحٌ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْ يَلْمَ شَعَثِ
الْمُسْلِمِينَ وَيَجْمَعَ شَمْلَهُمْ وَيُوَحِّدَ كَلِمَتَهُمْ وَأَنْ يَحْفَظَ بِلَادَهُمْ وَيُصْلِحَ
أَوْلَادَهُمْ وَيَشْفِ مَرْضَاهُمْ وَيُعَافِي مُبْتَلَاهُمْ وَيَرْحَمَ مَوْتَاهُمْ وَيَأْخُذَ بِأَيْدِينَا إِلَى
كُلِّ خَيْرٍ وَيَعْصِمَنَا وَإِيَّاهُمْ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَيَحْفَظْنَا وَإِيَّاهُمْ مِنْ كُلِّ ضَرٍّ وَأَنْ يَغْفِرَ
لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِهِ إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« مَوْعِظَةٌ »

فَيَا أَيُّهَا الْمُتَهَمُونَ الْغَافِلُونَ تَيَقَّظُوا فَإِلَيْكُمْ يُوجَّهُ الْخِطَابُ وَيَا أَيُّهَا النَّائِمُونَ
انْتَهُوا قَبْلَ أَنْ تُنَاخَ لِلرَّحِيلِ الرِّكَابُ قَبْلَ هُجُومِ هَادِمِ اللَّذَاتِ وَمُفْرَقِ
الْجَمَاعَاتِ وَمُذِلِّ الرِّقَابِ، وَمُشَيِّتِ الْأَحْبَابِ، فَيَالَهُ مِنْ زَائِرٍ لَا يَعُوقُهُ عَائِقُ
وَلَا يُضْرِبُ دُونَهُ حِجَابٌ، وَيَالَهُ مِنْ نَازِلٍ لَا يَسْتَأْذِنُ عَلَى الْمُلُوكِ وَلَا يَلْبِجُ مِنْ
الْأَبْوَابِ، وَلَا يَرْحَمُ صَغِيرًا وَلَا يُوقِرُ كَبِيرًا وَلَا يَخَافُ عَظِيمًا وَلَا يَهَابُ أَلَا وَإِنَّ
بَعْدَهُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ مِنَ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ، وَوَرَاءَهُ هَوْلُ الْبَعْثِ وَالْحَشْرِ
وَأَحْوَالِهِ الصَّعَابِ مِنْ طُولِ الْمَقَامِ وَالْإِزْدِحَامِ فِي الْأَجْسَامِ وَالْمِيزَانِ وَالصَّرَاطِ
وَالْحِسَابِ وَالْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ .

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيَقْظُنَا مِنْ نَوْمِ الْعَفْلَةِ وَتَبْهِنَا
لَاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهْلَةِ وَوَفَّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَذُنُوبِنَا
وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْتَتَهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ
وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعْلَمُهَا مِنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ

وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« موعظة »

عِبَادِ اللهِ تَزَوَّدُوا لِلرَّحِيلِ فَقَدْ دَنَّتِ الْأَجَالُ وَاجْتَهِدُوا وَاسْتَعِدُّوا لِلرَّحِيلِ فَقَدْ قَرَبَ الْأَرْتِحَالُ وَمَهَّدُوا لِأَنْفُسِكُمْ صَالِحَ الْأَعْمَالِ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنْتْ بِالْفِرَاقِ وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَشْرَفَتْ لِلتَّلَاقِ فَتَزَوَّدُوا مِنْ دَارِ الْإِنْتِقَالِ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ .

وَاسْتَشْعِرُوا التَّقْوَى فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَأَحْذَرُوا التَّفَاخَرَ وَالتَّكَاثُرَ فِي الدُّنْيَا بِجَمْعِ الحُطَامِ وَاِكْتِسَابِ الْآثَامِ وَإِيَّاكُمْ وَالْإِعْتِرَازَ بِالْأَمَالِ فَوَرَاءَكُمْ الْمَقَابِرُ ذَاتِ الْوَحْشَةِ وَالْهُمُومِ وَالْعُمُومِ وَالْكُرْبَاتِ وَتَضَائِقِ الْأَنْفَاسِ وَالْأَهْوَالِ الْمُفْطِعَاتِ .

فَسَوْفَ تَرَوْنَ مَا لَمْ يَكُنْ لَكُمْ فِي حِسَابِ إِذَا نُودِيْتُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ حُفَاةً عَرَاةً غُرْلًا مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِي وَتَعَلَّقَ الْمَظْلُومُونَ بِالظَّالِمِينَ وَوَقَفْتُمْ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحَلَّ بِكُمْ كَرْبُ الْمَقَامِ وَاشْتَدَّ بِالْحَلْقِ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الرَّحَامُ وَأَخَذَ الْجَرِيمُونَ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ وَبَرَزَتْ جَهَنَّمَ تُقَادُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونَهَا وَالْحَزَنَةُ حَوْلَهَا غِلَاطٌ شِدَادًا .

وَيُنَادِي عِنْدَ ذَلِكَ الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ الْجَبَّارُ فَيَقُولُ هَلْ أَمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ هُنَالِكَ يَنْحَلِعُ قَلْبُكَ وَتَتَذَكَّرُ مَا فَرَّطْتَ فِيهِ مِنَ الْأَوْقَاتِ وَتَتَنَدَّمُ وَلا تَسَاعَةَ مَنْدِمٍ وَتَتَمَنَّى أَنْ لَوْ زِيدَ فِي الْحَسَنَاتِ وَحُفِّفَ مِنَ السَّيِّئَاتِ وَلَكِنْ أَنَّى لَكَ بِهَذَا وَهَيْهَاتَ ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتُرُونَ ﴾ .

شِعْرًا: لِمَنْ وَرَقَاءُ بِالْوَادِي الْمَرِيحِ تَشَبُّ بِه تَبَارِيحِ الضُّلُوعِ
عَلَى فَيَنَائَةِ حَضْرَاءَ يَصْفُو عَلَى أَعْطَافِهَا وَشَيْ الرِّيْعِ

تُرَدُّ صَوْتٌ بَاكِئَةً عَلَيْهَا
فَشَتَّتْ شَمْلَهَا وَأَدَالَ مِنْهُ
عَجِبْتُ لَهَا تَكَلُّمٌ وَهِيَ خَرَسَا
فَهَمْتُ حَدِيثَهَا وَفَهَمْتُ أَنِّي
أَتَّبِكِي تِلْكَ أَنْ فَقَدْتُ أُنَيْسَا
وَهَا أَنَا لَسْتُ أَبْكِي فَقَدْ نَفْسِي
وَلَوْ أَنِّي عَقَلْتُ الْيَوْمَ أَمْرِي
أَلَا يَا صَاحِ وَالشُّكُوى ضُرُوبٌ
لَعَلَّكَ أَنْ تُعِيرَ أَحَاكَ دَمْعَا

اللَّهُمَّ أَنْظُمْنَا فِي سِلْكِ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ
أَعَدَدْتَ لَهُمْ فَسِيحَ جَنَانِكَ، وَأَدْخَلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ أَمَانِكَ، وَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَايَا وَأَجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهَبَاتِكَ
وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فصل»

إعلم وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين وأيقظ قلوبنا وقلوبكم من الغفلة
ورزقنا وإياكم الاستعداد للثقل من الدار الفانية إلى الدار الباقية أن من أضر ما
على الإنسان طول الأمل.

ومعنى ذلك استشعار طول البقاء في الدنيا حتى يغلب على القلب وينسى
أنه مهتد بالموت في كل لحظة ولا بد منه وكل ما هو آت قريب فتأهب
لساعة وداعك من الدنيا وخروجك منها.

وَكُنْ يَا أَحْيَى عَلَى حَذَرٍ مِنْ مُفَاجَأَةِ الْأَجْلِ فَإِنَّكَ عَرَضٌ لِلآفَاتِ وَهَدَفٌ
مَنْصُوبٌ لِسِهَامِ الْمَنَائِيَا وَإِنَّمَا رَأْسُ مَالِكِ الَّذِي يُمَكِّنُكَ أَنْ وَفَّقَكَ اللَّهُ أَنْ تَشْتَرِيَ
بِهِ سَعَادَةَ الْأَبَدِ هَذَا الْعَمْرَ .

قال الله جل وعلا: ﴿أُولِمُ نُعْمَتُكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرُ﴾ الآية،
فِيَاكَ أَنْ تُنْفِقَ أَوْقَاتَ عُمْرِكَ وَأَيَّامَهُ وَسَاعَاتِهِ وَأَنْفَاسَهُ فِيمَا لَا خَيْرَ فِيهِ وَلَا مَنَفَعَةَ
فِيَطُولُ حُزْنِكَ وَتَدَامَتِكَ وَتَحَسَّرُكَ بَعْدَ مَوْتِكَ .

واجعل ما يلي من الآيات نصب عينيك دائماً لتحُثُّكَ على الاستعداد ليوم
المعاد .

قال الله جلا وعلا: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتًا عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ
اللَّهِ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلَ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ
مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ .
وقوله: ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلِنَنْظُرَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ .
وقوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولُ
رَبِّي لَوْلَا أَعْرَجْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الآية .

وقال تعالى: ﴿وَأُنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ .
وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا
عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ .

وثاب جل وعلا: ﴿وَأُنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ
كَاطْمِينَ﴾ .

ونحو هذه الآيات التي مرَّتْ عَلَيْكَ فَإِنْ كُنْتَ مُؤْمِنًا حَقِيقَةً فَاشْعُرْ قَلْبَكَ

تِلْكَ الْمَخَافِ وَالْأَخْطَارَ وَأَكْثَرَ فِيهَا التَّفَكُّرَ وَالْإِعْتِبَارَ لِتَسْلِبَ عَنْ قَلْبِكَ الرَّاحَةَ
وَالْقَرَارَ فِي هَذِهِ الدَّارِ فَتَشْتَغِلَ بِالْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ وَالتَّشْمِيرِ لِلْعَرْضِ عَلَى الْجَبَّارِ .
وَتَفَكَّرْ أَوْلَى فِيمَا يَفْرَعُ سَمَعَ سُكَانِ الْقُبُورِ مِنْ شِدَّةِ نَفْخِ الصُّورِ ، فَإِنهَا
صَيِّحَةٌ وَاحِدَةٌ تَنْفَرُجُ بِهَا الْقُبُورُ عَنْ رُؤْسِ الْمَوْتَى ، فَيَثْرُونَ دُفْعَةً وَاحِدَةً .

قال الله جل جلاله : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾ ، وقال
جَلَّ وَعَلَا : ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ .

فَتَصَوَّرْ نَفْسَكَ إِتْبَهَ يَا أَخِي لِهَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَيْسَ عِظْمُهُ مِمَّا
يُوصَفُ ، وَلَا هَوْلُهُ مِمَّا يُكَيَّفُ ، وَلَا يَجْرِي عَلَى مِقْدَارٍ مِمَّا يُعْلَمُ فِي الدُّنْيَا
وَيُعْرَفُ بَلْ لَا يَعْلَمُ مِقْدَارَ عِظْمِهِ وَلَا هَوْلَهُ إِلَّا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَمَا ظَنَنْكَ بِيَوْمِ
عَبَّرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْ بَعْضِ مَا يَكُونُ فِيهِ بِشَيْءٍ عَظِيمٍ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ
مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا
هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنْ عَذَابُ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ ، وَمَاذَا عَسَى أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ فِيهِ وَمَاذَا
عَسَى أَنْ يَصِفَهُ الْوَاصِفُ بِهِ الْأَمْرَ أَعْظَمُ وَالْحَطْبُ أَكْبَرُ وَالْهَوْلُ أَشْنَعُ كَمَا قَالَ
الْقَائِلُ :

وَمَا عَسَى أَنْ أَقُولَ أَوْ أَقُومُ بِهِ الْأَمْرَ أَعْظَمُ مِمَّا قِيلَ أَوْ وَصِفَا
وقال آخر :

يَضْحَكُ الْمَرْءُ وَالْبُكَاءُ أَمَامَهُ وَيَرُومُ الْبَقَاءَ وَالْمَوْتَ رَامَهُ
وَيَمْشِي الْحَدِيثُ فِي كُلِّ لَعْوٍ وَيُخْلِى حَدِيثُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
وَالْأَمْرُ بِكَاهِ كُلِّ لَبِيبٍ وَتَقَى فِي الظَّلَامِ عَنْهُ مَنَامَهُ
صَاحَ حَدَّثَ حَدِيثُهُ وَاحْتَصَرَهُ فَمَحَالٌ بَأَنْ تُطِيقَ تَمَامَهُ
عَجَزَ الْوَصِيفُونَ عَنْهُ فَقَالُوا لَمْ نَجِءْ مِنْ بَحَارِهِ بِكُضَامَهُ

فَلْتَحَدِّثْهُ جُمْلَةً وَشَتَاتًا وَدَعِ الْآنَ شَرْحَهُ وَنِظَامَهُ
فَتَصَوِّرْ نَفْسَكَ وَقَدْ خَرَجْتَ مِنْ قَبْرِكَ مُتَغَيِّرًا وَجْهَكَ مُغَيَّرًا بِدَنِّكَ مِنْ
ثُرَابِ قَبْرِكَ مَبْهُوتًا مِنْ شِدَّةِ الصَّعْقَةِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ حَشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ
مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِي ﴾ .

وَقَالَ جَل وَعَلَا وَتَقَدَّسَ : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ
الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ ﴾ الْآيَةَ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِي مِنْ مَكَانٍ
قَرِيبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴾ .

وَقَالَ جَلَا وَعَلَا : ﴿ وَنَفَخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ
يَنْسِلُونَ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ
غَيْرِ يَسِيرٍ ﴾ فَتَفَكَّرْ فِي الْخَلَائِقِ وَرُغْبِهِمْ وَذُلِّهِمْ وَاسْتِكَانَتِهِمْ عِنْدَ الْإِنْبِغَاثِ خَوْفًا
مِنْ هَذِهِ الصَّعْقَةِ وَانْتِظَارًا لِمَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ مِنْ سَعَادَةٍ أَوْ شِقَاوَةٍ .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَوْمٌ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصَبٍ
يُوفِضُونَ حَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْتَهْقَهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ
الذِّكْرَىٰ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ .

شِعْرًا: مَنْ كَانَ يُوجِّسُهُ تَبْدِيلَ مَنْزِلِهِ وَأَنْ يُبَدِّلَ مِنْهَا مَنْزِلًا حَسَنًا
مَاذَا يَقُولُ إِذَا ضَمَّتْ جَوَانِبَهَا عَلَيْهِ وَاجْتَمَعَتْ مِنْ هَاهُنَا وَهُنَا
مَاذَا يَقُولُ إِذَا أَمْسَى بِحُفْرَتِهِ فَرْدًا وَقَدْ فَارَقَ الْأَهْلِينَ وَالسَّكَنَاءَ
يَا غَفْلَةً وَرِمَاحَ الْمَوْتِ شَارِعَةً وَالشَّيْبُ الْقَىٰ بِرَأْسِي نَحْوَهُ الرَّسْنَا
وَلَمْ أَعُدْ مَكَانًا لِلنِّزَالِ وَلَا أَعْدَدْتُ زَادًا وَلَكِنْ غَيْرَةً وَمُنَا
إِنْ لَمْ يَجِدْ مَنْ تَوَالَىٰ جُودُهُ أَبَدًا وَيَعْفُ مَنْ عَفُوهُ مِنْ طَالِبِيهِ دَنَا

فِيَا إِلَهِي وَمُزْنَ الْجُودِ وَكَفَّةً سَحًّا فْتَمْطِرُنَا الْإِفْضَالَ وَالْمِنَّا
 آيَسْ هُنَالِكَ يَا رَحْمَنُ وَحَشْتَنَا وَالطَّفْ بِنَا وَتَرَفَّقْ عِنْدَ ذَاكَ بِنَا
 نَحْنُ الْعَصَاةُ وَأَنْتَ اللَّهُ مَلَجُونَا وَأَنْتَ مَقْصِدُنَا الْأَسْنَى وَمَطْلَبُنَا
 فَكُنْ لَنَا عِنْدَ بَأْسَاهَا وَشِدَّتِهَا أَوْلَى فَمَنْ ذَا الَّذِي فِيهَا يَكُونُ لَنَا

اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهِجَ الْمُفْلِحِينَ وَالْبِسْنَا خِلَعَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ، وَخَصَّنَا
 مِنْكَ بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ، وَوَفَّقْنَا لِقَوْلِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ وَخَلَصْنَا مِنَ الْبَاطِلِ وَابْتِدَاعِهِ،
 وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّدًا وَلَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدًا وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشًا رَغَدًا وَلَا تُشْمِتْ بِنَا
 عَدُوًّا وَلَا حَاسِدًا، وَارْزُقْنَا عِلْمًا نَافِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا، وَفَهْمًا ذَكِيًّا وَطَبْعًا صَفِيًّا
 وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ، اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 أَجْمَعِينَ.

« فَضْلٌ »

وقال رحمه الله : إَعْلَمْ وَفَقْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ
 أَنَّ كَثْرَةَ ذِكْرِ الْمَوْتِ تَرُدُّعٌ عَنِ الْمَعَاصِي وَتُلَيِّنُ الْقَلْبَ الْقَاسِي، وَتُدْهِبُ الْفَرَحَ
 بِالْدُنْيَا وَزِينَتَهَا وَزَخَارِفَهَا وَلَذَاتَهَا.

وَتَحْتِكُ عَلَى الْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ فِي الطَّاعَاتِ وَإِصْلَاحِ أَحْوَالِكَ وَشُعُونِكَ
 وَالتَّنَسُّخِ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ وَحَقُوقِ خَلْقِهِ، وَتَنْفِيزِ الْوَصَايَا وَأَدَاءِ الْأَمَانَاتِ
 وَالِدِيُونَ.

قال بعضهم : فَضَحَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ هَذَا الْمَوْتُ فَلَمْ يَبْرِكْ فِيهَا لِذِي عَقْلٍ فَرِحًا .
 وقال آخَرُ : مَا رَأَيْتُ عَاقِلًا قَطُّ إِلَّا وَجَدْتُهُ حَذِرًا مِنَ الْمَوْتِ حَزِينًا مِنْ
 أَجْلِهِ .

وقال آخَرُ : مَنْ ذَكَرَ الْمَوْتَ هَانَتْ عَلَيْهِ مَصَائِبُ الدُّنْيَا .
 وقال آخَرُ : مَنْ لَمْ يَخَفْهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ رُبَّمَا تَمَنَّاهُ فِي الْآخِرَةِ فَلَا يُؤْتَاهُ .

وقال آخرُ يُوصِي أَخَاهُ له : يا أخي إْحْدِرِ الموتَ في هذه الدارِ مِنْ قَبْلِ أَنْ
تَصِيرَ إِلَى دارٍ تَتَمَتَّى بِها الموتَ فلا يُوجَد .

وقال آخر : وَأَمَّا ذِكْرُ الموتِ والتَّفَكُّرِ فيه ، فَإِنَّهُ وَإِنْ كانَ أَمْرًا مُقَدَّرًا
مَفْرُوعًا مِنْهُ ، فَإِنَّهُ يَكْسِبُكَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ التَّجَافِي عَنِ دَارِ العُرُورِ ، وَالاسْتِعْدَادِ
وَالإِنَابَةِ إِلَى دَارِ الخُلُودِ ، وَالتَّفَكُّرِ والنَّظَرِ فيما تَقَدَّمُ عَلَيْهِ وَفِيما يَصِيرُ أَمْرًا إِلَيْهِ .

وَيُهَوِّنُ عَلَيْكَ مَصَائِبَ الدُّنْيَا وَيُصَغِّرُ عِنْدَكَ نَوَائِبَهَا ، فَإِنْ كانَ سَبَبُ مَوْتِكَ
سَهْلًا وَأَمْرُهُ قَرِيبًا فَهُوَ ذَاكَ ، وَإِنْ كَانَتْ الأُخْرَى كُنْتَ مَأْجُورًا مَعَ النِّيَّةِ
الصَّالِحَةِ فِيما تُقَاسِمُهُ ، مُثَابًا عَلَى ما تَتَحَمَّلُهُ مِنَ المَشَاقِّ .

واعلم أَنَّ ذِكْرَ الموتِ وَغَيْرِهِ مِنَ الأَذْكارِ إِنما يَكُونُ بِالقَلْبِ وإِقْبَالِكَ عَلَى ما
تَذْكُرُهُ . قالَ اللَّهُ جِلا جِلالِهِ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ : ﴿إِنْ فِي ذلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ
كانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ فَأَيُّ فائِدَةٍ لَكَ رَحِمَكَ اللَّهُ فِي
تَحْرِيقِكَ لِسانِكَ إِذا لَمْ يَحْطُرْ بِقَلْبِكَ .

وَإِنما مَثَلُ الذِّكْرِ الَّذِي يَعْقِبُ التَّنْبِيهَ ، وَيكونُ مَعَهُ النِّفْعُ وَالإِيقاظُ مِنَ العَفْلةِ
وَالنَّوْمِ أَنَّ تُحْضِرَ المَذْكَورَ قَلْبَكَ وَتَجْمَعُ لَهُ ذَهْنَكَ وَتَجْعَلُهُ نَصَبَ عَيْنَيْكَ وَمِثْلاً
حَاضِرًا بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَأَنْ تَنْظُرَ إِلَى كُلِّ ما تَحِبُّهُ مِنَ الدُّنْيَا مِنَ وَلَدٍ أَوْ أَهْلِ أَوْ مالٍ
أَوْ غيرِ ذلِكَ ، فَتَعْلَمَ عِلْمًا لا يَشُوْبُهُ شَكٌّ أَنَّكَ مُفارقُهُ فِي الحِياةِ أَوْ فِي المَماتِ ،
وهذه سُنَّةُ اللَّهِ الجارِيَةُ فِي خَلْقِهِ وَحُكْمِهِ المُطَرَّدُ .

وَتُشْعِرُ هذا قَلْبَكَ وَتُفَرِّغُ لَهُ نَفْسَكَ فَتَمْنَعُها بِذلِكَ عَنِ المِيلِ إِلَى ذلِكَ
الحُجُوبِ وَالتَّعَلُّقِ بِهِ وَالهَلْكَةِ بِسَبَبِهِ .

شِعْرًا : فَعَقَبَى كُلَّ شَيْءٍ نَحْنُ فِيهِ مِنْ الجَمْعِ الكَثِيفِ إِلَى شَتَاتِ
وَمَا حُزْنًا مِنْ جِلٍّ وَحُرْمٍ يُوزَعُ فِي البَيْنِ فِي البَناتِ
وَفِي مَنْ لَمْ نُؤْهِلْهُمُ بِفَلْسِ وَقِيَمَةِ حَبَّةٍ قَبْلَ المَماتِ

وَتَسَانَا الْأَجْبَةُ بَعْدَ عَشْرِ وَقَدْ صِرْنَا عِظَامًا بِأَيَاتِ
كَأْنَا لَمْ نُعَاشِرْهُمْ بُودٌ وَلَمْ يَكْ فِيهِمْ حِلٌّ مُوَاتِ
وَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ مِمَّا يُعِينُكَ عَلَى الْفِكْرَةِ فِي الْمَوْتِ وَيُفْرِّغُكَ لَهُ وَيُكْثِرُ
اشْتِعَالَ فِكْرِكَ بِهِ تَذَكُّرُ مَنْ مَضَى مِنْ إِخْوَانِكَ وَخِلَانِكَ وَأَصْحَابِكَ وَأَقْرَانِكَ
وَزَمَلَانِكَ وَأَسَاتِدَتِكَ وَمَشَايِخَتِكَ الَّذِينَ مَضَوْا قَبْلَكَ وَتَقَدَّمُوا أَمَامَكَ .

كَانُوا يَحْرِصُونَ حِرْصَكَ وَيَسْعَوْنَ سَعْيِكَ ، وَيَأْمَلُونَ أَمْلَكَ ، وَيَعْمَلُونَ فِي
هَذِهِ الدُّنْيَا عَمَلَكَ وَقَصَصَتِ الْمُنُونُ أَعْنَاقَهُمْ وَقَصَصَتِ ظُهُورَهُمْ وَأَصْلَابَهُمْ ،
وَفَجَعَتِ فِيهِمْ أَهْلِيهِمْ وَأَحِبَّاءَهُمْ وَأَقْرِبَاءَهُمْ وَجِيرَانَهُمْ فَأَصْبَحُوا آيَةً لِلْمُتَوَسِّمِينَ
وَعِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ .

وَيَتَذَكَّرُ أَيْضًا مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْإِعْتِنَاءِ بِالْمَلَابِسِ وَنُظَافَتِهَا وَنَضْرَةِ
بَشَرَتِهِمْ ، وَمَا كَانُوا يَسْحَبُونَهُ مِنْ أَرْدِيَةِ الشَّبَابِ وَأَنَّهُمْ كَانُوا فِي نَعِيمٍ يَتَقَلَّبُونَ ،
وَعَلَى الْأَسْرَةِ يَتَكَيَّفُونَ ، وَبِمَا شَاؤُوا مِنْ مَحَابِبِهِمْ يَتَنَعَّمُونَ .

وَفِي أَمَانِيهِمْ يَقُومُونَ وَيَقْعُدُونَ ، لَا يُفَكِّرُونَ بِالزَّوَالِ ، وَلَا يَهْتُمُونَ بِالنَّقَالِ ،
وَلَا يَحْطُرُّ الْمَوْتُ لَهُمْ عَلَى بَالٍ ، قَدْ خَدَعَتْهُمْ الدُّنْيَا بِزَخَارِفِهَا ، وَخَلَبَتْهُمْ
وَخَدَعَتْهُمْ بِرَوْتِقِهَا ، وَخَدَّتْهُمْ بِأَحَادِيثِهَا الْكَاذِبَةِ ، وَوَعَدَتْهُمْ بِمَوَاعِيدِهَا الْمُخْلِفَةِ
الْعَرَارَةِ .

فَلَمْ تَزَلْ تُقَرِّبُ لَهُمْ بَعِيدَهَا ، وَتَرْفَعُ لَهُمْ مَشِيدَهَا ، وَتُلْبِسُهُمْ غَضَّهَا
وَجَدِيدَهَا ، حَتَّى إِذَا تَمَكَّنَتْ مِنْهُمْ عِلَاقَتُهَا ، وَتَحَكَّمَتْ فِيهِمْ رَوَاشِقُهَا ،
وَتَكَشَّفَتْ لَهُمْ حَقَائِقُهَا ، وَرَمَقَتْهُمْ مِنَ الْمَنِيَّةِ رَوَاقِهَا .

فَوَثَبَتْ عَلَيْهِمْ وَثْبَةَ الْحَنَقِ وَأَغَصَّتْهُمْ غُصَّةَ الشَّرِقِ ، وَقَتَلَتْهُمْ قَتْلَةَ الْمُحْتَنِقِ ،
فَكَمَّ عَلَيْهِمْ مِنْ عُيُونِ بَاكِيَّةٍ ، وَدُمُوعِ جَارِيَّةٍ ، وَخُدُودِ دَامِيَّةٍ ، وَقُلُوبِ مِنَ الْفَرَحِ
وَالسَّرُورِ لِفَقْدِهِمْ نَحَالِيَّةٍ ، وَأَنْشَدُوا فِي هَذَا الْمَعْنَى :

وَرِيَّانَ مِنْ مَاءِ الشَّبَابِ إِذَا مَشَى
تَعَلَّقَ مِنْ دُنْيَاهُ إِذْ عَرَضَتْ لَهُ
فَأَصْبَحَ مِنْهَا فِي حَصِيدٍ وَقَائِمٍ
خَلَا بِالْأَمَانِيِّ وَاسْتَطَابَ حَدِيثُهَا
وَأَذَنْتَ لَهُ الْأَشْيَاءَ وَهِيَ بَعِيدَةٌ
أَتَيْحَتْ لَهُ مِنْ جَانِبِ الْمَوْتِ رَمِيَةٌ
وَصَارَ هَشِيمًا بَعْدَمَا كَانَ يَانِعًا
كَأَنَّ لَمْ يَنْلُ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ لَذَّةً
تَبَارَكَ مَنْ يُجَرِّي عَلَى الْخَلْقِ حُكْمَهُ

يَمِيدُ عَلَى حُكْمِ الصَّبَا وَيَمِيدُ
خَلُوبًا لِلْأَبَابِ الرِّجَالِ تَصِيدُ
وَالْمَرْءُ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدُ
فَيَنْقُصُ مِنْ أَطْمَاعِهِ وَيَزِيدُ
وَتَفْعَلُ تُذْنِي الشَّيْءَ وَهُوَ بَعِيدُ
فَرَّاحَ بِهَا الْمَعْرُورُ وَهُوَ حَصِيدُ
وَعَادَ حَدِيثًا يَنْقُضِي وَيَبِيدُ
وَلَا طَلَعَتْ فِيهِ عَلَيْهِ سَعُودُ
فَلَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ عَنْهُ مَحِيدُ

«فَصَلِّ»: وَيُرَوَّى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا مَاتَ قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ لَهُ كَيْفَ وَجَدْتَ الْمَوْتَ قَالَ كَسَفُودٍ جُعَلَ فِي النَّارِ ثُمَّ أُدْخِلَ فِي صُوفٍ رَطْبٍ ثُمَّ جُدِبَ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَمَا إِنَّا لَقَدْ هَوَّنَاهُ عَلَيْكَ يَا إِبْرَاهِيمَ .

وَيُرَوَّى عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ لَمَّا صَارَتْ رُوحُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى قَالَ لَهُ يَا مُوسَى كَيْفَ وَجَدْتَ الْمَوْتَ فَقَالَ: وَجَدْتُ نَفْسِي كَالْعُصْفُورِ حِينَ يُلْقَى فِي الْمَقْلَى لَا يَمُوتُ فَيَسْتَرِيحُ وَلَا يَنْجُو فَيَطِيرُ .

وَيُرَوَّى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ وَجَدْتُ نَفْسِي كَشَاةٍ حَيَّةٍ بِيَدِ الْقَصَابِ تُسَلَّخُ .

وَيُرَوَّى أَنَّ عُمَرَ قَالَ لِكَعْبِ الْأَحْبَارِ حَدِيثَنَا عَنِ الْمَوْتِ فَقَالَ نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَعُصْنِ كَثِيرِ الشُّوكِ أُدْخِلَ فِي جَوْفِ رَجُلٍ فَأَخَذَتْ كُلُّ شَوْكَةٍ بِعِرْقٍ ثُمَّ جَذَبَهُ رَجُلٌ شَدِيدُ الْجَذْبِ فَأَخَذَ مَا أَخَذَ وَأَبْقَى مَا أَبْقَى .

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ لِتَشْدِيدِ الْمَوْتِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ فَائِدَتَانِ أَحَدُهُمَا تَكْمِيلُ فَضَائِلِهِمْ وَرَفْعُ دَرَجَاتِهِمْ وَلَيْسَ ذَلِكَ نِقْصًا وَلَا عَذَابًا بَلْ هُوَ كَمَا جَاءَ أَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ .

والثانية تُعْرِفُ الخَلْقَ مِقْدَارَ أَلَمِ الموتِ وَأَنَّهُ بَاطِنٌ وَقَدْ يَطَّلِعُ الْإِنْسَانُ عَلَى
بَعْضِ المَوْتَى فلا يَرى عَلَيْهِ حَرَكَةً ولا قَلْقاً وَيَرى سُهولةَ خُرُوجِ رُوحِهِ فيظن
سُهولةَ أَمْرِ الموتِ ولا يَعْرِفُ مَا المِيتُ فِيهِ .

فَلَمَّا ذَكَرَ الْأَنْبِيَاءُ الصَّادِقُونَ فِي خَبَرِهِمْ شِدَّةَ أَلَمِهِ مَعَ كَرَامَتِهِمْ عَلَى اللَّهِ
تَعَالَى قَطَعَ الخَلْقَ بِشِدَّةِ المَوْتِ الَّذِي يُقَاسِيهِ مُطْلَقاً لِإِخْبَارِ الصَّادِقِينَ عَنْهُ مَا خَلَا
الشَّهِيدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ انْتَهَى .

أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « الشَّهِيدُ لَا يَجِدُ أَلَمَ
الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ أَلَمَ مَسِّ القَرَصَةِ » .

أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي المَرَضِ وَالكَفَارَاتِ وَابْنُ مَيْنَعٍ فِي مَسْنَدِهِ مِنْ
حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعاً « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَمْرِ حَقٍّ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ فِي أَوَّلِ
مَضْجَعِهِ مِنْ مَرَضِهِ نَجَّاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ » ، قُلْتُ بَلَى : قَالَ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يُحْيِي
وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ العِبَادِ وَالبَلَادِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيراً
طَيِّباً مُبَارَكاً فِيهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَاللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيراً كَبِيراً وَجَلالُهُ وَقُدْرَتُهُ بِكُلِّ
مَكَانٍ . اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَمْرَضْتَنِي لِتَقْبُضَ رُوحِي فِي مَرَضِي هَذَا فَاجْعَلْ رُوحِي
فِي أَرْوَاحِ مَنْ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْكَ الحُسْنَى وَأَعِزَّنِي مِنَ النَّارِ كَمَا أَعَدْتَ أَوْلِيكَ
الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْكَ الحُسْنَى » .

فَإِنْ مُتَّ فِي مَرَضِكَ ذَلِكَ فَإِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ وَالجَنَّةِ ، وَإِنْ كُنْتَ قَدْ اقْتَرَفْتَ
ذُنُوباً تَابَ اللَّهُ عَلَيْكَ .

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدِ الخُدْرِيِّ مَرْفُوعاً « مَنْ قَالَ عِنْدَ
مَوْتِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ العَلِيِّ العَظِيمِ لَا تَطْعَمُهُ
النَّارُ » .

وَأَخْرَجَ الحَاكِمُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « هَلْ أَذْلكُمْ

على اسم الله الأعظم دُعَا يُونُس ﴿ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ، فَأَيُّمَا مُسْلِمٍ دَعَا بِهَا فِي مَرَضٍ مَوْتَهُ أَرْبَعِينَ مَرَّةً فَمَاتَ فِي مَرَضِهِ ذَلِكَ أُعْطِيَ أَجْرَ شَهِيدٍ وَإِنْ بَرِيَءَ بَرِيَءَ مَغْفُوراً لَهُ .

شِعْرًا :

بِمَا قَدَمْتَ أَيْدِي الْوَرَى سَتُعَذَّبُ فَنَاجِ بِحَدَشِ وَالكَثِيرُ يُكَبِّبُ
أَمَّا يَسْتَحِي مَنْ كَانَ يَلْهُو وَيَلْعَبُ (ذُنُوبُكَ يَا مَعْرُورُ تُحْصَى وَتُحْسَبُ)
(وَتُجْمَعُ فِي لَوْحٍ حَفِيظٍ وَتُكْتَبُ)

وَأَنْتَ بِمَا لَا يُرْتَضَى كُلُّ لَيْلَةٍ أَمَّا تَتَّقِي مَوْلَاكَ فِي كُلِّ فِعْلَةٍ
تَبِيْتُ بِلَدَاتٍ وَتَلْعَابِ طِفْلَةٍ (وَقَلْبِكَ فِي سَهْوٍ وَلَهْوٍ وَغَفْلَةٍ)
(وَأَنْتَ عَلَى الدُّنْيَا حَرِيصٌ مُعَذَّبٌ)

فَلَوْ تَسْتَطِيعُ أَحَدُ التَّقِي وَرَحْلِهِ أَحَدَتْ وَلَوْ فِي بَيْتِهِ وَمَحْلِهِ
وَأَنْتَ عَلَى كَنْزِ الْقَلِيلِ وَجِلِّهِ (تُبَاهِي بِجَمْعِ الْمَالِ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ)
(وَتَسْعَى حَثِيثًا فِي الْمَعَاصِي وَتُدْبُ)

وَتُعْرِضُ عَنِ فِعْلِ الْمَرَاضِي وَتُرْتَضِي فِعَالًا تُنَافِي فِعْلَةَ الدِّينِ الرَّضِي
أَمَّا تَرْغَوِي يَا مَنْ عَلَى لَهْوِهِ رَضِي (أَمَّا الْعُمْرُ يَفْنَى وَالشَّيْبَةُ تَقْضِي)
(أَمَّا الْعُمْرُ آتٍ وَالْمَنِيَّةُ تُطَلَبُ)

فَلَا تَعْتَرِرُ وَاحِدَرُ فَدُنْيَاكَ يَا الْعَدِي إِذَا اضْحَكْتِكَ الْيَوْمَ أَبْكْتِكَ فِي الْعَدِي
أَتْلُهُو بِدَارٍ لَا تَدُومُ لِمَرْغَدِي (أَمَّا تَذْكُرُ الْقَبْرَ الْوَجِيشَ وَلَحْدَهُ)
(بِهِ الْجِسْمُ مِنْ بَعْدِ الْعِمَارَةِ يَحْرَبُ)

وَتَقْتَبِلُ الدِّيدَانَ لَا شَكَّ حَوْلَهُ وَمَا أَحَدٌ يَنْعِي وَلَا يَجِ عَوْلَهُ
أَمَّا أَنْ تَحْشَى الْعَزِيزَ وَطَوْلَهُ (أَمَّا تَذْكُرُ الْيَوْمَ الطَّوِيلَ وَهَوْلَهُ)
(وَمِيْرَانَ قَسِطٍ لِلْوَفَاءِ سِيْنُصَبُ)

فَتَوَزَنُ أَعْمَالُ فَتُحْزَى رِجَالُهُ وَكُلُّ يُجَازِي مَا جَنَّتُهُ فِعَالُهُ
وَوَيْلٌ لِمَنْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ مَجَالُهُ (أَمَّا جَاءَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ)

(إِذَا هَتَكَ الْعَبْدُ الْمَحَارِمَ يَغْضَبُ)
 فَيَهْتِكُ سِتْرَ الظَّالِمِينَ بِغَيْرَةِ وَكُلُّهُمْ أَوْ عَضَّ الْأَكْفَ بِحَسْرَةٍ
 وَلَاتَ مَنَاصِي حِينَ جَادُوا بِعَبْرَةٍ (أَمَّا الْوَاحِدُ الدِّيَانُ جَلَّ بِقُدْرَةٍ)
 (يُنَاقِشُ عَنْ كُلِّ الذُّنُوبِ وَيَحْسِبُ)
 فَيَنْصِفُ لِلْمَظْلُومِ مِمَّنْ لَهُ افْتَرَى وَيَقْصِمُهُ قَصْماً فَيَنْقَى مُقْحَطِراً
 أَمَا زَاجِرٌ يَرُجِرُكَ يَا مَنْ تَبَخَّرَى (أَمَّا تَذَكُّرُ الْمِيزَانَ وَيَحْكُ مَا تَرَى)
 (إِذَا كُنْتَ فِي قَعْرِ الْجَحِيمِ مُكَبَّكُ)
 أَمَا تَمْشِينَ بَيْنَ الْوَرَى مُتَوَاضِعاً أَمَا تَتَّقِي رَبّاً أَلَاتُكَ خَاضِعاً
 أَحَاطَكَ ظَهراً ثُمَّ بَطْناً وَرَاضِعاً (كَأَنَّكَ مَا تَلْقَى عَلَى الْأَرْضِ مَوْضِعاً)
 (وَمِنْ بَعْدُ تَلْهُو بِالشَّبَابِ وَتَلْعَبُ)
 رَأَيْتَ وَلَمْ تَشْعُرْ نَذِيراً وَنَاهِياً وَكُنْتَ بِدُنْيَاكَ الدُّنْيَا سَاهِياً
 سَهَرْتَ وَآثَرْتَ الْغِنَى وَمَلَاهِياً (تُرْوَحُ وَتَعْدُو فِي مُرَاحِكَ لَاهِياً)
 (وَسَوْفَ بِأَشْرَاكِ الْمَنِيَةِ تُنْشَبُ)
 أَنْحَسَبُ أَنَّ اللَّهَ أَنْشَى الْوَرَى سُدَى سَيَاتِيكَ مَا مِنْهُ تَكُونُ مُكْسَداً
 وَتُنزَعُ رَوْحُ تَبْقَى مُجَسَّداً (وَتَبْقَى صَرِيحاً فِي التُّرَابِ مُوسَّداً)
 (وَجِسْمُكَ مِنْ حَرٍّ بِهِ يَتَلَهَّبُ)
 وَمَالِكَ عَنِ الدَّفْعِ الْأَذِيَّةِ صَوْلَةً وَمَالِكَ مُذْ جَاءَ الْمُقَدَّرُ حِيلَةً
 تُنُوحُ وَتَبْكِي بِالْدُمُوعِ أَهْيَلَةً (وَحَوْلَكَ أَطْفَالٌ صِفَارٌ وَعَوْلَةٌ)
 (بِهِمْ بَعْدَ مَعْدَاكَ الْبُنُونُ تُشَعَّبُ)
 أَيَادِي سَبَا خَلْفاً وَيَمْنَى وَيَسْرَةً وَكُنْتَ رَهيناً لِلْمَنَايَا وَقَسْرَةً
 وَجَاءَكَ مَا أَوْدَى الْبَهَا وَمَسْرَةً (وَقَدْ ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ بِالْدمْعِ حَسْرَةً)
 (وَخَلَفْتَ لِللُّوَارِثِ مَا كُنْتَ تَكْسِبُ)
 وَتَسْعَى لَهُ مِنْ تَالِدٍ وَمُحَصِّلٍ وَتَسْهَرُ لَوْ فِي سِدِّ يَأْجُوجِ تُوصِلُ
 وَبِتَّ وَلَمْ تَسْمَعْ وَصَاةً لِمُوصِلٍ (تُعَالِجُ نَزْعَ الرُّوجِ مِنْ كُلِّ مَفْصِلِ)

(فلا رَاحِمٌ يُنَجِّي ولا ثَمَّ مَهْرَبٌ)
 وضَاقَتْ عَلَیْكَ الرُّوحُ بَعْدَ مُرُوجِهَا وَأُنزِلَتْ عِنْدَ البابِ بَعْدَ بُرُوجِهَا
 وَقُرَّبَتِ الأَكْفَانُ بَعْدَ عُرُوجِهَا (وَعُمِّضَتِ العَیْنَانُ بَعْدَ خُرُوجِهَا)
 (وَبُسِّطَتِ الرِّجْلانُ والرَّاسُ يُعْصَبُ)
 وَقامَ سِراعُ الناسِ لِلنَّعِشِ يُحْضِرُوا وَحَفَّارُ قَبْرِ في المَقابِرِ يَحْفُرُ
 وَجَدَّ الَّذي في حَوْلِ نَادِيكَ حُضِرَ (وَقامُوا سِراعاً في جَهَّازِكَ أَحْضَرُوا)
 (حَنُوطاً وَأَكْفاناً ولِلْماءِ قَرَبُوا)
 وَصَبُّوا عَلَیْكَ المَءَ وَأَنَّ سُمُوعَهُ وَحَنَّ قَرِيبٌ بالبِكا ورُبُوعُهُ
 وَكُلُّ شَقِيقٍ جَاءَ جَدَّ زُمُوعَهُ (وَعَاسِكَ المَحْزُونُ تَبْكِي دُمُوعَهُ)
 (بِدمعِ عَزِيزٍ وَأكِيفٍ يَتَصَبَّبُ)
 كَصِيبِ مُزِنٍ وَذُقَهُ مُتَفَرِّقٌ حَزِينٍ وَمِنَ ما دَمَعِهِ مُتَفَرِّقٌ
 وَكُلُّ رَجِيمٍ قَلْبُهُ مَتَحَرِّقٌ (وَكُلُّ حَبِيبٍ لُبُّهُ مُتَحَرِّقٌ)
 (يُحَرِّكُ كَفَّيْهِ عَلَیْكَ وَيَنْدُبُ)
 وَجاءُوا بِأَثوابٍ وَطِيبٍ بِطِيبِها (وَقدْ نَشَرُوا الأَكْفانَ مِن بَعْدِ طِيبِها)
 (وَقدْ بَحَرُوا مَنشُورَهُنَّ وَطِيبُوا)
 وَخاطُوا الَّذي يَحْتاجُ وَأَخْرَجُوا طَرأيدَ لِلتَّحْزِيمِ مِنْها وَأَذْرَجُوا
 جَمِيعاً بِتَجْهَازِ وَجِسْمِكَ أَذْرَجُوا (والقَوَكُ فِيها بَيْنَهُنَّ وَأَذْرَجُوا)
 (عَلَيْكَ مَتانِي طِيبُهُنَّ وَعَصَبُوا)
 وَشالُواكَ مِن بَينِ الأَخِلا مُجَرِّداً وَمالِكَ خَلْفاً قَدْ تَرَكَتْ وَخُرِّداً
 وَصَلُّوا وَقُوفاً ثُمَّ رَقَوَكَ وَرُداً (وفي حُفْرَةِ القَوَكِ حَيْرانَ مُفَرِّداً)
 (تَضُمَّكَ بَيداءَ مِنَ الأَرْضِ سَبَّسَبُ)
 بَعِيدٌ عَلَيَّ قُرْبِ المَدَى يَعلَمونَهُ وَسائِلُكَ المُجْهادُ لا يَسمَعونَهُ
 وَقَبْرَكَ قامُوا بَعْدَ ذَا يَسمُونَهُ (ورَاحُوا لِمَا خَلَّفَتْ يَقْتَسِمونَهُ)
 (كَأَنَّكَ لَمْ تَشقَى عَلَيهِ وَتَشَعَبُ)

وَتَسْهَرُ حَتَّى كَادَ ظَهْرُكَ يَنْهَصِرُ (وَجِسْمُكَ مَهْزُولٌ بِسَعِيكَ مُنْعَصِرٌ)
وَحَلَفْتَهُ طَرَأَ وَمَالِكَ مُنْتَصِرٌ (فِيَا أَيُّهَا الْمَعْرُورُ حَسْبُكَ فَاقْتَصِرْ)

(وَحَفٍ مِنْ جَحِيمٍ حَرْهَا يَتَلَهَّبُ)

وَلَا تَمْشِ مِنْ بَيْنِ الْبَرِيَّةِ مُسْبِلًا وَكُنْ صَالِحًا بَرًّا تَقِيًّا مُحْسِبًا
وَتُبُّ عَنِ ذُنُوبٍ لَا تَكُنْ مُتَكَرِّبًا (وَجَانِبِ لِمَا يُزْدِيكَ فِي حُفْرَةِ الْبِلَاءِ)

(فَكُلُّ يُجَازِي بِالذِّي كَانَ يَكْسِبُ)

مَا كَلَّ مَا نَحْتَاجُ مِنْهَا لِقَوْتِنَا شَيْئُهُ حَرَامٍ وَالسَّمِيعُ لِصَوْتِنَا
يُجَازِي بَعْدِلٍ لَا مَفَرَّ لِقَوْتِنَا (إِذَا كَانَ هَذَا حَالَنَا بَعْدَ مَوْتِنَا)

(فَكَيْفَ يَطِيبُ الْيَوْمَ أَكَلٌ وَمَشْرَبٌ)

وَقَدْ آمَنَّا قَبْرٌ بِهِ الْمَرْءُ أَلْكَنُ وَلَوْ أَنَّهُ سَخْبَانٌ مَائِمٌ أَلْسُنُ
وَكَيفَ رَبَّتْ مِنَّا لُحُومٌ وَأَعْكُنُ (وَكَيفَ يَطِيبُ الْعَيْشُ وَالْقَبْرُ مَسْكُنُ)

(بِهِ ظُلُمَاتٌ غَيْهَبٌ ثُمَّ غَيْهَبٌ)

وَحَوْفٌ بِهِ حُزْنٌ طَوِيلٌ وَرَعِشَةٌ وَلَيْتَكَ تَسْلَمُ لَا يُصِيبُكَ نَهْشَةٌ
وَمُنْكَرٌ إِذْ يَسْأَلُ يَهْلِكُ وَدَهْشَةٌ (وَهَوْلٌ وَدِيدَانٌ وَرَوْعٌ وَوَحْشَةٌ)

(وَكَكُلٌ جَدِيدٌ سَوْفَ يَنْلَى وَيَذْهَبُ)

وَمِنْ بَعْدِ ذَا يَوْمٍ وَإِنْ حِسَابُهُ أَلَيْمٌ مَهْوُولٌ مُفْرِغٌ وَعِقَابُهُ
عَظِيمٌ لِعَاصِي مَا أَشَدَّ عَذَابُهُ (فَيَأْتِي نَفْسُ خَافِي اللَّهِ وَارْجِي ثَوَابَهُ)

(فَهَادِمٌ لَذَاتِ الْفَتَى سَوْفَ يَقْرُبُ)

فَيَأْخُذُ أَطْفَالَاً وَيَأْخُذُ رِمَةً وَيَأْخُذُ شَبَابًا وَيَهْدِمُ نِعْمَةً
فَحَلِي بُنْيَاتِ الطَّرِيقِ وَعَسْمَةً (وَقُولِي إِلَهِي أَوْلِيي مِنْكَ رَحْمَةً)

(وَعَفْوًا فَإِنَّ اللَّهَ لِلذَّنْبِ يُذْهِبُ)

وَأُخَذَ بِيَدِي نَحْوَ الطَّرِيقِ الْمُحَمَّدِي وَكُنْ بِي رَحِيمًا وَاسْتَقِمْ بِي عَلَى الْهُدَى
وَلَا تُحْزِنِي فِي الْحَشْرِ وَاطْلُقْ مُقَيْدِي (وَلَا تُحْرِقَنْ جِسْمِي بِبَارِكِ سَيِّدِي)

(فَجِسْمِي ضَعِيفٌ وَالرَّجَا مِنْكَ أَقْرَبُ)

وَجُودُكَ مَنَانِي وَلَوْ كُنْتُ أَحْقَرَا وَعَفْوُكَ رَجَا مِنْ هَفَا وَتَفَحُّطَرَا
وَإِنِّي وَأَنْ كُنْتُ الْبَعِيدُ وَمِنْ وَرَى (فَمَا لِي إِلَّا أَنْتَ يَا خَالِقَ الْوَرَى)
(عَلَيْكَ الْكَالِي أَنْتَ لِلْخَلْقِ مَهْرَبُ)

وَأَنْتَ مَلَاذُ لِلْوَرَى فِي رُجُوعِهَا مُجِيبٌ لِمَنْ يَدْعُو بِهَا مِنِّي دُمُوعِهَا
فَتَرْجُوكَ تَسْمَعُ مِنْ صَمِيمِ سَمِيعِهَا (وَنَدْعُوا بِغُفْرَانِ الذُّنُوبِ جَمِيعِهَا)
(وَخَاتِمَةَ الْعُمُرِ الَّتِي هِيَ أَطْلُبُ)

وَأَسْأَلُ طُولَ الدَّهْرِ مَا نَاءَ طَارِقُ (وَصَلِّ إِلَهِي كُلَّ مَا نَاضَ بَارِقُ)
(وَمَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَمَا لَاحَ كَوْكَبُ)

وَمَا حَنَّ رَعْدٌ فِي دِيَاغِي لَيْلِهِ وَمَا انْهَلَّ سَارٍ مُعْدِقٍ مِنْ خِلَالِهِ
وَمَا أُمَّ بَيْتَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ وَآلِهِ (عَلَى أَحْمَدِ الطَّهْرِ النَّذِيرِ وَآلِهِ)
(فَهُوَ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ طَرَا وَأَطِيبُ)

وَأَكْمَلُ مَنْ حَلَّ الصَّفَا وَالْمُحَصَّبَا وَأَخْلَاهُمَا خَلْقًا وَخُلُقًا وَمَنْصِبَا
وَأَصْحَابِهِ مَا اخْضَرَ عُودًا وَأَخْصَبَا (كَذَلِكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا)
(وَهَبَّتْ شَمَالَ مَعَ جَنُوبٍ وَهَيْدَبُ)

آخر :

إِلَى كَمْ تَمَايَ فِي غُرُورٍ وَغَفْلَةٍ وَكَمْ هَكَذَا نَوْمٌ إِلَى غَيْرِ يَقْظَةٍ
لَقَدْ شَاعَ عُمُرٌ سَاعَةً مِنْهُ تُشْتَرَى بِمِلْءِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ آيَةً ضَيْعَةٍ
أَيُنْفَقُ هَذَا فِي هَوَى هَذِهِ الَّتِي أَرْضَى مِنَ الْعَيْشِ الرَّغِيدِ وَعَيْشَةِ
مَعَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى بِعَيْشِ الْبَهِيمَةِ وَجَوْهَرَةٍ يَبْعَثُ بِأَبْحَسِ فِيمَةِ
فِيَادِرَةٍ بَيْنَ الْمَزَابِلِ الْقَيْتِ وَسُحْطًا بِرِضْوَانٍ وَنَارًا بِجَنَةِ
أَفْقِي بِبَاقٍ تُشْتَرِيهِ سَفَاهَةً فَإِنَّكَ تَرْمِيهَا بِكُلِّ مُصِيبَةٍ
أَأْتَتْ صَدِيقِي أَمْ عَدُوِّ لِنَفْسِهِ فَعَلْتَ لِمَسْتَتْمِهِمْ لَهَا بَعْضُ رَحْمَةٍ
وَلَوْ فَعَلَ الْأَعْدَا بِنَفْسِكَ بَعْضَ مَا

لَقَدْ بَعَثَهَا هَوْنًا عَلَيْكَ رَحِيصَةً
أَلَا فَاسْتَفِقِي لَا تَفْضَحْنَهَا بِمَشْهَدِ
فَيْبِنَ يَدَيْهَا مَشْهَدٌ وَفَضِيحَةٌ
فَتِنَتْ بِهَا دُنْيَا كَثِيرٍ غُرُورُهَا
إِذَا أَقْبَلَتْ بَدَّتْ وَإِنْ هِيَ أَحْسَنَتْ
وَإِنْ نِلَتْ مِنْهَا مَالٌ قَارُونَ لَمْ تَنْلِ
وَهَيْهَاتَ تُحْظَى بِالْأَمَانِي وَلَمْ تَكُنْ
فَدَعُهَا وَأَهْلِيهَا لِتَغْبِطَهُمْ وَحُدَّ
وَلَا تَغْتَبِطُ مِنْهَا بِفَرَحَةٍ سَاعَةٍ
فَعَيْشُكَ فِيهَا أَلْفَ عَامٍ وَتَنْقِضِي

قال بعضهم يُوبُخُ نَفْسَهُ تَوْبِعُطُهَا: يَأْنَسُ بِإِدْرِي بِالْأَوْقَاتِ قَبْلَ
إِنْصِرَامِهَا، وَاجْتَهِدِي فِي حِرَاسَةِ لَيْالِي الْحَيَاةِ وَأَيَامِهَا، فَكَأَنَّكَ بِالْقُبُورِ قَدْ
تَشَقَّقْتَ، وَبِالْأُمُورِ وَقَدْ تَحَقَّقْتَ، وَبِوُجُوهِ الْمُتَّقِينَ وَقَدْ أُشْرَفْتَ، وَبُرُؤُوسِ
الْعِصَاةِ وَقَدْ أَطْرَقَتْ، قَالَ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا
رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾،
يَأْنَسُ أَمَّا الْوَرِعُونَ فَقَدْ جَدُّوا، وَأَمَّا الْخَائِفُونَ فَقَدْ اسْتَعَدُّوا، وَأَمَّا الصَّالِحُونَ
فَقَدْ فَرَحُوا وَرَاحُوا وَأَمَّا الْوَاعِظُونَ فَقَدْ نَصَحُوا.

اللَّهُمَّ قَوِّ إِيْمَانَنَا بِكَ وَنَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيْمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ،
اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ وَالْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَمَّنَّا مِنْ
سَطْوَتِكَ وَمَكْرِكَ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«فَصَلِّ»

عن أنس رضي الله عنه قال: دعا رجل فقال: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والاکرام يا حي يا قيوم.

فقال النبي ﷺ: «أتدرون بما دعا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب وإذا سئل به أعطى»، أخرجه أصحاب السنن.

عن سعيد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوة ذي النون إذ دَعَى وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سُبْحَانَكَ إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب له»، رواه الترمذي والنسائي والحاكم وقال صحيح الإسناد.

وعن معاوية بن أبي سفيان قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ دَعَا بهؤلاء الكلمات الخمس لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه (لا إله إلا الله، والله أكبر، لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا با)» رواه الطبراني بإسناد حسن.

وعن معاذ بن جبل قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً وهو يقول: (يا ذا الجلال والاکرام) فقال: «قد استُجِيبَ لَكَ فَسَلِّ» رواه الترمذي.

اللهم اجعلنا مُكْتَبِينَ لِذِكْرِكَ مُؤَدِّينَ لِحَقِّكَ حَافِظِينَ لِأَمْرِكَ رَاجِينَ لِرِغْمِكَ رَاضِينَ فِي جَمِيعِ حَالَاتِنَا عَنكَ، رَاجِبِينَ فِي كُلِّ أَمْرِنَا إِلَيْكَ مُؤْمَلِينَ لِفَضْلِكَ شَاكِرِينَ لِإِعْمِكَ.

يَا مَنْ يَجِبُ الْعَفْوُ وَالْإِحْسَانُ، وَبِأَمْرٍ بِهِمَا أَعْفُ عْنَا، وَأَحْسِنْ إِلَيْنَا، فَإِنَّكَ بِالَّذِي أَنْتَ لَهُ أَهْلٌ مِنْ عَفْوِكَ أَحَقُّ مِنَّا بِالَّذِي نَحْنُ لَهُ أَهْلٌ مِنْ عُقُوبَتِكَ.

اللهم ثَبِّتْ رَجَاءَكَ فِي قُلُوبِنَا، واقطعه عَمَّنْ سِوَاكَ، حتى لا تُرْجُوا غَيْرَكَ
ولا نَسْتَعِينُ إِلَّا بِكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَيَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللهم هب لنا اليقين والعافية، وإخلاص التوكل عليك، والاستغناء عن
خلقك، واجعل خير أعمالنا ما قارب آجالنا.

اللهم أغننا بما وفقتنا له من العلم، وزينا بالحلم وأكرمنا بالتقوى وجَمَلْنَا
بالعافية.

اللهم افتح مَسَامِعَ قُلُوبِنَا لِذِكْرِكَ وارزُقنا طاعتك وطاعة رسولك ووفقنا
للعمل بكتابك وسنة رسولك.

اللهم إنا نسألك الهدى، والتُّقَى والعَافِيَةَ والغِنَى، ونعوذ بك من دَرَكِ
الشَّقَاءِ، ومن جَهْدِ البَلَاءِ ومن سُوءِ القَضَاءِ ومن شَمَاتَةِ الأعداء.

اللهم لك الحمدُ كُلُّهُ، ولك الملكُ كُلُّهُ، وبِيَدِكَ الخَيْرُ كُلُّهُ، وإليك يَرْجِعُ
الأمرُ كُلُّهُ عِلَانِيَتُهُ وَسِرُّهُ، أَهْلُ الحَمْدِ والشَّانِ أَنتَ، لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنَّكَ
على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

اللهم اغفر لنا جميع ما سَلَفَ مِنَّا مِنَ الذُّنُوبِ، وَاغْصَمْنَا فِيمَا بَقِيَ مِن
أَعْمَارِنَا، ووفقنا لِعَمَلِ صَالِحٍ تَرْضَى بِهِ عَنَا.

اللهم ياسامع كل صوت، ويا بارئ النفوس بعد الموت، يا مَنْ لا تشبهُ
عليه الأصوات، يا عظيم الشأن، يا واضح البرهان، يا مَنْ هو كل يوم في شأن،
اغفر لنا ذُنُوبِنَا إِنَّكَ أَنْتَ الغفور الرحيم.

اللهم يا عظيم العفو، يا واسع المغفرة، يا قريب الرحمة، يا ذا الجلال
والاكرام، هب لنا العافية في الدنيا والآخرة.

اللهم يا حيُّ ويا قيُّومُ فَرِّغْنَا لِمَا خَلَقْتَنَا لَهُ، ولا تُشْغِلْنَا بِمَا تَكَلَّمْتَ لَنَا بِهِ،

واجعلنا ممن يُؤمنُ بِلِقَائِكَ، وَيَرْضَى بِقَضَائِكَ، وَيَقْنَعُ بِعَطَائِكَ، وَيَخْشَاكَ حَقَّ
خَشْيَتِكَ .

اللهم اجعل رِزْقَنَا رَغَدًا، ولا تَشِمْتِ بِنَا أَحَدًا .

اللهم رَغْبْنَا فيما بَقِيَ، وزهدنا فيما يَفْنَى، وهب لنا اليقين الذي
لا تسكن النفوس إلا إليه، ولا يُعَوَّلُ في الدين إلا عليه .

اللهم إنا نسألك بعزك الذي لا يرام وملكك الذي لا يضام وبنورك الذي
مأأ أركان عرشك أن تكفيننا شر ما أهمننا وما لا نهتم به وأن تعيدنا من شرور
أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

اللهم يا عليم يا حلیم يا قوی يا عزیز يا ذا المن والعطا والعز والكبرياء يا مَنْ
تَعَوُّوا له الوجوه وتخشع له الأصوات، وفقنا لصالح الأعمال وأكفنا بحلالك عن
حرامك وبفضلك عن سواك إنك على كل شيء قدير .

اللهم إنا نسألك رحمة من عندك تهدي بها قلوبنا، وتَجْمِعُ بها شَمَلَنَا،
وتلُمُ بها شَعَثَنَا، وترفع بها شاهدنا، وتحفظُ بها غائبنا، وتركي بها أعمالنا،
وتلهمنا بها رشدنا، وتعصمنا بها من كل سوء يا أرحم الراحمين .

اللهم ارزقنا من فضلك، وأكفنا شر خلقك، وأحفظ علينا ديننا وصحة
أبداننا .

اللهم يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين، ومُقِيلِ عَثَرَاتِ العاثرين، نسألك
أن تُلْحِقْنَا بعبادك الصالحين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين آمين يا رب العالمين .

اللهم يا عالم الخفيات، ويا رفيع الدرجات، ويا غافر الذنب وقابل التوب
شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا أنت إليك المصير، نسألك أن تديقنا برد
عفوك، وحلاوة رحمتك، يا أرحم الراحمين، وأرأف الرائفين وأكرم الأكرمين .

اللهم اغثنا من رِقِّ الذُّنُوبِ، وَخَلِّصْنَا مِنْ أَشْرِّ النَّفُوسِ، وَأَذْهِبْ عَنَّا
وَخَشَةَ الْإِسَاءَةِ، وَطَهِّرْنَا مِنْ ذَنْسِ الذُّنُوبِ، وَبَاعِدْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْخَطَايَا وَأَجِرْنَا
مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .

اللهم طيِّبْنَا لِلْقَائِلِ، وَأَهْلُنَا لَوْلَائِكَ وَأَدْخِلْنَا مَعَ الْمَرْحُومِينَ مِنْ أَوْلِيَائِكَ،
وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقْنَا بِالصَّالِحِينَ .

اللهم أعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ، وَتِلَاوَةِ كِتَابِكَ، وَاجْعَلْنَا
مِنْ حَزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ، وَأَيِّدْنَا بِجُنْدِكَ الْمَنْصُورِينَ، وَارْزُقْنَا مُرَافَقَةَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ .

اللهم يا فالقَ الحَبِّ وَالتَّوَيِّ، يَا مُنْشِئَ الْأَجْسَادِ بَعْدَ الْبَلَى يَا مُؤَيِّ
الْمُنْقَطِعِينَ إِلَيْهِ، يَا كَافِيَ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ، انْقَطِعَ الرَّجَاءُ إِلَّا مِنْكَ، وَخَابَتِ
الظُّنُونُ إِلَّا فِيكَ، وَضَعُفَ الْأَعْتِمَادُ إِلَّا عَلَيْكَ نَسْأَلُكَ أَنْ تُمَطِّرَ مَحَلَّ قُلُوبِنَا مِنْ
سَحَابِ بَرِّكَ وَاحْسَانِكَ وَأَنْ تَوْفِقَنَا لِمَوْجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعِزَائِمِ مَغْفِرَتِكَ إِنَّكَ
جَوَادٌ كَرِيمٌ رُؤُوفٌ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَلِسَانًا صَادِقًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا، وَنَسْأَلُكَ
بِرَكَةِ الْحَيَاةِ وَخَيْرِ الْحَيَاةِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْحَيَاةِ، وَشَرِّ الْوَفَاةِ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَعَزِّ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ
أَجِبْتَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، وَنَسْأَلُكَ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَكْرَمِ الْوُجُوهِ، يَا مَنْ
عَنَتَ لَهُ الْوُجُوهُ، وَخَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ، وَخَشَعَتْ لَهُ الْأَصْوَاتُ، يَا ذَا الْجَلَالِ
وَالْأَكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، يَا مَالِكَ الْمَلِكِ، يَا مَنْ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَبِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، بِرَحْمَتِكَ نَسْتَعِثُ، وَمِنْ عَذَابِكَ نَسْتَجِيرُ .

اللهم اجعلنا نَحْشَاكَ حَتَّى كَأَنَّا نَرَاكَ، وَاسْعِدْنَا بِتَقْوَاكَ، وَلَا تُشْفِقْنَا
بِمَعْصِيَتِكَ .

اللهم إنك تسمع كلامنا، وترى مكاننا، وتعلم سرنا، وعلايتنا لا يخفى عليك شيء من أمرنا نحن البؤساء الفقراء إليك، المستغيثون المستجبرون الوجلون المشفقون المعترفون بذنوبنا، نسألك مسألة المسكين، ونبتهل إليك إبتهال المذنب الدليل، وندعوك دعاء الخائف الضير.

اللهم يا من خضعت له رقابنا، وفاضت له عباراتنا، وذلت له أجسامنا، ورغمت له أنوفنا لا تجعلنا بدعائك أشقياء، وكن بنا رؤوفاً يا خير المسؤولين. اللهم إنا نسألك نفساً مطمئنة، تؤمن بلفائك وترضى بقضائك، وتغنع بعطائك، يا أرف الرائفين، وأرحم الراحمين.

اللهم إنا نسألك التوفيق لما تحبه من الأعمال، ونسألك صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك يا رب العالمين.

اللهم اجعلنا من عبادك المحبتين، الغر المحجلين الوفاء المتقبلين.

اللهم إنا نسألك حياة طيبة، ونفساً تقيّة، وعيشة تقيّة، وميتة سوية، ومرداً غير مخزي ولا فاضح.

اللهم اجعلنا من أهل الصلاح والنجاح والفلاح، ومن المؤيدين بنصرك وتأيدك ورضاك يا رب العالمين.

«اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتُعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير»، يا ودود يا ذا العرش المجيد يا مبدئ يا معيد يا فعال لما تريد نسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك وبقدرتك التي قدرت بها على جميع خلقك وبرحمتك التي وسعت كل شيء لا إله إلا أنت أن تغفر ذنوبنا وسيئاتنا وأن تبدلها لنا بحسنات إنك جواد كريم رؤوف رحيم.

اللهم افتح لدعائنا باب القبول والإجابة واغفر لنا ولوالدينا وجميع

المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

« فوائد عَظِيمَة النفع »

وَاعْجَبًا مِنْكَ يَضِيْعُ مِنْكَ الشَّيْءُ الْقَلِيْلُ وَتَتَكَدَّرُ ، وَتَتَأَسَّفُ ، وَقَدْ ضَاعَ
أَشْرَفُ الْأَشْيَاءِ عِنْدَكَ وَهُوَ عُمْرُكَ الَّذِي لَا عِوَضَ لَهُ ، وَأَنْتَ عِنْدَ قِتَالَاتِ
الْأَوْقَاتِ ، الْكُوْرَةِ وَالتَّلْفَازِ وَالْمِدْيَاعِ وَنَحْوِهَا مِنْ قُطَاعِ الطَّرِيْقِ عَنِ الْأَعْمَالِ
الصَّالِحَةِ ، وَلَكِنْ سَتَنْدَمُ «يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِي مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ، يَوْمَ يَسْمَعُونَ
الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ» .

وقال آخر: مَنْ تَفَكَّرَ فِي قِصَرِ الْعُمْرِ الْمَعْمُولِ فِيهِ ، وَفَكَّرَ فِي امْتِنَادِ زَمَانِ
الْجَزَاءِ الَّذِي بَعْدَ الْبَعْثِ اخْتَطَفَ اللَّحْظَةَ مِنْ عُمْرِهِ وَانْتَهَبَهَا ، وَعَبَّأَهَا فِي
الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وَرَاحَمَ كُلَّ فَضِيْلَةٍ فَإِنَّمَا إِذَا فَاتَتْ فَلَا تُدْرِكُ أَبَدًا ، وَلِلَّهِ أَقْوَامٌ مَا
رَضُوا مِنْ الْفَضَائِلِ إِلَّا بِتَحْصِيلِهَا كَامِلَةً ، فَهُمْ يُبَالِغُونَ فِي كُلِّ عِلْمٍ ، وَيُنَابِرُونَ
عَلَى كُلِّ فَضِيْلَةٍ ، فَإِذَا ضَعُفَتْ أَبْدَانُهُمْ عَنِ بَعْضِ ذَلِكَ قَامَتِ النِّيَاتُ نَائِبَةً عَنْهَا .

شِعْرًا: الْجُدُّ بِالْجِدِّ وَالْحِرْمَانُ فِي الْكَسَلِ فَانصَبْ تُصِيبَ عَنْ قَرِيبٍ غَايَةَ الْأَمَلِ
ويقول الآخر:

فَكَابِدْ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ النَّفْسُ عُدْوَهَا وَكُنْ فِي اقْتِبَاسِ الْعِلْمِ طَلَّاعٌ أَنْجِدِ
وَلَا يَذْهَبَنَّ الْعُمْرُ مِنْكَ سَهْلًا وَلَا تُعْبَنَنَّ بِالنَّعْمَتَيْنِ بَلْ اجْهِدِ
فَمَنْ هَجَرَ اللَّذَاتِ نَالَ الْمُنَى وَمَنْ أَكَبَّ عَلَى اللَّذَاتِ عَضَّ عَلَى الْيَدِ
آخر: فَشَمَّرْ وَلَدَّ بِاللَّهِ وَاحْفَظْ كِتَابَهُ
هُوَ الذُّخْرُ لِلْمَلْهُوفِ وَالْكَنْزُ وَالرَّجَا
بِهِ يَهْتَدِي مَنْ تَاهَ مَهْمَهُ الْهَوَى
آخر: يَا عَاشِقَ الْعَيْشِ فِي الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا
عَلَيْكَ بِاللَّيْلِ فِي الْأَذْكَارِ تَعْمُرُهُ
لَعْمَسَةٌ فِي جَنَانِ الْخُلْدِ حَاطِفَةٌ
ففيه الهدى حقا وللخير جامع
ومنه بلاشك تئال المنافع
به يتسلى من دهته الفجائع
هل أخلد الناس ما حازوا وما عمروا
ودع أخلدته الأخرى لمن كفرُوا
تُنْسِيكَ مَا مَرَّ مِنْ بُؤْسٍ لَهُ خَطَرٌ

« فَايْدَةُ عَظِيْمَةُ النَّفْعِ »

قَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْكَ يَا أَحْيَى بِمُحَارَبَةِ الشَّيْطَانِ ، وَقَهْرِهِ ، وَذَلِكَ لِخَصْلَتَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ، لَا مَطْمَعَ فِيهِ بِمُصَالِحَةٍ وَاتِّقَاءِ شَرِّهِ أَبَدًا ، لِأَنَّهُ لَا يُرْضِيهِ وَيُقْنِعُهُ إِلَّا هَلَاكُكَ أَصْلًا ، فَلَا وَجْهَ إِذَا لِلْأَمْنِ مِنْ هَذَا الْعَدُوِّ وَالْعَفْلَةِ عَنْهُ ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ ، وَالْخَصْلَةُ الثَّانِيَةُ أَنَّهُ مَجْبُولٌ عَلَى عَدَاوَاتِكَ ، وَمُنْتَصِبٌ لِمُحَارَبَتِكَ ، فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يَرْمِيكَ بِسِهَامِهِ ، وَأَنْتَ غَافِلٌ عَنْهُ ، ثُمَّ هُوَ لَهُ مَعَ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ عَدَاوَةٌ عَامَّةٌ ، وَمَعَ الْمُجْتَهِدِ فِي الْعِبَادَةِ وَالْعِلْمِ عَدَاوَةٌ خَاصَّةٌ ، وَمَعَهُ عَلَيْكَ أَعْوَانُ نَفْسِكَ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ ، وَالْهَوَى ، وَالْذُّنْيَا ، وَهُوَ فَارِعٌ وَأَنْتَ مَشْغُولٌ ، وَهُوَ يَرَاكَ وَأَنْتَ لَا تَرَاهُ ، وَأَنْتَ تَنْسَاهُ وَهُوَ لَا يَنْسَاكَ ، فَإِذَا لَا بَدَّ مِنْ مُحَارَبَتِهِ ، وَقَهْرِهِ ، وَإِلَّا فَلَا تَأْمِنُ الْفَسَادَ وَالْهَلَاكَ وَالذَّمَّارَ ، وَمُحَارَبَتُهُ بِالْإِسْتِعَاذَةِ بِاللَّهِ وَالْإِكْتِسَابِ مِنْ ذِكْرِهِ .

شِعْرًا :

أَهْجُرُ فِرَاشَكَ جَوْفَ اللَّيْلِ وَارْمِ بِهِ
مَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَهَا فُرْشًا مَرْقَشَةً
هَذَا عَلَيْهِ قَرِيرُ الْعَيْنِ نَائِمُهَا
شَتَانٌ بَيْنُهُمَا وَبَيْنَ حَالِهِمَا
فَبَادِرِ الصُّبْحِ أَنْ تَعْشَى طَلَائِعُهُ
كَمْ فَازَ ذُونُكَ بِاللَّذَاتِ مِنْ رَجُلٍ
قَامُوا وَنِمْنَا وَكُلٌّ فِي ثَقْلَبِهِ
زَكُوا نُفُوسَهُمْ بِكُلِّ صَالِحَةٍ

وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

«فَصَلِّ فِي فَوَائِدِ مَنْوَعَةٍ»

قال ابن القيم واعلم أنَّ الصبر على الشهوة أسهل من الصبر على ما تُوجِبُهُ الشهوةُ .

فإنَّ الشهوةَ إما أن تكون تُوجِبُ ألمًا وعُقوبةً .

وإمَّا أن تُقَطَعَ لذَّةٌ أكملَ منها .

وإمَّا أن تُضَيِّعَ وقتًا إضَاعَتُهُ حَسْرَةٌ وَندَامَةٌ .

وإمَّا أن تُثَلِّمَ عِرْضًا تُوفِّرُهُ أنْفَعُ لِلْعَبِيدِ مِنْ ثَلْمِهِ .

وإمَّا أن تُذْهَبَ مَالًا بَقَاؤُهُ خَيْرٌ مِنْ ذَهَابِهِ .

وإمَّا أن تُسَلِّبَ نِعْمَةً بَقَاؤُهَا أَلَدُّ وَأَطْيَبُ مِنْ قَضَائِ الشَّهْوَةِ .

وإمَّا أن تُطَرِّقَ لِوَضِيْعٍ إِلَيْكَ طَرِيقًا لَمْ يَكُنْ يَجِدُهَا قَبْلَ ذَلِكَ .

وإمَّا أن تُجَلِّبَ هَمًّا وَغَمًّا وَحُزْنًا لَا يُقَارِبُ لذَّةَ الشهوةِ .

وإمَّا أن تُنْسِيَ عِلْمًا ذَكَرَهُ أَلَدُّ مِنْ نَيْلِ الشهوةِ .

وإمَّا أن تُشَمِّتَ عَدُوًّا وَتُحْزِنَ وِليًّا .

وإمَّا أن تُحَدِّثَ عَيْبًا يَبْقَى صِفَةً لَا تَزُولُ ، فَإِنَّ الْأَعْمَالَ تُورِثُ الصِّفَاتِ

وَالْأَخْلَاقِ .. أَهـ .

وقال إبراهيم بن بشار: ما رأيتُ في جميع مَنْ لَقِيْتُهُ مِنَ الْعِبَادِ وَالْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَالزُّهَادِ أَحَدًا يُبْغِضُ الدُّنْيَا وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ ، وَرَبْمَا مَرَرْنَا عَلَى قَوْمٍ قَدْ أَقَامُوا حَائِطًا أَوْ دَارًا أَوْ حَائِطًا فَيُحَوَّلُ وَجْهَهُ وَلَا يَمْلَأُ عَيْنِيهِ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ فَعَابَتْهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَقَالَ يَا بَشَارُ اقْرَأْ مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ وَلَمْ يَقُلْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عِمَارَةً لِلدُّنْيَا وَأَكْثَرَ حُبًّا وَذُخْرًا وَجَمَالًا ، ثُمَّ بَكَى وَقَالَ صَدَقَ اللَّهُ عَزَّ اسْمُهُ فِيمَا يَقُولُ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ وَلَمْ يَقُلْ إِلَّا لِيَعْمُرُوا الدُّنْيَا وَيَجْمَعُوا الْأَمْوَالَ وَيَبْنُوا الدُّوَرَّ وَيُسَيِّدُوا الْقُصُورَ وَيَتَلَذَّذُوا وَيَتَفَكَّهُوا ، وَجَعَلَ يَوْمَهُ كُلَّهُ يُرَدُّ ذَلِكَ وَيَقُولُ : «فِيهِدَاهُمْ أَفْتِدَهُ» .

شِعْرًا: صرَفَتْ إِلَى رَبِّ الْأَنَامِ مَطَالِبِي
 إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ
 إِلَى الصَّمَدِ الْبَرِّ الَّذِي فَاضَ جُودُهُ
 مُقِيلِي إِذَا زَلَّتْ بِي النَّعْلُ عَائِرًا
 فَمَا زَالَ يُؤَلِّبُنِي الْجَمِيلَ تَلْطُفًا
 وَيُرْزُقُنِي طِفْلًا وَكَهْلًا وَقَبْلَهَا
 إِذَا أَغْلَقَ الْأَمْلَاكُ دُونِي قُصُورَهُمْ
 فَرِعْتُ إِلَى بَابِ الْمُهَيِّمِ طَارِقًا
 فَلَمْ أَلِفْ حُجَابًا وَلَمْ أَخْشَ مِنْعَةً
 كَرِيمٌ يُلَبِّي عَبْدَهُ كُلَّمَا دَعَا
 سَأَلَهُ مَا شِئْتُ إِنْ يَمِينُهُ
 فَحَسْبِي رَبِّي فِي الْهَزَاهِرِ مَلْجَأً
 وَوَجَّهْتُ وَجْهِي نَحْوَهُ وَمَارِبِي
 مَلِيكَ يُرْجَى سَيِّئُهُ فِي الْمَتَاعِبِ
 وَعَمَّ الْوَرَى طُرًّا بِجَزَلِ الْمَوَاهِبِ
 وَأَسْمَحَ غَفَارٍ وَأَكْرَمَ وَاهِبِ
 وَيَدْفَعُ عَنِّي فِي صُدُورِ النَّوَابِ
 جَنِينًا وَيَحْمِينِي وَيَبِي الْمَكَاسِبِ
 وَنَهَنَهُ عَنْ غَشِيَانِهِمْ زَجْرَ حَاجِبِ
 مُدْلًا أَنَادِي بِاسْمِهِ غَيْرَ هَائِبِ
 وَلَوْ كَانَ سُؤْلِي فَوْقَ هَامِ الْكَوَاكِبِ
 نَهَارًا وَلَيْلًا فِي الدُّجَى وَالْعِيَاهِبِ
 تَسْحُحُ دِفَاقًا بِاللَّهِى وَالرَّغَائِبِ
 وَحِرْزًا إِذَا خِيفَتْ سِهَامُ النَّوَابِ

وَنَسَأَلُ اللَّهَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ الْعَلِيَّ الْعَظِيمَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ الْوَاحِدَ الْفَرْدَ
 الصَّمَدَ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدٌ أَنْ يُعَزَّزَ الْإِسْلَامَ
 وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْ يَحْذَلَ الْكُفْرَةَ وَالْمُشْرِكِينَ وَأَعْوَانَهُمْ وَأَنْ يُصْلِحَ مِنْ فِي
 صِلَاحِهِ صِلَاحٌ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَيُهْلِكَ مَنْ فِي هِلَاكِهِ عِزٌّ وَصِلَاحٌ لِلْإِسْلَامِ
 وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْ يَلْمَ شَعَثِ الْمُسْلِمِينَ وَيَجْمَعَ شَمْلَهُمْ وَيُوَحِّدَ كَلِمَتَهُمْ وَأَنْ
 يَحْفَظَ بِلَادَهُمْ وَيُصْلِحَ أَوْلَادَهُمْ وَيَشْفِ مَرْضَاهُمْ وَيَعَافِي مُبْتَلَاهُمْ وَيَرْحَمَ
 مَوْتَاهُمْ وَيَأْخُذَ بِأَيْدِينَا إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَيَعْصِمَنَا وَإِيَّاهُمْ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَيَحْفَظْنَا
 وَإِيَّاهُمْ مِنْ كُلِّ ضُرٍّ وَأَنْ يَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
 وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 أَجْمَعِينَ .

فهرس الجزء الثاني من موارد الظمان

الصفحة

الموضوع

٦ في الوعظ والارشاد
٢٢ موعظة
٢٤ نماذج من صبره ﷺ
٣٥ موعظة تتضمن الثناء على الصحابة
٣٦ نموذج من صبر خليفة رسول الله ﷺ
٣٧ أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعمر وعثمان وعلي
٣٧ وبعض الصحابة رضوان الله عليهم
٣٧ اسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه
٤١ اسلام عثمان وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما
٤٢ الزبير بن العوام رضي الله عنه
٤٣ بلال بن أبي رباح رضي الله عنه
٤٤ آل ياسر ، عمارة وأبوه وأمه رضي الله عنهم
٤٦ من كلام عيسى عليه السلام
٤٧ أبو ذر رضي الله عنه
٥٠ موعظة في الحث على التأهب للرحيل
٥١ سعيد بن زيد وزوجته رضي الله عنهما وقصة اسلام عمر
٥٣ عثمان بن مظعون رضي الله عنه
٥٤ مصعب بن عمير رضي الله عنه
٥٦ عبدالله بن حذافة رضي الله عنه مع ملك الفرس
٦٠ عبدالله بن حذافة مع ملك الروم
٦١ قصيدة وعظمية زهدية تضرع إلى رب العزة
٦٢ سعيد بن عامر الجمحي وخبيب
٦٧ البراء بن مالك الانصاري
٧١ أم سلمة رضي الله عنها
٧٥ قصيدة وعظمية
٧٧ نماذج من سورة بعض العلماء المخلصين
٩١ نصيحة أبي حازم لسليمان بن عبدالمك
٩٨ نصيحة سفيان الثوري لهارون الرشيد

١٠١ صدع الحسن البصري بالحق
١٠٢ صدع ابن أبي ذئب بالحق أمام أبي جعفر
١٠٣ صدع رجل بالحق أمام الحجاج
١١٢ نماذج من اخلاص بعض العلماء
١٢٤ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
١٥٥ الرد على منكري الجن
١٦٩ موعظة في التحذير من الإنهاك في الدنيا
١٧٠ الناس حول الدنيا قسمان وما حول ذلك
١٧٢ قصيدة للشافعي في التحذير من الدنيا
١٧٦ حب الدنيا رأس الشرور والمعاصي كلها
١٧٩ حب الدنيا فنون متنوعة كل فن يشغل قسما من الناس
١٨٠ قصيدة لبعضهم يكبت نفسه ويؤنّبها
١٨١ أمثلة للدنيا متعددة
١٨٥ قصيدة في ذم الدنيا والتحذير من الاغترار بها
١٨٩ فصل في الحث على الالفة وحسن الخلق
١٩٣ المجلس الصالح والجليس السوء والتحذير من مصاحبة الأشرار
١٩٤ توصية حول الجلساء الصالحين وأمثلة والحث على اختبارهم
١٩٦ المؤاخاة في الناس على وجهين
٢٠٢ المؤمن يلتجئ إلى الله ثم المؤمن والمنافق يلتجئ للمنافق
٢٠٢ ميل الانسان إلى الأخيار أو الأشرار دليل على حاله
٢٠٥ التحذير من صحبة الأحق
٢٠٨ الأصدقاء ثلاثة وبلى ذلك موعظة وقصيدة
٢١٠ كلام حول الفكر النافع والفكر الضار
٢١٨ الحب في الله والبغض في الله والتحذير من موالات أعداء الله والأدلة على ذلك
٢١٩ التحذير من مُشَابِهَةِ أعداء الله وتولّهم وقربهم ومسكتهم
٢٣٦ موعظة في أن الناس قسمان
٢٤٠ قصة أبي عبيدة بن الجراح مع أبيه

٢٤٢ مَا أَصَابَ أَيُّوْمَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ مَوَالِيَةٍ
٢٤٤ أعداء الله بلاء شديد
٢٤٦ الحث على صحبة أهل طاعة الله
٢٤٧ كلام الشيخ محمد بن عتيق
 حول هذا الموضوع السابق
٢٤٩ كلام بن رجب رحمه الله حول الموضوع السابق من تمام محبة الله
٢٥٩ موعظة في فضائل كلمة التوحيد
٢٦٩ قصيدة تحريضاً على طلب العلم
٢٧٤ نبذة من زهد النبي ﷺ
٢٨٧ السلام سنة مؤكدة وله فوائد عديدة والأدلة على ذلك
٢٨٨ المواضع التي يكره فيها السلام وحكم رد السلام
٢٨٩ قصيدة زهدية في الحث على التأهب للموت
٢٩٤ الأحق بالبداة بالسلام والحث على إفشائه
٢٩٨ في السلام فوائد عديدة نذكر طرفاً منها
٣٠٠ حكم إبتداء اليهود والنصارى بالسلام
٣٠١ هجران الكفار والفساق بالبدع ومظهر المعاصي
٣٠٢ موعظة في مكانة الصلاة والحث عليها والتركد فيها
٣٠٤ فصل في الأخوة لله والألفة لله والصدقة في الله والحب في الله والله
٣٠٨ موعظة بليغة في الحث على ذكر الله وأنه كنز من كنوز الجنة
٣١٠ الحث على الحب في الله وما ورد فيه من الأحاديث
٣١٣ حكم المصافحة وفوائدها وبعدها موعظة وقصيدة في مدح رب العزة والجلال
٣١٥ لذة كل أحد على حسب قدره وهمته وشرف نفسه
٣١٩ قصيدة في الحث على التوبة والتزود للآخرة
٣٢٠ الصبر ما يسمى بأسماء مختلفة ، أبيات في مدح الصبر
٣٢١ الحث على الصبر عند المصائب والكلام على الشكوى
٣٢٨ الصبر فيه فوائد عديدة منها وهي أعلاها معية الله
٣٣٠ من أنواع الصبر ، الصبر عن المعاصي
٣٣١ كلام الشيخ على صبر يوسف عليه السلام ويليهِ أبيات في الصبر

٣٤٧ فصل أحاديث واردة في الصبر وذكر الثواب العظيم عليه
٣٤٨ يندفع شر الحاسد عن الحسود بعشرة أسباب
٣٤٩ الصبر طريقة الرسل وإليك ما جرى لبعضهم ويليهِ موعظة
٣٥١ قصيدة تحتوي على الحث على بعض الأخلاق الفاضلة
٣٥٥ من صبر الرسل شعيب وهود وصالح ويونس ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين
٣٥٦ فصل في تسهيل المصائب وما ورد فيها من الآيات والأحاديث وأقوال العلماء والحكماء فيها يهون وينسى المصائب بإذن الله
٣٥٧ مما يسلي ما وعد الله به عباده في الجنة وأن المصائب لها آجال تنتهي بها وأن مع العسر يسرا وأن الفرج عند الكرب
٣٥٩ آيات مسلية ومما يسلي التسلي بذوي الغير ممن أعظم منه في المصائب وأن النعم والنقم كلها زائرة زائلة
٣٦٢ موعظة لابن الجوزي تسلي بإذن الله عن المصائب .. الخ
٣٦٤ ومما يسلي عن المصائب أن في المصائب مصالح للمؤمن
٣٦٥ مما يسلي أن يعلم أن كل المصائب بقضاء الله وقدره الخ
٣٦٧ مما يسلي تقدير ما هو أعظم منها وأشياء أخر مبسوطة
٣٦٨ مما يسلي أن يعلم أن تشديد البلا يخص الاختيار ... الخ
٣٦٨ قصيدة زهدية وعظية مسلية لأهل المصائب
٣٧٢ علاج حر المصيبة
٣٧٩ فصل في الخوف تعريفه وأنواعه ونفعه
٣٨٠ من ثمرات الخوف ، مقدمات الخوف
٣٨١ القدر الواجب من الخوف والقدر النافع والمذموم
٣٨٣ آيات وأحاديث في الخوف
٣٨٧ موعظة بليغة مشهد من مشاهد القيامة
٣٨٨ هيئة الناس في المحشر وما يبلغ عرقهم ومسافة قعر جهنم
٣٨٩ ما ورد في فصل الخوف وذكر مقامات الخوف وأقسام الخائفين
٣٩٢ فصل في الحث على التيقض وترك الغفلة والرجاء للمحسن لا الجزم له بالجنة إلا من شهد له الرسول ﷺ

الموضوع

الصفحة

٣٩٤	طلب معاوية من ضرار بن حمزة أن يصف له علي بن أبي طالب
	ذكر بعض أحوال الخائفين
٣٩٨	فائدة جليلة من كلام شيخ الاسلام وابن القيم
٤٠١	ما ينبغي عند المصائب والإبتلى
٤٠٨	حكم ومواعظ وآداب
٤١٠	آفة الكبر
٤١٣	موعظة وفوائد
٤١٨	فصل في الاخلاص
٤٢٣	التحذير من كيد الشيطان
٤٢٥	فوائد ونصائح ومواعظ وآداب ووصايا
٤٣١	لشهادة أن لا إله إلا الله تأثير عظيم عند الموت
٤٣٢	قصيدة زهدية تحث على الاستعداد للموت
٤٣٣	موعظة بليغة تحث على الاستعداد للآخرة
٤٣٦	قصيدة وعظية زهدية
٤٣٦	فصل في الرجاء وتعريفه ومقدماته
	الدنيا مزرعة الآخرة فمن زرع خيراً وجده وتوضيح ان الرجاء الصحيح
٤٣٨	ما كان مقروناً بالأسباب
٤٣٩	موعظة بليغة في الحث على الصلاة
٤٤٠	أحاديث وردت في الرجاء وآيات ألق لها سمعك
٤٤٢	قصيدة بليغة وعظية زهدية تنمى على من ضيع وقته
٤٤٣	وتحفز لهم إلى الجهد والاجتهاد فيما يوصل إلى مرضاة الله
٤٤٨	موعظة ويلها وصية الإمام علي لابنه الحسن
٤٥٣	مما ورد في الحث على الرجاء
٤٥٦	قصيدة وعظية زهدية
٤٥٧	للانسان نظران نظر من جانب الرجاء ونظر من جانب الخوف
٤٥٩	القلب في ستره إلى الله بمنزلة الطائفة ، أبيات زهدية تضرع إلى رب العزة والجلال
٤٦١	يجب على العبد عند الاحتضار أن يحسن الظن بالله عز وجل
٤٦٢	قصيدة في توبيخ النفس

الصفحة

الموضوع

- ٤٦٤ كلام ابن القيم حول حسن الظن بالله كلام نفيس نماذج من أخلاق
السلف رحمهم الله
- ٤٦٥ من أخلاق السلف التواضع والتخلع قلوبهم من خوف الله وتوصية بعضهم
بعضاً ومن ذلك توصية الامام علي لابنه الحسن وبعدها وصية
- ٤٦٦ أبي حازم للأعرج
- ٤٧٢ من وصايا السلف لمن سألهم ذلك
- ٤٧٩ آيات حول حالة السلف وقصيدة وعظية
- ٥٢٢ أحوال بعض السلف عند الموت مصحوبة بأبيات رائقة
- ٥٢٥ الحث على الإكثار من سؤال الله والأدلة على ذلك
- ٥٤١